

تاریخ الادب فی ایران

من الفردوسی الى السعدی

تألیف المستشرق الكبير

إدوارد جرانفیل براون

الأستاذ بجامعة كامبردج سابقاً

نقله إلى العربية

الدكتور إبراهيم أمين السوای

الناشر
مكتبة الثقافة الدينية

الطبعة الثانية

١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م

حقوق الطبع محفوظة للنشر

الناشر

مكتبة الثقافة الدينية

٥٢٦ شارع بورسعيد - القاهرة

ت/ ٢٥٩٢٢٦٢٠ - ٢٥٩٣٨٤١١ / فاكس: ٢٥٩٣٦٢٧٧

E-mail: alsakafa_aldinay@hotmail.com

٢٠٠٣/١٩١٦٧	رقم الايداع
977-341 - 126-5	الترقيم الدولي I.S.B.N

[رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى
وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأُدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي
عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ] .

(صدق الله العظيم)

obeikandi.com

محتويات الكتاب

كلمة المفهرم	ف - ا ب
مقدمة المؤلف	٨ - ١

الفصل الأول

تمهيد وترديد

موضوع الكتاب	٩
الفتح العربي وتأثيره في فارس	١٣
اللغة العربية ومركزها الفريد	١٣
العلوم العربية	١٥
صلاح العربية للأغراض العلمية	١٦
اعتداد العرب بلغتهم	١٧
العصر الذي تحدث عنه في هذا الكتاب	١٨
العباسيون وخصومهم من أهل الشيعة	٢٠
الفتح المغولي	٢١
النهضة الفارسية	٢٢
تطور الذوق الأدبي وقواعد النقد	٢٤
دولتشاه وفساد ذوقه الأدبي	٣٦
الأسلوب الفارسي والصناعة البديعية	٢٧
خصائص الأشعار الفارسية المبكرة	٢٨
فنون الشعر والبديع لدى الفرس	٢٩
علم البديع	٣١
النثر	٣٢
النظم	٣٣
البيت والمصراع	٣٥
ضروب النظم الفارسية	٣٦
المشوى	٣٧

(و)

٣٨	.	.	.	.	.	.	.	.	الغزل
٣٩	.	.	.	.	.	.	.	.	القصيدة
٤٧	.	.	.	.	.	.	.	.	القطعة
٤٨	.	.	.	.	.	.	.	.	الرباعي أو الرباعية
٥٢	.	.	.	.	.	.	.	.	الارتجال وأثره
٥٣	.	.	.	.	.	.	.	.	الترجيع بند والتركيب بند
٥٦	.	.	.	.	.	.	.	.	المسط
٥٩	.	.	.	.	.	.	.	.	المتراد
٦٠	.	.	.	.	.	.	.	.	أقسام الشعر بحسب موضوعاته
٦٣	.	.	.	.	.	.	.	.	الشعر الخليط
٦٣	.	.	.	.	.	.	.	.	قصيدة «قوامي الكنجوي» في الصناعات البلاغية
٩٠	.	.	.	.	.	.	.	.	التأريخ بالأشعار
٩١	.	.	.	.	.	.	.	.	التلميح
٩٣	.	.	.	.	.	.	.	.	صعوبة استعمال التلميح في الأشتعار الإسلامية
٩٤	.	.	.	.	.	.	.	.	التصنيف
٩٥	.	.	.	.	.	.	.	.	المهجو والجواب
٩٨	.	.	.	.	.	.	.	.	التشبيهات والاستعارات تسودها روح المحافظة
٩٩	.	.	.	.	.	.	.	.	الشعر الإسلامي تسوده روح المحافظة
١٠٠	.	.	.	.	.	.	.	.	أساس النقد في الموضوع والأسلوب
١٠١	.	.	.	.	.	.	.	.	ابن خلدون ورأيه في الأسلوب
١٠٣	.	.	.	.	.	.	.	.	روح المحافظة في أساليب الشعر والنثر في الفارسية
١٠٤	.	.	.	.	.	.	.	.	التصنع صفة عارضة في الأساليب الفارسية

الفصل الثاني

عصر الدولة الغزنوية

١٠٥ . . . حمالة فارس في نهاية القرن العاشر الميلادي (الرابع الهجري)

١٠٦ . . . منزلة الأدب في خراسان وطبرستان وجنوب فارس

١٠٩	السلطان محمود الغزنوي
١١٢	ابن سينا يفر من قبضه محمود
١١٣	البيروني والسلطان محمود الغزنوي
١١٤	أبو الفتح البستي
١١٥	رعاة الآداب وكثرتهم
١١٦	أبو منصور الثعالبي
١١٦	أبوريجان البيروني
١١٧	مراكز الحضارة الأربعة في إيران
١١٨	الصاحب بن عباد
١١٩	شمس المعالى قابوس
١٢٠	آخلاق السلطان محمود
١٢١	البيروني وابن سينا
١٢٤	قصائد «ابن سينا» الفارسية
١٢٥	رباعيات «الحيام» الجائلة
١٢٧	قصيدة «ابن سينا» عن الروح
١٢٨	بديع الزمان الهمذاني
١٣٠	مهيार الديلمي
١٣١	المجوسى الطيب
١٣٣	شعراء الفارسية
١٣٩	عنصرى
١٤٣	عسجدى
١٤٤	فرخى
١٥٢	الفردوسى
١٥٧	رواية «جهار مقالة» عن الفردوسى
١٦٥	رواية دولتشاه
١٦٨	مؤلفات الفردوسى: الـ «شاهنامه»
١٧٥	يوسف وزليخا
١٧٦	غزليات الفردوسى
١٧٨	أسدى الطوسى

١٨٧	أبو الفرج السجزي
١٨٨	منوچهرى
١٩٣	غضائرى
١٩٤	بهرامى
١٩٦	بندار الرازى
١٩٩	الكسائى

الفصل الثالث

العصر السلجوقى الأول

٢٠٧	مقدمة الفصل
٢٠٩	أصل السلاجقة
٢١٢	الخلفاء الفاطميون - الدولة الفزنوية
٢١٣	الدولة البويهية
٢١٤	هجرة السلاجقة جنوباً - مسعود والسلاجقة
٢١٥	تأسيس الدولة السلجوقية
٢١٦	الخليفة يعترف بطغرل
٢١٧	موت طغرل - ألب أرسلان
٢١٩	نظام الملك
٢٢٠	ألب أرسلان
٢٢١	أعمال ألب أرسلان
٢٢٣	موت ألب أرسلان
٢٢٥	ملكشاه
٢٢٩	سقوط نظام الملك
٢٣١	قتل نظام الملك
٢٣٥	موت ملكشاه
٢٣٦	قصة نظام الملك والصبح والحيام
٢٣٩	نشأة الحشاشين
٢٤٠	الشيعة
٢٤١	المعتدلون والغلاة - الإسماعيلية

٢٤٢	• • • • •	الدولة الفاطمية
٢٤٣	• • • • •	مذهب الإسماعيلية — العدد سبعة في مذهبهم
٢٤٥	• • • • •	المستنصر
٢٤٦	• • • • •	ناصر خسرو
٢٤٧	• • • • •	الحسن بن الصباح
٢٥٢	• • • • •	مراتب الحشاشين

الفصل الرابع

الأدب في العصر السلجوقي الأول

٢٥٩	• • • • •	نظام الملك وكتابه «سياسة نامه»
٢٦٥	• • • • •	ناصر خسرو
٢٦٩	• • • • •	آثار ناصر خسرو — كتاب «سفرنامه»
٢٧١	• • • • •	ناصر خسرو في مصر — وصف القاهرة في كتاب سفرنامه
٢٧٤	• • • • •	ديوان ناصر خسرو
٢٧٧	• • • • •	دراسة الديوان
٢٨٢	• • • • •	آراء ناصر خسرو الدينية
٢٨٤	• • • • •	مترجمات من ديوانه
٢٩٩	• • • • •	أشعار الإلحاد المنسوبة إلى ناصر خسرو
٣٠١	• • • • •	بقية آثاره — روضنا في نامه
٣٠٣	• • • • •	شعراء الرباعيات
٣٠٤	• • • • •	عمر الحيام
٣٠٧	• • • • •	أحدث الأبحاث عن حياة الحيام
٣٠٨	• • • • •	كتاب «مرصاد العباد» وما أورده عن الحيام
٣٠٩	• • • • •	كتاب «تاريخ الحكماء» وما أورده عن الحيام
٣١٠	• • • • •	كتاب «نزهة الأرواح» وما أورده عن الحيام
٣١٢	• • • • •	كتاب «آثار البلاد» وما أورده عن الحيام
٣١٣	• • • • •	كتاب «جامع التواريخ» وما أورده عن الحيام
٣١٥	• • • • •	كتاب «فردوس التاريخ» وما أورده عن الحيام
٣١٥	• • • • •	كتاب «التاريخ الألفى» وما أورده عن الحيام

٣١٨	الآداب الحيامية
٣١٩	الرباعيات الجائلة
٣٢٢	بابا طاهر الممداني
٣٢٣	حياة بابا طاهر
٣٢٥	أبوسعيد بن أبي الخير
٣٢٩	أبوسعيد والتصوف
٣٣٦	عبدالله الأنصاري
٣٣٨	قطران التبريزي
٣٤٠	أسدي الأصغر
٣٤٢	نثر الدين الجرجاني
٣٤٤	قصة وامق وعذرا
٣٤٦	قابوس نامه
٣٥٤	أسلوب قابوس نامه
٣٦٢	كتب أخرى منشورة - نزهت نامه
٣٦٣	الماوردي
٣٦٤	أبو العلاء المعري
٣٦٨	الغزالي

الفصل الخامس

عصر السلطان سنجر وإخوته

٣٧١	مقدمة الفصل
٣٧٣	عصر سنجر من الناحية العلمية والأدبية
٣٧٧	محمد بن ملكشاه
٣٧٨	محمود بن محمد - سنجر
٣٨٠	سلاجقة كرمان - الخلفاء العباسيون المعاصرون
٣٨١	الغوريون والغزنويون
٣٨٣	ملوك خوارزم
٣٨٥	شعراء سنجر وأئسز

٣٨٨	الإسماعيلية في الموت أو الحشاشون
٣٩٥	الحركة الأدبية في هذا العصر - شعراء الفرس
٣٩٥	سنائي
٣٩٧	حديقة الحقيقة
٤٠٦	أزرق
٤٠٧	مسعود سعد سلمان
٤١١	أبو طاهر الخاتوني
٤١٣	معزي
٤١٧	رشيد الدين الوطواط
٤٢١	أديب صابر
٤٢٥	نظامي عروضي سمرقندي
٤٣٠	عبد الواسع الجيلي
٤٣٣	سوزني
٤٣٥	صغار الشعراء
٤٣٦	مهيقي
٤٣٨	التوايف الفارسية المنشورة في هذا العصر
٤٣٨	ذخيرة خوارزمشاهي
٤٣٩	مقامات حمدي
٤٤٣	كليه ودمنه
٤٤٨	الكتب العربية في هذا العصر
٤٥١	الباخرزي
٤٥٤	الروائي
٤٥٦	الحريري
٤٥٧	أنو شروان بن خالد
٤٥٨	الزحشري
٤٥٩	الشهرستاني

الفصل السادس

الشعراء الأربعة الناهون

٤٦١	مقدمة
٤٦٢	١ — الأنورى
٤٦٣	مصادر دراسة الأنورى
٤٦٤	نشأة الأنورى
٤٩٢	شعر الأنورى
٤٩٥	٢ — الخاقانى
٤٩٦	خاقانى وأبو العلاء الكنجوى
٥٠٢	تحفة العراقيين
٥٠٥	فن الخاقانى
٥٠٦	٣ — نظامى الكنجوى
٥١٠	مكانة نظامى
٥١١	مخزن الأسرار
٥١٣	خسرو وشيرين
٥١٦	لىلى ومجنون
٥٢٠	هفت پيكر
٥٢٤	إسكندر نامه
٥٢٥	٤ — ظهير الدين الفاريابى
٥٢٨	الملوك والأمراء الذين اتصل بهم ظهير الدين
٥٣١	حياة ظهير الدين

الفصل السابع

مملكة خوارزم

٥٤٥	غارة المغول على خوارزم واستيلائهم على بغداد وتطعيمهم للخلافة العباسية
٥٦٥	عهد استيلاء نفوذ المغول فى إيران

٥٦٩	جلال الدين خوارزمشاه
٥٧٣	أوكداى
٥٧٣	كيوك
٥٧٥	منكو
٥٧٦	هولاكو
٥٧٦	الحشاشون أو الإسماعيلية فى الموت
٥٨٣	المهجوم على بغداد
٥٨٧	ابن العلقمى
٥٨٥	الستخم

الفصل التاسع

كتاب العصر المغولى الأول

٥٩١	مقدمة
٥٩٢	١ - أصحاب التواريخ العامة
٥٩٢	ابن الأثير
٥٩٣	ابن العبرى
٥٩٥	منهاج السراج
٥٩٦	جرجيس السكين
٥٩٧	٢ - أصحاب التواريخ الخاصة
٥٩٧	الجرباذقانى
٥٩٩	الفتح البندارى
٥٩٩	عطا ملك الجوينى
٦٠٠	أحمد النسوى
٦٠٢	٣ - كتاب التراجم
٦٠٢	ابن خلكان
٦٠٤	القفطى
٦٠٥	ابن أبى أصيعة
٦٠٦	محمد عوفى

- ٤ - أصحاب التواريخ المحلية
 ٦٠٨ ابن إسفنديار
 ٦٠٨ أبو عبد الله الديلمي
 ٦١٠ الجغرافيون والرحالون
 ٦١١ ياقوت
 ٦١١ القزويني
 ٦١٢ ابن جبير
 ٦١٤ الفلاسفة
 ٦١٥ فخر الدين الرازي
 ٦١٥ نصير الدين الطوسي
 ٦١٥ أصحاب التواليف العربية
 ٦١٨ ابن ميمون ، البوني ، ابن البيطار ، التيفاشي
 ٦١٨ عز الدين الزنجاني ، جمال القرشي ، ابن الحاجب ، الطرزي
 ٦١٩ ضياء الدين بن الأثير ، مجد الدين بن الأثير
 ٦١٩ البيضاوي ، ياقوت المستعصي
 ٦٢٠ مؤلفون آخرون
 ٦٢١ أبو نصر الفراهي ، شمس قيس الرازي
 ٦٢١ سعد الدين الوراوي
 ٦٢٢ كتاب الصوفية
 ٦٢٣ روزبهان
 ٦٢٤ نجم الدين كبرى
 ٦٢٥ مجد الدين البغدادى
 ٦٢٩ سعد الدين الحموى
 ٦٣٠ نجم الدين دابة
 ٦٣١ شهاب الدين السهروردى
 ٦٣١ محي الدين بن العربى
 ٦٣٣ كتاب فصوص الحكم
 ٦٣٦ ابن الفارض
 ٦٣٨

(س)

الفصل التاسع شعراء العصر المغولي الأول

٦٤٢	مقدمة
٦٤٣	١ - فريد الدين العطار
٦٤٣	حياة العطار
٦٤٥	موت العطار
٦٤٨	منطق الطير
٦٥٤	٢ - جلال الدين الرومي
٦٥٤	حياة جلال الدين
٦٥٨	ديوان شمس تبريز
٦٥٩	المتنوى
٦٦٠	مترجمو جلال الدين إلى الإنجليزية
٦٦٤	ديوان شمس تبريز
٦٦٧	٣ - سعدى
٦٦٨	حياة السعدى
٦٧٢	أسفار السعدى
٦٧٤	سعدى وتعليم الأخلاق
٦٧٦	مؤلفات السعدى
٦٧٧	سعدى اللغوى
٦٧٨	قصائد سعدى
٦٧٩	غزليات سعدى
٦٨٢	أشعار سعدى
٦٨٦	٤ - صفار الشعراء
٦٨٦	شرف الدين شفرويه
٦٨٧	كمال الدين إسماعيل
٦٨٩	خاتمة الكتاب

كشاف

٦٩١	١ - أسماء المؤلفات
٧١١	٢ - أسماء الأعلام
٧٣٧	٣ - أسماء الأماكن

obeikandi.com

كلمة المترجم

في مطلع القرن العشرين ، لمع في أفق « الدراسات الشرقية » اسم مستشرق عظيم هو : « إدوارد جرانفيل براون » الأستاذ بجامعة كامبردج ، فقد استطاع بتخصصه في لغات الأمم الإسلامية وإتقانه لثلاث منها هي « العربية » و « الفارسية » و « التركية » ، أن يدخل نفسه في عداد كبار المستشرقين كافة ، وأن يصبح كذلك زعيم المستشرقين الإنجليز في هذا القرن من الزمان .

ارتبطت حياة « براون » بحياة « إيران » ارتباطاً عجيباً منذ سنة ١٨٨٠ م ، حينما بدأ وهو في الثامنة عشرة من عمره يدرس اللغة الفارسية وآدابها ، فلما اكتملت له وسائل التحصيل وانتهى من دراساته الجامعية ، جعل حياته وفقاً على هذه الأمة الخالدة ، وشغل نفسه بنواحيها التاريخية والفكرية والاجتماعية ، حتى أصبحت « إيران » همه الدائب وشغله الشاغل ، يكتب عن أمجادها القديمة ، كما يكتب عن حركاتها الحديثة ، فتصبح كتاباته في كلا الناحيتين العماد والرجع ، وتصبح سجلا كاملاً يتضمن كل ما عرف عن « إيران » منذ مشرق التاريخ حتى نهاية الربع الأول من هذا القرن الذي نعيش فيه .

والكتب والأبحاث التي ألفها « براون » أو التي تولى ترجمتها ، أو التي قام على تصحيحها وإخراجها ، تبلغ العشرات والعشرات ؛ كل واحد منها يمتاز في موضوعه امتيازاً خاصاً ، لا يستطيع أن يحده جاحد أو ينكره معاند ... ولكن أهم هذه الكتب على الإطلاق هو الكتاب الذي جعله بعنوان : « تاريخ الأدب في إيران » وجعله « موسوعة أدبية » موزعة على أربعة مجلدات كبيرة ، تربو صفحاتها على ألفين ومائتين من الصفحات ، تشوعب مشتملاتها الحياة التاريخية والفكرية للإيرانيين منذ أقدم ما عرف من أخبارهم وتواريخهم إلى سنة ١٩٢٤ م ، أي خلال فترة تقرب من خمسة وعشرين قرناً .

وقصة تأليف هذه «الموسوعة الأدبية» قصة طريفة ، تسربت بعض أخبارها في ثنايا الكتابات التي كتبها المؤلف نفسه ، فهو يقول في مقدمته على المجلد الأول : إن نفسه تتوق منذ سنوات إلى كتابة تاريخ يسجل فيه الحركة العقلية والأدبية للإيرانيين ، على نسق الكتاب المدهش الذي ألفه «جرين» عن تاريخ الشعب الإنجليزي؛ لأن هذا الكتاب — في معتقده — مفخرة لكل من احتذاه ، يندر من يستطيع تقليده ومجاراته ، وينعدم من يرجو إدراكه أو التفوق على مستواه ...!!

- ولكن «براون» سرعان ما عاد عن فكرته في احتذاء نمط هذا الكتاب . خشية أن يضطر إلى إخراج كتاب يكون شديد الإيجاز والاختصار ، فالتمس نموذجاً آخر يحذيه ، يكون في احتذائه مجالاً للتطوير والتفصيل ، فكان نموذجاً في هذه المرة الكتاب الممتع الذي ألفه «جوسيراند» باسم «تاريخ الآداب الإنجليزية» فقد أعجب بفكرته وطريقة إخراجها إعجاباً شديداً ، جعله يقرر في النهاية أن يخرج «تاريخ الآداب في إيران» على نسقه ومنواله .

وعقد «براون» العزم على أن يتم كتابه في مجلد واحد ، يضعه تاريخ إيران برمته حتى مطلع القرن الحالي ، ولكنه سرعان ما تحقق من استحالة بغيته ، فرجا أن يصل به على الأقل إلى غارة الغول على الديار الإسلامية ، باعتبارها نقطة فاصلة من تقطع التحول في التاريخ الإسلامي ، ولكنه لم يلبث أن تأكد أيضاً من استحالة ذلك لاتساع الموضوع وتشعب نواحيه ، فاضطر اضطراراً إلى أن ينظم المجلد الأول من كتابه بالحديث عن العصر الذي سبق «الفردوسي» بقليل من الزمن .

وانتهى «براون» من كتابة المجلد الأول في ١٤ سبتمبر سنة ١٩٠٢ م . وجعله بعنوان: «تاريخ الأدب في إيران ، منذ أقدم الأزمنة إلى زمان الفردوسي» .

A LITERARY HISTORY OF PERSIA :

From the Earliest Times until Firdawsī.

وقد تضمن هذا المجلد الحديث عن «جاهلية إيران» والحديث عن القرون الأربعة الأولى من حياتها الإسلامية .

واقضت بعد ذلك أربع سنوات تقريباً ، فلما كان اليوم السادس عشر من

(ق)

شهر مايو سنة ١٩٠٦ م نشر « براون » المجلد الثاني من موسوعته بعنوان :

« تاريخ الأدب في إيران ، من الفردوسى إلى السعدى » .

A LITERARY HISTORY OF PERSIA : From Firdawsī to Saadi .

وجعله وصلا للمجلد السابق ، يتضمن تاريخ الأدب في إيران في الفترة الواقعة بين نهاية القرن الرابع الهجرى ومنتصف السابع الهجرى ، أى بداية القرن الحادى عشر ومنتصف القرن الثالث عشر الميلاديين .

وانقضت بعد ذلك فترة تبلغ أربع عشرة سنة ، انشغل فيها « براون » بأحداث إيران الثورية والدستورية ، فكاد ينصرف عن عمله فى مواصلة إتمام هذه الموسوعة التى بدأها بالمجلدين السابقين ، لأنه وجد من الحقل من الواجب عليه أن ينسى قليلا أبحار إيران الغابرة وأن يأخذ بيدها فى أحداث حياتها الحاضرة ؛ فلما ساءم بنصيه فى ذلك ، عاد إلى موضوعه الأصيل ، فأصدر فى ٥ إبريل سنة ١٩٢٠ م المجلد الثالث من موسوعته الأدبية عن إيران بعنوان جديد ، هو :

« تاريخ الأدب الفارسى ، من سنة ١٢٦٥ م إلى سنة ١٥٠٢ م »

(أى من سنة ٦٦٤ هـ إلى سنة ٩٠٨ هـ) .

A HISTORY OF PERSIAN LITERATURE (1265-1502)

وقد تضمن هذا المجلد تاريخ الأدب فى إيران من « السعدى » إلى « جامى » أى من موت « هولاكو » محط الخلافة العباسية فى بغداد إلى قيام الدولة « الصفوية » فى إيران .

وبعد ذلك بأربع سنوات تقريبا ، استطاع « براون » أن يتم موسوعته بإصدار المجلد الرابع والأخير منها فى ١٢ يونية سنة ١٩٢٤ م وجعله بعنوان :

« تاريخ الأدب الفارسى : من سنة ١٥٠٠ إلى سنة ١٩٢٤ »

أى من سنة ٩٠٦ هـ إلى سنة ١٣٤٢ هـ .

A HISTORY OF PERSIAN LITERATURE (1500-1924 .)

وتضمن هذا المجلد تاريخ الأدب فى إيران فى عصورها الحديثة والمعاصرة . وقد ابتهج « براون » بإخراجته ابتهاجا كبيرا لأنه حقق به أملا ظل يتردد فى

جوانبه ، وعملا ظل يشفق على نفسه من شدائده ومتاعبه ، حتى استطاع في النهاية وقبل وفاته بعام واحد ونصف العام أن يتوج سائر مجهوداته بإتمام هذه الموسوعة عن « الأدب في إيران » وأن يجعلها الأثر الخالد لسائر كتاباته أو كما يقول الفرس « شاهكار » كتبه ومؤلفاته .

وقد نشر « براون » المجلدين الأخيرين من هذه الموسوعة في دار نشر غير الدار التي نشرت له المجلدين الأولين ، وعلل ذلك بسببين هما :

أولا — أنه أراد أن يسهل للمقتبيين أن يقتبسوا من كتاباته كما أراد أن ييسر للمترجمين أن يحصلوا على الإذن بترجمة مؤلفاته ؛ فرأى أن يتجه إلى دار نشر جديدة ، تحقق هذه الغرضين وتعين عليهما .

ثانيا — أنه أراد أن ينشر النصوص الشرقية التي تعرض لها في كتاباته أو التي استشهد بها في مؤلفاته ، بلغاتها الأصلية وبالحروف التي تكتب بها عادة في هذه اللغات ، حتى ييسر للدارسين سبيل الانتفاع بها ، فسعى إلى ناشر جديد ، لديه من الأبهة والاستعداد ، ما يستطيع بهما أن يتلافى النقص الذي أصاب المجلدين السابقين فخرهما من ذكر الشواهد بنصوصها الأصلية .

ولم يكن ناشره الجديد إلا « دار طباعة جامعة كامبردج » فأخرجت المجلدين الأخيرين إخراجا حقق رجاء « براون » فيها ، ورصعت صفحاتها بإيراد الأمثلة والشواهد بنصوصها الأصلية في الكتابات « العربية » و « الفارسية » و « التركية » ، كما حققت للمترجمين والمقتبيين سبيل الاقتباس والترجمة ، فلم تبخل بالإذن إلى ذلك ، بل ويسرته تيسيراً سخياً كريماً ، كان من نتيجته ترجمة بعض مجلدات هذه الموسوعة إلى الفارسية ، ثم صدور هذه الترجمة العربية التي نسعى إلى نشرها لسائر المجلدات .

وقد نتج عن صدور مجلدات هذه « الموسوعة » في دارين من دور النشر أمور ، جعلت المجلدين الأولين منها يتميزان بسمات تختلف عن السمات التي يتميز بها المجلدان الأخيران ، ربما كان أظهرها وأوضحها أمران :

أولا — أن المجلدين الأولين صدرا في البداية بعنوان موحد ، هو :

(ش)

أما المجلدان الأخيران فصدرا في البداية بعنوان آخر ، هو :

“ A History of Persian Literature ”

ثانيا — أن المجلدين الأولين يخلوان خلوا يكاد يكون تاما ، من إبراد الشواهد في أصولها الشرقية : العربية أو الفارسية أو التركية ، أما المجلدان الأخيران فنزخر صفحتهما بالشواهد الأصلية مطبوعة بالحروف التي تكتب بها هذه اللغات .

وفي رأي أنه لو امتد الأجل بالأستاذ « براون » لتدارك النقص الذي عاب المجلدين الأولين ، وأضمنهما كما فعل في المجلدين الأخيرين سائر الشواهد في نصوصها الشرقية الأصلية ، ولجعل المجلدات الأربعة وحدة ، مشتركة الصفات ، متشابهة السمات . ولكن من أسف أن الموت عاجله ، ولم يحمله القدر إلا عاما ونصف العام منذ فراغه من آخر المجلدات ، فتوفي في الخامس من يناير سنة ١٩٣٦ . وكل ما حدث بعد ذلك أنه منذ أخذت « دار طباعة جامعة كامبردج » حقوق طبع « الموسوعة » برمتها ، أنها وحدت تسمية مجلداتها الأربعة ، فجعلتها جميعها بعنوان واحد هو :

“ A LITETARY HISTORY OF PERSIA ”

وهو العنوان الذي استصوبت ترجمته إلى العربية بعبارة :

« تاريخ الأدب في إيران »

وصدرت الطبعات التالية بهذا العنوان ، وتسلسلت مجلداتها على هذا النسق :

المجلد الأول : « تاريخ الأدب في إيران ، منذ أقدم الأزمنة إلى الفردوسي »

المجلد الثاني : « تاريخ الأدب في إيران ، من الفردوسي إلى السعدي »

المجلد الثالث : « تاريخ الأدب في إيران ، أثناء حكم التتار »

المجلد الرابع : « تاريخ الأدب في إيران ، في الأزمنة الحديثة »

وحققت دار النشر بذلك ، الفكرة التي ارتسمت في خاطر « براون » من جعل مجلداته الأربعة التي صور فيها الحياة الأدبية والفكرية للإيرانيين موسوعة كاملة للدورات متصلة الحلقات .

ولقد خلّبتني هذه الموسوعة منذ قبض الله لي في سنة ١٩٣١ أن التحق بجامعة لندن لدراسة اللغات الشرقية والتخصص في اللغتين الفارسية والتركية على يدى أستاذ خليل من

تلاميذ « براون » هو المرحوم « السير دينيسون روس » ، وأصبحت تلمذتى لهذا الأستاذ وثيق الصلة بأستاذه « براون » وبسائر كتبه ومؤلفاته .

وتعلكتنى رغبة جامعة ، منذ أيام الطاب والتحصيل ، فى أن أقبل إلى العربية بعض مؤلفاته ، وعلى الأخص موسوعته عن « تاريخ الأدب فى إيران » حتى تكون نقطة البداية التى نبدأ بها دراساتها للأدب الفارسى فى الجامعات المصرية الحديثة ، لأننى تحققت من أن ترجمة كتاب من كتب المستشرقين ، يكون جامعا لأطراف الموضوع ، شاملا لخلاصة أبحاثهم فيه خلال القرون الطويلة التى سبقونا فيها إلى دراسة الأدب الفارسى ، توفر علينا ضياع الوقت والجهد فى بحث أمور سبقت معالجتها والبلوغ بها إلى غاياتها أو ما يدنو من غاياتها ، وأنه أجدى علينا أن نخصص جهودنا لتصرفها فيما يكون وصلا لما انقطع ، وفيما يخرج بنا إلى بحوث جديدة ، نضيفها إلى التراث العام الذى خلقه سائر المشتغلين بالدراسات الشرقية من مختلف الأجناس والقوميات ولو استطاع كل متخصص فى علم من العلوم أو فن من الفنون أن ينقل إلى العربية كتابا واحداً من أمهات الكتب المتعلقة بموضوع تخصصه ، لكان للعربية من مجموع هذه الترجمات ثروة طائلة ، كفيلة بأن تجدد الفكر العربى واللغة العربية تجديداً كاملاً ينتهى بنا إلى نهضة كاملة شاملة كالتى حدثت فى أوروبا عندما نقلت إلى لغاتها الكتب العربية والشرقية فى سالف الوقت والزمان ، ولاستكملنا بهذه الثروة العريضة ما نقصنا فى الفترة التى وقفنا فيها موقف الفطور والتكاسل والتخلف والتواكل .

وقد أحس الأيرانيون أنفسهم بخطر الموسوعة التى أصدرها « براون » عن « تاريخ الأدب فى إيران » فأقبلوا عليها يتدارسونها ويقتبسون منها وينهون إلى أهميتها ، وسعى منذ ثلاثين عاما تقريبا أحد رجالهم الذين قدرت له تولى وزارة المعارف فيما بعد ، وهو الأستاذ الكبير « على أصغر حكمت » أن يترجم هذه الموسوعة إلى الفارسية ، وأقرته وزارة المعارف الإيرانية على مقترحه الذى يعود على العلم والأدب بفائدة محققة ، وحصل فعلا من الأستاذ « براون » فى سنة ١٩٢٥ على إذن بنقل هذه الموسوعة إلى الفارسية ، ثم وزع مجلداتها الأربعة على أربعة من كبار أدباء

(ث)

إيران ومحققها ، كان هو نفسه واحداً منهم ، ولكن الظروف والإقدار شاءت ألا تصدر من الترجمة الفارسية حتى الآن إلا ترجمة المجلدين الأخيرين من هذه الموسوعة فأصدر المرحوم «رشيد ياسمي» الأستاذ بجامعة طهران ترجمة المجلد الرابع في سنة ١٣١٦ الهجرية الشمسية (= ١٩٣٧م) بعنوان: «تاريخ أدبيات إيران از آغاز عهد صفوية تا زمان حاضر» ثم انقضت فترة تبلغ إحدى عشرة سنة استطاع بعدها وزير المعارف الإيرانية الأسبق الأستاذ «علي أصغر حكمت» أن يخرج في سنة ١٣٢٧ الهجرية الشمسية (= ١٩٤٨م) الترجمة الفارسية للمجلد الثالث من مجلدات براون بعنوان: «از سعدی تا جلالی: تاریخ ادبی ایران از نیمه قرن هفتم تا آخر قرن هشتم هجری، عصر استیلاء مغول و تاتار» .

وأما المجلدان : الأول والثاني ، فإزال الأمل كبيراً في نقلهما إلى الفارسية ، وليس سبقنا إلى نقلهما إلى العربية من باب المصادفة المحضة فهما يشتملان على كثير من الأمور العربية التي تبرر لنا هذا السبق وتجعل لنا حقاً كبيراً فيه .

ولقد يسر الله لي حتى إبريل سنة ١٩٤٥ أي منذ تسع سنوات تقريباً أن أتم ترجمة المجلدين الأولين من موسوعة «براون» ، وطمعت في أن تعينني وزارة المعارف المصرية على نشرهما أو أن أجد الناشر الذي يرفع عن كاهلي كثيراً من النفقات والتكاليف ، ولكنني لم أظفر للأسف بما يحقق البغية وييسر المطلوب ، فتوقفت السنوات الماضية أتدبر الأمور وأسعى إلى إكمال ترجمة المجلدين الأخيرين ، حتى هبأ الله لي في هذا العام الوسائل لنشر مجلد واحد منها ، سأظل بعده أتحين الفرصة لنشر باقي المجلدات ، وتحقيق أمل رجوته منذ سنوات .

وقد وقع اختياري على المجلد الثاني ليكون طليعة تنشر لهذه المجلدات في نسخها العربية ، وربما كثرت الأسباب التي بررت لي البدء على هذا النحو الغريب ، ولكن أهمها وأبرزها ما يأتي :

أولاً — أن المؤلف نفسه اعتبر كل مجلد من مجلداته وحدة قائمة بذاتها ، تدرس غصراً معيناً من عصور الأمة الإيرانية بحيث يمكن اعتبار كل واحد منها كتاباً مستقلاً لا بأس من طبعه على حدة .

ثانياً — أن المجلد الأول لا يشتمل الا على الأصول النائية التي لا تهم دارس الآداب الإسلامية بقدر ما تهم دارس الحضارات الإيرانية القديمة ، ومن أجل ذلك فصله المؤلف فصلاً تاماً عن المجلد الثاني وجعله تمهيداً له ، لأنه يتعلق أكثر ما يتعلق بـ «جاهلية إيران» . أما المجلد الثاني ففيه بداية الحديث عن الآداب الفارسية بمعناها الفني الدقيق ، أي منذ أخذ الفرس ينشئون آدابهم باللغة الفارسية التي نشأت بعد الفتح العربي لإيران ، وظلت مستعملة منذ ذلك الوقت حتى أيامنا هذه ، فهو في الحقيقة نقطة البدء لدارس الآداب الإسلامية التي نشأت في إيران بعد الإسلام .

ثالثاً : أن كثيراً من المقدمات والتمهيدات التي اشتمل عليها المجلد الأول ، قد تعرضت لها كتب عربية مختلفة ، مما جعل قراء العربية يعرفونها بوجه من الوجوه ويلبسونها إلى حد من الحدود ، وفي هذا ما يروض عليهم هذه المقدمات إذا تأخر نشرها قليلاً ، وما يجعل ابتداءهم بالمجلد الثاني بداية غير شواء ولا بقاء .

رابعاً : أن المجلد الثاني هو أكثر المجلدات التي تهم قراء العربية ؛ فقد اشتمل على دراسة كثير من المسائل العربية التي أخرجتها عقول إيرانية ، ومن أجل ذلك فهو يهم العرب بقدر ما يهم الإيرانيين ، وإذا كان «براون» قد عني في سائر مجلداته بكثير من مسائل التاج العربي الذي أخرجته عقول إيرانية ، فإن النصيب الأوفى من هذه العناية كان من نصيب المجلد الثاني بحكم الظروف التي جعلت موضوعه مجالاً لإظهار هذه الحقيقة وإثباتها .

لهذه الأسباب جميعها ، ولأسباب عملية أخرى تتعلق بدراساتنا للآداب العربية والفارسية في الجامعات المصرية ، رأيت البدء بنشر المجلد الحاضر من مجلدات «براون» ، راجياً أن تنهأ لي الظروف التي تمكن من نشر سائر مجلداته باللغة العربية ، حتى يكون لقراء العربية مثلما كان لقراء الإنجليزية : «هدية إلى هذه الجماعة الصغيرة المتزايدة من هواة الآداب الفارسية الذين تعلموا من الترجمات التي نشرتها أن يحبوا شعراء الفرس وأدباءهم ، وأن لا يدخروا وسعاً في تنمية معلوماتهم اللغوية والأدبية لشعب من أقدم شعوب الأرض ، اختص بكثير من المواهب العالية والصفات السامية . .

ولا شك أن هؤلاء الجماعة من « الهواة » هم العماد الذى يعتمد عليه فى دراسة اللغات الشرقية وآدابها ... فى بلد لا يقرى على مثل هذه الدراسات وتنقصه المعاهد الشرقية المنظمة كالتي توجد فى العواصم العربية الأخرى ... ١١ » .

* * *

إما الصعوبات التي تكلفتها فى نقل هذا الكتاب إلى العربية فأكثر من أن يتسع المجال لذكرها تفصيلاً ؛ ولترجمته قصة لا تنقل روعة عن قصة تأليفه ، بل ربما كانت أشد عناءً وأكثر بلاءً ... لأُمور عامة يعرفها كل من كابد الترجمة وعانى النقل من لغة إلى أخرى ، ولأُمور خاصة أحب أن أنبه إلى بعضها فى هذا المقام ، وأهمها وأخطرها ما يأتي :

أولاً : إن هذا الكتاب عبارة عن موسوعة أدبية ، اشتملت على كل ما تعلق بإيران أى البلاد الفارسية منذ أول ما عرف من أمرها حتى السنة التي أتم فيها المؤلف كتابه أى إلى سنة ١٩٢٤ ، ومن أجل ذلك تضمن الكتاب أموراً مفرقة فى القدم ، ما تزال تدرج فى تاريخ هذه البلاد وما أنتجت من علم وأدب حتى تصل بنا إلى نهاية الربع الأول من القرن الذى نعيش فيه ، ولقد حرص المؤلف على أن يجعل كتابه « دائرة معارف » يثبت فيها كل ما انصرف من كتب ومقالات وأبحاث تتعلق بسائر العصور التي تعرض لها كتابه ، وترتب على ذلك أنه أصبح لزاماً على من يتصدى لترجمته أن تكون له سابقة اطلاع على كتابات الشرقيين والمستشرقين التي ذكرها فى ثنايا كتابه ، وأن يكون على قدر كبير من الخبرة بحيث يأمن الزلة ويتجنب العثرة . ولطالما صادفتني إشارات اضطرت فيها إلى الرجوع إلى المكتبات العامة - والخاصة فى مصر فوجدت فيها بغيتي أو انصرفت عنها بخيتي لعدم عثوري على المرجع الذي أطلبه ، ثم ظلمت أسعى إلى تحقيق ما أريد بوسائل أخرى كلفتني رهقاً وجهداً كبيراً .

ثانياً : إن هذا الكتاب وقد مضت سنوات على تأليفه ، يتطلب من مترجمه أن يزود ترجمته بكثير من الحواشي والتعليقات . فعمد فرغ « براون » من كتابته ، نشرت كثير من الأبحاث والمقالات ، وصدرت كثير من الكتب والمؤلفات التي تتعلق

بالموضوعات التي احتواها الكتاب ؛ وأصبح لزاما على المترجم أن يشير إلى هذه الأمور وإلى أمور أخرى تتعلق باختلاف وجهة النظر وإثبات الآراء الجديدة . ولقد شئت أن أوفي الترجمة حقها فأزودها بما في الوسع من تحشيات وتعليقات ولكني وجدت أن حجم الكتاب يتضاعف إذا فعلت ذلك ، فاكفيت مضطرا بجعل تعليقاتي تقتصر على الأهم دون المهم ، وأن ينصرف أكثرها إلى التنبيه إلى المسائل الفارسية دون غيرها من المسائل العربية أو العربية التي ذكرها « براون » . وإني أحس خاصة بكثير من الأسف لعدم التعليق على الأمور العربية ، ولكني من ناحية أخرى مؤمن بأن القارئ العربي ليس في حاجة ملحة الى مثل هذه التعليقات فهو عارف بها وبأصحاب البحوث الحديثة فيها ، لايطمع في أن يذكرها بها كتاب كتب خاصة للتعريف بحياة « إيران » العقلية والفكرية .

ثالثا : اعتمد « براون » في تأليف كتابه على كثير من المراجع الشرقية ، واستشهد بالطبيعة بالتأليفات « العربية » و « الفارسية » و « التركية » ولكنه لم يستطع في الغالب الأعم أن يورد لنا شواهدا في نصوصها الأصلية في هذه اللغات ، واكتفى بإيراد ترجمتها الى الإنجليزية ، ولم يكن من المستساغ عقلا أو المقبول فناً ، أن أعود فأترجم هذه المترجمات الى العربية ، لأن الترجمة عن ترجمة لاشك تظل المترجم وتبعده عن الأصل . ومن أجل ذلك ألزمت نفسي بإثبات الشواهد العربية بنصها التي وردت به في الكتب العربية اللهم إلا إذا كان الكتاب مخطوطا وليست له نسخة في دور كتبنا . كما ألزمت نفسي أن أترجم الشواهد الفارسية والتركية عن أصولها في هاتين اللغتين وأن أثبت أصولها في متن الكتاب أو هامشه حتى تكون في متناول القارئ المتخصص الذي يريد التحقيق والمقارنة . ولربما اختلفت ترجمتي مع ترجمة « براون » ولكن هذا الاختلاف بقدر ما يسمح به النقل الى العربية دون إخلال بالمعنى والمبنى .

رابعا — إن صاحب هذا الكتاب ، بالإضافة إلى تميزه في إتقان جملة من لغات الأمم الإسلامية ، كان مبرزاً كذلك في طائفة غير قليلة من اللغات الأوروبية القديمة والحية ، ومن أجل ذلك كثر نقله عن اللغات « اليونانية » و « اللاتينية » و « الفرنسية » و « الألمانية » . وغير ذلك من اللغات . وبعض هذه اللغات أعرفها بعض المعرفة وبعضها الآخر

أجهله جهلا تاماً ، ومن أجل ذلك اضطررت اضطرارا إلى أن الجأ إلى أصدقائي كما صمد في وجهي شاهد من هذه اللغات ، فاستطاعوا مشكورين أن يعينوني على نقله وترجمته .

خامسا - يعتبر صاحب هذا الكتاب من كبار أدباء الإنجليز ، يستطيع أن ينشئ في الإنجليزية نثراً راعيا وشعرا فنيا شائعا ، ومن أجل ذلك أغرم بترجمة النثر الفنى الشرقى إلى نثر فنى إنجليزى ، وشغف بترجمة الشعر الشرقى إلى شعر إنجليزى ، فصار من العسير على المترجم فى الحالتين أن يتأنق تأتقه فى اصطناع الأساليب وإبداع التراكيب ، وأصبح عليه أن يتكلف كثيرا من الجهد للوصول إلى قرارة هذه العبارات الأنيقة والوصول إلى معانيها الدقيقة .

* * *

وفى الحق... إن ترجمة مؤلفات « براون » الذى جمع تراث الشرق والغرب ، واستطاع أن يجعل الشرق والغرب يلتقيان فى شخصه ، لمن الأمور التى طالما تخرجت من التصدى لها ، والإقدام عليها ، ولم يدفعنى إليها إلا الأهمية التى يبتها فيما سبق لكتابه « تاريخ الأدب فى إيران » وإلاخلة أخرى أعرفها فى « براون » ويعرفها كل من قرأ كتاباته ، وهى أنه من المستشرقين القلائل الذين أنصفوا الشرق والشرقيين ، وأعجبوا إعجابا شديدا بالإسلام وحضارته العربية الفارسية . ومن أقواله الخالدة التى يجب أن نحمدها له وأن نعيا عنه قوله :

« إنى أحس فى قرارة نفسى بإعجاب شديد للإسلام وحضارته العربية الفارسية »
 « وأجد لزاما علىّ إن اعترف بهذا الإعجاب اعترافا صريحا فى هذا الوقت الذى »
 « حرم فيه الإسلام من إنصاف الأوروبيين الذين أساءوا فهمه وتصويره ، ظانين »
 « أنهم وحدهم يحتكرون كل ضروب الحضارة والتقدم ، وأن الله قد وكل إليهم »
 « أن يفرضوا على العالم أجمع نظمهم فى السياسة بل وفى أساليب التفكير والثقافة »
 « أيضا . ١١٠ ومن أسف إنه كلما تقدمت السنون أخذ عدد الدول الإسلامية المستقلة »
 « فى النقص والقلة ، وأخذ ما بقى منها مستقلا يهدده التدخل الأوروبى بكل أنواعه »

(غ)

« وليس من شك عندى فى أن المسلمين أنفسهم مسئولون عن ذلك بعض الشيء »
« وأن الشعور بالتقور والإهمال اللذين ركبا فى أنفسهم يساعد الأوروبيين ، بما »
« ركب فى طباعهم من جشع فى امتلاك الكون ونهم للفتوى والفتح ، على أن »
« يعجلوا بالقضاء على هذه الدول الحرة والولايات المتحدة . ومن أسف أيضاً أن العقول »
« الغربية لا تفكر إلا فى الواقع المادى ، ولن يأخذها شيء من الرحمة والشفقة »
« فى سبيل القضاء على هذه الدول الإسلامية ؛ بل إن أوداجها لتنتفخ بهذه »
« الفتوحات الجديدة التى أعدوها لأولادهم ورؤوس أموالهم . . . ومع ذلك كله فإن »
« عددا قليلا ممن خبر الشرق وأهله ، وعرف كيف يحبه ويحبهم ، ليتحقق من »
« مقدار ديننا لهم بأغلب الأفكار الروحية العظيمة التى جعلتنا نشعر بلذة الحياة »
« وقيمتها ، ويدرك أنه كلما زالت من الوجود واحدة من هذه الدول الإسلامية »
« المستقلة ، فإن العالم يفقد بفقدائها شيئا لا يمكن تعويضه . »

وإنى لموقن بعد ذلك كله أن القارىء العربى سيعجب بـ « براون » وبمؤلفاته ،
وأن هذا الأعجاب سيكون سبباً لىديه فى اغتفار مواضع الزلل والعتار ، ووسيلة إلى
كلما تطلبت الحجج والأعذار ، ولطالما هداً من روعى ، وخفف من وجلى بيتان من
الشعر ، صفتهما همسا ، وظللت أرددهما طوال المدة التى ترجمت فيها هذا الكتاب
فكانا بالنسبة لى خدائى يدعو القافلة إلى الثابرة والمسير ، وبالنسبة للقارىء دعاء يدعو
إلى مغفرة الزلل والتقصير . فأما هذان البيتان فهما :

لقد تعب المؤلف والترجم فليتك قدر هذا الجهد تعلم
كلانا دائب يسعى ويشقى فهل أليفك عند السهو ترحم

وإنى أشكر فى ختام كلمتى « دار طباعة جامعة كامبردج » فقد يسر لى حضرة مديرها
الأستاذ « ر . و . دافيد : R. W. David » سبيل الحصول على الإذن اللازم لنشر هذا

(١ ب)

الكتاب في نسخته العربية ، ولولا ما أبداه من روح طيبة قبلى ، وترحيب كبير
يعملى لظللت بين العزم والإحجام والتردد والإقدام .

كما أشكر أيضا صاحب «مطبعة السعادة» ومديرها الأستاذ «على محمد إسماعيل»
فقد خص الكتاب بعنايته وتكلف معى كثيرا من الجهد والصبر حتى استطاع
تهيئة الأسباب التى ذلت الصعاب بما يستحق الحمد والإعجاب ؟

السبت ٢٨ شعبان سنة ١٣٧٣ هـ

ابراهيم أمين السواربى

أول مايو سنة ١٩٥٤ م

المكتبة الفارسية

مجموعة من الكتب يصدرها الدكتور ابراهيم أمين الشواربي ليعين القارىء على دراسة الفارسية وآدابها والاطلاع على ما بها من درر روائع وفرائد زواهر .

صدر منها حتى الآن الكتب والبحاث العلمية الآتية :

١ - القواعد الأساسية لدراسة الفارسية .
وهو أول كتاب وضع بأسلوب علمي حديث لتعليم اللغة الفارسية لأبناء العربية ، وهو مطبوع بلجنة التأليف والترجمة والنشر في سنة ١٩٤٣ م وصدرت له طبعة ثانية في مطبعة السعادة سنة ١٩٤٩ م .

٢ - أغاني شيراز أو غزليات حافظ الشيرازي (في جزئين كبيرين)
وهو عبارة عن أول ترجمة عربية لديوان حافظ الشيرازي تقع في جزئين كبيرين ، طبعا بلجنة التأليف والترجمة والنشر ، الأول منهما في سنة ١٩٤٤ والثاني في سنة ١٩٤٥ م .

٣ - حافظ الشيرازي : شاعر الغناء والغزل في إيران .
وهو عبارة عن دراسة واسعة مفصلة لأحوال هذا الشاعر الإيراني الكبير ، تضمنت وصفاً مسهباً لموطنه وعصره وظروف حياته ومواضيع فلسفته ومحتويات ديوانه .

وقد طبع هذا الكتاب بدار المعارف ومطبعتها سنة ١٩٤٤ م .

٤ - حقائق السحر في دقائق الشعر :
أول كتاب في علوم البلاغة الفارسية ، وضعة باللغة الفارسية أصلاً ، رشيد الدين محمد العمري ، الكاتب البلخي المعروف بالـ « وطواط » ،

المتوفى سنة ٥٧٣ هـ وقد نقله الدكتور ابراهيم أمين الشواربي إلى العربية لأول مرة في سنة ١٩٤٥ م وطبعه بمطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر .

٥ - قصة الحضارة الفارسية .

بحث طريف في أسلوب ممتع ، نشره الأستاذ «ول دورانت» بالإنجليزية ضمن كتابه « قصة الحضارة » ، وقد نقله الدكتور ابراهيم أمين الشواربي إلى العربية وطبعه على حدة في مطبعة السعادة سنة ١٩٤٧ .

٦ - بحث فيما نقله الجاحظ من أخبار الفرس .

منشور في مجلة كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول (القاهرة) بالجزء الثاني من المجلد الرابع سنة ١٩٣٩ م .

٧ - مصادر فارسية في التاريخ الإسلامي .

بحث على مطول منشور في مجلة كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول (القاهرة) بالمجلد السابع سنة ١٩٤٢ م .

٨ - نشأة الشعر الفارسي الإسلامي .

بحث علمي منشور في العدد الثامن من مجلة كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول (القاهرة) بالمجلد الأول سنة ١٩٤٦ م .

٩ - رحلة في إيران .

مقالات منشورة في مجلة الراوى الجديد بالسنة الثامنة سنة ١٩٤٣ م .

١٠ - العربية في إيران .

مقالة منشورة في « حوليات كلية الآداب بجامعة إبراهيم » بالعدد الأول الصادر سنة ١٩٥١ م .

obeykandi.com

مقدمة المؤلف

يعتبر هذا المجلد وصلاً للمجلد سابق قدمته لقراء هذه المجموعة منذ أربع سنوات . والمجلد الحاضر يشتمل على تاريخ الأدب في إيران في الفترة الواقعة بين بداية القرن الحادى عشر ومنتصف القرن الثالث عشر الميلاديين (أى الفترة الواقعة بين نهاية القرن الرابع الهجرى ومنتصف القرن السابع الهجرى) وهذه الفترة قصيرة حقاً ولكنها - رغم قصرها - تشتمل على سيرة أغلب النبهاء من شعراء الفرس وكتابهم . فلا غرابة إذا توقعت مقدماً أن يهتمنى بعض النقاد البارعين بالتقصير في إيراد التفاصيل وبعدم توفية الموضوع حقه من الدرس والتحصيل . ومع ذلك فلو قدر لى النجاح في تنفيذ مشروعى الأول الذى عزمت فيه على دراسة « تاريخ الأدب في إيران » منذ بدايته إلى وقتنا الحاضر ، لاحتاجت دراسى للقرون الباقية ومقدارها ستة قرون ونصف القرن إلى مجلد آخر في حجم هذا المجلد الحاضر (١) .

وإنى أبادر - وقد تمّ طبع هذا الكتاب - بالاعتراف بأنى واقف على مواضع القصور فيه . وفى رأين أنها ناتجة جميعاً عن كتابته فى فترات مختلفة من فترات العطلة والفراغ . وقد اضطررتى ذلك إلى كتابة الفصل الواحد من فصوله ، ثم الانتظار بعد الفراغ منه مدة شهرين أو أكثر قبل أن أشرع فى كتابة الفصل الذى يليه . وساعد على ذلك أن جامعة « كبرديج » أصبحت فى الأيام الأخيرة من أقل الأماكن مناسبة لهذا النوع من البحث الهادىء الدؤوب . وإذا امتازت بأنها غنية بكتب المراجع التى لا يستغنى الباحث عنها ، فإنها من ناحية أخرى للأسف ، تضطر الباحث أن يلتبس أوقات الفراغ والدعة فى غيرها من الأماكن . وحالها فى ذلك شبيه بما يقوله الشاعر « صائب » فى هذا البيت :

شكوفه باثمر هرگز نگردهد جمع دريك جا
محالست آنكه باهم نعمت وذنجان شود پیدا

(١) الترحم : احتاج الأمر فى الحقيقة إلى مجلدين آخرين كتبهما الاستاذ « ادوارد براون » كتمل بها مشروعه .

ومعناه :

لا تجتمع الأزهار والأشجار مطلقاً في مكان واحد
كما يستحيل اجتماع النعم الطيبة والأسنان السليمة في فم واحد
وقد ترتب على ذلك فيما أعلم ، أن هذا المجلد أصبح تبعاً للنبد المتكررة وكذلك
يعيه التفكك وعدم الاتصال بين سائر أجزائه . وإني أرجو القارئ أن يعفو عني
لمثل هذه الهنات والزلات ، وأن يتأكد من أنني عوضت عليه هذا النقص بأجتهادي
في الرجوع إلى المصادر الأصلية وتكوين الآراء الشخصية المستقلة التي ساعدني على
الوصول إليها حسن توفيق إلى العثور على جملة من المؤلفات النادرة التي لم تكن في
متناول من سبقوني من الكتاب والباحثين ، وأذكر من بين هذه المؤلفات الكتب
الآتية على وجه التخصيص :

« چهار مقاله » أي المقالات الأربع تأليف « نظامي العروضي السمرقندي »
« لباب الألباب » تأليف « محمد عوفي »

« المعجم في معايير أشعار العجم » تأليف « شمس القيس الرازي »

« جهان گشا » أي قاص العالم تأليف « عطاء ملك الجويني »

« جامع التواريخ » تأليف « رشيد الدين فضل الله ^(١) »

وقد استولى هذا العمل على جميع قلبي ، وكان بودي لو استطاع أيضاً أن يملك
كل عنايتي غير مقسمة ولا موزعة . ذلك لأنني أحس في قرارة نفسي بإعجاب شديد
للإسلام وحضارته العربية الفارسية ، وأجد لزماً على أن أعترف بهذا الإعجاب اعترافاً
صريحاً في هذا الوقت الذي حرم فيه الإسلام من إنصاف الأوروبيين الذين أساءوا
فهمه وتصويره ظانين أنهم وحدهم يحتكرون كل ضروب الحضارة والتقدم ، وإن الله
قد وكل إليهم أن يفرضوا على العالم أجمع نظمهم في السياسة بل وفي أساليب التفكير
والثقافة أيضاً . . . !

(١) المترجم : طبعت جميع هذه الكتب ونشرت في أوقات مختلفة ضمن « سلسلة جب
النذكارية » ماعداً الثاني فقد نشره الأستاذ براون سنة ١٩٠٣ م في مجموعة كتب النصوص
التاريخية الفارسية ، وكذلك الأخير فقد نشرت بعض أجزائه في أوقات وأماكن مختلفة كما
إن دور الكتب المختلفة تشتمل على بعض أجزائه مكتوبة بالعربية أيضاً .

وعقبة ، و حـ مابق مـها مستعلا ، مثل إيران وتركيا وبارد سرب و مـراسـس
يهده التدخل الأوروبي بكل أنواعه . وليس من شك عندى فى أن المسلمين أنفسهم
مسئولون عن ذلك بعض الشيء . وإن الشعور بالفتور والإهمال اللذين ركبا فى نفوسهم
الآسيوية ، يساعد الأوروبيين بما ركب فى طباعهم من جشع فى امتلاك الكون ونهم
للغزو والفتح ، على أن يجولوا بالقضاء على هذه الدول الحرة والولايات المستقلة . ومن
أسف أيضاً ، أن العقول الغربية لا تفكر إلا فى الواقع المادى ولن يأخذها شئ من
الرحمة أو الشفقة فى سبيل القضاء على هذه الدول الإسلامية ، بل إن أوداجها لتنتفع
بهذه الفتوحات الجديدة التى أعدها لأولادهم ولرؤوس أموالهم .

ومع ذلك كله ، فإن عدداً قليلاً من خبر الشرق وأهله ، وعرف كيف يحبه
وعجبهم ، وتحقق من مقدار ديننا لهم بأغلب الأفكار الروحية العظيمة التى جعلتنا
نشعر بلذة الحياة وقيمتها ، يدركون مع المستر « تشسترتون »^(١) إنه كلما زالت من
الوجود واحدة من هذه الدول الإسلامية المستقلة ، فإن العالم يفقد بفقدائها شيئاً
لا يمكن تعويضه . ومناقشة هذا رأى لن تصل بنا إلى نهاية مجدية ، وسيكون حالنا
فى هذه المناقشة كحال الذى يتأذى فى الجدل ليفاضل بين حقيقة غرس فيها نوع واحد
من أنواع الخضر المقيمة ، وبين أخرى غرست فيها شتى أنواع الزهور ذات الألوان
المختلفة والروائح الثابتة . وحسبنا فى هذا الصدد أن نكتفى بما يعرف به كل محب
للشرق ، مدرك لروحه وعقليته ، فنقول إنه آخذ فى التقلص والزوال الهائى حتى ولو
سيطرت عليه خير أنواع الإدارة الأوروبية وأكثرها عطقاً وحداً عليه .

ومن أجل ذلك فقد أصبحت « القسطنطينية » و « شيراز » و « فاس » تتنازع
— رغم ما بها من عيوب — بشئ من العناصر والخصائص الفنية والعقلية والروحية
التي زالت وأخذت فى الزوال من مدن إسلامية أخرى مثل « القاهرة » و « دلهى »
و « الجزائر » و « تونس » .

(١) المترجم : منذ ذلك الوقت قضى على استقلال مراكش . وقد أصدر براون الطبعة
الأولى من هذا الكتاب فى سنة ١٩٠٦ م .

(٢) ذكر ذلك فى كتابه (Man in Green) by: Chesterton .

ولسنا ندرى هل يظل الإسلام يدمى حتى يموت مثخنا بجراحه التى أصابته بدايةً على أيدي « المغول » منذ أكثر من ستة قرون ونصف القرن ، أم هل يحذو حذو « اليابان » التى أقامت الدليل على أن العنصر الآسيوى لا يقل فى شيء عن العنصر الأوروبى حتى من حيث الحيوية الجسدية ، فينهض فجأة من كبوته ، ويقوم مرة ثانية من عثرته . . . !

هذه مسألة شائكة ، ذات خطر بالغ ، لا يتسع المجال لتقريرها أو بحثها فى هذه الصفحات :

وإني مدين بشكرى الحاصل لشقيقى الآنسة « E. M. Broune إ. م. بروان » ولصديقى وزميلى المستر « E. H. Minns ه. ه. منس » فقد تفضلا بقراءة مسودات هذا الكتاب ، وأصلحا بعض ما وقع فيه من أخطاء لغوية بسيطة ، كما تفضلا على بمقترحات عن آراء لها أهميتها وخطرها . ولا بد أن أذكر أيضاً أنى مدين بشكر آخر للمستر « منس » لقاء تكريمه بترجمة جملة من المقالات التى كتبها نقر من مشاهير المستشرقين الروس ، فتمكنت بذلك من الإشارة إليها فى صفحات هذا الكتاب ، ولولا مساعدته الكريمة لبقى ما كتبوه فى صحف مغلقة مقفلة . وأجد لزوماً على أن أذكر فى هذا المقام واحداً من الانتقادات الهامة التى تكرم بتوجيهها إلى ، فقد حدثنى أننى لم أكن مبيناً ولا مفصلاً عندما تحدثت فى الفصل الأول من هذا الكتاب عن « الشعر الفارسى وأوزانه » بحيث لم أوضح لقرائى العاديين من غير المستشرقين طبيعة « البيت » الفارسى والقوانين الأساسية لتقطيعه وفقاً لقواعد العروض .

فأما المسألة الأولى التى تتعلق بطبيعة « البيت » فإننى أكرر ما سبق لى أن قلته فى غير هذا المكان من أن السليين يعتبرون « البيت » وحدة قائمة بذاتها ، ومن أجل ذلك فإنى أرى من الخطأ ترجمته بكلمة Couplet كما جرت بذلك عادة بعض الكتاب فى ثنايا كتبهم الأوروبية .

وليس أظهر فى الدلالة على أن « البيت » وحدة قائمة بذاتها من الحقيقة الماثلة للعيان فى أن البيت إذا اشتمل على سبت تفعيلات أو ثمانى تفعيلات فإنه يسمى « مسدساً »

أو « مشتملاً » وفقاً لعدد تفعيالاته . ومن أسف أن العادة المتبعة في الشرق جرت على كتابة « البيت » أو طبعه في سطر واحد ، ولكن هذا البيت إذا كتب بحروف رومانية فإنه يتطلب حيزاً أوسع بحيث يقتضى منا بالضرورة أن نطبعه في سطرين كما حدث ذلك في كتابة البيت الذي طبعناه بحروف رومانية في منتصف الصحيفة رقم (١٥) وكذلك في البيت الذي نشرناه في السطرين الخامس والسادس من الصحيفة التالية . وهذه الطريقة من طرق الطبع ، إذا أضفنا إليها بالنسبة للمثل الأول من هذين الثلثين أنه عبارة عن « مطلع » لإحدى الغزليات ، وإنه باعتباره مطلعاً يستلزم بالضرورة وحدة القافية بين جزئيه أو شطريه فإن كل هذا قين بأن عموه الحقائق على القارئ العادي يفترض خطأ أن عليه أن يقنع بما يفهم من مدلول كلمة Couplet دون أن يتحقق من دلالة هذه الوحدة المستقلة التي نطلق عليها كلمة « بيت » .

وأما المسألة الثانية التي تتعلق بقواعد العروض والوزن في الشعر الفارسي فإنها بسيطة للغاية بحيث لا نحتاج إلى كتاب مفصل فيه ، نرجع إليه لبيان كمية الحركات أو حروف اللين . فالحركات المدودة جميعها تعتبر من المقاطع الطويلة . وليس هناك صعوبة في معرفة هذه الحركات ، فإن تصوير الكلمة كتابة ونطقاً كفيل بأن يبين لنا حركاتها دون عسر أو إشكال . فأما الحركات القصيرة فإنها تعتبر مقاطع قصيرة إلا إذا أعقبها حرفان ساكنان ، سواء أكانا في كلمة واحدة ، أم عرض أحدهما في نهاية كلمة من الكلمات وثانيهما في بداية الكلمة التالية .

وهذه القواعد سهلة للغاية ، يستطيع كل مشتغل بالدراسات القديمة أن يتبينها ويدركها . ولكتنا نذكر فيما يلي بعض المواضع التي تختص بها الفارسية دون غيرها من اللغات :

فكل كلمة من الكلمات تنتهي بحرفين ساكنين أو بحرف واحد ساكن مسبق بحرف مدطويل (فيما عدا إذا انتهت الكلمة بحرف النون فإنه لا يحسب حرفاً بل يعتبر صوتاً أنفياً) فإن مثل هذه الكلمة توزن كما لو كانت منتهية بحركة قصيرة زائدة^(١) . وهذه الحركة القصيرة الزائدة يسمونها المشارة باسم « نيم فحه » أي

(١) هذه الحركة القصيرة الزائدة لا تحسب في نهاية « البيت » أو في نهاية « المصراع »

« نصف فتحة » ويسمى القرنسيون خطأ باسم « الإضافة للوزن » *l'izafet metrique* .
ويظهرها الهنود فعلاً في نطقهم ، ولكن القرس يمتنعون عنها بتاتاً ، رغم أنه يجب
احتسابها دائماً في الوزن ، اللهم إلا إذا تلتها كلمة مبدوءة بحرف من حروف المد .
ويجب تطبيق هذه القاعدة أيضاً على المقاطع .

وفيما يلي بعض الأمثلة التي توضح ما ذكرناه آنفاً :

فكلمات مثل :	باد	ساكنة الآخر	بمعنى : ربح
يد	»	»	» : شجرة الصفصاف
بود	»	»	» : كان
كار	»	»	» : عمل
شير	»	»	» : أسد
مور	»	»	» : نملة

توزن كالأول كانت مفتوحة الآخر ومكتوبة « باد » و « يد » و « بود » .. الخ
.. أي مكونة من مقطع طويل ثم آخر قصير هكذا : (—)
لا كما يظن أولاً من مقطع طويل واحد هكذا : (—)
ومثل هذا القول ينطبق تماماً على كلمات كالآتية :

دست	[الحرفان الأخيران ساكنان]	بمعنى : يد
بند	»	» : رباط
گرد	»	» : مغيار

فإنها توزن كما لو كانت مفتوحة الآخر ومكتوبة « دست » و « بند » و « گرد » .
ومثل هذا أيضاً ينطبق على كلمات مثل :

بادكير	...	بمعنى : مروحة
شير مرد	...	» : رجل شجاع كالأسد
دورين	...	» : منظار
دست کش	...	» : قفاز

فإنها توزن في الكلمتين الأوليين كما لو كانتا مفتوحتي الآخر ومكتوبتين

فإنه يمكن وزنها على أنها مكونة من مقطع طويل أو من مقطع قصير وفقاً لما يقتضيه الحال .

وهكذا الحال مع كسرة الإضافة .

أما المقطع الوحيد الذى يفيد العطف ويكون بمعنى « واو العطف » فإنه يمكن اعتباره حرف مد طويل «أو» أو قصير «و» أو حرفاً ما كنأ قصيراً محرّكاً بحركة الفتحه «وَ» .

فإذا اعتاد القارئ هذه القواعد والخصائص التى ذكرناها فيما سبق ، فلن يصادف فيما عداها إلا قلة قليلة من المسائل التى تستثنى من أحكامها ، ولكن ذلك لن يعوقه عن تقطيع ما يعترضه من الأشعار الفارسية .

وقد كان اليوم الأول من شهر مايو من السنة الحالية محمداً لنشر هذا المجلد ، ولكن ظروفًا قاهرة اضطررتنا مكرهين إلى تأجيل صدوره فى هذا التاريخ . وإني مع إحساسى بالأسف لهذا التأخير أقدم اعتذارى لصديقى المستر « فيشر أنوين Fisher Unwin » كما أقدم له شكرى لقاء ما أبداه من أرحية فى قبول العذر الذى وضحته له واعتباره كافياً فى التعويل عليه . وانهز هذه الفرصة لتقديم خالص شكرى لخبرات الطابعين « إخوان أنوين وشركائهم » فى مدينتى « ووكينج » و « لندن » لما أبدوه من عناية فائقة فى طبع هذا المجلد الذى يشتمل على كثير من الصعوبات المطبعة ٩

أدوارد جبرائيل براوده

١٦ مايو سنة ١٩٠٦

الفصل الأول

تمهيد وترديد

موضوع الكتاب :

كتب من قبل كتاباً عن تاريخ الأدب في إيران منذ أقدم الأزمنة إلى عصر الفردوسي ، قصدت به أن يكون وحدة قائمة بذاتها وأن يكون كذلك تمهيداً لهذا الكتاب الذي أقدمه الآن للقارئ ، وقد استطعت أن أدرس فيه « تاريخ الفرس » من الناحيتين الثقافية والأدبية منذ أقدم أزمنتهم إلى الفترة المبكرة من العصر الغزنوي حينما أشرقت (حوالى سنة ١٠٠٠ ميلادية = ٣٩١ هـ) عبقرية « الفردوسي » فأكدت أن « النهضة الأدبية الفارسية » التي بدأت قبل ذلك بما يزيد على قرن من الزمان لابد آخذة في النجاح والازدهار وإيتاء خير الثمار .

وعلى ذلك فالكتاب الحالي لا شأن له بهذه الأصول النائية التي تحدثت عنها في الكتاب السابق ، بل هو يحدثنا عن « الآداب الفارسية » بمعناها الفني الضيق أى منذ أخذ الفرس يدونون آدابهم بـ « اللغة الفارسية » المعروفة حالياً ، وقصد بها اللغة التي نشأت مع الفتح العربي واعتناق الفرس للإسلام في القرن السابع الميلادي واستمرت مستعملة منذ ذلك الوقت حتى أيامنا هذه .

وسوف تعرض في هذا الكتاب لذكر بعض العوامل الخارجية والعقلية التي أثرت في « التاريخ الفارسي » ، ولكن تعرضنا لهذه المسائل سيكون بالقدر الكافي الذي يعيننا على فهم ما يعترضنا من أمور متعلقة بهذا التاريخ .

ونحن حينما نتحدث عن « الآداب الفارسية الإسلامية » نقصد شيئاً واحداً محدداً ، هو هذه الآداب التي نشأت تدريجياً بعد الإسلام وبعد ما فتح العرب « البلاد الفارسية » وتمكن الإسلام من التغلب على ديانة « زردشت » . وقد بدأوا يدونون هذه الآداب منذ ألف سنة تقريباً كما تشهد بذلك الأسانيد المكتوبة الموجودة في أيدينا .

وقد تغيرت « اللغة الفارسية » في هذه الفترة الطويلة تغيراً يسيراً لا يكاد يذكر، حتى ليستطيع الرجل الفارسي المعاصر أن يفهم أشعار الشعراء الأقدمين من أمثال « حنظلة البادغيسي^(١) » و « الرودكي^(٢) » على قدر ما يفهم الإنجليزي المعاصر مؤلفات « شكسبير » .

ومن الواجب على طلاب « الأدب الفارسي » أن يفهموا هذه الحقيقة جيداً ، وأن يذكروا دائماً أن « الفارسية » قد أصابها قليل جداً من التغير خلال السنوات الألف الماضية ، ربما لا يبلغ في مداه مدى التغير الذي أصاب اللغة الإنجليزية خلال القرون الثلاثة الأخيرة . ولا شك أن أقدم الآثار الأدبية في اللغة الفارسية للإسلامية لا تكاد تميز عن الآداب الفارسية المعاصرة إلا ببعض الخصائص اللغوية المتعلقة بالمفردات والأساليب . وإنى لعلى يقين من أنه لا يوجد بين المشتغلين بالفارسية ، سواء منهم من كان وطنياً أو أجنبياً ، من يستطيع أن يعين لنا تاريخاً تقريبياً لكتاب من الكتب التي ألفت في القرون الخمسة الأخيرة إذا لم يكن هذا الكتاب يحمل اسم مؤلفه أو يشتمل على إشارات تاريخية تعين على تحديد الفترة التي تم فيها تأليفه .

موضوع الجزء السابع :

ولست أستطيع في هذا الكتاب أن أردد الحقائق التاريخية التي ذكرتها في تفصيل عن تاريخ « البلاد الفارسية » في عصرها السابق للإسلام وفي الفترة المبكرة من عهدها الإسلامي . فلقد ضمنت ذلك جميع كتابي السابق الذي تحدثت فيه عن « تاريخ الأدب في إيران منذ أقدم الأزمنة إلى عصر الفردوسي » فوصلت به إلى العصر الذي أخذت تضمحل فيه « الخلافة العباسية » في بغداد بعدما بلغت ذروة المجد والعظمة على أيام « هارون الرشيد » وابنه « المأمون » (٧٨٦ - ٨٣٣ م = ١٧٠ - ٢١٨ هـ)

(١) الترجمة : شاعر عاش في القرن التاسع الميلادي (٨٢٠ - ٨٧٢ م) . وقالوا إنه توفي سنة ٨٢٢ م (٢٢٠ هـ) .

(٢) الترجمة : شاعر عاش في أواخر القرن التاسع وبداية العاشر الميلادي وقالوا إنه توفي سنة ٣١٩ هـ .

بغداد ، حتى إذا أقبلت جموع الغول في سنة ١٢٥٨ م (٦٥٦ هـ) وأغاروا على بغداد حطموا هذه الخلافة وقتلوا آخر خليفة من بني العباس .

ويكفي الطالب العادي الذي يدرس « الآداب الفارسية » — إذا شاء معرفة شيء عن أصولها القديمة — أن يذكر أن اللغة التي سبقت « الفارسية » هي اللغة « الهلوية » وهذه اللغة الأخيرة هي اللغة الرسمية التي سادت في « البلاد الفارسية » أيام « الساسانيين » (٢٢٦ — ٦٥١ م) وهي التي استعرت لغة الدين بين الموابنة الزردشتيين طوال القرنين أو الثلاثة اللاحقة لذلك .

وقد قدر « الدكتور وست ^(١) » أن « الآداب الهلوية » الموجودة في أيدينا تبلغ في حجمها حجم التوراة وأنها في الغالب تتعلق بموضوعات دينية أو قصصية ، يضاف إليها بعض النقوش الهلوية المكتوبة على الصخور أو النقود أو المجوهرات التي يرجع تاريخها إلى منتصف القرن الثالث الميلادي .

وعلى الطالب أن يذكر أيضاً أن « اللغة الهلوية » ما هي إلا تطور متأخر للغة « الفارسية القديمة » التي لا نعرف من أمرها إلا بقدر ما بقي مسجلاً منها في هذه النقوش المنحوتة في الصخر في « بريسبوليس ^(٢) » و « بهستون » ومواقع أخرى أمر بكتابتها داراً الأكبر ومن لحقه من ملوك الدولة الأكمنية .

كما أن عليه أن يذكر أخيراً أن اللغة التي تعرف باسم « لغة الأفيستا » — أو خطأ باسم الزند — وهي اللغة التي كتبت فيها تعاليم « زردشت » هي لغة شقيقة للغة « الفارسية القديمة » وكذلك للغة « السنسكريتية » وأنها بناء على ذلك لا تتصل بالفارسية الحديثة وإن كانت لا تزال تتشكل في بعض اللهجات المحلية في فارس وكذلك في اللغة الأفغانية المعروفة باسم الـ « پشتو » كما يزعم المستشرق « دار مستر » .

(١) المقصود به : E. W. West وهو من أكبر المستشرقين الذين تخصصوا في اللغة الهلوية وآدابها .

(٢) المترجم : مدينة تعرف في الفارسية باسم « تخت جشيد » وتقع إلى شمال مدينة شيراز الحالية بالقرب من موقع « اصطخر » القديمة .

ولو أننا شئنا أن نبين الحقائق السابقة في جدول منسق لصورناها على هذا النحو:

أولاً : « اللغة الفارسية القديمة » التي استعملت أيام الدولة الأكمنية (٥٥٠ — ٣٣٠ ق م) . وتمثلها النقوش المنحوتة في الصخر .

أما « لغة الأوستا » فهي اللغة التي كتب فيها كتاب « زردشت » المعروف بهذا الاسم ، ومن أقدم أجزائه التراثيل المعروفة باسم « كاتها » وينسبون كتابتها إلى « زردشت » نفسه أو إلى بعض تلاميذه (حوالى ٦٠٠ ق م فيما يقررون) .

ثانياً : غزوة الإسكندر وفتحته لفارس في سنة ٣٣٣ ق م .
وتمتاز هذه الفترة بخلوها من الآثار الأدبية ، وقد استمرت خمسة قرون ونصف القرن وانتهت بقيام « الدولة الساسانية » .

ثالثاً : الدولة الساسانية ٢٢٦ — ٦٥١ م
أصبحت اللغة الساسانية على أيامها اللغة الرسمية للدولة وللدين الزردشتي . وهذه اللغة هي وليدة « اللغة الفارسية القديمة » وقد ولدت بدورها « اللغة الفارسية الحديثة » .

رابعاً : الفتح العربى ٦٤١ — ٦٥١ م .
وقد نتج عن هذا الفتح أن أسلم أكثر الفرس وحلت اللغة العربية محل الفارسية وأصبحت لغة الدولة والأدب .

خامساً : عصر النهضة الفارسية .
وهو العصر الذى يبدأ بالفترة التى تحدث عنها فى هذا الكتاب . وهذا العصر يبدأ فى حوالى سنة ١٨٥٠ م (١٢٦٦ هـ) ثم يأخذ فى الوضوح كلما استطاعت « فارس » التحرر من ربة الخضوع لخلافة بغداد وتحقيق استقلالها السياسى .

الفتح العربي وتأثيره في فارس :

هذه هي الحدود التي تبديها لنا النظرة العاجلة إلى تاريخ الآداب الفارسية ، ولكن الطالب المشتغل بهذه الآداب ، مهما أُنْفَع نفسه بهذه الخلاصة التي ذكرناها لأحوال الأدب الفارسي قبل الفتح العربي ، لا يستطيع أن يمر سراعاً على آثار هذه الحادثة الهامة ذات الأثر الخالد في الأدب الفارسي . ومن أجل ذلك فسأسمح لنفسي بأن أعيد هنا قولاً للاستشرق « نولهكه » ذكرته في الكتاب السابق ، وهو قول كبير المعنى مؤداة « إن الحركة الهلينية لم تمس من الحياة الفارسية إلا السطح والقشور ، بينما استطاع الدين العربي والحياة العربية أن ينفذا إلى قرارة الحياة الإيرانية ولبابها . . . »

اللغة العربية ومركزها الفريد :

واللغة العربية تمتاز بأنها لغة دين عظيم . ونحن نختلف عن المسلمين في كوننا نعتبر الإنجيل إنجيلاً سواء أقرأناه في اللغات الأصلية التي كتب بها أم في لغتنا الحالية . أما المسلمون فيعتزون « القرآن » كلمة الله وأنه تنزيل من رب العالمين . فإذا قرأنا مثلاً « قل هو الله أحد » فإن الله وحده هو الذي يخاطبنا بهذا القول ولا يمكن أن يغسرها أحد بأن النبي هو الذي يحدثنا به ؛ ولذلك جرى المسلمون على أن يقولوا : « قال الله تعالى » إذا شأوا الاستشهاد بآية من آيات القرآن ، بينما يقولون : « قال النبي عليه الصلاة والسلام » إذا استشهدوا بحديث من أحاديث النبي . وبناء على ذلك قالوا إن القرآن لا يمكن ترجمته ترجمة صحيحة إلى لغة أخرى ، لأن المترجم مضطر إلى أن يورد في ترجمته قدرًا من التفسير يستعين به على إظهار معانيه وهذا القدر قد يفسد المعنى أو يمس الأصل . ولست أعلم إلا أن المستشرقين وحدهم هم الذين أقدموا على نشر ترجمات للقرآن لا يصحها الأصل العربي ، أما المسلمون فقد جروا على أن يكتبوا الترجمات « الفارسية » أو « التركية » أو « الأردية » بين سطور الأصل

بإيصاف، في ذلك فإن المسلم سواء كان « فارسيًا » أم « تركيًا » أم « هنديًا » أم « أفغانيًا » أم من أهل « الملايو » عليه أن يؤدي الصلوات خمس مرات يوميًا بالعربية ، وأن يلفظ بالشهادة أو ما في حكم ذلك من الصيغ الدينية باللغة العربية أيضاً ، ولذلك وجب عليه أن يلم بالمأما ولويسيراً بهذه اللغة ، فإذا تعمق فيها فقد استحق بين أهله وأبناء قومه مكانة رفيعة ومنزلة عالية .

يضاف إلى كل ذلك أننا نجد أن لغات الشعوب التي اعتنقت الإسلام قد غمرها منذ البداية سيل من الألفاظ العربية يتكون من العبارات الفنية المتعلقة بالدين والفقه ، ثم من مصطلحات العلوم الوضعية التي نشأت في ظلال الحضارة الإسلامية ، ثم من مجموعة من الألفاظ العادية استطاعت أن تحل محل الكلمات الأصلية في لغات هذه الشعوب .

ولو أن أحداً أراد أن يكتب شيئاً « بالفارسية » بحيث تكون كتابته خلواً من الألفاظ « العربية » لتعسر عليه الأمر كما يتعسر على الذي يريد أن يكتب شيئاً بالإنجليزية بحيث تكون كتابته خالية من كل كلمة يرجع اشتقاقها إلى أصل « يوناني » أو « لاتيني » أو « فرنسي » . ولربما استطاع بعض الناس أن يفعلوا ذلك على نطاق ضيق ولكن كتاباتهم تظل عسيرة الفهم إذا لم يستعن القارئ على فهمها بمعجم من المعاجم اللغوية .

وقد وصلني وأنا أكتب هذا الفصل نموذج لمحاولة من هذه المحاولات تضمنتها مقالة شفع في مائة سطر نشرتها جريدة « اختر »^(١) في ٢٧ أكتوبر سنة ١٨٩٠ لجامعة من مجوس مدينة « يزد » وهي مقالة تتعلق بموضوع عادي ، قليلة الأفكار والمعاني التي تحتاج إلى بيان أو توضيح ، ومع ذلك فقد اضطر كاتبوها إلى أن يوضحوا

(١) يحتاج هذا القول إلى شيء من التحقيق لأن زميلي وصديق « الحاج ميرزا عبد الحسين خان » عند عودته إلى إنجلترا استطاع أن يجلب معه مخطوطاً نفيساً هو عبارة عن ترجمة فارسية للقرآن أمر بها « نادرشاه » وهذه الترجمة غير مصحوبة بالأصل العربي .
(٢) مجلة فارسية كانت تصدر في استانبول ثم توقف صدورها .

في الهوامش بمفردات غربية ، معاني مالا يقل عن أربعة عشر لفظاً من الألفاظ التي استعملوها . ولربما اضطر القارئ العادي إلى تفسير مجموعة أخرى من الكلمات الواردة بهذه المقالة حتى يستطيع أن يدعى أنه ألم بموضوعها ومعناها .

فكلمة « آوِزِه » مثلاً يجب أن تفسر بكلمة « خاص » .

و « دَرَد » « » « » « » « صورِه » .

و « خَهَر » « » « » « » « وطن » .

و « فرهيخت » « » « » « » « أدب » .

إلى آخر هذه المجموعة من الكلمات التي لا يمكن تفسيرها إلا بكلمات عربية خالصة .

وقد حاول « الأمير جلال » مثل هذه المحاولة ولكنه باء بالفشل عندما كتب كتابه المسمى « خسروان نامه » أي « كتاب الملوك » وهو تاريخ مختصر للدول التي قامت في فارس قبل الإسلام وقد نشر في مدينة فينا في سنة ١٢٩٧ هـ = ١٨٨٠ م وعلق عليه المستشرق موردتمان في الجزء الثامن والعشرين من مجلة « جماعة المستشرقين الألمان »^(١) .

والشاهنامة نفسها وقد ألفها « الفردوسي » منذ ألف سنة تقريباً وقصد متعمداً — كما تدلنا على ذلك المقارنة بينها وبين الشعر المعاصر لها — أن يصوغها في أقدم العبارات والأساليب ، لا يستطيع أحد أن يدعى أنها خالية من الألفاظ العربية كما يظن ذلك بعض الناس ممن لا قدرة لهم على التحقيق والتحصيل .

العلوم العربية :

قصرنا الحديث فيما سبق على التأثير اللغوي الذي أصاب « الفرس » على أيدي العرب ، ولكن تأثير العرب في الفرس لم يقتصر على هذه الناحية وحدها بل تعداها إلى نواحي مختلفة أخرى ؛ فبدأ على أشده في الأمور الدينية والفقهية ، كما امتد أيضاً إلى

« النحو » و « البلاغة » و « الشعر » وكل العلوم التي اشتغل بها المسلمون . وهذه العلوم هي في الغالب نتاج لأصول مشتركة أخذ يستعيرها العرب من أمم سبقتهم في الحضارة كالفرس واليونان ، خاصة في الفترة المبكرة من العصر العباسي أي ما يقابل النصف الثاني من القرن الثامن الميلادي (أي الثاني الهجري) .

ولقد أحسنوا تقسيمها في كتبهم كما هو مذكور في كتاب « مفاتيح العلوم » فجعلوها على ضربين ؛ الأول منهما عبارة عن العلوم الأصلية في العربية وتشمل « الفقه » و « التفسير » و « النحو » و « الكتابة » و « الشعر » و « العروض » و « التاريخ » والثاني عبارة عن العلوم الغريبة أو الأجنبية وتشمل « الفلسفة » و « المنطق » و « الطب » و « الحساب » و « الرياضة » و « النجوم » و « الموسيقى » و « الميكانيكا » و « الكيمياء » . وجميع هذه العلوم تضمنتها « الحضارة العربية القلرية » أثناء الخلافة العباسية في بغداد وأصبحت تعرف خطأ باسم « العلوم العربية » ، ويقصد بها في الحقيقة مجموعة العلوم التي نشأت عن مصادر مختلفة متباينة ولكنها أصبحت « وحدة مركبة » معروفة لدى كافة المسلمين ، بحيث لا تزال تؤثر فيهم تأثيراً عميقاً يكاد يبلغ في مداه تأثير الدين الإسلامي في أنفسهم ، مما ساعد على توحيد العواطف توحيداً شديداً الوضوح بين كافة المسلمين في أرجاء الأرض قاطبة .

صهروية العربية للأغراض العلمية :

والعربية في الحقيقة من أصلح اللغات لتأدية الأغراض العلمية فهي غنية بالأصول وبالمشتقات الناتجة عن هذه الأصول . والمشتقات فيها كثيرة ، وهي تتفق مع الأصل في اتصالها به من حيث المعنى وإن تحور معناها قليلا بحسب اشتقاقها أو صياغتها . ولكي نبرهن على ذلك يحسن بنا أن نسوق المثلين الآتيين : فأما أولهما فمستمد من الاصطلاحات الطبيعية القديمة ، وأما الثاني فقياس عليه ليمثل لنا فكرة حديثة .
للفعل العربي صيغ تبلغ الاثنتي عشرة صيغة ، كل منها تمتاز بمعنى خاص متصل بمعنى الفعل الأصلي ؛ فإذا أخذنا صيغة « الاستفعال » من « غفر » أمكننا أن نسترك

« استغفار » بمعنى طلب الغفران ، وكلمة « مستغفر » بمعنى طالب الغفران ؛ وكذلك يمكننا أن نشق من كلمة « كمل » كملتي « استكمل » و « مستكمل » وهكذا في بقية الأفعال . فلما ظن أطباء العرب أن مرض الاستسقاء ناتج من كثرة الشرب ، أسموه بهذه التسمية التي اشتقوها من كلمة « سقى » وأسماوا المريض به « مستسقى » . فلما بدت الحاجة في العصور الحديثة إلى مرادف لكلمة « أريبتاليسـت Orientalist » لجأوا في العربية إلى مادة « شرق » وصاغوا منها قياساً على ذلك كلمة « مستشرق » بمعنى « الرجل الذي يطلب الشرق » أو « يجد الثمرة في دراسته » . وهذان المثالان فهما الكفاية للتدليل على مقدار اليسر الذي يصادفه الكاتب العربي إذا شاء التعبير عن أفكار جديدة أو مستحدثة ، فمعليه إلا أن يلجأ إلى أنواع الصيغ والمشتقات ، وإن يختار منها ما يناسب التعبير عن فكرته ، وسيكون في كل الأحيان موفقاً في حسن الأداء ورعاية الدقة حتى ولو لم تكن الكلمة التي اختارها قد استعملها أحد من قبله .

اعتداد العرب بلغتهم :

والعرب أنفسهم ، وكذلك كل الشعوب التي تتحدث بلغتهم ، يعتزون باللغة العربية أشد الاعتزاز ، وهم يحقون تماماً إذا رددوا في غر قلوبهم المشهور : « الحمد لله الذي خلق اللسان العربي أحسن من كل لسان » وسواء أصدقاهم في هذا القول أم لم نصدقهم ، فما لأمراء فيه أن معرفة العربية ضرورة لكل من يحاول أن يتفقه في لغات البلاد الإسلامية أو آدابها كالفارسية والتركية والأردية أو أية لغة أخرى يتحدث بها المسلمون في أنحاء الأرض ؛ ومن المحقق قطعاً أنه كلما ازدادت معرفتنا بالعربية كلما ازداد مقدار تذوقنا لما نعرض له من آداب اللغات الإسلامية الأخرى .

عود إلى الجزء الأول من كتاب « تاريخ الأدب في إيران » :

في الكتاب السابق الذي جعلته بعنوان « تاريخ الأدب في إيران منذ أقدم الأزمنة إلى عصر الفردوسي » كتبت مقدمة عن تاريخ الأدب الفارسي تحدثت فيها عن اللغات الثلاث القديمة في البلاد الفارسية وهي : « الفارسية القديمة » و « لغة الإخستاد »

و«الهلوية» وكذلك عن بعض اللهجات الحالية المتصلة بها. ولقد شرحت المذاهب الدينية التي انتشرت في إيران كالزردشتية والمانيوية والمزدكية؛ ثم تحدثت عن تاريخ دولة آل ساسان العظيمة، فلما انتقلت بعد ذلك إلى «العرب» الذين فتحوا البلاد الفارسية في القرن السابع الميلادي وأثروا فيها كل هذا التأثير البالغ الذي شمل الدين واللغة والأدب والحياة والفكر، تحدثت عنهم حديثاً مختصراً تناولهم في أيام جاهليتهم قبل ظهور الدعوة الإسلامية ثم ذكرت شيئاً عن «معلقاتهم» وأشعارهم التي ينسبونها إلى القرن الخامس الميلادي والتي مازالت المثال الأوحى الذي يحثه الشعراء والناظمون حتى اليوم؛ ثم انتقلت بعد ذلك إلى الحديث عن الدعوة النبوية ثم عن الإسلام ثم عن فوز المسلمين في حروبهم وغزواتهم ثم عن الخلفاء الراشدين الأربعة ثم عن نشأة الشيعة والخوارج، وتحدثت بعد ذلك عن حكم «الأمويين» وعن الحركات الثورية التي قامت بها الشعوب الخاضعة للدولة الإسلامية وخاصة الفرس وهي الحركات التي تمثلت في منتصف القرن الثامن الميلادي (= الثاني الهجري) في الثورة الكبرى التي قام بها الخراسانيون بقيادة «أبي مسلم الخراساني» وانتهت بموقعة «الزاب» وتحطيم الدولة الأموية وقيام الخلافة العباسية التي استمرت قاعة ما يقرب من خمسة قرون حتى أصابها الطامة الكبرى على أيدي المغول الذين حطموها في منتصف القرن الثالث عشر الميلادي^(١) (= السابع الهجري).

العصر الذي تحدثت عنه في هذا الكتاب :

أما العصر الذي تحدثت عنه في هذا الكتاب فيبدأ بعد فترة طويلة من انقضاء العصر الذهبي الذي عاش فيه «هارون الرشيد». وقد استطاع الخلفاء العباسيون الأوائل أن يفسحوا رقعة الإمبراطورية التي أنشأها خلفاء النبي الذين سبقوهم، ولم يكن ينقصهم إلا الاستيلاء على «إسبانيا» لتنضم إلى ملكهم الفسيح الذي امتد من «مراكش» إلى «السند» ومن «عدن» إلى «خوارزم» (أوخيوه) وكان

(١) بقي أثر من هذه الخلافة مثلاً في «الخلفاء العباسيين في مصر» حتى دخل السلطان سليم مصر في سنة ١٥١٧م = ٩٢٣هـ وأعلن نفسه خليفة على المسلمين بعد حصوله من الخليفة العباسي الأخير على ألقاب الخلافة وشعائرها.

يشمل شمال أفريقيا ومصر وسوريا وبلاد العرب والعراق وأرمينيا والبلاد الفارسية وبلاد الأفغان وبلوچستان وجزءاً كبيراً من تركستان وجزءاً صغيراً من بلاد الهند وجزيرتي كريت وقبرص .

ويمكن أن يقال أن أول خطوة اتخذت لإضعاف هذه الإمبراطورية الكبيرة وزلزلة أركانها هي الخطوة التي خطاها المأمون بن هارون الرشيد في سنة ٨٣٠ م = ٢٠٥ هـ عندما كافأ قائده طاهر بن الحسين المعروف بـ «بذي اليمينين» بولاية خراسان وجعل حكومتها له ولأولاده من بعده فاستمروا يتوارثونها حتى كانت سنة ٨٧٢ م = ٢٥٩ هـ حينما نجح «الصفاريون» في التغلب عليهم وتأسيس دولتهم «الصفارية» . وتعتبر الدولة «الطاهرية» أولى الدول الفارسية التي قامت بعد الإسلام . ومن الثابت أنهم أنفسهم لم يحاولوا الاستقلال التام عن خلافة بغداد ولم يفصموا كل علاقة بينهم وبين الخلافة ، ولكنهم مع ذلك يمتازون عن سائر الحكام والولاة بأن ولاية خراسان بقيت لهم يتوارثونها فيما بينهم ، بينما كان والي العادي حتى ذلك الوقت معرضاً للنقل من ولايه إلى أخرى وفقاً لما تراه الحكومة المركزية في بغداد .

ولقد تدرج الأمر بعد ذلك فتطورت هذه «الولاية التوارثية» إلى «إمارة» مستقلة تمام الاستقلال^(١) ولكن هذا التدرج كان بطيئاً غير متصل الحلقات ؛ فالدولة «الصفارية» مثلاً كانت في أيامها الأولى أقل خضوعاً وأكثر استقلالاً من الدولة «السامانية» التي أعقبتها . وكذلك كان الحال مع أكبر حكام الدولتين «الغزنوية» و «السلجوقية» فإنهم كانوا يعتبرون أنفسهم مندوبين عن الخليفة وينظرون إليه نظرة السيد المتسلط الذي تستمد منه الألقاب ومراتب التشريف .

ولقد حدثت مع ذلك بعض الأحداث التي أدت إلى ثورات مكشفة على الخلافة وخروج ظاهر عليها ، فسار «يعقوب بن ليث الصفار» وهجم على بغداد واشتبك مع قوات الخليفة المعتمد^(٢) في سنة ٢٦٢ هـ = ٨٧٥ - ٨٧٦ م ، كما حاول «ملكشاه

(١) أول من تلقب بالقب «بسلطان» هو محمود الغزنوي .

(٢) تفصيل ذلك موجود في كتاب «سياسة نامه» تأليف «نظام الملك» . أنظر طبعه

السلجوقي « في سنة ١٠٨٠ م = ٤٧٣ هـ إن يضطر الخليفة « المقتدى » إلى أن ينقل عاصمته من بغداد إلى فمشق أو الحجاز (١) ؛ بل أظهر من ذلك كله ، هذا العراق الذي نشأ بين « سنجر » و « المسترشد » في سنة ١١٣٣ م = ٥٢٨ هـ وانتهى أمره بحبس الخليفة وقتله في محبسه في سنة ١١٣٥ م = ٥٣٠ هـ على أيدي « الإسماعيلية » بتحريض من « سنجر » نفسه فيما يقولون وكما نجبرنا « البنداري » في كتابه عن السلاجقة (٢) .

ومع ذلك فقد بقي أمراء المسلمين من أهل السنة — فيما عدا أمراء أسبانيا — يعترفون بالسلطة الإسمية لخليفة بغداد وقد استمروا على ذلك منذ تأسيس « الخلافة العباسية » حوالي سنة ٧٥٠ م = ١٣٢ هـ إلى تحطيمها في سنة ١٢٥٨ م = ٦٥٦ هـ وقد استتبع ذلك أن ظلت « بغداد » طوال هذه القرون الخمسة تعتبر عاصمة العالم الإسلامي ومركز حضارته وثقافته ، كما ظلت اللغة العربية تعتبر لغة السياسة والفلسفة والعلم والأدب والحديث المذهب .

العباسيون وفصومهم من أهل السنة :

كان « الفاطميون » في مصر هم أكبر خصوم العباسيين من الناحية الدينية والسياسية ، وكانوا يمثلون فريقاً واحداً من الفريقين العظيمين اللذين انقسم إليهما التشيعون على « فأمة الفريق الأول فهم « الشيعة » أو « الإسماعيلية » الذين إليهم ينتسب الفاطميون وقد ذكرنا نشأتهم وتاريخهم في الجزء الأول من هذا الكتاب حينما تحدثنا عنهم وعن المنتسبين إليهم من « القرامطة » . وأما الفريق العظيم الآخر من فرق الشيعة فهم « الإثنا عشرية » وكان القرن دائماً يميلون إلى منهم حتى اتخذوا مذهباً رسمياً لهم عند قيام « الدولة الصفوية » على يد « الشاه إسماعيل » في

(١) أظهر تاريخ السلاجقة للبنداري طبعه « هوتبا » ص ٧٠ .

(٢) المرجع السابق ص ١٨٧ . « هذا المذهب »

سنة ١٥٠٢ م = ٩٠٨ هـ^(١) وقد ظلت الغلبة السياسية في « البلاد القارسية » حتى الفتح المغولي في القرن الثالث عشر الميلادي في أيدي « الإسماعيلية » الذين كانوا يتحصنون بقلعة « الموت » والذين كانوا يعرفون أيضاً باسم « الحشاشين » .

الفتح المغولي في القرن الثالث عشر الميلادي (السابع الهجري) :

أظهر حادث أصاب العصر الإسلامي في آسيا هو « الفتح المغولي » فقد أصاب الحضارة الإسلامية بلطمة قاصمة لم تستطع أن تفيق من شدتها حتى الآن . فهم بتحطيمهم للخلافة العباسية في بغداد قد قضوا نهائياً على وحدة العالم الإسلامي . وقد بدأ الفتح المغولي بغارة « چنگيزخان » في بداية القرن الثالث عشر الميلادي وانتهى بالغارة على بغداد وقتل الخليفة العباسي « المستعصم » على يد « هولاكوخان » في سنة ١٢٥٨ م = ٦٥٦ هـ . وكان الحراب الذي أصاب « إيران » شديداً فقد كانت جموع المغول كالذئاب المتعطشة إلى الدماء ، فأخذوا يقتلون كل من يصادفهم ويحرقون ويدمرون كل ما يعترض سبيلهم دون أن تأخذهم في قسوتهم رحمة أو شفقة ، حتى أثر عنهم هذا القول المشهور بأنهم « جاءوا وخربوا وحرقوا وقتلوا وسلبوا وذهبوا^(٢) » وقد نطق بهذا القول واحد من القليلين الذين نجوا بحياتهم عند ما أغاروا على « بخارى » وقتلوا من أهلها ثلاثين ألفاً . ولم تكن « بخارى » وحدها هي المدينة التي أصابها هذا البلاء المستطير بل ما أكثر المدن التي أصابها ما هو شر من ذلك وأنكى . وغارة « تيمور » رغم ما امتازت به من شدة وقسوة لم تبلغ في حدتها المبلغ الذي وصلت إليه غارة هؤلاء المغول ، ولعل السبب في ذلك أن « تيمور » كان مسلماً يحس في قرارة قلبه بشيء من التقديس للمساجد وأما كن العبادة وبشيء من التقدير للمكتبات ورجال العلم ، بينما كان « چنگيزخان » و « هولاكوخان » لا يدينان بدين من الأديان ويتعطشان إلى سفك الدماء وإهدارها بحيث إذا اعترض سبيلهما معترض أو قتل واحد من قوادها في الحركة

(١) انتشر هذا المذهب من قبل في طبرستان وكذلك اعتنقه حكام البويهيين .

(٢) أصل العبارة بالفارسية كما هي مذكورة في كتاب « تاريخ جهانگشاه » هي :

« آمدند وکندند وسوختند وکشتند وبردند ورفتنند » .

فالطامة الكبرى ، والبلاء شامل ، والفتك الذريع نصيب للصغير والكبير والقوى والحقير والعالم والجاهل . ولقد كان من دأبهما أن يُعلقا الحيول في الساجد وأن يحرقا المكتبات ، وأن يجملا الكتب الثمينة طلعماً للزيران والمواقد ، وأن يغربا المدن العامرة حتى تستوى أعاليها بأسافلها ، وأن يقتلا كل كائن فيها حتى تصبح خراباً ياباً لا تصلح لزرع أو ضرع .

ومن رأيي أن هناك فجوة تفصل بين ماسبق هذه الكارثة وماتلاها ، فقد أنزلت بالحضارة الإسلامية والعلوم والآداب كثيراً من الانحطاط الذي لم يمكن إصلاحه حتى الآن . ومن أجل ذلك فلا غرابة إذا احتجنا في دراسة فترة القرنين والنصف القرن التي سبقت هذه الكارثة إلى مثل الجهد والنطاق اللذين نحتاج إليهما في دراسة القرون السبعة التي أعقبها (١) .

النهضة الفارسية :

بحثنا في الجزء الأول كيف نشأت « النهضة الفارسية » وكيف تطورت حتى انتهت إلى ظهور « الفردوسي » وأقرانه من الشعراء المعاصرين ، ولأبأس من أن نعيد هنا في إجمال ماسبق لنا شرحه في تطويل وتفصيل .

المعروف وفقاً لما ذكره « عوفي » وهو أقدم من ترجم لشعراء الفرس في القرن الثالث عشر الميلادي (أوائل القرن السابع الهجري) أن أول من أنشأ قصيدة فارسية هو شخص يسمى « العباس » ، أنشأها ليستقبل بها المؤمن عند قدومه إلى « مرو » في سنة ١٩٣ هـ = ٨٠٨ - ٨٠٩ م وقد أخذ الدكتور « ايتيه » هذه النبتة المستقاة من « باب الألباب » وفيها أربعة أبيات من هذه القصيدة فترجمها ونشرها في مقال ممتع عنوانه : « السابقون واللاحقون للرودي (٢) » .

ولكني أختلف معه في الرأي فيما يتعلق بهذه القصيدة وأتابع رأي « كازمرسكي (٣) »

(١) المترجم : في الأصل القرون الستة ونصف القرن وقد أضفت إليها نصف قرن مضى منذ كتابة هذا الكتاب .

(٢) عنوانه بالألمانية : Rüdagi's Vorläufer und Zeitgenossen; pp36-38

(٣) المصوبه : A. de Biberstein Kuzimirski

الذي يرى أن هذه القصيدة زائفة متحلة^(١).

ولعل من أقدم الأشعار الفارسية التي وصلت إلينا هي هذه الأبيات التي حدثنا بها «نظامي عروضي سمرقندي» في كتابه «چهار مقاله» (أو المقالات الأربع)^(٢) فقال إنها أوحث إلى «أحمد الحجستاني» أن يثور في وجه الدولة الصفارية في سنة ٢٦٢ هـ = ٨٧٥ - ٨٧٦ م عندما قرأ البيتين الآتين:

مهری گر بکام شیر در است
شو خطر کن ز کام شیر بجوی
یا بزرگی وعز ونعمت وجاه
یا چو مردانت مرگ رو یا روی

ومعناها:

— إذا كانت العظمة في أشد اذق أسد كاسر
فالتسها من أشد اذقه وتقدم إليه وخاطر
— فإما وصلت إلى العظمة والعز والنعمة والجاه
وأما لاقت حتفك في رجولة وعدمت الحياه

وقد ذكر «نظامي العروضي السمرقندي» هذين البيتين عندما أراد أن يبرهن لنا على أن الشعر عبارة عن «صناعة يتمكن الشاعر بواسطتها من أن يسوق المقدمات الخيالية والوهمية وأن يجعلها تنفق وتلتئم مع القياسات المنتجة العملية، بحيث يجعل من المعنى الصغير معنى كبيراً، ومن الكبير معنى صغيراً، وبحيث يلبس الجميل صورة القبيح أو القبيح صورة الجميل، فإذا أثار قوى النخوة أو الشهوة في سامعيه استطاع أن يوحى إليهم بالسرور أو الاتقياض وأن يحدث كثيراً من عظام الأمور في هذا العالم».

(١) أنظر ديوان منوچهری ص ٨ - ٩ وأظن أن المستشرق الإيطالي پتزی Pizzi يرى نفس هذا الرأي؛ وأنظر أيضاً مقالا ممتعاً بقلم الأستاذ «مارجليوت» نشره في مجلة الجمعية الملكية الآسيوية في أكتوبر سنة ١٩٠٣ ص ٧٤٧ بعنوان «ميتند فارسي يهودي من خت».

(٢) طبع هذا الكتاب في سلسلة أوقاف جب التذكارية وقد نشر الأستاذ براون ترجمته لإنجليزية له في عدد أكتوبر سنة ١٨٩٩ من مجلة الجمعية الملكية الآسيوية.

نبات اللغة الفارسية :

بدأ الشعراء ينظمون الشعر بالفارسية منذ أكثر من ألف سنة من الزمان (١). وقد شملهم بالرعاية حكام الدويلات المستقلة أو الشبهية المستقلة التي نشأت مع اضمحلال الخلافة وانحلالها ، ولم تغير اللغة الفارسية خلال هذه المدة الطويلة إلا قليلا ، وربما لا يلاحظ هذا التغير إلا في أمثلة قليلة لبعض الكلمات المهجورة أو الإماء القديم . وقد ترتب على ذلك أننا نستطيع أن نفهم أقدم الأشعار الفارسية الباقية في أيدينا دون أن نحس بشيء من العسر أو الغرابة أو البعد عن الأساليب الفارسية المستعملة في الوقت الحاضر . ومع ذلك فهناك في رأيي شيء من الاختلاف يمكن إحساسه فيما يتعلق بالدوق الأدبي وبالشعور الذي توحى به هذه الأشعار القديمة . فالأشعار التي نشأت في عهد الدولتين « الصفارية » و « السامانية » هي في الحقيقة أشعار بسيطة خالية من الصناعة البديعية وهي أقرب إلى الطبع وأدنى إلى سلامة الأداء وتصوير للموضوع .

تطور الذوق الأدبي وقواعد النقد :

ولا يمكن أن يكون هناك ما هو أدل على تطور الذوق الأدبي في مدى ثلاثة قرون ونصف القرن من أن نقارن نقدين لقصيدة واحدة شهيرة أنشأها الشاعر المعروف « رودكي » الذي تفق الآراء على اعتباره أكبر شعراء الفرس في الفترة السابقة لقيام الدولة « الغزنوية » . فأما أحد هذين النقيدين فهو الذي تضمنه كتاب « چهار مقاله » لمؤلفه « نظامي العروضي السمرقندي » (حوالي سنة ١١٥٥ م = ٥٥٠ هـ) وأما ثانيهما فهو المذكور في كتاب « تذكرة الشعراء » لمؤلفه دولتشاه (حوالي سنة ١٤٨٧ م = ٨٩٢ هـ) .

والقصيدة التي كانت موضوعا للنقد في هاتين المرتين هي التي مطلعها :

(١) أثرت في الجزء الأول مسألة الشعر وهل كان له وجود في عهد الدولة الساسانية .. ، وقلت إننا يفرض القول بوجوده فقد ضاع جلة ولم يبق شيء من أمثلة في أيدينا ، وكل ما بقي من الأشعار الفارسية هي هذه الأشعار التي قبلت في العصر الإسلامي .

بوی جوی مولیان آید همی . بوی یار مهربان آید همی ^(۱)
ومعناها بالعربية :

روائع «مولیان» ^(۲) «تهب دوما بذكر أجبتى ومنى زمانى
ولسى رمله العاتى خير لدى من الحرير الخسروانى
يفيض النهركى يلقاك بشراً ويضحك ماؤه والشاطان
فعدى يا «بخارى» فى نعيم أميرك مقبل واليمن داني
فأنت سماؤه يأتيك «نصر» ^(۳) كبر التم يسم للأمانى
وأنت رياضه يأتيك «نصر» شبيه السرو فى أبهى مكان ^(۴)
وقد تحدث الناقد الأول عن الأثر الشديد الذى أحدثته هذه الأبيات فى نفس الأمير
«نصر بن أحمد السامانى» فقال إنها أثرت فيه تأثيراً شديداً بحيث أجزل لقاتلها العطاء
واختصه بكثير من النعم ، وبدا ذلك شيئاً طبيعياً فى نظر الناقد «لأن الرودكى رجل
قد برز على من عداه فى قول الشعر ولا يستطيع أحد أن يدانيه فى الجزالة والعذوبة
ويكفى دليلاً على ذلك البيت الآتى :

آفرين ومدح سود آید همی گر بگنج اندر زیان آید همی
ومعناه :

مدح الناس مكتسبة وغفر وأما المال آخره الضياع ^(۴)

(۱) المترجم فيما يلى بقية هذه الأبيات وفقاً لما ورد فى « چهار مقاله » ص ۳۸ طبع
براین سنة ۱۹۲۷ :

ریگ آموی ودرشتی راه او زیر پایم پریشان آید همی
آب جیحون از نشاط روی دوست خنگ مارا تامیان آید همی
ای بخارا شاد باش و دیر زى میر زى تو شادمان آید همی
میر ماهست و بخارا آسمان ماه سوى آسمان آید همی
میر سرو است و بخارا بوستان سرو سوى بوستان آید همی

(۲) «مولیان» نهر بالقرب من بخارى أو هو نهر جیحون .

(۳) المترجم : هو الأمير نصر بن أحمد السامانى .

(۴) المترجم : هذه الأبيات من نظمى .

وقد استشهد الناقد بهذا البيت فقال « إنه يتضمن في أصله الفارسي سبع صناعات
بـ«بـ» هي الآتية :

- ١ — المطابقة ٢ — التضاد ٣ — الترديف ٤ — بيان المساواة
٥ — العذوبة ٦ — الفصاحة ٧ — الجزالة

واختتم الناقد تقدمه بهذه العبارة : « ويستطيع كل أستاذ له تبحر في علوم الشعر
أن يفكر قليلاً ليرى أنني مصيب فيما قلت »^(١) وأنا شخصياً إذا أتيح لي أن أبدى
رأياً في هذا الأمر أجد نفسي ميالاً إلى تصديقه وموافقته . فالمطابقة ظاهرة وواضحة
لأن الشاعر يريد من الأمير شيئاً من العطاء وأشارته إلى ذلك هينة ولكنها واضحة ؛
وأما التضاد فقد عبر عنه الشاعر وأجاد عند ما ذكر « ضياع المال » و « كسب
الفخر » ؛ وأما الرديف فظاهر في جزئي البيت وإن كان الأمر لا يقتضيه عادة إلا في
الشرطة الأخيرة منه ؛ وأما « المساواة » فظاهرة أيضاً مما يناله الأمير لقاء سخائه ؛
وأما « العذوبة » و « الفصاحة » و « الجزالة » فكلها ظاهرة وواضحة من قراءة
البيت الفارسي .

دولت‌شاه وفساد زوقه الأدبي :

فإذا جئنا إلى « دولت‌شاه » وقرأنا تقدمه الذي كتبه عن هذه الآيات بعينها حوالى
سنة ١٤٨٧ م = ٨٩٢ هـ وجدناه يقول ما يأتي^(٢) :

« هذه القصيدة طويلة جداً بحيث لا يمكن إيرادها برمتها في هذا الكتاب . وهم
يقولون إنها أطربت الأمير ووقعت موقعاً حسناً في نفسه بحيث أن الأمير امتطى
جواده قاصداً الذهاب إلى « بخارى » دون أن يتنبه إلى وضع حدائه في قدميه . وإن
العلاء لاشك ليدهشون إلى هذه الحالة التي اتبأت الأمير ، لأن هذه الآيات بسيطة

(١) أنظر ص ٣٩ من « چهارمقاله » .

(٢) أنظر ص ٣٢ من « تذكرة الشعراء » - مطبع ليدن سنة ١٩٠٠ م .

للغاية ليس فيها شيء من التأتة أو الصناعة ؛ ولو أن أحداً من الشعراء في هذه الأيام أقدم على عرض أشعار شبيهة بهذه الأبيات في مجلس الأمراء والولاة لاستوجب إنكار الجميع له ولأقواله . ولكن من الجائز أن نقول أن الأستاذ « الرودكي » كان خيراً بالأوتار والموسيقى فاستطاع أن ينشئ لنا عرض فيه هذه الأبيات على وقع الأغاني والأنغام فحلت محل القبول والإعجاب . ومع ذلك فلا يجوز لنا أن نستخف بشأن الرودكي بسبب هذه الأبيات ، فمجال جدال فيه أنه كان خيراً بسائر العلوم والفنون والفضائل كما كان يجيد القول في سائر ضروب الشعر وخاصة « القصائد » و « المثنويات » مما جعله عظيم الشأن مقبول القول لدى الخاص والعام .

الأسلوب الفارسي والصناعة البديعية :

يتصور كثير من الناس أن « الآداب الفارسية » تمتاز بأنها مصطنعة متكلفة تمتلئ بالصناعات البديعية وتزخر بالمجازات والاستعارات ؛ ولكن هذا الرأي ليس صحيحاً إلا فيما يتعلق بمجموعة من الآداب نشأت في ظروف خاصة وبيئات خاصة كالتي نشأت في كنف الفاتحين الأجانب من « المغول » أو « الأتراك » . تاريخ المغول الذي ألفه^(١) « الوصاف » حوالي سنة ١٣٢٨ م = ٧٢٩ هـ هو من أكبر الأمثلة على هذا الأسلوب المصطنع المليء بالمحسنات البديعية . وكذلك نجد أن « روضة الصفاء^(٢) » و « أنوار سبلى^(٣) » وكذلك طائفة من التأليفات المعاصرة التي نشأت في رعاية الأمراء التيموريين في نهاية القرن الخامس عشر وبداية السادس عشر (= القرن العاشر الهجري) كلها تقوم دليلاً على صدق هذا الرأي الذي ذهبنا

(١) هذا التاريخ عنوانه « تجرية الأمصار وترجية الأعصار » ومرف اختصاراً باسم « تاريخ الوصاف » ومؤلفه هو أبو عبد الله بن فضل الله الشيرازي .

(٢) من تأليف محمد بن خاوند شاه المعروف بـ « مير خواند » المتوفى سنة ٩٠٣ هـ

= ١٤٩٧ م .

(٣) عبارة عن كتاب « كلىة وحنه » بلغة فارسية كثيرة المحسنات البديعية ، وهو من إنشاء « حسين واعظ كاشفي » المتوفى سنة ٩١٠ هـ = ١٥٠٤ م .

إليه^(١). ومع ذلك فلم يصل هذا الأسلوب المصطنع الكرية إلى نهاية مداه إلا في عصر الأتراك العثمانيين كما تتمهد بذلك كتابات « ويسى » و « تركسى ». ولعله من الخير أن نذكر أن ناقدًا تركيًا حديثًا تناول بالتقد ما كتبه هذان الشاعران فقال : « إن الفارسي إذا قرأ أشعارها يستطيع أن يتبين أنهما لم يكونا يحاولان الكتابة بالفارسية ، وكذلك إذا فعل التركي فإنه يعجز أن يتخيل أنهما كانا يكتبان بالتركية أيضا .. ١١ »

خصائص الأشعار الفارسية المبكرة من حيث الصياغة والأسلوب :

في الجزء السابق من « تاريخ الأدب في إيران » الذي نشرته في سنة ١٩٠٢ أوردت أمثلة شعرية من أقوال سبعة عشر شاعرًا عاشوا في العصر السابق للدولة الغزنوية . وهذا القدر كاف — في نظري — لتكوين فكرة عن خصائص هذه الأشعار المبكرة . ولكن من الأسف أننا إذا استثنينا الألف بيت من الشعر التي أنشأها « الدقيق » وأبقاها « الفردوسي » في شاهنامته فإننا لا نجد مثلاً آخر للمثنويات أو القصائد المطولة التي يمكن نسبتها إلى العصر الساماني أي العصر السابق لهذا العصر . وليس من شك في أنهم أنشأوا في ذلك الوقت بعض القصائد القصصية المطولة كالترجمة المنظومة التي قام بها « الرودكي » لكتاب « كليلة ودمنة » وهي الترجمة التي بقي منها ستة عشر بيتاً من الشعر محفوظة في كتاب « أسدى » المعروف بـ « لغت فرس » وهو المعجم الفارسي الذي جمعه « أسدى » حوالي سنة ١٠٦٠ م = ٤٥٢ هـ ونشره « پول هورن » في طبعة أتيقة جميلة .

أما ما بقي في أيدينا من أمثلة هذه الأشعار المبكرة فلا يعدو بعض « المقطعات » و « الرباعيات » و « الغزليات » بالإضافة إلى « المثنويات » و « القصائد » التي لا شك في أنها قُلت في ذلك الوقت والتي بلغت ذروة رفعتها في أيام الفردوسي حوالي سنة ١٠٠٠ م = ٣٩١ هـ وهي السنة التي نبدأ بها العصر الذي نحن فيه . و « القصيدة » و « القطعة » هما ضربان من ضروب النظم استعارها

(١) انتقلت هذه الآداب إلى الهند عند تأسيس « باير » للدولة المغولية في الهند .

الفرس من العرب ، وقد وضعوها على نسق المملكات الجاهلية من حيث الصياغة والأسلوب وإن كان قد أصابها شيء من التعديل على أيدي الفرس كما فعلوا أيضاً بـ « بالغزل » .

أما « الرباعي » و « المثنوي »^(١) فهما ضربان من النظم ابتكرها الفرس ابتكاراً . وفي رواية معروفة عن أول ما قيل من الشعر الفارسي أن « الرباعي » أو الـ « دوييت » هو أول ضروب النظم التي نشأت في إيران^(٢) .

وأما « الشعر الصوفي » الذي نصادفه بكثرة من القرن الثاني عشر الميلادي (السادس الهجري) فأمثلته قليلة نادرة في فائحة هذا العصر الذي ندرسه .

فنون الشعر والبربع لدى الفرس :

لعله من الخير - لكي تتفادى كثرة التفريعات والتفسيرات في الفصول التالية - أن نستعرض أنواع الأساليب الأدبية التي يتبعها الفرس ، وأن ننظر إلى فنونهم البلاغية التي يستعملونها في أقوالهم ، وإلى أوزانهم الشعرية التي يصوغون فيها أشعارهم . وقد أغنانني عن الإفاضة في مثل هذه الموضوعات ما كتبه صديقي المرحوم « إ. ز. و. جب » في أبحاث قيمة ألحقها بمقدمة كتابه الخالد « تاريخ الأشعار العثمانية »^(٣) . فقد تحدث في الجزء الأول من هذا الكتاب عن الفكر الشرقي وعالج فنون الشعر والبلاغة والأدب التي يطبقها « الأتراك » و « الفرس » وكذلك « العرب » وسائر الشعوب التي تتحدث ببلغة من اللغات الإسلامية الأخرى . وهذه

(١) المترجم : المثنوي عبارة عن النظم المؤلف من أزواج من الأسطر كل اثنين منها متفقان في الروي مستقلان عما عداهما .

(٢) أنظر ص ٣٠ - ٣١ من « تذكرة الشعراء » وكذلك ص ٨٨ - ٨٩ من « المعجم في معاني أشعار العجم » .

(٣) اسمه بالإنجليزية Gibb : History of the Ottoman Poetry .

القصائد التي ساقها « جب » تعتبر من أهم الموضوعات التي يجب أن يبدأ بدراستها كل من يريد أن يشتغل بالآداب الإسلامية . فقد تحدث في الفصل الثاني من الكتاب الأول عن الفقه والفلسفة والتصوف . كما تحدث في الفصل الثالث عن ضروب الشعر والعروض والبلاغة .

كذلك يحسن الرجوع في هذه الموضوعات إلى مصادر أخرى أهمها :

١ — كتاب « أبحاث في البلاغة والعروض والقافية لدى الفرس » تأليف « جلادوين^(١) » .

٢ — كتاب « النحو والشعر والبلاغة عند الفرس » تأليف « روكرت^(٢) »

٣ — كتاب « العروض الفارسي » تأليف « بلوخان^(٣) » .

٤ — كما يحسن الرجوع إلى الكتاب الآتي فيما يتعلق بالمقارنات بين شعراء الغزل : وهو ترجمة « أويار^(٤) » لكتاب « أنيس العشاق » من تأليف « شرف الدين رامي^(٥) » .

أما الكتب الفارسية التي تناولت هذه الموضوعات فكثيرة ومن أهمها :

١ — كتاب « ترجمان البلاغة » من وضع « فرخي » وهو من الشعراء

العاشرين للفردوسي . وقد ذكر دولتشاه اسم كتابه في ص ٩ و ٥٧

من تذكرة الشعراء كما ذكره أيضاً حاجي خليفة (طبعة فلوجل - ج ٢

ص ٢٢٧) .

(١) Dissertations on the Rhetoric, Prosody and Rhyme of the Persians : by Gladwin, Calcutta 1801.

(٢) اسم بالألمانية Grammatik, Poetik und Rhetorik der Perser Rückert وقد نشره في مجلدين سنة ١٨٢٧ — ١٨٢٨ ضمن الـ Wiener

Jahrbucher وأعاد طبعه Pertsch في سنة ١٨٧٤ م .

(٣) اسمه الأصلي بالإنجليزية : Prosody of the Persians : by Blochmann : C. Huart (٤)

(٥) المترجم : هو من رجال القرن الثامن الهجري وذكروا له تأليفاً آخر اسمه « حقائق المصائق » .

٣٥٢ — كتاب « غاية العروضين » وكتاب « كنز القافية » وكلاهما من وضع « بهراي السرخسي » وكان معاصراً للفردوسي أيضاً . وقد امتدح كتابيه كثيراً صاحب كتاب « چهار مقاله » .

وجميع هذه الكتب الثلاثة مفقودة وليس في أيدينا نسخة منها^(١) . وأما الكتب الفارسية الباقية في أيدينا حتى الآن فأهمهما وأقدمها كتابان هما :

٤ — « حدائق السحر في دقائق الشعر » من تأليف « رشيد الدين الوطواط »^(٢) .
التوفي سنة ١١٨٢ م = ٥٧٨ هـ .

٥ — « المعجم في معايير أشعار العجم » من تأليف « شمس قيس الرازي » .
وضعه أثناء القرن الثالث عشر الميلادي (بعد سنة ٦١٤ هـ = ١٢١٧ — ١٢١٨ م) .

علم اليرع :

وفيما يلي سأحدث عن « علم البديع » مراعيًا أن أختار أكثر شواهدى من كتاب « حدائق السحر » دون أن أتقيد بالنظام الذي سار عليه « الوطواط » إذ بدا لي في بعض المواضع أنه لم يحسن التنظيم والترتيب . وسأجهد في أن أسوق بعض الأمثلة الإنجليزية التي تساعد القارئ الإنجليزي على تفهم الفنون البلاغية المختلفة وتقريبها من ذهنه^(٣) .

-
- (١) المترجم : نشر من هذه الكتب أخيراً في تركيا كتاب « ترجمان البلاغة » .
(٢) المترجم : يقول البعض أن وفاته كانت في سنة ٥٧٣ هـ وقد نقلت هذا الكتاب إلى العربية وتصرته في سنة ١٩٤٥ بعنوانه الأصلي الذي عرف به في الفارسية .
(٣) المترجم : سأعرض عن ذكر هذه الأمثلة لأن القارئ العربي ليس في حاجة إليها .

١ - النثر

النثر على نمط أنواع :

(أ) النثر العاري : وهو مالا وزن له ولا قافية .

(ب) النثر المرجز : وهو ماله وزن وليس له قافية .

(ج) النثر المسجع : وهو ماله قافية وليس له وزن .

ولسنا في حاجة إلى أن نتحدث عن النوع الأول فشأنه ميسور بسيط ؛ أما النوع الثاني فيحتاج إلى شيء من الدراسة لأن الاعتراف به كنوع مستقل من أنواع النثر يعتمد على مانسبه بالمذهب الفقهي ؛ أما النثر المسجع فقد تزلت كثير من آيات القرآن على نمطه ، ولكننا نعثر في بعض الأحيان على آية من الآيات تقع موزونة على وزن من الأوزان الشعرية المعروفة كما ورد في سورة البقرة في الآيتين ٧٨ و ٧٩ حيث قال تعالى :
« ثم أقررتم وأنتم تشهدون ، ثم أنتم هؤلاء تقتلون » .

فهاتان العبارتان موزونتان على بيت من « الرمل » مكون من « فاعلاتن » ست مرات مع جعل التفعيلة الأخيرة من كل مصراع على « فاعلات » . ولما كان خصوم النبي قد اعتادوا أن يتهموه بأنه « شاعر مجنون » وهو ينفي التهمة بكل ما يملك من قوة ، اضطر اتباعه إلى أن يصوغوا تعريفاً للشعر لا ينطبق على أية من آيات القرآن أو على أية عبارة من عباراته فلما وجدوا أن بعض آياته - كما رأينا - موزونة ومقفاة أضافوا إلى شرط « الموزن » و « القافية » شرطاً ثالثاً هو « القصد » أي أن يقصد القائل أن يقول شعراً . وعلى ذلك قالوا إن « النثر المرجز » هو عبارة عن شعر صدر عفواً في وسط كلام منشور ولم يقصد قائله أن يجعله شعراً :
ومن أمثلة هذا النثر المرجز قوله صلى الله عليه وسلم في حديث نبوي :

الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم

فهذه العبارة موزونة على الرمل الثمين .

والنوع الثالث من النثر وهو « المسجع » يعرض كثيراً في كتابات اللغات الإسلامية المختلفة وهو على ثلاثة ضروب :

(أ) المتوازي : وذلك إذا وجدت في جملتين أو أكثر كلمات متفقة في الوزن وعدد الحروف والروى ؛ ومثاله من إقول النبوى :

« اللهم اعط منفقاً خلفاً ، واعط ممسكاً تلفاً » .

(ب) المطرف : وذلك إذا وجدت في آخر جملتين أو أكثر كلمات متفقة الروى ولكنها مختلفة من حيث الوزن والعدد .

ومثاله قوله تعالى : « مالكم لا ترجون لله وقاراً وقد خلقكم أطواراً » .

(ج) المتوازن : وهذا النوع يرد في النثر والشعر معا ، ويكون بأن ترد في أول الجملتين أو آخرهما ، أو في أول المصراعين أو آخرهما كلمات تتفق مع بعضها من حيث الوزن ولكنها تختلف في حروف الروى .

ومثاله من القرآن الكريم : « وآتيناهم الكتاب المستبين ، وهديناها الصراط المستقيم » .

وأجمل تقليد في اللغات الأوربية للنثر المسجوع موجود في اللغة الألمانية ومن أحسن أمثله ماورد في الترجمة الألمانية لبعض مقامات بديع الزمان الهمذاني (المتوفى سنة ١٠٠٧ - ١٠٠٨ م = ٣٩٨ هـ) وهى الترجمة التى نشرها « فون كرامر » فى الجزء الثانى من كتاب « تاريخ الثقافة ^(١) » .

٢ - النظم

ذكر « روكرت » أن ضروب النظم فى الفارسية عبارة عن أحد عشر ضرباً كما أوردها صاحب كتاب « هفت قلزم » (أو البحار السبعة) وهى على الترتيب الآتى :

(أ) الغزل	(هـ) الرباعى	(ط) التركيب بند
(ب) القصيدة	(و) الفرد	(ى) المستزاد
(ج) التشبيب	(ز) الثنوى	(ك) السمط
(د) القطعة	(ح) الترجيع بند	

(١) أنظر ص ٤٧١ - ٤٧٥ من كتاب Culturgeschichte المترجم : أعرضت عن ذكر المثل الألمانى الذى أورده « براون » من ترجمة المقامات كما ترجمت أيضاً عن ذكر المثل الإنجليزى الذى نقله براون من كتاب :

Arte of English Poesie, by George Puttenham. 1589

ويمكن أن نضيف إلى هذه الضروب « الربيع » و « الخمس » و « السدس » و « السبع » و « الثمن » و « التسع » و « العشر » .

كما يمكن أن نضيف إليها أيضاً « الموشح » وإن كان نادر الاستعمال لدى الفرس ولم يستعمل بكثرة إلا في الأندلس وبلاد المغرب .

أما الشعر « الملع » وهو الشعر الذي يتكون من أبيات أو مصاريع منظومة في لغتين أو أكثر فلا يتقيد بصياغة خاصة ؛ ومن أجل ذلك فمن الخير أن نرجى الحديث عنه إلى أن نعرض للكلام على « موضوعات القصيد » .

... والتقسيم الذي ذكره كتاب « هفت قزيم » يشوبه الخفاء وعدم الإقناع . فالتشبيب مثلاً ما هو إلا هذا الجزء الذي يصف فيه الشاعر في مطلع قصيدته « أيام الشباب وما يراه من جمال وما يحس به من حب وهيام » ويجعله مقدمة لما يريد أن يسوقه من أغراض . وكذلك « الفرد » و « القطعة » و « البيت » لا يصح أن تعتبر من ضروب النظم المختلفة لأن « الفرد » أو « البيت » ما هو إلا الوحدة التي تقوم عليها سائر ضروب النظم بينما « القطعة » ما هي إلا جزء من قصيدة طويلة أو جملة أبيات نظمت على حدة ولم يقسم لها أن تطول لتبلغ مبلغ القصائد كما نشاهد في آثار بعض الشعراء وعلى الخصوص أشعار « ابن عيين » المتوفى سنة ١٣٤٤ م = ٧٤٥ هـ ، فإنها برمتها من هذا النوع الذي يعرف بالقطعات .

وكذلك النوعان المعروفان باسم « بند » يمكن اعتبارهما ضرباً واحداً سواء رجع بيت بعينه بين أقسامها أم ذكرت أبيات مختلفة بعد كل قسم من الأقسام ، بحيث تكون متفقة القافية فيما بينها وإن كانت لا تتفق مع سائر أقسام البند . وكذلك الحال مع « الربيع » و « الخمس » و « السدس » . الخ فإنها تعتبر نوعاً واحداً .

أما « الموشح » و « المسط » و « المرصع » فلا تعدو أن تكون « قصائد مصطنعة أو غزليات » من نوع خاص .

وقبل أن نحاول تقسيم « الشعر الفارسي » تقسيماً علمياً يكون أقرب إلى طبيعته بحيث تظهر لنا ضروبه المختلفة ، نجد لزماً علينا أن نتحدث أولاً عن عناصره التي يتركب منها .

البيت والمصراع

والبيت هو الوحدة التي تتركب منها كل منظومة من المنظومات ؛ وهو يتركب بدوره من قسمين متساويين كل منهما يسمى « مصراعاً » . ويشتمل البيت على عدد معين من التفعيلات تبلغ الثماني إذا كان البيت « مثنياً » أو الست إذا كان البيت « مسدساً » وتقل عن ذلك في بعض الأحوال .

ولسنا في حاجة إلى بيان الأجزاء التي تتركب منها التفعيلة الواحدة وكيف أنها تتركب من « الأوتاد » و « الأسباب » و « الفواصل » ولكننا نكتفي بأن نقول إن هذه التسميات الفنية التي اصطلاح عليها عروضيو العرب ، وتابعهم فيها أصحاب العروض من الفرس والترك وأهل الأمم الإسلامية الأخرى ، كلها قد بنيت على قياس خاطيء في تشبيه « البيت من الشعر » « بالخيمة » أو « بيت الشعر » الذي يسكنه الأعراب . فقالوا إنك إذا نظرت إلى الخيمة أو « بيت الشعر » من قدام وجدت أن بابها يتركب من مصراعين ، فاستعمل العروضيون كلمة « مصراع » للدلالة على كل قسم من القسمين اللذين منها يتركب « بيت الشعر » . وقد ذكر « بلوخمان » في كتابه « العروض الفارسي »^(١) جملة من الأسباب والتفصيلات التي أدت إلى هذه المقايسة الغريبة بين « بيت الشعر » و « بيت الشعر » لعل أغربها وأجملها هو قولهم أن « بيت الشعر » يضم في أرجائه العيد الحسان من نساء القبيلة وكذلك الحال مع « بيت الشعر » فإنه يشتمل على إبداع الأفكار التي تجول في خاطر الشاعر .

وقد اصطلاحوا في الإنجليزية على ترجمة كلمة « بيت » بكلمة « Couplet » وعلى ترجمة « مصراع » بكلمة « Hémistich » . ولاشك أن ترجمة هاتين الكلمتين على هذا النحو مما يؤسف له ، لأن الكلمة الإنجليزية الأولى توحي لنا بأن « البيت » مكون من وحدتين ، كما أن الكلمة الثانية توحي لنا بأن « المصراع » عبارة عن نصف وحدة ، ويترتب على ذلك بالطبيعة أن أربعة مصاريع لازمة لإنشاء البيت الواحد من الشعر . ولذلك أجد أنه من الخير أن تترجم كلمة « بيت » بالكلمة

الإنجليزية « Verse » وكلمة مصراع بكلمة « Half — verse » وإن كان لا اعتراض لدى على الاستمرار في تسمية « المصراع » بكلمة « Hemistich » بشرط أن نصلح من الآن على تسمية البيت بكلمة « Verse » أو « Stichos » . وفي هذه الحالة يصبح الرباعي مكوناً من أربعة مصاريع أو من بيتين وتنطبق كذلك تسميته في الإنجليزية على تسميته التي عرف بها في الفارسية حيث اصطلحوا على تسميته باسم « دوييت » .

وطى كل حال يجب ألا يغيب عن بالنا أن « البيت » هو الوحدة في كل المنظومات . وإن قولنا بيت مسدس أو مثنى لا يدل على شيء إلا على عدد التفعيلات التي يشتمل عليها . كما يجب ألا يغيب عن بالنا أيضاً أن جميع أبيات المنظومة يجب أن تكون متساوية في عدد تفعيلاتها فلا يجوز مطلقاً الجمع فيها بين « الثمنات » و « الخمسات » كما نجد عادة في الأشعار اللاتينية .

ومن الملاحظ في بعض الكتب المشورة من قبيل « گلستان » أن الكاتب يسوق « البيت » أو « المصراع » للاستشهاد به على قول معين أو حادثة بعينها وربما نظم هذا « البيت » أو هذا « المصراع » لهذه المناسبة وحدها ؛ وفي هذه الحالة يسمون « المصراع » باسم « الفرد » .

ضروب النظم الفارسية :

وبحسن بنا وقد فهمنا الأشياء التي ذكرناها فيما سبق أن نتقدم لدراسة ضروب النظم الفارسية المختلفة ، فنقول إن أول تقسيم لهذه الضروب مبناه القافية . فهناك نوع من الأشعار تكون القافية فيها مستترة بين مصراعي البيت الواحد دون تقييد بما يسبقه أو يليه من الأبيات . وهناك نوع آخر تستلزم فيه القافية في نهاية الأبيات جميعها دون تقييد بتقفية المصاريع الأولى منها إلا في بيت المطلع دون سواه من الأبيات .

والنوع الأول من هذين القسمين يمثل « المثنوى » ويمكن تسميته بالقسم الذي تعدد فيه القوافي . أما النوع الثاني فهو حد القافية وأمثله واضحة في « القصيدة » و « القطعة » و « الغزل » و « الترجيع بند » و « التركيب بند » وكذلك « الرباعي »

أما « المربع » و « الخمس » و « السدس » إلى « العشر » فيجب فصلها عن هذين النوعين ووضعها في قسم خاص قائم بذاته .

المتنوى :

لسنا في حاجة إلى الإفاضة في القول عن هذا الضرب من ضروب النظم لأن أكثر الشعر الأوروبى الذى له قافية يقع على غرارهِ . والقافية فيه تكون في جزئى البيت الواحد وتتغير بعد ذلك بتغير الأبيات . ومن أجل أمثلته في الإنجليزية قصيدة الشاعر تينسون Tennyson التى عنوانها Locksley Hall فهي كثيرة الشبه بما يعرف فنياً في العروض الفارسى باسم « مثوية على وزن الرمل المثمن المحذوف (١) » .

— u — | — — u — | — — u — | — — u —
فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن

وكل المنظومات الطويلة في اللغة الفارسية - سواء أ كانت قصيدة أم تعليمية - تقع في هذا الضرب من النظم ، ومن أمثلتها :

الشاهنامه : « كتاب الملوك » من نظم الفردوسى
پنج گنج : « الكنوز الخمسة » » نظامى الگنجوى
هفت اورنگ : « العروش السبعة » » جامى
المتنوى المعنوى » جلال الدين الرومى

وهذا الضرب فارسى النشأة لم تعرفه الأشعار العربية القديمة ، وإن كان بعض الشعراء الذين كانوا من أهل فارس قد استخدموه في نظم الأشعار العربية المتأخرة التى عرفت باسم « المزدوج » منذ نهاية القرن العاشر الميلادى (أواخر الرابع الهجرى (٢)) .

(١) المترجم : أورد براون يتين من المنظومة الإنجليزية على سبيل المثال ولم تر حاجة إلى كتابتهما ينصهما .

(٢) أنظر مثلاً لهذه المزدوجات في ج ٤ من ينمة الدهر ص ٣٣ من طبعة دمشق ومنها :
من مثل الفرس ذوى الأبصار الثوب رهن في يد القصار
إن البعير يتغنى الحشاشا لكنه في أهله ما عاشا =

الغزل :

إذا أتينا الآن إلى ضروب النظم الموحدة القافية وهى التى تتقيد بوحدة القافية فى جميع أياتها دون تقيد بتقنية المصارع الأولى منها إلا فى بيت الطلع ، وجدنا أن أهم هذه الضروب ضربان هما « الغزل » و « القصيدة » وفيهما يمكن استعمال سائر الأوزان الشعرية المعروفة ؛ ويمكن أيضاً تقفية مصراعى الطلع ؛ ولكن يجب أن تقفى أو آخر الأيات جميعاً على قافية واحدة .

و « الغزل » لا يختلف عن « القصيدة » إلا من حيث الموضوع وبعد الأيات فهو لا يتعلق إلا بموضوع غزلى أو صوفى وكذلك لا تزيد أياته عن الإثنى عشر بيتاً إلا فى القليل النادر من الأحوال ؛ أما القصيدة فقد يتعلق موضوعها بالمديح أو الهجاء أو التعليم أو الفلسفة أو الدين .

وقد تعود الشعراء فى أزمنة متأخرة (بعد الفتح المغولى فيما أظن) أن يذكروا تخلصهم أو لقبهم الشعرى فى البيت الأخير أو « بيت المقطع » من الغزل . ولكنهم لم يتعودوا أن يفعلوا ذلك فى قصائدهم .

وفى ما يلى ترجمة لغزلية معروفة من غزليات « حافظ الشيرازى » مطلعها :

اگر آن ترك شیرازی بدست آرد دل مارا
بخال هندویش بختم سمرقند و بخارا را

ومعناها بالعربية (١) :

لك الدنيا وما فيها . . أيا تركى شيراز

« سمرقند » لك الأخرى وتلوها « بخارا » ها

== نال الحمار بالقوط فى الوحل ما كان يهوى ونجا من العمل
فى المثل السائر للحمار قد ينهق الحمار للبيطار
والعبر لا يسمن إلا بالعلف لا يسمن العنبر بقول ذى لطف
(١) المترجم : أنظر ص ٤٤ من الجزء الأول من كتابى « أغاني شيراز » المطبوع فى
القاهرة سنة ١٩٤٣ وسنة ١٩٤٧ .

فيا ساقى .. لنا الباقي في الجنات لا تمشي
 على حافات «ركناباد» أوروب «مصلاها»^(١)
 ويا حزنى .. وقد عاشوا على سلبى منى قلبى
 كفعل الترك قد عاشت على أسلاب قتلاها
 جمال الخل تغنيه عن التدليل فى عشق
 حدود لونها صاف بلون الورد سواها
 ويوسف من كمال الحسن والإعراض فى تيه
 «زليخا» تلك أحيائها على وجد وأضناها
 رعاك الله أن تمضى بإيلامى وتجرحى
 فمر القول لا يحرقى ثغرى رشفناها
 فيا روحى .. استمع نصيحى، فنصح الشيخ مقبول
 لدى الشبان رده وقل : ذكرى وعيناها
 حديث المطرب اسمعه ، وسر حياتنا دعه
 فما حلوا من الأيام والدنيا معماها
 تعال أنظم لنا شعراً وهى ، نظمه درا
 فقد شدت لك الأبراج فى عقد ثراها

القصيدة :

وطول القصائد الفارسية يجعل من العسير على أن أؤدى إحداهما نظماً بالإنجليزية
 بحيث أحتفظ بوحدة القافية فى سائر أبياتها . وقد بذنى فى ذلك صديقى المرحوم
 «جب» حينما ترجم بعض القصائد التركية فى كتابه الكبير «تاريخ الأشعار
 العثمانية» فقد كان من دأبه أن يترجم هذه القصائد بحيث يحتفظ بوزنها الأصلى
 وبحيث تكون موحدة القافية أيضاً . وإنى أعترف بأنى أقل مهارة منه فى صياغة
 النظم ، ومن أجل ذلك اضطررت اضطراراً عند ترجمة «القصائد» وبعض «الغزليات»

(١) «ركناباد» نهر بشيراز و «المصلى» محلة بها ، كان يقيم فيها حافظ .

إلى أن ابتعد عن خطته هذه وأن أترجمها كما لو كانت من نوع «المنشوى» ، فتجاسرت بذلك على أن أحدث بها شيئاً من التغير في القافية والوزن كما يفعل الشرقيون أنفسهم في أغلب الأحوال ، وقد سبق لى أن ذكرت في ص ٤٦٤ من الجزء الأول من «تاريخ الأدب في إيران» إن العرب والفرس كانوا إذا شاؤوا إظهار براعتهم في الترجمة نظماً من الفارسية إلى العربية أو من العربية إلى الفارسية فإنهم كانوا يؤدون الترجمة في وزن مخالف للوزن الأصلي . أو يؤدون «المنشوية الفارسية» في «قصيدة عربية»^(١) . فإذا راعينا أن هاتين اللغتين يستعملان طريقة واحدة في العروض لاستعملها اللغة الإنجليزية ، وراعينا كذلك أن أهل هاتين اللغتين قد أباحوا لأنفسهم عند الترجمة عدم التقيد بالأصل من حيث الوزن والقافية وجدنا أنفسنا — وقد حرمانا من هذه البركات التي مهدت لهم — معذورين حقاً إذا تابعنا مثالهم ولم نحصر عند الترجمة على الاحتفاظ بالوزن أو القافية .

ولما كان الحديث في هذا المكان مقصوراً على ضروب النظم فسأسوق أمثلة قليلة لهذا النوع من القصائد الموحدة القافية التي لم أستطع المحافظة على قافيتها في ترجمتي لأن «القصيدة» عادة تتركب من أبيات عديدة تزيد كثيراً على ما يتركب منه «الغزل» وقد تزيد في أغلب الأحوال على المائة بيت .

وأول أمثلي التي أسوقها للقصيدة عبارة عن ستة أبيات من مرثية «الشيخ سعدى الشيرازي» لمدينة بغداد عندما أغار عليها المغول وقتلوا الخليفة العباسي الأخير «المستعصم بالله» وأهل بيته . ولهذا القصيدة أهمية خاصة لأنها تصور لنا الأثر الذي تركته هذه الغارة للفرقة في نفس واحد من المسلمين المعاصرين . وقد نقلت هنا الأبيات الستة الأولى منها كما هي مذكورة في الجزء الأول من كتاب «خرابات» تأليف «ضيا پاشا»^(٢) «والقصيدة برمتها تبلغ الواحد والعشرين بيتاً وهي من نوع الرمل المشتمن المحذوف .

(١) كما فعل «البنداري» أحياناً في ترجمته العربية للشاهنامه .

(٢) أنظر ص ١٥٦ من الجزء الأول من «خرابات» طبع القسطنطينية سنة ١٢٩١ هـ .

ومطلعها :

آسمان را حق بود گر خون بریزد بر زمین
بر زوال ملك مستعصم أمير المؤمنين^(١)
والآيات الخمسة التالية للمطلع هي الآتية :

أى محمد گر قیامت می بر آری سر ز خاک
سر بر آور وین قیامت در میان خلق بین
نازنینان حرم را موج خون بی دریغ
ز آستان بگذشت و ما ز خون دل در آستین
زینهار از دور گیتی و انقلاب روزگار
در خیال کس نگشتی کانچنان گردد چنین
دیده بردار ای که دیدی شوکت بیت الحرام
قیصران روم سر بر خاک و خاقان بر زمین
خون فرزندان عم مصطفی شد ریخته
هم بر آن خاکی که سلطانان نهادندی جین

ومعناها :

— للسماء حق إذا بكت دما على وجه الأرضين ،
لزوال « ملك المستعصم » أمير المؤمنين .
— ويا « محمد » إذا أخرجت رأسك من أطباق الثرى في يوم الدين
فارفعها الآن حتى ترى هذه القيامة التي نزلت بقومك من المسلمين
— وانظر إلى أمواج الدماء وقد فاضت على أعتاب الحرم الأمين
وانظر إلى دماء الفؤاد وهي تقطر من أكام الأردية والقفاطين
— ويا صاحبي . . . الحرس الحرس من دورات الفلك وتقلبات الأيام والسنين

(١) الترجم : للسعدى قصيدة عربية في هذا المعنى مطلعها :

حبست بيمفنى الدمام لا تجرى فلما طنى الماء استطال على السكر
نسيم صبا بغداد بعد خرابها تمنيت لو كانت تمر على قبرى

فلم يحل بخاطر أحد أن يحدث مثل هذا الحدث اللعين . . .
 — ويا من رأيت شوكة البيت الحرام ارفع بصرك الحزين
 ثم أغمضه عن هذا المكان الذي كانت تسجد عنده القياصرة والخواصين
 — فدعاء أولاد عمومة المصطفى أخذت تجري وتتدفق في الطين
 وتسيل على هذا الثرى الذي كانت تسجد عليه جباه السلاطين . . . !!
 وهذه القصيدة لا تمثل تماماً القصائد القديمة التي كانت تبدأ عادة بالتشبيب ثم
 تنتقل إلى المدح بيت يعرف فنياً باسم « كرزگاه » أى « بيت الانتقال » . وربما كان
 خير مثل للقصائد القديمة هو قصيدة « منوچهرى » الشاعر المعاصر للفردوسى .
 فهذه القصيدة تحتوى على اثنين وسبعين بيتاً سأقتصر على ذكر طائفة منها اخترتها
 دون مراعاة لترتيبها الأصلي ، ولكنى سأذكر إمامها أرقاماً تبين موضعها في القصيدة
 الأصلية . وهذه القصيدة من نوع الهزج المسدس المخدوف .

u — — — | u — — — | u — — —

مفاعيلن مفاعيلن فعولن

ومطلعها :

ألا يا خيمكى خيمه فرو هل كه پيش آهنگك بيرون شد ز منزل
 ومعنى الأبيات الخمسة الأولى منها كما يلي (١) :

١ — ألا يا أيها الخيام . . . أزل خيمتك

فقد تقدم دليل القافلة وخرج عن هذا المنزل

٢ — وقد دق صاحب الطبل طبله

وأخذ المحالون يعقدون الرحال

٣ — وقد قربت صلاة العشاء

وها أنذا أرى الشمس والقمر يتقابلان في هذه الليلة

(١) المترجم : فيما يلي النص الفارسي لهذه الأبيات :

ألا يا خيمكى خيمه فرو هل كه پيش آهنگك بيرون شد ز منزل
 تيره زن بزد طبل نخستين شتر بانان همى بستند محل
 نماز شام نزديك است و امشب مه و خورشيد را بينم مقابل

- ٤ — ولكن القمر يصعد في كبد السماء
بينما تغيب الشمس وراء جبال بابل
- ٥ — فكأنهما الميزان ذوا الكفتين الفضيتين ؛
تميل إحدى كفتيه إلى أسفل ، والأخرى تشيل إلى أعلا
ثم يذكر الشاعر بعد ذلك فراقه لمعشوقته فيقول : (١)
- ٦ — ولم أكن أعرف . . . يا صنوبرتي الفضية
إن النهار سيجعل بالزوال على هذا النحو . . . !!
- ٧ — وكلانا غافل . . . ولكن الشمس والقمر
لا تأخذها غفلة في دورة هذا الفلك . . . !!
- ٨ — فتعالى إلى . . . يا حبيتي . . . ولا تبكي
فأمل العاشقين لا يتم ولا يتحقق . . . !!
- ٩ — والأيام جبالى بالهجر والفراق
ولا بد للحامل أن تضع حملها في يوم من الأيام .
- ١٠ — فلما شأهدتني حبيتي على هذه الحال من الحزن
أسطرت من خلال أهدابها وابلا من الدموع
- ١١ — وكأنا كانت تمسك بالقليل المسحوق في أصابعها
ثم أخذت تثره في أجفانها ومآقها . . . !!

= وليكن ماه داره قصد بالا
چنان دو كفه سيمين ترازو
(١) المترجم : فيما يلي نس الإيات الفارسية :

فرو شد آفتاب از كوه بابل
که این كفه شود زان كفه مابل
که گردد روز چنين زود زائل
بر این گردون گردان نيست غافل
که کار عاشقان را نيست حاصل
نهد يك روز بار خویش حامل
بسياريد از مژه باران وابل
پراکند از كف اندر دیده پليل

ندانسم من أي سيمين صنوبر
من وتو غافلیم و ماه و خورشيد
نگارین منا بر گرد و مگسوی
زمانه حامل هجر است ولا بد
نگار من چو حال من چنين دید
تو گوئی پليل سوده بكف داشت

١٢ - ثم أقبلت على قائمة قاعدة

كأنها الطير الديبح قد بسملوا عليه

١٣ - وطوقت عنق بساعديها كمائل السيف

واستلقت على صدرى كما تدلى الحماثل

١٤ - وقالت لى : إني أقسم لك ... أيها القادر

لقد اطربت في الحاسد وأفرحت العاذل

١٥ - ولست أدري إذا كنت ستعود إلى ثانية

في الوقت الذي تعود فيه القوافل

١٦ - ولطالما رأيتك كاملاً في كل الأمور

ولكن من أسف أنك لست كاملاً في العشق ... ١١

ثم يحاول الشاعر بعد ذلك تهدئة معشوقه حتى ينصرف عنه ويتركه وحيداً فينظر حول المنازل فلا يرى إنسياً أو جنياً ولا راكباً أو قاعداً ولا يجد إلى جانبه إلا بعيره وهو « يزجر كالشيطان المقيد بالسلاسل » فيضع عليه رحله وينهض به في نفس الطريق التي سلكتها القافلة ، ويأخذ في عد الخطى حتى يدخل الصحراء المقفرة فيصفها بأنها « قاحلة موحشة لا يستطيع دخولها أن يخرج منها » ثم يأخذ في وصف رياحها العاصفة فيقول « أنها تجعل الدم يتجمد في العروق » ثم يأخذ في وصف الثلج فيصفه بأنه رقائق الفضة قد ثرت على الرمال الذهبية المنبسطة في هذا الفضاء الفسيح . فإذا ما انبثق الفجر بصفائه عشى الشاعر بنوره وضيائه ، ثم تأخذ الثلوج في الدوبان كما يذوب الليل المسلول ، وتنشأ من ذوبانها أوحال لزجة تتعلق بأقدام بعيره كأنها الغراء المصنوعة من عظام الأسماك . ثم تبدوله في النهاية القافلة التي كان يريد الوصول إليها ، فيقدم عليها ، ويدنو من مخيمها « فيرى الوادى وما به من رماح

چنان مرغی که باشد نیم بسمل
فرو آویخت از من چو ت سمل
بکام حاسد م کردی وعادل
بدان گاهی که باز آید قوافل
ولیکن نیستی در عشق کامل

= بیامد اوفات خیزان بر من
دوساعد را سمل کرد با من
مرا گفت ای ستمکاره بجام
چه دامن من که باز آئی تو یاتمه
ترا کامل دهمی دینم بهر کار

وحراب كأنه ملء بالسنابل والأعواد» وترن في أذنه أصوات الخلاخيل كأنها أصوات
الجلال ، وتتجاوب الأجراس بمختلف الحكايات وكأنها أهانج العنادل والبلابل .
ثم يستمر الشاعر فيقول (١) :

٤٨ — ثم التفت إلى بعري النجيب ، وقلت له : خفف من سرعتك
يا معين الأفاضل ولا تسرع في مشيتك

٤٩ — وكل في هذا المرعى . . . وليجعل الله مرعاك في هذا العبر النضير
وتبخر . . . وليجعل الله مفاصلك من الحديد المتين

٥٠ — واطو القيا في . . . واجتز الجبال العالية
ودق المنازل . . . وأقطع المراحل القاصية

٥١ — ثم أنزلني على أعتاب الوزير الكامل
كما نزل الأعشى ييا بل

ثم يأتي الشاعر إلى بيت الانتقال « كرزگاه » فيقول (٢) :

٥٢ — على أعتابه الرفيعة العالية ؛ فقد ملك المعالي عاليا وسافلها
ثم يذكر اسم ممدوحه في البيت الأول من الأبيات الآتية فيقول :

٥٦ — وهو يرتع في نعم الحياة على عهد الأمير مسعود (٣)
كما نعم النبي على عهد أنوشیروان العادل

(١) المترجم : النص الفارسي لهذه الأبيات كما يلي :

نجيب خویش را گفتم سبک تر	ألا يا دستگیر مرد فاضل
بچرکت عنبرین بادا چراگاه	بچم کت آهنین بادا مفاصل
ییا بل در نورد وگوه بگزار	منازلها بکوب وراه بگل
فروود آور بدرگاه وزیرم	فروود آوردن أعشى ييا بل

(٢) المترجم : نصه بالفارسية :

بعالی درکه دستور کورا ست معالی از اعالی واز أسافل
(٣) يقصد به الأمير مسعود بن محمود الغزنوي الذي حكم من سنة ١٠٣٠ — ١٠٤٠ م
= ٤٢١ — ٤٣٢ هـ ونص الأبيات الفارسية كما يلي .
همی نازد بهمد میر مسعود چو پیغمبر بنو شروان عادل

٥٧ — وبذرة المال تدخل عليه فينثرها كقارون
والسائل يدخل عليه وكأنه من أصحاب الجاه والمال

٥٨ — فيخرج السائل وقد بظنت بالذهب حواشيه
وأما كيس الأمير فيخلو مما كان يشتمل عليه ويحتويه^(١)

وفيا إلى الأبيات السبعة الأخيرة من هذه القصيدة وهي التي يسعى فيها الشاعر إلى إثارة مخدومه واستجلاب رضاه والحصول على منحه وهداياه . وإذا استطاع الشاعر أن يذكر لمخدومه ما يطلبه منه بطريقة حلوة وأسلوب لطيف سمى ذلك بـ « حسن الطلب » .

أما الأبيات الثلاثة الأخيرة من هذه الأبيات السبعة فتمثل لنا الصنعة المعروفة بـ « حسن المقطع » وهو أن يحمل الشاعر آخر أبيات القصيدة مستملحة مستعذبة وأن يختتمها بألفاظ فصحة ومعاني لطيفة ، لأن أقرب أبيات القصيدة إلى سمع السامع إنعاش أبياتها الأخيرة ، فإن كانت مليحة بقيت لذتها وأصبحت الأبيات السابقة ، مهما قلت جودتها أو كانت رديئة ، نسيًا منسيًا .

٦٦ — فيا مولاي . . لقد أقبلت عليك^(٢) ، وكلى أمل فيك وفي عطائك

٦٧ — وفي بحوحة عيشك يرتع الأفاضل

لأن الفاضل لا يقصد إلا فاضلا مثله

٦٨ — فإذا رزقتني وأنا في خدمتك

قلت فيك المديح كما قال « الأعشى » و « دعبل »

٦٩ — أما إذا حرمت في خدمتك ، فسأحرق قلبي وامزق أنامل

= در آید پیش او بدره چو قارون در آید پیش او سایل چو عاقل

(١) المترجم : لم أعر على نص هذا البيت بالفارسية .

(٢) المترجم : النص الفارسي لهذه الأبيات :

خداوند من اینجا آمدستم	بامید تو و امید مفضل
أفاضل نزد تو نازند هموار	که زی فاضل بود قصد أفاضل
گرم مرزوق گردانی بخدمت	هان گویم که أعشى گفت ودعبل
وگر از خدمت محروم ماندم	بسوزم کلک و بشکافم أنامل

٧٠ - وإني أدعو الله . . . مادام الدراج والقمرى يغردان

وما دام اسم العنقاء واسم الصقر مقترنان

٧١ - إن يثبت كيانتك وينير بصيرتك

وأن يطهر قلبك ويحبل حظك مقبلاً

٧٢ - وأن يهين وأنا أنظم الشعر في مدحك

قلب « بشار » وطبع « ابن مقبل »

القطعة:

هي كما يدل عليها اسمها عبارة عن قطعة من قصيدة كاملة انفصلت عنها لسبب من الأسباب ، وقد تكون أيضاً جزءاً من قصيدة لم يقدر لها أن تكمل ، كما قد تكون وحدة قائمة بذاتها أنشأها الشاعر من البداية ليصوغ فيها غرضاً من الأغراض ، فلما سحله فيها تركها على حالها ولم يفكر مطلقاً في أن يضيف إليها أبياتاً أخرى ؛ وفي كثير من الأحوال يدل أسلوب القطعة وموضوعها على أن الشاعر قصد بها منذ البداية أن تكون وحدة قائمة بذاتها .

وفيما يلي ترجمة لقطعة من قول الشاعر « الأنورى » المتوفى سنة ١١٩١ م

= ٥٨٧ هـ .

وهي تدل دلالة واضحة على أنها كاملة وأن الشاعر لم يفكر في أن يضيف إليها أبياتاً أخرى :

— قال لى أحد الأصدقاء في خفة واعتدال

عليك بالصبر . . . إذا شئت تحقيق الآمال

— وهذا هو الماء سيعود إلى النهر فتمتلئ به شطآنه

وهذه آمالك سيحققها الزمان وجريانه . . . ! !

ألا تا نام سيمرغست و طغرل
دلت پاگیزه باد و بخت مقبل
دل بشار و طبع ابن مقبل

= ألا تا بانگ دراجست و قرى
تنت پاینده باد و چشم روشن
دهاد ایزد مرا در نظم شعرت

— فنظرت إليه وقلت له : يا صاحبي . . ما الفائدة . . ؟ !
إذا عادت المياه . . وكانت الأسماك قد ماتت وأضحت هامدة^(١) . . ؟ !

الرباعي :

الرباعي عبارة عن بيتين من الشعر ومن أجل ذلك أسموه في الفارسية باسم الـ « دوييت » واعتبره البعض أربعة شطرات من الشعر ، ومن أجل ذلك أسموه بالرباعي أو الرباعية .

وقد يكون الرباعي عبارة عن بيتين مأخوذين من مطلع « قصيدة » أو « غزل » ويشترط فيه دائماً أن يكون على وزن من الأوزان الخاصة المستخرجة من « الهزج » كما يشترط فيه أن يكون وافياً بالغرض الذي أنشئ من أجله .

ولست أجد نفسي في حاجة إلى زيادة الإيضاح عن هذا الضرب من ضروب النظم فإن الترجمة الجميلة التي قام بها « فيزجرالد » لرباعيات الحيام جعلت هذا الضرب معروفاً لدينا معشر الإنجليز ؛ ومع ذلك فلي كلمة قصيرة أحب أن أدلى بها في هذه المناسبة وهي أنني لاحظت أن بعض المعجبين بترجمة « فيزجرالد » يتصورون أن الرباعيات يتصل بعضها ببعض ، بحيث تنشأ منها قصيدة واحدة ، فأود أن أؤكد لهم أن سبب « الوحدة » الظاهرة في هذه الترجمة راجع فقط إلى الترتيب الذي اختاره « فيزجرالد » للرباعيات التي انتقاها وترجمها على هذا النحو . أما هذه الرباعيات في الأصل فيجب أن تكون كل واحدة منها منفصلة عما عداها وقائمة بذاتها ونحن نجد أن شعراء الفرس لا يرتبونها في دواوينهم إلا على نحو واحد يتبعون فيه حرف القافية الأخير . ويجب أن يكون الرباعي على وزن من الأوزان المستخرجة من الهزج ، ويجب أن تتقفي مصاريحه الأول والثاني والرابع مع بعضها ، بينما يكون الصراع الثالث مقفى مع هذه المصاريح أولاً يكون كما هو الغالب والأعم .

(١) المترجم : شبه بهذا المعنى ما قاله الحيام في رباعيته التالية :

بابط ميگفت ماهیء در تب و تاب باشد که بجوی رفت باز آید آب
گفتا : چون و تو هر دو گشتیم کباب دنیا پس مرگ ما چه دریا چه سراب

وفبا يلى رباعيتان قالهما الشاعر « معزى » على البداة للسلطان السلجوقى « ملكشاه » أسوقهما مثلاً لهذا الضرب من النظم دون أن يكون لهما أهمية خاصة من الناحية الأدبية إلا فيما يتعلق بدلالاتهما التاريخية فقد تحدث الشاعر نفسه إلى صاحب كتاب « چهار مقاله » فذكر له الأسباب والظروف التى قال فيها هاتين الرباعيتين ، فقال :

« ... وفى مدينة قزوین انتقل أبى أمير الشعراء برهانى رحمه الله من عالم الفناء إلى عالم البقاء ، وكان ذلك فى أوائل أيام دولة ملكشاه . وقد سلمنى أبى إليه ووكل إليه أمر تربيته بمقتضى بيته المعروف :

من رقم وفرزند من آمد خلف صدق أوربا بخدا وبخداوند سپردم
ومعناه : إبنى ذاهب وها هو ابنى قد جاء خلف صدق لى .
فإلى الله وإليك ... يا مولاي . . . أودعه وأسلمه .

« وقد حولوا إلى مرتب أبى ، وأصبحت بعد ذلك شاعر السلطان وبقيت فى خدمته سنة كاملة ، ولكنى لم أتمكن من رؤيته إلا عن بعد ، ولم أستطع أن أحصل على شئ من مرتبى ، وازدادت نفقاتى وتقل الدين فى عنقى حتى اضطربت الأمور فى رأسى . ولم يكن الوزير « نظام الملك » رحمه الله على حظ من معرفة الشعر ، ومن أجل ذلك فإنه لم يكن ليقدره أو ليقدر قائليه من أئمة الشعراء والتصوفة .

« ... وفى اليوم السابق لشهر رمضان وجدت نفسى لأملك دافعاً واحداً من نفقات هذا الشهر أو من نفقات العيد ، فذهبت والحزن يملأ صدرى إلى الأمير علاء الدولة « على بن فرامرز » وكان صهراً للسلطان وندياً خاصاً له ، وكان أميراً حجاباً للشعراء يمتاز بالجرأة فى القول وعلو المنصب وكان يتعهدنى برعايته ، فقلت له :

« أطال الله بقاء مولاي ... إن الولد لا يستطيع أن يفعل ما فعله والده أو أن يأتى بما أتى به أبوه ، وقد كان أبى رجلاً نشيطاً جسوراً رزقه الله بصناعته رزقاً كثيراً . وكان السلطان الشهيد « ألب أرسلان » يقربه ويتعهد بهنائه . . . ولئن أستطيع أن أقوم بما قام به لأن حياتى ينعنى من ذلك ولأن طبعى العاجز يساعد على ما أتلفه من ضحك ، وقد قمت بخدمة السلطان سنة كاملة ، أصبحت مديناً فيها بألف دينار ،

لم أحصل منها على دائق واحد ، فأرجو أن تلتمس لي الإذن في العودة إلى مدينة نيسابور حتى أستطيع أن أؤدي ما على من دين وأن أعيش على ما يتيق لدى من مال ، وإنى أدعو بعد ذلك للسلطان ولدولته ألقاهره» .

«قال لي الأمير علي : لقد تحدثت صدقاً ، وقد قصرنا حقاً في شأنك ، وسيخرج السلطان عند صلاة المغرب ليرى طلعة الهلال فيجب أن تكون حاضراً معنا حتى ترى ما يصنع الحظ لك . . . » .

«ثم أمر لي بمائة دينار لأعد بها العدة لشهر الصيام ، فأحضروها لي على الفور في كيس مشتملة على مائة دينار نيسابورية ، فأخذتها ورجعت مسرور الخاطر ، وأخذت أعد العدة لشهر رمضان ، حتى إذا حانت صلاة العصر ، ذهبت إلى سراق السلطان ، فوصلت إليه في نفس اللحظة التي وصل فيها الأمير «علاء الدولة» قدمت له احتراماً . فالتفت إلي وقال : لقد أحسنت صنعاً وجئت في موعدك . . . ثم ترجل عن دابته وتوجه إلى السلطان » .

«فلما اصفرت الشمس ساعة الأصيل ، خرج السلطان من سراقه وفي يده قوس وعلى يمينه «علاء الدولة» فجريت وأديت فروض الخيمة وشمعني الأمير على بعطنه ، ثم أخذ يتطلع إلى الهلال الجديد ، وكان السلطان أول من رآه وقد سر بذلك سروراً عظيماً . عند ذلك التفت إلي الأمير علي وقال : «يا ابن البرهاني . . . قل لنا شيئاً من الشعر في هذا الهلال الجديد . . . »

فقلت علي الفور هذا الـ «دوييت» .

أي ماه چو ابروان يا رنی کوئی
یا فی چو کان شهریار کوئی
نعلی زده از زر عیاری کوئی
در گوش سپهر گوشوار کوئی

ومعناها :

— أيها الهلال . . . كأنني بك حاجب عين الحبيب .
لا . . . بل كأنني بك القوس في يد الملك المهيّب .

— أو كأنك حدوة الجواد صيغت في خالص الذهب العجيب .

أو كأنك القرط ، تدلى من أذن هذا الفلك الرهيب . . . ! !

« فلما فرغت من قول هذا الرباعي استحسنته «الأمير على» وقال لى السلطان :
« اذهب وخذ من الاسطبل الجواد الذى يعجبك » . فلما اقتربت أنا والأمير على من
الاسطبل أشار الأمير على إلى جواد خاص ، فاحضروه لنا ، وأعطوه لعلبانى ، وكان
يساوى ثلاثمائة دينار نيسابورى ، ثم ذهب السلطان إلى المصلى فضلينا معه صلاة المغرب ،
ثم جلسنا معه على مائدته ؛ فالتفت إلى الأمير على وقال : « يا ابن البرهاني ... لم تقل لنا
شيئاً من الشعر في شكر هذا التشريف الذى اختصنا به الملك . . . قل لنا على الفور
رباعية في هذا المعنى . . . » .

« فالتصت على أقدامى وأديت فروض الطاعة وقلت على البديهة هذه الرباعية :

چون آتش خاطر مرا شاه بديد
از خاك مرا بر زبر ماه ككشيد
چون آب يكي ترانه از من بشنيد
چون باد يكي مركب خاصم بخشيد

ومعناها :

— عندما رأى الملك خاطرى فوجده « كالنار » المتقدة اللامعة .

رفعى من حضيض « التراب » وجعل مقعدى على الأقمار الساطعة .

— وسمع منى لحنا جميلاً كليله الدافقة الرائعة .

فوهبى جواداً كريماً كالرياح الشديدة السرعة . . . ! !

« فلما فرغت من أداء هذه الرباعية أبدى الأمير على استحسانه الشديد لها وأمر
لى السلطان بألف دينار . عند ذلك قال علاء الدولة : إن مرتبه لم يصل إليه وسأذهب
إلى الوزير غداً فأجلس إلى جواره إلى أن يأمر له براتبه وأجره ، ويكتب بذلك
إلى « إصفهان » . فقال الملك : عليك أن تفعل ذلك فلا قدرة لأحد عليه سواك
وعليك أن تلقب هذا الشاعر بلقبى . . . » .

« وكان السلطان يتلقب بلقب « معز الدنيا والدين » فأسماني الأمير على باسم « المعزى » ولكن السلطان أبى إلا أن يسميني باسم « الأمير معزى » واختصني الأمير على برعايته ، بحيث إذا أصبح الصباح وأذن المؤذن للفجر ، وجدت أنه قد بعث إلى بمنحة تتمثل على ألف دينار ؛ وكذلك بألف دينار ومائتين من راتبي ، كما أرسل إلى بألف حمل من القمح . فلما انتهى شهر رمضان استدعاني إلى مجلسه وجعلني نديماً للسلطان . وأخذ حظي يتسبب معارج الإقبال ، وأخذ الأمير يتولاني دائماً بعطفه وعنايته . وجميع ما أمتلكه اليوم إن هو إلا من فيض كرمه وجوده ، فليزر الله قبره بأنوار رحمته وليشمه بعبق بركته . . . » .

الارتجال وأثره :

والقصة السابقة تصور لنا مقدار الأثر الذي كان ينتج في هذه العصور المبكرة من القدرة على الارتجال في الشعر وقوله على البديهة . وهناك أمثلة أخرى شبيهة بهذه القصة نجدناها مسجلة أيضاً في كتاب « چهار مقالة » ومن بينها القصة المروية عن السلطان « محمود الغزنوي » عندما أمر — وهو سكران — بقطع طرة غلامه ومعهشوقه « أياز » فلما أصبح الصباح أحس بالندم على فعلته واستولى عليه خمار الشراب حتى ساءت حاله ، فلم يستطع أحد أن يدنو منه ، حتى أنشد الشاعر « عنصرى » هذا الرباعي الذي طار له خاطره وهو :

كي عيب سر زلف بت از كاستن است
چه جای بغیم نشستن وخاستن است
جای طرب ونشاط ومی خواستن است
کاراستن سرو ز پیراستن است

ومعناها :

— متى كان في قطع طرة الحبيب ما يعيبه . . . ! !

فلماذا إذن يقعد الملك ويقوم والحزن نصيبه . . . ؟ !

— والفرصة مواتية للطرب واللهو والشراب .

لأن جمال السرو إنما يكون بتشذيبه وتهذيبه . . . ! !

وكذلك نجد أن رباعياً آخر قاله الشاعر « أزرقي » فاستطاع أن يهدي به
ثائرة مولاه الشاب الملك « طغانشاه » عندما كان يلعب الترد فأراد ستين ،
ولكنه عندما رعى بالكعبتين حصل على واحدین . وهذا الرباعي هو الآتي :

گرشاه دو شش خواست دو یک زخم افتاد
تا ظن نبری که کعبتین داد نداد
آن زخم که کرد رای شاهنشاه یاد
در خدمت شاه روی برخاک نهاد

ومعناه :

— إذا شاء الملك ستين انقلبت ضربته إلى الواحدین .

ولكيلا تظن أنه لم ينل رغبته من الكعبتين .

— فإن هذه الرمية جاءت وفقاً لرغبة الملك .

فوضعت وجهها على التراب خشوعاً حتى لا تراه رأى العين .

وإذا نظرنا إلى الرباعيتين السابقتين وجدنا أنهما يشتركان في أمرين :

أولاً : إن المصاريع الأربعة في كل منهما تجري على قافية واحدة مع أن تقفية
المصراع الثالث مع بقية المصاريع ليست مشترطة في الرباعيات .

ثانياً : إن كليهما مثل للصنعة البديعة المعروفة بـ « حسن التعليل » حيث يعلل
الشاعر حقيقة واقعة بسبب من الأسباب الخيالية الموهومة .

فلنمض الآن في دراستنا لأنواع الباقية من ضروب النظم ، وهي عبارة عن نوعين
من القصائد الموشحة يُعرفان باسم التجميع بند والتركيب بند وكذلك الأنواع المختلفة
من القصائد المركبة (كالربيع والخمس والسدس . . . الخ) والسمط والستزاد .

التجميع بند والتركيب بند :

هذان النوعان من القصائد الموشحة يشتمل كل واحد منهما على عدد من الوحدات
تكون في العادة متساوية في عدد أبياتها ، وتكون كل واحدة منها على قافية واحدة

ويفصل بين الوحدة والأخرى بيت مستقل من الشعر ليس لنا نهاية الوحدة التي سبقتها وبداية الوحدة التي تليه؛ فإذا تكرر بيت بعينه بعد نهاية كل وحدة (بند) فإن المنظومة تسمى بـ «الترجيع بند» أما إذا تكررت أبيات مختلفة بعد نهاية الوحدات وكانت هذه الأبيات متفقة القافية مع بعضها ومختلفة عن سائر الوحدات فإن المنظومة تسمى في هذه الحالة بـ «التركيب بند».

ويجب أن تجرى المنظومة من هذين النوعين على وزن واحد في جميع أبياتها. وليس في استطاعتنا أن نترجم منظومة من هذين النوعين بحيث نحافظ على قوافيها كما هي في الأصل الفارسي ولذلك سأكتفي بأن أترجم بعض الأبيات الواردة في «ترجيع بند» مشهور من نظم الشاعر «هاتف الاصفهاني» الذي عاش في نهاية القرن الثامن عشر الميلادي (نهاية الثاني عشر وبداية الثالث عشر الهجري).

(بند أول)

ای فدای تو هم دل و هم جان	وی تبار رخت هم این و هم آن
دل فدای تو چون توئی دلبر	جان تار تو چون توئی جانان
دل رهندن ز دست تو مشکل	جان فشاندن پیای تو آسان
راه وصل تو راه پر آسیب	درد عشق تو درد بی درمان
بندگانیم جان و دل در کف	چشم بر حکم و گوش بر فرمان
گر سر صلح داری اینک دل	ور سر جنگ داری اینک جان

الخ

که یکی هست و هیچ نیست جز او
و حله لا إله إلا هو

(بند دوم)

از تو ایدوست نگلم پیوند و ر به تیغم برند بند از بند
الحق ارزان بود ز ما صد جان و ز دهان تو شیم شکر خند

ای پدر پند کم ده از عشقم که نخواهد شد اهل این فرزند
پند آنان دهند خلق ای کاش که ز عشق تو میهنم پند
من ره سکوی عافیت. دا نم چکنم کاوخته ام بکنند
الح

که یکی هست و هیچ نیست جز او
وحده لا إله إلا هو

ومعنى هذه الآيات :

- يا من فداء لك القلب والروح . . ويا من يكون تاراً في سبيلك جميع ما نملك .
- والقلب فداؤك لأنك تسبي القلوب ، والروح تار لك لأنك محبوب الروح .
- ومن الصعب تخليص القلب من قبضتك ، ولكن من السهل التضحية بالروح تحت قدمك .
- وطريق وصالك طريق مشحون بالأذى ، وداء عشقك داء لا دواء له .
- ونحن عبيد . . أرواحنا وقلوبنا في كفك ، وعيوننا تنتظر حكمك وآذانتنا تنتظر أمرك .
- فإذا كانت لك رغبته في الصالحة فهذه قلوبنا ، وإذا كانت لك رغبة في المحاربة فهذه هي أرواحنا .
- الح

— وانه واحد، ولا يوجد إلاه
وحده لا إله إلا الله

- ولن أستطيع . . يا صديقي . . أن أخلف عهدي معك . . ولو قطعوا أوصالي بالنصال والسيوف .
- وفي الحقيقة أن آلاف الأرواح لترخص أمام ابتسامة صغيرة حلوة من شرك .
- فيا أبتى . . أقصر نصحي عن العشق . . فلن يكون ولدك أهلاً له .
- وبأيت الخلق . . . ياربى . . ينصحون ويزجرون من نصحنى ويزجرنى فى حبك .
- وإني لأعلم طريق العافية ، ولكن ماذا أصنع وقد وقعت فى فخك .
- الح

وإنه واحد ، ولا يوجد إله
 وحده لا إله إلا الله

وهذه المنظومة تشتمل في الأصل على ست وحدات يفصل بين الواحدة منها والأخرى بيت يتكرر بينه والمنظومة برمتها (بما في ذلك البيت الذي يرجع خمس مرات) تبلغ ١٤٨ بيتاً مقسمة على هذا النحو :

الوحدة الأولى =	٢٣ بيتاً +	بيت الترجيع
الوحدة الثانية =	١٣ +	بيت الترجيع
الوحدة الثالثة =	١٧ +	بيت الترجيع
الوحدة الرابعة =	١٥ +	بيت الترجيع
الوحدة الخامسة =	١٨ +	بيت الترجيع
الوحدة السادسة =	٥٧ بيتاً	

ولو أن الشاعر أتى في نهاية الوحدة الثانية بيت من الشعر مختلف في قافيته عن البيت الوارد في نهاية الوحدة الأولى وكان مصراعه على قافية واحدة لأصبحت هذه المنظومة من نوع الـ «تركيب بند» (١) . ويجب ألا يغيب عن بالنا إن كل « وحدة » تبدأ بمطلع يكون موحد القافية بين مصراعيه .

المسقط :

يقول « روكرت » أن المسقط عبارة عن مصطلح عام يشمل جميع أنواع القصائد المركبة ؛ ولكن « رشيد الدين الوطواط » يجعله شبيهاً بما عرف لدى المغاربة باسم « الموشع » حيث يقسم الشاعر قصيدته إلى أجزاء أو أشطر تنفق أوائلها في الروى وأما أواخرها فتكون موافقة لنظائرها في القصيدة كلها ومثاله قول الحريري في القامات (٢) :

(١) الأبيات التي تأتي بعد الوحدات في التركيب بند يجب أن يكون مصراعاً كل بيت منها على قافية واحدة ، ويجوز أحياناً أن تكون هذه الأبيات جميعها على قافية واحدة .
 (٢) المترجم : المثل الأصلي الذي أورده « براون » عبارة عن ترجمة أربعة أبيات من قصيدة للشاعرة البائية « قرة العين » ولم اعثر على أصلها الفارسي فاخترت المثاني الذين أوردها رشيد الدين في كتابه « حقائق السحر في دقائق الشعر » وقد ترجمنا هذا الكتاب إلى العربية ونشرناه في سنة ١٩٤٥ .

خل إذكر الأربع والمعهد المرتبع والظاعن المودع وعد منه ودع
وأندب زمانا سلفاً سودت فيه الصحفا ولم تزل معتكفاً على القبيح الشنع
كم ليلة أودعتها مآتماً أبدعتها شهوة أطعتها في مرقد ومضجع
ومثاله من الشعر الفارسي قول أمير الشعراء « معزى » :

ای ساریان منزل مکن جز بر دیار یار من
تایک زمان زاری کنم بر ربع واطلال ودمن
ربع از دم پر خون کنم اطلال را جیحون کنم
خاک دمن گلگون کنم از آب چشم خویشن
کز روتی یار خرگهی ایوان همی بینم تعی
واز قد آن سرو سهی خالی همی بینم چمن
ومعناه :

— أیها الحادی لا تنزل إلا بديار الحبيب حتى أتمكن من البكاء لحظة على الربع
والأطلال والدمن .

— فاملاً الربع بدماء قلبي ، وأجعل الأطلال نهراً جارفاً ، وأجعل التراب أحمر
اللون ، بدموع عيني .

— فقد خلا إلا يوان كما أرى من وجه حبيبي ، وخلا البستان من قدمه القارع المديد
ويظهر أن « منوچهری » كان أكثر الشعراء المتقدمين غراماً بالمسمط كما أن
« میرزا داوری شیرازی » كان أكثر الشعراء المتأخرين إحياء له (۱) .

وللتمثيل على الصيغة العادية المسمط ، اكتفى بإيراد البذنتين الآتين من مسمط
لم ينشر للشاعر « داوری » .

أی بچه عرب صبحك الله بخيرا صبح است صبحی بده آن ساغری را
زان می که بقطب ار بدهی جرعه ویرا بیات بساید سر اکیلی جدی را
کردند بناتش بقدا چون تو بی را
چون چرخ زنی کرد خم باده جدی وار

(۱) المترجم : من شعراء القرن التاسع عشر الميلادي .

گر نیست ترا باده یکی شیشه بپرکش بر خیز و عبا را عربی وار بسرکش
همچو عربان دامن خود تا بگرکش یکست عبا شیشه بدان دست دگرکش
با دامن تر منت از آن دامن ترکش
وز خانه برو تا بدر خانه خمار

ومعنى هذه الآيات :

- يافى العرب . صبحك الله بالخير . إنه الصباخ ، فاعطني الصبح ، وناولني كأس الخمر
- من هذه الخمر التي لو أعطيت جرعة منها لقطب من الأقطاب لألقى بك إلى مدار الجدى
- ولقد تفتديك بناته . . أيها البنى . . حينما ترقص وتدور حول دن الشراب كما يدور الفلك .
- وإذا لم تنهأ لك الخمر ، فاضمم الزجاجة إلى صدرك ، ثم انهض وارفع العبادة على رأسك كما يفعل العربي .
- ثم اربط حافة ثوبك على وسطك ، كما يفعل العرب ، وامسك بإحدى يديك العبادة وبالأخرى الزجاجة .
- وقم الشكر وحافة ثوبك مبلة بالخمر ، ثم أمض عن منزلك واذهب إلى حانوت الخمار .
- وقافية هذا النوع من المسمط ، وهو أكثر أنواع المسمطات جريانا ، يمكن تصويرها على النحو الآتي :

ا ، ا ، ا ، ا ، ا ، س
ب ، ب ، ب ، ب ، ب ، س
ج ، ج ، ج ، ج ، ج ، س
الح

وهناك نوع آخر من المسمطات جعله « منوچهری » يشتمل على وحدات كل منها تشتمل على ستة مصاريع مقفاة على هذا النحو :

ا ، ا ، ا ، ا ، ا ، ا
ب ، ب ، ب ، ب ، ب ، ب
ج ، ج ، ج ، ج ، ج ، ج
الح

والنوع الأول من هذين النوعين الأخيرين شبيه بالخمسات تماماً ولا يفترق عنها إلا في كون الوحدة الأولى من الخمسات تتألف من خمسة مصاريع مقفاة مع بعضها ثم تختلف القافية بعد ذلك في سائر المصاريع ماعدا في المصراع العاشر والخامس عشر والعشرين والخامس والعشرين ... الخ فإنها تكون متفقة مع قافية الوحدة الأولى . والمنظومة « المركبة » يكون أساسها في الغالب « غزلاً » من الغزليات ، ثم خذ الشاعر فيضيف إلى كل بيت منه مصراعين ليصنع منه « مربعاً » ... أو ثلاثة مصاريع ليصنع منه « محمّساً » ... أو أربعة ليخرج منه مسدساً ... وهكذا دواليك .
ومثال الخمس قول حافظ الشيرازي (١) :

در عشق تو ای صنم چنانم
کز هستی خویش در گمانم
هر چند که زار و نا توانم
گر دست دهد هزار جانم
در پای مبارکت فشانم

کوبخت که از سر نیازی
در حضرت چون تو دلنوازی
معروض کنم نهفته رازی
هیهات که چون تو شاهبازی
تشرف دهد بآشیانم
الخ

و « المسدس » و « المسبع » و « الثمن » وسائر أنواع المنظومات المركبة تجري على هذا النسق ولا حاجة بنا إلى سوق أمثلة لها .

المستزاد :

أما المستزاد فعبارة عن « رباعية » أو « غزلية » أو « قصيدة » يزداد بعد نهاية كل

(١) المترجم : مثل « براون » للربيع والخمس بمثلين باللغة الإنجليزية صاغهما ترجمة لقصيدة منوچهری التي سبق ذكرها في هامش ص (٤٢ - ٤٧) ولم نر وجهاً لذكرها .

مصراع من مصاريحها زائدة موزونة لا يستلزمها المعنى أو الوزن؛ وهذه الزوائد تنفي مع بعضها ويكون معناها متصلاً بحيث يمكن اعتبارها قصيدة منفصلة قائمة بذاتها: [والحريري في مقاماته قصيدة ربما أمكن أن يقال عنها إنها كانت محاولة للنظم على هذا الأسلوب في الشعر العربي (١)]:

يا خاطب الدنيا الدنية . . . إنها شرك الردى . . . وقرارة الأكدار
دار مق ما أضحكت . . . في يومها أبكت غداً . . . يا لؤمها من دار
[الخ . . .]

ويجب ملاحظة أن معنى القصيدة وكذلك قافيتها تتوافران بغير الزيادة، وإنه ليس من الضروري أن تبنى القصائد المركبة أو المستزادة على منظومة أخرى سابقة، فلقد أنشئت بعض القصائد أساساً في ضرب أو آخر من هذه الضروب.

أقسام الشعر بحسب موضوعاته:

بالإضافة إلى التقسيم السابق الذى تناول الشعر بحسب ضروبه هنالك تقسيم آخر يتناوله بحسب موضوعه. ويتصل هذا التقسيم بالقصيدة أكثر مما يتصل بغيرها من ضروب النظم المختلفة التى رأيناها، وربما انطبق أيضاً على القطعة و « المتنوبة » . وعلى ذلك يمكن تقسيم القصيدة بحسب موضوعها إلى الأقسام الآتية:

- (أ) مدح — إذا قصد منها المدح .
- (ب) هجويه — إذا قصد منها الهجاء .
- (ج) مرثيه — إذا قصد منها الرثاء .
- (د) حكيه — إذا قصد منها الفلسفة والحكمة والتصوف .
- (هـ) ريعيه — إذا قصد بها وصف الربيع .
- (و) شتائية — إذا قصد بها وصف الشتاء .
- (ز) خزانيه — إذا قصد بها وصف الخريف .

(١) المترجم: أورد المؤلف مثلاً للمستزاد بالإنجليزية ترجمة القصيدة السابقة ولكننا وجدنا من الغير للقارىء العربى أن نستشهد بالمثل الذى أوردناه .

(ح) مناظره — إذا قصد منها المناظرة كمنظرات « أسدى » بين « الليل والنهار » أو بين « الرمح والقوس » أو بين « المجوسى والمسلم » أو بين « الأرض والسماء » .

(ط) السؤال والجواب — إذا نظمت القصيدة على طريق محادثة بصورة السؤال والجواب .

وقد يتبع الشاعر طريقه « السؤال والجواب » فى الغزليات ، كما قد يتبع طرقاً أخرى ربما كان أهمها « التلصيح » . . . والشعر الملصق عبارة عن المنظومة التى تصاغ بعض أبياتها أو مصاريحها بالعربية وبعضها الآخر بالفارسية أو أية لهجة أخرى من اللهجات الإيرانية .

ولدينا نوع آخر من المنظومات يعرف باسم « الفهلويات » أنشأه الشعراء فى لهجة من اللهجات الإيرانية الخاصة واستمروا يستعملونه حتى القرن الثالث عشر الميلادى ، ثم قل استعمالهم له بعد ذلك .

يبقى بعد ذلك أنواع أخرى من الشعر أهمها :

(أ) الموشح^(١) (ب) الغز

(ج) المعنى (د) النظرية : وهى المنظومة التى يصوغها الشاعر قياساً على قصيدة أخرى أو تقليداً لها .

(هـ) التضمين : وهو أن يضمن الشاعر فى منظومته قصيدة أخرى ليست من شعره .

والمثل الوحيد الذى أذكره لهذا النوع الأخير فى اللغة الإنجليزية منحصر فى القصيدة التى كتبها « لويس كارول Lewis Carroll » فى كتابه Phantasmagoria الذى أعيد نشره بعنوان Rhyme and Reason فقد ضمن فيها أبيات القصيدة المشهورة التى مطلعها « I never loved a dear gazelle » وإليك الأبيات الأولى من قصيدته :

(١) الموشح العربى الذى كثر استعماله لدى أهل الأندلس والغرب يشبه المسطرات الفارسية ولكنه يختلف عن الموشح الفارسى .
المرجم : انظر تعريف التوشيح لدى الفرس فى ترجمتى العربية لحقائق السحر ص ١٦٠ .

I never loved a dear gazelle,
Nor anything that cost me much :
High prices profit those who sell,
But why should I be fond of such .. ?

الشعر الخليط :

ويجب ألا ننسى الإشارة إلى « الشعر الخليط macaronic verse » وهو الذي يستعمل فيه الشاعر ألفاظاً فارسية ويعاملها معاملة الألفاظ العربية^(١)، وأمثلة هذا الشعر موجودة في أشعار الشيخ « سعدى » ولكن خير مثل لها موجود في كتاب ابن أسفنديار المسمى « تاريخ طبرستان » (مؤلف حوالي سنة ١٢١٦ م = ٦١٣ هـ) ففيه قصيدة طويلة مكونة من أربعة وسبعين بيتاً من هذا النوع من الشعر كتبها القاضي « هشام » في هجاء واحد من معاصريه . وقد أعدت نشر هذه القصيدة في ص ٨١ — ٨٥ من ترجمتي الإنجليزية المختصرة لكتاب تاريخ طبرستان التي نشرتها في سنة ١٩٠٥ في « سلسلة جب التذكارية » .

ومطلع هذه القصيدة كما يلي :

أى بفرهنگ و علم دارا ءُ ليس مارا بجز تو همتاءُ
منم و تو که لا حیا لنا هزل را کرده ایم اَحیاءُ
وخیر أمثلة للشعر الخليط في اللغات الأوروبية منحصر في مثلين :

الأول : القصيدة التي عنوانها Macaronicorum Poema التي نشرها في سنة ١٥٢٩ م الشاعر « مرلينوس كوكايوس : Merlinus Coccaius » .

الثاني : القصيدة التي عنوانها Polemo — Meddinia وهي من نظم « وليم درموند William Drammond » ونشرت في كسفورد في أكتوبر سنة ١٦٩١ م^(٢) . وهناك مصطلحات أخرى يستعملونها في تسمية الأشعار بالنظر إلى موضوعها

(١) المترجم : ضرب المؤلف هنا مثلين في الإنجليزية عوملت فيها بعض الألفاظ الإنجليزية معاملة الألفاظ اللاتينية ولم نر وجهاً لذكرها .
(٢) المترجم : أورد المؤلف نبذة من القصيدة الأخيرة لم نر حاجة إلى إيرادها نصها .

فهناك « الكفريات » وهى القصائد التى تتعلق بالإلحاد والمروق من الدين ، وهناك « الخمرات » وهى التى تتعلق بالخمر ومجالس الشراب . . . وهناك أنواع أخرى كثيرة لا نجد أنفسنا فى حاجة إلى تعدادها لأنه لا يمكن ذكرها على وجه التحديد ولأنه لا خفاء فى معرفة موضوعها من التسميات التى أعطيت لها .

وفى عدا ما ذكرناه ، هناك جملة كبيرة من الصناعات البلاغية التى يستعملها كتاب النثر المنعق والشعر المصنوع ؛ ومن الواجب على كل من يريد أن يدرك طبيعة الكتابات الأدبية فى الفارسية أو العربية أو التركية أن يلم بها ولو إلى المامة بسيطة حتى يتذوق هذه الكتابات ويستفيد منها . وكثير من هذه الصناعات لا تعرف فى الإنجليزية الآن ولكن جماعة من كتاب القرن السادس عشر كانوا يستعملونها بكثرة ويهتمون بها اهتماماً كبيراً ، ومن أحسن أمثلتها ما كتبه « جورج پتنبام : George Pattenham » عن « فن الشعر الإنجليزى » *Arte of English Poetrie* ونشره فى سنة ١٥٨٩ م ثم أعيد طبعه فى سنة ١٨٦٩ وأغلب أنواع « التجنيس » يمكن الاطلاع على شواهدنا فى كتابات « توم هود Tom Hood » وفى *Ingoldsby Legends* وما شابه ذلك من الكتب .

قصيدة قوامى الكنجوى:

وفى الفارسية قصيدة مصنعة تضم أهم أنواع الصناعات البلاغية التى استعملها البلاغيون والشعراء^(١) . وهذه القصيدة من إنشاء الشاعر « قوامى الكنجوى » شقيق الشاعر المشهور « نظامى الكنجوى »^(٢) وهو من رجال القرن الثانى عشر الميلادى (أى السادس الهجرى) وقد ضمنها مائة بيت مذكورة برمتها فى الجزء الأول من كتاب « ضياء باشا » المعروف باسم « خرابات » ص ١٩٨ — ٢٠١ وفى بلى نص هذه القصيدة أورده بيتاً بيتاً مع ترجمة مثورة له وشرح يبين كنه الصناعة البلاغية التى تقصد به .

(١) الترجمة : تعرف هذه القصيدة فى الكتب الفارسية باسم « بدايع الأسفار فى صنایع الأشعار » .

(٢) الترجمة : هنا هو القول المشهور ولكن هناك من يشك فى صحة هذا النسب .

١ — أى فلك را هواى قدر تو بار وى ملك را ثناى صدر تو كار

ومعناه : يا من يكون هوى قدرك هو الحمل العسير للفلك .

ويا من يكون الثناء على فضلك هو الشغل للملك

فهذا البيت يتضمن صفتين معروفتين إحداهما تعرف بـ « حسن المطلع » وتكون كما يقول « جلادين » بأن يجتهد الشاعر في أن يجعل أول بيت من منظومته مطبوعاً بحيث تتراح الأذان لسماعه وتنشط الطباع لإدراكه ؛ وأما الصنعة الأخرى فهي « الترصيع » ومعناه اللغوى وضع الجواهر في الذهب ومعناه البلاغى أن يقسم الكاتب أو الشاعر عبارته إلى أقسام منفصلة ثم يجعل كل لفظ منها في مقابل لفظ آخر يتفق معه في الوزن وحرف الروى وفيما يلي مثال بالإنجليزية له :

O Love who liest on my breast so light,
O dove who fliest to thy nest at night !

ومثال باللاتينية هو كما يلي (١) :

Quos anguis tristi diro cum vulnere stravit
Hos sanguis Christi miro tam munere lavit

[والترصيع في البيت الفارسي ظاهر في الألفاظ المتفقة في الوزن والروى وهي « فلك » و « ملك » و « هواى » و « ثناى » و « قدر » و « صدر » و « بار » و « كار » .]

٢ — تير چرخت ز مهر ديدنه سپر تير چرخت ز مهر ديدنه سپار

معناه : إن سهم قوسك يرى في البهاء درعا

ونجم المشتري جباخيك يثبت عينه عليك

في هذا البيت أيضاً صفتان هما « الترصيع » الذى سبق لنا ذكره وكذلك « التجنيس » . والتجنيس على سبعة أقسام كلها ممثلة في هذا البيت والآيات الستة التالية . أما الألفاظ التى تمثل النوع الأول من التجنيس التام في هذا البيت فهي متشابهة من حيث الهجاء والنقط والنطق . فكلمة « تير » تكون بمعنى كوكب المشتري كما تكون أيضاً بمعنى « السهم » وكذلك كلمة « چرخ » تكون بمعنى

(١) أنظر ص ١٠١ من كتاب : Morgan's 'Macaronic Poetry', New York 1872

الفلك كما تكون بمعنى « القوس » وكذلك كلمة « مهر » تكون بمعنى الشمس كما تكون بمعنى الحب وكذلك كلمة « ديد » تكون بمعنى « رأى » أو تكون بمعنى « العين » وكذلك كلمة « سپر » تكون بمعنى الدرع أو تكون « سيار » وهى المادة الأصلية من المصدر « سپردن » بمعنى أن يودع وكلمة « ديد سيار » فى نهاية البيت صفة مركبة بمعنى يودع العين أو « يثبت البصر ».

٣ — جود را برده از ميانه ميان بخل را داده از كناره كنار ومعناه : ولقد احتضنت الجود ، فأخذته من وسط الجميع وطرحت البخل جانباً ، فانتحى إلى ناحية

والتجنيس الذى يمثله هذا البيت هو من النوع الثالث الذى يعرف باسم « التجنيس الزائد » وله مثل آخر فى البيت الخامس وقد سمي كذلك لأن الكلمتين تتجانسان فى الحروف والحركات ولكن إحداها تنتهى بحرف زائد كما نجد فى « ميان » و « ميانه » وفى « كنار » و « كناره ^(١) » .

٤ — ساعد ملك ورخش دولت را تو سوارى وهمت تو سوار ومعناه : وعلى ساعد الملك ، وعلى جواد الحظ والإقبال ^(٢) أنت السوار ، وهمتك هى الراكب الفارس (السوارى)

فى هذا البيت مثل للنوع الثانى من التجنيس وهو « التجنيس الناقص » حيث تتفق الحروف فى الكلمات المتشابهة ولكنها تختلف فى الحركات ^(٣) .
[شاهده كلمة « سوار » بكسر السين تكون بمعنى ما يلبس على المعصم . وأما كلمة « سَوار » بفتح السين فمعناها الراكب أو الفارس] .

٥ — پست با رفعت تو خانه خان تنگ با فسحت تو شارع شار ومعناه : وبالقيناس إلى رفعتك يكون قصر « الخان » حقيراً

(٢) المترجم : أورد المؤلف مثلاً بالإنجليزية للتجنيس الزائد لم تر حاجة إلى إيراد .
(٣) المترجم : ترجمنا كلمة « رخس » بمعنى جواد لأن جواد رسم البطل الإيرانى عرف بهذه التسمية .
(٣) المترجم : أورد المؤلف مثلاً بالإنجليزية للتجنيس الناقص لم نردعياً لإيراده .

٩ — از تو بيار ظلم را دارو و ز تو أعدای ملك را تيار
ومعناه : وبك يكون الشفاء لمن أصابه الظلم

وبك يكون الكفاء لأعداء الملك والدولة

والتجنيس هنا هو من نوع « تجنيس الخط » فكلمة « بيار » تشابه في الكتابة
كلمة « تيار » ولا تختلف عنها إلا من حيث الأفعال أى النقط .

١٠ — جز غبار نبرد تو نبرد ديدم عقل سرمه ديدار
ومعناه : ولن تكتحل عين العقل إلا بغبار حروبك وستحل منه الكحل لبصيرتها
فهنا مثل للاستعارة في قوله « ديدم عقل » أى عين العقل بمعنى العقل البصير
أو المدرك للأشياء كأنه يراها .

١١ — در كل شرم يافت بى گل تو شانه چرخ ماه آيينه دار
ولست أعرف معنى لهذا البيت وربما كان نضه مضطربا ولكن الشاعر يتمثل
به للصنعة المعروفة بـ « مراعاة النظير » أو « التناصب » وتكون بأن يجمع الشاعر
في بيت من أبياته جملة أشياء من جنس واحد كالشمس والقمر ، والسهم والفتوس ،
والشفة والعين ، والوردة وزهرة اللعل (١) .

[ومراعاة النظير هنا واضحة في ذكر أشياء متشابهة مثل « چرخ » و « ماه »
وشانه وآيينه] .

١٢ — آن كند كوشش تو با أعدا كه كند بخشش تو با دینار

ومعناه : وسعيك يفعل بالأعداء والخصوم

ما يفعله جودك بالدنانير والدراهم .

فهنا مثل « للمدح الوجه » فالشاعر يريد أن يمدح شجاعة ممدوحه في مواقع
القتال والزال فيقول له إن شجاعتك تودى بأرواح الأعداء كما يذهب جودك
بالدراهم والدنانير .

(١) المترجم : حذف المثل الإنجليزي الذى أورده المؤلف لهذه الصنعة .

١٣ — باهوى تو كفر باشد دين بى رضای تو غر باشد عار
 هذا البيت يمثل لنا « المحتمل للوجهين » أى ما يمكن تفسيره على معنيين
 متضادين . ولما كان معنى هذا البيت يتوقف على تحديد الفاعل والمفعول فإنه يمكن
 ترجمته بإحدى هاتين الترجمتين :

(أ) وبهواك يكون الكفر ديناً ، وبغير رضاك يكون الفخر عاراً

(ب) وبهواك يكون الدين كفراً ، وبغير رضاك يكون العار غفراً

ويرى « پتتهام Puttenham » فى كتابه « فن الشعر الإنجليزى » ص ٢٦٦
 أن هذه الصفة تعتبر من عيوب الأسلوب إلا إذا كانت متعمدة كما يفعل الشرقيون
 عادة عندما يريدون المدح ظاهراً ويقصدون فى الحقيقة القدح والهجاء . ولقد ذكر
 مورير Morier فى كتابه « حاجى بابا » حديثاً ورد على لسان الشاعر « عسكر »
 قال فيه « فكتبت قصيدة جعلتها على وجهين انتقمت فيها لنفسى مما لاقته من صاحب
 الخزانة من سوء معاملة وكذلك حرصت على أن تكون على ظاهرها مبدية لمخاتنه
 ومفاخره فكانت برمتها من ذات العنين ، ولقد اعتقد لجهله أننى قصدت المدح بينما
 أنا فى الحقيقة لم أقصد إلا القدح ، وظن أننى أعنى بالكلمات العربية الفخمة كثيراً من
 الحمد والثناء ، بينما هى فى نفسها لا تشتمل إلا على أشد عبارات الفحش والهجاء .
 ولقد أخفيت المعانى التى أردتها بحيث لم يكن أحد يستطيع الوصول إليها بغير
 مساعدتى له بالشرح والبيان . . »

ولقد روى « رشيد الدين الوطواط » فى كتابه « حقائق السحر » حكاية عن
 أحد الظرفاء من أهل الفضل قال لحائك ثياب اسمه « عمرو » كانت له عين واحدة :
 « لو أنك استطعت أن تحيك لى ثوبا بحيث لا يقدر أحد أن يتبين إن كان قباء
 أو جبة فإننى سأقول فىك بيتاً لا يستطيع أحد أن يتبين منه إن كان مدحاً أو هجاء . »
 فإك له « عمرو » هذا الثوب ، وقال الشاعر فيه هذا البيت :

خاط لى عمرو قبا ليت عنيه سوا

فى هذا البيت تمنى الشاعر لو كانت عينا عمرو سواء وليس يعلم أحد أيريدها

سواء في الأبصار أم في عدم الإبصار . . . لأن الشطرة الأخيرة تحتل المعنيين (١) .

١٤ — هست رايت زمانه راعادل ليك دستت خزانه را غدار
ومعناه : ورأيك هو الحكم العادل للزمان ،
لكن يدك غدارة بالخزانة ليس لها أمان .

هذا البيت يمثل لنا الصنعة المعروفة بـ « تأكيد المدح بما يشبه الذم » لأن
المصراع الثاني يفيد تأكيداً للمدح الذي ذكر في المصراع الأول وما غدر يده
بالخزائن إلا دليلاً جديداً على كرمه وسخائه وعدله .

١٥ — فلك افزون ز تو ندارد كس اى فلك نيك كير ونيكش دار
ومعناه : والفلك لا يرفع أحداً أكثر من رفعتك
فتمسك به أيها الفلك . . . واحفظه في هناء

هذا البيت يمثل لنا صنعة « الالتفات » وهي عبارة عن انتقال الخطاب من
شخص إلى آخر ، وتكون بانتقال العبارة من المخاطبة إلى المغاية أو من المغاية
إلى المخاطبة . وقد ذكر جلاويون أمثلة كل نوع في كتابه « البلاغة لدى الفرس »
ص ٥٦ — ٥٨ (٢) .

١٦ — بخت سوى درت خزان آيد راست چون بت پرست سوى بهار
ومعناه : والحظ يزحف إلى بابك .
كما يفعل عابد الأصنام نحو معبد النهار .

هذا البيت يتضمن الصنعة المعروفة بـ « الإيهام » وتكون بأن يذكر الكاتب
أو الشاعر في ثره أو نظمه ألفاظاً يكون لها معنيان أحدهما قريب والآخر بعيد ،
فإذا سمعها السامع انصرف خاطره إلى المعنى القريب بينما يكون المراد منها هو المعنى
البعيد أو الغريب .

(١) المترجم : حذف المثل الإنجليزي الذي أورده المؤلف لهذه الصنعة . .

(٢) المترجم : هذه الأمثلة موجودة في كتاب « حقائق السحر » لرشيد الدين الوطواط
ويمكن الإطلاع عليها في الأصل الفارسي أو في الترجمة العربية التي نصرتها في سنة ١٩٤٥
لهذا الكتاب .

والإيهام هنا موجود في كلمة «خزان» فمعناها القريب هو «الحريف» ومعناها البعيد هو «زاحف» وكذلك في كلمة «بهار» فمعناها القريب هو «الرياح» ومعناها البعيد عبارة عن معبد من معابد الأصنام في آسيا الوسطى انتسبت إليه أسرة البرامكة المشهورة .

وقارئ هذا البيت ينصرف ذهنه لأول وهلة إلى المعنى القريب لهاتين الكلمتين ولكن الشاعر في الحقيقة لم يقصد إلا المعنى الآخر البعيد (١) .

والآيات الثمانية التالية أوردتها جملة لأن كل واحد منها شاهد على نوع من أنواع «التشبيهات» المختلفة التي تبلغ ثمانية أنواع ، هي الآتية بحسب ترتيب الآيات :

(أ) التشبيه المطلق	(ب) تشبيه التفضيل	(ج) تشبيه التأكيد
(د) التشبيه المشروط	(هـ) تشبيه الإضمار	(و) تشبيه التسوية
(ز) تشبيه الكناية	(ح) تشبيه العكس	

ولسنا في حاجة إلى بيان كل نوع من هذه الأنواع فإن تسمياتها تكفي لإيضاح مدلولاتها . وفيما يلي الآيات الثمانية التي تمثلها :

١٧ — تیغ تو همچو آفتاب بنور	سیر دارد زمانه را ز نگار
١٨ — چرخ وماهی نه نیستی تواز آنک	نیست این هر دورا قوام وقرار
١٩ — بلکه از تست چرخ را تمکین	بلکه از تست ماه را اظهار
٢٠ — ماهی ار ماه ناورد کاهش	چرخي ار چرخ نشکند زهار
٢١ — گرتو چرخي عدو چراست نگون	ورتو ماهی عدو چراست نزار
٢٢ — جای خست چو جای تست رفیع	آن تو تخت وان خست دار
٢٣ — چون تو در روز شب کنی پیدا	چون تواز خار گل کنی دیدار
٢٤ — شام گردد چو صبح سرخ لباس	صبح گردد چو شام تیره شعار
- ومعنى هذه الآيات :

— وسيفك كالشمس النيرة يجعل الزمان مليئاً بالجمال والبهاء .

(١) المترجم : حذف هنا مثليين بالإنجليزية أوردتها المؤلف للتمثيل على هذه الصنعة في لنته .

- وأنت الفلك والقمر ، لا بل لست كذلك ، لأن كلاهما لا قوام له ولا قرار .
- بل الفلك يستمد تمكينه منك وكذلك القمر يستمد بهاءه من طلعتك .
- وأنت القمر لو استطاع القمر ألا يصيبه نقصان ، وأنت الفلك لو استطاع الفلك ألا يكسر وعده .

- وإذا كنت الفلك فلماذا عدوك هو المقلوب ، وإذا كنت القمر فلماذا عدوك هو الهزبل الآخذ في النقصان .
- ومكان عدوك رفيع كمكانك ، ولكن مكانك هو العرش ، ومكانه هو المشقة .
- وعندما تجعل النهار يبدو كالليل ، وعندما تجعل الورد يبدو من الأشواك^(١) .
- يصبح المساء كأنه الصبح قد احمر لبسه ، ويعسى الصباح كأنه المساء قد أظلم شعاره .

والصنعة التالية تعرف بـ « سياقة الأعداد » وفيها يسوق الكاتب أو الشاعر عدداً من الأسماء المفردة على نسق واحد بحيث يكون كل واحد منها له معنى قائم بذاته ويكون كذلك تعليلاً لشيء آخر كما يبدو من البيت الآتي :

- ٢٥ — دست برد است گاه عرض هنر بسخا و وفا وعدل و يسار
ومعناه : وقد فاز في وقت غرض الفضل
بالسخاء والوفاء والعدل واليسار

- ٢٦ — نورت از مهر ، لطفت از ناهید برت از ابر ، جودت از کوهسار
ومعناه : ونورك من نور الشمس ولطفك من لطف « الزهرة »
وبرك من بر السحاب وجودك من فيض الجبال

هذا البيت فيه تمثيل لصنعة « تنسيق الصفات » عندما يذكر الشاعر شيئاً بجملة أسماء أو جملة صفات متوالية دون أن يراعى فيها الترتيب أو التنظيم .

(١) جعل النهار يبدو كالليل كناية عن الظلام الذي يصيب النهار بسبب ما يرتفع في الحركة من غبار قائم يججب ضياء الشمس ، وجعل الورد يبدو من الأشواك كناية عن أهدار دم الأعداء بأطراف الرماح والسيوف .

والآيات الثلاثة التالية تمثل لنا صناعة « الحشو » التي تكون بإضافة كلمات لا يستلزمها المعنى؛ والحشو أما « قبيح » إذا كان اللفظ الزائد لا محل له بحيث يفسد البيت بوجوده ؛ وإما « مليح » إذا حسن به الكلام وازداد روثقه ؛ وإما « متوسط » إذا تساوى ذكر اللفظة الزائدة وعدم ذكرها فلا تكون مستقبحة غاية القبح ولا مستحسنة غاية الاستحسان .

٢٧ - الحشو القبيح :

قهرت ار مجتهد شود يرد آسمان را بسخره ويگار

٢٨ - الحشو المتوسط :

ليك لطف تو ای هابیون رای بلطف دُر بر آورد ز بحار

٢٩ - الحشو المليح :

باغ عممرت كه تازه باد مدام چشم بد دور روضه ايست يار
ومعنى هذه الآيات :

— وقهرك إذا سعى ، فإنه يحمل السماء على أن تكون مسخرة لك وخاضعة .
— ولكن لطفك - يا صاحب الرأي الملكي - يستطيع أن يجلب الدرر من البحار .

— وبستان عمرك ، وإنى أدعوك بالنضرة على الدوام ، هوروضة مشعرة ،
أدعو الله أن يبعد عنها عين المسود .

والبيت التالى يمثل الصنعة المعروفة بـ « الاشتقاق » أو على الأصح « شبه الاشتقاق » وهى فى الحقيقة نوع من « التجنيس » تبدو فيه الألفاظ كأنها مشتقة من أصل واحد ولكنها فى الحقيقة ليست كذلك :

٣٠ - روزكوشش چوزيران آرى آن قدر يكر قضا يگار

ومعناه :

وقى يوم الجهاد عندما تركب جوادك

فلك صورة القدر وتصميم القضاء

هنا نجد أن كلمة « يكر » وكلمة « يگار » تبدوان كأنهما من أصل واحد ولكنهما ليستا في الحقيقة كذلك ، والأولى بمعنى «صورة» والثانية بمعنى «عزم» أو «تصميم»^(١) .

والآيات الثلاثة التالية تمثل لنا أنواع « السجع » التي تسمى على التوالي :

- (أ) السجع المتوازي : حيث تتفق الكلمات في الوزن وعدد الحروف والروى .
- (ب) السجع المطرف : حيث تتفق الكلمات في الروى دون الوزن وعدد الحروف .
- (ج) السجع المتوازن : حيث تتفق الكلمات في الوزن دون الروى .

٣١ - السجع المتوازي :

در سجودت نوان شونده ز پیش بر وجودت روان کنند تار

٣٢ - السجع المتوازن :

سر کشان جهان حادثه ور اختران سپهر آینه دار

٣٣ - السجع المطرف :

آردت فتح در مکان امکان دهدت کوه برقرار قرار

ومعنى هذه الآيات :

- وفي السجود لك يأتون أمامك في ذلة وخضوع

وعلى وجودك ينثرون الأرواح والأنفس .

- المتعطرسون في هذا العالم المليء بالحادثات

ونجوم هذا الفلك الممسك بالمرآة .

- والفتح يجلب لك الإمكان في كل مكان .

وعزمك الشبيه بالجبل يعطيك القرار والثبات لا الفرار .

والآيات الأربعة التالية تمثل لنا أنواع « المقلوبات » الأربعة وهي :

- (أ) مقلوب الشكل : حيث تكون الكلمة مقلوقة الحروف لكلمة أخرى كما نجد في « گرم » و « مرک » .

(١) المترجم : حذفنا الأمثلة الإنجليزية التي أوزدها المؤلف للاشتقاق .

(ب) مقلوب البعض : حيث يكون في الكلمتين تقديم وتأخير في بعض الحروف بحيث لا يشمل ذلك الحروف كلها على التوالي كما نجد في « رشك » و « شكر » .

(ج) المقلوب المجنح : وهو عبارة عن « مقلوب الكل » ولكن الشاعر يضع إحدى الكلمتين في أول البيت والثانية في آخره .

(د) المقلوب المستوي : ويكون بأن تستطيع أن تقرأ جملة مثورة مركبة من بضعة ألفاظ ، أو مصراعاً من الشعر ، أو بيتاً كاملاً منه ، بحيث إذا قلبت الجملة أو المصراع أو البيت كان كل واحد في هذه الثلاثة متفق الأصل مع مقلوبه . وهذا النوع هو أصعب أنواع المقلوب ولكنه أكملها وأجملها .

٣٤ — مقلوب البعض :

رشك قدرت برد سپهر ونبوم شكر فتحت كند بلاد وديار

٣٥ — مقلوب الكل :

كرم دارد زتاب دل بيكان مرك بارد بنهم بر سوافار

٣٦ — المقلوب المجنح :

كنج نصرت دهد گزارش جنك راي دولت زند حمايت يار

٣٧ — المقلوب المستوي :

رامش مرد كنج بازى وقوت توقوى را بجنك در شمار

ومعنى هذه الأيات :

— إن القلك والنجوم لتحسدك على قدرك

وإن البلاد والديار لتشكرك على فتحك .

— وإنه ليشخذ طرف الرمح ويحلوه من نار القلوب

فيمطر سهمه الموت على خصمه وعدوه .

— وطريقة إنفاذه للحرب تجلب له كنوز النصر

وحمايته للأصدقاء تمهد له سبيل الملك .

— وراحة الإنسان في جمع الكنز والقوت

فلا تعتبر القوى قويا في الحرب والقتال .

والآيات الثمانية التالية تمثل الأنواع المختلفة من « رد العجز على الصدر » وهي صنعة غير مستفيضة كما يدل عليها اسمها وتقتصر (كما يقول جلاودين) على ذكر كلمة بعينها في أي جزء من شطري البيت^(١) :

٣٨ — کار عدل تو ملک داشتن است عدل را خود جزاین نباشد کار

٣٩ — به یسار تو جود خورد یمین شد یمین زمانه بر تو یسار

٤٠ — خصم تیار دولت تو کشد خصم نیکو تر است در تیار

٤١ — در مقامی که بار زر بخشی ریش ابر را نباشد بار

٤٢ — می گذاری برمح وام عدو کس ندید است رمح وام گذار

٤٣ — چرخ از آزار تو نیازارد بندگان را بجا کنی آزار

٤٤ — نارد از خدمت تو بیرون سر ورچه بشکافیش به نیزه چومار

٤٥ — دشمنان را بدآوری وخلاف با تقاضای کنبد دوار

٤٦ — قهر و کینت به باد داده چو خاک لطف وقهرت بآب گشته چو نار

ومعنى هذه الآيات :

— وعد لك مشغول بامتلاك الملك ، ولا شغل للعدل إلا في هذا الأمر .

— والجود يقسم بمننا صادقة على يسارك ، ويمين الزمان أصبحت يسارا لك .

— والخصم دائم العناء بسبب دولتك ، ومن الخير أن يبق الخصم في عناء .

— وعندما تهب أحوال الذهب والعطايا ،

لا يبقى للسحاب مجال لأن يسقط غيثه وأمطاره .

(١) المترجم : يذكر المؤلف أن هذه الصنعة قريبة مما يسمى في الشعر الإنجليزي باسم Epanalepsis أو Echo sound أو باسم Epizeuxis أو Cuckoo—spell أو باسم Ploche أو the doubler وقد حذفت الأمثلة اللاتينية والإنجليزية التي وردت في الأصل .

- وبرحك ، تستطيع ان تسد الدين للعدو ،
ولم ير أحد من قبل أن الرمح يقوم بسداد الديون .
— والفلك لا يتأذى بما تفعله فيه من ضرر ؟
وكيف يعقل أنك تؤذى خدمك وأتباعك ... ؟
— ولن يحاول ان يخرج برأسه عن خدمتك ؟
ولو شققت برحك كما تشق الأفنى ... !!
— ولقد أودى القهر بأعدائك بما هم فيه من خوف وخلاف ،
قضت بهما أحكام هذه القبة الدائرة .
— وقد أسلم قهرك وغضبك أعداءك للرياح ، فأصبحوا كالتراب ؛
وقتلهم ماء لطفك وقهرك ، كما تفعل الماء بالنار .
- والبيت الأخير وكذلك البيت التالي يمثلان ما يعرف « بالمتضاد » حيث يذكر
الشاعر في البيت الواحد ألفاظا يكون الواحد منها مضاداً للآخر كما فعل عند ذكر
العناصر الأربعة في آخر الأبيات التي ذكرناها فيما سبق .
- والبيتان التاليان يمثلان صنعة « الإعنت » حيث يتكلف الشاعر شيئاً لا لزوم
له ليزين به كلامه ، كأن يلتزم في آخر الأبيات حرفاً قبل حرف الروى تستقيم القافية
بدونه ، أو كأن يلتزم بتكرار كلمة أو أكثر في جميع الأبيات (١) .
- ٤٧ — اى نيكوخواه دولت تو عزيز واى بد انديش روزگار تو خوار
٤٨ — هرکه زنهار خوار عهد تو نشد بسپارش . بعالم خونخوار
- ومعنى هذين البيتين :
- فيا من ... يصبح مرید الخیر لدولتك ... عزيزاً ،
ويا من ... يصبح مرید السوء لأيامك ... حقيراً .
— إن من لا يری عهدك وميثاقك ؛
عليك أن تسلمه لهذا العالم العادر .
- وهذه الصنعة تسمى أيضاً بـ « لزوم ملايلزم » وتشتد صعوبتها (خاصة في ثانی
- (١) المترجم : أورد المؤلف ثلاثة أمثلة بالإنجليزية لهذه الصنعة لم أر قائدة من ذكرها .

صورها الموضحة في البيتين الفارسيين السابقين) إذا أراد الشاعر أن يصطنعها في قصيدة طويلة .

والبيت التالى يمثل « المزوج » حيث يضمن الشاعر أياته ألفاظاً مزدوجة يراعى فيها السجع وذلك بالإضافة إلى القافية .

٤٩ — كاه ريزه به نيزه برأى چون كنى عزم رزم اينت سوار
ومعناه :

— وأنت تخطف قلامة القش بطرف رحك ،

وعندما تعزم على الحرب . . . فيالك من فارس ماهر . . .

والبيت التالى مثال « للمتلون » حيث يقول الشاعر بيتاً من الشعر تمكن قراءته على وزن مختلفين .

٥٠ — اى بوده قدوه وضع و شريف وى شده قبله صغار و كبار
ومعناه :

— فيا من أنت قدوة للوضع والشريف ؛

ويا من أنت قبله للصغير والكبير .

فهذا البيت يمكن وزنه كسائر أبيات القصيدة على أحد الوزنين الآتين :

(أ) الخفيف المحبون المقصور

— u u		— u — u		— — u —
فعلان		مفاع لن		فاعلاتن

. (ب) السريع المطوى :

— u —		— u u —		— u u —
فاعلان		مفتعلن		مفتعلن

والصنعة التالية هي التي تعرف بـ « إرسال الثلث » ويلحق بها صنعة أخرى هي « إرسال الثلثين ^(١) » .

(١) المترجم : يذكر المؤلف أن هذا شبه بما يعرف في الإنجليزية باسم :

Proverial Commission ويذكر أن « بنهام » يقسمه إلى Parimia و Gnome ويضرب مثلاً لأنواع الأخير بالإنجليزية لم نر حاجة إلى ذكره .

وقد امتاز بهذه الصنعة جملة من شعراء الفرس ربما كان أشهرهم «صائب الأصفهاني»
المتوفى سنة ١٦٧٧ م = ١٠٨٨ هـ وقد أصبحت أشعاره نماذج يحتذى بها عند كبير
من شعراء الأتراك ؛ وكذلك امتاز بها «أبو الفضل السكري المروزي» الذي حدثنا
عنه الثعالبي في يتيمة الدهر فقال إنه^(١) كان مولعاً بنقل الأمثال الفارسية إلى العربية :

- ٥١ — نكشد آب خصم آتش تو نشکند تاب نور مهره مار
٥٢ — گر مپی فارغ از هوای خسوف گر مپی ایمن از بلای خمار
ومعناها :

- وماء خصمك لا يستطيع أن يطفىء نارك ،
كما أن حجر^(٢) الأفعى لا يستطيع أن يتغلب على وهج النور .
— وإذا كنت قرأ فإنك فارغ البال لا تفكر في الخسوف ؛
وإذا كنت خماراً . . . فإنك في أمن من بلاء الخمار .

والآيات العشرة التالية أوردها الشاعر مثالا لصنعة « اللغز » :

- ٥٣ — چيست آن دور واصل او زديک چيست آن فرد و فعل او بسيار
٥٤ — خام او هرچه علم را پخته مستی او هرچه عقل را هشیار
٥٥ — دلشکن ليک درد دل پیوند خوش گذر ليک روزگار گذار
٥٦ — رنج او زرد بی دلان راحت خوار او زرد زیرکان دشوار
٥٧ — چون دعا خوش عنان و بی مرکب چون قضا رهنورد و بی هنجار
٥٨ — اندهش همجو لهو راحت بخش آتشش همچو آب نوشگوار
٥٩ — نعره در وی شکنج موسیقی ناله در وی نوای موسیقار
٦٠ — عشق اصلیست کز منازعتش عقل غمگین بود روان غمخوار
٦١ — خاصة عشق بقى که در غزلش مدحت شاه می کنم تکرار
٦٢ — شاید از زان غزاله بنیوشد زین نوا این غزل بنغمه زار

(١) أنظر ج ٤ من يتيمة الدهر ص ٢٢ — ٢٥ .

(٢) يزعمون أن الأفعى تحمل حجراً شديداً البريق والضياء ، ويعتقد ذلك أهل الشرق والغرب على سواء .

ومعنى هذه الآيات :

- ما الشيء البعيد وأصله قريب . . . وما الشيء الفرد وفعله كثير ؟! .
- ساذجه ينضج العلم ويزيده ، والسكر به يجعل العقل يفيق من نشوته .
- يحطم القلوب، ولكن شفاء لآلام القلوب؛ بطيء المرور، ولكن مروره بالأيام سريع
- آلامه راحة لدى من لا قلوب لهم ، وذلك صعبة لدى المهرة الأذكاء .
- طيب كالنداء . . لا عنان له ولا مركب ، واقع كالقضاء . . . لا دافع له ولا راد .
- غمه شبيه باللهو الذى يجلب الراحة ، وناره شبيهة بالماء الصافي يطيب لشاربه .
- ونعته شبيهة باللحن الموسيقى ، ونحيه شبيهة بالحن الموسيقى .
- والعشق أصل ، يصبح العقل بمنزلة محزون ، وتصبح الروح بشوراته أسيفة مغمومة .
- وعلى الخصوص عشق هذه الدمية ، التى أكرر فى التعزل بها مدائح المليك .
- فإذا استمعت الغزاة (أى الشمس) وبكت حزناً ،
- لهذه النعمة التى أوردتها فى هذا الغزل الحزين . . حق لها ذلك .

والألغاز تكون غامضة فى أغلب الأحوال ومن أجل ذلك يؤسفنى أن أعترف بأننى لم أوفق إلى معرفة حل هذا اللغز السابق . ولكن هناك طائفة أخرى مذكورة مع حلولها فى كتاب « روكرت » عن الشعر الفارسى والبلاغة الفارسية (أنظر ص ٣٣٦ — ٣٣٨) .

يأتى بعد ذلك « المطلع ذوالقافيتين » وهو عبارة عن مطلع توجد فى داخله قافيتان أو مطلع جديد تتقن فيه شطرته الأولى مع الثانية . .

٦٣ — از دلم سوسنش ببرد قرار بسم زركش سپرد خمار
ومعناه :

— وقد سلب سوسنها (صدرها الأبيض) الراحة من قلبي
وأودع نرجسها (عينها) الخمار فى رأسى

ويتلو ذلك التمثيل للصنعة المعروفة بـ « تجاهل العارف » وهى شبيهة بما يسميه

بتهمام باسم Aporia . أو The Doubtful

٦٤ — ويحك . : آن نرگس است ياجادو يارب آن سوسن است يا گلنار
ومعناه :

— ويحك . . . هل هذه نرجسة أم سحر مبین !!...

ويارب هل هذه سوسنة أم هي زهرة الرمان !!...

ويتلو ذلك التمثيل لصنعة « السؤال والجواب » .

٦٥ — كفتم : از جان بعشق بزارم كفت عاشق ز جان بود بزار

— قلت : إني مُعَنَى بالحياة بسبب العشق ،

قالت : والعاشق يُعَنَى بالحياة عادة ... !!

والبيت التالي مثال « للموشح » ويؤسفني أن أعترف ثانية بأنني لم أوفق
إلى حله (١) :

٦٦ — دوست ميد ار مش كه يار منست دشمن آن به كه خود نباشد يار

— وإني أحبا . . . لأنها صاحبتى وصديقتى ؛

ومن الخير ألا يكون الصديق عدوآ . . .

وفي البيت التالي تمثيل للشعر « الملع » وقد ذكرناه فيما سبق وقلنا إن أمثاله
الإنجليزية واللاتينية كثيرة الوجود في Ingoldsby Legends (٢) .

٦٧ — سوخت در آتشم چه ميگويم أحرقتني الهوى بغير النار

— أحرقتني بالنار فما عساي أقول ؛

« أحرقتني الهوى بغير النار . . . »

والآيات الخمسة التالية تمثيل للصناعات التي تتعلق بالحروف العربية من حيث
وصلها وفصلها . ومن حيث إعجمها أو إهالها . ومن أجل ذلك لا يمكن التمثيل لها
في اللغة الإنجليزية ، وأول أنواعها : هو « المقطع » حيث لا تتصل الحروف ببعضها

(١) المترجم : التوشيح في الفارسية صنعة يوردها الشاعر في أول الآيات أو وسطها حروفا
أو كلمات ، بحيث إذا جمعت بينها أو مع تصحيفها ، خرج لنا منها بيت أو مثل أو اسم أو لقب .

(٢) المترجم : حذفت مثلين بالإنجليزية في الأصل كان التلخيص فيهما باللغة اللاتينية .

وثانيها : هو « الموصل » حيث تتصل جميع الحروف ببعضها ولا تقبل التقطيع ؛
وثالثها : هو « المجرد » وهو ضرب من الصناعة لم أستطع الحصول على تعريفه^(١)
فما لدى من كتب البلاغة ؛ ورابعها : هو « المرقط » أو « الرقطاء » حيث يكون
أحد الحروف منقوطة والآخر عاطلاً ؛ وخامسها : هو « الأخيف » أو « الخيفاء »
حيث تكون كلمة برمتها منقوطة تلوها كلمة أخرى عاطلة :

٦٨ - المقطع :

زار وزردم ز درد دورى او درد دل دار زرد دارد وزار

٦٩ - الموصل :

تن عيشم نحيف گشت بغم گل بختم نهفته گشت بخار

٧٠ - المجرد :

چهره روشنش که روز منست زیر زلفش مهیست در شب تار

٧١ - الرقطاء :

غمزه شوخ آن صنم بکشد اشک خونم ز چشم خون آثار

٧٢ - الخيفاء :

دل شد وهم نیند ازوی مهر سر شد وهم نیبند از تن کار

ومعنى هذه الآيات :

— وأنا هزيل مضرب بسبب بعدى عنها ، والحزن على الحبيب يجعل المرء هزيلًا معتلاً .

— وقد هزلت حياتى بما أصابنى من غم ، واختفت وردة حظى بين الأشواك المتكاثرة .

— ووجهها الوضاء هو نهارى الواضح النير ، وتحت ذؤابتها قرأءاء فى وسطليلها المظلم .

— وقد جعلت هذه الدمية الجميلة تفتح بغمزاتها الجسورة ، سيول الدموع من عيني الدامية .

— وذهب قلبى . . . ولم يظفر منها بآية من آيات الحب ،

وذهب عقلى . . . ولم ينثن عما هو فيه من غواية .

والبيت التالى تمثيل لصنعة « المعنى » ولست أستطيع حله أيضاً :

(١) المترجم : ربما يقصد به صنعة « الحذف » وهى التى يطرح بها الشاعر أو الكاتب

حرفاً من حروف المعجم فلا يستعمله فى شعره أو نثره .

٧٣ - موج ودود دل ودو ديدنه من برد دريا وابر را مقدار
ومعناه :

— وأمواج قلبي وأدخته التصاعدة وعيناي الفارقتان في البكاء ،
قد فاقت البحار الواسعة والسحب الهامية . . .

والصنعة التالية هي « التضمين » حيث يدخل الشاعر في شعره بيتاً قاله شاعر آخر .
ويشترط في البيت المضمن أن يكون معروفاً متداولاً على الألسن وإلا وجب على الشاعر
أن يشير إشارة صريحة على تضمينه لهذا البيت خشية أن يتهم بالسرقة والاتحال (١) .
وفيما يلي مثال من « التضمين » تجاسرتُ على صياغته في أشعار فارسية من
نظمي ، وقد دعاني إلى نظمه أحد أصدقائي فقد كان يتعشق فتاة إسمها « مي : May »
وهي كلمة تنطق كما تنطق كلمة « مي » الفارسية بمعنى « الحجر » . وقد أخذت البيت
المضمن من قول « سعدى الشيرازي » في كتابه « گلستان » :

مست می ییدار گردد نيم شب مست ساقی روز محشر بامداد
ومعناه :

— إن السكران بالبحر (مي) يصحو من نشوته في منتصف الليل ،
أما السكران بالساق فلا يصحو من نشوته إلا في صبيحة يوم المحشر .
فصغت منه تضميناً احتوى على صفتين أخريين هما « التجنيس التام » في كلمة
« مي » وكذلك « الإغراق » وهذا هو قولي :

مست می ییدار گردد نيم شب فرمود شيخ
آن اگرچه قول شيخ است نيست جای اعتماد
من مي دانم که هرگاه مست آن گردد کسي
سر ز مستی بر ندارد روز محشر بامداد
ومعنى هذين البيتين :

— قال الشيخ سعدى : إن السكران بالبحر (بمي) يفيق في منتصف الليل من خماره .

() الترجمة : حذف التل الإنجليزى الوارد في الأصل

وهذا القول من أقوال « الشيخ سعدى » صحيح ولكن لا يجب تصديقه والاعتماد عليه ..

— فإني أعرف فتاة اسمها « مى » كلما سكر بحبها شخص ، لا يستطيع أن يرفع رأسه ويتخلص من نشوته حتى صبيحة يوم الحشر .
٧٤ — وصل خواهم ندانم أنكه بكس رايگان رخ نيمى نمايد يار ومعناه :

— وأنا أريد الوصل ... فهلا علمت ، إن الحبيب لا يبدى طلعه لأحد مجاناً ...
وهنا يجب أن أعترف بحقيقة مزعجة ، وهى أننى لأعرف الجزء الضمن من هذا البيت ، ولأمن أى الشعراء استعارة ناظم هذه القصيدة ، وربما ساعد ذلك كله على أن أتهم بالجهل ، ونسى التقاد اتهم الناظم بالسرقة لأنه لم يبين صراحة المكان الذى استقى منه تضيئته .

وفى ما يلى تحليل لصنعة « الإغراق » وهى نوع من أنواع « المبالغة » الثلاثة التى تشتمل على :

- (أ) التبليغ (المبالغة) : حيث تكون المبالغة ممكنة عقلا وعملا .
 - (ب) الإغراق : حيث تكون المبالغة ممكنة عقلا ولكنها غير محتملة عملا .
 - (ج) الغلو : حيث تكون المبالغة مستحيلة عقلا وعملا .
- ومن أمثلة الغلو ما أورده « دولتشاه » فى صحيفة ٣٣ من « تذكرة الشعراء » فى البيتين التالين من قول الشاعر « غضاثرى الرازى » فى مدح السلطان محمود الغزنوى :
- صواب كرد كه پيدا نكرد هر دو جهان يگانه ايزد دادار بى نظير وهاله
وگر نه هر دو بيخشيدي او بروز سخا اميد بنده نمائدى بايزد متعال
- ومعناها :

— وكان من الصواب إن الله الفرد العادل الذى لا نظير له ولا شبيه ؛
لم يُظهر للانسان كلا العالمين (الدنيا والآخرة) .
— ولو أنه فعل ذلك ... لجاد الملك بهما جميعاً فى يوم الجود والسخاء .
ولم يبق للبعد بعد ذلك مطمح آخر فى رب السماء ... ؟

وَأَبْلَغَ مِنْ ذَلِكَ فِي « الْغَسَلِ » مَا قَالَ نَبِيلُ الزَّرِنْدِي (مِنْ بَلَدَةِ زَرَنْد) فِي
« بِهَاءِ اللَّهِ » رَأْسِ الْبَابَةِ :

خَلَقَ كَوْنِنْدَ خَدَائِي وَمِنْ أَنْدَرِ غَضَبِ آيَمِ پَرْدِه بَرْدَاشْتِه مِیْسَنْد بِخُودِ نَنْكَ خَدَائِي
وَمَعْنَاهُ :

— إِنْ الْخَلْقُ يَقُولُونَ : إِنَّكَ اللَّهُ ، وَلَكِنِّي غَاضِبٌ مِمَّا يَقُولُونَ ... !!
فَارْفَعْ الْحِجَابَ عَنْ نَفْسِكَ ، وَلَا تَرْضَ لِنَفْسِكَ بَعَارَ الْأُلُوهِيَةِ^(۱) ... !!
وَفِيهَا يَلِي الْبَيْتَ الَّذِي وَرَدَ فِي قَصِيدَةِ « قَوَاصِي » تَمْثِيلًا لِلْإِغْرَاقِ :

۷۵ — وَرَنْمَایْدِزِ بَسِ صَفَا که در آوِست رَازِ مِنْ دَرِ رَخْشِ بُودِ دِیدَارِ
وَمَعْنَاهُ :

— وَإِذَا أَظْهَرْتُ وَجْهَهَا ... فَلِكثَرَةِ الصَّفَاءِ الَّذِي يَدُو فِيهَا
تَبْدُو أَسْرَارِي ظَاهِرَةً لِعَيْنِ الرَّائِي ... !!

وَالْأَيَّاتُ السَّبْعَةُ التَّالِيَةُ أَوْرَدَهَا الشَّاعِرُ أَمْثَلَةً لِلصَّنَاعَاتِ الَّتِي تَعْرِفُ بِاسْمِ « الْجَمْعِ »
وِ « التَّفْرِيقِ » وَ « التَّقْسِيمِ » وَالْأَيَّاتُ نَفْسُهَا تَكْشِفُ لَنَا عَنِ الصَّنْعَةِ الَّتِي تَشْتَمِلُ عَلَيْهَا:
۷۶ — الْجَمْعُ :

بِرَبِّشِ زَلْفِ عَاشِقِ اسْتِ چُو مِنْ لَا جَرِمِ هَمِچُو مِنْشِ نِیْسْتِ قِرَارِ
۷۷ — التَّفْرِيقُ :

بَادِ صَبْحِ اسْتِ بَوِي زَلْفِشِ نِی بُودِ يَادِ صَبْحِ عَنَبَرِ يَارِ
۷۸ — جَمْعٌ وَتَقْسِيمٌ :

مِنْ وَزَلْفَيْنِ أَوْ نِگُونَسَارِمِ لِيكَ أَوْ بِرِگَلِ اسْتِ وَمِنْ بِرِ خَارِ
۷۹ — جَمْعٌ وَتَفْرِيقٌ :

هَسْتِ خَطْشِ فِرَازِ عَالَمِ رُو آنِ يَكِي اِبَرِ ، وَاینِ يَكِي كَلْزَارِ

(۱) أَظْهَرَ تَرْجَمَتِي « لِتَبَارِيخِ الْجَدِيدِ : New History » ص ۳۹۵ . وَذَكَرَ أَنِّي
سَمِعْتُ أَنَّ هَذَا الْبَيْتَ قَالَهُ أَمْلًا أَحَدُ غُلَاةِ الشَّيْعَةِ فِي الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

٨٠ - تقسيم وتفريق :

غم دو چیز مرا دق چیز سپرد ديلم را آب ، وسينه را زنگار

٨١ و ٨٢ - جمع وتفريق وتقسيم :

همچو چشم توانگر است لبش آن باشك ، واین بلولوی شهوار

آب آن تیره ، آب این روشن آن این گریه ، وآن او گفتار

ومعنى هذه الآيات :

— وطررتها عاشقة لشفتها ، كما انا عاشق لها

ومن أجل ذلك فهي مثلى ، لاتعرف الهدوء ولا الاستقرار

— ورائحة طرتها شبيهة بنسيم الصباح ،

غير أن نسيم الصباح لا يكون محملاً بالغبر والغيير...!!

— وأنا وطررتها مقلوبان رأساً على عقب ، ولكن طرتها انقلبت على الورد (أبى

الحدود) وأما أنا فقد انقلبت على الأشواك (اى الأحزان) .

— وقد علا الشعر فوق وجهها ، فكان كالسحاب ، وكان وجهها كروضة الورد

— ولقد حزنت على شيئين ، فأعطاني الحزن عليهما شيئين

ففاضت عيني بالماء ، وامتلاً صدرى بصدأ الأحزان . . !

— وأصبحت شفتها غنية مثل عيني ؛

فامتلات عيني بالدموع ، كما امتلاً ثغرها باللالء والدرر الغالية

— واسود ماء عيني ، وصفا بالضياء ماء شفتها

فكان البكاء من نصيب عيني ، وكان الحديث الحلو من نصيب ثغرها ...

والآيات الأربعة التالية تمثيل للصنعة التي تعرف بـ « التفسير » وهي تنقسم

إلى قسمين :

(أ) تفسير الجلى .

(ب) تفسير الخفى .

والنوع الثانى من هذين النوعين يمثل فى البيتين التاليين :

٨٣- جگر و جان و چشم و چهر منست در غم عشق آن بت فرخار

٨٤- هم بغم خسته ، هم بتن مهجور هم بخون غرقه ، هم ز زخم افکار

ومعناها :

(١) (٢) (٣) (٤)

— وكدی وروحی وعینی وطلعتی فی عشق تلك السمیه الجمیلة .

(١) (٢) (٣) (٤)

أضناها الحزن ، وفارقت الجسد ، وغرقت فی الدماء ، وأثخنت بالجراح .

أما النوع الأول فتمثل فی البيتين التاليين :

٨٥- خورد وخوردم بعشق آن ناکام هست وهستم ز هجر او ناچار

٨٦- او مرا خون ، ومن ورا اندوه او ز من شاد ، ومن ازو غمخوار

ومعناها :

— وتجزعتُ وتجزعتُ . . . فی عشقها بغير رغبة أو حيلة .

وكانت . . . وكنْتُ . . . من هجرها عاجز الأسباب والحيلة

— فتجزعتُ دمی ، وتجزعتُ الأحزان من أجلها .

وكانت مسرورة بفراقی ، وكنْتُ محزوناً لفراقها

والبيتان التاليان تمثیل لصنعة « الكلام الجامع » حينما يحاول الشاعر أن يدخل

فی أبياته شيئاً من الحكمة أو الموعظة أو تجارب الزمان :

٨٧- مويم از غم سپید گشت چوشیر دل ز محنت سیاه گشت چو قار

٨٨- این ز عکس بلا کشید خضاب وان ز راه جفا گرفت غبار

ومعناها :

— وایض شعری ، فأضحی كاللبن الصافي بسبب حزنی عليها

واسود قلبي ، فأمسى كالقار الأسود بسبب محنتی التي أنا فيها

— فتخضب هذا بلون البلاء الذي أصابني

وتغير ذلك بغير طريق الجفاء والمهجر . . . !!

والصنعة التالية هي « حسن التخلص » أو « حسن المخلص » وهي عبارة عن أن ينتقل الشاعر عند ما يصل إلى بيت الانتقال أو الـ « كريزگاه » في الغزل . أو النسب إلى مدح بمدوحه أو إلى أى قصد آخر يقصده بحيث يكون انتقاله على وجه مستطاب وطريقة مستلحة :

٨٩ - غم دل گر بیست بازارم مدح شه میکشایم بازار
ومعناه :

— وقد أغلقت أحزان قلبي الأسواق في وجهي ،
ولكن مدحي للمليك يفتح لي الأسواق المقفلة .

والصنعة التالية هي « التزلزل » ويوصف الكلام بها فيقال « التزلزل » وهي — كما قال جلادوين (ص ٣٢) عبارة عن أن يذكر الشاعر لفظاً بحيث إذا غير حركة واحدة من حركات حروفه تحول الكلام من المدح إلى الهجو :
٩٠ - شاه قزل ارسلان که دست ودلش هست خصم شمار وخصم شمار
ومعناه :

— والملك هو « قزل أرسلان »^(١) الذي يده وقلبه
يحوظان بالأعداء ولا يحوطهما العطاء

والصنعة التالية هي « الإبداع » وهي في أبواب البلاغة عبارة عن إبداع (أو أداء) معنى جديد من معنى آخر قديم قاله شاعر سابق أو كاتب متقدم بحيث لا يكون بين المعنيين خلاف إلا من ناحية الصياغة ، وهذا قريب جداً من « السرقات الشعرية » ولكنه لا يعاب على قائله ، بل يعتبر دليلاً على فضله وتبريزه ؛ وهو في هذا مخالف لسائر أنواع السرقات الشعرية التي تشتمل « الانتحال » و « المسخ » و « السلخ »^(٢) .
ومن الضروري أن يكون في حوزتنا المعنى القديم حتى نستطيع أن تبين مدى « الإبداع » في المعنى الجديد ؛ ومن أسف أنني لا أعرف أصل البيت التالي :

(١) من أتابكة افريجان حكم ما بين سنتي ١١٨٥ - ١١٩١ م = ٥٨١ - ٥٨٧ هـ .

(٢) أنظر كتاب « روكرت » ص ١٨٨ - ١٩١ .

٩١ — حزمش آورده باد را بسكون عزمش افكند خاك را بمدار
ومعناه :

— وحزمه ... يوقف الرياح ويجعلها في هدوء وسكون
وعزمه ... يجعل الأرض في دورة دائمة.
والبيت التالى يمثل صنعة «التعجب» :

٩٢ — جاى دُرگر ميانه درياست از چه معنيست دست او دُر بار
ومعناه :

— ومكان الدر والآلى كائن في وسط البحر ،

ولكن ... يا عجباً ... لماذا تمطر يده الدر والجواهر ... ؟!

والبيت التالى فيه الإجابة على السؤال السابق وهو تمثيل للصنعة المعروفة بـ
« حسن التعليل » حيث يفسر الشاعر حقيقة واقعة بعلّة خيالية أو شعرية :

٩٣ — رغم دريا كه بخلى مى ورزد او كند مال بر جهان إيشاز
ومعناه :

— وبرغم البحر الذى يؤثر البخل ويضن بما فيه ، فإنه يؤثر الدنيا بما له وجزيل عطائه
فنهنا نجد أن جود الملك سببه ما يشعر به من كراهية لبخل البحر وشحه ،
والبحر في العادة معروف بكرمه حتى أصبحوا يصفون الكريم بأنه « دريا دست »
أى له يد تجود بالعطاء كالبحر .

ومع ذلك فالبيت التالى في رأيي أجمل في تمثيل هذه الصنعة من البيت السابق :
حسن ماه را با تو سنجيدم بميزان قياس « يله » به برفلك شد ، وثوماندى بر زمين
ومعناه :

— لقد وزنت بميزان القياس حسن القمر مع حسنك ، فشالت كفة القمر وارتفعت
إلى السماء ، بينما بقيت كفتك أنت على الأرض

والصنعة التالية هي « الطرد والعكس » وهى عبارة عن تغيير مواضع العبارات
في المصراع الأول وذكرها معكوسة في المصراع الثانى :

٩٤ — چه شكار است نزد او چه مصافى چه مصافست پيش او چه شكار

ومعناه :

— وسواء لديه الخروج للصيد أو الخروج لميادين القتال ، وسواء لديه ميادين القتال أو الخروج للقتل والصيد .

والبيتان التاليان تمثيل لصنعة « المكرر » وهى شبيهة بالصناعات التى أسماها « پتهام » باسم Anadiplosis و Epanalepsis و Epizeuxis وخاصة النوع الأخير الذى من أمثلته قولهم : —

« It was Maryne , Maryne that wrought mine woe »

وقولهم :

« The chiefest staff of mine assured stay
With no small grief is gone, is gone away

وقول « السير والتر رالى » :

« With wisdom's eyes had but blind fortune seene
Then had my love , my love for ever beene. »

٩٥ — بدره بدره دهد بسائل زر دجله دجله كشد بزم عقار

٩٦ — گشته زان بدره بدره بدره خجل برده زان دجله دجله دجله یسار

ومعناها :

— وهو يعطى السائل بدرة بدرة ، ويجلب العقار إلى الحفل دجلة دجلة
— وقد أصبحت كل بدرة خجلة من بدراته . واغتنى دجله من قرط منحه وهباته
والآيات الأربعة الأخيرة من القصيدة تمثيل للصنعتين اللتين تسميان بـ « حسن الطلب » و « حسن القطع »

٩٧ — خسروا... بازمانه در جنگم كه بغم من گدازدم هموار

٩٨ — چه بود گر کف تو بر گیرد از میان من وزمانه غبار

٩٩ — تا عیان است مهر را تابش تانهاں است چرخ را اُسرار

١٠٠ — روز و شب جز سخا مبادت شغل سال و مه جز طرب مبادت کار

ومعناها :

— أيها الملك ... إني دائم البكفاح مع الزمان ،
لأنه يذيني دائماً في نار الغموم والأحزان .
— فإذا عليك لو استطاعت يدك القدرة ، أن ترفع ما بيني وبين الزمان من غبار وفتار

— وما دام ضياء الشمس مرئيا للعيان، ومادامت أسرار الفلك خافية عن التقرير والبيان
 — فإنى أدعوا الله ... ألا يكون لك شاغل طوال الليل والنهار سوى السخاء ، وألا
 يكون لك عمل تعلمه طيلة السنين والشهور غير الطرب والهناء
 وقد اشتملت القصيدة السابقة على أكثر أنواع الصناعات البديعية وأهمها ،
 ولكن هناك أنواعاً أخرى يمكن أن يطلع عليها الباحث التعمق فيما كتبه «جلادوين»
 و « روكرت » ويجدر بنا أن نضيف إلى ما ذكرناه الأنواع الآتية : —

١ - التاريخ :

وهو عبارة عن أن يذكر الشاعر أو الكاتب تاريخ حادثة من الحوادث في
 عبارة أو مصراع أو بيت بحيث إذا حسبت الحروف التي تتضمنها العبارة أو البيت
 بحساب « أبجد » أو الجمل خرج لنا التاريخ المذكور .
 وربما كان خير أداء بالإنجليزية لمثل فارسي لهذه الصنعة هو ما قام به « هرمان
 بيكنل » مترجم حافظ حينما ترجم « التاريخ » المشهور الذي يذكر سنة وفاة حافظ
 في البيت الآتي :

يُجودر خاك مصلى ساخت منزل بجو تاريخش از « خاك مصلى »
 ومعناه :

— ولما كان قد جعل مقامه في « أرض المصلى »
 فابحث عن تاريخه في عبارة « خاك^(١) مصلى »

خ = ٦٠٠

ا = ١

ك = ٢٠

م = ٤٠

ص = ٩٠

ل = ٣٠

ى = ١٠

المجموع = ٧٩١ أى سنة ٧٩١ هـ = ١٣٨٩ م

(١) المترجم: كلمة « خاك » بالفارسية بمعنى أرض أو تراب و « المصلى » مكان في شيراز به مدفن حافظ

وصعوبة «التأريخ» في اللغة الإنجليزية أن سبعة من أحرفها فقط هي التي لها قيمة حسابية وهي الأحرف : X و V و M و L و I و D و C ومع ذلك فقد استطاع « بكنل : Bicknell » أن يتغلب على هذه الصعوبة وأن يؤدي البيت الفارسي بالعبارة الإنجليزية الآتية :-

Thrice take thou from MUSALLA'S EARTH (M + L + L = 1100)
ITS RICHEST GRAIN (I + I + C + I = 103 × 3 = 309)
فإذا طرحنا ٣٠٩ من ١١٠٠ كان الناتج ٧٩١ وهو تاريخ وفاة حافظ^(١).

٢ - التلميح

التلميح من أجل الصناعات البلاغية وأحسنها ، وهو عبارة عن الإشارة إلى قول مأثور أو حكاية مشهورة أو بيت معروف من الشعر وأمثاله في الإنجليزية ماورد في : Ingoldsby Legends حيث يقول :

Such a tower as a poet of no mean calibre
I once knew and loved poor, dear Reginald Heber,
Assigns to oblivion a den for a she - bear.

فالتلميح هنا في قول « هبر » في قصيدته « فلسطين » .

« And cold Oblivion midst the ruin laid,
Folds her dank wing beneath the ivy scale »

ومن أجل أمثله الفارسية ماورد في « بستان » الشيخ سعدى^(٢) حيث يقول:
چه حاجت که نه کرسی آسمان نهی زیر پای قزل ایران
ومعناه :

— وما الحاجة إلى أن تضع الكراسي التسع للسماوات، تحت أقدام قزل إيران .. !!
والتلميح هنا إلى قول « ظهير القاري » :

(١) انظر مجلة من التأريخات الأوربية في ص ٢٣ - ٢٥ من كتاب :

Morgan's Macaronic Poetry. ومن أجل وأبسط هذه التأريخات تسجيل وفاة

الملكة اليبابات في العبارة الإنجليزية الآتية :-

My day is closed in Immortality (MDCIII=A.D 1604) .

وكذلك تأريخ وفاة « مارتن لوتر » في عبارة لاتينية سجل سنة ١٥٤٦ م

(٢) أنظر ص ٢٨ من طبعة جراف : Graf .

نه كرسى فلك نهاد اندیشه زیر پای تابوسه بر ركب قزل إرسلان نهاد
ومعناه : إن الفكر قد وضع تحت أقدامه كراسى الفلك التسعة حتى يقبل ركب
« قزل إرسلان » .

وكان « عبيد الزاكاني » من أشهر شعراء التهم بين الفرس ، وقد توفي قبل
« حافظ » بما يقرب من عشرين سنة . وله فيما نظم « مثنوية » لازالت تدرس
للأطفال في إيران عنوانها « الفأر والقط : موش وكرهه » وهو يصور فيها قطعاً
عجوزاً يلبس لبوس الصلاح والتقوى ليخدع الفئران ويتمكن من اصطيادها ؛ وقد
ذهب الفئران إلى ملكهم يخبرونه إن القط قد تاب وأناب واشتغل بالتقوى والصلاح .
مؤد كانا . . . كه كربه زاهد شد عابد ومؤمن ومسلماً . . . !!
ومعناه :

— البشري البشرى ... لقد تاب القط وأصبح زاهداً
عابداً . . . مؤمناً . . . مسلماً . . . !!

وقد اشتهرت هذه القصة بحيث أضحت عبارة « كربه زاهد شد » أى « لقد
تاب القط وأصبح زاهداً » من العبارات التي يشيرون بها إلى كل أئيم زعيم يتظاهر
بالتقوى والصلاح ليخدع من حوله ويستطيع جمع ما يشتهيه من مكاسب ومغانم ؛ ولقد
لمح « حافظ » إلى هذا القول في بيته المشهور :

أى كبك خوش خرام .. !! بجا مبروى .. ؟ بايست .. !
غره مشو كه « كربه عابد » نماز كرد !

ومعناه :

— فى أيتها القطاة التى تختال فى مشيتها ... إلى أين تذهبين . .
قنى . . ولا تتخدى إذا أصبح قط العابد بين المصلين (١) . . !!

صعوبة استعمال التلميح فى الأشعار الإسلامية :

والتلميحات من أصعب المسائل التى يصادفها الباحث الأوربي الذى يشتغل بأدب
(١) المترجم : أظن الغزل ١١١ من « أغاني تنيراز » .

اللغات الفارسية أو العربية أو التركية أو الإسلامية على العموم . ذلك لأن الثقافة التاريخية أو الأدبية التي يشارك فيها المتعلمون في البلاد الإسلامية ، تختلف تمام الاختلاف عن مثلها لدى الأوروبيين والأمم المسيحية . وقد نتج عن ذلك أن التلميح مثلاً إلى آية قرآنية يكون ظاهر الدلالة والوضوح للرجل المسلم المتعلم ، بينما يشكف القارئ المسيحي جهداً كبيراً للتحقق من مصدره والوصول إلى دلالاته . وأنا أكتفي بمثل واحد لبيان هذه الصعوبة ، ربما كانت قصته منتحلة ولكن دلالاته كافية فيما يزيد . وخلاصة الخبر أن « الفردوسي » حينما غضب على السلطان « محمود الغزنوي » لعدم تقديره للمحمته الرائعة « الشاهنامه » كتب هجوية لاذعة^(١) تركها لدى واحد من أحمائه وأخبره ألا يذيعها إلا بعد فترة من الزمن يتمكن فيها من الذهاب إلى طبرستان والاحتفاء بها كما « الأصمدي شيرزاد^(٢) » ، فلما ذاعت هذه الهجوية وقرأها السلطان محمود امتلاً غيظاً وحنقاً على قائلها وأرسل إلى أمير طبرستان يطلب إليه تسليم الفردوسي ، وهدده بأنه سيزحف عليه بأفياله ويغرب بلاده ودياره ، ويقتل شعبه ورجاله ، إذا هو امتنع عن إجابته إلى مطلبه ، فلما وصلت الرسالة إلى الأمير اكتفى بأن يكتب على ظهرها الحروف الثلاثة « ا . ل . م . » ثم بعث بها ثانية إلى السلطان محمود . وقد قيل أن السلطان لم يفهم في البداية قصده من كتابة هذه الأحرف ، ولكن وزراء ورجال حاشيته تبيّنوا على الفور مقصده ، وعلموا أنه يشير تلميحاً إلى ما أصاب « ابرهه » عندما اعتمد على أفياله وأراد أن يعتدي على « مكة » في نفس السنة التي ولد بها النبي (صلى الله عليه وسلم) وهي السنة التي عرفت فيها بعد بسنة الفيل . وقد نزلت في « أصحاب الفيل » سورة قصيرة هي سورة الفيل وفي مطلعها هذه الأحرف الثلاثة ا . ل . م كما يبدو من آياتها القرآنية الآتية :

« ألم تركيف فعل ربك بأصحاب الفيل ، ألم يجعل كيدهم في تضليل ، وأرسل عليهم طيراً أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل ، فجعلهم كعصف مأكول » .

وقد كان التلميح إلى هذه الآيات القرآنية وافيّاً بالغرض حتى يقال أن السلطان محموداً اتقى عن عزمه ورجع عن تهديده ... !!

(١) هذه الهجوية موجودة في مقدمة النسخ المطبوعة من الشاهنامه .

(٢) بعض المصادر تسميه « شهریار بن شرزین » .

ولا شك أن إبداء المهارة في اقتباس الآيات القرآنية أو التلميح إليها يعتبر من أجل الصناعات التي يعجب بها المسلمون عامة والتي تحتل مكانة أثيرة في قلوبهم .
وستنبأ إلى الفرصة ثانية للحديث عن هذا الموضوع في نهاية هذا الفصل .

٣ - التصحيف :

والتصحيف من أجل الصناعات . وهو عبارة عن تغيير مواضع النقط التي تستعمل في كثير من حروف الأبجدية العربية ، فإذا تغيرت مواضع هذه النقط . وبقي بناء الأحرف على شكلها الأصلي تغير معنى العبارة « المصحفة » تغيراً تاماً . ومن أمثلته ما ورد في « بستان الشيخ سعدى (١) » .

مرا بوسه گفته بتصحيف ده كه درويش را توشه از بوسه به

ومعناه :

— إعطاني قبلة « بوسة » مع تصحيفها

فإن الزاد « توشه » خير للدرويش من القبلة « بوسة (٢) »

ولا يمكن التمثيل لهذا الضرب من الصناعة إلا باستعمال الحروف العربية ، ولولا ذلك لاستشهدت بقصيدة رائعة أوردها « رشيد الدين » في كتابه « حقائق السحر (٣) »
لو صحفت أياتها لتغير معنى كل منها وانتقل مغزاها من المدح والثناء إلى القدح والهجاء . فمثلاً لو أخذنا المصراع الذي يقول فيه :

* هست در أصلت بلندی بی خلاف *

ومعناه :

* والرفعة في أصلك بلا خلاف *

ثم صحفناه لأصبح المصراع :

(١) صفحة ١٦٦ من طبعة جراف .

(٢) المترجم : كلمة « بوسة » في الفارسية بمعنى قبلة ، وكلمة « توشه » بمعنى زاد أو قوت .

(٣) المترجم : أنظر ص ١٧٠ من ترجمتي العربية لكتاب « حقائق السحر » .

* هست در اصلت پلیدی بی خلاف *

ومعناه :

* والضعفة فى أصلك بلا خلاف *

٤ - الهرجور والجواب :

ولقد يبدو فى هذه المرحلة أنه من الواجب علينا أن نتحدث فى إجمال عن الهجو

« Satire » والجواب « Parody » ،

أما الهجو فقد كان لدى العرب ، منذ جاهليتهم ، من أقوى الأسلحة التى يزودون بها ، وكان الشعراء يذكرون فى قصائدهم المعروفة باسم « الثالب » كل ما ينسب إلى خصومهم من دواعى الخذى والعار وأسباب الشين والشار ؛ وربما كانت هجوية « الفردوسى » فى السلطان محمود — وهى التى أشرنا إليها فيما سبق — من أوائل القصائد الفارسية التى قيلت فى الهجاء . وهذه القصيدة لاذعة حقاً ولكنها خالية من عبارات الفحش والإفداع التى تشوه كثيراً من الهجويات العربية والفارسية على السواء وفيما يلى ترجمة الأبيات الخمسة الأولى من أبياتها :

— ولطالما بذلت فى إكمال الشاهنامة الجهود المضنية والسنين الطويلة

لكى يهينى الملك تقوده الوفيرة وعطاياه الجلييلة

— فلم يحظى شيئاً إلا الضجر والعناء ، ولم أفز منه بشيء إلا التافه الهباء ... !!

— ولو كان والد الملك من أصل ملكى عزيز

لتوج رأسى بتاج من الذهب الخالص الإبريز ... !!

— ولو كانت أمه سيدة كريمة الأصل عالية القدر ،

لأغرقنى إلى ركبى فى ذهب ونفضة بغير حصر ... !!

— ولكنه محروم من كل عظمة فى أصله ونجاره

ومن أجل ذلك لم يستطع أن يسمع أسماء العطاء فى أسماره ^(١) ... !!

(١) المترجم : فيما يلى النص الفارسى لهذه الأبيات نقلاً عن تذكرة الشعراء ص ٣٠

ولمن شاء أن يعرف مثلاً من أمثلة الفحش الذى يحط من قيمة كثير من المهجويات الفارسية أن يقرأ فى دقة وتعمق مجموعة المهجويات المنظومة التى تبودلت فى العراق الذى نشأ بين الشاعر خاقانى (المتوفى فى سنة ١١٩٩ م = ٥٩٦ هـ) وبين أستاذه ومعلمه «أبى العلاء الكنجوى» وهذه المهجويات منشورة مع ترجمتها فى المقال الممتع الذى نشره «خانيقوف» بعنوان «مقالة عن خاقانى الشاعر»^(١) الفارسي فى القرن الثانى عشر» ، وفيما يلى الرابعة التى قالها «أبو العلاء» فافتح بها هذا النزاع المستطير الذى وقع بين الشاعرين ، وهذه الرابعة هينة يسيرة إذا قورنت بما تلاها من منظومات شديدة الفحش ، ومن أجل ذلك فالتقام يسمح لى بترجمتها ، أما نصها الفارسي فكما يلى :

خاقانيا گرچه سخن نيك دانيا يك نكته گويمت بشنو رايجانيا
هجو كسى مكن كه ز تومه بود بسن باشد كه پدر بودت تو ندانيا
وأما ترجمتها فكما يلى :

— يا خاقانى . . . إنك ماهر فى صناعة الأشعار والكلام
ولكن دعنى أحدثك بمسألة دقيقة واستمعها منى مجاناً

— حذار أن تهجو بعد اليوم من يكبرك سناء فلعله أن يكون أباك وأنت لا تعلم ذلك !!
أما المهجوية التى يتضمنها البيتان التاليان فربما كانت أفضل أعوذج صادفته
للمهجويات الفارسية الملهبة التى لا يبلغها اللوم ولا يصيبها التجريح ؛ وهذان البيتان
منسوبان للشاعر «كمال بن اسماعيل الأصفهاني» الذى قتله المغول عند غارتهم على

== بى سال بدم بهنهامه رنج كه تا شاه بخشد مرا تاج و گنج
بجز خون ده هيچ چيزم نداد نشد حاصل من ازو غير باد
اگر شاهرا شاه بودى پدر بسر بر نهادى مرا تاج زر
اگر مادر شاه بانو بدى مرا نسيم وزر تا بزانو بدى
چو اندر تبارش بزرگى نبود نيارست نام بزرگان شنود

(١) أنظر . . . Memoire sur Khâcânî. par N. de Khanikof ; Paris. 1865

وهذا المقال منشور أيضاً فى «الجله الآسيوية» عدد أغسطس سنة ١٨٦٤ .

أصفهان في سنة ١٢٣٧ - ١٣٣٨ م = ٦٣٥ هـ ، ونصها الفارسي كما يلي :

گر خواجه زهر ما بدی گفت ما چهره زغم نمی خراشیم
ما غیر نکویش نگویم تا هر دو دروغ گفته باشیم
ومعناها :

— إذا كان السيد قد تحدث في شأني بالشر وسوء الكلام
فإنني لن ألطم من أجل ذلك الحدود في حزن واغتمام

— ولن أتحدث في شأنه إلا بالخير والإحسان
حتى يصبح كل منا مشهوراً بالزور والبهتان

أما « الجواب » فقد يكون « معارضة » لقصيدة أخرى أو مجرد تقليد لها
وفي هذه الحالة يسمى « نظيرة » .

وأشهر شعراء المعارضة الذين ظهوروا في إيران هم :

١ — عبيد الزا كاني : الشاعر الساخر الذي توفي حوالي سنة ١٣٧٠ م = ٧٧٢ هـ
وقد نشرت جملة منتخبة من آثاره المنظومة والمثورة في مدينة القسطنطينية
في سنة ١٨٨٥ م = ١٣٠٣ هـ .

٢ — أبو إسحاق الشيرازي : ويعرف أيضاً باسم « بسحق الشيرازي » شاعر الأطعمة .
٣ — نظام الدين محمود القاري البردي : شاعر الألبسة .

وقد نشرت طائفة منتخبة من آثار الاثنين الآخرين في القسطنطينية أيضاً في
سنة ١٣٠٣ هـ .

وليس من شك ، أن أول هؤلاء الشعراء كان أكثرهم تفوقاً في فنه بحيث يمكن
أن يعتبر أكبر شعراء التهكم بين الفرس . وقد امتاز بعلو كعبه في النثر والشعر ،
وسيتسع المجال للحديث عنه في تفصيل عندما نصل إلى الحديث عن العصر الذي
عاش فيه .

التفسيرات والاستعارات تعودها روح المحافظة :

والحديث عن البلاغة لدى المسلمين يطول ويتشعب ويتسع لأكثر مما أوردته فيما سبق من صفحات ، ولكن المجال يمنعني من أن أضيف إليه شيئاً الآن . وربما كان من الخير أن أرجع القارئ الذي يرغب في مزيد من الإيضاح إلى الكتب التي كتبها في هذا الموضوع « جلاوين » و « روكرت » و « جب » و « بلوخان » وإلى كتاب المسلمين أنفسهم الذين ألفوا كثيراً في مثل هذه الموضوعات .

ومع ذلك أرى لزوماً على أن أتحدث باختصار عن كتاب كبير الفائدة لكل مشغل بالشعر الغزلي لدى الفرس وأقصد به كتاب « أنيس العشاق » تأليف « شرف الدين رامي » الذي عاش في النصف الأخير من القرن الرابع عشر الميلادي (= القرن الثامن الهجري) وموضوع هذا الكتاب يقتصر على الحديث على التشبيهات التي يستعملها الكتاب في وصف قسمات العشوق ومعالم حسنه وقد ترجمه إلى الفرنسية وعلق عليه الأستاذ « كلمان اويار : Clement Huard » أستاذ اللغة الفارسية في مدرسة اللغات الشرقية الحية وطبعه ، في باريس سنة ١٨٧٥ م .

وهذا الكتاب يشتمل على تسعة عشر فصلاً يتحدث فيها مؤلفه عن الموضوعات التالية بهذا الترتيب :

- الشعر — الجبين — الحواجب — العيون — الأهداب —
- الوجه — الصدغ — الخال — الشفاه — الأمان —
- الفم — الذقن — الرقبة — الصدر — السواعد —
- الأصابع — القد — الوسط — الأقدام .

ويبدأ المؤلف في كل فصل من فصول الكتاب بذكر الأسماء المختلفة التي يطلقها العرب والفرس في تسمية العضو الذي يتحدث عنه ، ثم يفرق بين دلالات هذه التسميات كلها ساعده المجال على ذلك ، ثم ينتقل إلى ذكر الاستعارات التي يستعملها الكتاب والشعراء لهذا الجزء من الجسم ، وما يتصل به من أوصاف ، مراعيًا في ذلك أن يسوق الأمثلة والشواهد الكثيرة من أقوال الشعراء المختلفين .

فالحاجب مثلاً يسمى في الفارسية « ابرو » وهو إما متصل أى مقرون ، أو منفصل أى مفروق ؛ واتصاله يعتبر من دلالات الحسن والجمال ، وشعراء الفرس يستعملون في الحديث عنه ثلاثة عشر تشبيهاً واستعارة ؛ فهم يصفونه بأنه « الهلال » أو « القوس » أو « قوس قزح » أو « العقد القوس » أو « المحراب » أو « حرف ن » أو « حرف ك » أو « رأس الصولجان المعقوف » أو « الوسم » الذى يسمون به الخيل والماشية لمعرفة أصحابها أو « الطغراء » التى يتوجون بها مراسم الحسن والجمال . فإذا تحدث المؤلف عن « الشعر » وجدنا أن الاستعارات والتشبيهات التى يميزها الاستعمال تزيد على هذا العدد بكثير ، وقد ذكر المؤلف أنها تبلغ السبعين في الفارسية ولكن من الجائز أن تزيد على ذلك لأن « الشعر » كما يقولون يتصف بمائة صفة ، أوردها المؤلف في تفصيل فائق جميل .

الشعر الإسلامى تسوده روح المحافظة .

والمحافظة في الشعر لا تقتصر على أوزانه وقوافيه وإنما تمتد إلى صميم موضوعاته ، وإلى ما يشتمل عليه من مقابلات وتشبيهات واستعارات ومحسنات بدئية وما إلى ذلك من سائر الأمور التى تعارف عليها المسلمون منذ القرنين الحادى عشر والثانى عشر الميلاديين (الخامس والسادس الهجريين) . وهذا القول ينطبق خاصة على « القصيدة » بمعناها الفنى ؛ ومن هنا نجد أن تقدير الأوروبيين للشاعر الفارسى وعظمته ، يختلف في أغلب الأحيان عما ينعقد عليه الرأى لدى مواطنيه . ذلك لأن جمال الأفكار وحدها هى التى يمكن المحافظة عليها عند الترجمة ، بينما يخفى جمال الأسلوب مهما كان المترجم ماهراً أو قادراً . ومن هنا نجد أن « عمر الخيام » الذى لا يرقى به مواطنوه إلى شعراء الدرجة الثالثة ، قد ذاع صيته في أوروبا أكثر من غيره من شعراء بنى جلده ، بينما بقي شعراء القصائد مثل « الأنورى » و « الخاقانى » و « ظهير الفاريابى » مجهولين حتى بأسمائهم لدى أهل الغرب ، رغم ما قلزوا به من دير كبير لدى مواطنهم من الفرس .

أساس النقد في الموضوع والأسلوب :

وقد جرى شعراء العرب المبكرون الذين عاشوا في العصر الكلاسيكي ، وأقصد به العصر الجاهلي وعصر النبي والخلفاء الراشدين والعصر الأموي ، على طبيعتهم وسليقتهم فلم يتأثروا بشيء من المؤثرات الخارجية ، وظلوا صورة صادقة للوسط الذي يعيشون فيه بحيث أن الصعوبة التي تقابلها في فهم أشعارهم ترجع أساساً إلى عدم معرفتنا بهذا الوسط ، لا إلى ما تشتمل عليه أشعارهم من تشبيهات بعيدة أو استعارات خيالية خافية ؛ لأن هذه الأشعار في الحقيقة سليمة التعبير ، تفيض على طبيعتها دون أن يفسدها عامل من عوامل التأثير والتعقيد .

ولو رجعنا إلى « العصر الأموي » لوجدنا أن قواعد النقد كانت تبني على الأفكار والمعاني التي تشتمل عليها المنظومات لا على صياغتها وأسلوبها ، ويبدو لنا ذلك واضحاً من القصة المروية في الكتاب الممتع الذي أتيه « الفخرى ^(١) » في التاريخ وخلصتها أن عبد الملك (الخليفة الأموي الذي حكم من سنة ٦٨٥ — ٧٠٥ م = ٦٦ — ٨٦ هـ) التفت يوماً إلى جلسائه فسألهم : ما تقولون في قول القائل :

أهيم بدعد ما حيت فإن أمت فوا حرباً بمن يهيم بها بعدى

قالوا : « معنى حسن »

قال : « هذا ميت كثير الفضول . . . ليس هذا معنى جيداً . . . »

قالوا : « صدقت »

قال : « فكيف كان ينبغي أن يقول . . ؟ »

فقال رجل منهم : كان ينبغي أن يقول :

أهيم بدعد ما حيت فإن أمت أوكل بدعد من يهيم بها بعدى

قال عبد الملك : « ما أحسنت . . . ! »

قالوا : « فكيف ينبغي أن يكون . . ؟ »

قال : « كان ينبغي أن يقول :

(١) المترجم : أنظر ص ١١٤ من كتاب « الفخرى » في « الأدب السلطانية والدول الإسلامية » طبع مطبعة المعارف بمصر سنة ١٩٢٣ .

أهيم بدعد ما حيت فإن أمت فلا صلحت دعد لدى خلة بعدى
قالوا : « أنت يا أمير المؤمنين أشعر الثلاثة . . . » .
فهذه القصة تدلنا دلالة قاطعة على أن الأمر كله كان وفقاً على الأفكار والمعاني
لا على الألفاظ والأساليب .

ابن خلدون ورأيه في الأسلوب :

والآن... فلننظر إلى ما قاله أكرم مؤرخى العرب الفيلسوف الشهير «ابن خلدون»
(المولود في تونس سنة ١٣٣٢ م = ٧٢٢ هـ . والتوفى في القاهرة سنة ١٤٠٦ م
= ٨٠٩ هـ) فهو يقول في الفصل الثامن والأربعين من مقدمته تحت عنوان
« فصل في أن صناعة النظم والنثر إنما هي في الألفاظ لا في المعاني » ما نصه (١) :

« إعلم أن صناعة الكلام نظماً ونثراً إنما هي في الألفاظ لا في المعاني ، وإنما المعاني
تبع لها وهي أصل . فالصانع الذي يحاول ملكة الكلام في النظم والنثر إنما يحاولها
في الألفاظ ، يحفظ أمثالها من كلام العرب ليكثر استعماله وجريه على لسانه ، حتى تستقر
له الملكة في لسان مضر ، ويتخلص من العجمة التي ربي عليها في جيله ، ويفرض نفسه
مثل وليد ينشأ في جيل العرب ويلقن لغتهم كما يلقيها الصبي حتى يصير كأنه واحد
منهم في لسانهم ؛ وذلك أنا قدمنا أن للسان ملكة من الملكات في النطق يحاول
تحصيلها بتكرارها على اللسان حتى تحصل له . والذي في اللسان والنطق إنما هو
الألفاظ ، وأما المعاني فهي في الضمائر . وأيضاً فالمعاني موجودة عند كل واحد وفي
طوع كل فكر منها ما يشاء ويرضى ، فلا تحتاج إلى صناعة ، وتأليف الكلام
للعبرة عنها هو المحتاج للصناعة كما قلناه ، وهو بمثابة القوالب للمعاني ؛ فكما أن الألوان
التي يغترف بها الماء من البحر منها آنية الذهب والفضة والصدف والزجاج والخزف ،
والماء واحد في نفسه ، وتختلف الجودة في الألوان الملونة بالماء باختلاف جنسها
لا باختلاف الماء ؛ كذلك جودة اللغة وبلاغتها في الاستعمال تختلف باختلاف طبقات

(١) الترجمة : أوردت الأصل نقلاً عن مقدمة ابن خلدون طبع بيروت سنة ١٩٠٠ م ،

الكلام في تأليفه باعتبار تطبيقه على المقاصد ، والمعاني واحدة في نفسها ؛ وإنما الجاهل بتأليف الكلام وأساليبه على مقتضى ملكة اللسان إذا حاول العبارة عن مقصوده ولم يحسن ، بمثابة المقعد الذي يروم النهوض ولا يستطيعه لفقدان القدرة عليه .

ويستمر « ابن خلدون » بعد ذلك في دراسة مسببة لهذه الأساليب التي نضوع فيها أفكارنا فنكتسب بها بهجة وجمالاً ، ثم ينصح القارئ بأن يحتذى في عبارته أساليب الشعراء الجاهليين من العرب ، وكذلك أساليب « أبي تمام » الشاعر الذي جمع ديوان الحماسة وتوفي في منتصف القرن التاسع الميلادي (= منتصف الثالث الهجري) و « كلثوم بن عمر العنابي » الذي نشأ على عهد « هارون الرشيد » و « ابن المعتز » الذي تولى الخلافة يوماً واحداً انتهى بمقتله في سنة ٩٠٨ م = ٢٩٦ هـ . و « أبي نواس » شاعر الرشيد المعروف بالعبث والدعابة و « الشريف الرضي » التوفي سنة ١٠١٥ م = ٤٠٦ هـ . و « عبد الله ابن المقفع » المجوسي الأصل الذي قتل في سنة ٧٦٠ م = ١٤٣ هـ . و « سهل بن هارون » التوفي سنة ٨٦٠ م = ٢٤٦ هـ . و « وابن الزيات » الوزير الذي قتل في سنة ٨٤٧ م = ٢٣٣ هـ . و « بديع الزمان الهمذاني » مؤلف القامات التوفي سنة ١٠٠٨ م = ٣٩٩ هـ . و « الصابي » مؤرخ الدولة البويهية التوفي سنة ١٠٥٦ م = ٤٤٨ هـ .

ثم يستمر « ابن خلدون » فيقول إن الذي يحذو حذو هؤلاء ويحفظ مؤلفاتهم لابد بالغ بأسلوبه أجمل المراتب ، وسيبرز بغير شك عمن يحتذى حذو كتاب القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين (= السادس والسابع الهجريين) من أمثال « ابن سهل » و « ابن النيه » و « البيصاني » و « عماد الدين الكاتب الأصفهاني » . ثم يأخذ « ابن خلدون » بعد ذلك في تعريف « الشعر » وفقاً لما أبداه من آراء فيقول (١) : « الشعر هو الكلام البليغ المبني على الاستعارة والأوصاف ، المفصل بأجزاء متفقة في الوزن والروي ، مستقل كل جزء منها في غرضه ومقصده عما قبله وبعده ، الجاري على أساليب العرب المخصوصة به » .

وقبل ذلك بصحيفة تقريباً شبه « ابن خلدون » « الذائر أو الشاعر بالمهندس

(١) انظر ص ٥٧٣ من مقدمة ابن خلدون طبع بيروت أو ص ٣٣٥ جزء ٣ من طبعة كازمير في باريس سنة ١٨٥٨ م .

أو النساج ، لأن حاله شبيهة بحالهما في وجوب احتذاء كل منهم لنموذج أو قالب أو منوال يجعله نصب عينه وغاية أمله ؛ وهو من أجل ذلك يميل إلى اتباع رأى جماعة من النقاد يرون استبعاد « المتنبي » و « أبي العلاء المعرى » من زمرة أساطين العربية لا لشيء إلا لأن كلا منهما كان نسج وحدة ولم يتقيد بأساليب العرب التى أقرها الاستعمال الطويل المستمر .

روح المحافظة فى أساليب الشعر والنثر فى الفارسية :

فإذا رجعنا بعد ذلك إلى الفرس — وهم تلاميذ العرب المخلصون — وجدنا أن ما ذكرناه فى هذا الصدد عن العرب ينطبق عليهم أيضاً تمام الانطباق . وصاحب كتاب « چهار مقاله ^(١) » يذكر أن : كاتب الديوان لا يبلغ شأواً عالياً فى صناعته حتى يأخذ بطرف من كل علم ، وحتى يتلقى النكات الرقيقة من أفواه الأساتذة المبرزين ، وحتى يستمع إلى لطائف الحكماء الساهرين ، وحتى يقتبس طرائف الأدباء القادرين ، ومن أجل ذلك وجب على كل من يريد التبريز فى الكتابة أن يقرأ فى العربية كلام رب العزة وأخبار المصطفى وآثار الصحابة وأمثال العرب وكتابات « صاحب إسماعيل ابن عباد » و « الصابى » و « قدامة بن جعفر » و « بديع الزمان الهمذانى » و « الحريرى » و جماعة آخرين من الكتاب ؛ وكذلك أشعار « المتنبي » و « الأيوبرى » و « الغزى » ... وعليه فى الفارسية أن يقرأ « قابوس نامه » الذى ألفه « كيكاس » حاكم طبرستان من آل زيار فى سنة ١٠٨٢ م = ٤٧٥ هـ . و « الشاهنامه » من نظم الفردوسى وأشعار « الرودى » و « العنصرى » .

وما زالت المغالاة فى المحافظة واتباع القديم تسيطر على كل الأمور الأدبية المتصلة بإيران دون أن يصيبها شيء من الضعف أو التراخى . ولكن المدرسة الحديثة فى تركيا استطاعت أن تنتصر عليها انتصاراً مؤزراً بفضل الجهود التى بذلها « ضيا پاشا » و « كمال بك » و « شناسى افندى » . وفى الحقيقة ، إن روح المحافظة هذه قد

(١) المترجم : انظر ١٣ من « چهار مقاله » طبع ليدن سنة ١٩٠٩م حيث يقول بالفارسية : « أماسخن دبيردين درجه نرسد تا از هر علم بهره ندارد ، و از هر أستاذ نكته ياد نگيرد ، و از هر حكيم لطيفه نشنود ، و از هر أديب طرفه اقتباس نكند » .

وقفت حجراً عثرة في سبيل الخلق والإبداع ، وكانت سبباً في التكرار الممل في الموضوعات والأساليب وطرق الأداء ؛ ولكنها من ناحية أخرى كانت العامل الأكبر في حفظ اللغة الفارسية وحمايتها من التبذل الذي أصاب أحياناً لغتنا الإنجليزية وغيرها من اللغات الأوروبية بفعل العباقرة الشاردين الذين لم يتقيدوا بمراعاة القديم ولم يظفروا بقسط وافر من الدقة والمران .

التصنع صفة عارضة في الأساليب الفارسية :

ومن الحق أن نقرر هنا أن الأساليب الفارسية كانت كالأساليب العربية تختلف وفقاً للأزمنة والأمكنة . وقد رأينا أن قواعد النقد التي اتبناها « دولتشاه » في نهاية القرن الخامس عشر الميلادي (أى التاسع الهجري) تختلف كثيراً عما اتبعه صاحب « چهار مقاله » في منتصف القرن الثاني عشر (أى السادس الهجري) بينما نجد أن « ابن خلدون » قد منعه شغفه بالقديم من أن يعجب بالإغراق في استعمال المحسنات البلاغية التي انتشرت في كتابات أهل المشرق وكذلك في كتابات بني جلده خلال القرون الثلاثة الأخيرة .

ومع ذلك كله فإننا لانعدم أن نصادف البساطة واليسر في كتابات القدماء والمحدثين من الفرس على السواء ، فيما كتبوه من نظم أو نثر على السواء ، فكتاب « الإيقان » وهو من كتب « البايه » الذي كتبه « بهاء الله » حوالى سنة ١٨٥٩م يمتاز بمتانة الأسلوب وقوته حتى يشبه كتاب « چهار مقاله » الذي ألف من قبله بسبعة قرون ؛ وكذلك المنظومات التي ينظمها الشعراء المعاصرون في « تعزية الحسين » أو الأغاني الشعبية التي تعرف باسم « التصانيف » كل هذه تبلغ في سلامتها وعدم تكلفها مبلغ ما قاله « الرودكى » من أشعار جميلة رائعة . بينما نجد أن هذا الأسلوب المتصنع المشحون بالمحسنات البلاغية الذي يعرفه كل من قرأ « أنوار سبيلى » يأخذ في السيطرة على « الآداب الفارسية » كلما كان رعاتها من أصل تركى أو مغولى ، حتى يبلغ هذا الأسلوب ذروة مداه على أيدي الكتاب والشعراء العثمانيين من أمثال « ويسى » و « تركى » .

الفصل الثاني

عصر الدولة الغزنوية

منذ بدايته إلى وفاة السلطان محمود الغزنوي

مائة فارسي في نهاية القرن العاشر الميلادي (١):

عند ما أذن القرن العاشر الميلادي (= الرابع الهجري) بالزوال كانت « البلاد الفارسية » مازالت تابعة إسمياً للخلافة في بغداد ؛ وكان الخليفة في ذلك الوقت هو « القادر بالله » وقد طال مدة خلافته من سنة ٩٩١ م إلى ١٠٣١ م (= ٣٨١ إلى ٤٢٢ هـ) . ولكن « البلاد الفارسية » في الحقيقة كانت مقسمة في هذه الفترة بين « السامانيين » وعاصمتهم في « بخارى » وبين الديلمة من « آل بويه » الذين تسلطوا على الأقاليم الجنوبية والجنوبية الغربية وأصبح لهم الحكم المطلق في بغداد والسيطرة الفعلية على الخليفة بحيث أضحي في الواقع آلة في أيديهم يحركونها كيف يشاءون . يضاف إلى هاتين الدولتين إمارتان صغيرتان حكمتا على التابع في « طبرستان (٢) » و « كردستان » وها « آل زيار » و « آل حسنويه » . والظاهر أن هذه الدول جميعها كانت من أصل إيراني (فارسي أو كردي) والظاهر أيضاً أن حكامهم جميعاً لم يلقبوا بألقاب « السلاطين » وظل الواحد منهم يلقب بلقب « الأمير » أو « الإصفهني » أو « الملك » وفي هذا دلالة كبيرة على أنهم كانوا يعتبرون أنفسهم أمراء على الولايات أو حكاماً على الأقاليم لا تبلغ مرتبتهم مرتبة السلاطين .

(١) أي نهاية القرن الرابع الهجري .

(٢) طبرستان القديمة تشمل حالياً مازندران وغيلان أي الإقليم الواقع جنوب بحر قزوين إلى جبال « البرز » .

وقد عاصر « البيروني » هذه الدول التي تتحدث عنها واستطاع أن يذكر لنا في تفصيل أصل الدول الثلاث الهامة منها^(١). فذكر أن « البويهيين » ينتسبون إلى الملك الساساني « بهرام گور » ولكنه شك في هذا النسب بعض الشك ، وقال إن بعض الناس يرجعونهم إلى أصل عربي ؛ ومع ذلك فانتسابهم إلى بيت الملك الساساني أو عدم انتسابهم إليه لا يدعو إلى الشك مطلقاً في جنسيتهم الفارسية الواضحة .

أما « آل سامان » فقد ذكر « البيروني » عنهم إن الإجماع يتخذ على صحة نسبهم إلى « بهرام چوبين » الذي كان مرزباناً على بعض ولايات فارس أثناء حكم الملك الساساني « خسرو پرويز » من سنة ٥٩٠ إلى سنة ٦٢٧ م .

فلما تحدث عن « الزياويين » أرجع نسبهم إلى الملك الساساني « قباذ » من سنة ٤٤٨ إلى سنة ٥٣١ م . ولكن يجب ألا يغيب عن بالنا أن شكوك « البيروني » في نسب بعض هذه الدويلات وتأكيده في نسب بعضها الآخر ، ربما كان مرجعه إلى بعض العوامل السياسية التي أملت عليه دائماً أن يثبت لنا نبل الأصل الذي انتسب إليه مولاه الكريم وصاحب نعمته « قابوس بن وشمگیر الزباري » الملقب بـ « شمس المعالي قابوس » ؛ وربما كانت هذه العوامل السياسية نفسها هي التي أوحى إليه أن يرضى مولاه بالدأب في الطعن في نسب « آل بويه » . ويؤكد لنا صحة هذا الرأي ما ورد في جزء آخر من كتابه^(٢) ذكر فيه « البيروني » أن البويهيين حقيقون بكثير من اللوم والتعنيف لإغداقهم الألقاب الفخمة على وزراءهم ، وأن هذه الألقاب ما هي إلا أ كذوبة كبرى من أكاذيبهم الكثيرة ؛ فإذا انتهى من ذلك مدح مولاه « شمس المعالي قابوس » وذكر أنه لم يختبر لنفسه إلا لقباً بسيطاً لا يتجاوز معناه ما اتصف به من صفات عالية رفيعة .

منزلة الأدب في خراسان وطبرستان ومذوب فارس :

كان مقر السامانيين في « خراسان » وكانت هذه الولاية في ذلك الوقت أكثر

(١) أنظر « الآثار الباقية » وكذلك ص ٤٤ — ٤٨ من ترجمة « سخاو » لهذا الكتاب .

(٢) أنظر ص ١٣١ من ترجمة « سخاو » للآثار الباقية .

اتساعاً من الولاية التي تعرف بهذا الاسم حالياً ، لاشتغالها إذ ذاك على الأقاليم الواسعة من « آسيا الوسطى » ؛ وقد قلنا في الجزء الأول من هذا الكتاب إنها مهد الأدب الفارسي الإسلامي . وقد تحدث « الثعالبى » عنها في حماس فائق فذكر أنها « مثابة المجد ، وكعبة الملك ، ومجمع أفراد الزمان ، ومطلع نجوم أدباء الأرض ، وموسم فضلاء الدهر »^(١) . ومع ذلك فلا يجب أن نتصور أنها فاقت الأقاليم الجنوبية من إيران في الأدب والعلم وعلى الخصوص إقليم « فارس » لأن هذا الإقليم هو في الواقع مهد العظمة الفارسية الحقيقية . والثعالبى نفسه يورد لنا بيتين من الشعر قالهما الشاعر « أبو أحمد بن أبي بكر » من أبناء الدولة السامانية الذين عاشوا في نهاية القرن التاسع الميلادي (الثالث الهجري) يتضح منهما أن منزلة « خراسان » كانت تالية لمنزلة العراق في الفضل والعلم^(٢) . بل مازال يجري على الألسنة في إيران بيت تافه من الشعر يصم الخراسانيين بأنهم ماجنون مخرجون^(٣) (الدنك) .

ورغم ذلك كله ، كان في « خراسان » بعث اللغة الفارسية الأدبية بعد الفتح الإسلامي ، لأنها كانت أقصى ولايات الخلافة وأكثرها بعداً عن « بغداد » حاضرة « الثقافة الإسلامية » التي ظلت تستعمل اللغة العربية كلغة الأدب المعترف بها في

(١) أنظر ص ٣٣ من الجزء الرابع من يتيمة الدهر — طبع دمشق وكذلك مقالة المستشرق « بارييه دى مينار » في « المجلة الآسيوية » عدد مارس — إبريل سنة ١٨٥٤ ص ٢٩٣ بعنوان « صورة الأدب في خراسان وما وراء النهر في القرن الرابع الهجري » وعنوانها الفرشى .

Tableau Littéraire du Khorassan et de la Transoxiane au IV^e siècle de l'Hégire .

(٢) الترجمة : أنظر يتيمة الدهر ج ٤ ص ٣ ونص البيت كما يلي :
لا تعجب من عراقى رأيت له بحرأ من العلم أو كنزاً من الأدب
وأعجب لمن يبلاد الجهل منشأؤه . إن كان يفرق بين الرأس والذنب
وانظر أيضاً مقالة « بارييه دى مينار » التي أشرنا إليها فيما سبق .

(٣) أنظر كتاب « سنة بين القرس » A Year Amongst the Persians, p 232

ونصه بالفارسية .

از خراسان مثل من الدنكى مى آيد برون
وكلمة « الدنك » عند الخراسانيين بمعنى فاسق أو فاجر أو شرير .

الولايات المتحدة من إسبانيا إلى سمرقند حتى حطم الغول الخلافة في منتصف القرن الثالث عشر الميلادي (السابع الهجري) .

وكانت « طبرستان » أيضاً من الولايات البعيدة النائية التي استطاعت أن تحتفظ باستقلالها عن خلفاء بغداد وعن حكام السامانيين في « خراسان » طوال المدة التي حكمها فيها قادتها المعروفون باسم « الإصبهيد^(١) » ثم البيت العلوي الشيعي ثم آل زيار . وكانت تزدهر فيها ثقافة أدبية رفيعة تدل عليها هذه النبد الكثيرة التي وردت في أسبق توارخها الذي ألفه « ابن اسفنديار » في النصف الأول من القرن الثالث عشر الميلادي (السابع الهجري) . فقد أشار فيه إلى طائفة كبيرة من التأليفات العربية . وكذلك نقل فيه مجموعة من الأشعار العربية التي أنشدها منشدوها في القرنين التاسع والعاشر الميلاديين (الثالث والرابع الهجريين) وخاصة أثناء حكم أئمتها الزيديين^(٢) (٨٦٤ - ٩٢٨ م = ٢٥٠ - ٣١٦ هـ) كما ذكر فيه طائفة من الكتب الفارسية من بينها كتاب أو كتابين في اللهجة « الطبرية » الخاصة^(٣) .

(١) هؤلاء ظلوا يحكمون طبرستان فترة طويلة بعد الفتح الإسلامي وزوال ملك سادتهم الساسانيين .

(٢) انظر القسم الأول — الفصل الرابع (ورقة ٤٢ ب وما يليها من المخطوط المحفوظ بإدارة الهند ، وكذلك صحيفة ٤٢ وما يليها من ترجمتي الإنجليزية) وفيه يذكر المؤلف ملوك طبرستان وأعيانها وأولياءها ورجالها المشهورين وكتابتها وحكامها ومنجيبها وفلاسفتها وشعراءها ، وقد ذكر من بين شعرائها المشهورين « ابا عمرو » الذي كان يسمى « شاعر طبرستان » حوالي سنة ٨٧٠ م = ٢٥٧ هـ وكذلك « أبا الغلاء السروي » و « السيد الأطروش » وقد نسب إلى « السيد أبي الحسين » طائفة من الكتب العربية المشورة ، وأورد أسماء خمسة من أهم مولفاته .

(٣) يذكر ابن اسفنديار طائفة كبيرة من الأشعار التي قيلت باللهجة الطبرية ومن بينها الأشعار التي قالها « خرشيد بن أبي القاسم الماطري » و « باريد الجريدي » . ولكن يظهر أن أقدم كتاب في هذه اللهجة هو كتاب « نيكى نامه » الذي أصبح فيما بعد أساساً للكتاب الفارسي « مرزبان نامه » (أنظر كتاب شيفر « مختارات فارسية — مجلد ٢ ص ١٩٥) : Schefer : Chrestomathie Persane, Vol. II, p. 195 وكذلك نقل « ابن اسفنديار » طائفة من الأشعار الطبرية التي قالها « علي بيروزه » الملقب « ديواروز » وكان من المعاصرين لعهد الدولة البويهية (منتصف القرن العاشر الميلادي والرابع الهجري) .

وقد يكون مثاراً للحيرة والتساؤل أن نرى أن قدراً قليلاً جداً من الأدب الفارسي قد نشأ على أيام « البويهيين » رغم ما نعرفه عنهم من أنهم كانوا فرساً وكانوا شيعة وكانوا من كبار رعاة العلوم والآداب بحيث أضحى من أكثر الأمثلة جريانا على الألسن قولهم : « أبلغ من العبادين » أى من وزيرهم المعروف « صاحب اسماعيل بن عباد » ومؤرخهم الكبير « الصابي » . فإذا لاحظنا أن جملة الأدب الذى نشأ في أكنافهم كان عربياً ، لم يمكننا تفسير هذه الظاهرة بأكثر من أنها كانت نتيجة لازمة لعلاقتهم التى احتفظوا بها مع « بغداد » مقر الخلافة وعاصمة الإسلام . ومع ذلك كله فلن نخافنا أدنى شك في أن الشعر الفارسي قد نما وترعرع في قصور البويهيين كما نما وترعرع عندهم أيضاً الشعر العربي . وقد ذكر « محمد عوفى » وهو أقدم من سجل تراجم شعراء الفرس في كتابه « لباب الألباب » إسمى شاعرين من الشعراء ، أنشدا الشعر بالفارسية وكانا محللاً لرعاية « صاحب اسماعيل ابن عباد » وهما « منصور بن على الرازى » الملقب بـ « النطقى » و « أبو بكر محمد بن على السرخسى » الملقب بـ « الخسروى » . وقد أخبرنا « عوفى » أن أولهما كان مقرباً من « صاحب » وقد قال في مدحه القصائد الفارسية . ونقل لنا « عوفى » بعض أمثلتها ومن بينها الأبيات الثلاثة الفارسية التى طلب صاحب من « بديع الزمان الهمذاني ^(١) » ترجمتها إلى العربية ليختبر قدرته فى الكتابة والإنشاء عندما قدم إليه وهو فى الثانية عشرة من عمره ^(٢) .

وأما ثانيهما وهو « الخسروى » فقد قال شعراً عربياً وفارسياً في مدح الحاكم ازيارى فى طبرستان « شمس المعالى قابوس بن وشمكير » وكذلك فى مدح « صاحب ابن عباد » . ونجد أيضاً شاعراً ثالثاً هو « قرى الجرجانى » قد تغنى بأشعاره الفارسية فى مدح هذا الأمير .

السلطان محمود الغزنوى :

أما مجموعة الشعراء والمُنشدين الذين كانت تزدان بهم قصور القامح العظيم

(١) هو مؤلف « المقامات » التى تعتبر كثيراً حاولوا لتخاثر اللغة العربية ولا يفضلها إلا مقامات « الجبريتى » .

(٢) أنظر « لباب الألباب » ج ٢ ص ١٦ - ١٩ .

السلطان محمود الغزنوي الذي تولى العرش بعد أبيه « سيكتكين » في سنة ٩٩٨ م = ٣٨٨ هـ . فقد كانت أبعد شهرة وأقوى مكانة من كل من ذكرناه من الشعراء فيما سبق لنا من قول .

وقد ارتفعت الدولة الغزنوية إلى الأوج في قليل من الزمن بفضل همه « محمود » وحسن قيادته ، ثم أسرع بعد ذلك إلى حضيض الزوال أمام قوة « السلاجقة » المتزايدة . ويرجع أصلها في الحقيقة إلى سنة ٩٦٢ م = ٣٥١ هـ حينما أسسها عبد تركي اسمه « البتكين » من عبيد السامانيين في مدينة « غزنه » في وسط الهضاب الأفغانية المرتفعة . ولكن هذه الدولة لم يتم تكوينها سياسياً إلا بعد أربعة عشر عاماً من هذا التاريخ عندما تولاهما « سيكتكين » والد « محمود » وكان هو أيضاً عبداً لمؤسسها الأول « البتكين » . وبذلك نجد أن محموداً الذي عرف فيما بعد بألقاب كثيرة من بينها « بطل الإسلام » و « فاتح الهند » و « محطم الأصنام » و « عيّن أمير المؤمنين » و « عيّن الدولة » لم يكن في الحقيقة إلا ابناً لعبد كان مملوكاً لعبد آخر ؛ وقد استغل « الفردوسي » هذه الحقيقة في هجائه لمحمود حينما خابت آماله في الحصول على مكافأة جديرة بما لاقاه من نصب وعناء مدة ثلاثين سنة قضاها في نظم ملحمة الخالدة « الشاهنامه » فاستطاع في طرفه عين أن يمحوا الشهرة العريضة التي حازها نصير الآداب « محمود الغزنوي » وأن يقلبها إلى أخبث أنواع الشين والشنار ، بحيث إذا جاء « جاي » بعد ذلك بخمسة قرون نجهده يقول البيت الآتي مصداقاً لهذا المعنى :

گذشت شوکت محمود و در فسانه نماند جز این قدر که ندانست قدر فردوسی ومعناها :

— لقد مضت شوكة « محمود » وطوتها الأساطير .

ولم يبق منها إلا أنه لم يعرف للفردوسي قدره الكبير . . . ١١٠

ووفقاً للنهج الذي انتهجناه في الجزء الأول من هذا الكتاب لن يفوز منا السلطان « محمود الغزنوي » إلا بالسامية يسيرة للغاية ؛ وستقصر جل عنايتنا على هذه الدائرة من النشاط الأدبي العلوي الذي ظهر على أيامه ، والذي استطاع محمود — بواسطة التخوف لا الترغيب — أن يجعل مركزه في قصره بحيث كانت ترنو إليه الأبصار

وتشخص إليه الأنظار . أما أعماله فتدل على عبقرية حريية وسياسية فائقة . فقد استطاع أن يغلب السامانيين على أمرهم وأن يغزو الهند وينازل الهنود في اثنتي عشرة معركة في مدة أربع وعشرين سنة (١٠٠١ - ١٠٢٤ م = ٣٩٢ - ٤١٥ هـ) وأن يزيد حدود مملكته التي ورثها حتى امتدت من بخارى وسمرقند إلى كجرات وقنوج وشملت فيما شملته أفغانستان وما وراء النهر وخراسان وطبرستان وسجستان وكشمير وجزءاً كبيراً من الولايات الواقعة في الشمال الغربي من الهند . حتى إذا كانت سنة ١٠٣٠ م = ٤٢١ هـ أدركته الوفاة . وبعد ذلك بسبع سنين انتقل ملكه العريض فعلياً إلى أيدي السلاجقة الأتراك ، ولو أن دولته التي أسسها لم يقض عليها القضاء النهائي إلا في سنة ١١٨٦ م = ٥٨٢ هـ عندما استولى « ملوك الغور » على آخر ممتلكاتها في الهند وأوقعوا بها الواقعة القاصمة .

وطالما وصف الكتاب محموداً الغزنوي بأنه كان نصيراً كبيراً للأدب والفنون ، ولكنه في رأي أقرب إلى أن يوصف بأنه من كبار « الخاطفين » لرجال الآداب والفنون . وكثيراً ما كان يعاملهم في النهاية معاملة تنطوي على كثير من الازدراء والامتهان كما يتضح لنا ذلك من قصته التي رويناها عن الفردوسي . ولم يكن بين رجال العلم في زمانه من يفضل « ابن سينا » و « البيروني » وقد كان أولهما حكماً فيلسوفاً تلمذ على « أرسطو » و « جالن » وأصبح بذلك أستاذاً للبلاد الأوروبية في القرون الوسطى ؛ وأما ثانيهما فكان مؤرخاً يشار إليه بالبنان . وكان مولد أولهما في سنة ٩٨٠ م = ٣٧٠ هـ ومولد الثاني قبل ذلك بسبع سنوات تقريباً ؛ وكان الاثنان يعيشان عيشة هائلة^(١) مع زمرة منتخبة من رجال العلم والأدب مثل الفيلسوف « أبي سهل السجسي » والطبيب « أبي الخير الحسن بن الجمار » والرياضي « أبي نصر ابن العزاق » لدى « مأمون بن مأمون » أمير خوارزم الذي اغتصب محموداً ملاكته في سنة ١٠١٧ م = ٤٠٨ هـ^(٢) . ولقد أرسل محمود قبل ذلك إلى « مأمون » خطاباً ، أنفذه على يد واحد من أتباعه المسمى « حسين بن علي بن ميكايل » يقول فيه : لقد سمعت أن جماعة من رجال العلم يقومون على خدمة أمير خوارزم مثل فلان

(١) أنظر كتاب « جهار مقالته » القصة ٣ وكذلك ص ١٦٨ - ١٢٤ في الترجمة الإنجليزية .

(٢) أنظر ترجمة « سخاو » لكتاب « الآثار الباقية » ص ٨ .

وفلان وكل واحد منهم قد أصبح نسج وحده وبرز في علمه ، ومن الواجب عليك أن ترسلهم جميعاً إلى قصرى حتى يتشرفوا ببلقائى ، فنحن نرجو أن ننتفع بعلمهم وفنهم ، ونرجو أن يحقق لنا أمير خوارزم هذه الرغبة التى أبديناها . . .»

ابن سينا يفر منه قبضة محمود :

وكان هذا الخطاب على ظاهره معتدل اللهجة ، ولكنه فى الحقيقة كان مجرد أمر من محمود إلى « مأمون » أن يبعث إليه بمن لديه من رجال العلم والأدب . وقد فهمه « مأمون » على هذا الوجه ، فأرسل يستدعى الرجال الذين وردت اسمائهم فى سطورهم ، فلما حضروا إليه قال لهم : « إن السلطان محمود أرجل قوى وقد جمع الجيوش الجرارة من خراسان والهند ، وهو يحرص على الاستيلاء على العراق (خوارزم) ولست أملك أن أخالف له أمراً أو أعصى له طلباً فما عساكم تقولون فى ذلك ؟! » فأبدى ثلاثة من الرجال وهم « البيرونى » و « الحار » و « العراق » رغبتهم فى الذهاب إليه ، مدفوعين فى ذلك بما سمعوه عنه من نخوة وكرم . ولكن « ابن سينا » و « المسيح » آثرا الرضى واستطاعا بمعونة « مأمون » أن يعملوا على الهرب والفرار . فأما « المسيح » فقد هلك فى عاصفة رملية اجتاحت فى الصحراء ؛ وأما « ابن سينا » فقد استطاع بعد معاناة كثير من الشدائد أن يصل إلى « ايورد » ثم ارتحل منها إلى « طوس » ف « نيسابور » حتى وصل فى النهاية إلى « جرجان » وكان يتولاه فى ذلك الوقت رجل العلم والأدب « شمس المعالى قابوس بن وشمكير » (المقتول فى سنة ١٠١٢ م = ٤٠٣ هـ) .

وكان « ابن سينا » أول الرجال الذين طلبهم محمود ، فلما علم هذا الأخير بهربه أمر رجاله أن يصوروا صورته ، وأن يذيعوها فى أنحاء البلاد . وفى هذه الأثناء استطاع « ابن سينا » أن يشقى أحداً أقارب « قابوس » فاستدعاه هذا الأمير ليعبر له عن إعجابه بحكمته ، فلما مثل بين يديه ، عرف أنه الرجل الذى يرغب فيه « محمود » . ولكنه لم يشأ أن يسلبه إليه واستبقاه لديه مكرماً ميجلاً ، فبقى فى خدمته حتى سافر إلى « الرى » ودخل فى خدمة « علاء الدولة محمد » حتى أصبح وزيراً له . وقد

تمكن « ابن سينا » طوال هذه الفترة — كما يحدثنا صاحب « چهار مقاله^(١) » — من أن يكتب في الساعات المبكرة من الصباح صفحتين يومياً من كتابه الفلسفي العظيم « الشفاء » .

البيروني والسلطان محمود الغزنوي:

فإذا رجعنا الآن وهلة قصيرة إلى حياة « البيروني » في القصر الغزنوي كما وصفها الحكاية الثالثة والعشرون من كتاب « چهار مقاله » فإننا نجد أن السلطان محمود الغزنوي جلس يوماً في مدينته غزنة في قصره الصيفي ذي الأبواب الأربعة، وكان يتوسط حديقته ذات الألف شجرة، فطلب من البيروني أن يحسب النجوم ويخبره عن الباب الذي سيخذه مخرجاً من القصر، وأذن « البيروني » لأمر مولاه، وكتب إجابته على ورقة طواها ووضعها تحت وسادته. عند ذلك أمر السلطان بأن يحدثوا في الحائط ثغرة جديدة فجعلها في هذه المرة مخرجه من القصر، ودعا بالورقة التي كتبها البيروني فلما قرأها اشتدت دهشته لأن « البيروني » كان قد كتب فيها العبارات التالية: « لن يخرج الملك من هذه الأبواب الأربعة، ولكنه سيحدث ثغرة في الحائط الشرقي يدلف منها إلى الخارج ». وكان السلطان محمود يريد أن يهزأ بالبيروني، فلما وجد إجابته على هذا النحو غضب غضباً شديداً، وأمر رجاله فألقوه من فوق السقف، ولكنهم تلقوه في شبكة نصبوها فوق الأرض، ثم أحضروه إلى الملك ثانية فسأله: « هل استطعت أيضاً أن تتنبأ بما حدث لك في هذه المرة...؟ » فأسرع البيروني إلى أحد جيوبه وأخرج منه دفترًا قد كتب فيه: « اليوم سيلقي بي من مرتفع، ولكني سأصل الأرض سالماً، ولن يصيب جسدي شيء من السوء...!! » وكشر الملك عن نابه مرة ثانية، وأمر رجاله فحبسوه في القلعة فبقِيَ في محبسه ستة أشهر حتى استشفع له وزيره « أحمد بن الحسن اليميني » الذي انتبه فرصة موالية فقال لمولاه: « إن أبا ريحان البيروني رجل مسكين حقاً، فقد تنبأ مرتين بأمور صادقة، ولكنك بدل أن تخلع عليه الخلع الجليلة قيده بالقيود والأغلال الثقيلة... »

(١) أظفر الحكاية السابعة والثلاثين .

قَالَ الْمَلِكُ لَوْزِيرِهِ : « إِنِّي أَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الرَّجُلَ لَا نَظِيرَ لَهُ إِلَّا ابْنُ سَيْنَا ، وَلَكِنْ تَنْبِؤَاتُهُ جَاءَتْ عَلَى غَيْرِ مَرَامِي ، وَالْمُلُوكُ كَالْأَطْفَالِ الصَّغَارِ ، لَكِي تَتَالَ خَيْرُهُمْ يَجِبُ أَنْ تَحْدِثَ بِمَا يَحُولُ فِي خَوَاطِرِهِمْ ، وَكَانَ مِنَ الْخَيْرِ لَهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمَ أَنْ تَفْشَلَ إِحْدَى نَبِؤَاتِهِ ؛ وَمَعَ ذَلِكَ أَصْدَرَ أَمْرًا فِي الْقُدَاةِ أَنْ يَفْرَجُوا عَنْهُ ، وَأَنْ يَمْنُحُوهُ جَوَادًا مَطْهَمًا ، وَأَنْ يَخْلَعُوا عَلَيْهِ خَلْعَةً غَالِيَةً ، وَأَنْ يَعْطُوهُ أَلْفَ دِينَارٍ وَعَبْدًا وَجَارِيَةً جَمِيلَةً » .

وَبِمَثَلِ هَذِهِ الْمَكَاافَةِ الْمَأْخُذَةِ عَنْ أَوَانِهَا ، أَرَادَ السُّلْطَانُ مُحَمَّدُ (كَمَا فَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ تَمَامًا مَعَ الْفَرْدُوسِيِّ) أَنْ يَكْفُرَ عَنْ سَيِّئَاتِهِ الَّتِي ارْتَكَبَهَا فِي سَاعَةٍ مِنْ سَاعَاتِ الْغَضَبِ الَّتِي لَا مَبْرَرَ لَهُ ، وَفِي سَاعَةٍ مِنْ سَاعَاتِ الشَّكِّ الَّتِي لَا أَسَاسَ لَهُ .

أَبُو الْفَتْحِ الْبُسْتِيُّ :

وَمِنْ بَيْنِ رِجَالِ الْأَدَبِ الْمَعْرُوفِينَ بِالْمَهَارَةِ فِي الْإِنْشَاءِ الْعَرَبِيِّ نَظْمًا وَثَرًا « أَبُو الْفَتْحِ الْبُسْتِيُّ » وَقَدْ أَخَذَهُ « سَبْكْتِكِينَ » وَاللَّهُ مُحَمَّدٌ عِنْدَمَا تَمَّ لَهُ الْاِسْتِيلَاءُ عَلَى مَدِينَةِ « بَسْت » وَهَزِيمَةُ حَاكِمِهَا « بَايْتُوز » . وَقَدْ اِتَّقَلَ هَذَا الْكَاتِبُ الْبَارِعُ وَالشَّاعِرُ الْبَدِيعُ إِلَى خِدْمَةِ السُّلْطَانِ مُحَمَّدٍ وَمَاتَ فِي بَغْدَادٍ مَضِيًّا (١) فِي سَنَةِ ٤٠٠ هـ = ١٠٠٩ م . وَقَدْ كَانَ مَاهِرًا فِي الصَّنَاعَاتِ الْبَدِيعِيَّةِ ، وَلَهُ قَصِيدَةٌ مَعْرُوفَةٌ يُخْبِرُنَا « الْمَتْنِي » بِأَنَّهَا كَانَتْ عَالِيَةِ الشَّأْنِ فِي زَمَانِهِ يَحْفَظُهَا النَّاسُ عَنْ ظَهْرِ قَلْبٍ ، وَمَا زَالَ « الْمُنْشِدُونَ » يَنْشُدُونَهَا إِلَى الْآنَ فِي مَقَاهِي « الْقَاهِرَةِ » وَمَطْلَعُهَا (٢) :

زِيَادَةُ الْمَالِ فِي دُنْيَاهُ تَقْصَانٌ وَرِبْحُهُ غَيْرُ غَضْخٍ الْخَيْرِ خُسْرَانٌ

وَقُلْ لَنَا « دَوْلَتِشَاه » مِنْ أَشْعَارِهِ الْعَرَبِيَّةِ الْاَيَّامِ التَّالِيَةِ :

نَصَحْتُكُمْ يَا مُلُوكَ الْأَرْضِ لَا تَدْعُوا كَسْبَ الْمَكَارِمِ بِالْإِحْسَانِ وَالْجُودِ

(١) انظر يَتِيْمَةُ الدَّهْرِ ج ٤ ص ٢٠٤ - ٢٣١ وكذلك تَارِيخُ الْيَمِينِيِّ لِلْعَتَبِيِّ طَبْعُ الْقَاهِرَةِ سَنَةِ ١٢٨٦ هـ ج ١ ص ٦٧ - ٧٢ مَعَ شَرْحِ الْمَتْنِيِّ ، وَكَذَلِكَ ابْنُ خُلْسَانَ تَرْجُمَةُ دِي سَلِينِ « De Slane » ج ٢ ص ٣١٤ - ٣١٥ .

(٢) هَذِهِ الْقَصِيدَةُ مَذْكُورَةٌ فِي كِتَابِ « خَرَابَات » لَضِيَا بَكْ ج ١ ص ٢٧١ - ٢٧٢ .

وانفقوا ييضكم والحر في شرف لا ينتهى باختلاف البيض والسود
هذى ذخائر «محمود» قد انتهت ولا اتهاب لنا في ذكر محمود
وتاريخ وفاته المذكور في بيتين من قول «ملك عماد الزوزنى» على هذا
النحو :

شيخ عالى قدر مجد الدين أبو الفتح آنكه بود
مقتداى اهل فضل وسرور اهل كلام
چار صد باسى چو از تاريخ احمد در گذشت
در مه شوال رحلت كرد تا دار السلام
(أى فى شهر شوال سنة ٤٣٠ هجرية) .

رعاة الآداب وكثرتهم :

وقد امتاز هذا الزمان بتقدير الأمراء لرجال الأدب والسعى إلى إرضائهم وخطب
ودهم ، فقد كان كل أمير يريد أن يتفوق على أقرانه وخصومه فى كثرة من يحوطه من
رجال العلوم والفنون . وكانت المراكز الأدبية فى ذلك الوقت عبارة عن « غزنة »
عاصمة السلطان محمود ، و « نيسابور » عاصمة أخيه « أبى المظفر نصر » فى ولاية
خراسان ، و « بخارى » إلى أن انتهى أمر السامانيين حوالى سنة ١٠٠٠م = ٣٩١هـ
والمدن المختلفة فى جنوب وغرب إيران تحت حكم البويهيين ، وقصور العلويين
والزياريين فى ولاية طبرستان ، وقصور ملوك خوارزم الثلاثة المعروفين باسم « مأمون »
فى مدينة « خيوه » .

ولقد يستطيع الكاتب أن يكتب بحثاً ممتعاً عن كل واحد من هذه المراكز
الأدبية الالامعة ، وسيجد مادتها موزعة فى طيات الكتب ولكنها غزيرة وافية ،
وسيجد أخباراً كثيرة عن الشعراء الذين أنشدوا بالعربية فى كتاب « يتيمة الدهر »
للأبى منصور الثعالبي وفى ملحق اليتيمة وهو « دمية القصر » للباخرزى الذى لم ينشر
حتى الآن (١) ، وسيجد أخباراً كثيرة عن شعراء طبرستان وكتابتها فى المقالات التى

(١) الترجمة : نشر هذا الكتاب فى مدينة حلب سنة ١٣٤٩هـ = ١٩٣٠م .

نشرها «دورن» عن تاريخ هذه الولاية في سنة ١٨٥٠ - ١٨٥٨ م في مدينة «سان ييترسبورج» وكذلك في التاريخ القديم الذي ألفه «ابن اسفنديار» ، ونشرت ترجمة مختصرة له في المجلد الثاني من «سلسلة جيب التذكارية» ؛ وسيجد أخباراً كثيرة عن «إصفهان» في الرسالة التي نشرت مختصرة في مجلة الجمعية الملكية الآسيوية عدد يولي وأكتوبر سنة ١٩٠١ م ؛ وسيجد أخباراً كثيرة أخرى في كتب التاريخ والتراجم العامة وعلى الخصوص كتب «ابن الأثير» و «ابن خلكان» و «العيني» وغيرهم من الكتاب والمؤلفين .

أبو منصور الثعالبي :

وكان من عادة الشعراء ورجال العلم والأدب في ذلك الزمان أن يتقلوا بين القصور المختلفة ، وأن ينظموا القصائد أو يؤلفوا الكتب ويهدوها إلى الأمراء المختلفين . فوجد مثلاً أن أبا منصور الثعالبي النيسابوري أهدى كتابه «لطائف المعارف» إلى صاحب إسماعيل بن عباد^(١) وزير نجر الدولة البويهى ؛ وأهدى «المهج» و «التلح والخاصرة» إلى «شمس المعالي قابوس بن وشمكير» ؛ وأهدى «سحر البلاغة» و «قه اللغة» إلى «الأمير أبي الفضل الميكالى» ؛ وأهدى «النهاية في الكناية» و «شر النظم» و «اللطائف والظرائف» إلى «مأمون بن مأمون» أمير خوارزم^(٢) .

أبو ريحانة البيروني :

وكذلك فعل أيضاً العلامة الكبير أبو ريحانة البيروني (وليد سنة ٩٧٣ م = ٣٦٣ هـ) فقد قضى الشطر الأول من حياته في رعاية أمراء خوارزم وأخوة من أسرة مأمون ،

(١) أنظر ص ٢ من طبعة «دى يونج» في لندن سنة ١٨٦٨ م .

(٢) أنظر مؤلفات الثعالبي في كتاب «بروكلمان» عن تاريخ الأدب العربي ج ١ ص ٢٨٤ إلى ٢٨٦ وكذلك في ص ٩ وما يليها من مقدمة «زوتبرج» على كتاب «غرر أخبار ملوك الفرس» وهو كتاب قدمه الثعالبي إلى شقيق السلطان محمود العروف بأبي المظفر نصر .

ثم انتقل إلى قصر شمس المعالي « قابوس بن وشمكير » في طبرستان ، وهناك أهدى إليه كتابه « الآثار الباقية » حوالي سنة ١٠٠٠ م = ٣٩١ هـ ، ثم عاد إلى خوارزم ومنها نقلوه بأمر السلطان محمود إلى أفغانستان حوالي سنة ١٠١٧ م = ٤٠٨ هـ فبقى في خدمته إلى أن أدركت السلطان محمود منيته في سنة ١٠٣٠ م = ٤٢١ هـ وبعد ذلك بقليل نشر كتابه الثاني « تحقيق ما للهند من مقولة معقولة أو منقولة » . وقد نشره وترجه « الدكتور سخاو » وأشار في مقدمته إلى « أن الباحث الحديث في أيامنا لو بدأ دراسة اللغات السنسكريتية والهندية وأعانتة العلوم والآداب المختلفة على ذلك ؛ لبقى عدداً طويلاً من السنين دون أن يتعكن من معرفة تاريخ الهند القديم بمثل الدقة والبراعة اللتين وصل إليهما البيروني في تاريخه عن الهند » .

وبعد ذلك بستين استطاع « البيروني » أن ينشر كتابه الذي كتبه بالعربية والفارسية^(١) « التفهيم في صناعة التنجيم » وكتاب « قانون السعودي » . وقد كتب أول هذين الكتابين للسيدة « ريحانة الخوارزمية » وكتب ثانيهما وأهداه للسلطان « مسعود بن محمود بن سبكتكين » . ثم أهدى بهذلك كتابه عن الأحجار الكريمة إلى « مودود بن مسعود »^(٢) .

مراكز الحضارة الأربعة في إيران :

بالإضافة إلى « غزنه » كانت توجد في إيران في الفترة المبكرة من العصر الغزنوي مراكز أربعة تختبئ إليها رجال العلم والأدب وهي :

- ١ — قصر صاحب بن عباد : وزير البويهيين ؛ وكان يقيم عادة في « إصفهان » أو « الري » .

(١) أنظر كتالوج المخطوطات الفارسية جمع « ريو » ص ٤٥١ — ٤٥٢ وقد وصف فيه مخطوطاً فارسياً لهذا الكتاب تاريخه ١٢٨٦ م = ٦٨٥ هـ .
الترجم : طيم الأستاذ جلال ههائي النص الفارسي لهذا الكتاب أخيراً في طهران سنة ١٣١٨ هجرية شمسية : بعنوان : « التفهيم لأوائل صناعة التنجيم » .
(٢) أنظر قائمة بمؤلفات البيروني في كتاب بروكلمان ج ١ ص ٤٧٥ — ٤٧٦ .

- ٢ - قصر السامانيين في « بخارى » .
- ٣ - قصر شمس المعالي « قابوس بن وشكير » في « طبرستان » على مقربة من بحر قزوين .
- ٤ - قصر ملوك خوارزم المعروفين باسم « مأمون » في « خيوه » .
- ولكن حدث في فترة السنوات العشرين الواقعة بين سنتي ٩٩٧ م و ١٠١٧ م $387 = 408$ هـ أن توفي « صاحب بن عباد » في سنة ٩٩٧ م $= 387$ هـ ؛ كما زالت الدولة السامانية من الوجود في سنة ٩٩٩ م $= 390$ هـ ؛ ثم قتل بعد ذلك شمس المعالي « قابوس » في سنة ١٠١٢ م $= 403$ هـ على يد جماعة من الأشراف الثأرين ؛ كما قتل أيضا « مأمون الثاني » ملك خوارزم عقب ثورة أعقبتها ضم ممتلكاته إلى السلطان محمود في سنة ١٠١٧ م $= 408$ هـ ؛ واستطاع السلطان محمود بواسطة ذلك وبواسطة الفتح والغزو أن يضم إليه رجال الأدب والعلم الذين كانوا يحيطون خصومه من الأمراء الذين ذكرناهم فيما سبق ؛ ومع ذلك لم يكن هو نفسه ليمتاز بما امتاز به هؤلاء الخصوم من ذوق فني وخصال سليمة وشيم كريمة .

الصاحب بن عباد :

والثعالبى يتحدث في يتيمة عن الصاحب بن عباد فيقول مايلي (١) :

« ليست تحضرني عبارة أرضاها للانصاح عن علو محله في العلم والأدب ، وجماله شأنه في الجود والكرم ، وتفرد لغايات الحاسن ، وجمعه اشتات الفاخر ، لأن همه قولى تنخفض عن بلوغ أدنى فضائله ومعاليه ، وجهد وصفى يقصر عن أيسر فواضله ومسايعه . ولكنى أقول هو صدر الشرف ، وتاريخ المجد ، وغرة الزمان ، ونبوع العدل والإحسان ، ومن لا حرج في منحه بكل ما يمدح به مخلوق ، ولولاه ما قامت للفضل في دهرنا سوق ... »

ويضيف ابن خلكان إلى ذلك العبارة التالية :

« واجتمع عنده من الشعراء ما لم يجتمع عند غيره ومدحوه بغرر المدائح ... »

(١) انظر يتيمة الدهر طبع بيروت ج ٣ ص ٣١ - ٣٢ .

المرجم : في النص الذى اوردهناه زيادة قليلة .

شمس المعالى قابوس :

أما شمس المعالى « قابوس بن وشمكير » حاكم طبرستان ، فيرجع نسبه إلى « آل قارن » (قارنوند) وهم إحدى الأسر السبع الرفيعة على أيام الساسانيين الذين كان العرب يسمونهم « أهل البيوتات » . والبيروني يرجع نسبه إلى الملك الساساني « قباذ » والد « انوشيروان »^(١) ويقول « ابن اسفنديار » في « تاريخ طبرستان » « إن من شاء أن يلمس عظمته ورفعته ، فعليه أن يقرأ ما كتبه عنه « الثعالبي » و« العتي » في كتبهما^(٢) . وقد جمع « اليزدادي » أقواله وجعلها في كتاب عنوانه : « قرآن شمس المعالى وكال البلاغة » وقد نقل « ابن اسفنديار » ما يقرب من ثلاثين سطرا من هذا الكتاب وعلق عليها بأن « قابوس » كان مبرزاً في علوم البلاغة العربية ، ممتازاً في الشجاعة وأوصاف البطولة ، متفوقاً في الفلسفة والنجوم . وقد كتب بالعربية رسالة عن « الاسطرلاب » أعجب بها كثيراً « أبو اسحاق الصابي » .

وكان « قابوس » يكلف كاتبه « عبد السلام » بمراسلة « الضاحب بن عباد » ووزيره « أبي العباس الغامى » ؛ وكذلك كان يرسل « أبا نصر العتي » مؤرخ السلطان محمود ، وقد نقل هذا المؤرخ عنه في أعجاب شديد رسالة عربية قصيرة من تأليفه في بيان ما امتاز به كل واحد من الصحابة^(٣) .

ومن أسف أن « قابوس » رغم ما امتاز به من نبيل الأصل وعلو العقل كان فظاً غليظ القلب كثير الظنون يتعطش في بعض الأحيان إلى سفك الدماء ، وقد كانت حادثة إعدامه لأحد كتبه الـ « حاجب نعيم » بتهمة الاختلاس هي السبب المباشر والأخير الذي دعا رجاله إلى الثورة عليه وخلعه وقتله . فلما تم لهم ذلك نصبوا في مكانه ابنه « منوچهر فلك المعالى » وهو الأمير الذي استمد منه الشاعر « منوچهرى » لقبه الشعري (تخلصه) لرعايته له وتقريبه إياه .

(١) انظر الآثار الباقية ترجمة سخاوى ص ٤٧ .

(٢) انظر يتيمة الدهر طبع دمشق ج ٣ ص ٢٨٨ وكذلك تاريخ العتي طبع القاهرة سنة ١٢٨٦ هـ ج ٥ ص ١٤-١٧ وص ١٧٢-١٧٨ .

(٣) انظر تاريخ العتي ج ٢ ص ١٧-٢٦ .

السلطان محمود ، أموره وألقابه :

أما الحكماء الآخرون المعاصرون للسلطان محمود الغزنوي فيكفي أن نذكر منهم أن خليفة بغداد على عهده كان « القادر بالله » ؛ أما الخليفة الفاطمي في مصر فكان «أباعلي المنصور» في الثلثين الأولين من الفترة التي تولاهما السلطان محمود ، والخليفة « الظاهر » في الثلث الأخير من أيام حكمه .

والمأثور عن « محمود » أنه أول من تلقب بلقب « سلطان » . ويظهر أيضا كما يستفاد من « تاريخ العتيبي^(١) » أنه تلقب أيضاً بلقب « ظل الله في أرضه » كفعل بعد ذلك سلاطين آل عثمان . وكان محمود سني المذهب يعترف بالسلطة الروحية العليا لخليفة بغداد^(٢) أما ألقابه الكاملة فكانت كما يلي^(٣) :

« الأمير السيد ، الملك المؤيد ، يمين الدولة ، وأمين الملة ، أبو القاسم محمود بن ناصر الدين أبي منصور سبكتكين ملك الشرق بجانيه » .

وأشهر وزرائه هو « أبو القاسم أحمد بن الحسن الميمندي » . وكانوا يلقبونه بـ « شمس الكفاة » وهو الوزير الذي استشفع أكثر من مرة لليروي والفردوسي ، وقد مدحه كثير من الشعراء المعاصرين بكثير من القصائد الجميلة .

ويجب علينا عند هذا الحد أن نتصرف عن هذا المجلد الذي استعرضنا فيه صورة إيران السياسية في هذا الوقت لندرس جملة من الكتاب والشعراء الممتازين الذين عاشوا فيه ، ولن نقصر دراستنا على من استعمل اللغة الفارسية وحدها من هؤلاء ، لأننا لو فعلنا ذلك لظلمنا العبقرية الفارسية كل الظلم ، لأن اللغة العربية ظلت طوال هذا العصر ولمدة القرنين ونصف القرن التالية ، لغة العلم ولغة السياسة والمراسلة والأدب الرفيع ، وعلى ذلك سندأ حديثنا عن أشهر كتاب الفرس الذين اتخذوا العربية وسيلة لكتاباتهم ومنشآتهم كلها أو جلها .

(١) انظر المرجع السابق ج ١ ص ٢١٠ .

(٢) انظر تاريخ ابن الأثير سنة ٤٢٠ هـ فهو يذكر أن محموداً في نهاية حياته كان يأمر بصلب الإسماعيلية ونقي المعتزلة ويأحرق كتب الفلاسفة والعلماء .

(٣) انظر تاريخ العتيبي ج ١ ص ٢١٠ .

أبو ريحان البيروني :

ومن أشهر هؤلاء على الإطلاق «أبو ريحان البيروني» مؤلف الكتب الآتية :
(١) الآثار الباقية .

(ب) تحقيق ما للهند من مقولة معقولة أو منقولة .

(ج) التفهيم في صناعة التنجيم بالفارسية .

وله كتب كثيرة أخرى أغلبها مفقود ، وقد ذكرها جميعاً ناشره ومترجمه المستشرق العلامة الدكتور « سخاو » . ولكي يدرك القارئ رأياً منصفاً عادلاً عن مكانة البيروني ومنزله أجد نفسي مضطراً لدواعي الاختصار إلى أن أحيله إلى القدمات التي ألحقها الدكتور « سخاو » بترجمته للكتابين الأولين وخاصة ماورد فيهما بالصفحتين السادسة والسابعة من مقدمة الكتاب الثاني . ولا شك أن البيروني كان رجلاً غزير المعرفة ، سمح الأخلاق ، يمتاز بدقة النقد كما نفهمه في الوقت الحاضر ، وكان كما يقول « سخاو » حريصاً على تحرى الحقيقة ، ذا شخصية فردية عالية مليئة بالشجاعة والإقدام ، لا يحجم عن كيل الضربات القاصمة إذا رأى الخير يحتاجه جامعة أو الحق تنزل به نازلة .

وقد ولد البيروني في «خوارزم» في سبتمبر سنة ٩٧٣ م = ٣٦٣ هـ ومن المحتمل أنه مات في مدينة « غزنه » في ديسمبر سنة ١٠٤٨ م = ٤٤٠ هـ .

ابن سينا :

رجل آخر من كبار الكتاب والفكرين الفرس الذين عاشوا في هذا العصر هو « ابن سينا » . وقد تحدثنا عنه بعض الحديث فيما سبق من صفحات ، وقلنا إنه تلمذ في الفلسفة على تعاليم « أرسطو » كما تلمذ في الطب على تعاليم « بقراط » و « جالن » . ولم يقتصر تأثيره في العصور الوسطى على الفكر الأسيوي بل تعداه إلى الفكر الأوروبي فأثر فيه أبلغ الأثر . ولو أنني حاولت أن أدرس نطاق فلسفته ومدى تجاربه الطبية في كتابي هذا لضائق صفحاته عن استيعابها . وقد ذكر « بروكلان »

في كتابه «تاريخ الآداب العربية» (ج ١ ص ٤٥٢-٤٥٨) جملة من مؤلفاته تبلغ المائة، قد عاجلت شتى الموضوعات ما بين قسه وفلسفه ونجوم وطب وعلوم مختلفة أخرى. ولا شك أن أشهر كتبه كتابان هما :

(١) الشفاء : وهو يتعلق بعلوم الطبيعة وما وراء الطبيعة والرياضيات .

(ب) القانون : وهو يتعلق بالطب .

وأول هذين الكتابين يقع في ثمانية عشر جزءاً^(١).

ولمن شاء من القراء ان يعرف شيئاً عن حياة « ابن سينا » أن يرجع إلى ما كتبه عنه « ابن خلكان » في « وفياته » وكذلك إلى ما كتبه « بروكلمان » في كتابه الذي سبق ذكره ، وكذلك فيما كتبه « الشهرستاني » في كتابه « الملل والنحل » إما في أصله العربي أو في الترجمة الألمانية التي قام بها « هاربروكر^(٢) » أو فيما كتبه عنه البارون « كارا دي فو^(٣) » .

وقد ولد « ابن سينا » في مدينة « بخارى » في سنة ٩٨٠ م = ٣٧٠ هـ ومات في « همدان » أو « أصفهان » في سنة ١٠٣٧ م = ٤٢٩ هـ .

ويقول « ابن خلكان » : إنه « لما بلغ السنة العاشرة من عمره كان قد أتقن علم القرآن العزيز والأدب وحفظ أشياء من أصول الدين وحساب الهند والجبر والمقابلة ... الخ » ثم درس مع « الناتلي » الطبيب علوم المنطق ويوقليد والملاصطي ، ودرس مع « إسماعيل الفقيه » الفقه والتصوف ، وتخصص بعد ذلك في فلسفه الطبيعة والحكمة وسائر العلوم الأخرى بما فيها الطب الذي درسه على يد الطبيب المسيحي

(١) المترجم : نشر الأستاذ الدكتور إبراهيم مذكور أجزاء من هذين الكتابين .

كما نشر الأب جورج قنوتى بتكليف من جامعة الدول العربية بمناسبة العيد الألفى لابن سينا ثبوتاً لمؤلفاته بعنوان « مؤلفات ابن سينا » طبع القاهرة سنة ١٩٥٠ ، ونشرت جامعة الدول العربية أيضاً « الكتاب الذهبي للمهرجان الألفى لذكرى ابن سينا في بغداد » سنة ١٩٥٢

(٢) كتابته بالحروف الرومانية : (Haarbrocker) .

(٣) اسم الكتاب الأصلي : Avicenne: by Carra de Vaux. Paris. 1900.

« عيسى بن يحيى » . فلما بلغ السابعة عشرة من عمره طبقت شهرته الآفاق في الطب حتى استدعوه لمداداة الأمير « نوح بن منصور الساماني » وقد نجح في معالجته نجاحاً تاماً ، فقر به ذلك الأمير ، وأغدق عليه من نعمه ، وسمح له أن يتردد على مكتبته الزاخرة بالمؤلفات ، وقد وصفها ابن سينا فقال إنها مكتبة غنية بالكتب الكثيرة ؛ وكان بعض هذه الكتب مجهول الاسم لدى كثير من الناس ، كما كان بعضها غير معروف له من قبل ، ولم يصادفه في غيرها فيما بعد ؛ ومن أسف أن هذه المكتبة احترقت بعد ذلك بقليل من الوقت ، فاتهم جماعة من أعدائه بأنه أحرقها عامداً حتى يصبح وحده الواعي لما استفاده من كتبها النادرة ومخطوطاتها الفريدة .

وأدركت المنية بعد ذلك والده ، وانهارت الدولة السامانية بالقرب من نهاية القرن العاشر الميلادي (الرابع الهجري) فكان ذلك سبباً في أن يترك ابن سينا مدينة « بخارى » وأن يقصد إلى « خوارزم » . وقد فاز هنالك بتقريب أميرها « مأمون » له ، ولكن الظروف التي سردناها فيما سبق من صفحات - تقلاعن كتاب « چهار مقاله » - اضطرت به كجاري ، إلى الهرب من « خوارزم » إلى « نسا » و « أيورد » و « طوس » حتى وصل أخيراً إلى « جرجان » حيث أحسن استقباله « شمس المعالي قابوس بن وشمكير » فنزل عنده مكرماً معزراً ، حتى إذا قتل هذا الأمير ترك ابن سينا « جرجان » وذهب إلى « الري » و « قزوین » و « همدان » حتى انتهى به المطاف إلى مدينة « أصفهان » حيث التحق بخدمة الأمير البويهى « علاء الدولة ابن كا كويه » . ولقد تعرض أثناء حياته لكثير من الشدائد والحزن ولاحتته الأمراض والعلل ، وقضى فترة في الحبس والمعتقل ، وكادوا يعدمونه في وقت من الأوقات ، ولكنه ظل يكافح حتى اغتاله الموت في النهاية قضى فريسة لعلة أصابت أمعاءه في صيف سنة ١٠٣٧ هـ = ٤٢٩ هـ (١) .

(١) يرى ابن الأثير في نهاية حوادث سنة ٤٢٨ هـ أن علاء الدولة كان متهماً في دينه ، ومن أجل ذلك فقد التحق ابن سينا بخدمته حتى يستطيع أن يكمل مؤلفاته المليئة بالإلحاد دون أن يصيبه شيء من الأذى . فلما أصابت الهزيمة علاء الدولة على أيدي الغزنويين في سنة ٤٢٥ هـ =

وبالإضافة إلى ما ذكرناه لابن سينا من كتب فلسفية وعلمية نجد له جملة من الأشعار العربية والفارسية ستحدث عنها بعد قليل. ونجد له أيضاً قصتين فلسفيتين هما :

(١) حى بن يقطان :

ويجب ألا نخلط بينها وبين سميتها التي فازت بالشهرة وهي من إنشاء « ابن الطفيل » وقد طبعت في أكسفورد في سنة ١٦٧١ وسنة ١٧٠٠ م. وترجمها إلى اللاتينية « بوكوك^(١) » . [طبعت مراراً في القاهرة]

(ب) سلامان وأبسال :

وقد جعلها الشاعر « جامى » فيما بعد موضوعاً لإحدى منظوماته وطبعها « فولكنر^(٢) » في سنة ١٨٥٠ م وترجمها « فيزجرالد^(٣) » إلى الإنجليزية ثم نشرها دون أن يلحق بها اسمه وأهداها للرحوم الأستاذ « كوول^(٤) » في سنة ١٨٥٦ م .

قصائد ابن سينا الفارسية :

وقد استطاع الدكتور « إتيه » بدأبه وصبره على البحث ، أن يجمع من مصادر مختلفة خمس عشرة منظومة من أشعار ابن سينا الفارسية (قوامها اثنا عشرة رباعية ومقطوعة واحدة من بيتين وغزليتان) يبلغ عدد أبياتها جميعاً الأربعين ، وقد نشرها مع ترجمة ألمانية لها في مجلة « أخبار جوتنجن^(٥) » سنة ١٨٧٥ م . ص ٤٥٥-٥٦٧ بعنوان « ابن سينا كشاعر فارسي غنائى » .

== كانت كتب ابن سينا من بين الأسلاب التي حملها الجيش الغزنوى إلى مدينة غزنة ، وقد حفظوها في مكتباتها حتى أحرقت المدينة جيوش الملك حسين الغورى الذى لقب بـ « جهال سوز » أى يحرق الدنيا .

« Pococke »	(١) إسمه بالحروف الرومانية :
« Falkoner »	(٢) » » »
« Fitz Gerald »	(٣) » » »
« Cowell »	(٤) » » »
« Gottinger Nachrichten »	(٥) إسمها » » »

ويجب أن نلاحظ أن من بين الرباعيات المنسوبة إلى ابن سينا رباعية مشهورة ينسبونها عادة إلى «عمر الحيام» وهي الرباعية الثالثة مما نشره «إتيه» والثالثة بعد المائة الثالثة في الترجمة التي نشرها «هونفليد» لرباعيات الحيام^(١). ونص هذه الرباعية بالفارسية كما يلي^(٢):

از جرم حضيض خاك تا اوج زحل
کردم همه مشکلات گردون را حل
بيرون جستم ز بند هر مکر و حيل
هر بند کشاده شد مگر بند اجل ... !!

ومعناها :

ما بين حضيض الأرض وأوج زحل
استطعت حل مشكلات الفلك بغير ثقل
ونجوت بنفسى من أحوال السكر والحيل
وحللت كل العقدة، ما عدا عقدة الأجل ... !!

رباعيات الحيام الجائلة :

ومن المسلم به ما هو معروف لدى جميع المهتمين بدراسة الفارسية من أن عددًا من الرباعيات التي تنسب إلى «عمر الحيام» وتشتمل عليها كثير من الطبقات الحديثة للرباعيات، ينسب في نفس الوقت إلى شعراء آخرين غير الحيام، وربما كانت نسبته إلى هؤلاء تستند إلى أسانيد لا يصيبها الوهن أو الخلل؛ وهذه «الرباعيات الجائلة»

Whinfield

(١) اسمه بالحروف الرومانية :

(٢) المترجم : أورد براون هنا الترجمة الإنجليزية لهذه الرباعية لفترجالد ثم ترجمة هونفليد لها ثم الترجمة الألمانية للدكتور إتيه، وقد رأيت الاستغناء عن هذه الترجمات بذكر الأصل الفارسي وترجمة العربية

قد قام بدراستها « زوكوفسكى^(١) » في مقالته العلمية الهامة التي أرسلها إلى « المظفرية » ، وهي مجموعة من الدراسات الأدبية الشرقية نشرت في سان پيترسبورج سنة ١٨٩٧ م احتفالاً بمرور خمس وعشرين سنة على حصول البارون « فون روزن » على الأستاذية في هذه الدراسات .

وقد كتب « هوغفيلد » عن هذه الرباعيات الجاثلة ما يلي^(٢) :

« وصعوبة أخرى متصلة بما ذكرنا ، تعرض لنا عندما نجد أن كثيراً من الرباعيات التي تنسب لعمر الحيام ، تنسب أيضاً إلى غيره من الشعراء . ولقد ذكرت أمثلة قليلة منها في تعليقاتي ، ولكن البحث الدقيق سيكشف لنا عن جملة أخرى غيرها . وربما يظن بعض الناس أن لغة الرباعيات وما امتازت به من خصائص تكفي وحدها للتفريق بين الأصل منها وبين ما زيفه غيره من الشعراء بعد قرنين أو ثلاثة من الزمان ؛ ولكنني أذهب مع « چودزكو : Chodzko » فيما ذهب إليه من أن اللغة الفارسية الأدبية التي استعملت منذ ثمانمائة سنة لا تفتقر عن مثيلتها التي تستعمل في الوقت الحاضر إلا في القليل الطفيف ، ولو صح القرض وكان شعر الحيام يمتاز بميزات خاصة ، لأمكن القول بأنه يمكن التفريق بينه وبين غيره من الأشعار ، ولكن الحقيقة الماثلة هي أن الشعر الفارسي برمته يجرى على طرائق واحدة مماثلة ، ولم يشذ الحيام في ذلك عن غيره من الشعراء . أما الشعر التأثير على التعاليم الدينية ، وهو ما ينسب عادة إليه ، فيمكن أيضاً العثور عليه فيما كتبه سلفه مثل « ابن سينا » وخلفه مثل « أفضل الدين الكاشي » وغيره من الكتاب اللاحقين له . ومن أجل ذلك فلم أستبعد من ترجمتي أية رباعية نسبوا قولها إلى الحيام وإلى غيره من الشعراء . وما دامت النسخة الخطية التي تقع في يدي سليمة غير سقيمة فقد جعلت دأبي أن أورد ما بها من رباعيات ، لا لأني على ثقة من أنها من مقولة الحيام ، ولكن لأن الاحتمال متكافئ في نسبتها إلى الحيام أو إلى غيره من الناس » .

أما الغزليتان اللتان ضمنهما الدكتور « إتيه » في مقالته ، فواحدة منهما في

(١) اسمه بالحروف الرومانية « Zbukovski » .

(٢) أنظر ص ١٧ من مقدمة ترجمته الإنجليزية لرباعيات الحيام .

وصف الحمر، والأخرى في ذكر بعض الحكم والنصائح، وهما في رأي لايدلان على براعة فائقة، ولا يسلان من التجريح من حيث صحة نسبتها إلى ابن سينا؛ ومن أجل ذلك فإنني أعرض عن ترجمتهما وأحيل القارئ الحريص على المزيد إلى المقالة الممتعة التي كتبها الدكتور «إتيه» في مجلة «أخبار جوتنجن» (١).

قصيدة ابن سينا عمه الروح :

وأجل تصائد ابن سينا وأدعائها إلى الإعجاب هي قصيدته العربية المشهورة عن الروح ونصها كما يلي (٢) :

هبطت إليك من المحل الأرفع	ورقاء ذات تعزز وتمنع
محبوبة عن كل مقلة عارف	وهي التي سفرت ولم تبرقع (٣)
وصلت على كرهه إليك وربما	كرهت فراقك وهي ذات تفجع
أفقت وما أنست فلما واصلت	ألفت مجاورة الخراب البلقع
وأظنها نسيت عهداً بالحمى	ومنازلاً بفراقها لم تقع
حتى إذا اتصلت بهاء هبوطها	في ميم مركزها بذات الأجرع
علقت بها ثاء الثقيل فأصبحت	بين العالم والطلول الخضع

(١) المترجم : فيما يلي بعض مؤلفات ابن سينا باللغة الفارسية : « دا نشنامه علائي » ، « رساله در حقيقت وكيفيت موجودات » ، « معراجنامه » ، « رگك شناسي أو رساله نبضيه » ، « ظفرنامه » ، « قراضه طبيعيات » ، « كنوز الغررين » ، « رساله جوديه » ويشكون في نسبة الرسائل الأربع الأخيرة إليه .

(٢) هذه القصيدة مذكورة في كتاب ابن خلكان (طبم وستنفلد ج ١ رقم ٨٩) وكذلك في خرابات ضياء بك ج ١ ص ٢٨٣ ، وقد اعتمدنا على الكتاب الأخير في النص الذي نقلناه ، وهو يختلف في نهايته عن النص المذكور في ابن خلكان .

(٣) يظهر أن هذا البيت هو الذي أوحى لجلال الدين الرومي بيته المشهور في بداية التنوي ، حيث يقول :

تن ز جان و جان ز تن مستور نيست ليك كس را ديد جان دستور نيست
اظفر كتاب « أغنية الناي » للاستاذ بالمر :

Song of the Reed; by E. H. Palmer.

تبكى إذا ذكرت دياراً بالحى وتظل ساجدة على الدمن التى
 إذعاقها الشرك الكيف وصدما حتى إذا قرب السير إلى الحى
 سجت وقد كشف الغطاء فأبصرت وغدت تغرد فوق ذروة شاهق
 فلائى شئ أهبطت من شاهق إن كان أهبطها الإله لحكمة
 فهبوطها إن كان ضربة لازب وهى التى قطع الزمان طريقها
 فكأنها برق تنال بالحى بدماع تهمى ولما تقلع
 درست بتكرار الرياح الأربع قفص عن الأوج القسيح الأرفع
 ودنا الرحيل إلى الفضاء الأوسع ما ليس يدرك بالعيون المجمع
 والعلم يرفع كل من لم يرفع سام إلى قعر الحضيض الأوضع
 طويت عن القطن الليب الأروع لتكون سامعة بما لم تسمع
 حتى لقد غربت بغير المطلع ثم انطوى فكأنه لم يلع

ربيع الزمانه الهمداني :

ويجب أن نذكر من كتاب العربية المتمازين الذين نشأوا في إيران ، ذلك العبقري
 البارع الذى اخترع ذلك الضرب من الإنشاء الذى يعرف بـ « المقامات » ونقصد به
 « أبا الفضل أحمد بن الحسين الهمداني » الذى اشتهر باسم « بديع الزمان » .

وقد أخبرنا الثعالبي في يتيمة^(١) أنه مات صغير السن في الأربعين من عمره سنة
 ٣٩٨ هـ = ١٠٠٨ م والظاهر أنه لم يكن يحب بلده « همدان » فقد قال فيها
 بيتيه المعروفين^(٢) :

همدان لى بلد أقول بفضله لكنه من أقبح البلدان
 صيانه في الصبح مثل شيوخه وشيوخه في العقل كالصبيان
 وقال مثل هذا المعنى مرة أخرى في بيت ورد بإحدى رسائله^(٣) نصه :

(١) أنظر « يتيمة الدهر » ج ٤ ص ١٦٨ .

(٢) أنظر ترجمة (پرستون Preston) للمقامات . طبع لندن سنة ١٨٥٠ ص ١٢ — ١٣

(٣) أنظر « يتيمة الدهر » ج ٤ ص ٢٧٩ .

لا تلقى على ركاكة عقلى إذ تيقنت أننى همدانى

وبناء على ذلك نجده فى سنة ٩٩٠ م = ٣٨٠ هـ يغادر بلدته الصغيرة «همدان» ولم يكن له من العمر فى ذلك الوقت أكثر من اثنين وعشرين سنة ، وقد يم وجهه فى البداية إلى رجل الآداب ونصيرها «الصاحب اسماعيل بن عباد» . وقد رأينا فيما مضى كيف أخذ «الصاحب» يختبر مقدرته بإعطائه أليافاً فارسية لينقلها على البديهة إلى شعر عربى ^(١) . ثم قصد «بديع الزمان» بعد ذلك إلى «جرجان» وأخذ وفقاً لرواية الثعالبي — يرتاد مجالس «الإسماعيلية» الذين كان عددهم كبيراً فى هذا الإقليم ، حتى فى هذا الوقت المبكر الذى سبق ظهور شيخهم الخطير «الحسن بن الصباح» بما يقرب من قرن من الزمان حين اتخذهم مقراً لـ «دعوته الجديدة» .

وفى سنة ٣٨٢ هـ = ٩٩٢ م وصل «بديع الزمان» إلى «نيسابور» فأتى هناك كتابة مقاماته ، وكانت تبلغ الأربعائة مقامة كما يقول بذلك الثعالبي ، وطاف بعد ذلك بأهمّات المدن فى «خراسان» و«سجستان» والإقليم المحيط بغزنه ، ثم انتهى به المطاف إلى مدينة «هرات» حيث استقر بها إلى أن أدركته الوفاة .

وكان بديع الزمان يمتاز بذاكرة حادة عجيبة ، فكان يسمع القصيدة التى تألف من خمسين بيتاً مرة واحدة ، ثم يأخذ فى إعادتها دون أن يتلعم أو يتردد ، وكان يتصفح الكتاب للشور بنظرة عاجلة فيحفظ عن ظهر قلب أربعاً أو خمساً من صفحاته .

ولطالما أكثر الباحثون من المقارنة بين «بديع الزمان» ومقلده «الحريرى» وقد عقدوا الأبواب فى بيان ميزة كل منهما فى هذا الضرب من الإنشاء الذى امتازا به دون غيرها . ومن أجل ذلك لانرى بنا حاجة إلى معالجة هذا الموضوع مرة أخرى فى هذا الكتاب ، ونحيل القارىء التعمق إلى ما كتب بصدده فى مواضع أخرى ^(٢) .

(١) أنظر «بتيمة الدهر» ج ٤ ص ١٦٧ ومنها يبدو أن بديع الزمان كان مغرمًا بالنقل على البديهة من الفارسية .

(٢) أنظر مثلاً ما كتبه «پرستون» فى مقدمته على ترجمة «مقامات الحريرى» ص ١٣ — ١٤ من المقدمة و ١٣ و ١٤ من الأصل .

ومع ذلك كله يجب أن نلفت النظر خاصة إلى قصيدة عربية أنشأها بديع الزمان في مدح السلطان «محمود» ونقلها العتي في «كتاب اليميني»^(١) ومن بينها الأبيات الآتية :

تعالى الله ما شاء	وزاد الله إيماني
أأفريدون في التا	ج أم الإسكندر الثاني
أم الرجعة قد عادت	إلينا بسليمان
أطلت شمس محمود	على أنجم سامان
وأسمى آل بهرام	عبيداً لابن خاقان ^(٢)
إذا ما ركب القيل	لحرب أو لميدان
رأت عينك سلطاناً	على منكب شيطان
فمن واسطة الهند	إلى ساحة جرجان
ومن قاصية السند	إلى أقصى خراسان

مهيار الديلمي :

شاعر فارسي آخر اتخذ العربية لساناً هو «مهيار الديلمي» . وهو جدير منا بعناية خاصة لتلك الحقيقة الممتعة التي تتصل بحياته ، وهي أنه ولد وتربى على الدين «الزردشتي» ثم اعتنق بعد ذلك الإسلام في سنة ١٠٠٣ م = ٣٩٤ هـ على يد شاعر آخر هو «الشريف الرضي» الذي كان تقيماً للعلويين في بغداد ، وأدركته الوفاة في سنة ١٠١٥ م = ٤٠٦ هـ .

ومهيار الديلمي مثل طيب يثبت لنا أن الديانة الزردشتية كانت تفوز بمكانة عظيمة في الأقاليم المحيطة ببحر قزوين ، وأن المسلمين كانوا يتسامحون مع معتقها ويسمحون

(١) أنظر كتاب اليميني طبع القاهرة سنة ١٢٨٦ هـ . ج ١ ص ٣٨٤ - ٣٨٦ .

(٢) «آل بهرام» أي «السامانيون» لأنهم ينسبون كما رأينا فيما سبق إلى «بهرام جويين» . و«خاقان» هو لقب ملوك الترك منذ عهد الأساطير المتعلقة بـ «افراسياب» .

هم بأن يشتركوا معهم في جميع العلوم والآداب التي اتخذت العربية لساناً ووسيلة للأداء. وقد تبدو هذه الحقيقة أكثر وضوحاً في اطراد استعمال نسبة « المجوسى » إلى كثير من الأسماء الواردة بكثير من الكتب مثل كتاب «دمية القصر» للباخرزى وقد جعله صاحبه ملحقاً لكتاب « يتيمة الدهر » للثعالبي في تراجم الشعراء .

المجوسى الطبيب :

وأشهر من عرف بـ « المجوسى » هو « على بن العباس المجوسى » طبيب « عضد الدولة البويهى » ومؤلف كتاب « كامل الصناعات » وقد توفى في سنة ٩٩٤م = ٣٨٤ هـ ، ووالده هو الذى ترك ديوانته القديمة واعتنق الدين الإسلامى . ومحدثنا كتاب « چهار مقاله » فى الحكاية السادسة والثلاثين عن أحد الأدوية التى استعملها ذلك الطبيب الماهر .

وإلى العصر السابق مباشرة لهذا العصر الذى ندرسه يرجع كتاب « الفهرست » الذى تم تأليفه سنة ٩٨٨م = ٣٧٨ هـ ، وكتاب « مفاتيح العلوم » الذى تم تأليفه سنة ٩٧٦م = ٣٦٦ هـ ، وقد تحدثنا فى الجزء الأول من هذا الكتاب عن محتوياتهما حديثاً مستفيضاً .

ويجدر بنا الآن أن نتحدث عن طائفة من كتب التواريخ المحلية التى ظهرت فى هذا العصر ومن بينها :

« تاريخ بخارى » من تأليف « الزرخى » سنة ٩٤٢م = ٣٣١ هـ .

« تاريخ قم » وقد تم تأليفه للصاحب إسماعيل بن عباد حوالى سنة ٩٨٩م =

٣٧٩ هـ .

« تاريخ أصفهان » من تأليف « المافروخى » .

« تاريخ طبرستان » من تأليف « اليزدادى » .

وقد كتبت هذه الكتب جميعاً في الأصل باللغة العربية ، ولكن تراجعتها
الفارسية هي التي بقيت لنا حتى الآن (١) .

ومن بين كتاب الفرس الذين كتبوا بالعربية : المؤرخ « علي بن مسكويه »
المتوفى سنة ١٠٢٩ م = ٤٢٠ هـ وقد بقيت لنا طائفة قليلة من كتبه .

وقد ذكرنا فيما سبق تاريخ « العتي » عن السلطان محمود الغزنوي وهو تاريخ
انتهى بذكر سنة ١٠١٨ م = ٤٠٩ هـ ، ولو أن مؤلفه عاش إلى سنة ١٠٣٥ م =
٤٢٧ هـ .

كما ذكرنا أيضاً المؤلفات الكثيرة التي ألفها صاحب « يتيمة الشهر » أبو منصور
التغلبى المتوفى سنة ١٠٣٨ م = ٤٣٠ هـ .

أما الكتب المنشورة الفارسية فكانت قليلة العدد قليلة الأهمية ، وقد ذكرنا في
الجزء الأول من هذا الكتاب جملة المنشورات التي ترجع إلى العصر « الساماني »
مثل :

(١) ترجمة البلعمي لتاريخ الطبري حوالى سنة ٩٦٤ م = ٣٥٣ هـ .

(ب) كتاب الأبنية عن حقائق الأدوية لـ « موفق الدين أبي منصور بن علي
المهروى » حوالى سنة ٩٧١ م = ٣٦١ هـ .

(ج) تفسير فارسي للقرآن في مخطوطة فريدة بمكتبة كامبردج .

(د) ترجمة البلعمي لتفسير الطبري حوالى سنة ٩٨١ م = ٣٧١ هـ .

فإذا أضفنا إلى هذه الكتب :

كتاب « دانش نامه علائي » من تأليف ابن سينا لعهد الدولة المتوفى سنة
١٠٤٢ م = ٤٣٤ هـ .

وكتاب « خجسته نامه » للبراهي .

(١) المترجم : هذا الرأي يحتاج إلى شيء من التعميم لأن كتاب « المافروخي » موجود
بالبرية ومطبوع في مصر .

وكتاب «ترجمان البلاغة» للفرخى . وموضوع الكتابين الأخيرين علوم العروض والبلاغة وقد كتبنا على وجه التقريب حوالى سنة ١٠٥٨ م = ٤٥٠ هـ ، فإننا نكون بذلك قد استوفينا قائمة الكتب الفارسية المنشورة التى بقيت بين أيدينا ، والتى تم تأليفها حتى منتصف القرن الخامس الهجرى .

وقد أشرنا فيما سبق إلى أن هناك قدراً كافياً من الأدلة يثبت لنا أن أدبا مستقلا باللهجة الطبرية (نسبة إلى طبرستان) كان موجوداً فى ذلك الوقت ، وكان منشوراً كما يدل على ذلك كتاب «مرزبان نامه» ومنظوماً كما يدل على ذلك كتاب «نيكى نامه» . وقد حفظ لنا «تاريخ طبرستان» لابن اسفنديار ، وهو كتاب استعمله من كتاب «اليزدادى» الذى سبق لنا ذكره ، طائفة كبيرة من أمثلة هذه الأشعار «الطبرية» التى أنشدها جماعة من الشعراء تجاهلهم كتاب التراجم العاديون مثل «الإصهيد خورشيد بن أبى القاسم المامطيرى» و «باربد الجريدى» و «إبراهيم معينى» و «الأستاذ على بيروزه» وهو من المعاصرين للعتنى والملاحين لعضد الدولة البويهى و «ديوار و ز مسترد» وكان خصماً للشاعر الأخير ، ومن أقرب القرين إلى شمس العالى «قابوس بن وشمكير» .

شعراء الفارسية :

بعد ذلك يجب أن ننصرف مباشرة إلى دراسة «شعراء الفرس» الذين ازدهرت على أيديهم الآداب الفارسية فى هذا العصر وعلى الخصوص الشعراء الذين ازدهت بهم القصور الغزنوية . ولا شك أن «الفردوسى» يكأله العمل الجليل الذى بدأه «الدقيق» المتوفى سنة ٩٧٥ م = ٣٦٥ هـ ، وذلك بنظمه للمحمته الخالدة وتضمينها الأساطير المتعلقة بوطنه ، لا يعتبر أكبر الشعراء فى عصره فحسب ، بل يعتبر من أكبر الشعراء الذين ظهروا فى الوجود حتى الآن ، ولقد قالت بهذا الرأى «مقطوعة» من الشعر الفارسى نصها :

در شعر سه تن پیغمبر اند هر چند که لا ننی بعدی
أوصاف وقصیده وغزل را فردوسی و آنوری و سعدی

ومعناها :

— للشعر ثلاثة أنبياء ، ولو أن الحديث النبوي يقول : «لأنبي بعدی»

فأما الوصف ففيه «الفردوسی» ؛ وأما القصيدة فبها «الأنوری» وأما
الغزل ففيه «السعدی» .

ويلى «الفردوسی» فى مكاته ، أصحاب المدح من الشعراء ومنشدو القصائد
مثل : «عنصرى» شاعر السلطان محمود ؛ و «أسدى» صاحب الفردوسى ومن
أهل بلده ومخترع شعر المناظرة ؛ و «عسجدى» و «فرخى» و «منوچهرى»
وجاعة آخرين من الشعراء لا يرقون إلى منزلة هؤلاء من بينهم :

«بهرامى» الذى ألف كتابا مفقوداً فى العروض والشعر اسمه «خجسته نامه»
و «عطاردى» و «رافعى» و «غضائرى الرازى» و «منصورى» و «يعينى»
الذى قيل عنه إنه ألف كتابا مفقوداً بالفارسية عن السلطان محمود الغزنوى و «شرف
الملك» الذى ينسب إليه كتاب فارسى فى صناعة الكتابة اسمه «كتاب الاستيفاء»
و «زينبى العلوى المحمودى» والشاعرة «راجة بنت كلب» التى تنسب إلى بلدة
«قصدار» أو «قزدار» وجاعة آخرون كثيرون غير هؤلاء ، نجد أسماءهم وأشعارهم
مذكورة فى الفصل التاسع من كتاب «باب الألباب»^(١) تأليف محمد عوفى .

وليس من الممكن أو الضرورى أن ندرس كل هؤلاء فى كتابنا الحاضر ، بل الخیر
كله فى أن نقصر دراستنا على نخبة مختارة منهم ممن فازوا بالشهرة وحسن الأداء .
وهناك بالإضافة إلى هؤلاء ثلاثة من الشعراء المتأخرين الذين ينسبون إلى هذا
العصر وهم يختلفون بعض الشيء عن سبق لنا ذكرهم وهم :

(١) أنظر «باب الألباب» ج ٢ ص ٢٨ — ٦٧

(١) الكسائي:

وقد بدأ حياته بقول المدايح ، ثم ندم على ذلك في نهاية حياته ، لأن خدمة القصور تؤدي إلى الرياء والملك ، وقضى بقية حياته ينظم الأشعار الدينية .

(ب) أبو سعيد بن أبي الخير :

الشاعر الصوفي الذي أنشد الرباعيات .

(ج) بندار الرازي :

المنسوب إلى بلدة « الري » وقد عرف بأنه من أصحاب اللجئات ، كما أنشأ أيضاً بعض أشعاره باللغتين العربية والفارسية .

وهناك شاعر آخر من أصحاب اللجئات ومنشدي الرباعيات وقد عدّه « إتيه^(١) » من شعراء هذا العصر ، معتمداً في ذلك على أن « رضا قلي خان » في كتابه « رياض العارفين » قد حدد وفاته بسنة ٤١٠ هـ = ١٠١٩ م . ولكنه في الحقيقة ينسب إلى العصر السلجوقي المبكر لأن تاريخ السلاجقة المسمى بـ « راحة الصدور^(٢) » الذي تم تأليفه في سنة ١٢٠٢ م = ٥٩٩ هـ يذكر لنا قصة مقابلته لـ « طغرل بك » في همدان سنة ١٠٥٥ أو ١٠٥٨ م = ٤٤٧ أو ٤٥٠ هـ .

ولا يفوتنا قبل أن نتحدث عن شعراء السلطان محمود ، أن نذكر أنه هو نفسه

(١) أنظر مقاله التي عنوانها « الآداب الفارسية الحديثة » في المجلد الثاني من « الفصل في الدراسات اللغوية الإيرانية :

• Grundriss der Iranischen Philologie; p . 223 .

(٢) نسخته المطبوعة الوحيدة مؤرخة سنة ١٢٣٨ م = ٦٣٦ هـ . وكانت ملكاً للاستاذ « شيفر » وهي الآن بالملكية الأهلية بباريس تحت رقم ١٣١٤ في الملحق الفارسي . وقد نشرت وصفاً لها في مجلة الجمعية الآسيوية الملكية في سنة ١١٠٢ م في الصفحات ٥٦٧ - ٦١٠ و ٨٤٩ - ٨٨٧ .

(المترجم : وقد طبعت هذا الكتاب ونشر ضمن مطبوعات سلسلة جب التذكارية) .

كان شاعراً فيما يقولون ، وقد ذكره «عوفي» في «باب الألباب» تالياً للأمير
 البعيس «إسماعيل بن نوح» آخر السامانيين ، وجعله ثانياً من وردت أسماؤهم بين
 الملوك والأمراء الذين أثر عنهم قول الشعر أحياناً . ويذكر «إتيه» أن ست غزليات
 تنسب إليه ، ولكنه يشك في صحة الأسانيد التي ذكرت ذلك ، وقد نقل «عوفي»
 مقطوعتين نسبهما إليه ؛ الأولى منها من ثلاثة أبيات . وهي في رثاء فتاة اسمها «كلستان»
 (أي روضة الورد) كان يحبها ويتعلق بها ونصها (١) :

تا تو ای ماه زیر خاک شدی خاک را بر سپهر فضل آمد
 دل جزع کرد گفتم ای دل صبر این قضا از خدای عدل آمد
 آدم از خاک بود خاکی شد هر که زوزاد باز اصل آمد

ومعناها :

— منذ نزلت ... أيها القمر ... إلى مرقدك في طيات التراب .

وقد أصبحت الأرض تملو رفعةً على الأفلاك والقباب ... !!

— ولقد أحس قلبي بالجزع فقلت له : الصبر .. الصبر

فهذا قضاء الرحمن ، وإليه مرجع الأمر ... !!

— وكان آدم من تراب فصار إلى تراب ،

وسلالته لا بد أن تلحق بأصلها عند المآب ... !!

أما المقطوعة الثانية فقوامها ستة أبيات ، وقد قيل إن السلطان محمود أنشأها
 عندما أحس بدنو أجله ، وهي قطعة معروفة ومشهورة ، ولكن نسبها إليه يشك
 فيها جداً ، وقد روى «دولتشاه» (١) ثلاثة أبيات منها ونسبها إلى السلطان «سنجر»
 السلجوقي وبذلك أصبح احتمال نسبها إلى هذا أو ذاك جائزاً تقديراً ومتعادلاً فرضاً
 وتفكيراً ، ونص هذه القطعة كما يلي :

(١) أنظر «باب الألباب» ج ١ ص ٢٣ .

(٢) أنظر «تذكرة الشعراء» ص ٦٧ والأبيات التي ذكرها هي الأول والخامس والسادس

كما رواه «باب الألباب» ج ١ ص ٢٥ .

ز بیم تیغ جها نگیر و گرز قلعه کشای
 جهان مسخر من شد چو تن مستخر رای
 گهی بجز و بدولت همی نشستیم شاد
 گهی ز حرص همی رفتمی ز جای بجای
 بسی تفاخر کردم که من کسی هستم
 کنوت برابر بینم همی امیر و کدای
 اگر دو کله بوسیده بر کشتی ز دو گور
 سر امیر که داند ز کله کرای
 هزار قلعه کشادم بیک اشارت دست
 بسی مصاف شکستم بیک فشردن پای
 چو مرگ تاختن آورد هیچ سود سود نکرد
 بقا بقای خداست و ملک ملک خدای

و معناها :

- خَوْفاً مِنَ سَيْفِي الَّذِي يَغْزُو الْعَالَمَ ، وَمِنْ مَحْجَنِّي الَّذِي يَفْتَحُ الْقُلُوعَ ،
 انصاع لی العالم . . . کما انصاع الجسد للعقل وأطاع
- وبشينا وهلة تتمتع في سرور بالعرز والدولة والسلطان ،
 وأثارنا الحرص أحياناً ، فأخذنا نتنقل من مكان إلى مكان .
- وكثيراً ما نفرت بأنني رجل الدنيا والدين
 فإذا بي الآن أرى الأمير مساوياً للسائل المسكين . . . ۱۱
- ولو أخذ أحد الناس جمجمتين مهمتين من قبرين قديمين
 وكانت إحداها لأمر والأخرى لفقير ، لما استطاع أن يفرق بين الاثنين .
- ولقد فتحت كثيراً من القلاع بإشارة واحدة من يدي
 وحطمت كثيراً من الجيوش بركلة واحدة من قدمي
- ولكن الموت يهاجمني الآن ، وليس له من دافع
 والله وحده له الملك والبقاء في كل المواقع .

أما أخلاق السلطان محمود فإن^(١) شعراء ومؤرخيه لا يتحدثون عنها بالطبيعة إلا بكل ثناء يبلغ حد الإغراق والمبالغة . ولكن « ابن الأثير » عندما ذكر خبر وفاته في سنة ٥٤٢١ هـ = ١٠٣٠ م أثنى عليه لمهارته وتدينه وتعفقه وتقريبه للعلاء والأفاضل ومحاربه لأهل الكفر والإلحاد ، ولكنه عاد فقال إن تقيصة واحدة كانت تشينه هي جبه الجمل للمال ، وعدم تحريره الطرق القوية في اكتسابه والحصول عليه ، وقد روى عنه الخبر الآتي :

« ولم يكن فيه ما يعاب إلا أنه كان يتوصل إلى أخذ الأموال بكل طريق ، فمن ذلك ، أنه بلغه أن إنساناً من نيسابور كثير المال عظيم الغنى ، فأحضره إلى غزنه وقال له : بلغنا أنك قرمطى فقال : لست بقرمطى ولى مال يؤخذ منه ما يراد وأعنى من هذا الاسم . فأخذ منه مالا وكتب معه كتاباً بصحة اعتقاده » .

ومع ذلك فكثير من المسلمين لا يستطيعون أن يجعلوا السلطان محموداً موضعاً لشبهاتهم وشكوكهم ، لأنه كان بطلاً من أبطال الدين ، وسوط عذاب على الكفار والملحدن ، ومحطاً لعبادة الأصنام والتماثيل ، وهادماً للخرافات والأباطيل ؛ ولكن لاشك أن « ابن الأثير » استطاع أن يلمس بنظره النافذ نقطة الضعف في أخلاقه ، وهي الطمع الشديد (ولا شك أن هذا كان سبباً في دأبه على الغزوات والحروب في بلاد الهند) وكان بالإضافة إلى ذلك شديد التدين قاسياً على الملاحدة وكفار الهند ، وقد قتل منهم عدداً كبيراً لا يبلغه العد والإحصاء ، وكان سريع التغير والتبدل لا يثبت على حالة واحدة ، وكان أكثر من ذلك كله غازياً لا يقهر ، ولم يعرف طوال حياته أن يكون صديقاً مخلصاً أو عدواً كريماً .

وقد ولد في العاشر من المحرم سنة ٥٣٥٠ هـ = ١٣ نوفمبر سنة ٩٧٠ م ، ومات في سنة ٥٤٢١ هـ = ١٠٣٠ م وله من العمر ستين سنة ميلادية ، وكان أقرب القربين إليه غلامه « أياز » وقد تروى كتاب الفرس كثيراً من الحكايات عنه ، ولا شك أن شخصيته

(١) فيما عدا من أغضبهم من أمثال « الفردوسى » .

تاريخية وحقيقية ، لأن ابن الأثير سجل تاريخ وفاته في سنة ٥٤٩هـ = ١٠٥٧م وذكر اسمه الكامل على هذا النحو : « أياز بن إيماق أبو النجم » .

عنصرى :

وما دمنا قد فرغنا من ذكر السلطان محمود فقد آن لنا أن نتحدث عن شاعره : «العنصرى» . وهو شاعر تال في المرتبة للفردوسى ، ولكن ذلك لم يمنع من بقاء ذكره السنين الطويلة بعد ما زال مجد الدولة الغزنوية وذهب ضياؤه . ويذكر «نظامى عروضى السمرقندى» في كتابه «چهار مقاله» البيتين الآتين مصداقاً لهذا القول :

بسا کاخا که محمودش بنا کرد که از رفعت همی با مه مرا کرد
نه بینی زان همه یک خشت بر پای تنای عنصری ماندست بر جای

ومعناها :

— ما أكثر القصور التي شيدها «محمود» وأقامها بالبناء

فجعلها في رفعتها تطاول أقمار السماء

— ولكنك الآن لن تجد آجرة واحدة منها قائمة في مكانها

وكل ما بقى هو ما أقامه له «العنصرى» من ثناء...!!

أما حياة «العنصرى» فلا نكاد نعرف منها شيئاً ، وحتى تاريخ وفاته مختلف فيه تبعاً للمصادر المختلفة التي تجعله بين سنتي ١٠٤٠ و ١٠٥٠م = ٤٣٢ و ٤٤٢هـ . و «عوفى» كعادته يكيل له الثناء في عبارات مملوءة بأنواع الجناس والمحسنات اللفظية ، وكذلك فعل «دولتشاه» فأغرق وبالع في الثناء عليه ؛ وقد ذكر كلا الرجلين أن اسمه الكامل هو : «أبو القاسم حسن بن أحمد» وشهد بذلك أيضاً الشاعر المعاصر «منوچهرى» فأورد اسمه على هذه الصورة في إحدى قصائده التي سند كرها مع ترجمتها بعد قليل . وفيما يلي ترجمة ما كتبه «دولتشاه» عن «العنصرى» . قال : «أن مناقبه وعظمته أظهر من الشمس ، وقد كان كبير الشعراء على عهد السلطان محمود الغزنوى ، وله فضائل أخرى بالإضافة إلى ما امتاز به من شاعرية ، فقد كان بعض الناس يلقبه بالحكيم ويقولون أن اربعمائه شاعر كبير كانوا يلازمون ركاب السلطان عيين الدولة محمود أنار

الله برهانه ، وكان الأستاذ العنصرى رئيساً لهؤلاء الشعراء جميعاً . وكانوا يقرون له بالأستاذية والتبريز . وقد تهيأ له أن يجمع في مجلس السلطان بين منصب النديم ومنصب الشاعر ؛ وظل يسجل نظماً مقامات السلطان وغزواته . وله قصيدة طويلة تبلغ مائة وثمانين بيتاً ، سجل فيها جميع غزوات السلطان وحروبه وفتوحه ، وقد انتهى الأمر بأن منحه السلطان لقب «ملك الشعراء» في مملكته ، وأمر كل شاعر في المملكة أن يعرض شعره على الأستاذ العنصرى حتى يميز بين غثه وثمينه ، ثم يعرضه بعد ذلك على السلطان . فأصبح مجلسه كل يوم مقصداً للشعراء ، واجتمع له من ذلك جاه ومال عظيم^(١) . والفردوسى يطريه ويعدده في منظومته الشاهنامه وسنذكر ذلك في مكانه . والله أعلم .

والعبارة الأخيرة مما قاله «دولت شاه» تنطبق على كثير من الأخبار التى يروونها ، وهى تصلح لكافة الظروف والأحوال ، وإن كانت فى العادة لا تسلم من الحطل وسوء التقدير . والمثل الذى اختاره من أشعاره هو قصيدته التى قالها على طريقة «السؤال والجواب» وهى كافية فى إعطائنا فكرة عن أشعاره عامة ؛ وقد قال «العنصرى» هذه القصيدة فى مدح الأمير «نصر بن سبكتگین» حاكم خراسان وأخى السلطان «محمود الغزنوى»^(٢) . وفيما يلى ترجمتها دون أن أحاول الاحتفاظ بوحدة القافية فيها كما هى العادة فى القصائد :

(١) ليس هناك سبب ظاهر يدعو الى جمع هذه الثروة ، اللهم إلا إذا كان رضاه موقوفاً على أسباب أخرى لا تتصل بجودة الأسلوب وبراعة الفن الشعرى !!
(٢) نص هذه القصيدة موجود فى «تذكرة الشعراء» ص ٤٥ - ٤٦ وكذلك فى الورقة الثالثة والرابعة من ديوان العنصرى المطبوع على الحجر فى طهران بدون تاريخ .
الترجم : وفيما يلى نص الأبيات العشرة الأولى من مطلعها :

هر سؤالی کر ان لب سیراب	دوش کردم مرا بناد جواب
گفتش جز بشب نشاید دید	گفت : پيدا بشب بسود مهتاب
گفتم : از تو که برده دارد مهر	گفت : از تو که برده دارد خواب
گفتم : آن زلف سخت خوشبوست	گفت : زیرا که هست عثربان
گفتم آتش بر رخت که فروخت	گفت : آن کو دل تو کرد کباب

- کل سوال وجہتہ لہ بالآمس القریب ،
 أجبتي عنه شفتاه النديتان بحجاب عجيب
- قلت له : ألا تجوز رؤيتك إلا في الليل الساجي ...
 فأجاب : وكذلك تبدو الأقمار في الليل الداجي !!...
- قلت : من الذي استطاع أن يسلب حبك ...
 فأجاب : الذي استطاع أن يسلب النوم من جفحك !!...
- قلت : إن طرتك تفوح بالعير انزكى
 فأجاب : لأنها مجذولة من العنبر الندي !!...
- قلت : ومن الذي أشعل النار في خدك...؟!
 فأجاب : هو الذي أحرق بالنار صميم قلبك ...؟!...
- قلت : سوف لا أحول وجهي عن النظر إلى وجهك المستطاب
 فأجاب : وهل يستطيع احد أن يتحول عن القبلة والمحراب ...؟!...
- قلت : إن عشقك قد ابتلاني بالعذاب الدائم
 فأجاب : وهذا حال العاشق الهائم ...!!...
- قلت : وكيف السبيل إلى راحتي من العذاب ...؟
 فأجاب : بالنظر إلى طلعة المليك الشاب ...!!...
- قلت : اتبعني الأمير نصرًا ناصر الدين ...؟
 فأجاب : نعم فهو مالك لرقاب الملوك أجمعين ... !!

== گفتم : از روی تو تنام روی
 گفتم : اندر عذاب عشق تو آم
 گفتم : از چہست روی راحت من
 گفتم : آن میر نصر ناصر دین
 گفتم : اورا کفایت ادبست
 گفت : کس روی تابد از محراب
 گفت : عاشق نکو بود بعذاب
 گفت : هر دم ز روی خسرو شاب
 گفت : آن مالک ملوک رقاب
 گفت : کافی ازو شدست آداب
 الخ . . . الخ

- قلت : إن له في الأدب كفاية !!
- فأجاب : بل وصلت الآداب به إلى نهاية ... !!
- قلت : هل تستطيع أن تلم بأفضاله ... ؟
- فأجاب : خارجه عن الحساب جلائل أعماله ... !!
- قلت : ومن رسله إلى الحرب الضروس والقتال الشديد ... ؟
- فأجاب : السنان من قرب ، والشهاب الثاقب من بعيد ... !!
- قلت : وهل هو لازم للزمان والأحباب ... ؟
- فأجاب : أكثر من لزوم العمر والشباب ... !!
- قلت : وهل رأيت له مثيلا في هذه الدنيا أو هذه الرحاب ؟
- فأجاب : لا ... ولم أسمع عن مثيله في كتاب ... !!
- قلت : وماذا تقول عن كفه وجودها ... ؟
- فأجاب : البحر سراب إذا قورن بها ... !!
- قلت : وهل يستجيب لأقوال السائلين ... ؟
- فأجاب : ويثيهم بالنقود والياب أجمعين ... !!
- قلت : وبماذا يحزى الأحرار والأحباب ... ؟
- فأجاب : بالجاه والجلال والإعجاب ... !!
- قلت : وماذا تعرف عن سهامه القاتلة ... ؟
- فأجاب : إنها شبيهة بالشهب والصواعق النازلة ... !!
- قلت : وما سيفه الغالب ... ؟ ومن عدوه الهارب ... ؟
- فأجاب : الأول لهب واصب ... والثاني زئبق ذائب ... !!
- قلت : ومن الخارج عن حكمه المشهود له بالصواب ... ؟
- فأجاب : إذا وجد أحد ، فأمره زوال وخراب ... !!
- قلت : إن أعداءه يديمون الكذب عليه والافتراء الزنيم ... !!
- فأجاب : أكثر من فعل «مسيلة» الكذاب الأثيم ... !!

- قلت : سأعطيهِ ملك الإفاق أجمعين
فأجاب : هو جدير بكل ملك مبین ... !!
- قلت : على من يقع العناء بسبب ما امتاز به من جود ... ؟!
فأجاب : على ناسج الأقمشة وضارب النقود ... !!
- قلت : إن جوده هو أشرف المذاهب والحصال
فأجاب : وهو هبة له ، اختضه بها الله المتعال ... !!
- قلت : وكيف يقبض على كل هذا الملك الوسیع .. ؟
فأجاب : بخاتمه النبیع وزكابه السریع ... !!
- قلت : سوف لا أسكت عن ترديد مدحه المستطاب ...
فأجاب : هكذا يفعل أولو النهی والألباب ...
- قلت : وماذا أطلب له من النعم الإلهیة ... ؟
فأجاب : العمر الطویل ، والدولة الفتیة ... !!

عسجدی :

وشاعرنا التالی ذكر آهو «العسجدی» واسمه أبو نظر عبد العزیز بن منصور .
والمعروف لنا عنه أقل بكثير مما عرفناه عن «العنصری» . وقد ذكر «دولت شاه» أن
دیوانه علی أيامه لم یکن یسهل الحصول علیه ، وإن كانت تفاریق من أشعاره قد تضمنتها
كتب المختارات ، ثم قال عنه إنه كان من تلامیذ العنصری ، وجعله من بلدة «هرات»
ولكن «عوفی» التقدّم علیه زمنا ، نسه إلى بلدة «مرو» . وفيما یلی زبایعة نسبا
«دولت شاه» إلیه :

از شرب مدام ولاف مشرب توه
وز عشق بتان سیم غبغ توبه
دل در هوس گناه وبر لب توبه
زین توبه نا درست یارب توبه

ومعناها :

من شرب المدام والفخر بالشراب ... أنا اطلب التوبة
ومن عشق الدمي ذات الغيب القضي ... أنا اطلب التوبة^(١)
والقلب غارق في المعاصي ، وعلى شفق كلمة التوبة
فيارب ... أعننى على هذه التوبة الكاذبة ، وصحح مني التوبة

فرخى :

الفرخى هو أبو الحسن علي بن محبوب السجزي (نسبة إلى سجستان وإن كان دولتشاه مخطئاً وينسبه إلى مدينة ترمذ) وهو ثالث الشعراء الذين اتفق بهم الفردوسي — كما تقول القصة المشهورة — عند قدومه إلى غزنة . وأخباره معروفة لنا بعض الشيء . والفضل الأكبر في ذلك راجع إلى الحكاية الطويلة المروية عنه في كتاب « چهار مقاله^(٢) » .

وللفرخى كتاب في فنون الشعر اسمه « ترجمان البلاغة » وهو كتاب مفقود قد أودى به الزمان فيما نعلم^(٣) ، وربما استعمله « رشيد الدين الطواط » في تأليف كتابه « خدائق السحر » وقد ذكر فيه : « أن الفرخى لدى الفرس بمنزلة المتنبي لدى العرب » .

أما ديوانه فقد ذكر « دولتشاه » : إنه مشهور فيها وراء النهر ولكنه غير معروف في خراسان . وتوجد منه الآن نسختان خطيتان إحداها في « المتحف البريطاني » والأخرى في « إدارة الهند » . كما توجد منه طبعة على الحجر نشرت في طهران سنة ١٣٠١ هـ = ١٨٨٣ م .

وقد جاء في كتاب « چهار مقاله » إن « جولوغ » والد الفرخى كان ملحقاً

(١) المترجم : « الغيب » هو الرقبة المثلثة وكانت تعتبر من علامات الجمال .

(٢) أنظر الحكاية الخامسة عشرة من هذا الكتاب .

(٣) المترجم : طبع هذا الكتاب أخيراً في تركيا .

بخدمة الأمير « خلف » من سلالة الصفاريين^(١). أما « الفرخى » نفسه فقد استبقاه أحد الدهاقين في خدمته لبراغته في قول الشعر والعزف على العود ، ورتب له راتباً سنوياً مكوناً من مائة درهم ومائتي قفيز من القمح ، كل مائة منها تبلغ خمسة أمانان ؛ ثم تزوج « الفرخى » بعد ذلك بإحدى النساء اللاتي كن في قصر « خلف » فلم يكفه مرتبه ، وعلم بذلك الدهقان فزاد له من راتبه حتى أبلغه إلى خمسمائة درهم وثلاثمائة من القمح ، ولكن « الفرخى » لم يقنع بهذا الراتب ويموجه شطراً الأمير « أبى المظفر الصاغاني^(٢) » لما سمعه عنه من كرم وثرء ، لعله يصيب لدى مولاه الجديد بعض الحظ الذي فاته لدى غيره كما يقول في قصيدته التي مطلعها :

با كاروان حله بزقم از سيستان با حله تنيده ز دل بافته ز جان
ومعناه :

— خرجت من « سجستان » مع قافلة الحلة ، ومعى حلة مطرزة بسماء قلبي منموجة من أشجان روحي .

فلما بلغ مقصده وجد أن الأمير « أبى المظفر » قد خرج من بلده إلى بعض المراعى يشاهد فيها رنجاله وهم يسمون جياده بالكى في ميدان الوسم (داغگاه) ، والمأثور عن هذا الأمير أنه كان من أكبر محبي الخيل ، وأنه كان يمتلك — فيما يقول صاحب جهاز مقاله — ثمانية عشر ألفاً رأس من الجياد والمهاري .

واستقبل الشاعر في غيبة الأمير حاجيه « عميد أسعد » وكانت له معرفة بقول الشعر وإنشاده ، فما كاد « الفرخى » يسمعه بعض قصائده حتى أعجب بها كل الإعجاب ، ولكنه لم يصدق أن سجزيًا مهلهل الثياب رث الهيئة من قمة رأسه إلى أخمص قدميه ، تعلو رأسه عمامة كبيرة على شاكلة ما يلبسه أهل سجستان ، يستطيع أن يقول مثل هذا الشعر الذي سمعه ، وعلى ذلك التفت إليه قائلاً :

(١) احتفظ هذا الأمير ببعض أملاك الدولة الصفارية حتى ذلك الوقت .

(٢) نسبة إلى « چغانيان » وهو مكان فيدا وراء النهر يقع بين « ترمذ » و « قباديان » .

« إن الأمير في مكان الوسم وسألتحق بخدمته ، وسأصحبك معي ، فالمكان رائع جميل ، وهو دنيا متشابكة من الحضرة النضيرة والمراعي الوفيرة ، تملأه الخيام النصوبة ، تنيرها الثريات المشبوبة ، وأغانى «الرودى» تتردد في الخيام على معانقة أهل الوجد والغرام ، وهم يتساقون كؤوس الخمر والمدام ، وينعمون بأهنا الأمانى والأحلام ، والأمير قد نصب خيمته في وسط المكان ، وأوقد أمامها ناراً كالجليل أو البركان ، ورجاله يقبسون منها الأقباس ، فيسمون بها الجياد والأفراس . وقد يقف الأمير أمام سرادقه والكأس في يسراه ، والسوط في يمينه ، فيتناول رشفة من الخمر ، ويصدر ما يشاء من أمر... فما عليك لو نظمت لنا قصيدة في وصف هذا المقام ، حتى أقدمك إلى الأمير فتحظى بالتقريب والإكرام... » (۱) .

فقضى الفرخى ليلته وهو يروض القريض حتى استطاع أن ينشئ القصيدة التالية التي تعتبر بحق من أجل ما قاله (۱) :

تا برند نیلگون بر روی پوشد مرغزار
پرنیان هفت رنگ اندر سر آرد کوهسار
خاکرا چون ناف آهو مشک زاید بی قیاس
سید را چون بر طوطی برگ روید بیشمار
دوش وقت نیم شب بوی بهار آورد باد
جدا - باد شمال و فرخا باد بهار
باد گوئی مشک سوده دارد اندر آستین
باغ گوئی لعبتانه جلوه دارد در کنار
نسترن لؤلؤی بیضا دارد اندر مرسله
ارغوان لعل بدخشی دارد اندر گوشوار
تا بر آمد جامهای سرخ گل بر شاخ گل
پنجهای دست مردم سر فرو کرد از چنار

(۱) المترجم : لم يذكر المؤلف أصل هذه القصيدة ولكن فضل نقله عن النسخ المذكورة في «تذكرة الشعراء» ص ۵۵ وكذلك «خرابات» ج ۱ ص ۱۸۷ .

باغ بوقلمون لباس و شاخ بوقلمون نمای
 آب مروارید رنگ وابر مروارید بار
 راست پنداری که خلعتهای رنگین یافتند
 باغهای پر نگار از داغگاه شهریار
 داغگاه شهریار اکنون چنان خرم شود
 کاندران از خرمی خیره بماند روزگار
 سبزه اندر سبزه بینی چون سپهر اندر سپهر
 خیمه اندر خیمه بینی چون حصار اندر حصار
 هر کجا خیمه است خفته عاشقی با دوست مست
 هر کجا سبزه است شادان یاری از دیدار یار
 سبزه‌ها با بانگ چنگ و مطربان تغز گوی
 خیمه‌ها با بانگ نوش و ساقیان میگسار
 عاشقان بوس و کنار و نیکوان ناز و عتاب
 مطربان رود و سرود و خفتگان خواب و خمار
 بر در پرده سرای خسرو فیروز بخت
 از پی داغ آتشی افروخته خورشید وار
 بر کشیده آتشی چون مطردی دیسای زرد
 گرم چون طبع جوانان زرد چون زر عیار
 داغها چون شاخهای بسد یا قوت رنگ
 هریکی چون نار دانه گشته اندر زیر نار
 کودکان خواب نادیده مصاف اندر مصاف
 مرکبان داغ تا کرده قطار اندر قطار
 خسرو فرخ سیر بر باره دریا گذر
 با کند اندر میان دست چون اسفندیار
 همچو زلف نیکوان خورد ساله تاب خورد
 همچو عهد دوستان سالخورده استوار

مير عادل بوالمظفر شاه با پیوستگان
 شهریار شهرگیر و پادشاه شهردار
 هر کرا اندر کند تاب خورده افکند
 گشت نامش بر سرین وشانه ورویش نگار
 هر چه زین سوداغ کرد از سوی دیگر هدیه داد
 شاعران را بالگام وزایران را بافسار

ومعناها :

- منذ اكتست الروح بالحرير الأزرق
 واتشحت قنن الجبال بالإبريسم ذى الألوان ...
- والأرض تؤتى من المسك والعبير ما لاشييه له ولا حصر له من نوافج الغزلان
 وأشجار الصفصاف تخرج ما لاحد له من الأوراق الشبيهة بأجنحة البيضاوات
- وليلة الأمس ، فاح الهواء بروائح الربيع فى منتصف الليل ...
 فياحبذا نسيم الشمال ، وما أجمل روائح الربيع ... ١١
- وكأنا كانت أكلام الرياح محملة بفتات المسك
 وكأنا كانت البساتين تحتضن العرائس فى أذرعتها ... !!
- وانعقدت عقود اللؤلؤ الأبيض فى أعناق النسرین
 وتبدلت حلقات الياقوت « البدخشى » فى آذان الأرغوان (١)
- وأطلت كؤوس الورد الحمراء على الأغصان والأفنان ...
 وحنّت أوراق « الشنار » رؤوسها فى ذلة وإذغان (٢) ... ١١

(١) المترجم: «الياقوت البدخشى» هو المنسوب إلى «بدخشان» وهو أجود أنواع اليواقيت وأشدها حمرة ، والأرغوان زهر أحمر اللون .

(٢) المترجم: «الشنار» تعريب للكلمة الفارسية « چنار » وهى شجرة مستقيمة العود .

- ولبست الحدائق أبهى الألوان ، وازدهت الأغصان في كل مكان ... !!
- وتلألأت المياه في الغدران ، وأمطر السحاب دره القتان ... !!
- حتى لتظن أن هذه الحدائق الجميلة قد فازت بالخلع الجليلة
- وأن «مكان الوسم» الذي اختاره الملك قد أصبح أبهى خميعة ... !!
- وأصبح سرادق الأمير مليئاً بالبهجة والحبور ...
- بحيث بدت الحيرة على وجه الزمان مما امتلأ به من غبطة وسرور ... !!
- فخرته ... متصلة اتصال الأفلاك في عليائها ... !!
- وخيامه ... متلاصقة تلاصق القلاع في بنائها ... !!
- وفي كل خيمة ... يضطجع عاشق ثمل إلى جوار معشوقه الوطيان ... !!
- وفي كل خيمة ... يسعد حبيب هائم برؤية حبيبته الهيام ... !!
- والحائل ... تتجاوب بأنغام الأعواد والغنين ... !!
- والحيام ... تردد فيها صيحات السقاة المحمورين ... !!
- والغشاق في تقبيل ومعانقة ، والحسان في دلال ومعانبة ... !
- والطربون دائبون في العزف والغناء ، والنشاي غارقون في غفلة الانتشاء ... !!
- ولقد اتقدت على باب خيمة الأمير السعيد نار أخذت في التأجج
- أشعلوها ليسم بها جياده ، فأصبحت كأنها الشمس ذات التوهج ... !!
- وارتفعت لها ، وكأنها الأعلام المصنوعة من الديباج الأصفر
- واشتدت حرارتها كحرارة الشباب ، واصفرت طلعتها كالذهب الخالص ... !!
- واحمرت المياسم ، فأضحت كقطع الياقوت الدكناء ... !!
- وبدت مصفوفة في النار ، كأنها جبات الرمان الحمراء ... !!
- واضطف القلمان الذين لم يذوقوا طعم النوم والكرى ... !!
- ووقفوا يمسون بالجياد التي لم يسموها ... قافلة في أثر قافلة ... !!

- والأمير السعيد قد امتطى صهوة سابع جيل ...
 والأنشودة في قبضة يده وكأنه « اسفنديار » الجيل (١)
 — واثنت الأنشودة في يده ، فأصبحت كطرة الفتاة الحسنة
 واستحكمت في قبضته كما يستحكم عهد الأصدقاء القدماء
 — وأحاط بالأمير العادل « أبي الظفر » جماعه من الأخصاء
 ووقف بينهم ملكاً مظفراً ، قد دانت له جميع الأنحاء
 — فإذا وقع الجواد في عقدة أنشوطته
 وسمه بالكي فأصبح اسمه منقوشاً على وجهه ورقبته وعجزته
 — ولكنه يسم الجياد ، ثم يجود بها بعد ذلك
 فتصبح للشعراء أزمته ، وللزائرين مقاودها وأعتبا ... !!

ويقول صاحب « چهار مقاله » : إن « العمد أسعد » عندما سمع هذه القصيدة
 بقي في حيرة كاملة ، لأن أذنه لم تطرقها من قبل قصيدة أخرى في مثل جمالها؛ فترك جميع
 أعماله ، وأمر للفرخي بجواد ركبه ، وتوجه معه إلى الأمير ؛ ووصل إليه والشمس
 آخذة في الغيب ، وقال له : لقد أحضرت إليك يا مولاي شاعراً لم ير أحداً ندأ له
 منذ وارى « الدقيق » وجهه في نقاب التراب . ثم حكى له خلاصة ما سبق من أمره معه :
 فأذن الأمير بإحضار الفرخي إلى مجلسه ، فلما دخل عليه وحياء ، مد الأمير يده
 إليه ، وقربه من مجلسه ، وسأله عن حاله ، وتلطف إليه ، وأمله في نواله وصلته ؛
 فلما دار الشراب جملة دورات نهض الفرخي من مكانه وأخذ ينشد في صوت حزين
 جميل قصيدته التي مطلعها :

با كاروان حله برقم ز سيستان با حله تنيده ز دل بافته ز جان

(١) بطل من أبطال الأساطير الإيرانية .

— خرجت من « سجستان » مزاملاً لقافلة « الحلة »

ومعى حلة مطرزة بدماء قلبي ، منسوجة من أشجان روحي

فلما فرغ من إنشادها ، وكان الأمير من قائل الشعر والخبراء به ، تعجب من جودتها ؛ فالتفت إليه « العميد أسعد » وقال : تمهل قليلاً . . . يا سيدي . . . حتى تمنى النظر فيما هو آت . . . وسكت « الفرخى » قليلاً حتى إذا عمل الشراب في رأس الأمير ، وبلغ منه السكر مبلغه ، نهض « الفرخى » من مكانه وأخذ ينشد قصيدته التى يصف فيها مكان وسم الجياد . فملك الحيرة لب الأمير ، والتفت إلى « الفرخى » قائلاً : لقد أحضروا إلى الآن ألفاً من المهارى الجيدة ، كلها بيضاء الفرة ، محجلة الأرجل ، وأنت رجل « سجزى »^(١) ما كرتال ، فأمسك منها ما استطعت يكن من نصيبك . . . !!

وكان الشراب عند ذلك قد أثقل رأس « الفرخى » وبلغ به غاية النقوة ، فطوح بعامتة عن رأسه ، ورمى بنفسه فى وسط هذا القطيع ، واستطاع أن يقود أمامه عدداً منه ، سار به إلى ناحية السهل والقلابة ؛ ولكن المهارى جرت يمينا ويساراً فلم يتمكن من أن يأخذ من بينها مهراً واحداً ، وبدا له فى نهاية الأمر رباط خرب يقع إلى جوار المعسكر ، أخذت المهارى تدخل فيه ؛ وكان « الفرخى » قد بلغ غاية التعب والنصب ، فدخل إلى دهليز هذا الرباط ، واستلقى على الأرض واضعاً عمامته تحت رأسه ، ولشدة ما كان يحسه من تعب وسكر استغرق فى نوم عميق .

وجاء رجال الأمير وعدوا المهارى الموجوده داخل الرباط فوجدوها اثنين وأربعين مهراً ، فوجهوا إلى الأمير وأخبروه بما كان ؛ فضحك الأمير كثيراً ، وتعجب مما حدث وقال : إن « الفرخى » رجل حسن الحظ ، سيرفع شأنه ، فاحفظوا به ، واحفظوا له بهذه المهارى ، فإذا ما سخا من غفوته أيقظونى أنا أيضاً .

(١) أى من أهل سجزستان .

فامتلأوا لأمره ؛ ونهض « الفرخى » من نومه فى اليوم التالى مع طلوع الشمس ، واستيقظ الأمير من تلقاء نفسه وصلى صلاة الصبح ، ثم أمر بإحضار « الفرخى » إليه ، وتلطف إليه كثيرا ، ثم سلم إلى تابعيه هذه المهارى ، وأمر له بجمود كامل العدة من جواده الخاصة ، كما أمر له بخيتمين وثلاثة بغال وخمسة من العبيد وبعد من اللبوسات والمفروشات . وعلا أمر « الفرخى » فى خدمة الأمير علوا كبيرا ، وبلغ شأوا بعيدا من العظمة والجاه ؛ ثم التحق بخدمة السلطان يمين الدولة « محمود الغزنوى » ، فلما رآه على هذه الحال من العظمة والرفعة والجاه ، تولاه بما هو جدير به ، فإزال شأنه فى علو وارتقاء حتى بلغ عدد من يتبعه من الخدم إذا ركب عشرين غلاما يتمنطقون بمناطق من الفضة الخالصة .

الفردوسى :

تروى قصة مشهورة^(١) أنه بينما كان الشعراء الثلاثة الذين ذكرناهم فيما سبق يتحدثون يوما فى إحدى الرياض فى مدينة « غزنه » قصدهم غريب قادم من « نيسابور » يريد أن يلتحق بمجلسهم فاعترضه « العنصرى » وقد هاله فضول هذا الغريب القروى وقال له :

— إنا شعراء الملك ، ولا يدخل فى زمرتنا إلا شاعر ، فإن شئت أن تلحق بجماعتنا فما عليك إلا أن تميزنا بشطرة رابعة لثلاث شطرات من الشعر ، سيقول كل واحد منا واحدة منها .

فأذعن « الفردوسى » وهو الغريب القادم لهذا الاختبار وعمد « العنصرى » إلى اختيار قافية صعبة ، يسهل بها تقفية ثلاث شطرات وتستعصى بها الرابعة ، فقال مبتدئا :

« چون عارض توماه نباشد روشن »

(١) مروية فى « تذكرة الشعراء » لدولتشاه ص ١٠٠ - وقد ذكرها كل من أنى بعده من كتاب التراجم ، ولكن صاحب « چهارمقاله » وكذلك « محمد عوفى » لم يذكرها وها أقدم اثنين من كتاب التراجم المتبعة .

ومعناها : إن القمر لا يضيء كنور وجهك في بهائه ... !!

ثم ثنى « العسجدي » فقال : « ما تند رخت گل نبود در گلشن »

ومعناها : وفي بهاء وجنتك ... لا يكون الورد في رياضه ... !!

ثم أعقبه « الفرخى » فقال : « مژگان گذر همی کند در جوشن »

ومعناها : وأهدابك تنفذ من الجواشن الثقيلة...!!

وأقبلت نوبة « الفردوسى » فقال الشطرة الآتية وفيها إشارة إلى قصة غير مشهورة في أساطير الملوك الأقدمين :

« ما تند سنان کیو در جنگ پشن »

ومعناها : وكأنها سنان « كيو » في حربه مع « پشن » ...!!

عند ذلك طلب الشعراء الثلاثة إلى « الفردوسى » أن يشرح لهم القصة التي أشار إليها في « شطرته » ففعل لهم ذلك ، وأبدى كثيرا من الخبرة بأساطير إيران القديمة . وأخبر « العنصرى » مولاه « السلطان محمود » بأنه قد عثر في النهاية على شاعر ماهر قمين بأن يكمل نظم الملحمة الوطنية التي بدأها « الدقيقى » لأحد ملوك السامانيين منذ عشرين أو ثلاثين سنة وأتم منها ألف بيت نظمها في قصة الملك « كشتاسب » ، وظهور نبي الفرس زردشت^(١) ، ولكن الموت اخترمه عند هذا الحد فاغتاله غلام تركى من غلمانه ، وقضى بذلك على هذا الشاعر التاعس الموهوب .

هذا هو جملة البيان الذى أورده « دولتشاه » وغيره من أصحاب التراجم عن الكيفية التي اتصل بها « الفردوسى » بالبلاط الغزنوى ، ولكنى قد بينت في ملاحظة سابقة أن أقدم الكتب التي كتبت عن هذا الشاعر وهى التي ترجع إلى منتصف القرن

(١) يذكر عوفى (ص ٣٣) إن « الدقيقى » نظم عشرين ألف بيت من الشاهنامه بالإضافة إلى ما نظم « الفردوسى » وقوامه ستون ألف بيت . ولكن « الفردوسى » نفسه يقصر عدد ما نظم « الدقيقى » على ألف بيت ، وذهب إلى هذا رأى أيضا المستشرق « نولدكه » في ص ٦٩ من مقاله :

« الملحمة القومية الإيرانية : Iran. Nationalepos »

الثاني عشر وبداية الثالث عشر الميلاديين لا توجد مثل هذه الرواية . ولا شك أن ذلك مما يؤيد وجهة نظر الأستاذ « نولدكه » في أنها رواية مخترعة من أساسها . والضيق الحاصل لنا في مثل هذه المواضع ليس ناتجا كما هو العادة من نقص التفاصيل التي يوردها أصحاب التراجم ، بل على العكس من ذلك ، عن كثرة الروايات الباطلة التي لا تؤيدها المصادر القديمة التي كتبت عن حياة الشاعر ، ولا البذ القليلة المتفرقة التي رواها « الفردوسي » عن نفسه في « الشاهنامه » ؛ وربما كانت هذه وتلك في كثير من الأحيان تتعارضان تمام المعارضة وتبدوان على طرفي نقيض . ومن أجل ذلك وجب علينا في مثل هذه الحالات أن نرفض رفضا تاما هذه الروايات المتأخرة التي ترجع إلى النصف الأخير من القرن الخامس عشر الميلادي (= منتصف التاسع الهجري) وحسبنا أن نحيل القارئ التفتيش إلى ما أورده من نظائرها « أوزلي » في كتابه « تراجم شعراء الفرس »^(١) وما ذكره « مول »^(٢) في مقدمته على طبعة « شاهنامه » الصحوبة بترجمتها الفرنسية . وإلى غير ذلك من الكتب التي يتداولها بعض الناس من غير طائفة المستشرقين المتخصصين .

ولا خلاف بين أهل المشرق والمغرب في أن « الفردوسي » شاعر عظيم الخطر ؛ ومهما اختلف تقديرنا الشخصي للمحمته « الشاهنامه » فلا خلاف في أنه هو ومنظومته حقيقتان بدراسة مفصلة موضحة ، ولكن الغرض الذي أجعله نصب غني عند تأليف هذا الكتاب يدعوني إلى أن ألتبس الإجمال بقدر المستطاع ، لأن هدفي منذ البداية منصب على إعطاء القارئ الأوروبي صورة من الحياة الأدبية في إيران تمتد بالتفاصيل التي لا يجدها في الكتب الأوروبية الأخرى .

وأهم المصادر العتمدة التي في أيدينا هي التالية : —

أولا : مؤلفات الشاعر نفسه ؛ وهي عبارة عن « الشاهنامه » وقصة « يوسف وزليخا » المنظومة وبعض الغزليات التي جمعها وترجمها الدكتور « إيتيه »

(١) أنظر : Biographies of the Persian Poets, by Ouseley.

(٢) يكتب هذا الاسم بالمرروف الرومانية هكذا : Jules Mohl.

في مقالته « الفردوسي كشاعر غنائي^(١) »

ثانيا : الرواية التي أوردتها « نظامي عروضي السمرقندي » في كتابه « چهار مقاله » وقد زار قبر الفردوسي في « طوس » سنة ١١١٦ م = ٥١٠ هـ أي بعد وفاته بما يقرب من قرن واحد واستطاع أن يضمن كتابه ما سمعه هناك من أخبار احتوتها الحكاية العشرون^(٢) .

ثالثا : الرواية المقتضبة التي ذكرها « محمد عوفي » في الجزء الثاني من كتابه « لباب الالباب » .

وقد تمكن الأساتذة الأوروبيين من أمثال « ترزمكن » و « مول » و « روكرت » من أن يجعلوا « الشاهنامه » معروفة لدى الأوروبيين بعد مطبوعوها وترجموها ، ولكن لازالت أهم الدراسات التي كتبت عن الفردوسي هي تلك التي كتبها « إتيه » في مقالته التي ذكرناها فيما سبق ، وكذلك فيما كتبه « نولدكه » في مقالته البارعة التي عنوانها « الملحمة القومية الإيرانية » وهي التي نشرها في كتاب « الفصل في الدراسات اللغوية الإيرانية » والتي أعاد نشرها « ترينر : Trubner » في كتيب منفصل سنة ١٨٩٦ نجعل عليه عمادنا فيما نحن مقدمون عليه من نقل .

(١) انظر : Firdusi als Lyriker في « Munch Sitzung Sberichte » أخبار جلسات المعهد العلمي بميونخ « سنة ١٨٧٢ ص ٢٧٥ - ٣٠٤ وسنة ١٨٧٣ ص ٦٢٣ - ٦٥٣ ، وكذلك « يوسف وزليفا » في أعمال المؤتمر الدول السابع للمستشرقين في فينا سنة ١٨٨٩ القسم السامي ص ٢٠ - ٤٥ ، وكذلك ملاحظات نولدكه في « الدراسات الفارسية » الجزء الثاني عدد ١٢٦ من « أخبار جلسات المجمع العلمي بفينا » : « Wiener Sitzungsberichte » وقد أورد الدكتور « إتيه » قائمة بأسماء الكتاب الإنجليز الذين استعانوا بالكتب السابقة لكتابة المقالات في المجلات والجرائد . وهذه القائمة موجودة في مقالة التي عنوانها « الأدب الفارسي الحديث » المنشورة في الجزء الثاني من « الفصل في الدراسات اللغوية الإيرانية » .

(٢) هذه الرواية المذكورة أيضاً بتمامها في كتاب تاريخ طبرستان تأليف ابن اسفنديار وكان أول من استخرجها من ذلك الكتاب هو الدكتور إتيه ، لأن نص « چهار مقاله » لم يكن ميسراً له ، لاقى النسخة المطبوعة على الحجر ولاقي مخطوطة المتحف البريطاني ، وقد نشر هذا النص الذي اعتمد فيه على ثلاثة مخطوطات في مجلة المستشرقين الألمان عدد ١٥٨ .

ولا يفوتنا أن نذكر أننا مدينون لـ «نولدكه» خاصة بدراسة عميقة سليمة لحياة الفردوسي ، أظهر فيها معالمها الحقيقية والمحتملة ، معتمداً في ذلك على أحسن المصادر التي يعتمد عليها الباحث الناقد ، وأقصد بذلك أقوال «الفردوسي» نفسه وهي التي نجد بها مبعثرة في مختلف المواضع في شاهنامته الشاسعة .

وقبل أن نخوض في ذكر الأساطير الطويلة التي أشرنا إليها فيما سبق ، يحسن بنا أن ننهي أولاً من ذكر الروايتين القصيرتين اللتين أوردتهما «عوفى» في «لباب الألباب»^(١) و«المؤرخ» «حمد الله المستوفى» في كتابه «تاريخ كزنده» الذي ألفه في سنة ١٣٣٠م = ٧٣١هـ ؛ وقد ذكر الأخير منهما أن اسم «الفردوسي» الكامل هو «الحسن بن علي الطوسي» وجعل وفاته في سنة ٤١٦هـ = ١٠٢٥م . أما صاحب «اللباب» فكعادته يكيل الثناء للشاعر ويعجب أشد الإعجاب بمثانة عباراته ، وقوة تراكيبه ، وبعد خياله ، وقدرته على المحافظة على هذه الأمور في منظومة طويلة شغلته السنين الطويلة من عمره ؛ ثم يذكر بعد ذلك أن الشاعر «مسعود بن سعد» وهو من الشعراء المبكرين الذين عاشوا حوالي سنة ١٠٨٠م = ٤٧٣هـ اقتبس منها بعض المختارات مما يدل دلالة واضحة على أن الشاهنامة قد فازت في هذا الزمن المبكر بكثير من الانتشار والديوع .

رواية «جهرار مغارة»

أما كتاب «جهرار مغارة» — وهو أقدم المصادر وأجدرها بالإعتماد — فيذكر أن «الفردوسي» كان دهقاناً (أي قروياً من أصحاب الأراضي) وأنه كان من قرية «باز»^(٢) في ناحية «طبران» بالقرب من «طوس» إحدى مدن خراسان التي كانت تقع في مكان مدينة «مشهد» الحالية . وكان يعتمد في معيشته على ما تظلة له بعض الضياع ، ولم يكن له من عقب غير ابنة واحدة ، أراد أن يحسن تجهيزها ، فدفعه ذلك

(١) انظر ج ٢ ص ٣٢-٣٣

(٢) ذكر ابن اسفنديار في تاريخه مثل هذه الرواية ولكنه لم يذكر اسم هذه القرية .

إلى نظم ملحمة الطويلة لعله يجد من أصحاب الجاه والسلطان من يهديها إليه فيجزيه الجزاء الأوفى على ما تجشم من تعب دائب وجهه طويل متصل . فلما فرغ منها بعد ثلاثين سنة (أول خمسة وعشرين وفقاً لبعض المصادر الأخرى) وكان ذلك في سنة ٣٨٩ = ٩٩٩ هـ كما يقول «نولدكه» أعطاهها لكتابه «علي ديلم» فنسخها ولراويه «أبي دلف» فأنشدها ؛ وقد ذكر «الفردوسي» هذين الرجلين في إحدى مقاطع الشاهنامه وقرن بهما «الحسين بن قتيبة» حاكم طوس لأبائيه الجميلة التي مدته بكثير من العون والتشجيع . وفيما يلي نص القطعة التي ذكر فيها أسماء هؤلاء الرجال (١) :

ازين نامه از نامداران شهر علي ديلم وبو دلف راست بهر
نيامد جز احستشان بهرزه ام بكفت اندر احستشان زهره ام (٢)
حيي قتيبة است از آردگان كه از من نخواهد سخن رايدگان
نيم آكه از اصل وفرع خراج همي غلطم انمر ميان دواج

ومعناها :

— من مشاهير هذه المدينة ، الذين ذكروا في هذا الكتاب
«علي ديلم» ، و «أبي دلف» نصيب من الفضل والثواب -
— فلم أسمع منهما إلا أقوال الاستحسان والإعجاب
وقد كدت انظر خجلاً وعجزاً أمام أقوالها العذاب

(١) المترجم : النص منقول عن «جهار مقاله» وليس موجوداً في الأصل .

(٢) هذا البيت مشكوك في مبناه ومعناه وأنى أفضل نصه الذي ورد في تاريخ «ابن اسفنديار» حيث وردت في الشطرة الأولى «از بختشان» بدل كلمة «احستشان» ولكني مع ذلك أشك في صحة ماورد بالشطرة الثانية حيث ذكر «احسانان» بدل كلمة «احستشان» ولو أننا اتبعنا هذه التعديلات وأصلحنا النص الذي ذكرناه في صفحة ٧٩ من ترجمتي لكتاب «جهار مقاله» لأصبح معنى هذا البيت : - «لقد كادت كبدي تنفجر لما بذلا لي من خير وكرم؛ أي لقد هزني كرمها وحرك الساكن من قلبي» - ولاشك أن هذا الإصلاح يفض الصعوبة التي اعترضني في ترجمة هذا البيت وأشرت إليها في الهامش رقم ٤ من ترجمتي .

— وكذلك «حي قتيبة» فإنه من أحرار الرجال^(١)
ولم يتطلب أن أقول فيه حبة شيتا من الأشعار والأقوال ... !!

— فأعفاني من الحراج حتى جهلت بأصوله وفروعه
وأصبحت بذلك اتقلب في الحرير ، بل في الخير جميعه ... !!

ويذكر صاحب «چهار مقاله» في تفسير البيت الأخير أن «حسين بن قتيبة» كان يتولى جباية الحراج في «طوس» وأنه أعفى «القردوسي» مما عليه ؛ ومن أجل ذلك فقد خلد الشاعر اسمه حتى القيامة وجعل الملوك يذكرونه ويرددونه .

ولما فرغ «علي ديلم» من نسخ «الشاهنامه» في سبعة مجلدات حملها «القردوسي» وبعم وجه شطر «غزته» مستصجاً معه روايته «أبا دلف» وسرعان ما تمكن من أن يجعل الوزير «أبا القاسم أحمد بن الحسن اليمندي»^(٢) يشغف بمنظومته ويتولى تقديمها إلى السلطان محمود الذي سربها سروراً عظيماً . ويمضي صاحب «چهارمقاله» في روايته ويقول : «إن الوزير كان له أعداء وكانوا دائماً يصبون تراب التخليط في كأسه (أي يقدحون فيه) فشاورهم السلطان محمود في مقدار العطاء الذي يعطيه للقردوسي ، فقالوا له : حسبه خمسون ألف درهم وهذا المبلغ كثير عليه ، لأنه رافضى ومعتزلى ؛ والدليل على اعتزاله قوله :

به بينندگان آفريننده را نيينى مرنجان دو بيننده را

ومعناه :

— إنك لن تستطيع أن ترى الخالق بعينيك ، فلا تعب إذن ناظريك^(٣) .

(١) هذا الاسم المذكور في نسختي المتحف البريطاني لكتاب «چهارمقاله» على أنه «حي» أو «حيي» ولكن تاريخ ابن اسفنديار يذكره «حسين» وربما كان هذا هو الصواب .
(٢) في «چهارمقاله» يذكر هذا الاسم على أنه «الوزير أحمد بن الحسن اليمندي» ولا شك أنه يقصد به «اليمندي» أما «ابن اسفنديار» فيذكر هذا الاسم هكذا «حسين بن أحمد» .
(٣) «رؤية الله» كانت سبباً في نقاش طويل بين الفرق الإسلامية . والمعتزلة ينفونها ، والحنابلة يثبتونها .

والدلیل علی تشیعہ قوله :

مرا غمز کردند کان پر سخن بمهر نبی و علی شد کهن
اگر مهرشان من حکایت کنم چو محمود را صد حمایت کنم
پرستار زاده نیاید بکار و گزیند باشد پدر شهریار
ازین در سخن چند رانم همی چو دریا کرانه ندانم همی
به نیکی نبد شاه را دستگاه و گرنه مرا بز نشاندی بگاہ
چو اندر تبارش بزرگی نبود نمانست نام بزرگان شنود

ومعناها :

- لقد عابونی فقالوا : إن هذا التشدق الثرثار
- قد شاب علی حب النبی وعلیّ ، وتقدمت به السنون والأعمار ... !!
- ولو أتی أخذت أردد أقوالی فی جہما وما يتصل بهما من أخبار
- لحمیت بذلك مئآت من أمثال «محمود» وکل سلطان جبار ... !!
- ولكننی أعرف أن ابن الأمة لا یصلح فی عمل من الأعمال
- ولو کان أبوه ملكا من ذوی الخطر والجلال ... !!
- فإلام أسوق الحديث فی هذا الباب الواسع ... ؟!
- وهو كالبحر ، لا أعرف حدّا لداءه السابع ... !!
- وليس فی طاقة هذا السلطان أن یفعل الخیر والإحسان
- ولو قدر له ذلك لأجلسنی علی العرش فی أسمى مكان ... !!
- ولم یکن فی أرومته ما يتصل بالعظمة وكرم المحتد والاتباء ... !!
- ومن أجل ذلك لم یعرف کیف یستمع إلى أسماء العطاء ... !! (۱)
- فإذا صحت هذه الروایة التي ذکرها صاحب «چهار مقاله» عن الفردوسی - ولست
- أحسبها إلا صحيحة فی أساسها - ، فإنی أمیل إلى افتراض صلة بین ما أصاب الفردوسی
- من ضرر وما أصاب سیده ومولاه «الیمندی» من شر انتهى به إلى الحبس كما خبرنا

(۱) المترجم : لم يذكر «براون» هذه الآيات فی هذا الموضع واكتفى بالإشارة إليها وإرجاع القارئ إلى ترجمته لكتاب «چهار مقاله» ص ۸۰ - ۸۹ .

بنك ابن الأثير في حوادث سنة ٤٢١ هـ = ١٠٣٠ م حيث ذكر أن « مسعود بن محمود الغزنوي » أفرج عنه وأعادته إلى منصبه .

ومع ذلك فليس من السهل التغلب على الاعتراضات التي توجه إلى هذا القرض ، لأن « نولده » على الخصوص ، يثبت لنا أن الفردوسي ولد غالباً في سنة ٣٢٣ هـ أو ٣٢٤ هـ = ٩٣٥ م أو ٩٣٦ م وأنه فرغ من « الشاهنامه » نهائياً في سنة ٤٠٠ هـ = ١٠١٠ م ، وأن عمره في ذلك الوقت قد نيف على الثمانين (١) ؛ وفي هذا الوقت دون غيره ثار النقاش على مسألة مكافأته على نظم « الشاهنامه » .

ويمضي صاحب « چهار مقاله » في حديثه عن الفردوسي فيقول :

« وكان السلطان محمود رجلاً شديداً التعصب فأثرت فيه هذه الوشايات واستمع لها ، فلم يصل « الفردوسي » في النهاية إلا بعشرين ألف درهم (٢) وغضب الفردوسي غضباً شديداً . وذهب إلى الحمام فاغتسل ثم خرج منه وشرب فقاعاً (٣) ، وقسم النقود بين صاحب الحمام وبائع الفقاع . وكان يعلم بقسوة محمود ، فخرج من مدينة « غزنه » ليلاً ونزل بمدينة « هراة » في دكان إسماعيل الوراق والد « الأزرقى (٤) » ؛ ثم توارى في منزله مدة ستة أشهر حتى وصل رسل محمود في طلبه إلى مدينة طوس وانصرفوا عنها . فلما أحس الفردوسي بالأمن والطمأنينة خرج من « هراة » وتوجه إلى طوس ، وحمل الشاهنامه معه ، وذهب إلى « طبرستان » ونزل عند ملكها « الإصبهشهریار »

(١) يثبت « نولده » أن الفردوسي فرغ من نظم « الشاهنامه » قبل أن يقوم بأهدائها إلى السلطان « محمود الغزنوي » بزمن طويل وبرهن على ذلك بأن هناك نسخة أخرى أهديت إلى « أحمد بن محمد بن أبي بكر الخالنجاني » بتاريخ ٣٨٩ هـ = ٩٩٩ .

(٢) هذا الرقم المذكور في النسختين المخطوطتين المحفوظتين في المتحف البريطاني ، وكذلك في تاريخ « ابن اسفنديار » أما النسخة المطبوعة على الحجر فتذكر أنه ستون ألف درهم . ومدار الجدل في هذه الروايات هو أن السلطان استبدل الدنانير الذهبية بـ « الدراهم » الفضية .

(٣) الترجمة : نوع من الشراب المسكر كالخمر .

(٤) شاعر مشهور ستحدث عنه فيما بعد .

الذى يتنسب إلى « آل باوند » وهم أسرة كبيرة يتصل نسبها بالملك « يزدرج بن شهریار ^(١) » .

« ثم هجا الفردوسى محموداً فى منظومة من مائة بيت ، قرأها على « شهریار » وقال له : سأثقل هذا الكتاب من اسم محمود إلى اسمك فإنه عبارة عن أخبار جدودك ومآثرهم : فتلطف شهریار فى معاماته وأبدى له أنواع الرفق والإحسان ، وقال له : يا أستاذ ... لقد حمل الوشاة محموداً على ذلك ، ولم يعرضوا عليه كتابك بما هو جدير به ، وقدحوا فى شأنك ، هذا بالإضافة إلى أنك رجل شيعى ، والمعروف أن كل من يتولى أهل بيت الرسول لا يستقيم له أمر من أمور الدنيا ، لأنهم هم أيضاً لم يستقم لهم أمر من أمورهم ، وأنت تعرف أيضاً أن السلطان محموداً سيدى ومولاي ، فترك الشاهنامه باسمه ، واعطى هجاءه حتى أمحوه ، وسأعطيك فى مقابل ذلك عطاء قليلا ، وسيدعوك محمود بنفسه ويطلب رضاك ، فلا يضيع بذلك ما تكبدته من جهد فى نظم هذا الكتاب .

« ثم أرسل إليه فى اليوم التالى مائة ألف درهم ، وقال : لقد اشترت كل بيت من أبيات الهجاء بألف درهم ، فأعطى هذه الأبيات المائة ، وطب حالا واهناً قلباً مع السلطان محمود .

« فأرسل الفردوسى إليه هذه الأبيات . وأمر شهریار بحجوها ، ومحا الفردوسى أصولها . وبذلك اندرس هجاؤه للسلطان ؛ وقد بقيت ستة أبيات من بينها ، هى الآتية ^(٢) :

— لقد عابونى فقالوا : إن هذا المتشدد الثرثار ...

قد شاب على حب النجى وعلى وتقدمت به السنون والأعمار ^(٣) ... !!

(١) آخر ملوك الساسانيين ، وقد فتح العرب بلاده أثناء حكمه ، وقد استعاض « ابن ايسفنديار » العبارات التالية لكلمة « باوند » بالعبارات الآتية : « وكان خالاً لشمس المالى فايرى بن وشمكير وقد سجلت مآثره ونواحى عظمتة فى كتاب اليمىى لاهبى » .

(٢) المترجم : ذكرت نص هذه الأبيات بالفارسية فى صحيفة ١٥٩ .

(٣) يقصد بذلك أنه أحب النجى وعلياً فقط ، ولم يذكر أبابكر وعمر وعثمان ، وهم

- ولو أنني أخذت أردد أقوالى فى جبهما وما يتصل بهما من أخبار ...
 لحيتُ بذلك ماث من أمثال محمود وكل سلطان جبار ... !!
 — ولكنى أعرف أن ابن الأمة لا يصلح فى عمل من الأعمال ...
 ولو كان أبوه ملكا من ذوى الخطر والجلال ... !!
 — فإلام أسوق حديثى فى هذا الباب الواسع ...
 وهو كالبحر ، لا أعرف حداً لمداه الشاسع ... !!
 — وليس فى طاقة هذا السلطان أن يفعل الخير والإحسان ... !!
 وإلا لأجلسنى على العرش فى أسمى مكان ... !!
 — ولم يكن فى أرومته ما يتصل بالعظمة وكرم الانتهاء ... !!
 ومن أجل ذلك ، لم يعرف كيف يستمع إلى أسماء العظماء ... !!

« وفى الحق ، إن شهریار أدى بذلك خدمة جليلة للسلطان محمود ، واعتبرها محمود منة كبيرة منه . ولما كنت فى نيسابور فى سنة أربع عشرة وخمسمائة سمعت عن الأمير « معزى »^(١) أنه قال : سمعت عن الأمير « عبد الرزاق » بطوس أنه قال : كان السلطان محمود فى بعض الأوقات ببلاد الهند ، فلما كان فى طريق العودة إلى مدينة غزنه ، اعترض طريقه ثائر من الثوار تخصن فى قلعة منيعة . فنزل محمود فى اليوم التالى على باب قلعته ، وأرسل إليه رسولا يقول له إنه يجب عليه أن يأتى إلى السلطان فى الغداة ، ليقدم له فروض الخضوع والولاء ويلتزم الأعتاب السلطانية حتى ينال من السلطان خلعة شريفة ، وله أن يعود بعد ذلك إلى قلعته . فلما كان الغد ركب السلطان محمود وعلى يمينه وزيره^(٢) عاد الرسول وتقدم إلى السلطان فالتفت السلطان إلى وزيره وقال :

== الخلفاء الثلاثة الأوائل من الخلفاء الراشدين لدى أهل السنة . ويتضح من هذه الآيات أن الفردوسى يريد أن يقول إن التهمة الوحيدة التى اتهم بها خصومه وهى تهمة التشيع ، إنما مردها إلى هذا البيت الذى عبر فيه عن حبه الخالص الشديد لأهل البيت .

(١) هو شاعر السلطانين السلجوقيين « ملكشاه » و « ستجر » وقد قتل مولا خطأ برمية سهم خاطئة فى سنة ٥٤٣هـ = ١١٤٨م .

(٢) يذكر « دولتشاه » أن هذا الوزير هو « الميندى » وهنا جائز ، لأن المعروف إن

— ترى أية إجابة أجاب بها هذا المتمرد ... ؟

فردد الوزير على الفور قول الفردوسى :

— إذا لم يكن وفقاً لإرادتى هذا الرد والجواب ... !!

فلا مفر من التجأئى إلى السيف والميدان ومنازلة « افراسياب » ... !!

فقال محمود : لمن هذا البيت .. ؟ فإن الرجولة تنفجر من معانية^(١) .. ؟!

فأجاب الوزير : إنه من شعر الرجل المسكين « أبى القاسم الفردوسى » وقد احتفل العناء خمسة وعشرين سنة كاملة ليتم كتاب الشاهنامه ، ولكنه لم يفز بشيء من ثماره ... !!

فقال محمود : لقد أحسنت بتذكيرك إبائى بأمره ، وقد أحسست بالندم عما بدر منى نحوه ، ولقد بقى هذا الرجل النليل محروماً من نوالى ، فذكرنى بأمره بمجرد عودتى إلى غزته حتى أرسل إليه شيئاً .

فلما وصل الوزير إلى مدينة غزته ، ذكر محموداً بشأنه ، فقال السلطان له :

— مر لأبى القاسم الفردوسى بستين ألف دينار^(٢) تعطى له من أصباغ « النيلة » ولتحملها إليه فى طوس الإبل السلطانية ، ومر رجالى أن يسألوه العذرة . ومضت سنوات والوزير مشغول بهذا الأمر ، حتى استطاع فى النهاية تنفيذه ، ووضع الأحمال على ظهور الإبل ، ووصل العطاء سالماً إلى ناحية « طبران »^(٣) .

= هذا الوزير قد قبض عليه وحبس فى سنة ٣٤١ = ١٠٢١ - ١٠٢٢ م ، وأن الفردوسى مات فى الفترة الواقعة بين هذه السنة وسنة ٤١٦ = ١٠٢٥ - ١٠٢٦ م .

(١) استبدل « ابن اسفنديار » هذه العبارة بعبارة « لمن هذا البيت فإنه يفيض بالشجاعة والنضال » .

(٢) استبدل « ابن اسفنديار » كلمة « دينار » بكلمة « درهم » ثم أكل العبارة على النحو الآتى : « فلما جعت الدراهم أرسلها على الإبل السلطانية إلى مدينة طوس » .

(٣) « طبران » ناحية من طوس . أنظر « معجم البلدان الفارسية » تأليف « باربيه دى مينار »

Dict. de la Perse, par B. de Meynard.

س ٣٧٤ :

فلما دخلت الإبل من باب الـ «رودبار» كانت جنازة الفردوسى تخرج من باب «رزان»^(١). وكان فى «طبران» فى ذلك الوقت خطيب متعصب، أخذ يصيح ويقول: «أنالأجيز أن تصل جنازة الفردوسى إلى مقابر المسلمين فقد كان رافضياً...!! فأخذ الناس يجادلونه، ويجهدون فى إقناعه، ولم تفلح مجادلاتهم فى التأثير فيه. وكانت للفردوسى حديقة داخل هذه البوابة فدفنوه فيها»^(٢). وما زال قبره هناك حتى اليوم، وقد زرت قبره فى سنة عشر وخمسة (٣).

«ويقولون إن الفردوسى أعقب ابنة فاضلة، فأرادوا أن يسلموها صالة السلطان ولكنها رفضتها ولم تقبلها، وقالت للرسول: لست فى حاجة إليها. فكتب صاحب البريد^(٤) بذلك إلى السلطان، فلما عرض عليه الأمر، أمر رجاله أن يخرجوا هذا العالم»^(٥).

(١) تابع «تولدك» ابن اسفنديار فكتب هذا الاسم «رزان» ولكن النسخة المطبوعة على الحجر من كتاب «جهار مقال» وكذلك نسخه الخطية الثلاث التى تحفظ فى مكتبات لندن واستانبول تكتب الكلمة «رزان». وقد ذكر «البلاذرى» أن إحدى محلات سجستان تسمى بهذا الاسم كما توجد ناحية فى خراسان بالقرب من مدينة «نسا» تسمى «رزان» أنظر المراجع السابق ص ٢١٩.

(٢) تختلف عبارة ابن اسفنديار قليلا فترجمها كالآتى: «وكانت هناك حديقة تسمى حديقة (الفردوس) وكانت ملكا للفردوسى فدفنوه فيها».

(٣) كذلك يروى «دولت شاه» أن قبر الفردوسى كان موجوداً فى زمانه أى سنة ١٤٨٧ م = ٨٩٣ هـ وكان مزاراً يحج إليه المعجبون به. وقد وصف مكانه فقال إنه يقع بالقرب من مزار العباسية بمدينة طوس.

[المترجم: بمناسبة الاحتفال الألفى للفردوسى جددت الحكومة الإيرانية فى السنوات الماضية قبر الفردوسى وأقامت له مقبرة فخمة تليق بمكانته].

(٤) من أهم الواجبات التى كانت ملقاة على عاتق «صاحب البريد» أن يخبر مولاه بكل ما يحدث فى ولاياته مما يصل إليه علمه، ويشمل ذلك إخباره بكل ما يفعله الوالى فى ولايته. وقد شرح ذلك بالتفصيل كتاب «سياسة نامه».

(٥) يقصد به الخطيب المتعصب الذى ورد ذكره فى العبارات السابقة. وقد ذكر «دولت شاه» وجلة من أصحاب الكتب المتأخرة أن هذا الفقيه هو «الشيخ أبو القاسم الجرجانى» فقد رفض أن يصلى على الفردوسى لأنه أمضى عمره فى مدح أبطال الجيوش والزرادشتية ويذهب الخبر إلى أنه عندما نام فى هذه الليلة، رأى الفردوسى فى منامه يدخل

من « طبران » لقاء فضوله الذي أبداه ، وأن يعدوه عن أسرته ، وأن يعطوا المال لأبي بكر بن إسحاق حتى يعمر به رباط « چاهه »^(١) الواقع على رأس الطريق بين « نيسابور » و « مرو » فلما وصل أمر السلطان إلى « طوس » قاموا على تنفيذه فكان تعمير رباط « چاهه » من هذا المال .

رواية دولتشاه :

هذه هي أقدم نبذة وردت لنا عن « الفردوسی » ، وهي أقرب ما روى عنه إلى الصحة والتصديق ، لأننا على ثقة من أنه لو صح أنها ليست صادقة في كل التفاصيل التي اشتملت عليها ، فإنها على الأقل تمثل لنا ما كان يعتقد بشأنه طائفة المثقفين من أهل بلده بعد قرن واحد من وفاته . وعلى ذلك فنحن نعلق عليها أهمية كبرى جعلتنا نفضل تقديمها على باقي الروايات .

ولاشك أن « دولتشاه » استقى بعض أخباره مما ورد بكتاب « چهار مقاله » (وقد ذكر ذلك صراحة في بعض المواضع) ولكنه زخرف الحقائق المجردة المذكورة به وأضاف إليها من عنده بعض الأخبار الزائفة أو الخيالية .

وقد ذكر فيما ذكر ، أن اسم الشاعر هو « الحسن بن إسحاق بن شرفشاه » .

== جنات عليين ، فسأله كيف استطاع أن يصل إلى هذه المرتبة العالية فأجابه : بفضل هذا البيت الذي قلته في توحيد البازي جل شأنه :

جهان را بلندی و پستی توئی ندانم چه هر چه هستی توئی

ومعناه :

— إلهي...!! إنك جميع ما في الكون من رفيع ووضيع ...

ولست أعرف كنهك ، ولكنك أنت كل ما هو كائن...!!

(١) هكنا ورد هنا الاسم في إحدى النسخ المخطئة والمطبوعة من « چهار مقاله » ، وقد كتب « چاهه » في نسخة أخرى من نسخ لندن ، وكتب « جامه » في نسخة استانبول ، أما « ابن اسفنديار » فكتبه « رباط وچاهه » ، بمعنى : رباط وبئر ؛ وقد أسماه دولتشاه « رباط عشق » وقال إنه يقع إلى جوار خرائب « شقان » على الطريق بين « خراسان » و « استراباد »

وأنه تخلص في بعض أشعاره بـ « ابن شرفشاه^(١) » وأنه كان من قرية « رزان » بالقرب من « طوس » وأنه لقب نفسه بـ « الفردوسی » نسبة إلى حديقه هناك كانت تسمى « الفردوس » وكانت مملوكة لعميد خراسان « سوري بن المغيرة » وكان والده الفردوسی يشغل بستانيا في هذه الحديقه .

والفردوسی وقها لهذه الرواية رجل فقير معدم ، يجوز عليه حاكم بلده ، فيفر إلى « غزنه » ويعيش فيها فترة معتمدا على التكسب بأشعاره ، حتى تهيأ له الفرصة التي ذكرناها فيما سبق ، ويتعرف إلى « العنصرى » يأخذ هذا على عاتقه تقديمه إلى السلطان « محمود الغزنوى » ثم يقوم بعد ذلك في بقية القصة بالدور الذي قام به الوزير « اليمىنى » في القصة السابقة ويبدو بعد ذلك على أنه راعيه ووليّه .

ويقولون إن السلطان عند ما سمع قول الفردوسی :

چو كودك لب از شیر مادر بشت زكهواره محمود كويد نخست
ومغناه :

— متى غسل الطفل شفّيته من لبن أمه ، فإن أول كلمة ينطق بها هي « محمود » .
قرّبه وأغدق عليه النعم فأنزله في قصره . ، ورتب له مرتبا يصرف له بانتظام .
وتقول هذه الرواية دون ما عدها من الروايات^(١) أن « أياز » غلام السلطان محمود قد ساء ما رآه من انصراف « الفردوسی » عنه فأخذ يكيد له لدى السلطان ويتهمة بالزندقة والكفر حتى أعلنه السلطان بذلك صراحة وقال له : إن زنادقة هذا المذهب (أى القرامطة والإسماعيلية) يأتون من طوس ولكنى عفوت عنك على شريطة أن تقلع عنه .
وتقول هذه الرواية إن الشاعر اختفى بعد ذلك بضعة أشهر في مدينة « غزنه » منتهزا الفرصة ليسترد من مكتبة السلطان نسخة « الشاهنامه » فلم تم له ذلك لجأ إلى أحد الوراقين في « هراة » ؛ ويتغير اسم هذا الوراق في هذه الرواية فتذكره على

(١) يذكر « تولدكه » في مقالته ص ٢٢ أن مقدمة « بايستر » تذكر أن والده الفردوسی كان يسمى : « نضر الدين أحمد بن فرخ الفردوسی » .
(٢) أنظر مقالة « تولدكه » ص ٢٦ .

أنه « أبو المعالي » وليس « اسماعيل » ثم تضي بقية رواية « دولتشاه » على هذا النحو وتذكر لنا بعض التفاصيل والأقاويل المختلفة ولكنها تتفق في خلاصتها مع ما ذكرناه في الرواية السابقة .

أما الأخبار المستقاة من مؤلفات الفردوسى نفسه ، فهي إذاً صحت نصها (١) أهم المصادر عن تاريخ حياته ؛ وقد قلنا فيما سبق أن الأستاذ « نولدكه » والدكتور « إتيه » قاما على دراسهما دراسة عميقة كلفتهما كثيراً من العناء والصبر ، ومن المستحيل على فى كتاب ضيق النطاق مثل كتابى هذا أن أذكر كل ما وصل إليه من نتائج ، بل إن ذلك لا يتحتم على لزما ، لأن كل دارس متفحص للشاهنامه سيرجع بالضرورة إلى ما كتبه أولهما فى مقالته « الملحمة القومية الإيرانية » وإلى المقالات التى كتبها الآخر عن هذا الموضوع وألحقها بطبعته لمنظومة الفردوسى العروفة « يوسف وزليخا » وكذلك إلى فصول مقالته التى كتبها بالألمانية بعنوان « الآداب الفارسية الحديثة » وهى المنشورة فى المجلد الثانى من « الفصل فى الدراسات اللغوية الإيرانية » .

وإذا تحرينا الإيجاز فإنه يدولنا أننا كنا على حق فى افتراض أن الفردوسى كان « دهقاناً » من دهاقين « طوس » وأنه كان يعيش عيشة ميسرة لاضك فيها ، وأنه ولد حوالى سنة ٩٢٠ م = ٣٠٨ هـ أو بعد ذلك بقليل من الزمن ، وأنه شغف بالأخبار القديمة والروايات الشعبية ، فقرأ فيها كتاباً منشوراً من تأليف « أبى منصور المعمرى » جمعه « لأبى منصور بن عبد الرزاق » حاكم خراسان فى سنة ٩٥٧ م = ٣٤٦ هـ واستقى فيه أخباره من أقدم المصادر الفارسية ، فدفعه ذلك إلى نظم « الملحمة القومية » وفرغ من نسخها الأولى فى سنة ٩٩٩ م = ٣٩٠ هـ بعد خمسة وعشرين سنة من العمل المتصل ، ثم أهداها بعد ذلك إلى « أحمد بن محمد بن أبى بكر الخالنجانى (٢) » كما أهدى نسخها الثانية التى تمت حوالى سنة ١٠١٠ م = ٤٠١ هـ إلى السلطان « محمود » وأعقب ذلك مباشرة غضبه على السلطان وهربه من مدينة « غزنه » . ثم لجأ فترة قصيرة إلى أحد الأمراء البويهيين (٣) وألف

(١) فى كثير من الأحيان يضطرب النص ويبدو سقيماً .

(٢) نسبة إلى خالنجان .

(٣) يرى « نولدكه » أن هذا الأمير البويهى هو « بهاء الدولة » أو ابنه « سلطان الدولة » الذى خلقه فى سنة ١٠١٢ م = ٤٠٣ هـ أما « إتيه » فيرى أن هذا الأمير هو « مجد الدولة أبوطالب رستم » .

له منظومته الكبيرة الأخرى « يوسف وزليخا » وعاد بعد ذلك إلى بلده « طوس » رجلاً مسناً قد نيف على التسعين من عمره ، فمكث بها حتى أدركته منيته في سنة ١٠٢٠ أو ١٠٢٥ م = ٤١١ أو ٤١٦ هـ على وجه التقريب .

مؤلفات الفردوسى :

ولنتقل الآن إلى ذكر مؤلفات الفردوسى . وهى تشتمل كما هى بين أيدينا الآن على ما يلى :

١ — الشاهنامه .

٢ — المنظومة الروائية « يوسف وزليخا » .

٣ — عدد غير قليل من الغزليات حفظته لنا كتب التراجم والمختارات ؛ وقد جمعه ونشره وترجمه الدكتور « إتيه » فى مقالاته التى سبق ذكرها بعنوان « الفردوسى كشاعر غنائى » .

ولاشك أن شهرة « الفردوسى » فى قول الشعر راجعة إلى نظمه للشاهنامه ؛ ويكاد الناقدون الشرقيون والغربيون يجمعون على الإعجاب الشديد بهذه الملحمة الهائلة . ولكنى أنا شخصياً فى كثير من الحجل والتورط أعترف لهم بأننى لم أستطع مطلقاً أن أشاركهم ما هم فيه من تحمس وإعجاب . فالشاهنامه — فى رأيى — لا يمكن أن ترقى إلى مستوى « المعلقات » العربية ، وهى وإن كانت المثال والقالب اللذين اتخذتهما أشعار الملاحم فى أراضى الإسلام قاطبة ، إلا أنه لا يمكن من ناحية الجمال والعاطفة والدوق الفنى مقارنتها بأجود الأشعار التعليمية أو الروائية أو الغزلية التى قالها شعراء الفرس . ومن المسلم به أنه من المستحيل المناقشة فى الأمور المتعلقة بالدوق الفنى ، وخصوصاً ما تعلق منها بالأدب ، ولعل إخفاقى فى تذوق الشاهنامه ناشئ من نقص طبيعى فى حسى يجعلنى أمتع أشعار الملاحم عامة ، ولا غضاضة على فى ذلك فكلنا معرض لمثل هذا النقص فى بعض الناحى ، خاصة فيما يتعلق بالموسيقى ، فألحان « واجز » قد تطرب شخصاً من الناس فتصل به إلى مرتبة التجلى والوجد ، بينما لا يهتم بها الآخرون أو يحسون عند سماعها بشئ من الضجر والتملل . وحتى إذا

أخذنا ذلك في الحسبان ، فلا أستطيع إلا أن اعترف بأنني أشعر بأن « الشاهنامه »
 بها جملة من العيوب الثابتة المحددة . فطولها مبالغ فيه ، وقد اقتضاء بالطبيعة نطاق
 الموضوعات التي تحدث عنها ، وهي تشمل كل التاريخ الخرافي الذي عرفته إيران منذ
 أقدم الأزمنة إلى الفتح العربي في القرن السابع الميلادي ؛ والشاهنامه كذلك مملدة
 من حيث الوزن الذي صيغت فيه هي وبقية المنظومات الحماسية الفارسية . ولبت
 الأمر يقتصر على ذلك بل إن التشبيهات الكثيرة التي تتردد فيها تبدو لي مملدة مضجرة
 للغاية ؛ فكل بطل فيها هو الأسد الرابض أو الفيل الهائج أو التمساح المائج ، وإذا
 تحرك فهو الدخان المتطاير أو الغبار المتناثر أو الريح الصافر ... !!

وإذا صح أن الأثر الأدبي إذا ترجم فقد ما امتاز به من جمال في الأسلوب
 والتركيب ، ولم يستطع الإمهرة المترجمين الاحتفاظ بجمال عباراته ومبانيه ، فإنه من
 المسلم به أيضاً أنه من اليسر بمكان أن نحفظ في الترجمة بجمال أفكاره وروعة معانيه .
 ومن أظهر الأمثلة على ذلك أن « قزجرالد » استطاع أن ينقل لنا في ترجمة رائعة
 « رباعيات الخيام » بما اشتملت عليه من جمال وروعة ؛ ولكن أمر الشاهنامه على
 النقيض من ذلك تماماً ، فهي تصمد في وجه المترجمين جميعاً ، وتعجزهم عن أية ترجمة
 مقبولة لها ، لأن الروعة الموسيقية التي تظن بها ألفاظها تضعع بالضرورة عند الترجمة
 تاركة لنا الأفكار التي تشتمل عليها عارية جرداء .

ولست أدعي مطلقاً المهارة في قول الشعر ، وأنا اعترف أن كثيراً من شعراء
 الفرس والعرب قد أصابهم شيء من الغبن بسبب ما نشرت من ترجمات لأشعارهم
 في هذه الصفحات ؛ ولكنني مع ذلك أستطيع أن أقطع في اطمئنان بأن قليلاً
 جداً من قرائي الإنجليز الذين سيقروا القطع المختلفة التي ترجمتها من الشاهنامه في
 هذا الجزء الحالي من كتابي أو الجزء الذي سبقه ، سترددون في الحكم بأنهادون ما
 ترجمت من أقوال لشعراء آخرين .

(١) هذه الروعة لا يمكن أن ينكرها كل من استمع للمنشدتين المحترفين الذين ينشدون
 الشاهنامه ، وهم الذين يعرفون لدى الفرس باسم « شاهنامه خوان » .

وإذا صحت وجهات النظر هذه التي أبدتها ، وهى تخالف المألوف والمعروف فلماذا إذن فازت الشاهنامة بشهرة عريضة وذاع صيتها ذيوعاً عظيماً لا مثيل له في إيران وكذلك في جميع البلاد التي يدرسون فيها اللغة الفارسية ...؟ أما ذيوعها في إيران ، فأهم أسبابه أن الفرس يعززون به كسجل خالد لعظمتهم القومية التي اتصفوا بها منذ أقدم العصور ، والتي أخذت بعد ذلك للأسف في التدهور والفتور . وقد انتقل رأى الفرس هذا إلى جميع المشتغلين بالفارسية في كافة البلاد الآسيوية والأوروبية واعتنقه فحين اعتنقه المستشرقون الأوروبيون الأوائل ، واعتبروه رأياً صحيحاً جديراً بالتصديق والتسليم ، وجاء بعدهم جماعة من المستشرقين أسلم رأياً وأكثر تدقيقاً ، ولكن بعض العوامل الأخرى أثرت فيهم وجعلتهم لا يحيدون عن هذا الرأى لما وجدوه في «الشاهنامة» من دراسة لغوية « فيلولوجية » باعتبارها من أقدم الكتب الفارسية التي عرفت بحرصها الشديد على استبعاد الألفاظ العربية ، ولما لمسوه فيها من روح « هلينية » تميل إلى تعجيد العقيدة الآرية والخط من قدر الشعوب السامية ، ولما عرفوه من أهمية كبيرة لمحتوياتها فيما يتعلق بالأساطير والحجرات الشعبية ؛ فإذا أضفنا إلى ذلك كله أن الفردوسى فاز من مواطنيه بشهرة عظيمة بسبب نظمه للشاهنامة وحدها ، وعلمنا أن رأى هؤلاء هو العاد بغير شك فيما يذهبون إليه ، ووجدنا أن هذه الشهرة العريضة ما زالت لاصقة به منذ البداية حتى هذه الأزمنة ، لا يعترها وهن أو تغير ، فإنه من العسير على أن أفصح عن رأى الشخصى أكثر مما ذكرت . ولكنى في هذه المناسبة أحب أن ألفت نظر المستشرقين الأوروبيين إلى أنه لو صح لنا دائماً أن نأخذ برأى المواطنين في شعرائهم فإن « المتنى ^(١) » يجب أن يفوز بما فاز به « الفردوسى » تماماً من شهرة عريضة وصيت ذائع ولو أن بعضهم قد أنكر عليه ذلك وقسا عليه في حكمه .

وقد ترجمت في الجزء السابق من كتابى هذا جملة من مقطوعات الشاهنامة المتصلة بقصة « اردشير » وبينت فيها كيف كان « الفردوسى » أميناً في متابعة المصادر

(١) كان المتنى معاصراً للفردوسى تقريباً فقد ولد سنة ٩٠٥ م = ٥٢٩٣ و مات مقتولاً سنة ٩٦٥ م = ٥٣٥٤ .

التي نقل عنها ، ثم اتبعت ذلك يبحث مطول عن الموضوعات والميزات التي اشتملت عليها هذه الملحمة الفارسية . ونطاق الكتاب الحالي لا يسمح لي بأن أعيد في هذا هذا المكان ما سبق لي ذكره فيما مضى . ومن أجل ذلك فسأقتصر على إيراد مثل آخر منها . هو عبارة عن ترجمة السطور الأولى من قصة « رستم وسهراب ^(١) » الشهيرة ؛ وهي أبيات يعترف الجميع بأنها من أروع ما جاء في الشاهنامه ، ونصها موجود في الجزء الأول من طبعة « ترنر مكن » ص ٣١٥ - ٣١٦ وهو ^(٢) :

کون رزم «سهراب» و «رستم» شنو
دیگرها شنیدستی این هم شنو
یکی داستان است بر آب چشم
دل نازک از «رستم» آید بخشم
اگر تند بادی بر آید ز کنج
بخاک افکند نا رسیده ترج
سیم کاره خوانش از دادگر
هنرمند گویش از بی هنر
[٥] اگر مرگ دادست بیداد چیست
ز داد این همه بانگ و فریاد چیست
ازین راز جان تو آگاه نیست
بدین پرده اندر ترا راه نیست
همه تا در آرز رفته فراز
بکس وا نشد این در آرز باز
برفتن مگر بهتر آیدت جای
چو آرام گیری بدیگر سرای

(١) أصبحت هذه القصة معروفة لدى الإنجليز بفضل تلخيصها الرائع الذي نشره « ماتيو آرنولد » .
(٢) المترجم : نقل « براون » هذه الأبيات إلى الإنجليزية محاولاً محاكاة الأصل بالمحافظة على الوزن والقافية . وقد أثبت هنا الأصل مع ترجمة مشورة له .

اگر مرگ کس را نیوباردی

ز پیر و جوان خاك بسپاردی
[۱۰] اگر آتشی گاه افروختن

بسوزد عجب نیست زو سوختن
بسوزد چو در سوزش آید درست

چو شاخ نو از سیخ کهنه برشت
دم مرگ چون آتشی هولناك

ندارد ز برنا و فرتوت باك
جوان را چه باید بگیتی طرب

که فی مرگ راهست پیری سبب
درین جای رفتن نه جای درنگ

بر اسب قضا گر کشد مرگ تنگ
[۱۵] چنان دان که دادست یداد نیست

چو داد آمدش بانگ و فریاد چیست
جوانی و پیری بسزد اجل

یکی دان چو در دین نخواهی خلل
دل از نور ایمان گر آکنده

ترا خامشی به که تو بنده
پرستش همان پیشه کن با نیاز

همه کار روز پسین را بساز
برین کار یزدان ترا راز نیست

اگر دیو با جانت انباز نیست
[۲۰] بگیتی در آن کوش چون بگذری

سر انجام اسلام با خود بری
کثون رزم «سهراب» گویم درست

از آن کین که او با پدر چون بجست

ومعناها :

- استمع الآن إلى قصة « رستم » و « سهراب »
واضع إليها كما اصبغت إلى غيرها من قصص عجاب .. !!
- فهي قصة مليئة بدموع العيون والأشجان
ثير القلوب الرقيقة ضد « رستم » سيد الشجعان
- وإذا هبت الرياح العاتية في ركن من الأركان
أطاحت بالثمار الفجة وأسقطتها عن الأغصان
- وإني لأسميه ظلما ، ولو عرف بالعدل والإنصاف .
وإني لأسميه فاضلا ، ولو عرف بالجهل والإسفاف
- وإذا كان الموت عدلا ... فماذا يكون الظلم والاعتساف ... ؟ !!
وما بكل هذا العويل والصياح طلبا للعدل والإنصاف ... !!
- ولن تعلم روحك شيئا من أمر هذا السر الدفين
ولن تكشف طريقك ما وراء هذا الحجاب المكين ... !!
- ولقد أسرع جميع الأنام حتى بلغوا باب الحرس والأمل
فلما بلغوه وأدركوه ... أنسد عليهم واقتفل ... !!
- ومن يدرى ... ؟ فرجما يطيب مقامك متى رحلت عن هذه الدنيا الفانية
وظفرت بالراحة والسكينة في الدار الباقية ... !!
- .ولو لم يتطلع الموت بعض الأشخاص في كل زمان
لامتلات الأرض ، وازدحمت ساحتها بالشيب والشبان ... !!
- ومتى اتقدت النار ساعة إشعالها ، وسرى بها اللهب
فليس عجيبا أن يزداد ضرامها الرهيب ... !!
- ومتى اتقدت النار استمر ضرامها ، واتصلت لهبها العظيمة
ونبتت كما تنبت الأغصان النضيرة من الجذور القديمة ... !!
- وما أشبه لحظة الموت بهذه النار ذات الهول
فهي لا ترهب أحدا ، ولا تبغى على فتى أو كهيل ... !!

- وعلام يفرح الشبان بهذه الدنيا ، وعلام يطرب بها الشباب
وليست الشيخوخة وحدها علة الموت ... بل تنوعت الأسباب ... !!
- فإذا انقض عليك الموت ممتطيا جواد القضاء ، وضيق عليك الخناق
في هذه الدار العاجلة ... دار الرحيل والفراق
- فاعلم أن الموت حق على جميع الأرواح
وأن الأمر الحق متى جاء فلا يغني الصياح والنواح ... !!
- وإذا لم تشأ أن تصيب دينك بالفساد والخلل
فاعلم أن الشباب والشيب سواء أمام سيف الأجل ... !!
- وإذا كان قلبك مليئا بنور اليقين والإيمان
غير لك الصمت ، فإنك عبد من عبيد الرحمن ... !!
- وثابر على التعبذ والصلاة والضراعة
وهي أمورك ، وأعدّ عدتك لقيام الساعة ... !!
- وليس هناك سر يخفي عليك من أمر ربك
مادام الشيطان لا يكون قرينا لروحك وقلبك
فأقصر سعيك على هذا ، في هذه الدنيا العابرة
فإذا مت ... فزادك الإسلام في الدار الآخرة
- واستمع إلى الآن ... فسأقص عليك مباشرة حرب « سهراب »
وكيف نشأت الحرب بينه وبين أبيه ، وما كان بينهما من أمور عجاب !!
- ويؤكد بعض الناس أحيانا أن « الشاهنامه » لا تكاد تشتمل على شيء من
الألفاظ العربية ، وهذا الرأي خاطيء كل الخطأ ، لأن « الفردوسي » حقيقة قد
تحاشى بقدر ما يستطيع استعمال هذه الألفاظ في ما حتمت لما أحسه فيها من عدم
انسجام مع موضوع منظومته ، ولكن كثيرا من الألفاظ العربية كان قد تأصل في
اللغة الفارسية في هذا الوقت بحيث أصبح من المستحيل عليه أن يتحاشاها أو يتجنب
استعمالها . والأبيات التي ذكرناها فيما سبق يبلغ عددها الواحد والعشرين بيتا وهي
تشتمل على عدد من الألفاظ يبلغ (٢٥٠) لفظا ؛ نجد من بينها تسعة ألفاظ عربية
الأصل هي :

عجب — طرب — سبب — قضا — عجل — خلل — نور — إيمان —
 إسلام ؛ كما نجد فيها لفظة نصف عربية هي « هولناك » .
 وهذه النسبة هي السائدة في صفحات الشاهنامه بحيث تبلغ الألفاظ العربية فيها
 أربعة أو خمسة في المائة من مجموع ألفاظها .

يوسف وزليخا :

نأتى بعد ذلك إلى المنظومة الثانية من مؤلفات « الفردوسى » الشعرية وتقصد
 بها مشروته التى موضوعها قصة « يوسف وزليخا » . وهذه القصة قد أضفوا على
 أصولها المجردة كثيرا من الزيادات والإضافات ، وأصبحت من أكثر الموضوعات التى
 يطررها الشعراء الرومانتيكيون فى إيران وتركيا ، ولم يكن « الفردوسى » أول من
 طرقتها كما أشار إلى ذلك الدكتور « إتيه » فقد سبقه إلى نظمها — كما ورد فى إحدى
 المخطوطات — شاعران آخران أحدهما من بلخ اسمه « أبو المؤيد » والآخر من الأهواز
 اسمه « البخترى » وقد ضاعت منظوماتهما جميعا ولم يبق لنا إلا منظومة
 الفردوسى التى بقيت على الزمى بفضل مجهود الدكتور « إتيه » الذى لا يعرف
 الكل . ونسخة هذه المنظومة نادرة فى بلاد المشرق ولكنها وفيرة فى مكتبات
 إنجلترا وفرنسا ، ويوجد فيهما من نسخها على الأقل سبع نسخ ، من بينها نسخة
 لم يرها الدكتور « إتيه » وقد وجدها الدكتور « إ. دنيسون روس ^(١) » فى
 مجموعة المخطوطات التى كانت مملوكة للسير « وليم جونز » وهى المخطوطات التى تحفظ
 الآن بإدارة الهند .

وقد طبعت هذه المنظومة على الحجر ثلاث مرات فى الهند ومرة واحدة فى
 إيران ، ثم يسر لنا بعد ذلك الدكتور « إتيه » قراءتها بنصها فى طبعة سليمة من

(١) المترجم : السيد دنيسون روس Sir E. Denison Ross كان مديراً لمعهد الدراسات
 الشرقية بلندن ، وعليه تلقيت دراساتي الشرقية أثناء التحاق بهذا المعهد فى الفترة الواقعة بين
 سنتي ١٩٣١ و ١٩٣٦ وقد أدركته الوفاة فى استانبول أثناء الحرب العالمية الأخيرة .

تشرياته ، كما ترجمها إلى الألمانية نظماً « شلشتا وسرد : Schlechta-Wssehrd »
في مدينة فيينا سنة ١٨٨٩ .

والدكتور « إتيه » هو مرجعنا في هذه المنظومة ، فقد قام على دراستها ومقارنتها
بالمنظومتين المتأخرتين اللتين نظمهما في نفس هذا الموضوع الشاعران « جامي »
١٤٨٣ م = ٨٨٨ هـ « نظامي الهروي ^(١) » ، ويرى « إتيه » أنها جديرة
بالإعجاب ، وهو يخالف في هذا الرأي نقاد الفرس الذين يحطون من قدرها
ويرون أن الفردوسي قد نظمها بعد ما غاض شبابه وذوى عفوانته وانحطم قلبه
بسبب النكد الذي استولى عليه لنظمه للشاهنامه ، ويرون كذلك أنه صاغها في
نفس الوزن والأسلوب اللذين صاغ فيهما ملحمة وهما في الحقيقة لا يصلحان لنظم
القصص الرومانتيكية .

غزليات الفردوسي :

وإذا نظرنا إلى الأمثلة التي بقيت لنا من غزليات الفردوسي في كتب التراجم
والمختارات وجدنا أن النقاد قد غمطوها حقها . وقد أشرت فيما سبق إلى المقالات
التي نشرها الدكتور « إتيه » عن هذا الموضوع . ومن أجل ذلك فسأقتصر في
هذا المكان على إيراد مثلين من غزليات الفردوسي . الأول منهما مذكور في كتاب
« تاريخ كزیده ^(٢) » والآخر في كتاب « لباب الألباب ^(٣) » لمحمد عوفي .

والغزلية الأولى نصها كما يلي :

شبی در برت گر بر آسود می	سر غفر بر آسمان سود می
قلم در کف تیر بشکستی	گللاه از سر مهر بر بودمی
پقدم از نهم چرخ بگذشتی	به پی فرق کیوان بفرسودی

(١) منظومة « جامي » هي المعروفة من هاتين المنظومتين .

(٢) أنظر تاريخ كزیده طبع لندن سنة ١٩١٠ م ص ٨٢٤ وكذلك مقالتي عن شعراء
الفرس المنشورة في مجلة الجمعية الملكية الآسيوية عدد أكتوبر سنة ١٩٠٠ ويناير سنة ١٩٠١ .

(٣) أنظر « لباب الألباب » ج ٢ ص ٢٣ .

به بیچارگان رحمت آوردی بدرماندگان بر یخشودی

ومعناها :

- لو أنى هدأت ليلة واحدة فى صدرك ... !!
 - لشمخت برأسى إلى السماء فى غفر وازدهوت عجباً بك ... !!
 - ولحطمت قلم « عطارى » فى كفه ... !!
 - ولترعت ناج « الشمس » عن مفرقها ... !!
 - ولنفذت من أطباق السماء التاسعة ...
 - ولدرعت مفرق « كىوان » بأطراف أقدامى .. !!
 - ثم جلبت الرحمة للبؤساء والمساكين ...
 - ولعفوت عن الخاطئين والقصرين ... !!
- أما القطعة الثانية فنصها :

بسی رنج دیدم بسی گفته خواندم ز گفتار تازی واز پهلوانی
 بچندین هنر شست و دو سال بودم چه توشه برم ز آشکار و نهانی
 بجز حسرت و جز وبال گناهان ندارم کنون از جوانی نشانی
 ییاد جوانی کنون مویه دارم بر آن بیت بو طاهر خسروانی
 جوانی من از کودکی یاد دارم دریغاً جوانی دریغاً جوانی

ومعناها :

- ما أكثر ما رأيت من أهوال ، وما أكثر ما أنشدت من أقوال ... !!
- وما أكثر ما رددت من كلام عربى وپهلوى ... !!
- ولقد بقيت اثنتين وستين سنة أنشر فنون الفضل والعرفان
- فأى فائدة أفادتنى ، وماذا كسبت منها فى السر والإعلان ... ؟
- لم يبق لى من كل ذلك إلا الحسرة ، وإلا الوبال والدنوب ...
- ولم أعد أذكر من الشباب أثراً إلا ما أنا فيه من كرب ... !!

— وأصبحت أبكى الشباب بما تفيض به دموعى وأشجاني ...
وأصبحت أردد في ألم بيت «أبي طاهر الخسرواني» ... !!
— وأقول كما قال : إنني أذكر الشباب وأيام الطفولة والصغر ...
فيا أسفا على الشباب ... ويا ويلتاه من الشيخوخة والكبر ... !!

اسرى :

الشاعر المثالي الذي يستحق شيئاً من عنايتنا هو أسدى الكبير «أبو نصر أحمد ابن منصور الطوسي» . ويجب أن نفرق بينه وبين ولده «علي بن أحمد الأسدى» مؤلف «گرشاسب نامه»، ومؤلف أقدم القواميس الفارسية^(١)، وناسخ أقدم مخطوطة فارسية وصلت إلى أيدينا^(٢)، وهي المخطوطة التي أكل نسخها في سنة ١٠٥٥ م = ٤٤٧ هـ وتوجد الآن في مكتبة «فينا» وقد نشرها «زيلجمان» في سنة ١٨٥٩ م .

وربما كان من الخير لو أننا قدمنا دراسة «أسدى الأكبر» على «الفردوسى» لأن الأخير منهما كان تلميذاً للأول فيما يقولون ، وكان كذلك من أصدقائه وأبناء بلده ؛ ولكن يجب أن أشير إلى أنى لا ألزم نفسى بمتابعة الترتيب الزمنى الدقيق فى دراستى لمختلف العصور ، ولو فعلت ذلك لكان تاريخ وفاة «أسدى» — وقد مات بعد «الفردوسى» — مبرراً لى فى الترتيب الذى اتبعته ؛ خاصة وأن كتب التراجم الإسلامية لا تذكر إلا تاريخ الوفاة دون غيره من التواريخ ؛ ولدى بالإضافة إلى ذلك ما يقطع بأن «أسدى» كان أكبر الشعراء .

ومعرفتنا بحياة «الأسدى» ضئيلة للغاية ، فلم يذكره «اللباب» ولا «چهارمقاله» أما كتاب «تاريخ كزیده» فذكر اسمه فقط مقترناً بكتاب «گرشاسب نامه» الذى لم يكن من تأليفه بل من تأليف ولده المعروف باسم «أسدى الأصغر» . أما «دولتشاه» فيذكر لنا كعاداته كثيراً من الأخبار والتفاصيل ، ولكنها على حالها

(١) الترجمة : يقصد «فرهنگ اسدى» وقد طبعه المستشرق «بول هورن» .

(٢) الترجمة : يشير إلى النسخة المخطوطة من كتاب «الأبنية عن حقائق الأدوية» للموفق

ابن على الهروى .

تعتبر عديعة الفأبدة ، لأنه لم يعتمد في سردها على أى مصدر سابق جدير بالثقة والتصديق . ومن ادعاءاته مثلاً قوله أنهم عرضوا على الأسدى نظم الشاهنامه ، ولكنه اعتذر من ذلك بتقديم سنه وكبر عمره ، ووكّل إلى تلميذه « الفردوسى » أن يقوم بنظمها ، فلما رقد « الفردوسى » على فراش الموت فى « طوس » وأخذ يجود بأنفاسه الأخيرة كانت أربعة آلاف بيت من ملحمة ما زالت باقية لم يكملها فتولى « الأسدى » إكمالها فى يوم وليلة ، ثم قرأها عليه فى صبيحة اليوم التالى ، وبذلك استطاع أن يطلع صدر « الفردوسى » وهو فى النزع الأخير من عمره . ولا ينسى « دولتشاه » أن يعين لنا على وجه التحديد هذه الأبيات التى أكملها « الأسدى » فقال إنها الأبيات التى تبدأ بالفتح العربى لإيران وتنتهى بانتهاء الكتاب . وأضاف إلى ذلك قوله : « إن الفضلاء يجمعون على أنه يمكن - بنىء من التدقيق التمييز بين الأبيات التى نظمها الفردوسى وبين تلك التى نظمها الأسدى » .

وفى مكتبة كامبردج مخطوط لكتاب « دولتشاه ^(١) » على هامشه الملاحظة الآتية تعليقاً على ما جاء فى هذه الرواية الخيالية :

« إن الفردوسى كما سيدكر عنه فيما بعد هو الذى أمّ كل الشاهنامه بنفسه ، ومن الواضح الجلى أن أحداً لم يشترك معه فى نظمها ، لأنه بعد أن أكملها وأهداها إلى السلطان محمود استطاع بإحدى الحيل أن يستردها من خازن كتبه وأن يضيف إليها هجويته الشهيرة للسلطان ؛ ومن هذا يتضح أن ما ذكر آنفاً يتنافى مع هذا الدليل » .

وقد اطلع شخص آخر على هذا التعليق السليم فوقع تحته بالفارسية « نيكو كفتى » أى « لقد أبدعت القول ... !! » .

وشهرة « الأسدى » راجعة إلى أنه هو الذى أكل وأحكم « شعر الناظرة » وقد يقال إنه هو الذى أبدعه ؛ وقد درس الدكتور « إتيه » هذه المسألة وضمن

(١) هذا المخطوط هو الرقيم : Add. 831 .

النتائج التي وصل إليها في أعمال المؤتمر الدولي الخامس للمستشرقين الذي عقد في برلين سنة ١٨٨٢ م تحت عنوان : « Über Persische Tenzonen » .
والعروف عن « الأسدى » أنه نظم خمس منظومات من هذا النوع من شعر المناظرة هي الآتية :

١ — مناظرة بين العربي والفارسي .

٢ — مناظرة بين السماء والأرض .

٣ — مناظرة بين الرمح والقوس .

٤ — مناظرة بين الليل والنهار .

٥ — مناظرة بين السلم والمجوسى (الزردشتى) .

وفى ما يلي سألحق ترجمة كاملة للمناظرة الرابعة كما وردت في كتاب « دولتشاه » .
أما القارئ الذي يريد الاطلاع على خوى المنظومات الأخرى وما اشتملت عليه من إشارات إلى حياة الشاعر وأعماله فإنى أحيله إلى ما كتبه « إتيه » في مقاله التي سبق ذكرها ، وإلى الصفحات ٢٢٦ — ٢٢٩ من مقاله التي تضمنها كتاب « جيجر » ، و « كون^(١) » الذي عنوانه « الفصل في الدراسات اللغوية الإيرانية :

« Grun-riiss der Iranisch n Philologie »

أما المناظرة بين « الليل والنهار » ، فنصها بالفارسية كما يلي (٢) :

[مناظرة شب وروز : از گفتار أسدى]

بشو از حجت گفتار شب وروز به

سر گذشتی که ز دل دور کند شدت غم

هر دورا خاست جدال از سبب پیشی فضل

در بیان رفت فراوان سخن از مدحت و ذم

(١) يكتب هذان الاسان بالمروف الرومانية هكذا : Kuhn & Geiger

(٢) المترجم : لا يذكر « براون » نص أمثله في كتابه ولكن ذكرتها طامعاً في هذه الصفحات ، ثم ترجعها بالرجوع إلى الأصل الفارسي ومقارنتها بالترجمة الإنجليزية .

گفت شب : فضل شب از روز فزون آمد از آنک
روز را باز ز شب کرد خداوند قدم
زد یزدان ز پرستنده و از عابد روز
ساجد و عابد شب راست فزون قدر و قیم
قوم را سوی مناجات بشب برد کلیم
هم بشب گشت جدا لوط ز ییداد و ستم
قمر چرخ بشب کرد محمد بدو نیم
سوی معراج بشب رفت هم از بیت الحرم
هر مہی باشد سی روز و بقرآن شب قدر
بہتر از ماہ ہزار است ز بس فضل و شیم
ستر پوش است شب و روز نمایندہ عیب
راحت افزاست شب و روز فزاینندہ ألم
ہست در روز ز اوقات کہ تہیست نماز
وز نماز ہمہ شب غر نبی بود و آم
منم آن شاہ کہ تخم زہی است ایوان چرخ
مہ سپہدار و ہمہ انجم سیارہ خدم
ہر مہ سال عرب را عدد از ماہ منست
بر سر منست از پر جبریل زرق
بر رخ ماہ من آثار درستیت پدید
بر رخ و چہرہ خورشید تو آثار سقم
راست خورشید تو چندانکہ بسالی برود
کم ز ماہی برود مہ از کیف وز کم

روز از شب بشنید این و بر آشت و یگفت
خامش کن چہ در آئی سخن نا حکم

روز را عیب بطعنه چه کنی کایزد عرش
 روز را پیش ز شب کرد ستایش بقسم
 روزه خلق که دارند بروزست همه
 بحرم نیز بروزست حج از رب حرم
 عید و آدینه فرخ عرفه و عاشورا
 همه روزست چوینی بهم از عقل وفهم
 روز خواهد بود بر خاستن خلق بحشر
 روز شد نیز وجود همه مردم زعدم
 تو بعاشق نه برنجی و باطفال نهیب
 در تن دیو دلی بر دل بیمار ستم
 بوم و خفاش بشب مرغ و سیه جی و دیو
 دزد اکثر همه شب کرد و همه اهل نهم
 من بأصل از خور چرخم تو بجنس از دل خاک
 من چو تابان ضوء نارم تو چو تاریک فخم
 روی آفاق ز من خوب نماید ز تو زشت
 دیده خلق ز من نور فزاید ز تو نم
 مرا گونه اسلام و ترا گونه کفر
 مرا جامه شادیت ترا جامه غم
 تو بچهره او حبشی غر بحسن از چه کنی
 حبشی را چه رسد حسن اگر هست صتم
 سپه و خیل نجوم چه باشند که یساک
 بگریزند چو خورشید من افراخت علم
 چه زیان کت به نبی پیش ز من داشت خدای
 در نبی نیز هم از پیش سمیعست اُصم
 خلق الموت بخوان گرچه حیات از پس اوست
 به ز موتست بهر حال حیات آخر هم

گر ز ماه تو شناسند مه و سال عرب
 ز آفتابم همه دانند مه و سال عجم
 گرچه زرد آمده خورشید او به ز مهست
 گرچه زرد آمده دینار هم او به ز درم
 ماه تو از ضوء خورشید من افزاید نور
 وز پی خدمت خورشید کند پشت بزم
 گر ز خورشید سبکتر رود او یک و بست
 یک البته سبکتر نهد از شاه . قدم
 از فریضه سه نمازست بروز و دو بشب
 ز ان نماز تو کم آمد که ز من هستی کم
 و بر بقول نبوی راضی و خواهی که بود
 در میان حکم کفی عدل خداوند حکم
 یا پسند آر بگفتار شه عادل زاد
 یا رضا ده بر رئیس الوزرا کان کرم
 راد بو نصر خلیل احمد کرا نصرت وجود
 افسر جاه و جلالت و سر ملک و نعم

و معناها :

- استمع من حجة إلى حديث الليل والنهار
- خديشما حکایة ممتعة تبعد عن القلوب شدة الحزن والغم ... !!
- فقد نشأ بينهما جدال لمعرفة أيهما أكثر فضلا
- جری بینهما حدیث طویل بین المدح والذم ... !!
- قال الليل : إن الليل يفضل النهار لهذه الأسباب :
- وهی إن الله أخرج النهار من الليل ... !!

- ولدى الله يكون الساجد والعابد أثناء الليل
- أعلا قدرأ من الساجد والعابد أثناء النهار ... !!
- وقد استصحب « موسى » قومه إلى الناجاة أثناء الليل
- وكذلك في الليل ابتعد « لوط » عن مواطن الظلم والإثم ... !!
- وفي الليل شق « محمد » القمر إلى نصفين
- وفي الليل خرج إلى معراجة من بيت الحرم ... !!
- والليل ستار للعيوب ، والنهار فضاح للذنوب
- والليل جلاب للراحة والهناء ، والنهار جلاب للألم والعناء ... !!
- وفي النهار أوقات تخلو من الصلاة
- وأما صلاة الليل بأجمعه ففيها نغز النبي والأمم ... !!
- وأنا ملك اتخذت الأرض عرشاً ، والفلك إيواناً ،
- والقمر حارساً ، والكواكب السيارة خدماً !!
- وأشهر السنة العربية عبارة عن عدد من أقماري
- وعلى رأسي رقم من أجنحة جبريل ... !!
- وعلى طلعة قمرى ... تبدو آثار الصحة والعافية
- وعلى طلعة شمسك ... تبدو آثار السقم والهزال ... !!
- ودورة شمسك تستغرق سنة كاملة
- ودورة قمرى تستغرق أقل من شهر واحد ... !!

* * *

- استمع النهار إلى حديث الليل هذا ، ثم ثار وقال في استهزاء :
- صمتا . صمتا ... وكيف جاز لك أن تهرف بمثل هذا الهراء ... !!
- وكيف جاز لك أن تطعن في النهار .. وصاحب العرش تعالى ،
- قد أقسم بالنهار فقدمه على ذكر الليالي ... !!
- وصيام الناس جميعا مجعول في وقت النهار
- وكذلك الحج إلى البيت الحرام جعله الله في هذا الوقت السار ... !!

- والعيد وصلاة الجمعة ووقفه عرفات وعاشوراء
كلها مجعولة نهراً ... إذا نظرت بعين العقل والدكاء!
- وفي النهار سيكون بعث الناس وحشرهم
وفي النهار أيضاً كان خلقهم ووجودهم !!..
- وما أكثر رهبتك للأطفال ، وما أكثر آلامك للعاشقين
وأنت شيطان مريد ، تقسو على المرضى والمساكين . !!
- والبوم والخفاش وطيور الليل والجن الأسود والشياطين
جميعها تظهر بالليل ، وكذلك اللصوص والمجرمون !!..
- وأصل مشتق من فلك الجوزاء ، وجنسك مشتق من جوف القبراء
وأنت مظلم كالقلم القائم ، وأنا منير كالنار ذات الضياء !!..
- وبني يزدان وجه الأفق ، وبك يبدو في قبح شنيع !!..
وزداد النور بضائئ في أعين الخلق ، وأماظمتك فتكثر فيها الدموع !!..
- ولي نور الإسلام ، ولك ظلمة الكفر والعصيان .
ولي أردية الهناء ، ولك أردية الهموم والأحزان ... !
- وكيف تفخر بالحسن ولك وجه حبشي كثير الإظلام !!..
وكيف يصل الحسن إلى حبشي ولو كان من أبهى الدمى والأصنام !!..
- وماذا تكون جيوش نجومك وهي تفر من الشمس في خوف ووجل
ومتى رفعت شمس أعلامها ... هربت أمامها على عجل !!..
- وأى ضرر يصيبني .. إذا ذكرك الله قبلي في القرآن
فقد جاء ذكر «الأصم» قبل «السميع» في آيات الفرقان^(١) .

(١) المترجم : إشارة إلى ما جاء في سورة هود آية ٢٦ حيث قال تعالى (مثل الفريقين
كالأعمى والبصير والسميع هل يستويان مثلاً أفلا تذكرون) .

— وأقرأ في الكتاب قوله : « خلق الموت » فقد ذكر « الحياة » من بعده^(١)
وإن كانت « الحياة » على كل حال خير من « الموت » ولجده!!

— وإذا كانت سنة « العرب » تعرف بأقمارك
فإن سنة « العجم » تعرف بشمسي كذلك!!

— والشمس وإن أصفرت ، خير من القمر في بهائه
وكذلك الدينار وإن أصفى ، خير من الدرهم في بياضه!!

— وقرئك يستمد نوره من ضوء الشمس
وبضحي في خدمتها إجلالا وتكريماً!!

— وهو وإن أسرع عن الشمس في دورته ، فما هو إلا رسولها ،
والرسول بغير شك يتقدم الملك في سيره وخطاه!!

— وفي النهار ثلاث صلوات ، وفي الليل وقتان للصلاة
وقد اتقصوا من صلواتك لأنك تنقص عني في قيمتك!!

— فإذا لم ترض بقولي ، وشئت الاقتناع والقبول
فاجعل الحكم العدل بيني وبينك هو الله الحكيم!!

— واقنع بقول الملك العادل الكريم
أو ارض برئيس الوزراء فهو منجم الجود والإحسان!!

— وهو أبو نصر الخليل بن أحمد الذي أصبح النصر
تاجاً لجماهه وجلاله ، والجود أساساً للملكة ونعيمه!!

ولا يفوتنا أن نذكر أن « الأسدى » أغضب السلطان « محمود الغزنوى » بإحدى
مناظراته هذه وهى التى جعلها بين « العربى والعجمى » وذلك لما أورده فيها من
مدح لأمرين من خصومه من أمراء البويهيين هما « شمس الدولة أبو طاهر الهمدانى »

(١) الترجمة : لإشارة إلى ملخصه في سورة الملك الآية الثانية حيث يقول تعالى (الذى خلق
الموت والحياة ليلوكم أبكم أحسن عملاً) .

(٩٩٧-١٠٢١=٣٨٧-٤١٢هـ) ومجد الدولة أبوطالب رستم (٩٩٧-١٠٢٩م
= ٣٨٧-٤٢٠هـ). وفي هذا مثال آخر لما كانت عليه نفسية السلطان من
حق وحسد.

أبو الفرج السجزي :

أبو الفرج السجزي متقدم زمنا عن ذكرناهم من الشعراء فيما سبق ، ولكنه
تألم لهم في الأهمية والمكانة ، كما إنه لا يلخ مبلغ تليذه «منوچهری» الذي سنتحدث
عنه بعد قليل . ومن أهم الرجال الذين شملوا السجزي بالرعاية «أبو علي سيمجور»
وهو واحد من الضحايا الذين أودت بهم أطماع السلطان محمود الغزنوي ، وقد قيل
إنه مات في سنة ١٠٠٢م = ٣٩٣هـ . وتكاد حياة السجزي وظروفه تكون مجهولة
لنا تماما ولو أن «دولتشاه» كعادته لا يرضن عليه ببعض الأخبار^(١) كما لا يرضن عليه
بذكر مقطوعة واحدة من أشعاره هي الآتية :

عتقاي مغربست درین دور خرمی
خاص از برای محنت ورنجست آدمی
چندانکه کرد عالم صورت بر آمدم
غمخواره آدم آمد و بیچاره آدمی
هر کس بقدر خویش گرفتار محنتست
کس را نداده اند برات مسلمی

وترجمتها :

— إن السعادة في هذا الزمان نادرة كعتقاء المغارب
وكأنما الحياة قد خصت من أجل المكاره والنوائب...!!
— ومهما طال طوافي حول عالم الصور والظواهر
فإنني لم أر فيها إلا تعيد الهموم والبكروب العوادر...!!

(١) أنظر «تذكرة الشعراء» ص ٣٩-٤٠ .

— وقد نزلت المحن على كل شخص بقدر طاقته
ولم يبرأ أحد براءة كاملة من نصيبه وحسته !!..

منوچهری :

أما «منوچهری» فقد كان تلميذاً للسجزي . وقد عاش حتى سنة ١٠٤١ = ٥٤٣٣ هـ أو بعد ذلك ؛ وقد ذكرناه فيما سبق وترجنا له قصيدة من أشهر قصائده^(١) وليس من السهل الحصول على نسخة ديوانه، ولكن الأستاذ «إ.دي بيرستين كازيميرسكي»^(٢) قام على طبعه في باريس سنة ١٨٨٦ مع ترجمة كاملة له ، ألحق بها كثيراً من التعليقات والملاحظات والمقدمات التاريخية الرائعة . وقد طبع قبل ذلك بما يقرب من ست سنوات طبعة على الحجر في مدينة طهران . وتحدث «دولتشاه» عن هذا الديوان فقال : « إنه مشهور معروف في أنحاء إيران » . ويؤخذ من بيت من أبيات الديوان أن «منوچهری» كان من بلدة «دامغان» التي تبعد بما يقرب من خمسين ميلاً إلى جنوب «استراباد» على الطريق من طهران إلى مشهد . وفي هذا ما يتنافى مع ما ذكره «دولتشاه» عن نسبه إلى «بلخ» أو «غزنه» .

ويذكر «عوفي»^(٣) إن اسمه الكامل هو «أبوالنجم أحمد بن قوص»^(٤) بن أحمد النوچهری ثم لا يوجد عليه بعد ذلك بشيء من الأخبار إلا أنه كان على صغر سنه شديد الذكاء وقد أدركه الموت وهو في شبابه وغض إهابه ، ويقولون إنه كان يلعب بلقب «شست كله» وهو تعبير يحتمل كثيراً من التفسيرات^(٥) ولكنهم في العادة يفسرونه بمعنى «صاحب الستين قطيعاً» إشارة إلى ما كان له من غنى وثراء . ومن العجيب أن «عوفي» لا يذكر شيئاً عن هذا اللقب ؛ وقد عثرت على نبذه في كتاب «راحة

(١) أنظر ص ٤٢ — ٤٧ من هذا الكتاب .

(٢) كتابة الاسم بالرومانية هكذا : A.de Biberstein Kazimirski.

[المترجم : طبع أخيراً ديوان منوچهری في تهران سنة ١٣٢٦ هـ . ش باهتمام «محمد دیرسیاق»]

(٣) أنظر «لباب الألباب» ج ٢ ص ٥٣ — ٥٥ .

(٤) الدكتور (إتية) يستبدل (قوص) بـ (يعقوب) .

(٥) أنظر ص ٣ من طبعة (كازيميرسكي) .

الصدور « الذي ألفه « الراوندى » في تاريخ السلاجقة (١) ، يستفاد منها أن اثنين من الشعراء كانا يعرفان باسم « منوچهرى » وأن الكتاب المتأخرين قد اختلط عليهم الأمر فجعلوها شخصاً واحداً ؛ أما هذان الشاعران فهما :

(أ) أبو النجم أحمد منوچهرى : الشاعر الذى عاش فى النصف الأول من القرن الحادى عشر الميلادى = الخامس الهجرى .

(ب) شمس الدين أحمد منوچهر : الشاعر الذى عاش فى النصف الأخير من القرن الثانى عشر الميلادى = السادس الهجرى وهو الذى كان يعرف باسم « شست كله » . وليس فى أيدينا الآن شىء من أشعاره ، وكل ما نعرفه عنه أنه أنشأ قصيدة عرفت باسم « قصيدة تنج » نسبة إلى قافيتها فيما يظن .

وفما يلى ترجمة كاملة لقصيدة أخرى من قصائد « منوچهرى » الحقيقى وصف فيها « الشمعة » وانتهى فيها إلى مدح « العنصرى » ؛ وهذه القصيدة مذكورة فى ديوان الشاعر وكذلك فى كتابى « عوفى » و « دولتشاه » .

وفما يلى نصها فى كتاب « تذكرة الشعراء » (٢) :

أى نهاده بر میان فرق جان خوشتن

جسم ما زنده بجان و جان تو زنده بتن

گر نه کوب ، چرا پیدا نکردى جز بشب

ور نه عاشق چرا گری همی بر خوشتن

کوکى آرى وليکن آسمان تست موم

عاشق آرى وليکن هست معشوقت لکن

(١) أشرت إلى هذا الكتاب الهام فى مقال كتبتنه فى « مجلة الجمعية الملكية الآسيوية » سنة

١٩٠٢ م ٥٨٠-٥٨١ .

الترجم : وقد طبع هذا الكتاب الأستاذ محمداً قبال سنة ١٩٢١ ضمن سلسلة جيب التذكارية

(٢) المترجم : أظن من ٤١-٤٢ وكذلك توجد هذه القصيدة فيما عدا الأبيات الأربعة

الأخيرة فى كتاب « لباب الألباب » ج ٢ م ٥٤-٥٥ .

پیرهن در زیر تن داری و پوشد هر کس
 پیرهن بر تن تو تن پوشی همی بر پیرهن
 گر بمیری آتش اندر تو رسد زنده شوی
 چون شوی بهار خوشتر گردی از کردن زدن
 تا همی خندی همی گریی و این بس نادرست
 هم تو معشوق و هم تو عاشق بر خوشتن
 بشگفتی بی نوبهار و پژمری بی مهرگان
 بگری بی دیدگان و باز خدی بی دهن
 تو مرا ما فی بعینه من ترا مانم همی
 دشمن خویشم هر دو دوستدار انجمن
 خوشتن سوزیم هر دو بر مراد دوستان
 دوستان دو راحتند از ما و ما اندر حزن
 هر دو گربانیم و هر دو درد و هر دو در گداز
 هر دو سوزانیم و هر دو فرد و هر دو ممتحن
 آنچه من در دل نهادم بر سرت بینم همی
 آنچه تو بر سر نهادی در دلم دارد وطن
 روی تو چون شبلیذ بر شگفته بامداد
 و آن من چون شبلیذ ناشگفته در چمن
 از فراق روی تو گشتم شد و آفتاب
 وز فراق تو شب تاری شد ستم مفتن
 من دگر یاران خود را آزمودم خاص و عام
 بی طلبکاری ز یک تن بی وفا اندر دو تن
 رازدار من توئی ای شمع یار من توئی
 غمگسار من توئی من آن تو تو آن من

تو همی تابى چو نور ومن همی خوانم بمهر
هر شې تا روز دیوان أبو القاسم حسن
اوستاد اوستادان زمانه « عنصرى »
عنصر دین ودلش بی عیب و بی غش وقتن
شعر او چون فضل او هم بی تکلف هم بدیع
فضل او چون شعر او هم نازنین و هم حسن
زین فزوتر شاعری دعوی بود لاف و کزاف
این حکیمان دگر یکفن و او بسیار فن
در زغن هرگز نباشد فن اسب راهوار
گرچه باشد چون صیل اسب آواز زغن
تا همی خوانی تو اشعارش همی خانی شکر
تا همی بوئی تو آیاتش همی بوئی سمن

وترجمتها :

- يا مَنْ وضعت روحك فوق رأسك
إن أجسامنا تحي بالروح ، ولكن روحك تحي بجسدك ... !!
— إذا لم تكونى كوكبا ... فلم لا تظهرين إلا أثناء الليل ... !!
وإذا لم تكونى عاشقة ... فلم تدعين البكاء على نفسك ... !!
— نعم .. أنك كوكب ساطع .. ولكن سماءك مصنوعة من الشمع الناصع
وأنك عاشقة حقاً ... ولكن معشوقك هو هذا الوعاء الرائع ... !!
— ومن عجب .. أنك ترتدين قيصك تحت طيات جسمك (١)
وكل إنسان يلبس قيصه فوق جسده ، بينما أنت ترتدين جسدك فوق قيصك ... !!
— ومن عجب .. أنك إذا مت واتصلت بك شعلة من نار ، دبت فيك الحياة ثانية
ومن عجب .. أنك إذا مرضت ، تحسن حالك بقطع رأسك ... !! (٢)

(١) قيص الشمعة هو ذؤابتها التي تشتغل ، وجسدها هو الشمع الذي صنعت منه .

(٢) المترجم : إذا قطعت فتيلة الشمعة وأصلحت زاد النور المنبعث منها .

- ومن العجب وأندر العجب .. أنك تضحكين وتبكين في آن واحد
ومن العجب وأندر العجب .. أنك أنت العاشق والمعتوق في وقت واحد ... !!
- ومن عجب ... أنك تذهين غير ربيع ، وتذوين غير خريف
وتبكين غير عين ، وتضحكين غير ثغر أو فم ... !!
- وما أشبه حالى بحالك ، وما أشبه حالك بحالى
فكلانا يخاصم نفسه ، لكي يكون خادما للمجتمع ... !!
- وكلانا يحترق ، وكلانا يصيبه الهزال والاصفرار ، وكلانا يذوب وينصهر
وكلانا يديم البكاء ، وكلانا في محنة الوحدة والعناء ... !!
- وما أُنْذا أرى فوق رأسك ما أخفيت في قرارة قلبى [أى النار]
وأرى النار التى توجت بها رأسك قد توطنت في دخيلة نفسى ... !!
- وإن مدامعك لمى الذهب المصهور تديينه فوق خدودك الذهبية
وأما خدودى فهى الأزهار الصفراء الدابلة من بين أزهار الحائل ... !!
- ولقد أصبح من عادى النوم أثناء النهار ، لأنى من أجلك
أديم السهر طوال الليل ، وثقل رأسى بالنوم طول النهار ... !!
- ولقد أصبحت خصباً للشمس عندما اقترق عن طلعتك
وأصبحت مفتتة بوصالك طوال الليل البهيم ... !!
- ولقد جربت أصدقائى جميعاً فى كل الأوقات والأحوال
فلم أر سراً يحفظ فى قلوبهم أو وفاءً يستقر فى ربوعهم ... !!
- وأما أنت أيتها الشمعة ... فصديقتى الحاضرة المؤمنة على أسرارى
وأنت اللطيفة لأحزاني ... وقد أصبحت ملكاً لك كما أصبحت ملكاً لى ... !!
- وما دمت تحترقين فإننى سأظل أقرأ على نورك فى حب وحنين
ديوان « أبى القاسم حسن » حتى مطلع النهار المبين^(١) ... !!

(١) هنا هو اسم العنصرى ، ويعتبر هذا البيت هو بيت الانتقال من التشبيب إلى المديح
ويعرف فى الفارسية باسم « كرزگاه » .

- وهو « العنصرى » أستاذ الأساتذة فى هذا الزمان
وقد خلا عنصره من كل عيب ، وقلبه من الغش ، وروحه من الاقتان ... !!
- وشعره شبيه بفضل .. كلاهما بديع لا تكلف فيه
وفضله شبيه بشعره .. كلاهما ملىء بالركة والروعة والحسن ... !!
- ومن العبث أن يدعى مدح أنه يتفوق عليه فى البلاغة ونظم الكلام
فإن الحكماء جميعا لهم فضل واحد ، وللعنصرى من الأفضال ألوان وفنون ... !!
- ولئن يكون للغراب مهما نعب صوت يشبه صهيل الجواد الأصيل
ولو تشابه نعب الغراب مع ما للجواد من صهيل ... !!
- وأنتك لتمضغ فتات السكر عندما تأخذ فى إنشاد أشعاره
وأنتك لتسم أريج الياسين من عبيق ديوانه وأزهاره ... !!

يضاف إلى ذلك أن « منوچهرى » اختار لنفسه هذا التخلص نسبة إلى حاكم
طبرستان الأمير الزيارى « منوچهر بن قابوس بن وشمگیر » الملقب بملك المعالى . وقد
بولى حكم خراسان بعد قتل أبيه فى سنة ١٠١٢ م = ٤٠٣ هـ ، ومات فى سنة
١٠٢٨ م = ٤١٩ هـ

غضائرى :

تحدثنا فيما سبق عن هذا الشاعر الذى ينسب إلى مدينة الرى ويعرف باسم
« غضائرى الرازى » واستشهدنا على صنعة « الإغراق » بقصيدته التى مدح بها
السلطان محمود الغزنوى وكيف فاز منه - كما يقولون - بسبعة أكياس من الذهب
تبلغ قيمتها أربعة عشر ألف درهم ، وفى هذه القصيدة يقول بيتيه الآتين :

صواب كرد كه پيدا نكرد هر دو جهان

یگانه ایزد دادار بی نظیر وهال

وگر نه هر دو یخشیدی او بروز سخا

امید بنده نمائدى بازد متعال

ومعناها :

— كان من الصواب أن الله الفرد العادل الذى لا نظير له
لم يكشف للانسان كلا العالمين (أى الدنيا والآخرة) ...!!
— ولو أنه فعل ذلك ، لجاد الملك بهما جميعا فى يوم السخاء
ولم يبق للعبد مطمع آخر يرجوه من رب السماء ... !!
وما أقل ما كتبه « عوفى » و « دولتشاه » عن هذا الشاعر بحيث يمكن أن
تقول صادقين أننا لا نكاد نعرف عنه شيئا سوى أنه كان مبرزاً فى إنشاء شعر
الناظره والدبح .

بهرامى :

ذكرنا فيما سبق أيضا الشاعر « بهرامى السرخسى » وقلنا إنه قد ألف كتابا
فى العروض والشعر اسمه « خجسته نامه » . وقد ذكر صاحب « چهار مقاله » فى
كثير من الإعجاب كتابين آخرين من تأليفه هما :
(ا) غاية العرويين
(ب) كنز الصافية

ويدوانه قد ألف كتابا أخرى مشورة فى فنون البلاغة والشعر ، ولكنها جميعا
قد ضاعت مع الزمن ولم تسلم من غاراته .
ولم يذكر « دولتشاه » هذا الشاعر ولكن « عوفى » ذكره فى عبارة مختصرة
وأورد له جملة من المقطوعات تبلغ الست أو السبع .

ولقد يمكن أن نطيل القائمة التى تشتمل على الشعراء الذين عاشوا فى هذا العصر
لأن « عوفى » يذكر منهم عددا يزيد على أربعة وعشرين شاعرا ، يضاف إليهم من
خصه بالذكر صاحب كتاب « چهار مقاله » ومن بينهم الشاعرة « رابعة بنت كعب »
والشعراء « لبيى » و « أمينى » و « أبو الفضل » و « الطالقانى » و « المنشورى »
و « العطاردى » و « زينتى العلوى المحمودى » .

ويدو من البيتین الآتین وقد قالها الشاعر الأخير فی مطلع إحدى قصائده وهما :
 ای خدا وند روزگار پناه مطربان را بخوان وباده بخواه
 تا بدان لعل می فرو شویم کامهارا زگرد و خشکی راه
 ومعناها :

— مولای .. یا کھف الأنام والایام

ادع الطربین ، و مر بکؤوس الدام .. !!

— حتی نستطیع أن نقسل حلوقنا بهذه الحمر الیاقوتیة الحمراء
 مما علق بها من غبار الطریق وجفاف الهواء .. !!

أنه كان فی رفقہ السلطان « محمود الغزنوی » فی إحدى غزواته الكثيرة لبلاد
 الهند وقد أشار إلى ذلك أيضا فی مقطوعة أخرى ذكرها « عوفی » فی كتابه وهی :
 زخون عدو كرد فتنة نشانی بتیغت همه زنگ بدعت زدائی
 مگر نذر داری که هر مه که نوشد شہی را بیندی و شهری گشائی
 مگر عهد داری که همچون سکندر ملوک زمین را تو قدرت نمائی
 ومعناها :

— فقد هبطت الفتنة بدماء الأعداء

ومحقت صدأ البدعة بسيفك القاطع .. !!

— فهل نذرت مع كل هلال يولد فی بداية الشهر

أن تأسر ملكا أو تفتح بلدة جديدة .. !!

— أو هل تعاهدت كما فعل « الإسكندر » من قبل

أن تظهر قدرتك وتظهر ملوك الأرض أجمعين .. ؟!

وفيا عدا ذلك ما زال ثلاثة من الشعراء الذين لم نذكرهم فی هذا الفصل يتطلبون
 منا حتما شيئا من الحديث وهم :

(ا) پندار الرازی : المنسوب إلى مدينة « الری » وهو من شعراء اللهبجات الخاصة

(ب) کسائی المروزی : المنسوب إلى مدينة « مرو »

(ج) أبو سعيد بن أبي الخير : الشاعر الصوفي صاحب الرباعيات

وآخر هؤلاء الثلاثة هو أكثرهم شهرة وبعد صيت ، وقد عاش طويلاً (من سنة ٩٦٨-١٠٤٩م ٣٥٨ - ٤٤١ هـ) وتغطي الفترة الفاصلة بين العصرين الساماني والسلجوقي ، ومن أجل ذلك فسنخصص له مكاناً جديراً به في الفصل التالي الذي سنطيل الحديث فيه عن الشعر الديني والتعليمي بقدر ما نقتل فيه من الحديث عن أشعار الملاحم والمدح

ويبقى علينا أن نتحدث عن الشاعرين الآخرين « پندار » وال « كسائي »

بنار الرازي :

أما « پندار » فيقال إنه كان يدعى بـ « كمال الدين » ولا شكاد نعرف من أمره شيئاً إلا أنه كان في خدمة الأمير البويهى « مجد الدولة أبى طالب رستم » الذى كان يحكم مدينة الرى ، وأنه كان قبل ذلك في خدمة الرجل العظيم « صاحب إسماعيل بن عباد » .

ويقال إن « پندار » توفي سنة ١٠١٠م = ٤٠١ هـ . وإنه كان قادراً على نظم الشعر باللغات العربية والفارسية والديلمية .

ولست أستطيع أن أجد شيئاً ذكر عن « پندار » أسبق مما ذكره « دولتشاه » فى كتابه^(١) ؛ أما « عوفى » و « ابن اسفنديار » فقد سكتانه سكوتاً تاماً ، ومن عجب أن « دولتشاه » كان فى الحديث عنه مقلاً على غير عادته ، واكتفى بأن يذكر مثلين من أشعاره ؛ أحدهما فى اللغة الفارسية ، والآخر فى اللغة الديلمية ، وقد وجه المثال الأخير منهما إلى أحد أصدقائه عندما نصح به بأن يتزوج ، ولغته مفهومة لنا بالقدر الذى يكشف عن مضمونه ، ولكننا لانجسر على ترجمته ترجمة دقيقة صحيحة . أما المثال الأول فمعروف مشهور وهم ينسبونه إلى أكثر من واحد من الشعراء المشهورين .

(١) انظر « تذكرة الشعراء » ص ٤٢ - ٤٤ .

ونضه :

از مرگ حذر کردن دوروز روا نیست
روزی که قضا باشد وروزی که قضا نیست
روزی که قضا باشد کوشش نکند سود
روزی که قضا نیست درو مرگ روا نیست

ومعناه :

— لا يصح الحذر من الموت في يومين على السواء
يوم يقع فيه القضاء ، ويوم يتمتع فيه القضاء ...!!
— فالיום الذي يقع فيه القضاء ، لا يجدي معه كفاح الأقوياء
واليوم الذي لا يقع فيه القضاء ، لا يجوز فيه الموت والفناء ...!!
وقد ذكر « دولتشاه » بالإضافة إلى ذلك بيتاً من الشعر قاله الشاعر المتأخر
« ظهير الدين الفارابي » ومدح فيه الشاعر « پندار » ونضه :
در نهان خانه طعم بهاشا بنگر تاز هرز او به عرضه دهم پنداری
ومعناه :

— انظر إلى الأعماق الخفية في طبيعتي ولو نظرة واحدة في اختصار
فسأعرض عليك في كل ركن من أركانها شاعرآ في مهارة « پندار »
ولكني أشك في أن كلمة « پندار » المذكورة في هذا البيت من أسماء الأعلام ،
وربما كانت من أسماء المصادر بمعنى « الفكر » أو « الخيال »^(١).
وفي مقابل الأخبار القليلة التي رواها دولتشاه عن « پندار » نجده يعوضنا
عن قلتها بحكاية كبيرة الدلالة رواها عن والده « مجد الدولة » وكانت تقوم بالوصاية
عليه أثناء صغره ، ومجمل القصة أن « مجد الدولة » اعتلى العرش وهو صبي

(١) بعد ما أنهيت من كتابة هذا الفصل عثرت على هذا البيت في كتاب « مجالس المؤمنين »
وبذلك ينشئ ماعرض لي من شك ، ويتحتم أن يكون المقصود بلفظة « پندار » هو هذا الشاعر ،
واسكنه ذكر هنا بالباء الموحدة هكذا : « پندار » .

صغير في سنة ٩٩٧هـ = ٣٨٧هـ ققامت أمه بالوصاية عليه وأمسكت بأزمة الأمور في أيديها الحازمة . وقد قيل إن السلطان محموداً طالبها بالجزية والحراج فلما رفضت هدها بأن يرسل إليها ألفين من أفياله الحرية لتخرب مدينة « الري » وتحمل ركابها إليه في مدينة « غزنه » . فاستقبلت الوالدة رسول محمود وأكرمت وقادته وأعطته هذه الرسالة ليبلغها إلى مولاه ، وقالت فيها :

« لاشك أن السلطان محموداً بطل من أبطال الإسلام . وهو من أقوى الأمراء والحكام ، وقد دانت له أكثر الأنحاء في إيران وبلاد الهند ، ولطالما خشيت سطوته ومحاربه طوال السنوات الإثنتي عشرة التي عاشها زوجي «غفرالدولة» . ولكن منذ انتقل زوجي إلى جوار ربه وقد انزاح عن قلبي هذا الخوف الذي ملك نواصيه ، لأنني أجد أن السلطان محموداً من أكبر الملوك وأعزهم شرفاً ، ولن يقدم على محاربة امرأة عجوز مثلي ؛ فأما إذا اختار الحرب والقتال فمن المؤكد أنني لن أتردد عن الطعن والزوال ، فإن وقفني الله إلى التغلب عليه فيذكر لي هذا النصر إلى يوم الدين ، وأما إذا فاز بالنصر على فيستحدث المتحدثون فيقولون : إنه لم يفز إلا على امرأة عجوز .. وإني ليأخذني العجب كيف يتيسر له في مثل هذا الحالة أن يعلن هذا الفوز ، وفي أي صورة يذيعه في أنحاء ملكه العريض ؟! وقديماً قالوا « كيف يمكن أن يكون رجلاً من نقصت همته عن همه النساء ...؟! » وإني لأعرف أن السلطان عاقل حازم ، ولن يقدم على مثل هذا الأمر ، ومن أجل ذلك فإني أنعم على أريكة الهدوء والراحة ، لا يأخذني شيء من الخوف أو الشك فيما ستنتهي إليه عاقبة الأمور » .

ويقول «دولت شاه» إن هذا الخطاب أفاد الفائدة المرجوة منه فلم يقدم السلطان على محاربة هذه المرأة طوال حياتها ، ولم يهاجم شيئاً من أملاك ابنها . وما يضيف على هذه القصة كثيراً من البهاء أن «ابن الأثير» ذكر أنه مالبث هذه المرأة أن ماتت في سنة ٤١٩هـ حتى أغار السلطان محمود في السنة التالية (٤٢٠هـ = ١٠٢٩م) على مدينة الري وخلع عنها ابنها «مجد الدولة» ثم دخلها أثناء الربيع وأخذ من أهلها ألف ألف دينار وما يساوي نصف هذا المقدار من الخلى والمجوهرات ، وستة آلاف ثوب من القماش

والخلع النفيسة ، ومقداراً كبيراً من مختلف الأسلاب والقبائل . ثم دعا إليه « مجد الدولة » وقال له : ألم تقرأ الشاهنامه وتاريخ الطبري^(١) ؟! فلما أجابه مجد الدولة بالإيجاب التفت إليه ثانية وقال له : يدولى من خلقت أنك لم تقرأ هذين الكتابين ، فهل تلعب الشطرنج ؟! فأجابه مجد الدولة بالإيجاب مرة ثانية ، وهنا التفت إليه محمود وقال له : ألم يعرض لك مطلقاً كيف يدنو الملك من الملك الآخر في رقبته ؟! فأجاب مجد الدولة في هذه المرة بالنفى . عند ذلك سأله محمود : فلماذا إذن أبحث لنفسك أن تنازل من هو أقوى منك سبباً وأوسع سلطاناً ؟! ثم أمر بعد ذلك بنفيه في خراسان ، وأُتبع ذلك بصلب جماعة من الباطنية أو الإسماعيلية وتمريد المعزلة وحرق كتبهم وكتب الفلاسفة والنجميين ، فلما اشبع رغبته وشفى غلته حمل مئات الأحمال من الكتب الباقية ونقلها إلى مدينة « غزنه »^(٢) .

الكسائي :

ويجدر بنا في نهاية هذا الفصل أن نذكر شيئاً عن « الكسائي » ؛ وهو من أشهر الشعراء الذين ظهرُوا في زمانه ، ولكننا لا نذكره في هذا المكان من أجل ذلك فحسب ، بل من أجل العلاقات التي كانت تربطه بالرجل الخطير والشاعر العظيم « ناصر خسرو » الذي ستحدث عنه بالتفصيل في الفصل التالي من هذا الكتاب .

والكسائي يختلف عن « بشار » في أن القدماء قد درسوه أكثر من المحدثين ، وقد خصص له « عوفي » أكثر من خمس صفحات من كتابه^(٣) واعتبره صاحب « چهار مقاله » واحداً من كبار الشعراء السامانيين^(٤) ، ولكن « دولتشاه » أهمله تماماً ولم يذكر عنه شيئاً على الإطلاق .

(١) الظاهر أنه اختار هذين الكتابين خاصة لأن الأول به سيرملوك الفرس والثاني به سيرملوك المسلمين عامة .

(٢) انظر « تاريخ ابن الأثير » طبع القاهرة الجزء التاسع ص ١٢٨ .

(٣) انظر « لباب الألباب » ج ٢ ص ٣٣ - ٣٩ .

(٤) انظر چهار مقاله ص ٤٥ . وقد سماه هناك « أبا الحسن » لا « أبا إسحق » كما ذكر الدكتور « إتيه » .

وقد ولد في يوم الأربعاء ١٦ مارس سنة ١٩٥٣ م = ٢٧ شوال سنة ١٣٧٤ هـ ، وذلك وفقاً لما قاله في إحدى قصائده التي نقلها عوفى في كتابه ^(١) والتي ذكر الشاعر فيها : « إنه نظمها في أواخر أيام حياته وفي أيام الوداع وساعات الفراق عندما بلغ الحسين من عمره . وقد كرر العبارة الأخيرة صراحة مرتين في هذه القصيدة . واستنتج الدكتور «إتيه» من هذا أن الكسائي مات في سنة ١٠٠٣ م = ٣٩٣ هـ (ذكر ذلك في مقالته ^(٢) التي نشرها عن هذا الشاعر سنة ١٨٧٤) ولكنه عاد بعد ذلك وعدل عن هذا الرأي في مقالته التي نشرها بعنوان «الآداب الفارسية الحديثة» في «الفصل في الدراسات اللغوية الإيرانية» ص ٣٨١ . واقترض أن هذا الشاعر عاش إلى أن بلغ أرذل العمر وأن الخصومة قامت حقاً بينه وبين «ناصر خسرو» الذي ولد كما يقول هو نفسه ، في سنة ٣٩٤ هـ = ١٠٠٣ م .

ويرى الدكتور «إتيه» أن احتقار «ناصر خسرو» للكسائي كان مرجعه إلى الحقد وإلى الاختلافات الدينية التي فرقت بينهما ، وقد فُسر هذه الاختلافات بطريقة لأقره عليها ، لأنه قال ان الأول اعترض على الثاني إنكاره للخلفاء الراشدين الثلاثة ، وبمعنى آخر أن ميول الكسائي الشيعية كانت معادية لميول «ناصر» الذي كان بدوره من غلاة الشيعة كما تدلنا على ذلك قصائده الكثيرة ، وقد ظل هو نفسه بعض الوقت ، كما أخبرتنا بذلك كتب التاريخ ، شيخاً لدعاة الإسماعلية في ولاية خراسان .

أما السبب الحقيقي في كراهية «ناصر خسرو» للكسائي فيرجع فيما أظن إلى أن الأول منهما كان تابعاً للإسماعيلية أي من فريق «السبعية» وأما الثاني فكان من فريق «الإثني عشرية» . وكلا الفريقين كما هو معلوم نشأ من أصل واحد ولكنهما اختلفا بعد ذلك كل الاختلاف فيما يتعلق بالبيعة وماتج عن ذلك من أغراض سياسية ونظرية . يضاف إلى ذلك أن «ناصر خسرو» كان يفضى السلطان محموداً بغضاً شديداً لأنه كان كإرأئينا من ألد أعداء الإسماعيلية وغيرهم من الملاحنة ، بينما وقف «الكسائي»

(١) المترجم : انظر « باب الألباب » ج ٢ ص ٣٨ .

(٢) انظر مقالته بعنوان « غزليات الكسائي » وقد نشرها في « محاضرات المجلس العلمي

البافاري للفلسفة والعلوم » سنة ١٨٧٤ م ص ١٣٣-١٥٣ .

مواجهه — رغم تشيعه — لخدمة هذا السلطان وقول الدائم فيه . وفي هذين السببين
— كما يدولى — الإيضاح الكافي الذى يفسر لنا سبب النفور الذى وقع بين
هذين الشاعرين .

ومع ذلك فلم أجد فى ديوان « ناصر خسرو »^(١) أشار فيها إلى
« الكسائى » وهى الواقعة فى الصفحات ١٩ و ٣٨ و ٥١ و ١٣٣ و ٢٤٧ و ٢٥١
من ديوانه المطبوع على الحجر فى مدينة تبريز سنة ١٢٨٠ هـ . وفيما يلى نصها وترجمتها:
الاستشهاد الأول فى ص ١٩ يقول البيت الآتى :
گر بخواب اندر کسائى دیدی این دیباى من
سوده کردی شرم و خجلت مر کسائى را کسا

ومعناه :

— لو رأى « الكسائى » فى منامه هذا الديباى النعق من أشعارى ...
لتمزق كساءه خجلا واستحياءاً من آثارى ... !!

الاستشهاد الثانى ص ٢٨ يقول البيت الآتى :

گر سخنهاى کسائى شده پیرند و ضعیف سخن حجت با قوت و تازہ و بر ناست
ومعناه :

— إذا كان للكسائى كلام ، فكلامه ضعيف قاصر ... !!
أما كلام « الحجة »^(٢) فكلام قوى ممتع ناضر ... !!

الاستشهاد الثالث فى ص ٣٨ يقول البيت الآتى :

دییہ رومی است سخنهاى او گر سخن شهره کسائى کساست

(١) المترجم : بالرجوع إلى « ديوان قصائد ومقطعات حكيم ناصر خسرو » المطبوع في
طهران سنة ١٣٠٤ — ١٣٠٧ هـ . ش نجد أن اسم الكسائى ورد تسع مرات فى أشعار
« ناصر خسرو » . وقد أوردت نصوص الأبيات من هذه الطبعة .

(٢) يقصد لقبه الذى عرف به بين الاسماعيليه وهو « حجة خراسان » .

ومعناه :

— وكلامه (أى شعر ناصر خسرو) هو الديباج الرومى ... !!

إذا كان كلام الكسائى الشهير هو الكساء العادى ... !!

والرابع ص ٥١ يقول البيت الآتى :

كه ديبای رومى است اشعار من اگر شعر فاضل كسائى كاست

ومعناه :

— وأما أشعارى فهى الديباج الرومى ...

إذا كانت أشعار الكسائى الفاضل هى الكساء العادى ... !!

والخامس ص ١٣٣ يقول البيت الآتى :

شعر شدى گر بشنيدى بشرم شعر تو بر پشت كسائى كاش

ومعناه :

— فإن كساء الكسائى ليصبح شعراً على ظهره ... !!

إذا استمع فى خجل إلى شعرك وجمال أثره ... !!

والسادس ص ٢٤٧ يقول البيت الآتى :

تا تو بدل بندهء إمام زمانى بندهء شعر تو ست شعر كسائى

ومعناه :

— ما دمت من صميم قلبك خادماً لإمام الزمان (١)

فإن أشعار «الكسائى» ستكون خادمة لشعرك ... !!

والسابع فى ص ٢٥١ يقول البيت الآتى :

با نو سخنان او كهن گشت آن شهره بمقات كسائى

(١) يقصد الخليفة الفاطمى المستنصر بالله .

ومعناه :

— وبالقياس إلى أشعاره (إى أشعار ناصر) الجديدة النضيرة ...

تقدم العهد على مقالة الكسائي الشهيرة ... !!

وليس في حوزتى للأسف هذه المادة الغزيرة التي كانت في متناول الدكتور «إتيه» ولكنى مع ذلك لا أجد في هذه الأبيات التي نقلناها عنه فيما سبق ، ولا في سائر ديوان «ناصر خسرو» شيئاً يدل على تحقير الكسائي ، بل على العكس من ذلك نجده يمجده ويعظمه ، لأن الشاعر إذا أخذ يفخر على عادة الشرقيين المألوفة ، فإنه يذكر عن نفسه أنه أعلا شأنًا وأكثر خطراً من كل عظيم سبقه أو عاصره ، ولو حاد عن هذه الطريقة لنزل من عليائه وارتضى بالحيية والفشل .

وعلى ذلك فقد كان «الكسائي» بغير شك من الشعراء المشهورين في زمانه ؛ ولقد ذكرنا أنه كان شيعياً يتغنى في قصائده بمدح على وآل البيت ، ولكن ذلك لم يمنعه من أن يشيد بذكر السلطان محمود وكرمه ، كما لم يمنعه ذلك أيضاً من التغنى بالخر والشراب . وخرمه في هذه الحالة كانت خمرًا حقيقية لا مجازية كالتى تغنى بها أصحاب الصوامع والتصوفون .

ولقد ذكرنا فيما سبق أنه نظم قصيدة وهو في الخمسين من عمره ، وهذه القصيدة كما يقول «إتيه» وأنا معه في الرأي ، تدل على أنه في هذا الوقت أصابه شيء من التغيير في حياته وتفكيره ، فأخذ يهجر حياة اللهو العابث ، ويروض نفسه على التعفف والزهد فهو يقول في هذه القصيدة (١) :

بسیصد وچهل ویک رسید نوبت سال
چهار شبه و سه روز باقی از شوال
یادم بجهان تا چه گویم وجه کنم
سرود گویم وشادی بکنم بنعمت و مال

(١) المترجم: قلت النص الفارسی من «لباب الألباب» ج ٢ ص ٣٨ .

ستور وار بدین سان گذاشتم همه عمر
 که برده گشته فرزندم و اسیر عیال
 بکف چه دارم ازین پنجه شمرده تمام
 شمار نامه با صد هزار گونه و بال
 من این شمار بآخر چگونه فصل کنم
 که ابتدایش دروغست و انتهایش خجال
 درم خریده آرم بستم رسیده حرص
 نشانه حدثاتم شکار ذل سؤال
 دریغ فر جوانی دریغ عمر لطیف
 دریغ صورت نیکو دریغ حسن و جمال
 بجا شد آن همه خوبی بجا شد آن همه عشق
 بجا شد آن همه نیرو بجا شد آن همه حال
 سرم بگونه شیرست و دل بگونه قیر
 رخم بگونه نیلست و تن بگونه نال
 نهیب مرگ بلرزاندم همی شب و روز
 چو کودکان بد آموزرا نهیب دوال
 گذاشتم و گذشتم و بودنی همه بود
 شدیم و شد سخن ما فسانه اطفال
 ایا کسائی پنجاه بر تو پنجه گذارد
 بکند بال ترا زخم پنجه و چنگال
 تو گر بمال و امل بیش ازین نداری میل
 جدا شو از امل و گوش وقت خویش بمال

و معناها :

— بلغت دورة الزمان السنة الواحدة والأربعين بعد الثلاثمائة . . .
 فلما كان يوم الأربعاء ، وقد بقيت ثلاثة أيام من شوال . . .

- أتيتُ إلى هذه الدنيا ، حتى أقول ما أقول وأفعل ما أفعل ...
 وحتى أنشد الأغاني ، وأفرح بالنعمة والمال ... !!
- قضيت العمر جميعه على شاكلة الدواب والأنعام ... !!
 وأصبحت عبداً لأطفالي ، وأسيراً لأولادى وعيالى ... !!
- فإذاعسأى أملك الآن من السنوات الخمسين التى تم عددها ... ؟
 اللهم إلا سجلاً مليئاً بمئات الآلاف من أنواع الوبال ... !!
- وكيف أستطيع أن أفصل فى النهاية هذا الحساب ... ؟
 وكيف بدأ بالكذب والدين ... وكيف انتهى بالحجل والعار ... !!
- فأنا عبد اشتريتى الدرهم ، وضحية أودى بها الحرص ... !!
 وأنا هدف للحادثات ، وفرصة لذل السؤال ... !!
- فيا أسفاً لهجة الشباب ... ويا أسفاً لذلك العمر اللطيف ...
 ويا أسفاً لصورتى الجميلة ... ويا أسفاً للحسن والجمال ... !!
- فإلى أين ذهب كل هذا الحسن .. ؟ وإلى أين ذهب كل هذا العشق .. ؟
 وإلى أين ذهب كل هذا العزم .. ؟ وإلى أين ذهبت كل هذه الأحوال الطيبة .. ؟
- وقد أضحت رأسى فى لون اللبن ، وأضحى قلبي فى لون القار ...
 وأضحى وجهى فى لون النيلة ، وأضحى جسدى هزىلاً على شاكلة البوص ... !!
- ويرعبنى خوف الموت والفناء فأظل فى رهبة طوال النهار وآناء الليل ... !!
 كما تخيف المقرعة الأطفال الذين لا يجيدون التعلم ... !!
- لقد قضينا الأيام ، ومضينا عن الحياة ، ووقع بها ما كان مقدراً لنا ...
 وهذه أشعارنا قد أصبحت الأفاصيص يتسلى بها الأطفال ... !!
- فيا كسائى ... إن السنوات الخمسين تجثم على صدرك بمخالها ... !!
 وهذه ضرباتها قد قصت جناحيك واقتلعت ريشك ... !!
- فإذا لم يعد لك ميل إلى المال والأمل أكثر من ذلك ...
 فخر نفسك من كل أمل ، واعرك أذن وقتك ، وتنبه من غفلتك ... !!

بعد ذلك يروق لى أن أذكر مثلاً آخر من قول «الكسائي» لأنه يبدو لى كثير الشبه بما يردده «الخيّام» فى رباعياته التى يتعشقها كل المعجبين. بترجمتها الرائعة التى قام بها «فيتز جرالده» ، والمعنى الذى يتردد فى قول «الخيّام» هو :

— لشد ما تأخذنى الدهشة لحرص الخمار على شراء الكروم ...

بينما هى أشفه بكثير مما يبيعه من عقار مختوم ... !!

وفى مثل هذا المعنى قال «الكسائي» البيتين الآتين :

گل نعمتی است هدیه فرستاده از بهشت

مردم کریم تر شود اندر نعيم گل

ای گل فروش ... گل چه فروشی برای سیم

واز گل عزیزتر چه ستانی بسيم گل

ومعناها :

— الورد نعمة أهدتها لنا رياض الجنان ... !!

ويمن طلعت و بهائه يزداد ما فى الناس من جود وإحسان ... !!

— فيا بائع الورد ... ! لماذا تبيع الورد بالدرهم الرنان ... ؟ !

وما عساك تشتري بشمته ... وهل يوجد ما يمتاز عليه بالرجحان ... !!

الفصل الثالث

العصر السلجوقي الأول

منذ ظهور « طغرليك » إلى وفاة « ملكشاه »

ويتضمن الحديث عن مذهب الحشاشين ونشأتهم

يقول « ستانلى لين بول » فى كتابه القيم « الدول الإسلامية »^(١) : « إن ظهور السلاجقة الأتراك يعتبر فائحة لفترة هامة من قرات التاريخ الإسلامى ، فقد ظهوروا فى وقت زالت فيه إمبراطورية الخلافة ، وأصبحت فيه هذه الدولة الموحدة التى كان يحكمها حاكم إسلامى واحد مجموعة من الدويلات المشتتة البعثة التى لا تملك من الحول ما يمكنها من السيطرة والسلطان ، اللهم إلا إذا استئينا « الفاطميين » فى مصر ، وهؤلاء كانوا على المذهب الشيعى كماله هو معلوم . أما أسبانيا والممتلكات الإفريقية بما فيها ولاية مصر الفنية فكانت جميعاً قد خرجت من يد خليفة بغداد ؛ وأما شمال سوريا وأرض الجزيرة فوقعتا فى أيدي رؤساء العرب المتدمرين . واستطاع بعضهم أن ينشئوا لأنفسهم الإمارات والممالك ؛ وأما البلاد الفارسية (إيران) فكانت موزعة بين الحكومات المختلفة التى أسسها الأمراء البويهيون (وكانوا جميعاً من أصل شيعى لا يكونون كثيراً من الاحترام للخلفاء العباسيين الضعفاء) كما كانت موزعة أيضاً بين مجموعة من الدويلات التافهة التى كانت دائمة التعارك والتنازع فيما بينها مما أدى إلى انتشار الوهن وذبوع البلاء .

وكان انتشار المذهب الشيعى سبباً فى زيادة التفكك الذى أصيبت به الولايات المختلفة التى كانت تتكون منها الإمبراطورية الزائلة .

(١) أنظر كتاب : Mohammedan Dynasties, by Stanley Lane-Pool

واقتضت هذه الحال المضطربة دواءً ناجحاً ، سرعان ما وجدته في غزوة الأتراك السلاجقة . فقد كانوا بدوا سنجاً لم تفسد حياة المدن ولا الخلاقات المذهبية ؛ فاعتنقوا الإسلام بحماس بالغ ، ملك منهم قرارة النفوس والأرواح ، ولقد جاءوا لإنقاذ هذه الدولة المحتضرة ، رجاء أن يدركوها في ساعاتها الأخيرة ، فصح رجائهم ، واستطاعوا فعلاً أن يردوا إليها القوة والحياة . واجتاحوا بجموعهم الكثيفة إيران والجزيرة وسوريا وآسيا الصغرى ، وخربوا البلاد التي وطأتها أقدامهم ، وحطموا الإمارات التي صادفوها في طريقهم ، واستطاعوا بذلك أن يوحدوا مرة ثانية البلاد الإسلامية الآسيوية وأن يجعلوها تحت حكم واحد ، تخضع له من أطراف الحدود الغربية لبلاد أفغانستان إلى أطراف الحدود الشرقية للبحر الأبيض المتوسط ؛ وتمكنوا أيضاً من أن يحدوا العزم والحياة في أرواح المسلمين بعد ما فترت عزائمهم وخمدت حماستهم ؛ فدفعوا البيزنطيين إلى ما وراء حدودهم ، وأنشأوا جيلاً من المسلمين المحاربين المخلصين ، يرجع إليه وحده الفضل فيما أصاب « الصليبيين » من هزائم كثيرة متكررة . وهذه هي مجمل الأسباب التي تجعل للسلاجقة مكاناً متميزاً في التاريخ الإسلامي ... »

ولقد يجوز لنا أن نضيف إلى هذه العبارات السابقة ، أن « السلاجقة » كانوا المهديين « للأتراك العثمانيين » الذين أسسوا ملكهم في البداية في آسيا الصغرى ثم زادوا فيه حتى شمل الشام ومصر والبحر الأبيض وأوروبا وشمال أفريقيا ، ولا شك أن هذا الملك قد تأسس أولاً على أكتاف الإمارات السلجوقية في بلاد الروم (آسيا الصغرى) ، ثم تقرر مصيره نهائياً بقدم المغول في غزوتهم المعروفة وطردهم في زحفهم الحافظ لجماعة من الأتراك أخذوا يولون وجوههم ناحية المغرب بقيادة « ارطغرل » و« عثمان » ، وإلى الأخير منهما ينتسب سلطان تركيا في الوقت الحاضر (١) .

والحديث عن نشأة « السلاجقة » هو الأساس الذي ينبغي عليه الجزء التاريخي من هذا الفصل ، وأهم المصادر التي سأرجع إليها في الموجز الذي سأسوقه فيما بعد هي الآتية :

(١) الترجم : هكذا كتب « براون » في سنة ١٩٠٦ ، ومعلوم أن الحركة الكمالية قضت على الخلفاء العثمانيين بعد ذلك بما يقرب من ست عشرة سنة .

١ - تاريخ ابن الأثير: طبع القاهرة، الجزء من التاسع والعاشر وبعض الحادى عشر

٢ - تاريخ عماد الدين ، الذى نقله البندارى عن الرسالة العربية التى ألفها

عن السلاجقة الوزير « أنوشروان بن خالد » التوفى سنة ١١٣٧ م =

٥٣٢ هـ . وهذا الكتاب هو عبارة عن المجلد الثانى من مجموعة المجلدات

التي نشرها الأستاذ « هوتسما » بعنوان « مجموعة النصوص المتعلقة

بتاريخ السلاجقة » ^(١) طبع ليدن سنة ١٨٨٩ م . ونشير أحياناً إلى

الجزء الأول من هذه المجموعة عند الحديث على « سلاجقة كرمان » فقد

اشتمل هذا الجزء على تاريخهم .

٣ - راحة الصدور : وهو عبارة عن مخطوطة فارسية فريدة ^(٢) اشتملت

على تاريخ السلاجقة وتم تأليفها فى سنة ١٢٠٢ م = ٥٩٩ هـ ؛ وقد

وصفت محتوياتها فى « مجلة الجمعية الملكية الآسيوية » سنة ١٩٠٢ فى

الصفحات من ٥٦٧ إلى ٦١٠ ومن ٨٤٩ إلى ٨٨٧ .

ونحراً على عدم الإطالة ، سأشير فيما يلى من حديث إلى المصدر الأول مكتفياً

بذكر « ابن الأثير » متبوعاً بذكر السنة التى ورد فيها ذكر الموضوع الذى نتحدث

عنه ، وفى أحيان قليلة جداً سأذكر رقم الصحيفة وفقاً لطبعة القاهرة ؛ وسأشير إلى

« البندارى » و « سلاجقة كرمان » وفقاً لما جاء فى طبعة « هوتسما » لهذين

الكتابين ؛ أما « راحة الصدور » فسأذكر بهذا الاسم واتباعه بكلمة « ورقة

كذا » إذا أشرت إلى مخطوطة « شيفر » أو بكلمة « صحيفة كذا » إذا أشرت

إلى مقالى المنشور فى « مجلة الجمعية الملكية الآسيوية »

أصل السلاجقة :

نشأت دولة السلاجقة فى سرعة عظيمة فائقة ، ربما فاقَتْ فى حداثتها السرعة التى نشأت

بها الدولة الغزنوية ، وكذلك دام بقاءها ونفوذها فترة طويلة زادت على ما استغرقت

(١) أنظر : Recueil de textes relatifs à l'histoire des Seldjoucides

Par Houtsma

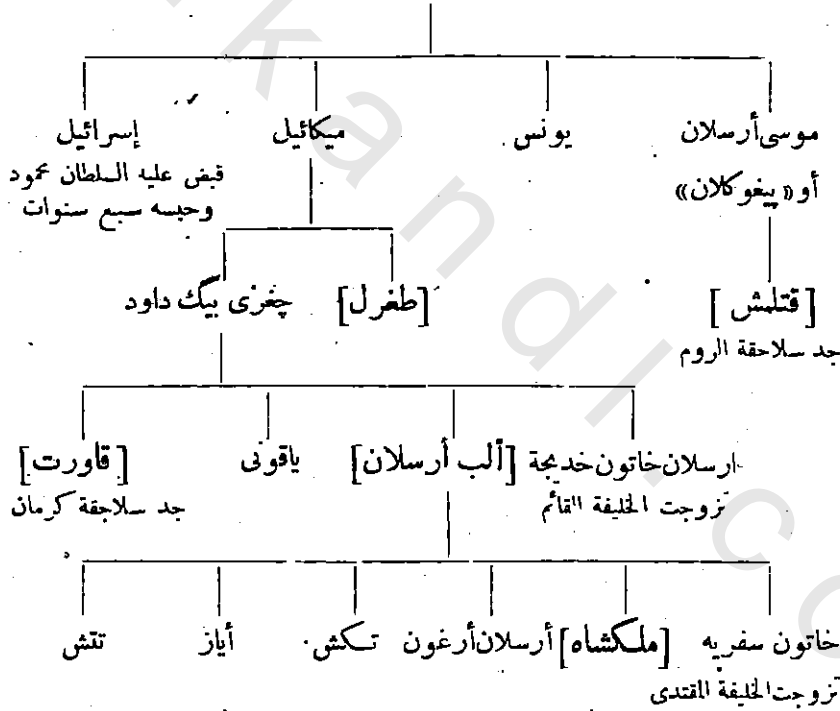
(٢) المترجم : طبع الأستاذ محمد إقبال هذه المخطوطة فى سنة ١٩٢١ ونشرها ضمن « سلسلة

جب التذكارية » .

الدولة الغزنوية . والسلاجقة فرع من الأتراك الفز الذي أخذوا يغيرون في سنة ١٠٢٩م = ٤٢ هـ على حدود إيران الشمالية والشرقية ، وأخذوا بذلك يسيبون كثيراً من المتاعب والمصاعب للسلطان «محمود الغزنوي» . وقد ذكر ابن الأثير أن جدهم الأعلى كان يسمى «تقاق» (١) وهو والد «سلجوق» الذي كان أول من اتخذ الإسلام ديناً من بين جماعته . وقد أتى السلاجقة في بداية الأمر من «تركستان» إلى ما وراء النهر ، فجعلوا مشتاهم في «نور» بالقرب من بخارى ، ومصيفهم في السغد بالقرب من سمرقند .

وفي الشجرة التالية بيان لأحفاد «سلجوق» ذكرنا فيه الأسماء الهامة منهم بحروف كبيرة واضحة بين الأقواس .

سلجوق (مات في جند)



والفترة التي نتحدث عنها في هذا الفصل تشمل حكم الملوك الثلاثة الأولين من ملوك السلاجقة وهم :

(١) فسروا كلمة (تقاق) بمعنى القوس .

- ١ - طغرل : أعلن ملكاً في مدينة مرو في سنة ١٠٣٧ م = ٤٢٩ هـ ؛ وتوفي في الرابع من سبتمبر سنة ١٠٦٣ م = ٤٥٥ هـ .
- ٢ - ألب أرسلان : ولد سنة ١٠٣٢ م = ٤٢٥ هـ^(١) ؛ وتولى الملك سنة ١٠٦٣ م = ٤٥٥ هـ ؛ وقتل في ٢٤ نوفمبر سنة ١٠٧٢ م = ٤٦٥ هـ .
- ٣ - ملكشاه : تولى الملك سنة ١٠٧٢ م = ٤٦٥ هـ ؛ وتوفي في ١٩ نوفمبر سنة ١٠٩٢ م = ٤٨٥ هـ .

وقد استغرق حكم هؤلاء الثلاثة فترة بلغت خمسة وخمسين سنة ، كانت فيها أزمة الأمور موكولة إلى رجل من أشهر الوزراء الذين أنجبتهم إيران ، وأقصد به الوزير الحازم « نظام الملك » الذي قتل قبل وفاة ثالث الملوك الذين قام على خدمتهم وهو « ملكشاه » بخمسة وثلاثين يوماً ، فكان مقتله إيذاناً بانتهاء أكثر العصور ازدهاراً من عصور الحكم السلجوقي . وعلى ذلك يمكننا في إنجاز وقبول أن نسمي هذه الفترة التي نتحدث عنها بـ « عصر نظام الملك » .

والسلاجقة كأغلب الأتراك اعتنقوا مذهب أهل السنة منذ اتخذوا الإسلام ديناً ؛ وصاحب « راحة الصدور » يحدثنا أن الإمام « أباحيفة » وهو أحد الأئمة الأربعة وصاحب المذهب الحنفي الذي انتشر أكثر من غيره من المذاهب ، دعا الله في يوم من الأيام أن يوطد أركان مذهبه ويقيه ، فسمع من عالم الغيب من يقول له « لن يضعف مذهبك مادام السيف في يد الأتراك » ويعلق الراوندي على تلك العبارة بقوله : « ومن يمن الطالع أن السيف في أيديهم الآن^(٢) في بلاد العرب وإيران والروم (آسيا الصغرى) وروسيا ، وقد ازدهرت دراسة الدين والعلوم والتصوف في حمايتهم وخصوصاً في بلاد خراسان ، وقد محقوا الكفر والإلحاد والتشيع والفلسفة والمذاهب المادية أو المتعلقة بالتناسخ ، ولم يبقوا على شيء من سائر المذاهب إلا ما وافق طريق الإسلام الصحيح » . ويقول ابن الأثير^(٣) : إن ملك

(١) الترجم : تقول بعض المصادر ومنها ابن الأثير انه ولد سنة ٤٢٠ هـ = ١٠٢٩ م .

(٢) كتب الراوندي كتابه « راحة الصدور » في سنة ١٢٠٢ م = ٥٩٩ هـ .

(٣) انظر ج ١٠ ص ٧٣ .

السلاجقة قد اتسع على أيام « ملكشاه » فامتد من حدود الصين إلى حدود الشام ، ومن أقصى بلاد المسلمين شمالاً إلى حدود اليمن جنوباً ، ودفع الجزية لهم بأباطرة الروم (أى الإمبراطورية الشرقية) .

الخلفاء الفاطميون

ومع ذلك فلم يكن مذهب أهل السنة هو المذهب السائد في ديار الإسلام دون أن تراحمه المذاهب الأخرى ؛ فقد كانت مصر والجزء الأكبر من شمال إفريقيا وبلاد الشام في أيدي الخلفاء الفاطميين الذين بلغوا أوج العظمة والجلال أثناء خلافة « المستنصر » الذي طال حكمه من سنة ١٠٣٥ م إلى ١٠٩٤ م = ٤٢٧ هـ إلى ٤٨٧ هـ ، أى طوال الفترة التي نحن قائلون بدراستها في هذا الفصل . فإذا تجاوزنا حدود الفاطميين وأتينا إلى إيران وجدنا مدى التأثير العميق الذي بلغه فيها « دعاة » الباطنية من أهل الشيعة . وسنعرض لشيء من أمثلته الممتعة في هذا الفصل وما يليه من فصول ، ولا بد أن نذكر هنا أن اثنين من أشهر دعاةهم ، هما الشاعر « ناصر خسرو » و « الحسن الصباح » صاحب « الدعوة الجديدة » ومؤسس مذهب « الحشاشين » ، يتصلان اتصالاً وثيقاً بجميع الأحداث الهامة التي حدثت في هذا العصر المتع وبجميع من اشتهر فيه من أسماء وشخصيات .

الدولة الفزنوية :

ولست في الحقيقة في حاجة إلى أن أحدث في هذا الفصل عن دول أخرى بجانب السلاجقة والفاطميين ، ولكنني أذكر في إيجاز أنه سرعان ما توفي السلطان محمود حتى نشأ الخلاف بين أولاده ، واستمروا في عراك وقتال حتى استطاع أن يتغلب « مسعود » على إخوته ، فيتولى مكان أبيه ويكمل معاركه في بلاد الهند ، ثم يأخذ « طبرستان » و « جرجان » من حاكمها الزياري الأمير « دارا بن منوچهر » في سنة ١٠٣٥ م = ٤٢٧ هـ . وبعد ذلك بثلاث سنوات هزمته جيوش السلاجقة بالقرب من بلخ وتمكنت من الاستيلاء على أفياله الحربية ، فلما كانت سنة ١٠٤٠ م = ٤٣٢ هـ خلعوه عن

العرش وقتلوه ، وولوا في مكانه أخاه «محمدآ» ثم ابنه «مودودا» . وبعد ذلك بسنة واحدة دخلت ولاية «طبرستان» في حكم السلاجقة ؛ حتى إذا كانت سنة ١٠٤٤م = ٤٢٦ هـ هزموا «مودودا» في بلاد خراسان ، ولكنه مع ذلك استطاع أن يطرد الأتراك الغز من مدينة «بُست» وأن يستمر في معاركه في بلاد الهند ؛ وهذه الصورة انتهى حكم الغزنويين في إيران وإن كانوا قد احتفظوا بملكهم الأصلي في مدينة «غزنة» حتى سنة ١١٦١م = ٥٥٧ هـ عندما طردهم منها ملوك «الغور» وأصبح الحديث عنهم بعد ذلك مما يخص شئون الهند دون غيرها من البلاد .

الدولة البويهية :

أما آل بويه وقد كانوا أكبر أعداء الغزنويين في سابق الأيام ، فقد انتهى حكمهم بدخول «طغرل» مدينة بغداد في ١٨ ديسمبر ١٠٥٥م = ٢٥ رمضان ٤٤٧ هـ ووضع الخليفة العباسي تحت رقابته ووصايته . وما كادت تتقضى على تلك الحادثة ثلاث سنوات حتى مات في مدينة «الري» آخر أمراءهم المعروف باسم «الملك الرحيم» .

فإذا رجعنا الآن إلى الحديث عن السلاجقة وجدنا أن «البنداري» ومؤلف «راحة الصدور» يذكران أن السلطان محمود دعاهم في البدايه إلى الإقامة في الأقاليم المحيطة بمدينة بخارى ، ولكنه سرعان ما أحس بالوجل منهم لكثرة عددهم وازدياد نفوذهم فأمر في سنة ١٠٢٩م = ٤٢٠ هـ بالقبض على واحد من أولاد «سلجوق»^(١) وحبسه في قلعة ببلاد الهند تسمى «كالنجار» فبقي فيها حتى مات بعد سبع سنوات . وفي قصة معروفة مذكورة في كتاب «راحة الصدور» أن السلطان محموداً أحس منهم بالوجل عندما كان يتحدث إلى «إسرائيل بن سلجوق» في يوم من الأيام ، فعرض له أن يسأله عن عدد الرجال المسلحين الذين يمكن له أن يمد بهم إذا عرضت له حاجة إليهم . فأجاب إسرائيل بقوله : إنه إذا أخذ سهما من جرابه

(١) يقول «ابن الأثير» إن الذي قبض عليه السلطان محمود من أولاد سلجوق هو «موسى ارسلان پغو» أما المصادر الأخرى فتجمع على أنه «إسرائيل» . ويقول ابن الأثير أيضاً أنه في السنة التي قبض فيها على موسى ارسلان ولد «الب ارسلان» .

وأرسله إلى قومه أمده بمائة ألف رجل ، فإذا أرسل اليهم قوسه أمده بمائتي ألف آخرين . وكان السلطان كما يقول مؤلف « راحة الصدور » قد نسي المثل القائل « لا تفتح بابا يصعب عليك سده ، ولا ترسل سهما يصعب عليك رده » فلما استمع إلى قول إسرائيل أحس بالحشية تملأ صدره وقرر على الفوز أن يسلك معهم طريق الحشونة والغلظة بالصورة التي ذكرناها فيما سبق .

هجرة السمرقطة جنوبا :

ولما مات « إسرائيل بن سلجوق » في قيوده ومنفاه ، استطاع ابنه ، قتلش ، أن يهرب إلى بخارى^(١) حيث التحق بقومه وعشيرته مؤكداً لهم الإيمان بأنه لا بد منتقم من هذا السلطان الغادر . ولكن حدث في سنة ١٠٣٥هـ = ٤٢٧هـ أن أصاب السلاجقة غدر آخر على يد ملك خوارزم « هارون بن التوتاش » فاضطروهم ذلك إلى التحرك جنوبا والاستقرار في الإقليم الواقع بين « نسا » و « باورْد » . ويقول صاحب « راحة الصدور » إن هذه الهجرة حدثت قبل ذلك التاريخ في أيام السلطان محمود وبإذن صادر منه ، عارض فيه أشد المعارضة « أرسلان جاذب » حاكم طوس ، وطلب إلى مولاه أن لا يسمح لهؤلاء الجيران الأقوياء بهذه الهجرة ، وأوصاه بأن يبادر بأمر رجاله بأن يقطعوا الإبهام من يد كل سلجوقي يستطيعون القبض عليه حتى يتعذر على السلاجقة بعد ذلك استعمال القوس التي كانوا يبدون في استعمالها ضروب المهارة والخذق^(٢)...!!

مسعود والسمرقطة :

وقد بدأت المتاعب الحقبة بعد ما منح مسعود في هزيمة أخيه وتصيب نفسه على عرش أبيه ، ويبدو أنه استطاع في سنة ١٠٣٥هـ = ٤٢٧هـ عندما كان قائماً بغزوته لطبرستان

(١) هكذا ورد في كتاب « راحة الصدور » .

(٢) يبدو من هذا أن السلاجقة كانوا في الرماية يتبنون طريقة « الرمية المغولية » وسنشير إلى هذه الطريقة فيما بعد عندما نعرض لمقتل الشاعر « كمال الدين اسماعيل » .

أن يصيب بعض النجاح وكاد يهزم السلاجقة ، ولكن ما كادت هذه الغزوة تقرب من نهايتها حتى تمكن السلاجقة من التغلب عليه ، لأن جنده كانوا متعبين ولأن أسلحته علاها الصدأ في جو هذه المناطق المليئة بالرطوبة والبلل . ولم يستمع «مسعود» لرأى مستشاريه الذين حذروه من عاقبة الاستهانة بما حدث وأوصوه بعدم ترك خراسان لهؤلاء الطغمة من الغامرين الجدد ؛ بل عمد إلى مصالحتهم بشروط سهلة هينة حتى يستطيع التفرغ بعد ذلك لإحدى غزواته في بلاد الهند؛ وكانت نتيجة هذا الاستخفاف أن أفلتت أزمة الأمور من يده كلية عندما عاد من الهند . ولم يلبث أن أعلن «طغرل بن ميكائيل بن سلجوق» نفسه ملكاً في صيف سنة ١٠٣٨ م = ٤٣٠ هـ غطبوا باسمه في مدينة «مرو» ثم في مدينة «نيسابور» بعد ذلك التاريخ بقليل . وعند فتحهم لهذه المدينة الأخيرة نجد أن ابن الأثير ينسب إليهم الحكاية الشهيرة التي تدل على سذاجتهم وبساطة عقليتهم عندما اشتبهوا في الكافور وظنوه ملحقاً ، وهي نفس الحكاية التي رواها تاريخ الفخرى ونسبها إلى المسلمين الأوائل عند استيلائهم على المدائن^(١).

تأسيس الرولة السلجوقية :

وقد ساعد خلع مسعود ثم قتله في سنة ١٠٤ م = ٤٣٢ هـ وما استتبع ذلك من اضطرابات في مدينة غزنه ، على تثبيت أقدام السلاجقة وتدعيم دولتهم . فتمكنوا في السنة التالية من الاستيلاء على طبرستان ، ولم تمض ثلاث سنوات على ذلك حتى استطاعوا التغلب على «مودود بن مسعود» في خراسان ، ثم بعثوا برسالة إلى الخليفة «القائم» ضمنوها شكرهم من البيت الغزنوي مؤكدين له ولاءهم ، ساعين إلى الحصول على رضاه عليهم واعترافه بهم . ثم أقدموا بعد ذلك على تقسيم الأراضي الواسعة التي دخلت بسرعة في حوزتهم ، ف وقعت «بُست» و «هرات» و «سجستان» من نصيب موسى أرسلان بن سلجوق ؛ وأعطيت مرو إلى ابن أخيه «جغرى ييگ

(١) انظر تاريخ الفخرى طبع «الوارد» Ahlwardt ص ١٠٠ ، وكذلك الجزء الاول من «تاريخ الأدب في إيران» ص ١٩٩ من الأصل الإنجليزى .

داود» ؛ وأخذ ابن أخيه الآخر « طغرل » إقليم العراق ؛ واستولى « قاووت بن
چغرى » على « كرمان » و « تون » و « طَبَس » ؛ ونال « ياقوتى » ولاية
آذربيجان وأبهن وزنجان ؛ أما ابن چغرى ييگك الثالث وهو « ألب أرسلان »
فقد اختاروه ليقى مع عمه « طغرل » فى عاصمته التى اتخذها فى مدينة « الرى » ،
وأعطيت مدينة « همدان » لابراهيم بن اينال بن سلجوق^(١) ، كما أعطيت جرجان
ودامغان لـ « قتلش » بن موسى أرسلان .

الخليفة يعترف بطغرل :

ولما وصلت رسالة طغرل إلى الخليفة « القائم بأمر الله » أنفذ إليه فى مدينة الرى
رسولا هو « هبة الله بن محمد المأمونى » وزوده برسالة تضمنت ردا جميلا ، أعقبها
أمر الخليفة بأن يذكر اسم « طغرل » فى الخطبة وأن يضرب على التقود قبل اسم الأمير
البويهى « الملك الرحيم » . وانتهى الأمر بعد ذلك فى ديسمبر سنة ١٠٥٥م = رمضان
٤٤٧ هـ بدخول « طغرل » مدينة بغداد فى موكب رسمى ، وهناك خلع عليه الخليفة
مختلف الخلع والتتريفات وأجلسه على العرش إلى جواره ، وألبسه حلة جميلة ، وتحدث
معه - لال ذلك ، وكان يقوم بالترجمة بينهما « محمد بن منصور الكندرى »^(٢) ولم تعض
فترة طويلة حتى تزوج الخليفة « القائم » بابنة أخى طغرل السهامة « أرسلان خاتون
خديجة » وهى أخت « ألب أرسلان » فزفت إليه فى كثير من مظاهر العظمة
والجاء ، ورأى طغرل النبى فى منامه يحذره من البقاء فى بغداد فتركها بعد أن أقام
فيها ثلاثة عشر شهرا ، وربما كان السبب الرئيسى فى تركه لبغداد راجعا ، إلى حد
ما ، إلى ما وقع فيها من شغب أحدثته فيها جيوشه التركية ؛ وإلى رغبته فى إخضاع
الموصل وديار بكر وسنجار وبعض الأقاليم الغربية الأخرى .^(٣) ولكن لم يلبث
أن عاد « طغرل » بعد ذلك إلى بغداد ، حتى تلقاه الخليفة شاكرًا له أياذيه فى نصر الإسلام

(١) قتله طغرل بتهمة الخيانة فى سنة ١٠٥٧م = ٤٤٩ هـ .

(٢) أنظر البندارى ص ١٤

(٣) مما حدث فى هذه الفتوحات أن طغرل استولى على دير به اربعمائة راهب فقتل منهم مائة
وعشرين ، واقتدى الباقون أنفسهم بدفع المبالغ الطائلة .

وخدمة المسلمين ، ودعا له أن يحسن استعمال ما أفاء عليه الرحمن من سلطة وقدرة ، ثم لقبه عند ذلك بـ « ملك الشرق والغرب » .

موت طغرل :

ومع ذلك ، لم يكن طغرل قد شفى أطماعه واستوفى أمانية ، فلما ماتت زوجته في سنة ١٠٦١ م = ٤٥٣ هـ تقدم إلى الخليفة وطلب تزويجه من ابنته (١) ، وكان الخليفة شديد الممانعة في ذلك ولكنه اضطر في النهاية إلى التسليم بسبب طلباته المتكررة التي سادتها صبغة من التهديد والوعيد . وخرجت العروس في حفل يليق بمقامها قاصدة مدينة « تبريز » لتذهب من هناك إلى « الزى » حيث كان زوجها يعد معدات الزواج ، ولكنها قبل أن تصل إليها بقليل ، مرض طغرل مرضاً أودى به في الرابع من سبتمبر سنة ١٠٦٣ م = يوم الجمعة ثامن رمضان سنة ٤٥٥ هـ وقد أدركته الوفاة في قرية « تاجرشت » فأعادوا عروسه بعد ذلك إلى بغداد . وكان طغرل عند وفاته في السبعين من عمره وقد وصفه ابن الأثير فقال عنه إنه شديد الحزم ، دقيق في تأدية واجباته الدينية ، حريص على أسرارِهِ ، يشوبه شيء من الغلظة والشدة عند الاقتضاء ، ولكنه كان فيما عدا ذلك شديد الكرم حتى على أعدائه من البيزنطيين (الروم) (٢) .

الب أرسلان :

تولى الملك بعد طغرل ابن أخيه « ألب أرسلان » ، وكان له أخ اسمه سليمان ، حاول الوزير « الكندري » العروف بـ « عميد الملك » أن يأخذ البيعة له وينصبه على العرش ، ولكنه فشل في مسعاه وأصابه بسبب ذلك كثير من البلاء الذي انتهى

(١) أما صاحب « راحة الصدور » فيقول إنها اخت الخليفة

(٢) انظر عبارة ابن الأثير في نصها الأصلي في ج ١٠ ص ٩ - ١٠

بالقبض عليه وإرساله إلى « مرو » حيث بقى في الأسر سنة كاملة ، قتلوه بعدها قتلة
شعاع على يد خادمين . أنفذها إليه « إلب ارسلان » للقضاء عليه ؛ فلما علم الكندرى
بغرضهما أذعن لقضاء الله وودع أفراد أسرته ، وطلب أن يموت بحمد السيف لا
بالشنق بالجلال ، ثم أرسل قاصداً إلى « إلب ارسلان » ووزير « نظام الملك »
بالرسالة الشهيرة الآتية : (١)

« قل للسلطان لقد خدمتني خدمة جليلة . فقد أعطاني عمك ملك العالم الدينى
لأنصرف فيه . فلما أمرت بقتلى أعطيتني ملك العالم الآخر جزاءً لاستشهادى ،
وبذلك تم لى على يدك امتلاك الدارين الفانية والباقية . »

« وقل لنظام الملك بئسما عودت الأتراك قتل الوزراء وأصحاب الديوان ، ومن
حضر قلبيا وقع فيه . وإني أدعو الله أن يصيبك ويصيب ذريتك بما أصابنى . »

وكان هذا الوزير النكود قد تجاوز الأربعين من عمره عند مقتله ، وقد اشتهر
عنه أنه كان عالماً بالعربية ، ومن أجل ذلك فقد قام « الموفق النيسابورى » بتقديمه
إلى طغرل الذى ألحقه بخدمته وجعله كاتباً له (٢) . ولقد نظم الكندرى جملة من
الأشعار العربية الجميلة ذكر لنا طائفة منها ابن الأثير في تاريخه ؛ وكان من المتصين
للمذهب الشافعى ، وقد أمر بلغة الرافضة والأشعرية (٣) في المساجد والجوامع ،
فما جاء « نظام الملك » أمر الخطباء بالاستمرار في لغة الرافضة ولكنه منعهم من
لعنة الأشعرية ، وأرضى بذلك جملة من كبار الفقهاء كان من بينهم « أبو المعالى
الجوينى » و « القشيرى » مؤلف الرسالة المعروفة باسمه عن حياة الصوفية . والمشهور
عن « الكندرى » أنهم خصوه في صباه في « خوارزم » حيث دفنوا بهاذكره ثم

(١) أنظر تاريخ ابن الأثير في سنة ٤٥٦ ج ١٠ ص ١١ وكذلك « راحة الصدور » ورقة

٥١ - ١ .

(٢) ربماتأت من هذا الخبر الحكاية المعروفة عن صلة نظام الملك بالموفق النيسابورى .
والأشعار التى ينسبها الكتاب التأخرون على أنها من قوله إنما هى فى الحقيقة كما تعلم من
قول الشاعر « برهاني » .

(٣) مؤلف « راحة الصدور » يجعل هاتين الفرقتين المتعارضتين « من الملاحدة الذين يجب
عليهم دفع الجزية والفرامة كاليهود . » أنظر مقالتي ص ٥٧٣ .

قتلوه في «مرو» ثم أخذوا جسده إلى موطنه «كندر» فدفنوه بها ، وأخذوا رأسه إلى «نيسابور» فدفنوها بها ، وحملوا قحف جمجمته إلى نظام الملك في مدينة «كرمان» .

نظام الملك :

ومن المحزن حقاً أن رجلاً كبيراً ووزيراً عظيماً مثل «أبي علي الحسن بن اسحق» الملقب بـ«نظام الملك» لأيدأ اسمه في الظهور على صفحات التاريخ إلامتصلا بهذه القفلة الشنعاء التي أصابت «الكندري»؛ ولكن من عجب ، أنه قد جازت عليه لعنة سلفه المقتول ، فقضى حياة طويلة نافعة لا يدانيه فيها أحد من رجال السياسة الشرقيين ثم انتهى به الأمر أيضاً إلى قتله شنيعة دامية .

وقد ولد «نظام الملك» في أسرة من الدهاقين في مدينة «طوس» سنة ١٠١٧ م = ٤٠٨ هـ ، وماتت أمه قبل قطامه ، وأصيب أبوه بعد ذلك بكثير من الخسائر والأزمات المالية ، ولكنه رغم هذه الظروف العاتية ، استطاع أن ينال قسطاً كبيراً من التعليم ، فدرس العربية والعلوم الفقهية حتى استطاع أن يشتغل كاتباً في مدينة «بلخ» لدى حاكمها «علي بن شادان» وكان هذا الوالي منصّباً على حكومة بلخ من قبل «جغري بيك» والد «ألب أرسلان» ، فلما أدركت «جغري بيك» الوفاة أوصى ابنه الصغير بنظام الملك فأتخذه وزيراً وديراً (١) ، حتى إذا اعتلى عرش السلاجقة جعله كبير وزرائه ، ووكل إليه تدبير الأمور في مملكته الواسعة العريضة . وامتاز «نظام الملك» بأنه كان من أقدر رجال الإدارة وأقوى رجال السياسة ، وكان متديناً ، سني المذهب ، شديد الوطأة على الملاحدة والكفار ، قاسياً أشد القسوة

(١) بالإضافة إلى ما ذكره هنا ابن الأثير (ج ١٠ ص ٧١ - ٧٢) عن نشأة نظام الملك في سبابه ، نجد أنه يذكّر رواية أخرى تتفق مع هذه في أنها أيضاً تجعل فاتحة حياته العملية في مدينة بلخ ، ولكنها تختلف عنها في ذكر سيد آخر الحق نظام الملك بخدمته . وهذه الرواية تتفق مع ما رواه «البنداري» في التبتة الطويلة التي خصصها لنظام الملك وكال له فيها كثيراً من الثناء (ص ٥٥ - ٥٩) .

على أهل التشيع والإسماعيلية خاصة ، وكان بالإضافة إلى ذلك جواداً يكرم الأدباء ، ويقرب الفضلاء والعلماء (١) لا يرضن يندل جهوده الجسارة في صيانة الأمن ، وإسعاد الخلق ، ونشر الدين والتعليم .

ومن أول الأعمال التي عملها « نظام الملك » عند توليه الوزارة ، تأسيسه للمدرسة « النظامية » الشهيرة في بغداد ، ومدها بالأموال الطائلة ، وقد بدأ بنائها في سنة ١٠٦٥ م = ٤٥٨ هـ وفرغ منها في سنة ١٠٦٧ م = ٤٦٠ هـ . واستطاعت هذه المدرسة بعد ذلك أن تضم كثيراً من الأساتذة والمدرسين الذين امتازهم الزمان مثل الفقيه الكبير « أبي حامد محمد الغزالي » (١٠٩١ - ١٠٩٥ م = ٤٨٤ - ٤٨٨ هـ) الذي وصفه السيوطي بقوله : لو أمكن أن يوجد نبي بعد محمد لكان الغزالي هو هذا النبي على وجه التأكيد .

أب أرسلان

أما « أب أرسلان » فإن ابن الأثير (٢) يجعل مولده بين سنتي ٤٢٠ هـ و ٤٢٤ هـ = ١٠٢٩ و ١٠٣٣ م ولكن صاحب « راحة الصدور » يجعله في بداية سنة ٤٣١ هـ = ٢٣ سبتمبر سنة ١٠٣٩ م ثم يقول : « إنه تولى الحكم اثنتي عشرة سنة بعد موت عمه « طغرل بك » في سنة ٤٥٥ هـ = ١٠٦٣ م وكان يتولى خراسان قبل ذلك بستين منذ وفاة والده « جعفرى بيك داود » ثم يذكر إنه كان في الرابعة والثلاثين من عمره عند وفاة أبيه ، ويقول « إنه كان طويل القامة ، له شاربان طويلان ، يعقد أطرافها إذا شاء الرماية ، ولم تخطيء سهامه هدفها على الإطلاق (٣) وكان يلبس على رأسه قلنسوة (كلاه) عالية ، يقول الناس إن المسافة بين قمتها وأطراف شاربيه كانت تبلغ الذراعين ؛ وكان حاكماً قوياً وملكاً عادلاً ،

(١) كان « عمر الحيام » من أقرب القرين إليه وستحدث عنه فيما بعد .

(٢) « البندارى » أيضاً يجعل مولده في سنة ٤٢٤ هـ .

(٣) ومع ذلك فسرى فيما بعد أنه مات نتيجة لرمية خاطئة .

كريم النفس قوى القلب ، سريعا إلى معاقبة العمال الجائرين وخصوصا من يرتكب منهم جريمة الاختلاس أو التزوير ، وكان برأ بالفقراء حتى يقال إنه كان يوزع عليهم في نهاية رمضان خمسة عشر ألف دينار ، كما كان يمد المحتاجين والعوزين في جميع أرجاء مملكته الفسيحة بما يكفل لهم العيش ويسر لهم سبل الحياة . (١) ، وكان محبا لدراسة التاريخ ، يستمع في شغف ومتعة إلى ما يقرأ له من سير الملوك القابرين وإلى الكتب التي تكشف الغامض من أخلاقهم وقوانينهم وأساليب إدارتهم .

وقد أعقب « ألب أرسلان » ذرية لا يقل عددها عن خمسة أبناء وثلاث بنات . وقد زوج ابنه « ملكشاه » ابنة « الخاتون التركية » (٢) وزوج ابنه « أرسلان أرغون » بأميرة من أميرات البيت الغزنوي ، كما زوج ابنته « خاتون سفريه » بالخليفة المقتدى .

أعمال ألب أرسلان

كانت المدة التي تولى فيها « ألب أرسلان » الحكم قصيرة الأمد (٣) ، ولكنها كانت مليئة بمجلائل الأعمال . ففي السنة الأولى من حكمه استطاع أن يخضع في الشمال الشرق « ختلان » و « هراة » و « صغانيان » كما استطاع أن يرد الروم إلى بلادهم في آسيا الصغرى . وبعد ذلك بقليل استطاع في سنة ١٠٦٥ م = ٤٥٨ هـ أن يستولى على « جند » (٤) وأن يخذل الثورات في « فارس » و « كرمان » وأن يحد من شركة الخلفاء الفاطميين ويسترد منهم حلب ومكة والمدينة ، فلما كان صيف سنة ١٠٧١ م = ٤٦٣ هـ استطاع على رأس جيش قوامه خمسة عشر ألف رجل

(١) يقول ابن الأثير أن مملكة « ألب أرسلان » كانت تمتد من أقصى حدود ما وراء النهر إلى أقصى حدود الشام .

(٢) الترجم : زوجة « ملكشاه » هي « ترکان خاتون » .

(٣) من سبتمبر سنة ١٠٦٣ إلى نوفمبر سنة ١٠٧٢ م = ٥٥٥ هـ إلى ٤٦٥ هـ .

(٤) كان جده الأعلى « سلجوق » مدفونا بهذه المدينة وربما كان ذلك هو السبب في اهتمامه بأمر الاستيلاء عليها .

من خيرة المحاربين أن يهزم البيزنطيين هزيمة منكرة عند «ملا زكرد» بالقرب من مدينة أخلاط (خلاط) في غرب آسيا الصغرى ، وكان جيش البيزنطيين يبلغ على الأقل مائتي ألف (١) رجل ، بينهم اليونان والروس والأتركة وأهل جورجيا والقوقاز والقرنج والأرمن . وقد استطاع «ألب أرسلان» أن يأسر الامبراطور البيزنطي «ديوجينيس رومانوس» .

وقد روى المؤرخون المسلمون (٢) قصة عجيبة حدثت عند أسر هذا الامبراطور البيزنطي ، مجملها : أن أحد أمراء «ألب أرسلان» واسمه «سعد الدين كوهرايين» كان يمتلك عبداً حقيراً صغير الجثة ، شاء أن يصحبه معه في جيش المسلمين ولكن «نظام الملك» أبى عليه ذلك وقال له مداعباً : وأى خير ترجوه على يديه . . . ؟ أظن أنه سيأتينا بامبراطور الروم أسيراً . . . ! . . . ! وشاء القدر أن تحدث أعجب المصادفات وأن يتمكن هذا العبد من أن يأسر الامبراطور ، ولكنه لم يكن يعلم ما لأسيره من مكانة ممتازة وأهمية زائدة ، وكاد يقتله لولا أن كشف واحد من رفقائه عن شخصيته فأبقى عليه وأحضره إلى «ألب أرسلان» فلما مثل بين يديه لطمه «ألب أرسلان» بيده ثلاث مرات وقال له :

ألم أعرض عليك الصلح مراراً ولكنك رفضته . . . ؟ ! فأجابه الامبراطور النكود قائلاً : ما عليك سن لومى وتعنيفى . . . !! ونظر السلطان إليه ثانية وقال : وماداكنت تصنع بى لو أنك أخذتني أسيراً . . . ؟ !

وأجاب الامبراطور اليونانى : كنت عاملتك بالقسوة وأخذتكم بالعنف . . . !!

وقال السلطان : وما تظن أننى صانع بك . . . ؟ !

أجاب رومانوس : واحدة من ثلاث : فإما أن تقتلى ! وإما أن تطوف بى

(١) صاحب راحة الصدور يذكر أن الجيش السلجوقى كان عدده ١٢٠٠٠٠ رجل ، وأن الجيش البيزنطى كان عدده ٦٠٠٠٠٠ و ٦٠٠٠ رجل ، أما البندارى فيجعل الجيش البيزنطى ٣٠٠٠٠٠ رجل ، ولكن ابن الأثير يجعله مائتي ألف
(٢) انظر ابن الأثير ج ١٠ ص ٢٥ ، وكذلك البندارى ص ٤٣ ، وكذلك راحة الصدور ورقة ٥١ .

مشهراً في ديار المسلمين ، وإما أن تغفو عن نظير القدية والخضوع لك ، وهذه الأخيرة بعيدة النال لا أمل لي فيها ولا رجاء .

قال السلطان : بل هذه الأخيرة هي التي انعقد عليها عزمي . . . !!

وحدد السلطان القدية التي اقتضاها من الإمبراطور بألف ألف دينار ، وعقد معه محالفة لمدة خمسين سنة ، اشترط فيها أن تكون جيوش البيزنطيين مستعدة لمعونه عند طلبه بالعند الذي يقتضيه وفي الوقت الذي يحتاج إليها فيه ، كما اشترط أيضاً تخيير الأسرى المسلمين الذين وقعوا في أيدي اليونان . وقبل الإمبراطور « رومانوس » هذه الشروط فخلع عليه السلطان خلعة شريفة ، وخصص له سرادقاً كبيراً ، وأعطاه خمسة عشر ألف دينار لينفق منها أثناء إقامته ، ثم أفرج عن جملة من ضباطه وأمرائه ليقوموا على خدمته ، ولما حان موعد رحيله ركب السلطان معه مسافة فرسخ ثم أمر جماعة من رجاله أن يكونوا في ركابه إلى أن يصل إلى دياره في أمن وسلامة ؛ ولكن الهزيمة التي أصابت « رومانوس » أزلته من عليائه ، فعمد رعاياه كما يقول البنداري « إلى إزالة اسمه من سجلات الملك قائلين عنه : لقد سقط من عداد الملوك وغضب عليه المسيح . !

موت ألب أرسلان

وبعد سنتين ، في نوفمبر سنة ١٠٧٢ = ٤٦٥ هـ كان « ألب أرسلان » مشغولاً في الناحية الأخرى من مملكته بحربه مع الأتراك ، فوصل إلى نهر « جيحون » على رأس جيش عدده ٢٠٠٠٠٠ رجل^(١) استغرق عبورهم إلى الضفة الأخرى من النهر أكثر من ثلاثة أسابيع . وبينما كان معسكراً هنالك ، جليوا إليه أسيراً اسمه « يوسف نرزمي »^(٢) كان قائداً على حصن من الحصون صمد في وجه رجاله إلى أن استولوا عليه عنوة وبعد قتال عنيف . ويؤكد بعض المؤرخين أن « ألب أرسلان » كان مغبطاً من هذا الأسير وما جرى على لسانه من زردود خادعة زائفة ، فأمر رجاله أن

(١) انظر « البنداري » ص ٤٥ ، وابن الأثير ج ١٠ ص ٢٥ .

(٢) راحة الصدور يكتب « نرزمي » ، وتاريخ سلاجقة كرمان يكتبها « برزمي » ، وأما ابن الأثير والبنداري فيكتبانها « خوارزمي » .

محضروه قريباً من عرشه وأن يبسطوه أمامه على الأرض ، وأن يشدوا رجليه ويديه إلى أربعة اوتاد مثبتة في الأرض ، وأن يتركوه على هذا الحال حتى يلفظ أنفاسه الأخيرة . واستمع الأسير إلى هذا الحكم القاسي فأرغى وأزبد وشتم السلطان بأبداً العبارات وأردأ الشتائم ثم أخذ يصيح ويكي قائلاً : ما هكذا يموت مثلي هذه الميتة الشنعاء ...!! واستولى الغضب والحق على « ألب أرسلان » فأشار إلى رجاله أن يتعدوا عن الأسير وأسرع إلى قوسه ورماه بهم يريد قتله في التو والساعة ، ولكن المهارة التي امتاز بها في الرماية خاتته في هذه اللحظة الحرجة ، غاب سهمه ، وأخطأ هدفه ؛ وهجم الأسير وقد وجد نفسه طليقاً لا يمسك به أحد ولا يعوقه قيد على « ألب أرسلان » فجرحه جرحاً مميتاً في خاصرته بواسطة خنجر كان يخفيه في طياته ، وقد حدث كل ذلك في سرعة خاطفة ، لم يستطع فيها أحد من الحراس أن يتدخل لإتقاذ السلطان ، وكان الحراس في هذه اللحظة يافعون الألفين من حوله . وأسرع « گوهر آئين » لنجدة سيده ولكنه أصيب أيضاً بجحمة من الجراح ، وتمكن « فراش » في النهاية من قتل هذا الرجل المستئيس بضربه على رأسه بعصاه التي كان يحملها . وانقضت على ذلك فترة طويلة ثم تعارك ابن هذا الفراش مع واحد من أتباع الخليفة في بغداد فقتله تابع الخليفة واحتمى بحرم الخلافة حيث لا يمكن أن تمتد إليه يد ... وأتى الفراش إلى « ملكشاه » وطلب الثأر لابنه المقتول وقال له : « يامولاي ... ! افعل بقاتل ابني مثلاً فعلت بقاتل أبيك ، !! » وشاء الخليفة أن يدفع لواله القتل فدية تبلغ عشرة آلاف دينار حتى يتخلص من تفتيش بيته ولكن « ملكشاه » رفض ذلك وأصر على المطالبة بالقاتل حتى سلم إليه فأمر بقتله .

وبقي « ألب أرسلان » على الحياة يوماً أو يومين بعد جرحه ، وكانت هذه الفترة كافية لأن يعلى على وزيره الخلص « نظام الملك » وصاياه التي يريدها ؛ وخلاصتها أن يتولى ابنه « ملكشاه » العرش في مكانه ؛ وأن يتولى ابنه « أياز » ولاية بلخ ما عدا قلعتها فإنها تكون في يد أمير من أمراء « ملكشاه » ؛ وأن يستمر أخوه « قاورت » حاكماً لكرمان وفارس ^(١) ومات بعد ذلك « ألب أرسلان » مطمئناً البال مستسلماً لقضاء الله . وأثر عنه أنه قال وهو موجود بأنفاسه الأخيرة :

(١) انظر « البنداري » ص ٤٧ .

« ما من وجه قصده وعدو أردته إلا استعنت بالله عليه ، ولما كان أمس صعدت على تل فارتجت الأرض تحتي من عظم الجيش وكثرة العسكر ، قفلت في نفسي : أنا ملك الدنيا وما يقدر أحد على ، فعجزني الله تعالى بأضعف خلقه وأنا أستغفر الله تعالى وأستقيه من ذلك الحاطر »^(١).

وقد دفن « ألب أرسلان » في مدينة « مرو » وكتب واحد من الشعراء على قبره هذا البيت :

سر ألب أرسلان ديدى ز رفعت زفته بر گردون

بمرو آ ، تا بخاك اندر سر ألب أرسلان بيني

ومعناه :

— لقد رأيت رأس « ألب أرسلان » تعلو السماكين وتشمخ فوق السماء
فتهلل الآن إلى « مرو » حتى تراها حبيسة في جوف الأرض وبطن القبراء

ملكشاه :

عندما دعى « ملكشاه » لتولى عرش المملكة العظيمة التي أسسها أبوه وعم أبيه ، لم يكن له من العمر أكثر من سبع عشرة أو ثمان عشرة سنة ؛ وما لبث أن تولى العرش حتى لاحت في الأفق بعض المتاعب والشدائد ؛ فأسرع « التگين » خان^(٢) سمرقند بالاستيلاء على « ترمذ » وقهر جيوش أخيه « أياز » ؛ وتمكن كذلك السلطان الغزنوى « ابراهيم » من القبض على عمه « عثمان » وأخذه مع أمواله وخزائنه إلى أفغانستان ، ولكن ما لبث أن تبعه الأمير « كمشنگين » وتابعه « انوشنگين » واستطاع التغلب عليه وقهره^(٣) . وأدهى من ذلك كله وأمر أن عم « ملكشاه » المسمى « قاووت » وهو أول ملوك السلاجقة في « كرمان »

(١) انظر « ابن الأثير » ج ١٠ ص ٣٦ .

(٢) « خان » بمعنى ملك وهو لقب ملوك الآراك مثل « خاقان » .

(٣) « انوشنگين » هو جد الدولة الناشئة التي عرفت باسم ملوك خوارزم « خوارزمشاه »

سنحدث عنها في فصل تال .

توجه إلى «الرى» على رأس جيشه ، يريد انتزاع الملك من ابن أحيه وجعله لنفسه ، وتلاقى الجيشان في «السكرج» بالقرب من «همدان» ووقعت بينهما موقعة هائلة استمرت ثلاثة أيام بلياليها ، ثم انتهت بهزيمة «قاوُرُت» وأسره وقتله . ولقد وقع ابتداء «اميرانشاه» و «سلطانشاه» في الأسر أيضاً ، فأمر «ملكشاه» بسمل أعينهما ، ولكن الأخير منهما لم يفقد حاسة الإبصار كلية ، فتمكن فيما بعد من أن يعقب أباه على ولاية كرمان . وكان لنظام الملك فضل كبير في التغلب على هذه الأزمة بما أبداه للمليكة من خدمات كثيرة جليلة ، فنحه السلطان لقاء ذلك لقب «انابك» ، وهو لقب كان من أرفع الألقاب في ذلك الوقت ولكنه أصبح فيما بعد كثير الشيوع والديوع (١) .

وفي السنة التالية ، مات الخليفة «القائم» وأعقبه على الخلافة حفيده «المقتدى» ؛ وبعد سنة أخرى ، استطاع الخليفة الفاطمي استرداد «مكة» لمدة اثني عشر شهراً ولكنه قد في نظير ذلك مدينة «دمشق» ؛ وفي هذه السنة نفسها ١٠٧٥ م = ٤٦٧ هـ بني «ملكشاه» المرصد الذي اشتغل فيه «عمر بن ابراهيم الحياحي» وجماعة آخرون من أشهر رجال المسلم (٢) ، بوضع التقويم الجلالى الجديد الذى رغب السلطان فى عمله ، والذى يرجع تاريخه إلى يوم النيروز (٣) من سنة ١٠٧٩ م = ٤٧٢ هـ ؛ ولم تمنح سنتان على ذلك حتى تمت خطبة الخليفة «المقتدى» لابنة السلطان «ملكشاه» ولكنه قد في تلك السنة نفسها ابنه «داود» فحزن لموته حزناً شديداً ولم يسمح لرجاله أن يحملوا جثته من أمامه لدفنها وكاد يقضى على نفسه كدأ عليه ، ولكن ازمن شفى جراحه عند ما ولد له بعد ثلاث سنوات ابن آخر أسماه «سنجر»

(١) أحيى «ناصر الدين شاه» وابنه «مظفر الدين شاه» هذا اللقب ومنحاه لوزيرها «أمين السلطان» ولكنه منذ سنة أو سنتين أبعد عن الوزارة وأقضى إلى المنفى .

(٢) ذكر ابن الأثير رجلين من زملاء «عمر» هما «ابوالمظفر الإسفرايى» و«ميمون بن نجيبه الواسطى» انظر ج ١٠ ص ٢٤ .

(٣) المترجم : «نوروز» أو «نيروز» بمعنى اليوم الجديد وهو مطلع السنة الفارسية ويوافق الاعتدال الربيعى من كل سنة .

نسبة إلى مكان ولادته في «سنجار» بالقرب من الموصل .

وحوالى سنة ١٠٨٣ م = ٤٧٥ هـ أخذت اللعنة التي صلبها «الكندري» على نظام الملك وأولاده تضرع وتفرخ . وكان أكبر أولاد هذا الوزير يسمى «جمال الملك» وكان شديد الزهو والغرور ، فسمع أن نديم السلطان المسمى «جعفر» قد هزأ بأبيه في إحدى دعاباته ، فأسرع إليه من مدينة «بلخ» حيث كان يتولى حكومتها وذهب إلى قصر السلطان وانهال على النديم بضربه في حضرتة ، ثم أمر رجاله بأن يشدوا لسانه إلى قفاه فمات في الحال على هذه الصورة الشنيعة ، ولم يقل «ملكشاه» شيئاً في ذلك الوقت ، ولكنه أصدر أمره سراً إلى «ابى على» عميد خراسان أن يدس السم لـ «جمال الملك» ، ففعل ذلك على يد واحد من أتباعه وخدامه .

وزار «ملكشاه» مدينة بغداد مرتين أثناء حكمه . فأما الأولى فكانت في ذي الحجة سنة ٤٧٩ هـ = مارس سنة ١٠٨٧ م ، واستصحب معه وزيره «نظام الملك» وتمكن من زيارة قبر الإمام السابع «موسى» وقبر الشيخ الصوفي «معروف الكرخي» وقبرى الإمامين «أحمد بن حنبل» و «أبى حنيفة» وقد حمل كثيراً من الهدايا إلى الخليفة «المقتدى» ولعب غداة وصوله لعبة الكرة والصولجان . وفي هذه الأيام زوج اخته «زليخا خانوم» من «محمد بن شرف الدولة» وأقطعته «الرجبة» و «حران» و «سروج» و «الرقعة» و «الخابور» وزوج ابنته من الخليفة المقتدى ؛ وحملت زوجته «تركان خانوم» ولداً أسمته عند ولادته «محموداً» وقد كان له شأن في الأيام المشهومة التي أعقبت موت أبيه ، لأن «ملكشاه» كان له ابن آخر اسمه «أحمد» جعله ولياً لعرشه ولكنه مات في مدينة مرو في الحادية عشرة من عمره بعد ولادة محمود بسنة واحدة ؛ وقرابة هذا الوقت عقد «ملكشاه» محالفة مع البيت الغزنوى وزوج إحدى بناته بالملك الغزنوى الصغير مسعود الثانى .

أما الزيارة الثانية التي قام بها «ملكشاه» لمدينة بغداد فقد حدثت في أكتوبر سنة ١٠٩١ م = رمضان ٤٨٤ هـ أى قبل وفاته بسنة واحدة . وقد تمكن في الفترة الواقعة بين ازبارتين من الاستيلاء على «بخارى» و «سمرقند» وبلاد أخرى فيما وراء التهرء وتلقى وهو في مدينة «كاشغر» النائية الجزية التي بعث بها إليه من القسطنطينية الامبراطور

البيزنطى . وبذلك بلغت الإمبراطورية السلجوقية من علو الشأن ما لم تبلغه فى وقت من أوقات حياتها عامة ، وكان من دلائل ذلك أن أصحاب القوارب الذين عبروا بـ «ملكشاه» ورجاله إلى الضفة الأخرى من نهر جيحون ، دفع لهم «نظام الملك» أجورهم بصكوك مستحقة الدفع فى «أنطاكية» حتى يتحققوا بأنفسهم من مدى الاتساع الذى شمله ملك وليتهم . وركب «ملكشاه» خواده وخاض به مياه البحر الأبيض المتوسط على شاطئ «اللاذقية» الواقعة على سواحل الشام وشكر ربه على هذا الملك الفسيح الذى أنعم به عليه . وقد كافأ أوليائه بالإقطاعات الواسعة فى الشام وآسيا الصغرى ، وبلغ جيشه النظامى ٤٦٠٠٠ رجل ، سجلت أسماؤهم فى سجل خاص بديوان الحرب ، وتمكن بواسطتهم من أن يعد نفوذه فى بلاد التار والصين ، وأن يستولى على مدينة عدن على البحر الأحمر . وكان من دأبه أن يشرف على توزيع الصدقات على رعاياه ، وكان قريب النال لكل مظلوم يظن أنه فى حاجة إلى ملاقاته والشكاية له . أما عنايته بالأمور الدينية فيشهد عليها هذه الآبار الكثيرة التى أمر بحفرها على طريق الحاج ، ثم اتفاقه مع أمير الحرمين على تخفيف الضرائب التى كان يقتضيها منهم ؛ وكان الصيد من أحب هواياته وأشدّها سلطاناً عليه ، وقد أمر رجاله أن يحفظوا سجلاً يقيدون به عدد الصيد الذى يظفر به فى كل يوم ، وقد بلغ فى بعض الأيام سبعين غزالاً .

وقد رأى صاحب «راحة الصدور»^(١) سجلاً من هذه السجلات (التى تسمى بالفارسية شكارنامه) كتبه بخط يده الشاعر «أبو طاهر الخاتوني» وهو الشاعر الذى ألف كتاباً من أقدم الكتب فى تراجم شعراء الفرس وجعله بعنوان «مناقب الشعراء»^(٢) . ومع ذلك فإن ابن الأثير يخبرنا أن «ملكشاه» كان يحس بشيء من الندم ووخز الضمير لإقدامه على قتل مثل هذا العدد الكبير من الكائنات البرية والمخلوقات الضعيفة ، وقد حكى لنا هذا المؤلف^(٣) إنه «اصطاد مرة صيداً كثيراً ، فأمر بعده ، فكان عشرة

(١) انظر «راحة الصدور» ورقة ٥٦ .

(٢) من الكتب المفقودة التى ليست فى متناولنا الآن .

(٣) انظر تاريخ ابن الأثير ج ١٠ ص ٧٩ .

آلاف رأس ، فأمر بصدقة عشرة آلاف دينار وقال : إننى خائف من الله تعالى كيف أزهدت أرواح هذه الحيوانات بغير ضرورة ولا مأكلة ، وفرق من الثياب بين أصحابه ملايخصى ، وصار بعد ذلك كلاً صاد شيئاً تصدق بعدده دنانير ، وهذا فعل من يحاسب نفسه على حركاته وسكناته .

وكانت «أصفهان» أحب مدن مملكته إلى قلبه (١) وقد اتخذها مكاناً لإقامته ، وزينها بجملة من الباني الجميلة والحدائق الغناء ، وكانت قلعة «دركوه» مما استحدثه فيها ، وقد وقعت بعد سنوات قليلة من بنائها في أيدي واحد من زعماء «الحشاشين» الخطرين هو ازعيم المعروف بـ «ابن عطاش» .

سقوط نظام الملك :

طوال هذه السنوات السعيدة المحفوفة بمطالع الخير ومواكب الإقبال ، كان «نظام الملك» هو الساعد الأيمن للملك الشاب «ملكشاه» يدبر له الأمور ويصرفها بما عرف عنه من حكمة ورشاد . وقد بلغ الآن الثمانين من عمره . وكان خلال حياته الطويلة - إذا تيسر له شيء من فراغ الوقت - قضاءه في الإشراف على المدارس الكثيرة التي بناها في بغداد وإصفهان ، مستمعاً إلى حديث الصفوة من العلماء والفضلاء ، أو مشغولاً بتأليف رسالته الكبيرة التي قام على تأليفها إطاعة لأمر «ملكشاه» عن تاريخ الحكم وفن الحكومة ، وهي التي عنونها على الأصح بـ «سياسة نامه» وإن كان جماعة من كتاب الفرس يشيرون إليها عادة باسم «سير الملوك» . وهذه الرسالة تعتبر من أهم التأليفات المشهورة المفيدة التي تفخر بها الآداب الفارسية ، وقد نشرها «شيفر» أخيراً فجعلها بذلك في متناول جميع المشتغلين بالفارسية ، وترجمها إلى الفرنسية فيسرها لمجموعة أكبر من القراء والمطالعين . وكان أبناء «نظام الملك» الإثنا عشر يشغلون جلهم أو كلهم أعلى مناصب الدولة ،

(١) انظر «راحة الصدور» ورقة ٥٧ وكذلك مقال التبي نشرته بعنوان «وصف مجمل

خطوطة نادرة عن تاريخ أصفهان» ص ٦٦ .

وقد بلغ هو وأسرته من علو الشأن ما يذكرنا بما بلغه «البرامكة» في قديم الأزمان ، وربما فاق شأنهم شأن هؤلاء وأربى عليهم ، ولكن السبب الأبدي الذي أودى بالبرامكة وغيرهم من كبار الوزراء الذين أخرجتهم إيران والذي سيودي دائماً بكل وزير تنجبه هذه البلاد ، وأتت إثارة حفيظة الملوك عليهم بواسطة خصومهم الحاقدين ، كان يضيق الخناق على «نظام الملك» ويعمل على هدمه وتحطيمه . وكانت «تركان خاتون» - زوجة ملكشاه المحبوبة - هي أعدى أعدائه وألد خصومه ، وكانت شديدة التأثير على زوجها ، مسموعة الكلمة لديه ، وكان مطعمها الوحيد الذي تصبو إليه أن تضمن ولاية العهد لابنها الصغير «محمود» . وكان وزيرها «تاج الملك» يؤيدها في تحقيق هذه الرغبة ، بينما كان المعروف عن «نظام الملك» أنه يؤيد الأخ الأكبر «بركيارق» الذي لم يتجاوز في ذلك الوقت الثانية عشرة أو الثالثة عشرة من عمره . أما السبب المباشر الذي أدى إلى نكبة «نظام الملك» وأسرته فكان مرجعه إلى السلوك الشائن الذي سلكه واحد من أحفاده كان حاكماً على مدينة مرو^(١) فقال بالأذى واحداً من الناس ، أسرع برفع شكايته إلى ملكشاه . فأرسل السلطان رسالة شديدة اللهجة إلى «نظام الملك» سأله فيها على سبيل التهكم : هل هو يقنع بمنصب الوزارة أو يعتبر نفسه شريكاً له في الملك ؟ ثم أخبره أن أقرباءه «لا يقنعون بالمناصب العالية في الدولة بل يظهرون كثيراً من التبعج والرغبة الذين لا يمكن الإغضاء عنها . واستاء الوزير العجوز من هذه الكلمات العنيفة التي كالمها له «ملكشاه» وأحس بأن مليكه مدين له بكثير مما ناله من خير ، فقال في رغبة وغلظة : «إن الذي وضع التاج على رأسك قد وضع القلنسوة على رأسي ...» وأضاف إلى ذلك عبارات خشنة أخرى^(٢) ، نقلها الحاضرون إلى السلطان في كثير من المبالغة والتهويل ، فأمر ملكشاه بجزله وتولية «أبي الفنا» تاج الملك في مكانه^(٣) ؛ وقد اقترنت هذه الحركة بكثير من التغيرات الوزارية الطائشة فاستبدل «كمال الدين أبو الرضا» بـ «سيد الملك أبي العالي» كما استبدل

(١) هو ابن ابنه «جمال الدين» الذي أمر «ملكشاه» بدس السم له قبل ذلك بعشر سنوات فمات مسموماً .

(٢) يورد ابن الأثير تفصيلات هذه الحادثة في كثير من الإيضاح (ج ١٠ ص ٧٦ - ٧٧) ولكنني زويت هنا ماورد في «راحة الصعور» (ورقة ٥٨) فقد استرعت روايته أنظار جميع الكتاب الذين تناولوا هذه الواقعة بالبحث .

(٣) كان «تاج الملك» من أقرب المقربين إلى «تركان خاتون» كما ذكرنا ذلك آنفاً .

«شرف الملك أبوسعبد» بـ «مجد الملك أبي الفضل القمي». والمأثور عن هذا الأخير أن «أباطاهر الخاتوني» هجاء لبخاه بمقطوعة فارسية تعتبر من أروع الأمثلة مما بقي من أشعاره^(١). وذكر «أبو المعالي النحاس» هذه التغيرات الوزارية فدمها في أبيات ترجمتها كالآتي^(٢):

- على عهد «أبي علي» و «أبي الرضا» و «أبي سعد» .
- كان الأسد يدخل حضرتك في وداعة الحمل أو أشد...!!
- وكان كل من يدخل إليك في تلك الأيام
- كأنه الرسول المزود ببسرى النصر والظفر والإقدام .
- وأما على عهد «أبي الغنائم» و «أبي الفضل» و «أبي المعالي»
- فقد أصبح كل شيء يلسع حتى الجشائش النامية على أرضك...!!
- فإذا كنت قد مللت خدمة «نظام الملك» و «كآل» و «شرف»
- فنبه إلى ما جره عليك «تاج الملك» و «مجد الملك» و «سيد الملك»...!

قتل نظام الملك :

ولم يعيش نظام الملك طويلا بعد عزله ، فبينما كان في رقعة «ملكشاه» في سفره من أصفهان إلى بغداد توقف في العاشر من رمضان سنة ٤٨٥ هـ = ١٤ أكتوبر سنة ١٠٩٣ م بالقرب من «نهاد» (ذلك المكان الخالد الذي أصيب عنده جنود الملك الساماني الأخير بالهزيمة الماحقة على أيدي المسلمين في منتصف القرن السابع الميلادي) فلما غربت الشمس وتناول «نظام الملك» طعام إفطاره هم بالذهاب إلى خيمة زوجه وأولاده ، فاعترض طريقه شاب ديلمى قد تزى بزى الساكنين ثم أخرج فجأة

(١) انظر ص ٦٠٠ من «مجلة الجمعية الملكية الآسيوية» سنة ١٩٠٢ وتوجد أمثلة كثيرة أخرى من أشعار هذا الشاعر في كتاب «المعجم في معاني أشعار العجم» تأليف شمس قيس طبع بيروت ضمن «سلسلة جب التذكارية» .

(٢) انظر المرجع السابق ، وكذلك ص ٤ من ترجمة شيفر لكتاب «سياسة نامه» وقد أورد «البنديري» ترجمة هذه الأبيات بالعربية ص ٦٣ .

خنجرًا من طيات ملابسه وطعنه به طعنة قاتلة . ولم يكن هذا المسكين الزيف في الحقيقة إلا عضواً في جماعة « الفدائيين » أو « الحشاشين » الذين اجتمعوا في ذلك الوقت حول « الحسن بن الصباح » وغيره من رؤساء « الدعوة الجديدة » (١) الإسماعيلية . ويقال إن هذه الحادثة كانت فاتحة لسلسلة أعمالهم المفزعة الجريئة ، ولكن ابن الأثير (٢) يذكر حادثة أخرى سبقتها ، تمثلت في قتل أحد المؤذنين في مدينة إصفهان ، ويقول إن « نظام الملك » عرض نفسه لانتقام هؤلاء الجماعة عند ما أمر بإعدام أحد انجارين بتهمة اشتراكه في قتل هذا المؤذن . يضاف إلى هذه الأسباب ، وإلى ما عرف من عدااء شخصي بين « الحسن بن الصباح » وبين هذا الوزير (كما تدلنا عليه قصتها المتداولة المعروفة) أن نظام الملك كان يظهر كثيراً من الكراهية والبغض للرافضة أو الشيعة ، وخاصة فريق السبعة منهم الذي كان من أقوى معتنقيه الإسماعيليون والحلفاء الفاطميون في مصر ؛ وهذا السبب الأخير يكفي وحده للكشف عن سبب قتله والقضاء عليه . وكذلك وجد فريق من الناس كان من رأيه أن « تاج الملك » الذي خلفه في الوزارة ، كان المحرض الحقيقي على ارتكاب هذه الجريمة التي ظنها في البداية ستساعده على تثبيت مكانته وتقوية نفوذه ، ولكنها أدت في الحقيقة إلى قتله هو أيضاً (٣) بعد أربعة شهور من مقتل « نظام الملك » .

وقد أحست أغلبية ساحقة من الناس الذين حكمهم « نظام الملك » مدة السنوات الثلاثين الماضية بكثير من الحزن لمقتله ؛ ومن المعروف في بلاد الشرق أن الشعراء قلما يمدحون وزيراً معزولاً ، ولكن ابن الأثير (٤) يخبرنا أن كثيراً من المرائي قيلت

(١) ابن الأثير يسميها « الدعوة الأخيرة » انظر ج ١٠ ص ١٠٨ . ويجب أن نذكر أن الفرقين يعملون دائماً إلى أن ينسبوا قتل العظماء إلى فرقة من فرق الملاحدة حتى يبرروا بعد ذلك اضطهادها ، ومن أمثلة ذلك أنه عند مقتل « ناصر الدين شاه » نسبوا قتله إلى « البائية » ولكن ثبتت بعد ذلك براءتهم من كل صلة بهذه الجريمة .

(٢) انظر ابن الأثير ج ١٠ ص ١٠٨ ، فهو يذكر أيضاً أنه في سنة ٤٤٠ هـ = ١٠٤٨ م قتل « آق سنقر » بيد واحد من الباطنية أو الإسماعيلية .

(٣) قتله جماعة من أتباع « نظام الملك » في فبراير سنة ١٠٩٣ م = ٤٨٦ هـ .

(٤) انظر ابن الأثير ج ١٠ ص ٧١ .

فيه ، من بينها المراثية العربية التي قالها «شبل الدولة»^(١) وفيها البيتان الجليلان الآتيان :
 كان الوزير نظام الملك لؤلؤة يتيمه صاغها الرحمن من شرف
 عزت فلم تعرف الأيام قيمتها فردها غيرة منه إلى الصدف
 ويروى صاحب «چهار مقاله»^(٢) أن منجاشهيراً اسمه «الحكيم الموصلي» أخبر
 «نظام الملك» أنه سيموت بدموته «أى موت الحكيم الموصلي» بستة أشهر، فلما وصات
 الأنباء من نيسابور في ربيع سنة ١٠٩٢ م = ٤٨٥ هـ بأن هذا النجم قد مات ،
 وكان «نظام الملك» يعتمد فيما يقوله ويؤمن بصحته ، أخذته رجفة شديدة ،
 وأخذ يعد معدات جنازته ويتجهز لاستقبال الموت ، ولم يكد الحريف ينشر نأسأه
 في الآفاق حتى حان حينه وتحققت هذه النبوءة العجيبة .
 ويشير «ابن الأثير»^(٣) إلى حكايات كثيرة كانت متداولة عن «نظام
 الملك» حتى زمانه (أى القرن الثالث عشر الميلادى والسابع الهجرى) وقد زخرت
 كتب التأخرين بمثل الحكايات ، ومن بينها الحكاية المتحلة التي يرويها بعض الناس
 على أنها من الأخبار التاريخية الموثوق بصحتها ، وخلصتها أن «نظام الملك» بينما كان
 يلفظ أنشاسه الأخيرة إثر الجرح الذى أصابه ، كتب الأبيات الآتية وبعث بها إلى
 «ملكشاه»^(٤).

سى سال ياقبال تو اى شاه جوانبخت
 زنگ ستم از چهره آفاق ستردم
 طغراى نيكو ناي ومنشور سعادت
 پيش ملك العرش بتوقيع تو بردم

-
- (١) هذا الشاعر هو الذى حدثنا عنه دولتشاه (م ٩) بأنه أنشأ قصيدة عربية من أربعين بيتاً
 فى مدح «مكرم بن العلاء» مطلعها :
 دع العيس تذرع عرس الفلا إلى ابن العلاء وإلا فسلا
 وقد أعطاه ابن العلاء كيساً مليئاً بالذهب لقاء هذه القصيدة وقال له : لو ساعدنى الفنى لجمعت
 لك كيساً من الذهب لقاء كل بيت من أبيات هذه القصيدة . . . !!
 (٢) انظر الحكاية السادسة والمفهرين .
 (٣) انظر ج ١٠ ص ٧٢ .
 (٤) انظر تذكرة الشعراء ص ٥٩ ، وكذلك تاريخ گريده طبعة گاتان ج ١ ص ٢٣٠ .

چون شد ز قضا مدت عمرم نود و شش
 در حدّ نیاوند ز يك زخم بمرم
 بگذاشتم آن خدمت دیرینه بفرزند
 اورا بخدا و بخداوند سپردم
 ومعناها :

- یاقبالک علیّ... ثلاثین عاماً أيها الملك السعيد... (۱)
 استطعت أن أصقل صدأ الظلم عن وجه الآفاق .
 — ولقد حملت إلى «رب العرش» ممهوراً بتوقيعك
 منشور السعادة ، وطرءاء المناءة
 — فلما انقضى من أجلى ستة وتسعون عاماً
 أصابتني ضربة قاتلة بالقرب من «نیاوند»
 — فتركت تلك الخدمة الطويلة ليتولاها ولدى
 وانی لأتركه وديعة في يد الله ويد مولای وسیدی الملك ...
 ولقد سبق لى أن أشرت في مكان آخر (۲) إلى أن البيت الأخير من هذه الأبيات
 مروى بصورة تختلف قليلاً عن النص الذي ذكرناه ، وأنه من غير شك من إنشاء
 الشاعر «برهانی» شاعر السلطان «ملکشاه» . وأنه قاله لمولاه عندما أوصاه بإبته
 «العزى» الذي نال رضا مولاه وأعجب أباه على إمارة الشعر ؛ أما الأبيات الثلاثة
 الأولى فتمتحة للأسباب الآتية :
- أولاً : أن صاحب «چهارمقاله» حدثنا بأن «نظام الملك» لم يكن يقنر الشعراء ،
 لأنه لم يكن على شيء من الدراية بفهم .

(۱) قصد التعديد على وجه الدقة ثلاثين عاماً لأنه تولى الوزارة من سنة ۱۰۶۳ إلى ۱۰۹۲ م = ۴۵۰ - ۴۸۵ هـ ؛ ولكن «دولت شاه» يذكر بديل كلمة «سى» بمعنى ثلاثين كلمة «چل» بمعنى : أربعين .
 (۲) ترجمة براون لكتاب «چهارمقاله» ص ۶۷ .

ثانياً : أن «نظام الملك» كان له من العمر خمسة وسبعون سنة عند وفاته ، ولم يصل إلى السادسة والتسعين .

ثالثاً : أن أولاد «نظام الملك» الكثيرين نالوا جميعهم أرقى المناصب في مملكة «ملكشاه» بحيث لم يكن غيرهم يطعم فيما نالوه أو يفكر في ضرورة الحصول على ما فازوا به .

وإنى أريد أن أذكر هذه الحقيقة لأنها من أقوى الأدلة التي تبرهن لنا عن ميل الشعوب وخاصة الفرس ، إلى نسبة الحكايات الشهيرة والأشعار الجميلة والأقوال الماثورة والحوادث الرائعة ، إلى الأشخاص المعروفين المشهورين ، ومن أجل ذلك ، وكما أشرت سابقاً ، نسبوا طائفة كبيرة من رباعيات الشعراء المغمورين إلى «عمر الخيام» ؛ ومن أجل ذلك أيضاً سئى أنهم يحكون جملة من الحكايات عن «ناصر خسرو» و «الحسن بن الصباح» لم تكن في الحقيقة مما يتصل بهما ولكنهم اقتبسوها من سير أناس مغمورين غير معروفين .

موت ملكشاه :

لم يعيش «ملكشاه» أكثر من شهر واحد بعد مقتل وزيره الذي جازاه جزاء ستمار ، فبعد أقل من ثلاثة أسابيع من موت «نظام الملك» ، خرج «ملكشاه» في السادس من نوفمبر سنة ١٠٩٢ = ٤٨٥ هـ للصيد فأصابه برد أو أكل طعاما لم يناسبه فجموه لعله يبرأ من علته ، ولكن الحمى لازمته حتى مات بعلته في التاسع عشر من شهر نوفمبر (الثالث من شوال) ، فرثاه الشاعر «معزى» بهذين البيتين المعروفين :

رفت در يك مه بهردوس برين دستورير

شاه برنا در پی او رفت در ماه دگر

ای دریغا آنچنان شاهى ووزیرى اینچنین

قهر یزدانى به بین وعجز سلطانى نگر (١)

ومعناها :

— في شهر ... ذهب الوزير العجوز إلى جنة الخلد والمآب .

وفي الشهر التالي تبعه الملك مكتعل النضرة والشباب

— فواحننا ... على الملك ... وبأ أسفا على هذا الوزير

وبأ عجباً ... لعجز السلطان وقهر الله وسطوة المقادير ... !!

و « معزى » هو أيضاً نفس الشاعر الذى قال الرباعية الآتية عند عزل « نظام الملك » وتولية خصمه « تاج الملك » فى مكانه :

نشأخت ملك سعادت اختر خویش در منقبت وزیر خدمت گر خویش
بگماشت بلای تاج بر لشکر خویش تا در سر تاج کرد تاج سر خویش^(١)

ومعناها :

— لم يستطع الملك أن يقدر ما لنجمه من سعد كامل
عندما أعطاه الله وزيراً خدوماً ، يمتاز بكثير من الفضائل

— فوكل على عسكره « تاج الملك » فما زال يصب عليهم بلاءه
حتى جعل الملك تاجه على رأس « تاج الملك » ... !!

وقد ذكر صاحب « راحة الصدور » أن ولادة ملكشاه كانت فى سنة ٤٤٥ = ١٠٥٣ م ؛
أما « ابن الأثير » فقد جعلها بعد ذلك بستين ، وفى كلتا الحالين لم يبلغ ملكشاه الأربعين
من عمره عند وفاته .

قصة نظام الملك والصباغ والخبام :

تحدثنا إلى الآن عن « نظام الملك » ذا كرين الأخبار التى رواها عنه أقدم المؤرخين
وأصدقهم ، ولكن هناك جملة من الأقاصيص التى تتصل به ، أشار إليها « ابن الأثير »
فى تاريخه ، ونال بعضها كثيراً من الشهرة وبعد الصيت ، وأصبحت فى العصور الأخيرة

موضع الثقة والتصديق في البلاد الآسيوية والأوروبية بحيث نجد من العسير علينا أن تنغاضى عن ذكرها في كتاب مثل كتابنا هذا . وأروع هذه القصص وأكثرها ذبوعاً هي القصة (١) التي تربط بينه وبين الرجل الرهيب «الحسن بن الصباح» ، مؤسس «الدعوة الجديدة» الذي أجمعت الأدلة على أنه كان على صلة بمقتله فيما بعد . وهذه القصة يعرفها كل المعجبين بـ «عمر الحيام» ورباعياته (٢) وهي تشتمل على كثير من المصاعب المتصلة بالتواريخ المتناقضة التي لا يمكن التوفيق بينها ، لأن أهم المصادر التي ذكرتها هي «الوصايا» التي ينسبونها إلى «نظام الملك» وقد ثبت قطعاً أنها متحلة عليه (٣) ؛ ومن أجل ذلك فإن كبار النقاد لم يترددوا في رفض هذه الرواية التي تفترض أن رجلين من أشهر الرجال هما «الحسن بن الصباح» و «عمر الحيام» [وقد ماتا في سن غير معلومة فيما بين سنتي ٥١٧ و ٥١٨ = ١١٢٣ و ١١٢٤ م] كانا من زملاء «نظام الملك» في الدراسة أيام الشباب . والمعروف عن «نظام الملك» أنه ولد في سنة ٥٠٨ = ١٠١٧ م وعلى ذلك فليس من اليسير أن نتوقع أن هذين الشخصين بالذات يعيشان إلى أن يبلغا المائة من العمر ؛ حتى لو فرضنا احتمال ذلك لكانا أصغر سناً بكثير من «نظام الملك» الذي يبدو أنه فرغ من دراسته وتحصيله والتحق بالخدمة العامة في سن مبكرة صغيرة (٤) . وقد أثار هذا الاعتراض بشدة الأستاذ «هوتسما» في مقدمته على «البندياري» وهو يرى في دقة ورجحان ، أن «نظام الملك» لم يكن زميلاً في الدراسة للشاعر النجم وصاحبه شيخ الحشاشين ، بل كان زميلهما في الحقيقة هو «انو شيروان بن خالد»

(١) انظر «ابن الأثير» وغيره من الكتب والمصادر وكذلك «البندياري» ص ٦٧ .
 (٢) هذه القصة المذكورة في مقدمة الطبعة المختلفة لترجمة «فيتزجيرالد» للرباعيات ، وكذلك ذكرها «هوينفلد» في طبعته للرباعيات وترجمتها .
 (٣) ذكر «إتيه» في مقالته عن الأدب الفارسي الحديث (بالجزء الثاني من المجلد في الدراسات اللغوية الإيرانية ص ٣٤٨) أن كتاب «الوصايا» يرجع تأليفه إلى ما بعد القرن الخامس عشر الميلادي ولكنه مع ذلك يرى أن أصوله ترجع إلى زمن أسبق من ذلك . ومن هنا نجد أن «إتيه» يعطيه شيئاً من الأهمية على عكس «ريو» . انظر كتالوج المخطوطات الفارسية ص ٤٤٦ .
 (٤) هناك من الأدلة ما يرجع أن نظام الملك تعرف بالحسن بن الصباح قبل ذهاب الأخير إلى مصر انظر «ابن الأثير» تحت سنة ٥٩٤ هـ ج . ص ١١٠ .

الوزير اللاحق الذي وزر الأمير السلجوقي «محمود بن محمد بن ملكشاه» الذي حكم فيما بين سنتي ١١١٧ و ١١٣١ م = ٥١١ و ٥٢٦ هـ . وقد أشار هذا الوزير في تاريخه^(١) ، عند حديثه عن نشأة الحشاشين أو الملاحدة ، إلى أنه تعرف في شبابه بجامعة من قادتهم ، وتلقى العلم على بعضهم « وخاصة رجل من الري جاب العمورة وطوف في آفاقها وكان يشتغل بالكتابة والإنشاء . » ولن تردى في خطأ إذا قدرنا أن هذا الرجل الذي أشار إليه « انوشيروان » في هذه العبارة إنما هو « الحسن بن الصباح » بعينه . وإذا صح هذا الفرض العجزي ، فلدينا مثل آخر لتلك الظاهرة التي تحدثنا عنها أكثر من مرة ، والتي تحدد الناس إلى نسبة الحوادث الرائعة إلى الرجال المتأثرين العروفين . والتواريخ في هذه الحالة الأخيرة لا تعارض مع بعضها بل تتفق كثيراً فيما بينها ، فقد ورد في كتاب « عيون الأخبار »^(٢) أن « أبا نصر انوشيروان بن خالد بن محمد الكلثاني » ولد في مدينة الري (وبها ولد الحسن بن الصباح) في سنة ٤٥٩ هـ = ١٠٦٦ م وأنه تولى الوزارة للأمير السلجوقي محمود ، وكان في رفقته إلى بغداد في سنة ٥١٧ هـ = ١١٢٣ م ، ثم تولى الوزارة بعد ذلك للخليفة المسترشد فيما بين سنتي ٥٢٦ و ٥٢٨ هـ = ١١٣٦ و ١١٣٣ م ، وتوفي في سنة ٥٣٢ أو ٥٣٣ هـ = ١١٣٨ أو ١١٣٩ م . وعلى هذا فمن المحتمل كإستفاد من عبارته أنه هو الوزير الذي كان زميلاً في الدرس لمواطنه الخطير « الحسن بن الصباح » ومع ذلك فهذه القصة التي درسناها تستند في الحقيقة إلى مصدر آخر موثوق به ، يسبق جميع هذه المصادر المتأخرة التي ذكرتها من قبيل « الوصايا » و « روضة الصفا » و « تاريخ ألفي » . وقد ذكرت ذلك في متالتي التي نشرت في مجلة الجمعية الملكية الأسيوية بعنوان « أضواء أخرى تكشف عن الحيام »^(٣) وقلت أن هذه القصة بعينها قد أوردتها المؤرخ الكبير « رشيد الدين فضل الله » المتوفى سنة ١٣١٨ م = ٧١٨ هـ في

(١) هذا التاريخ هو الأساس الذي اعتمد عليه « البنداري » في كتابه ؛ انظر ص ٦٦-٦٧ .

(٢) انظر مخطوطة كامبردج رقم Add. 2.922 ص (١٢٦ - ١) ولم يكن « هو » كما يعرف بأمر هذه المخطوطة فقال : إن تاريخ ولادته غير معلوم .

(٣) انظر عدد أبريل سنة ١٨٩٩ ص ٤٠٩ - ٢٢٠

كتابه القيم « جامع التواريخ » وقد نقلت عن هذا الكتاب (١) نص هذه القصة ونبرته هو وترجمته في مقالتي التي ذكرتها آنفا . والمصدر الذي ينسب إليه رشيد الدين هذه القصة هو كتاب من كتب الإسماعلية اسمه « سرگذشت سيدنا » أو « سيرة سيدنا » وهو كتاب عن تاريخ « الحسن بن الصباح » كان بين كتب الملاحدة التي وجدت في قلعة الحشاشين الحصينة « الموت » عندما استولت عليها جيوش « هولاكوخان » المغولية في منتصف القرن الثالث عشر الميلادي (السابع الهجري) وقد رآه وخص مشتملاته « عطا ملك الجويني » كما حدثنا بذلك في كتابه تاريخ « جهان گشا » (أو تاريخ فاتح العالم ويقصد به چنگيزخان) ، قبل أن يلقى به بعد ذلك في النار لتلتهمه مع سائر الكتب التي اشتملت على تعاليم الإلحاد والملاحدة . وما يشير الدهشة حقا أن صاحب « جهان گشا » قد اعتمد على هذه السيرة كثيرا في كتابة الجزء الخاص بالإسماعلية أو « الحشاشين » ، وهو الموجود في الجزء الثالث والأخير من تاريخه الكبير عن غزوة المغول ، ولكنه مع ذلك لا يشير إلى هذه القصة العجيبة على الإطلاق .

نشأة الحشاشين :

والحشاشين مكان الصدارة في تاريخ هذا العصر وتاريخ القرنين التاليين له ، وقد استطاعوا بواسطة الأعمال التي قام بها فرعهم الشامي أيام الحروب الصليبية أن يجعلوا اسمهم مرهوبا في أوروبا حتى لنجد لزاما علينا في هذا المقام أن تفصل الحديث عن نشأتهم وعن معتقداتهم حتى نيسر للقارئ فهم الإشارات الكثيرة التي تشير إليهم فيما يلي من فصول . وقبله درست بالتفصيل في الجزء الأول من هذا الكتاب (٢) مذهب الشيعة ونشأتهم وتعاليمهم ؛ كما درست الشعبين الهاميين اللتين ينقسم إليهما هذا المذهب وهما فريق « السبعة » أو الإسماعلية ، وفريق « الاثني عشرية » ومذهبهم

(١) نص هذه القصة وارد في الورقة ٢٩٢ ب في مخطوطة المتحف البريطاني رقم Add7.628

(٢) انظر « تاريخ الأدب في إيران ، منذ أقدم الأزمنة إلى زمن الفردوسي » ص ٢٢٠ —

٢٤٧ و ٢٩٦ و ٣١٠ وما يتبعها (من الأصل الانجليزي) ، وعلى الأخص الفصل الثاني

عشر عن الإسماعلية والقرامطة أو فريق السبعة

هو المذهب الرسمي لإيران في الوقت الحاضر . ولا شك أن إعادة مختصرة لما ذكرته من حقائق في الجزء السابق ستكون كبيرة الفائدة للقارئ الذي ليس في متناوله الآن الحصول على ذلك الجزء .

السبعة :

كلمة « شيعة » بمعنى جماعة أو حزب ، و « شيعة على » بمعنى جماعته أو حزبه . و « على » هو ابن عم الرسول ، وزوج ابنته ، ووالد الحسن والحسين وجد جميع الأئمة الذين يعترف بإمامتهم التشيعيون أو أهل الشيعة . وفي رأى أهل السنة من المسلمين (الحنفية والشافعية والمالكية والحنبلية) أن علياً هو رابع الخلفاء الراشدين وآخرهم ، وهو لا يمتاز في شيء عن أسلافه الثلاثة الآخرين (أبي بكر وعمر وعثمان) كما لا يمتازون هم أيضاً عنه في شيء . أما الشيعة فيرون أنه الشخص الوحيد الحقيقي بخلافة الرسول لقربته منه ولزواجه من ابنته ؛ وقد انتقل حقه هذا في الخلافة إلى أبنائه وذريته ؛ وفي بعض الناس منذ أقدم الأزمنة ميل إلى تعظيم « على » والارتفاع به إلى مراتب الآلهة ، ولإزالة هذا الاعتقاد موجوداً في طائفة كبيرة من الإيرانيين يسمون أنفسهم بـ « العليّ الهيين » وهم يعتقدون - كما تدل على ذلك تسميتهم - بأن علياً ماهو إلا تجسيد لله

ومنذ أقدم الأزمنة أيضاً ، والفرس يعتقدون اعتقاداً جازماً بالحق الإلهي ، ويكرهون كراهية شديدة فكرة الانتخابات الشعبي الديمقراطية التي تستولى على طبيعة العرب ومشاعرهم ، ومن أجل ذلك فقد كان طبعياً أن يصبح الفرس عماد الحزب الشيعي ؛ وهم يعتقدون في أن والده الإمام الرابع « علىّ زين العابدين » كانت أميرة من أمراء البيت الملكي الساساني . ولا شك أن هذا المعتقد كان من أقوى العوامل التي دفعتهم إلى أخذ البيعة لهذا الإمام ولأعقابه من بعده .

والشيعة يتفقون في أن علياً وأعقابه هم الخلفاء الوحيدون للرسول ، وهم الناشرون لدينه وتعاليمه ، ولكنهم يختلفون فيما بينهم في عدد الأئمة وأسمائهم ، ففريق « السبعة » وفريق « الإثني عشرية » (وهما أهم فرقتي الشيعة نهم بهما في هذا البحث) يتفقان في تسلسل الأئمة حتى الإمام السادس « جعفر الصادق » ثم يفترقان

بمعد ذلك ، يرى فريق «السبعة» أن الإمام السابع والأخير هو ابنه الأكبر «إسماعيل» بينما يرى فريق «الاثني عشرية» أن الإمام الذي أعقب الإمام السادس هو ابنه الأصغر «موسى» ثم أعقبه حتى الإمام الثاني عشر أو «المهدي» الذي قالوا عنه أنه اختفى من الأرض عند «سرّ من رأى» في سنة ٢٦٠ هـ = ٨٧٣ م وأنه سيخرج من عزله في نهاية الزمان فيملأ الأرض عدلاً وإحساناً بعد امتلائها بالظلم والعدوان ؛ ولا زال متشيعه القرس إذا ذكروه في أحاديثهم يتبعون عبارتهم بالدعاء له قائلين : «رد الله غرته وعجل عودته ورجعته !!!» .

المعتزلة والفرقة :

ومعتزلة الشيعة قمعوا معتدماً على أن علياً وذريته هم أولى الناس بالخلافة النبي ورئاسة المسلمين ، ومن أجل ذلك قسّد كانوا مكروهين سياسياً من خلفاء دمشق وبغداد ، لأنهم كانوا في نظرهم معتصبين للخلافة ؛ يضاف إلى ذلك أنهم كانوا يختلفون كثيراً مع أهل السنة فيما يتعلق بعدد من المسائل الفقهية الأخرى . وإلى هؤلاء المعتدلين تشير كتب التراجم والتاريخ التي كتبها رجال من أهل السنة بالعبارة التي تصادفنا كثيراً وهي : «تشيع وحسن تشيعه» أي أنه كان من المعتدلين في آرائهم ومعتقداتهم . ولكن إلى جانب هؤلاء كان فريق آخر من الشيعة يعرفون بـ «الغلاة» لم يكنفوا بأن يعتقدوا أن علياً والأئمة قد تجسد الله فيهم ، ولكنهم تعدوا ذلك إلى الاعتقاد في طائفة من المذاهب الأخرى كالرجعة والحلول وما شابه ذلك من الآراء التي تخالف تعاليم الإسلام تمام المخالفة ؛ وقد انطوت الأثرية من هؤلاء الغلاة تحت بواء «السبعة» أو شيعة الإمام السابع «إسماعيل» .

الإسماعيلية :

وأهمية الإسماعيليين السياسية بدأت في الظهور في القرن العاشر الميلادي (= الثالث الهجري) بتأسيس الدولة الفاطمية التي سميت كذلك ، كما يقول مؤلف «جامع التواريخ» لاستناد خلفائهم فيما ادعوه من سلطة زمنية وروحية إلى نبل أصلهم وتسلطهم من «فاطمة» بنت النبي ومن أجل ذلك فقد عرفوا بأسماء مختلفة تتساوى

في مدلولاتها . منهم « علويون » نسبة إلى علي ، وهم « فاطميون » نسبة إلى فاطمة .
 وهم « إسماعيليون » نسبة إلى الإمام السابع إسماعيل ؛ ومع ذلك فإن سلسلة النسب
 التي أرادوا أن يستندوا إليها في إثبات دعواهم العريضة كانت محللا اعتراض خصومهم
 من الخلفاء العباسيين ، وقد طعنوا فيها مراراً في سنة ٤٠٢ هـ = ١٠١١ م وفي سنة
 ٤٤٤ هـ = ١٠٥٢ م وأعلنوا أنهم في الحقيقة من ذرية الملحد الفارسي « عبد الله بن
 ميمون القداح »^(١) الذي رأى في فريق الإسماعيلية الذي ظل مسالماً حتى ذلك الوقت ،
 وسيلة صالحة لنشر تعاليمه الباطنية وآرائه المتطرفة ، لكي يتسنى له بذلك الوصول إلى
 غاياته السياسية ومطامعه الدنيوية .

الدولة الفاطمية

والدولة الفاطمية التي نشأت في شمال إفريقيا ومصر ، تحقق وجودها السياسي
 الذي حافظت عليه^(٢) ، بواسطة نشر الدعوة الدينية في سائر ديار الإسلام وخاصة إيران ،
 على يد جماعة من أمهر « الدعاة » الذين كانت لهم خبرة عميقة بالنفوس البشرية
 وبالأساليب التي يمكن بواسطتها إغراء العقول المختلفة باعتراف مذاهبهم الغريبة . وإذا
 شئنا المقابلة بين هؤلاء الدعاة وأمثالهم من الأوروبيين أمكننا أن نشبههم « سائعي
 الجزويت » كما أمكننا أن نشبه رؤساءهم من الإسماعيليين بفريق « البابوات » . ورد
 الذين نشأوا في المشرق في هذا العصر . وكان من دأب الدعاة أن يسروا « تعاليمهم »
 بأي وسيلة يرونها صالحة للوصول إلى أغراضهم ، وهم يجعلون « التعليم » مبنياً على
 تفسير الآيات القرآنية بطريق « التأويل » ويؤكدون أن أئمتهم دون غيرهم هم الحفظة
 والوارثون لهذه التأويلات ، ومن أجل ذلك فقد أسموهم أحياناً بـ « المعلمين »
 كما كانت تعاليمهم « باطنية » فأسموهم أيضاً بـ « الباطنيين » ، حتى إذا تأسست
 « الدعوة الجديدة » عرفوا بعدها على الخصوص باسم « الملاحدة » .

(١) مات عبد الله بن ميمون القداح في سنة ٢٦١ هـ = ٨٧٤ م وهي نفس السنة التي
 اختفى فيها الإمام الثاني عشر .

(٢) استمرت هذه الدولة من سنة ٩٠٩ م إلى ١١٧١ م = ٢٩٧ هـ إلى ٥٦٧ هـ فلما كان
 الخليفة الفاطمي الرابع عشر تغلب عليه « صلاح الدين » واستولى منه على عرش مصر .

مذهب الإسماعيلية

ومذهب الإسماعيلية مذهب فذ معقد ، وقد تحدثت عنه في شيء من التفصيل في الجزء الأول من هذا الكتاب ، وحسبي أن أذكر هنا أنه يمتاز بغنى في مراجعه ومصادره ، وقد أورد الكثير منها في دقة وتمحيص «دى ساسى»^(١) و«جويارد»^(٢) و«دى جويه»^(٣) في مؤلفاتهم القيمة الفائقة ، ولكن لازالت بقية منها لم تطبع حتى الآن^(٤) موجودة في تاريخ «جهان كشا» و«جامع التواريخ»

العدد سبعة في مذهب الإسماعيلية :

ومذهبهم في جلته فلسفي باطني ، قد استمد كثيرا من أسسه من المذاهب الإيرانية والسامية القديمة ، كما تطرقت إليه بعض تعاليم «الأفلاطونية الحديثة» و«الفيثاغورية الحديثة» وهو مبني في كل تفاصيله على العدد الخفي «سبعة» ؛ فهناك سبع فترات في فترات الأنبياء والرسل (آدم ، نوح ، إبراهيم ، موسى ، عيسى ، محمد ، محمد بن اسماعيل) وكل واحد من هؤلاء الأنبياء السبعة أعقبه سبعة من الأئمة ؛ وأول كل سبعة من هؤلاء الأئمة هو الإمام الصديق وهو «صامت» ولكن «ناطق» و«رئيس» و«أساس» و«أصل» أو «أس» ؛ وآخر كل سبعة من هؤلاء الأئمة يعقبه اثني عشر «تقيا» ، تنتهي الفترة النبوية بالأخير منهم لتبدأ بعدها فترة نبوية أخرى . فالفترة النبوة السادسة التي بدأت بـ «محمد» قد بلغت نهايتها على يد الإمام السابع «إسماعيل» وتقبائه ؛ وبدأت بعد ذلك الفترة النبوية السابعة على يد «محمد بن اسماعيل» الذي ادعى الخليفة الفاطمي الأول «عبد الله المهدي» بأنه من خلفته وسلالته .

(١) أنظر De sacy: Exposé de la Religion des Druzes (Paris, 1838)

(٢) أنظر Guyard : Fragments Relatifs à la Doctrine des Ismaélis

(Paris, 1874.) ; Un Grand Maître des Assassins (Paris, 1877)

(٣) أنظر De Goeje : Memoires sur les Carnathes du Bahrain

et les Fatimide (Leyden . 1886)

(٤) المترجم : نشر أخيراً الجزء الثالث من تاريخ «جهان كشا» ضمن سلسلة جب

التذكارية وهو الجزء الذي يتضمن تاريخ الإسماعيلية وتم بذلك طبع هذا الكتاب برتمه .

وهذه الفترات النبوية السبع ، تقابل ، من ناحية ، مراتب الوجود الخمس (١) التي إذا اضيف إليها «الله» و «الإنسان» تكونت منهم أجمعين «طبقات الكون السبع» ؛ وهي ، من ناحية أخرى ، تمثل «القمامات السبع» التي يحب على «المريد» أو العضو الجديد أن يجتازها حتى يصل إلى لب المذهب وقراراته . (١) . وكل هذه المراسم الدينية أو الظواهر الكونية ماهي في الحقيقة إلا تمثيل لهذه الحفايا الباطنية التي هي مظهر ديني رائع يجده رجل العلم والباحث المدقق خلوا من كل معنى ومنطق ، ولكنه لدى أتباعه ومعتقديه مشحون بمفاتيح الجلال والسحر العجيب . وقد ذكر لنا «دى ساسي» في أبحاثه أن أول ما كان يهتم به «الداعى» في دعوته هو أن يثير التساؤل وحب الاستطلاع في نفس العضو الجديد فيجعله يتساءل عن الدلالات الباطنية لكل ما يعترضه من أمور ؛ وكان الداعى يصل إلى ذلك بأن يوجه إليه أسئلة على النمط الآتي ... !

- لماذا خلق الله الكون في سبعة أيام .. ؟
- لماذا خلق الله سبع سموات ، وسبع أرضين ، وسبع بحار ، ولماذا جعل «فاتحة» القرآن من سبع آيات ... ؟
- لماذا كان العمود الفقري يشتمل على سبع فقرات في العنق ، واثنى عشرة فقرة في الظهر (٢) .

أما اعتراض المعارضين بأن الأنبياء الذين ذكروهم «الإسماعيلية» لم يعلموا مثل هذا المذهب ولا أى مذهب آخر قريب منه ، فقد أجابوا عليه بأن الحكمة الإلهية قد اقتضت عند ظهور النبي محمد أن تخفى تعاليم مذهبهم ، فلا يكشف عنها إلا بعد موته .

(١) هذه المراتب مع ما يكشف فيها من تعاليم المذهب مشروحة بالتفصيل في كتاب «دى ساسي» ج ١ ص ٧٤ — ١٣٨ ، وقد ذكرتها في الجزء الأول من هذا الكتاب ص ٤١١ — ٤١٥ .

(٢) فقرات العنق تمثل الأئمة السبع الذين يحملون الرأس في كل فترة من الفترات ، ويمينهم على ذلك النقباء الاثنى عشر .

وكان الغرض الأساسي الذي يهدف إليه الداعي الإسماعيلي هو أن يقرى المريد بأن يقسم يمين البيعة له وللإمام الذي يمثلها ، وأن يؤيد ذلك بدفع إتاوة تؤخذ لحساب الإمام ، دليلاً على طاعة المريد له ، ومساهمة منه في تعزيد المذهب الذي انتسب إليه .

المستنصر :

في هذه الفترة التي تحدث عنها في هذا الفصل كان المستنصر (أبو تميم معد) الخليفة الفاطمي الثاني الذي ولي الحكم من سنة ١٠٣٥ إلى ١٠٩٤ = ٤٢٧ إلى ٤٨٧ هـ ، هو الرئيس الأعلى للإسماعيليين ، ولم يلبث أن مات حتى تناقص إبنائه « المستعلي » و « نزار » في وراثته مما أدى إلى انقسام الإسماعيلية إلى فريقين متنازعين ، أحدهما غربي انضم إليه أهل مصر والشام وشمال أفريقيا ، والآخر شرقي انضم إليه أهل إيران وما زال يمتد حتى شمل الشام فيما بعد ، ويتكون منه جماعة « الحشاشين » المعروفين .

وقد سبق « المستنصر » إلى الخلافة الفاطمية ، الخليفة المشرك في جنونه « الحاكم بأمر الله » وقد حكم مدة من ازمان امتازت بالجنون والظلم ثم انتهت بادعائه الألوهية واختفائه ذلك الاختفاء الذي لا شك في أنه قتل فيه على يد واحد من ضحاياه المظلومين الذين غاظمهم جورهم واحتقنهم غلظته ، ومع ذلك فإن جماعة من أتباعه المعبين به وهم أجداد الدروز الموجودين في سوريا في الوقت الحاضر ، يعتقدون أن اختفائه ماهو إلا انسحاب واحتجاب عن نظرات العيون التي لا تستحق أن تتمتع بطلعته المقدسة (١) .

وقد زال الاضطراب الذي وقع إثر هذه الحادثة بعد ما تولى « المستنصر » العرش في سنة ١٠٣٥ = ٤٢٧ هـ ؛ واستمر حكمه مدة طويلة بلغت ستين سنة تقريباً ،

(١) يذكر ابن الأثير تحت سنة ٤٣٤ هـ أن واحداً من الأدعياء ظهر في القاهرة وأعلن أنه « الحاكم » وأنه عاد على ظهر الأرض ، وقد استطاع هذا الدعي أن يجمع حوله كثيراً من الخلق ومجئوا وهو على رأسهم على قصر المستنصر ولكنهم سرعان ما قبضوا عليه وصلبوه هو وجماعة من أتباعه ثم ألقوا عليه وأبلا من السهام حتى مات وكان اسمه « سكين » .

يمكن أن تعتبر بحق الأوج الذي وصلت إليه عظمة الإسماعيلية أو الدولة الفاطمية ؛ فقد امتد ملكهم ، رغم الحسارة التي حاقت بهم في مراکش والجزائر وتونس ، إلى شمال أفريقيا ومصر وصقلية ومالطة وأجزاء مختلفة من الشام وآسيا الصغرى وشواطئ البحر الأحمر ، ثم لم يلبث أهل « واسط » طويلا حتى اعترفوا في سنة ١٠٥٦ م = ٤٤٨ هـ بالمستنصر الفاطمي خليفة عليهم ، ولم تمض على ذلك سنتان حتى تبعهم أهل بغداد ، ولقد فقد المستنصر ولأهل مكة والمدينة فترة من الوقت (من ١٠٧٠ - ١٠٧١ م = ٤٦٣ - ٤٦٤ هـ) ولكنه سرعان ما استعادها في سنة ١٠٧٥ م = ٤٦٨ هـ ، وفي هذه السنة نفسها فقد سلطانه على مدينة دمشق ولكن جيوشه سرعان ما عوضوا هذه الحسارة باحتلال صور وصيدا وعكا في سنة ١٠٨٩ م = ٤٨٢ هـ .

ناصر خسرو :

وقد ترك لنا واحد من أعجب الرجال وأبنهم ممن أخرجتهم إيران ولن يوجد الزمان بمثلم ، وأعني به الشاعر الرحالة والداعي الإسماعيلي « ناصر خسرو » الملقب بين أتباعه بـ « حجة خراسان » ، ترك لنا وصفا راما لقصر المستنصر . ولحكمه الحازم العادل ، وللأمن والرفاهية اللذين عاشت فيهما الرعية ؛ وقد ذكر اسم « ناصر خسرو » في موضعين من « جامع التواريخ »^(١) مقترنا باسم خليفته الذي أعقبه في منطقة نفوذه^(٢) « الحسن بن الصباح » . فأما أولى هذه القطع فترجمتها كما يلي :

« وسمع ناصر خسرو بصيت المستنصر وشهرته فأتي من خراسان إلى مصر^(٣) وأقام بها سبع سنوات^(٤) وكان يؤدي فريضة الحج في كل سنة ثم يغود إلى مصر ، وجاء بعد الحج السابعة إلى مدينة البصرة^(٥) وخرج منها إلى خراسان ، حيث أخذ

(١) في الورقة ٢٨٦ - ١ والورقة ٢٩٠ - ١ من مخطوطة المتحف البريطاني الرقمية Add7.628

(٢) كان الإسماعيلية يسمون المنطقة التي يثبت فيها الداعي دعائيه باسم « البحر » .

(٣) أتى إلى مصر في أغسطس سنة ١٠٤٧ م = ٤٣٩ هـ كما يستفاد من كتابه « سفرنامه »

(٤) لم يرق « ناصر خسرو » في مصر إلا أربعة سنوات ونصف السنة ، ولكنه حج إلى مكة

سبع مرات وقد غاب عن ديار سبعة أعوام حصرية بالضبط (من جاد الآخر سنة ٤٣٧ هـ

إلى جاد الآخر سنة ٤٤٤ هـ = يناير سنة ١٠٤٦ م إلى أكتوبر سنة ١٠٥٢ م) .

(٥) كان ذلك في شعبان سنة ٤٤٣ هـ = ديسمبر سنة ١٠٥١ م

يقوم في بلخ بالدعاية للعوليين الذين في مصر^(٢)، وقد حاول خصومه قتله فهرب منهم إلى مرتفعات «سنگان» حيث بقي عشرين سنة يقتات بالعشب والماء، وخرج الحسن بن الصباح الحميري اليمني^(٣) من إيران وذهب إلى المستنصر بالله^(٤) وقد استخفى في ثياب نجار ثم استأذنه في الدعاية له في الأراضي الإيرانية فإذن له المستنصر بذلك، وانهز الحسن بن الصباح فرصة وسأله سرّاً عن الشخص الذي تكون له الدعاية بعد موته، فأجابه: لا بنى الأكبر نزار. ومن أجل ذلك فإن الإسماعيلية [في إيران] يعترفون بالإمامة لـ «نزار»^(٥)، وقد اختار سيدنا [أى الحسن بن الصباح] أن يقوم بالدعاية له في قلاع قهستان ..

الحسن بن الصباح

أما القطعة الثانية فطويلة جداً، ولا لزوم لترجمتها كاملة في هذا المكان. وهى مروية على أنها من أقوال «الحسن بن الصباح» نفسه التى ذكرها في كتاب «سر كذشت سيدنا»، وقد جاء فيها أن اسمه الكامل هو «الحسن بن على بن محمد بن جعفر بن الحسين بن الصباح الحميري» ولكنه لم يسمح لأتباعه بتسجيل نبيه وقال لهم: «إننى أفضل أن أكون الخادم المختار للإمام عن أن أكون ابنه الذى لا خير فيه» أما والده فقد جاء من الكوفة إلى مدينة «قم» وهناك ولد له «الحسن» فلما بلغ السابعة من عمره شغف شغفاً شديداً بالدراسة والتحصيل، حتى إذا بلغ السابعة عشرة من عمره كان قد استوعب جميع ما درسه وقرأه في استغراق ونهم.

(١) يقصد بهم الخلفاء الفاطميين .

(٢) ادعى أنه من سلالة ملوك اليمن الحميريين، وهو مولود في مدينة «الري» بالقرب من طهران الحالية، وربما جاء أجداده إلى إيران قبل ذلك بقرون عديدة. أما «جامع التواريخ» فيذكر أن أباه جاء إلى إيران من الكوفة، وأنه هونقه ولد في مدينة «قم».

(٣) كان ذلك في سنة ٤٧٩ هـ وفقاً لابن الأثير (ج ٩ ص ١٥٤ تحت سنة ٤٧٧ هـ) أما «جامع التواريخ» فيقول أنه جاء إلى مصر في يوم الأربعاء ١٨ صفر سنة ٤٧١ هـ (انظر الورقة ٣٩٠ ب).

(٤) أما الإسماعيلية في مصر فقد اعترفوا بالإمامة المستعلي، ويمثل المستعليين الآن في الهند جماعة البهوية (البهرة) وأما الزارية فيمثلهم فيها الآن أتباع «آغا خاله».

وكان إلى ذلك الوقت كأيّيه من أتباع «الإثنى عشرية» ولكنه سرعان ما وقع تحت تأثير واحد من الدعاة الفاطميين اسمه الأمير «ضراب»؛ [وقد سبق هذا الاسم في النص بالكلمات: «ناصر خسرو حجة خراسان»^(١) . مع عبارة أن الدعوة لم تصادف رواجاً على عهد السلطان محمود الغزنوي^(٢) ، ولكن أناساً كثيرين في إيران قد اعتنقوا المذهب الإسماعيلي من قبل مثل «أبي علي بن سيمجور» والأمير الساماني «نصر بن أحمد»^(٣)]. وتناقش «الحسن بن الصباح» كثيراً مع الأمير «ضراب» غير أنه لم يقتنع بآرائه . ولكن حدث في هذه الأثناء أن مرض «الحسن» مرضاً شديداً ، لم يكن يرجو الشفاء منه ، فكان ذلك المرض سبباً في ميله إلى مذهب الإسماعيلية ، فلما شفي منه أخذ يبحث عن دعاة إسماعيليين آخرين مثل «أبي النجم السراج» وشخص آخر يدعى «المؤمن» كان موكلاً بالدعوة من قبل الشيخ «أحمد بن عبد الملك بن العطاش» وكان من أهم دعاة الإسماعيلية في إيران كما ذكر ذلك البنداري^(٤) وابن الأثير^(٥) ، وقد انتهى أمر هذا الرجل بالقبض عليه وصلبه عندما تم الاستيلاء على

(١) النص هنا مضطرب وغير ظاهر ، ولست أدري هل المقصود بذلك إن كلمة «ناصر» سبقها عبارة «تحت تأثير» أو كلمة «كان» . ونميل إلى أن العبارة الأولى هي الأقرب إلى الاحتمال لأن «ناصر خسرو» رجع إلى إيران سنة ١٠٥٣ م = ٤٤٤ هـ ونحن نعلم من ابن الأثير (ج ١٠ ص ١١٠) أن الحسن بن الصباح كان متنبهاً بالتردد على مجالس «الدعاة الصريين» في مدينة الري ، وأنه اضطر في ذلك الوقت إلى الهرب منها ، ومن الجائز جداً أنه تقابل مع ناصر خسرو هناك . ولقد يساعدنا على فهم ذلك ما كان يحدث مع البائية في الأزمان الأخيرة ، فقد كان العضو الجديد للتحمس لهذا المذهب يقدم إلى واحد من أشهر الدعاة وأقدرهم ليكون موفداً من مركز الحركة للتبشير بين أتباعها في إيران .

(٢) يروي العيني في تاريخه (طبع القاهرة ج ٢ ص ٢٣٨ - ٢٥١) أن أحمد الدعاة الفاطميين واسمه «الناهرقي» - نسبة إلى مدينة تاهرت في مراکش - جاء إلى السلطان محمود في سنة ١٠٠٣ هـ = ١٠٠٣ م .

(٣) يروي «نظام الملك» في كتابه «سياست نامه» (طبع شيراز ١٨٨٨-١٩٣٠) أن الأمير الساماني نصر الثاني كان باطنياً أي إسماعيلياً ، وبذلك لنا كيف أدى إلحاده إلى ضياع ملكه وحياته . انظر كذلك الجزء الأول من هذا الكتاب ص ٥٥٤ (من الأصل الانجليزي) .

(٤) أسماه البنداري في ص ٩٠ و ٩٢ برئيس الباطنية .

(٥) انظر ج ١٠ ص ١١٩-١١٠ حيث ذكر المؤلف أن الباطنية توجهت بتاج من الذهب ، وقد ورد ذكر الحسن بن الصباح على أنه واحد من تلاميذه .

حسن الإسماعيلية للنبي المسمى «شاه دژ» أو «دژ كوه» حوالي سنة ٤٩٩ هـ = ١١٠٥ م. وقد تمكن «مؤمن» بنىء من الحيلة والدهاء أن يأخذ البيعة من الحسن بن الصباح للخليفة الفاطمي ، وكان ابن العطاش يقوم بالدعوة في أصفهان وآذربيجان فجاء في رمضان سنة ٤٩٤ هـ (= مايو سنة ١٠٧٢ م) إلى مدينة الري حيث قدموا إليه «الحسن بن الصباح» ، فأعجب به كثيراً ، وأمره بالمسير إلى مصر وقصد عاصمة الخلفاء الفاطميين. وخرج الحسن بناء على ذلك ، إلى مدينة إصفهان في سنة ٤٩٧ هـ = ١٠٧٤ م فأقام بها سنتين يشتغل بالدعوة وكيلا لابن العطاش ، ثم خرج منها إلى مصر مجتازا طريق آذربيجان ، ميفارقين ، الموصل ، سنجان ، الرجة ، دمشق ، صيدا ، صور ، عكا ، ثم ركب البحر إلى مصر فوصلها في الثلاثين من أغسطس سنة ١٠٧٨ م = ٤٧١ هـ ، واستقبله داعي الدعاة «أبو داؤود» استقبالا حافلا شاركه فيه جماعة من النبلاء والأعيان ، وسرعان ما شمله المستنصر برضاه وأغلق عليه نعمه ، ولكنه مع ذلك لم يتمكن من الثول بين يديه ورؤيته رأى العين ، وإن كان قد أقام بالقاهرة ثمانية عشر شهراً كاملاً ، وكثرت دسائس «الستلي» وأعرانه وخاصة قائد الجيش «بدر» للحسن بن الصباح ، فاضطر إلى مغادرة مصر وركب السفينة من الإسكندرية في شهر رجب سنة ٤٧٢ هـ = يناير سنة ١٠٨٠ م ، فأكادت تخرج به حتى تحطمت بالقرب من شواطئ الشام ، فألقوه ورجع إلى بلاده مجتازا طريق حلب وبغداد وخوزستان ، ووصل في النهاية إلى أصفهان في ذى الحجة سنة ٤٧٣ هـ = يونية سنة ١٠٨٠ م. ومن ذلك الوقت أخذ يدعوا لزار- أكبر أولاد المستنصر- وشملت دعوته يزد وكرمان وطبرستان ودامغان ولايات أخرى من إيران لم يدخل في عدادها مدينة الري ، لأنه كان يتجنبها اتقاء لشر «نظام الملك» الذي كان يتحرق إلى القبض عليه ، كمدلت على ذلك أوامره التي أصدرها إلى زوج ابنته «أبي مسلم» حاكم هذه المدينة (١) . وتمكن الحسن بن الصباح في النهاية من الوصول إلى «قروين» واستطاع بحيلة جريئة وصفها لنا صاحب «تاريخ كزنده» (٢) من الاستيلاء على الحسن

(١) أنظر ابن الأثير ج ١٠ ص ١١٠ .

(٢) أنظر «تاريخ كزنده» طبع كاتن ج ١ ص ٤٨٨-٤٩١ ؛ وكذلك ورقة ٢٩١ - ١

من «جامع التواريخ» .

الجبلي النيس «الموت» واسمه في الأصل مكون من الكلمتين «آله أموت» ومعناه الصحيح هو «تعليم العقاب» كما أورده ابن الأثير في ص ١١٠ من الجزء العاشر من تاريخه ، وإن كان الأغلب تفسيره خطأ بمعنى «وكر النسر» (١). وقد لاحظ كثير من المؤرخين أن المصادفات العجيبة قد شاعت أن تجعل قيمة الحروف التي يتركب منها اسم هذه القلعة (١ + ٣٠ + ٥ + ١ + ٤٠ + ٦ + ٤٠٠ = ٤٨٣) هو التاريخ الصحيح الذي وقعت فيه هذه القلعة في حوزة الحسن بن الصباح وهو سنة ٤٨٣ هـ = ١٠٩٠ م .

وقد تبع سقوط قلعة «الموت» في أيدي الحسن بن الصباح سقوط كثير من الأماكن الحصينة في قبضته وقبضه أتباعه مثل «شاه در» و «خالنجان» بالقرب من إصفهان ؛ و «طيس» و «تون» و «قائن» و «زوزن» و «خور» و «خوسف» في قهستان ؛ و «وشمكوه» بالقرب من أهر ؛ و «استوناوند» في مازندران ؛ و «اردهان» و «گردكوه» ، و «قلعة الناظر» في خوزستان ؛ و «قلعة الطنبور» بالقرب من ارجان ؛ و قلعة «خلادخان» في إقليم فارس .

وكان استيلاء «الحسن بن الصباح» وأتباعه على هذه القلاع والأماكن الحصينة بداية ما نالوه من سلطة سياسية ، فلم يكذب عوت «المستنصر» حتى انفصلوا نهائيا عن الإسماعيلية في مصر ، وأصبحت لهم أغراض أخرى غير أغراض هؤلاء ، لأنهم أخذوا يدافعون عن قضية «زار» ضد أخيه المستعلي الذي خاف المستنصر في الخلافة الفاطمية في القاهرة . ومن أجل ذلك نجد أن كتب التواريخ الفارسية جميعها من قبيل «جامع التواريخ» و «تاريخ كزيبه» تفرد فصولا خاصة «الإسماعيلية في مصر والغرب ، وفصولا أخرى للإسماعيلية في إيران» وهؤلاء الآخرون هم أتباع زار أو «الحشاشون» على حد التسمية التي اشتهروا بها .

وقد اختلفوا طويلا في اشتقاق كلمة «الحشاشين» وزعموا أنها مشتقة من أصول

(١) «آله» كلمة فارسية صحيحة موجودة في اليهودية ، وهي بمعنى «نسر» أو «عقاب» و «أموت» هي إحدى اللهجات المحلية في كلمة «آموخت» بمعنى تعليم ، واست أذكر أية كلمة فارسية قريبة من هذه الكلمة بمعنى «وكر» أو «عش» .

عربية عربية ، تبدل بعض الباحثين إيهامسح : « الحاشيين » أى ابايع الحسن ؛ وقال « كازانيش »^(١) إنها متصلة بالكلمة الإنجلو سكسونية « Seax » بمعنى « سكين » ؛ وزعم « جيلان »^(٢) إنها مشتقة من كلمة « شاهنشاه » بمعنى ملك الملوك ، وحاول آخرون تخريجها مثل هذه التخريجات المستحيلة ، وبقيت الكلمة غامضة حتى استطاع العلامة « سلفستر دى ساسى » أن يثبت أن الكلمة التى تقدر سليبيون إلى أوروبا ومسحوها إلى « أساسيني » أو ما شابه ذلك من الصور القرية^(٣) ، هى بعينها الكلمة التى أوردها المؤرخون اليونان بصورة « خنسيوى » وقد ذكرها على وجهها الصحيح الربى بنيامين التيوديلي^(٤) فكتبها « حشيشين » وهذه الكلمة تقابل الكلمة العربية « حشيشى » التى تجمع على « حشيشين » و « حشيشية »^(٥) وقد أطلقوها على هذا الفريق من الإسماعيلية لاستعمالهم للمخدر المعروف باسم « الحشيش » وهو مليعرف لدينا باسم الـ « بنج » أو القنب الهندى . وهذا المخدر قد انتشر استعماله حالياً فى البلاد الإسلامية جميعاً من حدود مراكش إلى أقاصى الهند . وقد أشار إليه شعراء من الفرس مثل « جلال الدين الرومى » و « حافظ الشيرازى » مما يدلنا على أنه كان معروفا لدى الإيرانيين منذ القرن الثالث عشر الميلادى على أقل تقدير ، ولكن يظهر أن الأسرار المتعلقة بخواصه كانت معروفة فى الوقت الذى تحدث عنه لعدد قليل جداً من الناس ، ربما لم يتجاوزوا الحسن بن الصباح ونفرا قليلا من أخلص خلصائه ، نذكر منهم على سبيل المثال : الطبيب الذى ذكرناه سابقا باسم « احمد بن عبد الملك بن العطاش » . والمجال لا يسمح لى هنا بالتحدث عن خصائص هذا المخدر وقد ذكرت ذلك بالتفصيل فى مكان آخر^(٦) يثبت فيه أنه اقترن بشهرة سيئة فى إيران لم يبلغها غيره من المخدرات

(١) يكتب اسمه بالحروف الرومانية هكذا : Casaneuve

(٢) يكتب اسمه بالحروف الرومانية هكذا : Gébélín

(٣) كتبها هكذا Assessini أو Assissini أو Heissessini

(٤) يكتب اسمه بالرومانية هكذا : Rabbi Benjamin of Tudela

(٥) لا يستعمل المؤرخون الفرس هذه التسمية إلا نادراً ويذكرونهم باسم الملاحدة يمس

استعملها البندارى فى ص ٥٦٩ .

(٦) القيت بحثا عن ذلك فى ١٤ يناير سنة ١٨٩٧ بعنوان « فصل من تاريخ الحشيش » وقد

نشرته فى عدد مارس سنة ١٨٩٧ م فى « مجلة مستشفى سان بارتليميو » .

كالأفيون ، بحيث لا يكاد يذكر فيها الآن إلا على سبيل المجاز فيشيرون إليه بعبارة «البغاء الخضراء» أو «الخنايا الغامضة» أو «السيد» أو ماشابه ذلك من التسميات المجازية ؛ وقد بينت أن سبب ذلك لا يرجع إلى مضاره بقدر ما يرجع إلى إقراره بهذا الفريق المرعب من الملاحدة . ومن الواجب أن نشير إلى أن «شيخ الجبل» لم يشجع أتباعه على استعمال الحشيش وإدمانه ، لأن إدمانه يؤدي إلى التراخي والإهمال والضعف العقلي ، وكلها صفات تحرم أصحابها من أداء الواجبات الدقيقة التي تلقى على عواتقهم ، ومن أجل ذلك فقد كان استعماله بين هؤلاء القوم مقصوراً على مرتبة واحدة من مراتب الإسماعيلية ودرجاتهم .

مراتب الخماسين :

ذكرنا فيما سبق أن فريق الإسماعيلية كان مقسماً منذ أقدم الأزمنة إلى مراتب ودرجات ، وقد تبدلت هذه المراتب بظهور «الدعوة الجديدة» فعملها «الحسن بن الصباح» على هذا النحو . ففي مكان الرئاسة يكون «داعي الدعوة» وهو خاضع مباشرة للإمام ^(١) ، ويعرف خارج أتباعه عادة باسم «شيخ الجبل» وقد أخذ الصليبيون هذه التسمية وأخطأوا فهمها فقلوها إلى لغتهم وإلى غيرها من اللغات بمعنى «الرجل العجوز» أو «رجل الجبل العجوز» ؛ ويتلو داعي الدعوة في مرتبته «الداعي الكبير» وكانت هذه المرتبة تشتمل على عدد من «الدعاة الكبار» يتكون منهم ما يشبه مجلس الأساقفة ، ولكن كل واحد منهم كان يوكل إليه على حدة أمر ولاية من الولايات أو مقاطعة من المقاطعات ؛ ويأتي بعد هؤلاء الدعاة الكبار «الدعاة العاديون» وكانت المراتب العالية تتكون من هؤلاء جميعاً ، وكانوا كلهم على علم تام بأصول المذهب وأغراضه وسياسته ؛ أما المراتب المنخفضة فكانت تشتمل على :

١- مرتبة الرفيق ؛ وهو الذي يكون قد سلك بعض الدارج في أصول هذا المذهب

(١) بعد موت المستنصر لم يكن الخليفة الفاطمي هو الإمام بل كان الإمام ولداً من أولاد «نزار» الذي حرم من ولاية العرش ثم قتل بعد ذلك .

٢ — مرتبة الاصلق : وهو الذى يكون قد أخذ البيعة للامام دون أن يتبين ما تتضمنه هذه البيعة من معان وواجبات .

٣ — مرتبة الفدائى : وهؤلاء هم الموكلون بالتأثر والانتقام وأعمال العنف وقد كانوا مصدرأ لكثير من الرعب الذى كان يهز الملوك على عروشهم ويلجأ أهل السنة فلا يحسرون على لعنتهم وذمهم .

ولا يسعى فى هذه المناسبة إلا أن أعيد الوصف التصويرى المتع الذى كتبه فى القرن الثالث عشر الميلادى الرحالة « ماركو پولو » ووصف لنا فيه مراسم استقبال « الفدائى » وسيامته ، فى وقت كانت فيه قوة الحشاشين فى إيران (١) قد أوشكت على ازوال ، أو زالت فصلا على يد جيوش « هولاكو خان » المغولية ، وقد كتب هذا الرحالة ما ترجمته :

« وكان شيخهم يسمى بلقتم علاء الدين (٢) وقد أمر بإقامة سور على أخدود بين جبلين ، ثم غرسه بالأشجار وحوله إلى حديقة غناء ، هى أجل ما رأته الأعين . ووقعت عليه الأبصار ، وهى مليئة بمختلف الفواكه وأطيب النماز ؛ وأقام فيها القصور والجواسق مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، وقد طلاها بالذهب ونقشها بأجمل النقوش ، وجعل بها قنوات تفيض بالخمير واللبن والعسل والماء ، ووضع فيها جملة من أجمل نساء العالمين وأرق الفتيات وجعلهن يعزفن على مختلف الآلات ، ويغنين بأعذب الأصوات ويرقصن أروع الرقصات ؛ وقد شاء شيخ الجبل بذلك أن يجعل الناس يعتقدون أن حديقة هذه ماهى إلا الجنة بعينها ، فأنشأها على النمط الذى صور له لهم الدين الإسلامى وجعلها روضة غناء ، تجوس خلالها أنهار تفيض بالخمير واللبن والعسل والماء ، وملأها بالجليات الفاتحات من النساء ، اللاتى لا هم لهن إلا الترفية عمن بها من نزل ، ومن

(١) أما فرعهم فى الشام فلم يصبه شئ من سوء ، وما زال موجوداً هنالك إلى الآن ولكنه سالم لا يتأثر أحداً بالأذى .

(٢) وهو يشير كما هو معلوم إلى سابع مشايخ الجبل فى « ألمات » وهو « علاء الدين محمد بن الحسن » الذى أعقب أباه « جلال الدين » فى رمضان سنة ٦١٨ هـ = نوفمبر سنة ١٢٢١ م . وقد أعقب علاء الدين ابنه « ركن الدين خورشاه » وهو آخر مشايخ الجبل فى ألمات ، وقد قبض عليه المغول وأعدموه .

أجل ذلك فإن الأعراب الذين يقطنون هذه الأرجاء ، يعتقدون أنها حقا الجنة التي وعد بها الأتقياء ... !!»

«ولم يكن يسمح لأحد من الناس أن يدخل هذه الحديقة إلا من شاء أن يجعلهم من حشاشيه (١). وكان على بابها حصن منيع يستطيع أن يرد هجمات الناس أجمعين . ولم يكن لها مدخل سواه ، وكان يحتفظ في قصره بعدد من العلمان تتراوح أعمارهم بين الثانية عشرة والعشرين ، ممن يلمس فيهم حب الجندية والقتال ، وكان من دأبه أن يقص عليهم أقااصيص عن الجنة كالتى كان يقصها محمد على أتباعه (كذا) فيصدقونه فيما يقول ، كما صدق العرب نبيهم . ثم يأذن لهم بعد ذلك فى دخول الحديقة أربعة أربعة أوستة ستة أو عشرة عشرة ، ولكنه يسقيهم قبل ذلك مزيجا من شراب خاص ينامون على أثره (٢) ، فإذا انطبقت جنوهم وغلبهم الكرى أمر أتباعه أن يحملوهم ويضعوهم فى داخل الحديقة ، فإذا أفاقوا وجدوا أنفسهم داخل هذه الروضة الغناء .

«ومتى أفاقوا من غفوتهم ووجدوا أنفسهم فى هذا المكان الرائع ، ظنوا أنهم فى جنة الخلد ، ثم يقبل النساء والفتيات بعد ذلك على هؤلاء الفتيان فيلاعبنهم ويشفين رغباتهم ، ويظهر الرجال منهن بما يرغبون ، فلا يشاءون بعد ذلك أن يتركوا هذا المكان المشحون بالفتن واللذائذ» .

«وكان هذا الأمير الذى نسميه بـ « الشيخ » يقوم بتنظيم قصره بشكل رائع جميل ، وقد تمكن من أن يجعل رجال الجبال السذج الذين يحوطونه يعتقدون اعتقادا جازما بأنه نبي عظيم ، فإذا شاء أن يعيب واحدا من هؤلاء «الحشاشين» فى أية رسالة ، فإنه يسقيه من هذا المزيج الذى تحدثنا عنه ، فإذا غلبه الكرى حملوه إلى القصر ، حتى إذا أفاق الشاب لم يجد نفسه فى تلك الجنة التى شفى فيها غلته وأشبع فيها نهمته ، بل يجد نفسه داخل القلعة ، ثم يدخلونه بعد ذلك على «شيخ الجبل» فيحنى أمامه فى احترام بالغ كأنه فى حضرة رسول كريم ونبي عظيم . فيسأله

(١) يقصد بذلك « الفدائين » وهم الذين يسمون دون غيرهم بالحشاشين .

(٢) هذا الشراب كان عبارة عن محلول من الحشيش ، ومن أجل ذلك فإن شيخ الجبل كان يسمى أحيانا بدو صاحب الحشيش .

مير من أين أتى . . ؟ ويجب التفتي بأنه أقبل من الجنة ، وإنها لشبيهة بما أنزل على « محمد » في القرآن ، ويستمع الآخرون الذين لم يؤذن لهم في دخول هذه الحديقة إلى هذا الحديث ، فيتحرقون شوقاً إلى الدخول فيها والتمتع بما بها !! »

« فإذا شاء » الشيخ « أن يقتل أى أمير من الأمراء فما عليه إلا أن يقول لواحد من هؤلاء الشبان : « إذهب واقتل فلانا؛ ومتى عدت فبأخذك جماعة من ملائكتي إلى الجنة ، أما إذا مت فسأبعث إليك بهم ليحملوك إليها » . وكانوا يصدقونه فيما يقول ، ومن أجل ذلك فقد كانوا يلقون بأنفسهم في أشد المخاطر وأكثرها تهلكة لكي ينفذوا جميع أوامره ولكي يعودوا بعد ذلك إلى الجنة التي تحرق إليها أنفسهم ، واستطاع الشيخ بذلك أن يجعل رجاله يقتلون أى شخص يريدون التخلص منه ؛ واستطاع أيضاً بواسطة الرعب الذي ينزله في أنفس الأمراء أن يجعلهم جميعاً يدفعون له الجزية عن طيب خاطر حتى يكون معهم في سلام ووثام . »

ويبدو من هذا النص أن القديسين كانوا يختارون وقتاً لما يريدونه من طاعة عمياء في تنفيذ أوامر شيخهم ، وكانوا يمتازون أيضاً بصفات الشجاعة ، ولا يطلب منهم أن يتفقهوا في تعاليم المذهب كما يفعل غيرهم من أصحاب المراتب العالية . ويصور لنا هذه القطعة الأدبية التي رواها لنا « فرابينر » و« مارينو سانوتو »^(١) . حيث قال :

في فترة من فترات الهدنة ذهب هنرى (ملك بيت القمص) لزيارة الشيخ في الشام ، فخرج ذات يوم للنزهة فرأى في مسيرهما شاباً قد ارتدوا الملابس البيضاء وجلسوا فوق قمة عالية . فالتفت الشيخ إلى هنرى وبأله عما إذا كان لديه شبان يمتازون بالطاعة العمياء مثل هؤلاء الشبان ولم ينتظر جوابه بل أوماً إلى اثنين من هؤلاء الشبان بإشارة خاصة فقفزا إليه من قمة القلعة ولقياحتهما في التو والساعة . . !! » .

ورغم أن القديسين لم يكونوا يتفقهون في التعاليم الخفية التي تضمنها مذهبهم الدينى ، إلا أنهم كانوا على أتم تدريب في استعمال الأسلحة ووسائل القتال ، وفي تحشم المصاعب والقدرة على الصبر والاحتمال ، وفي الضيق في أساليب التنكر والتخفى والاستتار ، بل لقد أظهروا في بعض المناسبات قدرتهم الفائقة في التحدث باللغات

الأجنبية والأوروبية بحيث استطاع الفدائيون الذين كلفوا بقتل «كونراد» مركز موتفترات^(١) أن يتحدثوا بلغة الفرنج وأن يقلدوهم في سائر عاداتهم تقليدا بارعا ظهروا فيه بظهور الرهبان المسيحيين ، فتمكنوا بواسطة ذلك من أن يقيموا في معسكر الصليبيين ستة أشهر كاملة ينتظرون الفرصة السانحة لتنفيذ المهمة الدامية التي بثوا من أجلها . وكان من النادر بالطبيعة أن ينجو الفدائي بعد قتل فرسته ، لأن الفدائيين كانوا في الغالب يميلون إلى تنفيذ خططهم في جرات زائدة وشجاعة بالغة ، فيقتضي الواحد منهم على الأمير المسلم وهو قائم بالمسجد يؤم الناس لصلاة الجمعة ، أو يندفع إلى الأمير المسيحي فيقتله دون خوف أو وجل في وسط الكنيسة في يوم الأحد وهو واقف يصلي بين جماعة المصلين من قومه وعشيرته . فإذا قتل الفدائي بعد أداء المهمة التي كلفه بها «شيخ الجبل» فإن ميته كانت تعتبر بين أتباع «الحسن بن الصباح» من أشرف الميتات التي تضمن له السعادة المقبلة والحياة الهائلة الخالدة ، حتى لقد تقرأ أعجب الأخبار عن أمهات بعض الفدائيين وقد أخذن في البكاء والانتحاب لأن أولادهن عادوا إليهن على قيد الحياة ولم يظفروا بمرتبة الاستشهاد والخلود !!!

وكان من دأب الفدائيين في بعض الأحيان أن يكتفوا بالتهديد والوعيد إذا وجدوا في ذلك ما يحقق مآربهم ويضمن غاياتهم ، وكثيرا ما حدث أن هاجمهم قائد من القواد يعني تذليل معقل من معاقلهم ، فإذا به يصحو في أحد الأيام ليجد في خيمته وباتقرب من مضجعه خنجرا مغروسا في الأرض ، وقد علقت عليه رساله من رسائل التهديد والوعيد تجعله في الغالب ينصرف عن معركته ويقنع من الغنيمة بالإياب ؛ وقد حدث مثل ذلك فيما يقولون للسلطان «ملكشاه» ولـ «لصالح الدين» وإن كنت شخصياً أظن أن الروايات التي رويت عن هاتين الحادثتين لا يجب الاعتماد عليها اعتمادا كلياً لا يتطرق إليه شيء من الشك أو الرية .

وقد ذكروا أن قسبها أخذ في ذم ملاحدة «الموت» فتصدى له واحد من أتباعهم وأخذ يحضر مجالسه على أنه طالب راغب في الاستماع إلى محاضراته وتتبع آرائه ، حتى إذا استرعى التفاته خيره بين كيس مملوء بالذهب أو خنجر مستون الحد

ليكف عن التعرض لهم والتنديد بمعتقداتهم ، فاختار الفقيه الذهب وكفى نفسه شر البلاء ... !! فكانوا إذا اجتمعوا حرله بعد ذلك وسخروا منه لكفه عن التعرض لأرائهم ، أجابهم في شيء من السخرية اللاذعة بأنه قد اضطر إلى ذلك اضطرارا بعد ما قدموا له من « حجج قاطعة وبراهين ساطعة » جعلته يقتنع بأنه كان على خطأ فيما تفوه به قبل ذلك من أقوال خاسرة ... !!

وقد استمر نشاط « الحشاشين » كبيرا وبالغا منذ نشأتهم إلى أن تمكن « المغول » من تحطيم معاقلمهم في إيران وقتل آخر شيوخهم وثامن أئمتهم « ركن الدين خورشاه » في منتصف القرن الثالث عشر الميلادي (السابع الهجري) أي في نفس الوقت الذي استطاعوا فيه تحطيم الخلافة في بغداد . وسيعرض لنا ذكرهم كثيرا فيما يلي من صفحات ؛ ولأجل ذلك فإنني أنه القاريء بأن يلم منذ الآن الإمامة كافية بمبادئ مذهبهم ، وطرائق تكوينهم ، وبيان صلتهم بمذهب الإسماعيلية الرئيسي في مصر ؛ لأن أهم فتره في تاريخ هؤلاء الإسماعيليين هي الفترة التي أسس فيها « الحسن ابن الصباح » دعوته الجديدة بما اقترن بها من عناصر الرهبة والرعب . أما فروعهم الشامي ، فقد كان له الفضل فيما ناله « الحشاشون » من شهرة عريضة في ربوع أوروبا ، كما كان له الفضل في تزويد معجنا بكلمة جديدة للدلالة على تسميتهم . وقد استطاع هذا الفرع أن يثبت مكانته السياسية منذ استيلاء رجاله على قلعة « باناس » في سنة ١١٢٦ م = ٥٢٠ هـ .

ولكننا للأسف سوف لا نجد مجالا للأفاضة في الحديث عن هذا الفرع فيما يلي من صفحات ؛ ومتى أجل ذلك فإننا على ثقة من أن القاريء الذي يهيمه تتبع هذا الموضوع سوف لا يتأخر عن الاطلاع على المقال القيم الذي كتبه « ستانسيلاس جويارد » في « المجلة الآسيوية » سنة ١٨٧٧ م بعنوان « شيخ من شيوخ الحشاشين »^(١) . ويشتمل هذا المقال على سيرة صادقة ممتعة للشيخ « رشيد الدين سنان » الذي استطاع في وقت من الأوقات أن يجعل الفرع الشامي ينفصل عن الفرع الإيراني . وسيرة هذا

(١) عنوان هذا المقال بالفرنسية هو : Un Grand Maître des Assassins, par Stansilas Guyard, Journal Asiatique 1877.

الرجل تفوق في غرابتها و غرابة وقائعها كثيرا من الروايات الخيالية الرائعة ؛ وهى تمدنا بكثير من التفاصيل عن تاريخ الاسماعيليين وأعمالهم وأساليبهم . وقد اضطررت اضطرارا لضييق المجال أن أصدف عن ذكرها في هذا المقام . وما زال بقايا الإسماعيلية موزعين أشتاتا حتى يومنا هذا في أنحاء المشرق بين ربوع سوريا وإيران وشرق أفريقيا وأواسط آسيا وبلاد الهند حيث يدينون الآن بالطاعة لـ « آقاخان » باعتباره رئيسا لهؤلاء الجماعة من الإسماعيلية . و « آقاخان » هذان أحفاد « ركن الدين خوزشاه » الذى كان آخر شيوخ الجبل فى « ألمات » وقد ادعى ركن الدين أنه من سلالة « نزار » ابن الخليفة الفاطمى « المستنصر » وأنه ينتسب بهذه الوساطة إلى الإمام السابع « اسماعيل » ابن حفيد حفيد « على بن أبى طالب » ابن عم الرسول وزوج ابنته .

ناصر خسرو

وقد اضطررتنا دراسة حياة « الحسن بن الصباح » وما قام به من أعمال إلى أن نتبعد عن ذكر زميله « ناصر خسرو » الذى يفوقه من الناحية الأدبية كثيرا ، فأما الحسن بن الصباح فليس فى أيدينا من كتاباته إلا البند المنقول من « سرگذشت سيدنا » فى كتاب تاريخ « جهان گشا » وكتاب « جامع التواريخ » ، وأما « ناصر خسرو » فله بين أيدينا جملة من المؤلفات القيمة الممتعة كتبها ثرا وشعرا وقام على دراستها جماعة من أئمة العلماء مثل « بلاند » و « دورن » و « إتيه » و « فانيان » و « نولدكه » و « پرتش » و « ريو » و « شيفر » (١)

وسنقوم بدراسة هذه المؤلفات وترجم لصاحبها (وهو من خيرة الشخصيات اللامعة فى تاريخ الأدب الفارسى) فى الفصل التالى الذى أفردناه لدراسة الحركة الأدبية خلال هذه الفترة التى أجمعنا الحديث عنها وصورناها سياسيا فى هذا الفصل الذى انتهينا منه .

(١) تكتب هذه الأسماء بالمرروف الرومانية هكذا :

Bland, Dorn, Ethé, Faguan, Noldeke, Pertsch, Rieu, Schefer.

الفصل الرابع

الآداب في العصر السلجوقي الأول

نظام الملك ومعاصروه

نظام الملك وكتابه «سياسة نامه» :

من الخير عند استعراض هذا العصر المتع الهام ، أن نبداه بالحديث عما تركه «نظام الملك» نفسه من آثار أدبية ، لأنه كان أهم شخصية ظهرت في إيران في ذلك الوقت . وآثاره الأدبية لا تزيد على كتاب واحد هو «سياسة نامه» أو «كتاب السياسة»^(١) وقد نشر أصله الفارسي المرحوم الأستاذ «شارل شيفر» في سنة ١٨٩١م ، كما نشر أيضاً ترجمة فرنسية له ، عليها كثير من التعليقات التاريخية الهامة في سنة ١٨٩٣م ، وقد أتبع الأصل والترجمة بملحق نشره في سنة ١٨٩٧م يشتمل على ملاحظات متصلة بحياة «نظام الملك» والعصر الذي نشأ فيه استقاهها من مختلف المصادر الفارسية والعربية . وقد كان من الصعب الحصول على كتاب «سياسة نامه» قبل ظهور هذه الطبعة التي نشرها «شيفر» لأن النسخ المخطوطة منه كانت نادرة كل الندرة ، وقد استعان الأستاذ «شيفر» بثلاث نسخ مخطوطة كانت إحداها ملكاً له وهي الآن في المكتبة الأهلية بباريس ، والثانية نسخة المتحف البريطاني ، والثالثة نسخة برلين . وقد قابل هذه النسخ في بعض المواضع بنسختين أخريين في مكتبة سان پترسبورج . وتوجد من هذا الكتاب نسخة سادسة موجودة في مجموعة «پُوت» المحفوظة في مكتبة «كلية الملك» بجامعة كمبردج^(٢) وهذه النسخة حديثة العهد نسبياً ولكنها

(١) أما كتاب «الوصايا» الذي ينسبونه إليه فزائف كل الزيف .

(٢) اسم المجموعة بالإنجليزية هكذا :

أفادتني فائدة كبرى في تصحيح بعض الأخطاء التي وقعت في النسخة المطبوعة . ويشتمل كتاب « سياست نامه » على خمسين فصلاً تبحث في شئون الملك وحقوق الملك وواجباته وما يتصل بالإدارات المختلفة التي يعتمد عليها في إدارة البلاد ؛ وقد أخذ « نظام الملك » يكتب هذا الكتاب في سنة ٤٨٤ هـ (= ١٠٩١-١٠٩٢ م) أي قبل وفاته مقتولاً بسنة واحدة ؛ كتبه استجابة لرغبة أبداها « ملكشاه » أمام أهل الرأي من مستشاريه^(١) بأن يضع كل واحد منهم رسالة في الحكم يبين فيها أنواع المفساد والعيوب التي انتشرت في أرجاء بلاده ونواحي إدارتها ، ويبين فيها كذلك أنواع البدع المستحدثة الضارة التي أخذت في الظهور ، وأنواع العادات الحسنة القديمة التي أصابها الإهمال وغفا عليها الزمان . وقد استجاب جملة من أهل الرأي إلى طلب « ملكشاه » فأنشأوا الرسائل في هذه الموضوعات التي اختارها ؛ ولكن الرسالة الوحيدة التي حازت إعجابه واستحسانه هي رسالة « نظام الملك » وقد أثر عنه أنه قال بصددها : لقد عالج « نظام الملك » جميع الموضوعات وفقاً لرغبة قاي ، ولم يترك شيئاً لمباحث يضيفه إلى كتابه ، ومن أجل ذلك فإنني اتخذته هادياً ومرشداً يهديني سواء السبيل .

وقد انتهى « نظام الملك » من كتابة هذا الكتاب في سنة ٤٨٥ هـ (= ١٠٩٢ - ١٠٩٣ م) وكان فراغه منه قبيل مقتله بفترة قصيرة كما يؤخذ من هذه النبذة القرية التي اشتملت على نبوءة عجيبة نجدها قرب الخاتمة ، حيث يقول :

« هذا هو كتاب السياسة وقد تم لي تحريره وجمعه بناء على أمر أصدره ملك العالم لهذا المولى الحقيق بأن يكتب في هذه الموضوعات التي اختارها ، وقد كتبت منها على البديهة تسعة وثلاثين فصلاً^(٢) ثم قدمتها إلى حضرته العلية ، فالت استحسانه وإعجابه . وقد كانت مختصرة مجملّة ، ولكنني أضفت إليها بعد ذلك بعض الزيادات وألحقت بكل فصل منها ما يناسبه من الملاحظات والنكات ، مبيناً كل ذلك باغة سهلة جيزة وألفاظ واضحة بيّنة . فلما كانت سنة ٤٨٥ هـ وأردت الخروج إلى بغداد أعطيتهما

(١) من أهم هؤلاء بالإضافة إلى « نظام الملك » نجد أسماء « شرف الملك » و « تاج الملك » و « مجد الملك » .

(٢) يظهر أن الفصول الأحد عشر الباقية أضيفت إلى هذا الكتاب عند مراجعته .

إلى ناسخ المكتبة الملكية «محمد الغربي» وأمرته أن يكتبها بخطه الجليل حتى إذا قدر لي ألا أعود من هذه الرحلة أسرع بعرضها على ملك العالمين...»^(١).

وفعلا ، لم يقدر لهذا الكتاب أن ينشر إلا بعد موت مؤلفه بفترة من الزمن . وربما تأخر ظهوره قليلا بسبب المتاعب القومية والحروب الأهلية التي نشبت مباشرة بعد موت «ملكشاه»^(٢) .

وكتاب «سياست نامه» يعتبر في رأيي من أهم الكتب الممتعة القيمة التي كتبت نثرًا في الفارسية ؛ ذلك لأنه من ناحية يشتمل على قدر كبير من الأخبار والروايات التاريخية ، ولأنه من ناحية أخرى يشتمل كذلك على الآراء السياسية التي كان يراها واحد من أنبغ الوزراء الذين ظهوروا في المشرق ، والذين بلغوا مبلغا من القوة والحكمة لاستطيع تقدير مدها إلا بالنظر إلى القوضى المتصلة والحروب الداخلية المستمرة التي أعقبت مقتله . وقد كتب «نظام الملك» كتابه هذا في لغة سهلة يسيرة خالية من كل المحسنات البلاغية ؛ ولقد تنحط عبارته أحيانا إلى مرتبة العبارات السوقية العامة ، أو قد يشوبها بعض الصيغ المهجورة التي كانت مستعملة في ذلك الزمان المبكر . وليس من السهل علينا في هذا المجال الضيق أن نستعرض محتويات هذا الكتاب الواسع الكبير ؛ بل لو أننا افترضنا فرضا إمكان الحال ؛ لأحسننا بعدم الحاجة إلى ذلك ، لأن مثل هذا العرض يستطيع أن يظفر به القراء الأوروبيون في الترجمة الرائعة التي أخرجها الأستاذ «شيفر» لهذا الكتاب . يضاف إلى ذلك أن الانظار يجب أن تتجه في هذا الموضوع أيضا إلى مقالة قيمة كتبها الأستاذ «نولدكه» بجامعة ستراسبورج في الجزء السادس والأربعين (ص ٧٦١-٧٦٨) من «مجلة المستشرقين الألمان» الصادرة في سنة ١٨٩٢ م .

وقد خصص «نظام الملك» سبعة فصول من كتابه (من الفصل ٤١ إلى ٤٧ . صفحة ١٣٨ - ٢٠٥) لمحاربة الملاحدة والمظنون في دينهم وخاصة فريق «الإسماعيلية والباطنية» . وهو يشكو مر الشكوى (في صحيفة ١٣٩) من أن اليهود والمسيحيين والمجوس

(١) المترجم : هذا هو نص هذه العبارة الأخيرة بالفارسية « اگر بنده را باز آمدن نباشد ازین سفر این دفتر را پیش خداوند عالم برد ... » .
(٢) انظر ما كتبه الناشر الفارسي في نهاية فهرس الموضوعات بالصحيفة الخامسة من الأصل .

والقراطة يوظفون بكثرة في أعمال الدولة والدewan ، ثم يثنى على الحطة الصالحة التي أتبعها «ألب أرسلان» أثناء حكمه في منع هؤلاء من تولي هذه الوظائف ومعاملتهم بشدة وغلظة بالفتين . ثم يأخذ في مهاجمة مذهب « الشيعة » على العموم ومذهب « السبعية » على الخصوص ، ويجتهد في البرهنة على أن مذاهبهم مشتقة في أساسها من مذهب المتنبي الاشتراكي « مزدك » الذي أمر بإعدامه الملك الساساني « انوشيروان » في القرن السادس الميلادي^(١) ، ثم يورد فصلاً مطولاً عن مزدك (ص ١٦٦ — ١٨١) يبين فيه أنه بعد القضاء عليه وعلى أتباعه انبعث مذهب من جديد على يد « الحرورية » العروفين باسم « خرّم دنان^(٢) » ثم على يد « سنّباد الجوسي^(٣) » ثم على يد « عبدالله بن ميمون القداح »^(٤) الذي إليه يرجع الفضل في تقوية مذهب الإسماعيلية ، والذي إليه ينتسب خلفاء مصر الفاطميون أو العلويون كما يقول خصومهم . ويشتمل هذا الجزء من الكتاب - فماعد ذلك - على مقال بين فيه الكاتب مدى الشرور التي تنشأ من تدخل النساء في شئون الدولة والحكومة ، وكذلك على بيان الصفات التقليدية التي يشترط وجودها في الوزير العظيم . وبه أيضاً كثير من الأخبار عن مدى النشاط الذي قام به دعاة الإسماعيلية في أيام السامانيين وعلى الخصوص أثناء علو شأنهم على أيام الأمير التميمي « نصر بن أحمد » (٣٠١ — ٣٣١ هـ = ٩١٣ — ٩٤٣ م) ، ولم يذكر هذا الكتاب إلا القليل الأقل عن « الدعوة الجديدة » ولم يشر أية إشارة صريحة عن منشأ « الحسن بن الصباح » ولكنه مع ذلك يشتمل على أخبار هامة عن ازدياد نفوذ « الباطنية » وهي أخبار كثيرة متعددة تقطع بغير شك بأن هذا الجزء من الكتاب إنما خصصه كاتبه لمهاجمة « الحسن بن الصباح » وأتباعه كما يبدو واضحاً من العبارات الأولى من المقال الثالث والأربعين^(٥) حيث يقول في افتتاحه ما يلي :

(١) فصلنا الحديث عن « مزدك » في الجزء الأول من هذا الكتاب ص ١٦٦ — ١٧٢ (من الأصل) .

(٢) انظر ماورد عنهم في الجزء الأول من هذا الكتاب (ص ٣١٢ — ٣١٣ ، ٣٢٣ وما تبعها) .

(٣) انظر نفس المرجع ص ٣١٣ — ٣١٤ (من الأصل) .

(٤) انظر نفس المرجع ص ٣٩٣ — ٣٩٨ (من الأصل) .

(٥) المترجم : رقم هذا المقال في الحقيقة هو ٤٤ لأن الطابع جعل القالين ٤١ و ٤٢ برقم واحد هو

٤١ . وبذلك أصبح كل مقال ينقص واحداً ، وقد تداركت الترجمة الفرنسية هذا السهو وأعطته رقمه

الصحيح ٤ وهو في الأصل الفارسي موجود في صفحة ١٦٤ من طبعة « شيفر » بإريس سنة ١٨٩١ .

« مقال في بيان أحوال أصحاب المذاهب السنيّة »

« أعداء الملك والإسلام »

- « أريد أن أذكر في هذا الصدد جملة فصول في معنى خروج الخوارج ، »
 « حتى يعلم الناس مقدار الشفقة والعطف اللذين أبديتهما للدولة السلجوقية »
 « ومقدار الحب والشفقة اللذين أحس بهما نحوها ، وعلى الخصوص »
 « ما أحسه من حب بالغ للمليكة سيد العالم خلد الله ملكه ، وما »
 « أكنه من إخلاص سابع لأولاده وأسرته ؛ وفي الله أيامه من عين »
 « سوء وشر الحاسدين . . . ! »
 « وجد الخوارج في جميع الأزمنة والعصور ؛ وقد خرجوا منذ عهد آدم »
 « عليه السلام حتى الآن ، في جميع أقاليم الدنيا ، وثاروا على الملوك »
 « والأنبياء ، ومع ذلك فما من جماعة أكثر شؤماً ولؤماً وأسوأ مذهباً »
 « ودنياً ، وأردأ عملاً ونهجاً من هؤلاء القوم .. فليكن معلوماً أنهم »
 « يدبرون من وراء أسوارهم نكبة هذه الملكة ، وإفساد مذهبها »
 « ودينها ، فما تزال آذانهم تنسقط الأنبياء وعيونهم تترصد الفرص حتى »
 « إذا أصابت هذه الدولة القاهرة - ثبته الله تعالى - مصيبة جديدة أو »
 « نزل بها سوء والعياد بالله ، خرج هؤلاء الكلاب من مكائدهم لنشر »
 « الدعوة الشيعية . . . وهم في الحقيقة أقوى شأناً من الرافضة والخرمية - »
 « لا يدعون وسيلة ممكنة دون أن يلجأوا إليها ، فيجتهدون اجتهداً في »
 « إفساد العقول ونشر الشائعات والبدع . . . وهم يدعون قولاً أنهم مسلمون »
 « ولكنهم يأتون أفعال الكفرة ؛ وباطنهم لعنهم الله بخلاف ظاهرهم ، وقولهم »
 « بخلاف عملهم ، وليس لدين محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم عدو أشأم ولا »
 « أنكد منهم ، وليس للدولة الملك خصم ألد وأشد منهم ؛ وينضوى تحت علمهم »
 « اليوم جميع الأشخاص الذين لا قوة لهم الآن في شئون الدولة ، ويدعون »
 « ظاهراً أنهم شيعيون وهم في الحقيقة يهثون أمورهم في الخفاء ، ويزدادون »
 « قوة ونفوذاً ، ويجتهدون في نشر دعوتهم ويسعون لدى ملك العالم لكي »

« يقنعوه بأن يهدم بيت « بنى العباس » .. ولو تمهياً لى أن أكشف الغطاء »
 « عن الوعاء فما أكثر ما يتكشف من خباياهم ومخازيهم !! .. »
 « ولكن من أسف أن ملك العالم استطاع أن ينجي بعض الأموال من وراء »
 « بعض حركاتهم، ومن أجل ذلك فهو يريد بسبب الأموال الكثيرة (التوفيرات) »
 « التي جناها أن يشرع في عمل يرضيهم ، وقد استطاعوا أن يفرسوا في نفسه »
 « حب المال والحرص عليه واتهموني لديه بأني مغرض استهدف صالحى ، »
 « بحيث أصبح نصحى له غير مقبول ولا ممكن ، ولنن يعلم مقدار فسادهم »
 « ومكرهم إلا بعد ما أكون قد رحلت عن هذا العالم ...!! عند ذلك فقط »
 « يستطيع أن يتحقق من مدى حيل لدولته القاهرة، وأنى لم أكن غافلاً عن »
 « أحوال هذه الطائفة وخططهم التي دبروها ، وأنى كنت في جميع الأوقات »
 « أعرضها على رأيه العالى [أعلاه الله] ولا أخفيها عنه، ولكنى لم أحاول إعادتها »
 « على مسامعه والإصرار على تكرارها أمامه لأنى رأيت أن أقوالى لم تنظر »
 « لديه بالحظوة والقبول .. »

والإشارة التي يشير إليها « نظام الملك » في هذه الفقرة الأخيرة تتفق تماماً مع ما جاء في الورقة « ١٤ - ١ » من النسخة الخطية لكتاب « راحة الصدور » (١) حيث يوضح المؤلف بالشكوى من أن هؤلاء الملاحدة يكثرون في أنحاء البلاد وهم السبب فيما تقاسيه من ضيق وعناء وماتحملة من الضرائب الكثيرة المفروضة . وهو يحتاج على ذلك أشد الاحتجاج ويقول إن كثرة من هؤلاء الملاحدة يوجدون في « قم » و « كاشان » و « الرى » و « آبا » و « فراهان » وهم يرقون إلى شغل المناصب العامة بعدما يعدون الملك أن يهيئوا له « التوفيرات » الكثيرة من المال (٢) . وهى عبارة يسترون بها الضرائب الباهظة التي يفرضونها على الناس . وهنا نجد بعض الدليل على صحة الواقعة التي نستطيع أن نسميها بالقصة القديمة المتناقلة عن المشاحنة التي وقعت

(١) المترجم : طبع هذا الكتاب ضمن سلسلة جيب التذكارية وقام على انعمه الأستاذ إقبال .

(٢) المترجم : نلاحظ أن كلمة « التوفيرات » هى نفس الكلمة التي استعمالها نظام الملك .

بين « نظام الملك » و « الحسن بن الصباح » وكيف أن الأخير منهما أراد أن يوجه إليه أنظار الملك فأخذ يطعن في النظم المالية التي يتبعها وزيره « نظام الملك »^(١).

ولابد لي - وقد فرغت من إبداء ملاحظاتي المقتضية على هذا الكتاب الثمين المتع - أن أعترف بأني في محاضراتي لم أجد بين الكتب الفارسية المنشورة ما هو أمتع وأفنع لنفسي ولئن أستمع لي من هذا الكتاب ، ومع ذلك فيجب الإشارة بأنه يجب التحرز من قبول أخباره التاريخية على غلاتها ؛ ويجب التنبيه إلى أنه تكثر به الأغلاط أيضا ، فثلا في صفة ١٢ من النص الفارسي يروي المؤلف أن « يعقوب بن الليث » هدد الخليفة « المعتمد على الله » بأنه سيحضر الخليفة الفاطمي من « المهديّة » ويجلسه مكانه ، والمعروف أن الخليفة « المعتمد » حكم في سنة ٢٥٧ - ٢٧٩ هـ = ٨٧٠ - ٨٩٢ م وأن مدينة المهديّة لم تبني إلا في سنة ٢٩٨ هـ = ٩١٠ م (على أقل تقدير) أوريا بعد ذلك بعشر سنوات على القول الأرجح .

وأمثال هذه الأخطاء كثيرة في الكتاب ، وعلى الخصوص فيما يتعلق بالملاحدة ؛ فالظاهر أن المؤلف قد شغل نفسه بهم حتى استطاع أن يتنبأ بنهايته على أيديهم وحتى أنساه ذلك كل ما يتصل بالتحقيق والتدقيق في رواية الأخبار التاريخية عنهم . ومن الجائز للتوقع أن مطابعه الكثيرة التي كالمها لمذاهبهم وأعمالهم وأغراضهم كانت أكبر العوامل التي دفعتهم إلى قتله والقضاء عليه .

ناصر خسرو:

أشرت في الفصل السابق إشارة مختصرة إلى رجل من أعلام هذه الفترة هو « ناصر خسرو » الشاعر الرحالة ، وأحد دعاة الإسماعيلية المعروفين ؛ وقد آن الأوان الآن لأن نمضي في دراسة آثاره الأدبية . ومن الخير أن نذكر أن كثيرا من الحرافات والأقاصيص قد نسجت حول شخصه ، وجميعها مستمدة من السيرة الزائفة التي قيل إنه وضعها عن نفسه ، وهي السيرة التي توجد في مقدمة ديوانه طبع تبريز .

(١) هذه القصة موجودة في كتاب « تاريخ كزیده » لحمدالله مستوفى ص ٤٠ طبع لندن سنة ١٩١٠ ، وكذلك ص ٢٠٨ - ٢١١ من الجزء الأول من طبعة Jules Gantin

وهي برمتها عبارة عن نسيج واه من الخرافات والأوهام ، اختلطت به بعض الأخبار المتعلقة بغيره من مشاهير الرجال ، ثم انتهت بحكاية نسبها إلى شقيق « ناصر » ورووها على لسانه ، تذكر أن « ناصرا » قد مات في الأربعين بعد المائة من عمره وأن الجن قد تولت حمل جنازته ودفنه . . . ! ! وقد ذكر « إتيه » (١) أن هذه السيرة وردت في ثلاث روايات ، أطولها وأكثرها تفصيلا هي تلك التي أوردتها « تقي الكاشي » في كتابه « خلاصة الأشعار » ، وأقصرها هي المذكورة في الكتابين « هفت إقليم » وال « سفينه » ، أما تلك التي ذكرها « لطفعلی بيك » في كتابه « آتشكده » فهي متوسطة الطول والتفاصيل ، وقد ترجم هذه الرواية الأخيرة « ن . بلاند » في المجلد السابع من « مجلة الجمعية الملكية الأنثروبولوجية » ص ٣٦٠ وما يليها . وأورد « شيفر » خلاصة هذه الرواية (بعدما حذف منها الحوارات التي لا يقبلها العقل) في المقدمة التي قدم بها كتاب « سفر نامه » حينما نشره ونشر ترجمته الفرنسية (ص ٨ - ١٧ من المقدمة) . ويغلب على الظن أن هذه الرواية - كما يفترض « إتيه » - ما هي إلا من نتاج القرن التاسع أو العاشر الهجري (أي الخامس عشر أو السادس عشر الميلادي) ذلك لأن أول كتاب ذكرها فيما نعلم هو كتاب « هفت إقليم » وهو كتاب من تواليف سنة ١٠٠٢ هـ = ١٥٩٣ - ١٥٩٤ م . ومع ذلك فمن المعلوم أن كثيرا من الخرافات قد حكت حول « ناصر خسرو » قبل ذلك التاريخ ، ويمكننا التحقق من ذلك بالاطلاع على المقال (٢) الذي تضمنه كتاب « القزويني » المعروف بـ « آثار البلاد » وهو كتاب جغرافي تم تأليفه في سنة ٦٧٥ هـ = ١٢٠٦ م فقد ذكر الكتاب أن « ناصرا » كان ملكا على مدينة « بلخ » خلعه رعاياه وطرده ، فلبأ إلى مدينة « يمسكان » وأخذ في تزينها ، وأقامة الحمامات الجميلة فيها وإنشاء الحدائق الغناء بها ، ونصب التماثيل الرائعة في أرجائها ، وكانت هذه التماثيل مطلسمة توحى بالروعة والخوف ، لا يستطيع أحد أن يطيل النظر فيها دون أن يفقد رشده وصوابه . وقد وصف « القزويني » هذه الحمامات في كثير من التفصيل وقال إنها ما زالت قائمة حتى زمانه ... !!

(١) انظر مقاله المتمم عن كتاب « روشنائی نامه » في المجلد ٣٣ ن « مجلة المستشرقين الألمان » سنة ١٨٧٩ م ٦٤٥ - ٦٦٥ .
(٢) انظر ص ٣٢٨ من هذا الكتاب تحت مادة « يمسكان » .

وإليك الآن مثلاً لحادث مرائعة تضمنتها هذه السيرة الزائفة ، وهي برمتها مذكورة في مخطوطة يرجع تاريخها إلى سنة ٥٧١٤ = ١٣١٤ - ١٣١٥ م موجودة في « مكتبة إدارة الهند » ^(١) وخلاصتها مايلي :

- « وبعد عناء طويل وصلنا إلى مدينة نيسابور . وكان في صحبتنا واحد من
 « تلاميذي له خبرة في الطب والحكمة . ولم يكن أحد يعرفنا في هذه المدينة
 « فلجأنا إلى مسجد من المساجد لتقيم فيه . ولما سرت في أرجاء المدينة كنت
 « أسمع الناس يسبونني أمام أبواب المساجد التي مررت عليها ، ويتمنونني بأنني
 « كافر ملحد ، ولم يكن تلميذي يعلم شيئاً عن آراء الناس في . وذات يوم
 « بينما كنت أجتاز السوق عرفني رجل من مصر فالتفت إلي وقال : أأنت
 « أنت ناصر خسرو ..؟! وأليس هذا أخاك أبا سعيد ...؟! نخشيت اقتضاح
 « أمري ، وأمسكت على يده بشدة وشغلته بالحديث ، ثم أخذته إلى حيث
 « أقوم وعرضت عليه أن يأخذ ثلاثين ألف مثقال من الذهب على ألا يفصح
 « أمري أو يكشف سري . فلما قبل رجائي أعددت له المبلغ وناولته إياه وأخرجته
 « من مسكني . ثم خرجت إلى السوق في صحبة «أبي سعيد» وتوقفت لدى
 « إسكافي ليصلح لي نعلي حتى أستطيع الرحيل عن هذه المدينة . وخواة سمعت
 « صياحا وصحبا إلى جوارى ، وهب الإسكافي من مكانه وهرع إلى مكان
 « الصخب ليستطلع الأمر ثم عاد إلى بعد برهة وجيزة وعلى غرازه قطعة من
 « اللحم الآدي . فسألته عن سبب هذه الجلبة ، وما هذه القطعة من اللحم الذي
 « يرفعها على غرازه ...؟! فأجابني بأن واحدا من أتباع «ناصر خسرو» قد ظهر
 « في المدينة وأخذ يناقش علماء هافي المسائل الدينية فلم يتقبلوا آراءه مستندين
 « في معارضتها على الكتب العتمدة والصادر الموثوق بها ، فأخذ يجادلهم فيما

(١) هذه المخطوطة تتعلق بمختارات من دواوين ستة من شعراء الفرس ، وهي برقم ١٣٢ وقد أخذنا عنها الصورة المنشورة في مطلع هذا الكتاب . أما الحكاية التي ألقاها هنا فهي ترجمة لما ورد في الديوان طبع بتريز ص ٦ - ٧ وقد سبق لي نشرها في كتاب « سنة بين الفرس » ص ٤٧٩ - ٤٨٠

« يقولون ويذكر لهم آياتنا من أشعار ناصر خسرو ، فأمر العلماء بتخزيقه »
 « إربا إربا فلما فعلوا ذلك أخذت بدورى قطعة من لحمه لتتألى بعض المثوبة »
 « وحسن الجزاء ... فلما علمت بما وقع لتليذى لم استطع أن أملك نفسى »
 « وقلت للاسكافى : أسرع وأعطينى نعلى ، فما عاد لئلى أن يبق فى هذه المدينة »
 « التى ينشدون فيها أشعار ناصر خسرو ...؟! فلما أخذت نعلى أسرع بالخروج »
 « أنا وشقيق من مدينة نيسابور .. »

وهناك رواية خرافية أخرى مذكورة فى هذه السيرة الزائفة ، تمثل لنا ناصرًا وقد هرب من مصر إلى بغداد ، وكيف أن الخليفة العباسى « القادر بالله » نصبه وزيراً له . ثم أرسله فى بعثة إلى ملاحظة « كيلان » من الحشاشين فلما تعرفوا عليه وتبينوا أنه الحكيم الذى طالما أعجبوا بأرائه ، أكرموا وفادته واحتجزوه لديهم ولم يسمحوا له بمغادرتهم ، فلما ضاق به الأمر وأراد الخلاص ، قتل شيخهم بتعاون هذه السحرية ثم خرج هارباً وتبعه فريق من الجيش فسلط عليهم المريح بقتلهم عن آخرهم ... !! ولست أدرى أى الأمرين أدعى إلى العجب فى هذه الرواية .. ؟ أهى الخوارق التى اشتملت عليها .. أم هذه الأغالط التاريخية الواضحة التى تضمنتها ...؟! فقد مات الخليفة القادر فى سنة ٤٢٣ هـ = ١٠٣١ م ولم يبق للحشاشين قاعة فى « كيلان » إلا فى سنة ٤٨٣ هـ = ١٠٩٠ م . ويبدو لى أن جزءاً من هذه القصة الخرافية قد نسبوها خطأ إلى « ناصر خسرو » بينما هى فى الحقيقة متصلة بحياة حكيم آخر متأخر عنه هو « نصير الدين الطوسي » الفيلسوف المعروف الذى أهدى كتابه « أخلاق ناصرى » إلى حاكم « قهستان » الإسماعيلى المسمى « ناصر الدين عبد الرحيم بن أبى منصور » .. ولا شك أن تشابه الأسماء وما اقترن به من جهل الكاتب بعلاقة « ناصر خسرو » بالاسماعيلية ، كل ذلك قد أدى بجامع هذه السيرة الزائفة إلى أن ينسب إلى « ناصر خسرو » أنه هو الذى كتب تفسير القرآن يتفق مع آراء جماعته الإلحادية ، وكان هذا العمل الخاسر الذى قام به سبياً فى النكبة التى حدثت له فى نيسابور ، وهى النكبة التى ذكرناها آنفاً .

آثار ناصر خسرو

فإذا فرغنا من هذه السيرة الزائفة ، وجب علينا أن نمضي قدما إلى دراسة آثاره الصحيحة وهي عبارة عن :

١ — « سفرنامه » أو كتاب رحلاته التي قام بها ، وقد نشره وترجمه المستشرق « شيفر » في باريس سنة ١٨٨١ م

٢ — « الديوان » : وهو مجموعة ما قال من أشعار ، وهو مطبوع على الحجر في تبريز سنة ١٢٨٠ هـ = ١٨٦٤ م (١)

٣ — « روشنائى نامه » أو كتاب الضياء .. وقد نشره « إتيه » وترجمه وعلق عليه في « مجلة المستشرقين الألمان » سنة ١٨٧٩ — ١٨٨٠ م جزء ٣٣ ص ٦٤٥ — ٦٦٥ وجزء ٣٤ ص ٤٢٨ — ٤٦٨ وكذلك ص ٦١٧ — ٦١٢

٤ — « سعادتنامه » : أو كتاب السعادة وقد نشره « فانيان » في جزء ٣٤ من « مجلة المستشرقين الألمان » ص ٦٤٣ — ٦٥٤

٥ — « زاد المسافرين » وهذا الكتاب محفوظ لنا في نسخته الخطية (٢) التي كان يمتلكها « شيفر » والتي انتقلت الآن إلى « المكتبة الأهلية » بباريس وسأبدأ الحديث عن هذه الكتب بكتاب « سفرنامه » لأنه يشتمل على أدق التفاصيل التي يمكن أن نضوع منها صورة صحيحة لحياة هذا الشاعر (٣)

كتاب سفرنامه

هذا الكتاب شبيه بكتاب « سياست نامه » مكتوب بلغة سهلة خالية من الصنعة

(١) المترجم : طبع هذا الديوان أخير في طهران سنة ١٣٠٤ — ١٣٠٧ الهجرية الشمسية

(٢) المترجم : طبع هذا الكتاب أخيرا في برلين سنة ١٣٤١ هـ

(٣) المترجم : طبع أخيرا في القاهرة كتابان من الكتب المنسوبة إلى ناصر خسرو ، هما : « خوان الاخوان » و « شش فصل » كما ترجم « سفرنامه » إلى العربية .

والمحسنات . ويذكر مؤلفه أن اسمه الكامل هو « أبو معين الدين ناصر خسرو القبادياني المروزي » ^(١) ويقول إنه كان يشتغل في خراسان مدة من الزمن بأعمال الإنشاء وجباية الأموال أيام « چغرى ييگ داود السلجوقي » .

وفي خريف سنة ٤٣٧ هـ = ١٠٤٥ م رأى في منامه رجلاً يحذره من شرب الخمر فأقلع عنها ، وكان من قبل شغوفاً بها يرى « أنها الوسيلة الوحيدة التي يستطيع بها أن يذبح هموم الدنيا ومتاع الحياة » ثم عزم على الحج إلى مكة ، وكان عمره إذ ذاك يقرب من الأربعين ، فاغتسل وتطهر وذهب إلى جامع « جزجانان » حيث كان يقم في ذلك الوقت ، ودعا الله أن يتقبل توبته ، وأن يعينه على ترك المعاصي والسيئات ، ثم خرج في رحلته في يوم الخميس السادس من جماد الآخر سنة ٤٣٧ هـ = ١٩ ديسمبر سنة ١٠٤٥ م فتوجه بطريق « شبروغان » إلى مدينة « مرو » وطلب إعفاءه من العمل الذي كان يتولاه ؛ ثم سار إلى مدينة « نيسابور » وخرج منها وفي رفقته السيد « الموفق » ^(٢) فزار الشيخ الصوفي « بايزيد البسطامي » في مدينة « قومس » . ثم خرج منها ماراً بمدينة « دامغان » حتى وصل إلى مدينة « سمنان » فتعرف هناك على شاب اسمه « الأستاذ علي النسائي » من تلاميذ « أبي علي سينا » كان يحاضر الطلاب في الحساب والهندسة والطب ، ولكنه أساء الرأي فيه وفي علمه على ما يظهر ، ثم اجتاز مدينة « قزوین » ووصل إلى تبريز في يوم ٢٠ صفر سنة ٣٨ هـ = ٢٦ أغسطس سنة ١٠٤٦ م وهناك تعرف بالشاعر « قطران » وفسرله جملة مقطوعات صعبة من أشعار الشعارين « الدقيقي » و « منجيك » ثم خرج من تبريز إلى « وان » ثم « أخلاط » ثم « بطليس » ثم « أرزن » ثم « ميافارقين » ثم « آمد » ومنها إلى « حلب » ثم إلى « معرة النعمان » حيث تلاقى بالشاعر العربي الفيلسوف « أبي العلاء المعري » وقد ذكره في رحلته فأطراه وأثني عليه وعلى أخلاقه وفضائله ثناء جميلاً . ثم خرج من « معرة النعمان » إلى مدينة « حماء » ثم إلى « طراباس » ثم إلى « بيروت »

(١) المترجم : نسبة إلى مدينتي « مرو » و « قباديان » والأخيرة منها مدينة وولاية بالقرب من ترمذ على نهر جيحون .
(٢) هو في الغالب نفس الشخص الذي نصادفه في قصة عمر الحيام حيث ذكر أنه أستاذ الرفاق الثلاثة : الحيام ونظام الملك والحسن الصباح .

ثم إلى «صيدا» ثم إلى «صور» ثم إلى «عكا» ثم إلى «حيفا» . وبقى في الشام فترة تمكن فيها من زيارة الأراضى المقدسة وقبور الأنبياء وبيت المقدس وبيت لحم ثم استطاع الوصول إلى مكة وتأدية فريضة الحج للمرة الأولى في ربيع سنة ٤٣٩ هـ = ١٠٤٧ م . ثم عاد من مكة إلى «دمشق» ثم إلى «بيت المقدس» وعزم على أن يغادرها إلى «مصر» بطريق البحر ولكن الرياح لم تساعد على السفر فحرا فصار إليها براً ووصل في النهاية إلى القاهرة في يوم الأحد السابع من شهر صفر سنة ٤٣٩ هـ = الثالث من شهر أغسطس سنة ١٠٤٧ م

ناصر خسرو في مصر

ويق «ناصر خسرو» في مصر مدة سنتين أو ثلاث سنوات ؛ وهذه فترة هامة من فترات حياته، لأنه استطاع أن يتحقق فيها من عظمة الخليفة الفاطمي «المستنصر بالله» وما اتصف به من عدل وإدارة حكيمة متزنة ؛ ولأنه كان في مصر انضمامه إلى الإسماعيلية وتبحره في مذاهبهم الباطنية بحيث اتدبوه ليكون داعيهم وحجتهم في خراسان . وهو في كتابه «سفرنامه» متحفظ فيما يختص بالمسائل الدينية ، لأنه فيما يبدو قد كتبه للعامة ولم يشأ أن يفيض لهم في هذه الأمور، ومع ذلك يبدو لنا في وضوح من نبدتين وردتا به (ص ٤٠ و ص ٤٢) أنه لا يشك مطلقاً في صحة نسب الفاطميين وأنه شديد التحمس لهم ، لما امتازوا به من إدارة بارعة وثروة طائلة وما ضمنوه لرعاياهم من سعادة سابعة وأمن شامل .

وصف القاهرة في كتاب سفرنامه

وقد أجاد وصف القاهرة وجوامعها (بما في ذلك الجامع الأزهر) وحرارتها العنرة وحدائقها ومبانيها وضواحيها إجادة تبلغ حد الإعجاب . فأما الأخبار التي رواها عن الإدارة الفاطمية للبلاد فهي بالغة الأهمية والقيمة التاريخية . والظاهر أنه أعجب كل الإعجاب بنظام الجيش وترتيبه ، وكيف أن رواتب الجند تدفع إليهم بانتظام . مما اقتضى إحساس الأهليين بالطمأنينة إلى سلامة أموالهم من غارة الجند وعدوانهم . وقد بلغ عدد الجيش ٢١٥٠٠٠٠ جندياً موزعين كالآتي :

الفرسان :	٢٠٠٠٠٠	قبرواني ... وهم من القبروان
	١٥٠٠٠٠	باطلى ... وهم رجال من المغرب (شمال أفريقيا الغربي)
	٥٠٠٠٠٠	بدوى ... من الحجاز
	٣٠٠٠٠٠	من المأجورين ، البيض والسود .
الشاة :	٢٠٠٠٠٠	من المصامدة السود (من شمال أفريقيا الغربي)
	١٠٠٠٠٠	من المشاركة وهم ترك وعجم
	٣٠٠٠٠٠	عبيد الثراء
	١٠٠٠٠٠	من حراس القصر يسمون بـ « السرائين » ولهم قائد خاص
	٣٠٠٠٠٠	من الزوج والأجاش
	٢١٥٠٠٠٠	جملة الجيش

ولقد أدهشه مقدار الثراء الذى تزخر به الأسواق ، وهو يقول : إن الأمن بلغ حدا كبيرا بحيث لم ير التجار حاجة إلى إغلاق أبواب حوانيتهم ومخازنهم . وفيما يلي لغوى عبارته (١) .

- « وبينما كنت هناك فى سنة تسع وثلاثين وأربعمائة هجرية (١٠٤٧-١٠٤٨م) »
 « رزق السلطان بولد ، فأمر الناس بإقامة الأفراح العامة ، فأسرعوا إلى تزيين »
 « المدينة والأسواق زينة رائعة ، لو أخذت فى وصفها لمصدقنى بعض الناس »
 « ولما اعتمدوا قولى ، فقد امتلأت حوانيت البزازين والصرافين وغيرهم »
 « بالذهب والجواهر والنقود والبضائع والملابس الموشاة بالذهب والقصب بحيث »
 « لم يعد فيها متسع لمن شاء الجلوس . وجميع الناس يحسون بالأمن والسلامة »
 « فى ربوع السلطان ، لا يخشى أحد منهم وقعة الجواسيس والغازين لأنهم »
 « يشقون أن السلطان لا يظلم أحداً ولا يطمع فى مال أحد . »
 « ولقد شاهدت أموالا يملكها بعض الناس ، لو أننى أخذت فى التحدث عنها »
 « أو وصفها لمصدقنى رجال العجم ولأنكروا روايتى ، لأنى أنا شخصياً لم أستطع »

(١) انظر ص ٥٣ من سفر نامه طبع «شيفر» بباريس سنة ١٨٨١ .

ديوان ناصر خسرو :

والآن يجب علينا أن نترك كتاب «سفرنامه» وأن نتقل إلى دراسة «الديوان» ؛ ولكن من الضروري لنا قبل أن تقدم على ذلك ، أن نشير إلى نظرية دافع عنها العالم الكبير المرحوم الدكتور «ريو»^(١) وكذلك العلامة «پرتش»^(٢) و«فانيان»^(٣) ولكنها أصبحت بعد ظهور الأبحاث الجديدة التي قام بها على الأخص «شيفر» و«إتيه»^(٤) واجبة الترك . ومقتضى هذه النظرية أنه كان يوجد شخصان متمايزان يسمى كل منهما باسم «ناصر خسرو» ويكنى بـ «أبي معين» ؛ فأما أحدهما فشاعر سافر فليسوف ؛ وأما الآخر فرحالة جواله .

ويورد الدكتور «ريو» هذه النظرية في وضوح تام فيقول :

« إن أموراً قليلة تكشف لنا آتاناواجه في دراستنا شخصين متمايزين . فأما الحكيم « ناصر كما كان يسمى الشاعر فقد ولد في إصفهان ووصل نسه بالإمام « علي » ابن موسى الرضا » واشتهر بكونه شاعراً قبلما يتم تأليف هذا الكتاب (أي « سفرنامه) وقبلما تتم المنظومة المعروفة باسم « روشنائى نامه » المؤرخه بتاريخ ٤٢٠ هـ (انظر « پرتش » فهرست الكتب بمكتبة جونا ص ١٣ ، أما التاريخ الذى ذكرته نسخة ليدن على أنه سنة ٣٤٣ هـ غلطى في أغلب الظن . انظر « الفهرست ج ٢ ص ١٠٨) . أما ناصر الرحالة مؤلف « سفرنامه » فعلى العكس » من ذلك يذكر لنفسه نسبتين : إحداها تشير إلى قياديان وهى بلنة بالقرب من « بلخ حيث كان مولده ، والأخرى تشير إلى مرو حيث كان مستقره وهو لا يدعى « مطلقاً أنه ينتسب إلى أصل عظيم أو أنه حاز شيئاً من الشهرة إلا ما كان »

- (١) انظر فهرست الكتب الفارسية من ٣٧٩ - ٣٨١ .
- (٢) انظر فهرست الكتب الفارسية في برلين من ٧٤١ - ٧٤٢ .
- (٣) انظر « مجلة المبتعثين الألمان » مجلد ٣٤ سنة ١٨٨٠ من ٦٤٣ - ٦٧٤ وكذلك « المجلة الآسيوية » المجموعة الثانية مجلد ١٣ سنة ١٨٧٩ من ١٦٤ - ١٦٨ .
- (٤) انظر كذلك ملاحظاتى التى أبديتها فى مقالى المنشور بمجلة الجمعية الملكية الآسيوية سنة ١٨٩٩ من ٤١٦ - ٤٢٠ .

« من أمر اشتهاره بالصيرفة والأعمال المالية . أضف إلى ذلك أن الحكيم »
 « ناصر ولد في سنة ٣٥٨ هـ كما يقول كتاب « حبيب السير » (طبعة بجاي »
 « المجلد ٢ جزء ٤ ص ٦٧) أوفي سنة ٣٥٩ هـ كما هو مذكور في كتاب « دبستان » .
 « بينما يذكر الرحالة مؤلف « سفر نامه » في إحدى عباراته ما يفيد أنه »
 « بلغ الأربعين من العمر في سنة ٤٣٧ هـ » .

وهناك مشاكل أخرى تعترضنا إذا شئنا التثبت من شخصية الشاعر والرحالة ،
 وننشؤها جميعاً يرجع إلى الأخطاء التي وقع فيها بعض الكتاب المتأخرين ؛ ومن حسن
 الحظ أنه يمكن التغلب عليها جميعاً بمراجعة دقيقة لكتاب « سفر نامه » وللدويان ، ومقارنة
 ما جاء فيهما من أخبار . فإذا فعلنا ذلك وجدنا أن الرحالة كان فيما يظهر يسمى
 بالحكيم ، لأن الهاتف الذي ناداه في المنام قال له في معرض الرد على دفاعه عن نفسه
 لاحتساء الحمر : « أن الراحة لا تكون بفقْد العقل والصواب ، ولا يمكن أن يقال
 لشخص إنه حكيم بينما يقود الناس إلى فقدان الصواب ... !! » .

أما « دولتشاه » الذي اشتهر بأغاليطه فعليه وحده تقع تبعة القول بأنه ينتسب إلى
 « إصفهان » وهو قول ينفية أساساً هذان البيتان الواردان في الديوان (١) :

گرچه مرا اصل خراسانی است از پس پیری و مهنی و سری
 دوستی عترت و خانه رسول کرد مرا یمکی و مازندری
 ومعناها :

— ولو أنني أصلاً من خراسان ،

ولكنني بعد ما بلغت المجد والعظمة والباططان ...

— جعلني حي لآل الرسول وعترته

انتسب إلى « یمکان » و « مازندران » ... !!

وفيما يتعلق بتاريخ ولادة هذا الشاعر ، لدينا تصريحه ^(١) الوارد في صفحة ١١٠ من الديوان ، حيث بقرر أنه ولد في سنة ٣٩٤ هـ = ١٠٠٣ - ١٠٠٤ م ؛ وفي نفس الصحيفة ونفس القصيدة يقول بعد أربعة أبيات إنه بلغ الثانية والأربعين من عمره «حينما أخذت روحه الواعية تبحث عن الحكمة» ؛ وفي مكان آخر من صحيفة ٢١٧ يستعمل الأعداد التقريبية فيقول ماقاله في كتاب «سفرنامه» من أنه بلغ الأربعين من عمره حينما تحولت حياته إلى هذه الناحية .. وعلى هذا فلا يمكن أن تكون هناك مطابقة تامة في رواية الأخبا أكثر مما هو مشاهد في المطابقة بين في رواية «سفرنامه» وبين ماورد في «الديوان». فإذا تعمقنا في دراسة هذين الكتابين تبين لنا في وضوح وجلاء أن مؤلفهما واحد . أما ذكر الأربعين فعلى سبيل التقريب لأن هذه السن قد وردت في أمكنة أخرى على أنه بلغ الثانية والأربعين . ولو أنعمنا النظر ودققنا قليلا لتبين لنا أن الشاعر قد بلغ الثالثة والأربعين حينما بدأ رحلاته (٤٣٧ - ٣٩٤ = ٤٣ سنه) ، وأنه بلغ الحسين حينما عاد من مصر إلى خراسان ، ويبدو أنه قد نظم جميع القصائد التي يشتمل عليها الديوان بعد هذا التاريخ . وفيما عدا ذلك ، فبالإضافة إلى الإشارتين اللتين تعلقان بعمره حينما نحا نحو الحكمة ، لدى سبع عشرة مقطوعة ذكر فيها الشاعر عمره وقت كتابتها ويانها كالآتي :

يذكر أنه بلغ الحسين في الصفحات ٢٠ و ٢١٩ و ٢٣٠ و ٢٦٣

ويذكر أنه تجاوز الحسين في صفحة ٨٧

ويذكر أنه بلغ الستين في الصفحات ٢٤ و ٧٩ و ١٠٢ و ١٦٤ و ١٧٣

١٧٩ و ١٩٩ و ٢٠٧ و ٢٤٤

ويذكر أنه تجاوز الستين في صفحة ٧٠

ويذكر أنه بلغ الثانية والستين في صفحتي ١٦٦ و ١٧١

(١) المترجم : ورد ذلك في قصيدته التي يقول فيها .

بگذشت زهجرت پس سيمد نود وچار بنهاد مرا ماهر بر مرکز اغبر
(أنظر ص ١٨٣ من طبعة طهران)

وقد أشار في أمكنة أخرى إلى ازدياد ضعفه وشيخوخته في الصفحة الخامسة ؛
والى دنو أجله. في الصفحتين السادسة والسابعة ، ومع ذلك فليس لدينا من الأخبار
ما يقطع بتاريخ وفاته على وجه التحقيق .

دراسة الديوان

ومنذ سنتين تقريبا قرأت الديوان برمته في طبعة تبريز ، وهي تشمل على ٢٧٧
صفحة ، تتضمن وقفا لإحصائي ٧٤٢٥ بيتا من الشعر ؛ وكنت أمل حينئذ أن أكتب
مقالا عن هذا الشاعر فأخذت أدون آرائي فيما يتعلق بخصائصه النحوية واللغوية
والبلاغية ؛ ودونت كذلك إشاراتي إلى الأماكن والأشخاص والحوادث ، وسجلت
بعض القطوعات التي يكشف لنا الشاعر فيها عن آرائه الدينية والفلسفية وخصوصا
ما يتصل منها بعلاقته بالإسماعيلية والخلفاء الفاطميين ، ولكنني لم أجد متسعاً من الوقت
لنشر هذه الملاحظات في مكان آخر ، فكان لزاما علي أن أذكرها باختصار في هذا
المقام (١) .

أما فيما يتعلق بلغته ، فالأمر دقيق جدا بحيث لا يمكنني التحدث عنها في استفاضة
في هذا الكتاب الذي لم يقصده المتخصصون في دراسة الفارسية وحدهم ؛ ومع ذلك
يمكنني أن أقول في إعجاز أن المؤلف - من حيث الخصائص اللغوية والنحوية - استعمل المهور
القديم من الألفاظ ، وأن أسلوبه يشبه إلى حد كبير أسلوب « التفسير الفارسي القديم
للقرآن » الذي أطلت الحديث عنه في « مجلة الجمعية الملكية الآسيوية » (٢) في شهر
يوليه سنة ١٨٩٤م (صفحة ٤١٧ - ٥٢٤) في مقال حاولت البرهنة فيه على أن هذا
التفسير قد كتب في خراسان في زمن السامانيين ؛ فكلال الكتابين يشتمل على ما يقرب
من أربعين كلمة نادرة الاستعمال أو ذات معان مهجورة ، وهما بالإضافة إلى ذلك
يشتملان على تعبيرات وصيغ نحوية شاذة .

(١) منذ كتبت هذا انقال نشرت في « مجلة الجمعية الملكية الآسيوية » في سنة ١٩٠٥
ص ٣١٣ - ٣٢٥ مقالا بعنوان « ناصر خسرو الشاعر والرحالة والداعي » وقد اشتمل هذا
المقال على بعض الملاحظات التي ذكرتها وكذلك على بعض الأسماء التي ترجمتها في هذا الفصل
(٢) أنظر An Old Persian Commentary, J. R. A. S. July 1894

أما الأماكن المذكورة في الديوان فتضمن « بغداد » و « بلخ » و « مصر » و « جرجان » و « غزنه » و « الهند » والمدينتين الوهميتين « جابلقا » و « جابلسا » وكذلك « خاوران » و « ختلان » و « خراسان » و « مازندران » و « جيحون » و « وادي القبياق » و « الري » و « السند » و « سجستان » و « سپاهان أو إصفهان » و « ششتر » و « لوت » و « طراز » و « تون » و « ينگان » و « زابلستان ». وقد أكثر الشاعر من ذكر موطنه « خراسان » (ص ٢٤١، ٢٣) وهي البلاد التي أرسل إليها في أواخر حياته على أنه « حجبها » الإسماعيلي (ص ١٦٩، ١٧٨، ١٨١، ٢٢١، ٢٣٢، ٢٤٧، ٢٥٦). وذكر أنه كان هناك كسفينة نوح (ص ١٦٩) بين الأنعام (ص ٢٦٦) من أهلها الأشرار (ص ٢٢٥، ٢٣٣، ٢٤١) الذين أساء الحكم حكمهم (ص ٢٤٣). وهو يشير إليها في تحفظ (ص ٤٨، ٤٩) فيصورها بأنها صحراء روحية مألحة (ص ٢٠٣) اضطر إلى الازواء والاختفاء بها (ص ١٨٥). ويصادف القارىء بعد ذلك بكثرة اسم مدينة « ينگان » وهي البلدة التي استقر فيها الشاعر في النهاية ؛ ويتحدث الشاعر خلال ديوانه عن رحلة قام بها استغرقت خمسة عشر عاما (ص ١٦٧) وعما أحس به من الوحدة والاغتراب (ص ١٦١، ١٧٠، ٢٢٧) وهو في إحدى المرات يتحدث عن نفسه كأنه أسير سجين (ص ٢٤٣) ولكنه في مرة أخرى يدعو نفسه ملكا وشهريارا (ص ١٥٩، ١٦١). أما بقية الأماكن التي ورد ذكرها في أشعاره فقد ورد ذكرها مرة واحدة ، ماعدا « بلخ » فقد ذكرت سبع مرات و « بغداد » فقد ذكرت أربع مرات ، وفيما عدا ذلك فقد وردت إشارة واحدة عن « الترك » و « الغز » (ص ٧)

أما الأشخاص الذين ورد ذكرهم في الديوان فأكثر عددا . فقد ذكر من أنبياء التوراة ورسلها أسماء « آدم » و « حواء » و « نوح » و « سام » و « حام » و « إبراهيم » و « ساره » و « موسى » و « قارون » و « يونس » و « دانيال » . أما « المسيح » فقد ذكره في صفحة ١٧٨ و قرن اسمه باحترام زائد فجعله « الابن الذي لا أب له » و « أخا لشمعون » ، استطاع بفيض الله وروحه أن يرد الحياة إلى الأموات . وقد ذكر من بين رجال اليونان أسماء « سقراط » و « أفلاطون » و « يوقليدس » و « قسطنطين » . وذكر من بين ملوك الفرس الأقدمين الذين تحدث عنهم القصص الفارسي أسماء « جمشيد »

و « الضحالك » أو « أردهاكا » و « فریدون » . وذكر من بين الساسانيين اسمي « سابور الثاني بن اردشير » واسم الأمير « قارن » . وذكر من بين شعراء العرب وبأغصم أسماء « النابغة » و « سحبان بن وائل » و « حسان بن ثابت » و « البختري » . وذكر من بين شعراء الفرس أسماء « الرودكي » في صفحة ٢٧٣ و « المنصري » في الصفحات ١١ ، ١٢ ، ١٧٢ ، و « الكسائي » في الصفحات ١٩ ، ٢٨ ، ٣٨ ، ٥١ ، ١٣٣ ، ٢٤٧ ، ٢٥١ ، و « الأهوازي » في صفحة ٢٤٩ و « الشاهنامه للفردوسي » في الصفحتين ١٨٣ ، ١٩٠

ولست أعرف الدليل الذي اعتمد عليه الدكتور « إتيه » ^(١) ليؤكّد أن « ناصر خسرو » لا يشارك « الكسائي » كراهيته للخلفاء الثلاثة الراشدين « أبي بكر » و « عمر » و « عثمان » ويجمع بينهم وبين « علي » قائلا أن فكرة « الحلول الإلهي » انقلت منهم إليه . ولو أننا رجعنا إلى الديوان لوجدنا ست إشارات لى « عمر » اقترن فيها اسمه باسم « أبي بكر » مرتين ^(٢) ولكننا لا نجد ذكرا لـ « عثمان » على الإطلاق . ولا شك أن بعض هذه الإشارات ليس فيها شيء من التحقير أو الامتنان لشأن « عمر » ولكننا نلاحظ أن الأمثلة الآتية تخالف ذلك تمام المخالفة :

يقول في صفحة ٦٢ :

— ومما لامرأ فيه أن عمر سبيء لك مكانا في جهنم ، إذا اتبعت طريق المعجيين بعمر ورفاقه ... !! ^(٣)

ويقول في صفحة ٢٦٣ :

— وحذار الأسى ... إذا تركت وبقيت في يمكان وحيدا أسيرا ... !! ^(٤)

(١) أنظر مقالته الموجودة في ج ٢ من ٢٨١ من « الفصل في الدراسات اللغوية الإيرانية »

بمعنا : « الأدب الفارسي الحديث : Neupersische Litteratur »

(٢) المترجم : لورجنا إلى الديوان المطبوع في طهران سنة ١٣٠٤ — ١٣٠٧ هـ لوجدنا أن اسم عمر ذكر خلاله ست عشر مرة .

(٣) المترجم : نص هذا البيت بالفارسية كما ورد في طبعة طهران من ١٠١ هـ :

عمر اندرسقرت جای دهد بر شک اگر بروی بر ره اینها که رفیق عمرند

(٤) المترجم : أصل هذين البيتين كما جاء في ص ٤١٦ من طبعة طهران هو :

دلنککه مشو بدانکه در یمكان مانندی تنهسا وگشته زندانی

از خانه عمر براند سلمات را امروز برین زمین تو سلمانی

— فقد أخرج عمر سلمان من دياره ، وأنت الآن سلمان هذه الديار ...!!

ويقول في صفحة ٢٦٢ :

— وكيف يجوز لي أن أكثر اللجاج والمجادلة في شأن عمروأبي بكر ...!!^(١)

وشبه بذلك مايقوله في صفحة ٢٤١ بشأن «عائشة» و «فاطمة» :

— كانت عائشة زوجة لوالد فاطمة ، وأنت بالنسبة لي من شيعة زوجة الأب

— فيأسيء الظالع ...!! مادمت من شيعة زوجة الأب ، فمن الطبيعي أن تكون

عدوا لابنة الزوج ...!!^(٢)

والشاعر يبالغ في إطرء «علي» وشيعته و«فاطمة» و«الأئمة» و«الأئمة الفاطميين» وخاصة «المستنصر» و«سلمان الفارسي» و«المختار» الذي انتقم لموقعة «كربلاء» .

أما الخليفة العباسي فيذكره الشاعر باسم «الشیطان العباسي أو ديو عباسي» كما ورد في ص ٢٦١ . وهو يذم أهل السنة ويسمهم «الناصبين» . كما يتحدث عن ثلاثة من أئمة

المذاهب السنية وهم «أبي حنيفة» و«مالك» و«الشافعي» في الصفحات ١١٥ و١١٩ و٢٠٩ فيقول إنهم يجيزون لعب الميسر وشرب الخمر وغير ذلك من الآثام ؛ وهو يزدري

قضاء أهل السنة ويذكرهم بامتهان في الصفحات ٥٨ و٨٢ و١٨١ ؛ ويعرض أحيانا (في الصفحات ٩٥ و٢٣٧ و٦٤) . لذكر ثلاثة من مشايخ الصوفية هم «بازيد البسطامي»

و «ذو النون المصري» و «إبراهيم بن أدهم» ولكنه يطردهم ويعدهم . أما الحكام المسلمون فيذكر من بينهم «السامانيين» في صفحة ١٩١ ويقرن ذكرهم بذكر

«الجماعة المستدلين المستضعفين» (قومي زيردستان) إشارة فيما يظن إلى ملوك الغزنويين الأرقاء الذين أعقبهم على حكم خراسان . وهو يشير كذلك (صفحة ٧) إلى «آل فرغون»

أو الأسرة الأولى من ملوك خوارزم المعروفين باسم الـ «خوارزمشاه» ، ويذكر

(١) المترجم: هذه ترجمة المطرة الأولى من البيت التالي الوارد في ص ٢٩١ من طبعة طهران:

هیچ با بو بکرو با عمر لجاج نیست امروز و نه روز محشر

(٢) المترجم: أصل هذين البيتين كما جاء في ص ٤١٦ من طبعة طهران هو:

فاطمة را عایشه ما یندر است پس تو مرا شیعت ما یندری

شیعت ما یندری ای بد نشان شاید اگر دشمنی دختندری

« طغرل السلجوقي » في صفحة ١٤٣ . ويذكر كذلك « محمود الغزنوي » أربع أو خمس مرات ، وقد وردت بديوانه (في صفحة ٢٦٣) إشارة واحدة إلى الوزير الساماني « أبي الفضل البلعمي » الذي ترجم تاريخ الطبري إلى الفارسية .

وفيما عدا الإسلام يذكر « ناصرخسرو » من الأديان الأخرى ما يأتي :

يذكر « اليهود » في الصفحات ٥٣ ، ٨٣ ، ٩٢ ، ٩٥ ، ١٣٨ .

ويذكر « المسيحيين » في الصفحات ١٤ ، ١٥ ، ٦٧ ، ٢٤٢ .

ويذكر « المجوس » في الصفحات ٥٢ ، ٧٠ ، ٧٩ .

ويذكر « الهنود » في صفحتي ٣٣ ، ٢٠٤ .

ويذكر « الثوبه » في صفحتي ٢٨ ، ٢٧٥ .

ويذكر « المانوية » في صفحتي ١١١ ، ٢٦٩ .

ويذكر « الصابئة » في صفحة ١١١ .

ويذكر « الزنادقة » في صفحة ٥٨ .

ويذكر « الفلاسفة » في صفحتي ١١١ ، ٢١٦ .

أما أصحاب المذاهب الإسلامية ، فيما عدا من سبق لنا ذكرهم من « الحنفية » و « المالكية » و « الشافعية » وغيرهم ، فيذكر منهم « الحنورية » و « الكرامية » و « الليالية » (ص ٢٣٩) كما يذكر « القرامطة » في ص ٢٥٤ . وهو يستعمل لفظ « الباطني » استعمالا حسنا في مقابل لفظ « الظاهري » ؛ أما « الملحد » فيعرفه الشاعر في صفحة ١١٨ بأنه الرجل الذي يريد أن يتعمق في فهم العقائد الدينية . ويبدو مما جاء في بعض أشعاره أنه كان ملما بمحتويات « الإنجيل » ومما يؤيد ذلك العبارات الإنجيلية الآتية التي وردت في أقواله مثل :

كمن يلقى بالجواهر أمام الخنازير (ص ١١)

أجب الجاهل بقدر جهالته (ص ٦٧)

لقد نصب أريت في سراجك (ص ١٣٨)

أنا ذاهب إلى الأب (ص ١٣٩)

ستخرج من الدنيا عاربا كما دخلتها عاربا (ص ١٤٥)

ونستطيع أن نستخلص من الديوان كثيرا من الأمور التي رواها الشاعر عن حياته بالإضافة إلى ما ذكرناه منها آنفا . وأغنى القصائد في هذا الصدد هي قصيدته السادسة والسبعين التي ذكر فيها تاريخ ولادته . وهو يحدثنا في الديوان (صفحة ١١٢) عن رغبته الجارحة في إدراك المعاني الباطنية للأوامر الدينية ؛ ويشكر الله في (صفحة ٥) على هدايته إلى اتباع الحق ؛ ويشير (في صفحة ٩١) إلى أن اعتناقه للمذهب الإسماعيلي إنما حدث في فترة متأخرة من حياته ؛ ويصف لنا (في ص ١٨٢) مراسم إدخاله في مذهب الإسماعيلية ويعين الولاء التي أقسمها (ص ١١١ - ١١٢) وكيف أنه أصبح مكروها بسبب حبه لأهل البيت (ص ٦) وكيف أن أهل السنة يضطهدونه (ص ٢٢ ، ١٢٧ ، ٢٢٧) ويتهمونونه بأنه شيعي (ص ٢٢٣) ورافضي (ص ١١٥) وملحد ، وكيف أنهم يلعنونه على النار (ص ٢٢٣) . ولا يستطيع أحد أن يذكر اسمه على لسانه . وهو يتحدث عن نفسه بأنه «حجة خراسان» (ص ٣٣) ؛ وأنه «حجة المستنصر» (ص ٢٣٩) ، ويشير أحيانا إلى غيره من «الحجج» وأنه يعتبر واحداً من ثقباء الإسماعيلية الإثني عشر (ص ٢٠٩) ؛ ويلقب نفسه بأنه «مختار على» (في صفحة ١٥٩) وأنه «أداة الإمام المختارة» (في صفحتي ١٥٨ ، ١٦٢) ويفخر بعد ذلك بحياة الزهد والعفاف التي عاشها (انظر صفحتي ٩ ، ٢٥٢) وبمقدار العلوم التي حصلها (الصفحات ٥ ، ١٠ ، ١٢٧ ، ١٥٨) وبمقدار الآداب والأشعار التي برز فيها (انظر صفحتي ٢٢ ، ٨٠) ؛ ثم يشير إلى كتبه الكثيرة (الصفحات ٩٠ ، ٢٣٣) وإلى أشعاره العربية والفارسية (صفحة ١٧١) وإلى كتابه المعروف بـ «زاد المسافرين» (صفحة ١٩٥) ؛ ولكن ما أقل الأخبار التي رواها عن ذوى قرابته ، وإن كنا نصادف إشارات عابرة عن ابنه (انظر صفحتي ٦ ، ١٨٥) وعن والده ووالدته وأخيه (صفحة ٢١٩) .

آراؤه الدينية :

وآراؤه الدينية والفلسفية مصورة أبدع تصوير في ديوانه ؛ وهي تعتبر في حقيقة الأمر المدار الأصلي الذي تدور عليه سائر أشعاره ، ويمكن إجمال الحديث عنها بأنها جميعاً أفكار إسماعيلية أو باطنية صميعة . وهو يعن إمعاناً في إتباع مذهبهم

المعروف بمذهب «التأويل» ، ويقول إنه بغير التأويل يصبح نص القرآن غير مستساغ الطعم شبيهاً بماء البحر الأجاج (صفحة ٣) ويغتنى معناه كما تغتنى المياه في كومة من التبن والقش . وقد اتبع هذا المذهب في تفسير «الجنة» و «الجحيم» و «يوم القيامة» و «عذاب القبر» و «المسيح الدجال» و «شروق الشمس من الغرب» ، وقال إن تفسيرها على هذا النحو واجب وضروري (صفحة ٣٩) بل هو أساسى لفهم الدين وروحه (صفحة ٣٣) ولم يعهد الله لأحد بالمفاتيح التي يفتح بها هذه المغلقات إلا الأئمة أهل بيت الرسول (الصفحات ١٢ ، ٣٠ ، ٦٠ ، ٦٤ ، ١٢٤ ، ١٤٢) فهم وحدهم المؤمنون عليها (صفحة ٤) وهو يقول أيضاً إن «التزويل» واجب وضروري (ص ٢٩) وإن اللغة العربية اكتسبت مجدها الخالد من كونها لغة القرآن والتزويل (صفحة ٢٤٩) ومع ذلك فلا فائدة من ترديد القرآن كما تفعل البيغاوات (صفحة ٢١٤) ولا جدوى من تقى لا يصحبه فهم وإدراك (صفحة ٣٧) ومرتبة العلم عالية رفيعة ولكنه مع ذلك خادم للدين (انظر صفحتي ١٥٠ ، ٢٣٥) والدين بدوره روح العالم وريحانه (صفحة ١٨٨) ولا وجود لشيء في الكون إلا لله (صفحة ١٩٣) وهو لا يعرف التأيد ولا التوقيت (صفحة ١٦٦) وكل الظواهر ماهي إلا أصداء من وجوده (صفحة ١٠٦) ومع ذلك فهي مشحونة بالمعاني والدلالات (ص ١٩٧) لأن العقل الكلى كامن فيها (ص ١٤) والإنسان هو وحدة الوجود (٢٣٢) ولا حد للزمان والمكان ، وليس للساوات نهاية أو زوال (صفحة ٤) ومع ذلك فالعالم زائل وليس أبدياً (صفحة ١٢ ، ٣٩ ، ٤٠) وفيما يلي مثالان من أقواله يؤيدان ترجيحه لمذهب «الاختيار» وعدم أخذه بمذهب «الجبر» .

يقول في صفحة ٥٦ :

— إن الله يخلق الأم والشدى واللبن

ولكن الطفل عليه أن يمتص اللبن من ثدى أمه!! (١).

(١) المترجم : نص هذا البيت وارد في صفحة ٩٤ من طبعة طهران مكنذا .
 گرجه یزدال آفریند مادر و پستال و شیر کودکان را شیر مادر خود می باید مکید

ويقول في صفحة ١٤٩

— إن روحك هي السجل ، وأعمالك هي الكتابات التي تكتب في هذا السجل
فلا تسطر في سجلك إلا كل ماعز وجل .

— واكتب في كتابك كل طيب وجميل من أعمالك

فالقلم .. يا أخى ... طوع لما تخطه يدك ويكتبه بنانك ... !!

وهو يقرر أن الخلفاء الفاطميين هم وحدهم الخلفاء الشرعيون للمسلمين (ص

٢١٠) وهم الحفظة للجنة (ص ٢١٣) وفي كل بقعة من بقاع الأرض « باب » للامام

(ص ٧٧)

وهناك إشارات كثيرة للعدد « سبعة » (أنظر صفحتي ٨٨ ، ١٣١٠) ولمذهب

« الأناس » وهو من صميم عقائد الاسماعيلية (الصفحات ١٧٦ — ١٧٨) ويجدر بنا

في النهاية وقبل أن نعرض لأمثله مترجمة من أشعاره أن نشير إلى أن «ناصر خسرو»

كان يزدرى الملوك ازدراءا شديدا (ص ٦) ويزدرى ملازمهم من الحاشية (صفحتي

١٥١ ، ٢٣٠) ، ويحتقر كذلك مداحهم من الشعراء والكتاب (الصفحات ١١٠ ، ٧

١٤١١٢٤ ، ٨٠ ، ١٤٤) بل وكل اديب (ص ٢٢٨) وعلى الخصوص شعراء الغزل

(صفحات ١٠٨ ، ١٤١ ، ١٤٥ ، ١٧١)

من صفحات منه أشعاره

وفما يلي مائة بيت ترجمناها ^(١) من أشعاره ، اخترناها من القصائد الخمس الأولى

من ديوانه ، أى من الصفحات العشر الأولى منه ، وقد راعينا أن نضع نقطا صغيرة

في مكان الأبيات التي أسقطناها من الأصل :

(١) المترجم : عدد الأبيات هو تسعة وتسعون بيتا على وجه الدقة

المثل الأول (صفحة ٢ - ٤ من طبعة تبريز) (١)

- لان كلام الله هو بحار الكلام الزاخرة
 قد امتلأت بالجواهر الكريمة والآلىء الباهرة !!...
 — وظاهر «التنزيل» مالح كماء البحر المرير
 ولكن باطن «التأويل» حلو كالآلىء لدى أصحاب التفكير !!...
 — والجواهر والآلىء مستقرة في جوف البحر وأعماقه
 فلا تنزع بالسير على شواطئه ، والتمس غواصا ماهرا يصل إلى أعماق أطباقه
 — وهل تعرف لأى سبب وضع الله في قاع البحر والماء
 مثل هذه الجواهر والآلىء ذات الرونق والبهاء !!...
 [٥] — وضعها هكذا لأجل «الرسول» وكأنا قال له : هذا المثل واجب الاحتذاء
 فاعط «تأويل» للحكام واعط «التنزيل» للوعاء !!...
 — وإذا لم يعطك العواص غير العكر والماء المالح والطين
 فلا تله لم ير منك غير الحق والكفر والعداء الدفين
 — فاطلب المعنى الحقيقي لظاهر «التنزيل» وكن كالرجال الأصفياء
 ولا تكن كالخير ، فتقع بالهيق والأقوال المراء !!...
 — وهالك «دارا» صاحب الخيل والحشم
 قد غادر الحية مجردا وحيدا ، بلا خيل ولا خدم !!...

(١) المترجم : أنظر صفحة ٣ من طبعة طهران سنة ١٣٠٤-١٣٠٧ الهجرية الشمسية ونس
 لأبيات كما يلي :

دریای سخنها سخن خوب خداست	پر گوهر باقیست ویر لؤلؤ لالا
شور است چو دریایمثل ظاهر تنزیل	تأویل چو لؤلؤست سوی مردم دانا
اندر بن دریاست همه گوهر و لؤلؤ	غواص طلب کن چو روی برب دریا
اندر بن شوراب ز بهر چه نهاد است	چندین گهر و لؤلؤ ارزنده وزیا
(٥) از بهر یمبر که بدین صنع ورا گفت	تأویل بدانا ده و تنزیل بفوغا
غواص ترا جز گل و شورابه ندادست	زیرا که ندید است ز تو جز معادا
معنی طلب از ظاهر تنزیل چو مردم	خرسند مشو همچو خر از قول باوا
دارا که هزاران خدم و خیل و حشم داشت	بگذاشت همه پاک و بیشد با تن تنها =

- والزمان ألعوبة خاطفة تلتقف جميع الأنام
ولا ينجو منها أرفع الأسياد ولا أحقر الخدام ... !!
- [۱۰] — وبعد ذلك اليوم ، لا يستطيع فرد من الحكمة
أن يمجّد لدى الحاكم العادل ملجأً أو منجاة ... !!
- وينال جميع الناس ما يستحقّون من مجازاة
ويستوى في ذلك الظالم والعاقل بغير محاباة .. !!
- وفي ذلك اليوم سأقدم في وسط الهول والفرع والدعاء
فأتلّق أمام الشهداء ، بأذيال الزهراء (أى فاطمة الزهراء)
— حتى يتصف لي الله من أعداء أولاد الرسول
ويعطيني حقّي كاملاً ، وأنال منه الرضا والقبول ... !!
- المثل الثاني (ص ٤ — ٥ من نسخة تبريز)^(۱)
- كيف يمكن للسما أن تجود عليك بالراحة والاستقرار
بينما هي نفسها لا تعرف الراحة ولا السكينة ولا القرار ... !!
- [۱۵] — يا سيدي ... إن هذا العالم سلم للعالم الآخر وساحته
فإذا شئت بلوغ النهاية فعليك أن ترقاه إلى غايته ... !!
- وتأمل ملياً في هذا القلّك الدائر وهذه الأرض الساكنة
ففيها صنعة عالم الغيب ، وحكمته البالغة الكامنة ... !!

بازیت ربایندہ زمانہ کہ نیاید
(۱۰) روزیست از آن پس کہ در آروز نیابند
زو خلق رہا هیچ نہ مولا ونہ مولا
خلق از حکم عدل نہ ملجأ ونہ منجا
هم ظالم وهم عادل بی هیچ عابا
پیش شہدایت من ودامن زہرا
تا داد من از دشمن اولاد پیمبر
بہمد بہام ایزد دافار تعالیٰ
(۱) الترجم : یقابلمہ صفحہ ۵ فی نسخۃ طہران ونصّ الآیات الترجمة کأ یلی :
چگونه کند با قرار آسمان
(۱۵) سرا آنجہان نردبان ابتجہانست
درین بام گردان واین بوم ساکن
بسر بر شدت باید این نردبانرا
بین صنعت وحکمت غیلمانرا

- وتأمل كيف أمكنه بغير حاجة ولا معونة من أى قيل
أن يجعل الروح الخفيفة قرينة لهذا الجسد الثقيل ...!!
- وكيف استطاع أن يعلق في قبه الفلك الحضراء
هذه الكرة الكبيرة اللعنة السوداء ...!!
- وما هذا الذى تقوله ...؟ من أن هذا الفلك الدائر المكين
سبيله ما لا يمكن حصره من الأيام والسنين ...!!
[۲۰] - كلا .. فهذا الفلك غير قابل للبلى والزوال
لا هو .. ولا الريح الدارية ... ولا الماء الجارى الزلال ...!!
- والمكان والزمان ... كلاهما دليل على قدرة الرحمن
ومن أجل ذلك ، ليس للمكان حد ... ولا للزمان ...!!
- ولو أنك قلت لى : إن هذا لا يوجد فى القرآن
قلت لك إنك لم تحسن فهم معانى الفرقان ...!!
- وقد جعل الله خازنا وحارسا على القرآن
وأحال إليه جميع الخليقة من إنس وجان ...!!
- ولكنك بدل أن تتبع من اختاره الله والرسول
فضلت أن تتابع فلانا وكل إمعة مجهول ... !!
[۲۵] - فهلا تحققت أن زاد الإنسان لا يليق إلا للرجال والأصحاب
وأن طعام الكلاب لا يليق إلا للكلاب ...!!

نکه کن که چون کرد بی هیچ حاجت بجان سبک جفت جسم گرانرا
که آویخت اندرین سبز گنبد مرین تیره گوی درشت کلانرا
چه گوئی که فرساید اینچرخ گردان چو بپعد و مر بشرد سالانرا
(۲۰) نه فرسودنی ساختن این فلکرا نه آب روان و نه باد بزانرا
مکان وزمان هر دو از بهر صنع است ازین نسبت حدی زمین وزمانرا
اگر گوئی این در قرآن نیست گویم همانا نگو می نسدانی قرانرا
قرانرا یکنی خازنی هست کایزد حواله بدو کرد مر انس وجانرا
تو بر آنت گزیده خدا و پیمر گزیدی فلان و فلان و فلانرا
(۲۵) مردم شود آب و نان تو مردم نبیی که سگ سگ کند آب و نانرا

الثلث الثالث (ص ٥ — ٧. طبعة تبريز) (١)

- لو كانت دورة الدهر تجري وقها تفضلي ومداه
لما كان لي مستقر إلا على قمة القمر في علاه...!!
- ولكن من أسف أن القلك والدهر لا يعرفان قيمة الفضل والصواب
وهكذا قال لي أني في وقت الصبا والشباب...!!
- والعلم خير من الضياع والمال والملك والجاه
وقد أقتاني بذلك عقلي ، كما أقتت به الحياة...!!
- وخابطرى يزدهى ، أكثر من القمر ، بالنور والضياء
ولا يصلح مقر القمر ... لمقامي .. في أوج السماء...!!
- [٣٠] — وفي مدافعتي لجيوش الزمان وسيوفه المصلته القاطعة
اكتفى بالدين نجاً ، والعقل ترساً من غوائله الواقعة...!!
- وفكرى شجرة مورقة طيبة الثمرات
أوراقها العفة ، وثمارها العلم والطيبات...!!
- وإذا شئت أن تعرف حالي على الحقيقة وفي جلاء
فانظر إلى بعين البصيرة ... كما يفعل العقلاء...!!
- ولا تنتظر إلى جسدى الضعيف الواهن ... وانظر إلى أقوالى ذات الرواء
فلى آثار كثيرة ... يزيد عددها على نجوم السماء...!!

(١) يقابله الأبيات الواردة في ص ٦—٧ من طبعة طهران ونصها كالآتي :

كر بر قياس فضل يكشتي مدار دهر جز بر مقر ماه نبودی مقر مرا
نمی نی که چرخ و دهر ندانند قدر فضل این گفته بود کاه جوانی پدر مرا
دانش به از ضیاع و به از جاه و مال و ملک این خاطر خطیر چنین گفت مرا
با خاطر منور روشن تر از قمر ناید بکار هیچ مقر قمر مرا
(٣٠) با لشکر زمانه و با تیغ تیز دهر دین و خرد پس است سیاه و سپر مرا
اندیشه مرا شجر خوب پرور است پر هیز و علم ریزد برگ ویر مرا
گر بایست همی که ببینی مرا تمام چون عاقلان بچشم بصیرت نگر مرا
منکر بدین ضعیف تم زانکه در سخن زین چرخ پرستاره فروخت اثر مرا

— وقد أعفاني الله من كل مآثم إلى الحاجة والضرورة

وجعلني في غنى عن كل شيء أثناء اجتيازي لهذه الحياة القصيرة !!...

[۳۵] — وشكراً لله ... إنه هداني إلى طريق العلم والدين

وفتح لي .. على مصاريعها ... أبواب الرحمة واليقين !!...

— وجعلني أشهر من الشمس في أوج السماء

لأنني عرفت بحبي آل الرسول والأئمة الأصفاء !!...

— فيا جسد الحقير ... إنك في هذا العالم نفاية الأشياء

ولم أجد قريناً أسوأ لي منك بين القرناء !!...

— وقد كنت أظنك دائماً من أخلص الخلاء

ولم يكن لي صديق غيرك في البر والبحر والأرض والماء !!...

— ولكنك نصبت لي الشراك ... وناصبتني العدا

ولم يكن لي علم بما نصبت لي من أحاطيل المكر والدهاء !!...

[۴۰] — فلما وجدتي غافلاً عندك ستأمناء، في محفاء

قهرتني بمكرك وغدرك ، وغلبتني بآلة اوفاء !!...

— ولو لم تجدني رحمة الله وبدر كني فضل الرحمن

لأوقعني بمكرك ، واكتسحتني حادثات ازمان !!...

از هر چه حاجت بدو مره را خدای
شکر آن خدایا که سوی علو دین خویش ۳۵
ره داد سوی رحمت و بکشد در مرا
اندر جهان بدوستی خاندان حق
کرد است بی نیاز دین رهکنر مرا
چون آفتاب کرد چنین مشهر مرا
ای تا کس و قایم تن من درین جهان
من دوستدار خویش گمان بردمت می
ره داد سوی رحمت و بکشد در مرا
چون آفتاب کرد چنین مشهر مرا
ای تا کس و قایم تن من درین جهان
من دوستدار خویش گمان بردمت می
وز دام تو نبود اثر نه خبر مرا
بر من تو کینه ورشدی و دام ساختی
تا مر مرا تو غافل و اعمی یافتی
۴۰
از مکر و غدر خویش گرفتی سخر مرا
گر رحمت خدای نبودی و فضل او
افکنده بود مکر تو در جوی و چر مرا

- و الآن . . . وقد تبين لي أنك خصمى وعدوى الألد
لم أعد استطيع السكر من يدك أو الشهد ... !!
- وأنت أيها الجسد الجاهل ... ليس لك عمل إلا النوم والطعام
ولكن العقل لدى خير من الأكل الطيب وطول المنام ... !!
- وفي رأى العقلاء أن لا عمل للحمير ... إلا النوم والغذاء
ومن العار أن يكون حالى كالبحار ، مع مالى من عقل وذكاء ... !!
- [٤٥] — وأنت يا جسدى ... سوف لا أقيم معك فى هذه الدنيا القانية
لأن الله يدعونى إلى داره الثانية ... !!
- حيث يعتبرون المجد بالأعمال والفضائل ، لا بالنوم والأكل
فليكفك النوم والأكل ... وليكفى الفضل والعقل ... !!
- وقد ذهب قبلى ما لا يعد من الناس والأنام
ومهما طال بقائى .. فاعتبرنى بمن أودت به الأيام ... !!
- وسأطير بجناح الطاعة ذات يوم ... فأخرج من هذه القبة العالية
وكأنى الطائر يضرب بجناحه فى أطباق الهواء الحالية ... !!
- وجميع الناس يغذرون ضربات القضاء والقدر
ومع ذلك فهما دليلا طريقى فى هذا السفر ... !!
- [٥٠] — و «القضاء» اسمه «العقل» ؟ و «القدر» اسمه «الكلام»
فهذا حدثنى ، وذكرنى ، و حد من الرجال العظام ... !!

۱ کتون که شد درست که تو دشمن منی
خواب و خور است کار تو ای یخورد جسد
کار خور است سوى خرد من خواب و خور
می یا تو ای جسد نشینم در این سرای
۴۵ آنجا هنر بکار و فضایل نه خواب و خور
چو پیش من خلایق رفتند بی شمار
روزی پیر طاعت از حق گنبد بلند
هر کس همی حذر ز قضا و قدر کند
۵۰ نام قضا خرد کن و نام قدر سخن
نیز از دو دست تو نگوارد شرم
لیکن خرد به است ز خواب و ز خور مرا
تنگست تنگ با خرد از کار خور مرا
کایزد همی بخواند بجای دگر ، مرا
بس خواب و خور ترا و خرد با هنر مرا
گرچه دراز مانم رفته شمر مرا
بیرون پریده گیر چو مرغ پیر مرا
وین هر دو رهبرند قضا و قدر مرا
یاد است این سخن زیکی نامور مرا

— وقد أصبح عقلى ونفى أفصح من يحدثنى الآن بأمرى
فلم الحذر والخوف من نفسى ، وما يحش به صدرى ... !!
— ويا من قنعت من القضاء والقدر بالاسم والكلام
إذا ظننت نفسك دابة .. فلا تظنى أيضا من الأنعام ... !!
المثل الرابع (ص ۷۷ من طبعة برز)^(۱)
— يا رياح الصبا .. ! تعملى منى إلى « خراسان » السلام
إلى أهل الفضل والعقل منها .. لا إلى العوام والطفام ... !!
— وكما حلت أخبارى الصحيحة إليهم

إحلى إلى ثانية أخبارهم ، وحدثنى عنهم ... !!
[۵۵] — وقولى لهم : إن الدنيا قد حنت عودى المستقيم
وحطمتى بمكرها العروف وغدرها القيم ... !!
— فحذار أن تدع عهودها توقعك فى الغرور والآثام
فإنها لا ترعى لأحد عهدا .. ولا تعرف الوفاء والدوام ... !!

— وانظر إلى خراسان ، وكيف صارت كالطاحون
فوقعت فى يد هذا وذاك ... وتناوبها التناوبون ... !!

واكنونكه عقل ونفس سخنگوی خود منم از خویشتن چه باید کردن. حذر مرا
ایکشته خوش دلت ز نسا. وقدر بنام چون خویشتن ستور گمانی میز مرا
(۱) المترجم : يقابله ص ۸ - ۱۰ من طبعة طهران ونس آیات الاستمهاد كما یلی :
سلام کن ز من ای باد مر خراسانرا مر اهل فضل و خردزا نه عام و نادانرا
خبر بیاور از ایشان بمن چو داده بوی ز حال من بحقیقت خبر مر ایشانرا
بگویشان که جهان سرو من چو چنبر کرد بمکر خویش خود اینست کار گمانرا
نکر کان نکند غره عهد و پیمانش که او وفا نکند هیچ عهد و پیمانرا
.....
نکه کنید که دردست این و آن چو خراس بچند گونه بدیدید مر خراسانرا

- فلماذا غرورك بملك الأتراك السلجوقيين...؟! —
 — واذا كر محمودا وجلال دولته في «زابل» أيام الغزنويين...!! —
 — فأين الذي خشي بأسه «الفرغونيون» ؟ —
 — فتركوا له «جوزجانان» وأعطوها له طائعين...!! —
 [٦٠] — وقد حطمت حوافر خيوله «الهندستان» —
 بينا وطئت أقدام أفياله بلاد «الحتلان» !! —

 — وأنتم أيها المخادعون... لظالما أتيتم أمامه قاتلين : —
 ليطل عمر السلطان .. وليق آلاف السنين...!! —
 — فإن من يعتمد على عظمة دولته ، وينوى تحطيم السندان —
 يحصد السندان كالشمع بين أسنانه ، قد ذاب ولان...!! —
 — وقد كانت «زابل» بالأمس قبلة الأحرار —
 وكان حالها كحال «الكعبة» بالنسبة لأهل الإيمان والأخيار...!! —
 — فأين الآن ذلك الرجل ، وما كان له من جلال وجاء...؟ —
 وقد كان يرى ... تحت موطيء أقدامه ... برج السرطان في علاه...!! —

٦٠. بملك ترك چرا غره ايد ياد كنيد جلال ودولت محمود زاولستانرا
 كجاست آنكه فرغونيان ز هيت او ز دست خویش بداند كوزگانانرا
 چو هندرا بسم اسب ترك ويران كرد بياي پيلان بسپرد خاك ختلانرا

شما فریتگان پیش او منی گفتید هزار سال فزون باد عمر سلطانرا
 بفر دولت او هر كه قصد سندان كرد بزیر دندان چون موم یافت سندانرا
 بزیر قبله احرار زاولستان بود چنانكه كعبه است امروز اهل ایمانرا
 كجاست اكنون آن مرد و آنجلاوات وجاه كه زیر خویش هیندید برج سرطانرا

(١) الفرغونيون او آل فرغون هم الأسرة الأولى من حكام خوارزم . يقول رضا قلی خان في معجمه «فرهنگ نامری» : أن فرغون علی وزن فریدون اسم لرجل استطاع تولی الحكم في خوارزم وبقي الملك في أولاده وأحفاده ويعرفون بـ «آل فرغون» وهم حكام خوارزم ومن بينهم علی بن مأمون الفرغونی وهو من المعاصرين للسلطان محمود الغزنوی ومن أنسابه وقد قتله بعض غلمانه فأتى السلطان محمود إلى خوارزم وأمر بأعدام قاتليه (انظر أيضا تاریخ الیمینی للعتبی طبع القاهرة سنة ١٢٨٦ هـ جزء ٢ ص ١٠١ — ١٠٥)

[۶۵] — وها هو الآن قد انتشرت أنامله ، وبلت أنيابه الناصعة

حينما انغص على الموت بأنياه ومخالبه القاطعة !!

.....

— وإذا سهلت الأمور ... فاخشى الشدائد والنكبات

فسرعان ما يجعل القللك أسهل الأمور من أصعب العقبات !!

— ومتى غضب الزمان فإن سورته كفيلة في دورانه

أن تخرج « القيصر » من « قصره » و « الخان » ^(۱) من « خوانه »

— ولم يقدر للقمر الوضاح ... والشمس ذات الضياء

أن يكونا بمنجاة من الحسوف والكسوف في كبد السماء !!

— وكل شيء مهما هان أو رخص وقلت قبحته

فلا تحقر أمره ، واعتبره غالبا ... فربما زادت بهجته !!

[۷۰] — واطلب أواسط الأمور ولا ترغب في الوصول إلى الكمال

فإن القمر متى تم أخذ في التقصان والزوال !!

.....

— وإذا أسكرت الدنيا بشرابها جموع الخلق والأنام

فنجبهم .. كما يتجنب اللقيق ... من لعبت برأسه الندام !!

۶۵. بریخت چنگش و فرسوده گشت دنداناش چو تیر کرد بر او مرگ چنگ و دندانرا

.....

بترس سخت ز سختی چرکار آسان شد که چرخ زود کند سخت کار آسانرا

برون کند چو در آمد بخم گشت زمان ز قصر قیصر و از خوان خویش خائرا

بر آسمان ز کسوف سیاهایش نیست بر آفتاب درخشان و ماه تابانرا

ز چیزهای جهان هر چه خوار و ارزانرا گران شد مگر آنچه عزیز خوار و ارزانرا

۷۰. میان کار همی باش و بس کمال بجوی که مه تمام نشد جز ز بهر همتانرا

.....

اگر شراب جهان خلق را چو مستان کرد تو شاندرها کن چون هوشیار مستانرا

(۱) الخان یعنی الملك ، والخوان مستعمله في العربية بمعنى السباط أو المائدة ، وقصد بها هنا

القصر الكبير الذي تمد به المائدة القصة

— وانظر كيف تهلك الطواويس بما ينصبون لها من شباك الحيلة
لكي يحصلوا على ريشاتها البريجة الجميلة...!!

— والجسد هو قيدك ، والدنيا هي سجنك المقيم
فخذار إن تحسب مفرك في هذا القيد وهذا الحبس الأليم...!!
— وقد ضعفت روحك ، وأصبحت ... من العلم والطاعة ... خالية
فاجتهد في العلم ، واكس به روحك الضعيفة العارية...!!

[۷۵] — ودنياك هي الحقل ، وكلامك هو البذر ، وروحك هي الدهقان
ويجب على الدهقان أن ينشغل دائماً بزراعة هذا الحقل والسكان...!!

— ولم لا تجتهد الآن ... والريبع يملأ أطباق الهواء
في أن تحصل على رغيف صغير تستعين به إذا أقبل الشتاء...!!

— وقد أصبح نصيب من العمر وحظي من الزمان
أن أصوغ أشعاري فأنظمها عقدا من الذهب واللؤلؤ والمرجان...!!

نگاه کن که بخیات همه هلاک کنند ز بهر پر نکو طاوسان پرانرا

تران چه بنداست واین جهان زندان مفر خویش مپندار بند ویزندانرا
ز علم و طاعت جانت ضعیف و عریانست بعلم کوش و بیوش این ضعیف عریانرا

جهان ز من و سخن تخم و جانت دهقانست بکشت باید مشغول بود دهقانرا

ترا کنون که بهار است جهد آن نکشی که نانکشی بکب آری مگر زمستانرا

ز عمر بهره همین گشت مر مرا که بشعر برشته میکشم این زر و در و مرجانرا

المثل الخامس (ص ۸ -- ۱۰ طبعة تبریز)^(۱)

— من الحق ألا يكون لى على أعتاب الملوك مقام ومكان

وألا يكون مقرى إلا على باب الله وأعتاب الرحمن

— وما دمت لا أظلم بأفعالى أحدا من العباد

فهل تنفعنى عظمة العظیم . وهل احتاج إلى أيديه الشداد ... !!

[۸۰] — وأربعة أشياء هى التى تؤنس روحى طوال الزمان

وهى : الزهد . والعلم ، والعمل ، وترتيل القرآن ... !!

— وعينى ، وقلبى ، وأذنى ، أثناء الليل الطويل

تكرر النصح والموعظة لجسدى الضعيف الهزيل !!

— فتقول العين : بربك احفظنى من التطلع إلى كل أمر حرام

وصنى من الوقوع فى الشرور والخطايا والآثام ... !!

— وتقول الأذن : أسدد على السيل ، وأغلق على الطريق

حتى لا استمع للأكاذيب والأباطيل المليئة بالنفثيق ... !!

— ويقول القلب : بربك احفظنى من التردى فى الماطع والأهواء

وصنى من نزعات الهوى ... كما يفعل الرجال الأصفاء ... !!

(۱) المترجم : يقابلها الصفحات ۱۲ - ۱۳ من طبعة طهران ونص الأبيات كما يلى :

شاید اگر نیست بر درملکی جز بدر کردگار بار مرا

چون نکم بر کسی ستم که نبود حشمت آن محققم بکار مرا

.....

خواندن فرقان وزهد وعلم وعمل مؤنس جانتد هر چهار مرا

چشم و دل و گوش هر یکی همه شب پند دهد با تن تزار مرا

چشم همگوید از حرام و حرم بسته همبندار زینهار مرا

گوش همگوید از محال و دروغ راه بکن سخت واستوار مرا

دل چکند گویدم همی ز هوا سخت نگهدار مردوار مرا

- [٨٥] — وأما العقل فيقول لى : لقد وكل الله إلى أمر روحك وجسدك .
 وجعلنى مسيطرا عليك ، وموكلا على شأنك !!...
 — ولا شأن لك بميوش الطامع والأهواء ،
 فأنا الموكل على محاربتها لأتمسك لك النجاء !!...
 — وكيف أستطيع أن أخرج رأسى من أنشودة العقل الإدراك !!...
 وقد فضلى الله على الحمير بالتمييز والعقل والإدراك !!...
 — وقد ربط « الشيطان » رأسى إلى قطاره وقافله
 ولكن « العقل » هو الذى خلصنى من ركابه ومتابعته !!...
 — ولو لم يدركنى « العقل » لياخذ بأعنى من يد الشيطان
 لاستمر « الشيطان » ممسكا بزمامى ، قابضاً على العنان !!...
 [٩٠.] — وهذه الدنيا مغارة ضيقة شديدة الحلوكة والظلام ،
 وحسبى منها أن يكون « العقل » هو رفيق فى هذا الغار والمقام (١) .
 — ويا ولدى !!... حذار أن تشكو من الدهر ودورانه
 فما أكره النعم التى نلتها من تسياره وجريانه !!...
 — ولطالما طوفت به وأكثرت من التجوال !!...
 ولم يكن لى معين على الطواف إلا اللسان والحديث والأقوال !!...

- ٨٥ عقل همى گویدم موکل کرد
 نیست ز بهر تو یا سپاه هوا
 سر ز کند خرد چگونه کشم
 دیو همی بست بر قطار سرم
 گر نه خرد بستدی مهارم ازو
 غار جهان گرچه تنگ و تار شد است
 هیچ مکن ای پسر زدهر گله
 هست بدو گشتم وزبان و سخن
- ٩٠ بر تن و بر جانست کرد کار مرا
 کار مگر حرب و کارزار مرا
 فضل خرد داد بر حمار مرا
 عقل برون کرد از آن قطار مرا
 دیو کشان کرده بد مهار مرا
 عقل بستند است یار غار مرا
 کر وی شکر است صد هزار مرا
 هر دو بدین گشت پیشکار مرا
- (١) یشر إلى « غار نور » وهو الذى نزل به الرسول (صلى الله عليه وسلم) ومعه «أبوبكر» فاختفيا فيه ممن كانوا يطلبونهما بعد هجرتهما من «مكة» وقد سمي «أبوبكر» من أجل ذلك بـ « رفيق الغار » وأصبح هذا التمييز يدل على كل صديق مخلص أمين .

-- وها هو الدهر يقول لى : إننى مقبل على السفر والارتحال ،
 فحذار أن تضيق على الضم والعناق ... وانقض منى الأذيال ... !!
 -- وقد كان «العقل» دليلى ومرشدى فى هذه الديار ،
 حتى جعلنى أتميز بالحكمة وأفوز بالاشتهار ... !!
 [٩٥] -- ووضع «العقل» على رأسى تاج التقوى والدين
 وزيننى «الدين» بالفضل وزودنى بالحق واليقين .. !!

 -- وكيف يتكئنى ألا أجهل روحى القربان والفداء ... !!
 لمن يسهل حسابى يوم الحشر واللقاء ... !!
 -- ولا غرو إذا أضحت الدنيا الآن صيدى الحلال
 فلطالما كنت صيداً لها ووقعت فى الحبال ... !!
 -- وهى إذا استطاعت أن تردى سائر الناس والأنام
 لا تستطيع أن تصينى بالجراح والآلام ... !!
 -- فقد أضحت روحى أرفع من الدهر وحادثاته
 ومن أجل ذلك لست أخشى وقعاته وضرباته ... !!
 وقد كان بودى أن يسمح لى المجال بذكر أمثلة أخرى من ديوان «ناصر
 خسرو» فإنه يزخر بالأمثلة التى تكشف عما انطوى عليه هذا الشاعر من إبداع وعلم

دهر همیگویدم که بر سفرم
 پیشروم عقل بود تا بجهان
 بر سر من تاج دین نهاده خرد

 چون نکتم جافندای آنکه بمحشر
 لاجرم اکتون جهان شکار من است
 گرچه همی خلقرا فگار کند
 جان من از روزگار برتر شد
 تنگ مکش سخت در کفار مرا
 کرد بحکمت چنین مشار مرا
 دین هنری کرد و برد بار مرا

 آسان گردد بدو شهاد مرا
 گرچه همی داشت او شکار مرا
 کرد نیارد جهان فگار مرا
 بیم نیاید ز روزگار مرا

وأمانة وحساس ديني واحتقار للمناقضين والمخادعين وشجاعة منطقة النظير ، لا نكاد نصادفها .. فيما أعلم - في أي شاعر فارسي آخر . وأود بصفة خاصة أن ألفت نظر قراء الفارسية إلى قصيدته الرائعة الرقيمة ١٠٢ المنشورة في صفحتي ١٤٦ و ١٤٧ من ديوانه طبع تبريز . وقد كان بودي أن أقبل إليهم ترجمتها لولا أنها - لسوء الحظ - مشحونة بالمصطلحات الفنية المتعلقة بمراسم الحج بحيث يصعب ترجمتها أو فهمها عالم يستعان على ذلك بقدر كبير من الشرح والتفسير . وقد أخذ « ناصر خسرو » في هذه القصيدة يصف خروجه لاستقبال الحجاج الراجعين من مكة وترحيه بمقدم صديق بينهم ؛ فلما تبادل الصديقان تحية اللقاء قال « ناصر خسرو » لصاحبه :

— خبرني ... كيف مجدت هذا « الحرم » . للقدس ... ؟!

وعلى أي شيء عقدت نية « التحريم » عندما لبست ملابس « الإحرام » . ؟

وهل حرمت على نفسك الخطايا بأنواعها وكل ما يفصل بينك وبين الله . ؟

وأجابه صاحبه بالنفي ، فالتفت إليه « ناصر خسرو » واستمر يقول :

— ألم تسبح سوت الله عندما أخذت في « الدلبية » وألم تحب كما أجاب موسى ربه ... ؟

وأجاب صاحبه ثانيه بالنفي ، فاستمر « ناصر خسرو » يقول :

— وعندما وقفت على جبل عرفات وأخذت في السعي ، ألم تصبح « عارفاً » بالله

ومنكرآ لذاتك . ؟ وألم تصل إلى مشامك نفحة من نفحات المعرفة .. ؟

وأجاب صاحبه مرة ثالثة بالنفي ، واستمر « ناصر خسرو » على هذا النوال يسأله

عن مدى فهمه للبعاني الرمزية التي تتطوى عليها مراسم الحج ، واستمر صاحبه يجيب

بالنفي حتى انتهى « ناصر خسرو » إلى قوله :

— « أعلم إذن .. يا صديقي .. أنك لم تؤد الحج بمعناه الصحيح ، ولم تصل إلى مقام

إنكار الذات ، وكل ما فعلت أنك ذهبت إلى « مكة » وعدت منها بعد ما

تجشمت مشاق الطريق ووعثائه لقاء ما أنفقت من مال ودراهم ، فإذا شئت بعد

الآن أن تؤدى فريضة الحج فما عليك إلا أن تسترشد بما علمت وأنت تتبع ما

أخبرت بك به .. »

ولاشك أننا نصادف في هذه الطريقة مثلاً رائعاً لتطبيق المذهب الإسماعيلي المعروف بمذهب « التأويل » أو التفسير الرمزي لمعاني القرآن .

أشعار أبو لحاد المنصورة إلى ناصر خسرو

وعلى النقيض من أشعار التقوى والصلاح التي تملأ الديوان ، نجد أن جملة من الأشعار التي تمتاز بحرية التفكير حتى تبلغ مبلغ الإلحاد ، توجد في نسخة الديوان المطبوعة على الحجر ، وكذلك في أكثر النسخ المخطوطة التي تنسب إلى « ناصر خسرو » . وهذه القطع معروفة جداً في إيران حتى أيامنا الحاضرة ؛ وتشتمل عليها بعض المخطوطات التي تتضمن آثاره الشعرية ، وقد ترجمت في صفحة ٤٨٠ من كتابي « سنة بين الفرس » قطعيتين من أشهر هذه القطع ، ويسرني أن أعيد نشرهما في هذا المكان . فأما القطعة الأولى فواردة في المقالة القصيرة التي كتبها « جامي » عن « ناصر خسرو » في كتابه « بهارستان » وخلاصتها كما يلي :

— يا إلهي ...! أنا من خشيتك لا أستطيع أن أجرو فأقول لك

إن جميع هذا البلاء الذي نحن فيه صادر منك ...!!

— وماذا نعلاك خالين من الحصى والرمال

فماذا أنظرت « الشيطان » ورضيت بالقبول والاحتمال ...!!

— وبإيتك لم تخلق لفاتات الترك هذا الحسن والجمال

وتلك الشفاء الجراء والثغور الناصعة التي تسي الرجال ...!!

— ولكنك أنت الذي تأمر الصائد أن يحمل على صيده في القفار

وأنت كذلك الذي تأمر الصيد أن يسرع إلى الهرب والفرار ...!!

وأما القطعة الثانية فيغلب عليها روح التمرد والشروع ويقول فيها :

— خرج « ناصر خسرو » ليتزده في يوم من الأيام

مشغل الرأس ، ولكن بغير الكأس والدمام ...!!

— فمر بمزيلة إلى جوارها جملة من القبور

فنادته المزيلة وقالت له : لا تنظر إلى في فتور ...!!

— وتأمل حال الدنيا ... وما أعدت من نعم لضحاياها الساكنين
 فقد اشتمل جوفى على نعمها ، واشتملت القبور على الآكلين الجاهلين ...!!
 وهناك قطعة ثالثة تنسب إلى « ناصر خسرو » وهو يهزأ فيها بفكرة البعث
 والنشور . وقد أورد « شيفر » هذه القطعة في مقدمته التي نشرها لكتاب « سفر
 نامه » ، كما أورد أيضاً بيتين من الشعر قيل إن « نصير الدين الطوسي » قالهما رداً
 على هذين البيتين ، وقد سمعت بنفسى هذه القطعة الثالثة ينشدها بعض المنشدين في
 إيران ، وخلاصتها كما يلي :

- رأيت في القلاة رجلاً ، مزقت جسده الذئباب
 قهش النسر لحمه ، وطعم منه الغراب ... !!
 — وتبرز النسر ، فتبرز في قن الجبال والقفار
 وتبرز الغراب ، فتبرز في قاع الناييع والآبار ... !!
 — فهل يستطيع أن يحى مثل هذا الرجل في يوم الحشر والنشور ...!!
 ألا فاهزأ بذقن كل جاهل يقول بإمكان هذه الأمور .. !! (١)
 وقد رد عليه عليه « نصير الدين الطوسي » بهذين البيتين (٢) :
- نعم أن مثل هذا الرجل سيحيى في يوم البعث والنشور
 ولو تحللت عناصره ، وأصبحت كفتات الشعر ... !!
 — فبعثه ليس أصعب من خلقه أول مرة ، وما هو بعسر
 فاهزأ بذقن « ناصر خسرو » ذلك الجاهل الحقير . !!

(١) المترجم : فيما يلي نص هذه الأبيات بالفارسية نقلاً عن مقدمة « شيفر » :

مرد کبرا بنشت کرگه درید	زو بخوردند کرگس وزاغان
این یکی رید بر سر کهسار	وآن دیگر رید در بن چاهان
این چنین کس بمشورزنده شود	تیز در ریش مردک نادان

(٢) المترجم : فيما يلي نص هذين البيتين بالفارسية نقلاً عن مقدمة « شيفر » :

اینچنین کس بمحشر رنده شود	گر نمابند عنصرش چو جو
ز اولین بلر نیست مشکلت	تیز بر ریش ناصر خسرو

بقيّة آثاره :

ويجب علينا الآن أن نتحدث باختصار عن بقية كتبه ومؤلفاته . وقد أبقى لنا ازمن منها ثلاثة كتب ؛ طبع منها اثنان هما : « روشنائى نامه أو كتاب الضياء » و « سعادت نامه أو كتاب السعادة » ، وأما الثالث وهو كتاب « زاد المسافرين » فلا توجد منه إلا النسخة المخطوطة المحفوظة الآن بالمكتبة الأهلية بباريس وقد كانت مائكا للاستاذ « شيفر »^(١) . وقد ذكر « حاجى خليفة » كتابا آخر من كتب « ناصر خسرو » هو كتاب « الإكسر الأعظم » ؛ كما ذكر جماعة آخرون من المؤلفين الذين لا يوثق بهم كتباً أخرى نسبوها له ، فنسب له « دولتشاه » في تذكرته وكذلك لطفلى بيك في « آتشكده » أنه ألف الكتب الآتية :

« كنز الحقائق » و « القانون الأعظم » و كتاب فى « علم اليونان » و « رسالة فى السحر » و « الدستور الأعظم » و « المستوفى » و « تفسير القرآن » وقد ورد الخبر عن هذا الكتاب الأخير فى ترجمة حياة ناصر خسرو الزائفة ، وقيل إنه وضعه خيصاً للملاحدة الإسماعيلية^(٢) .

ولا يمكن القطع على وجه اليقين بعدد الكتب التى وجدت فعلا من بين هذه الكتب التى ذكرناها أخيراً ، لأن جميع المؤلفات التى كتبت فى مدى القرون الأربعة التالية لموت « ناصر خسرو » لم تذكر عنها شيئاً على وجه الإطلاق^(٣) .

روشنائى نامه :

وكتاب الضياء أو « روشنائى نامه » عبارة عن مثنويه تشتمل على ٥٧٩ بيتا

(١) المترجم : طبع هذا الكتاب بمطبعة « كاويانى » ببرلين سنة ١٣٤١ هـ .

(٢) المترجم : يضاف إلى هذه الكتب كتاب « خوان الاخوان » وقد طبع بالقاهرة سنة ١٩٤٠ م . وكذلك « رسالة شش فصل روشنائى نامه » نشر « طبع القاهرة سنة ١٩٤٨ باهتمام « ابواتف W.Ivanow »

(٣) أنظر المقالة التى كتبها « فانيان Fagnan » بعنوان « مقال عن ناصر بن خسرو » وقد نشرها فى « مجلة الجمعية الآسيوية » المجموعة الثانية ، مجلد ١٣ ، ص ١٦٤ — ١٠٨ وخاصة ماورد بالحيفه الأخيرة .

منظومة في بحر المزج السدس^(١) . ويوجد من هـ ذاء الثنوية نسختان مخطوطتان محفوظتان في « المكتبة الأهلية » بباريس ، إحداهما كانت مملوكة الأستاذ « شيفر » ؛ كما توجد منها نسخة مخطوطة في « ليدن » وأخرى في « جوتا » وثالثة في « إدارة الهند » .

وبالرجوع إلى البيت الرقم ٥٥٥ من طبعة « إتيه » نجد أنه يشتمل على تاريخ إنشاء هذه الثنوية ، وهذا البيت هو أكبر دليل ، بل هو الدليل الوحيد ، القائل بأنه كان يوجد شخصان مختلفان يتسمى كل منهما باسم « ناصر خسرو » . فأما قراءة « إتيه » لهذا البيت فتجمل تاريخ إنشاء هذه المنظومة هو سنة ٥٤٤٠ = ١٠٤٨ - ١٠٤٩ م وقد استند فيها على تخمين مقبول ، أي أنه بحملة من الأسانيد القوية ، يمكن الاطلاع عليها في « مجلة المستشرقين الألمان » بالجلد ٢٣ صفحة ٦٤٦ - ٦٤٩ والجلد ٣٤ صفحة ٦٣٨ . ومع ذلك فهذا التاريخ يختلف فيه النسخ المخطوطة الأخرى التي ذكرناها آنفاً . فنسختنا « ليدن » و « باريس » تذكران سنة ٥٣٤٣ = ٩٥٤ - ٩٥٥ م ، ونسخة « جوتا » تذكر سنة ٥٤٢٠ = ١٠٢٩ م ، وأما نسخة « إدارة الهند » فتذكر سنة ٥٣٢٣ = ٩٣٤ - ٩٣٥ م . ويجب أن نلاحظ أن البيتين اللذين ورد بهما التاريخان الأولان لا يستقيمان وزناً ، وعلى هذا فهما من هذه الناحية مرفوضان لدينا ، وأما البيت الذي ذكر التاريخ الأخير فيتناهي ما ورد به مع كل الحقائق التي نعرفها عن « ناصر خسرو » . ذلك لأنه من المحقق الأكيد أن مؤلف « سفرنامه » و « الديوان » شخص واحد ، عرفت تفاصيل حياته وتواريخها معرفة جيدة تبلغ مبلغ اليقين ، فقد ولد — كما ذكر صراحة في « الديوان » — وتلميحا في « سفرنامه » — في سنة ٥٣٩٤ = ١٠٠٣ - ١٠٠٤ م ، وعلى ذلك لا يمكن أن يتصور أنه كتب الـ « روشنائى نامه » في سنة ٥٣٢٣ هـ أو ٥٣٤٣ هـ ؛ كذلك لا يمكن لأحد أن يفترض فرضاً غير مقبول سقلاً ، فيقول بإمكان وجود شاعرين ، يتسمى كل منهما باسم « ناصر » ، ويكنى كل منهما بكنية « أبى معين » ، ويتلقب كل منهما بلقب « الحجة » ، وينتسب كل منهما إلى أصل واحد ، ويعيش كل سهما في « يمان » من

(١) هذا هو عدد آياتها وفقاً لطبعة « إتيه » Ethé

ولاية خراسان ، ويستطيع كل منهما أن يكتب شعراً أخلاقياً وتعليماً على نمط واحد وبأسلوب واحد...!! ويدعو لى من كل ذلك أن الدكتور «إتيه» كان مصيباً في نظريته وتحمينه وأن الـ «روشنائى» كما يقول قد تم تأليفها في القاهرة في خلال عيد الأضحى من سنة ١٤٤٠ هـ = ٩ مارس سنة ١٠٢٩ م . وإذا شاء القارىء الاستزادة من بحث هذه المسألة فإني أحيله إلى المقال المستفيض الذى كتبه الدكتور «إتيه» .

وقد طال بنا الحديث عن «ناصر خسرو» واستغرق منا كل هذه الصفحات الكثيرة ، بحيث يعتذر على الآن ، لضيق المقام ، ولاحتياجى إلى الصفحات الباقية للحديث عن غيره من كبار الكتاب المعاصرين له ، أن استعرض كما ينبغي كتابيه «روشنائى» و«سعادت نامه» ، ومع ذلك فلا ضير على القارىء إذا أوقفت حديثى عند هذا الحد ، لأن القارىء الأوروبى يستطيع أن يقرأ الكتاب الأول في ترجمته الألمانية المنظومة التى قام بها الدكتور «إتيه» ، كما يستطيع أن يقرأ الكتاب الثانى في ترجمته الفرنسية المنشورة التى قام بها «فانيان Fagnan» .

ويجب الإشارة إلى أن كلا من هذين الكتابين في أصله الفارسى عبارة عن مشوية تعليمية أخلاقية نظمت في بحر المهرج ، وأن كلا منهما لا يبلغ من الناحية الفنية الشعرية مبلغ القصائد الموجودة في الديوان . وينقسم «سعادت نامه» إلى ثلاثين فصلاً قصيراً ، تشمل على ٢٨٧ بيتاً من الشعر ، وتتعلق جميعها تقريباً بالحديث عن المبادئ الأخلاقية العملية ؛ أما الـ «روشنائى» فتحدث بالإضافة إلى ذلك عن جملة من المسائل المتعلقة بما وراء الطبيعة وطائفة أخرى من المسائل المتعلقة بنشأة الكون وهى تتضمن أبياتاً رائعة (من ٥١٣ إلى ٥٢٣) في ذم شعراء المديح الديويين الذين لا غرض لهم من قول الشعر إلا التكبب به وجمع الدراهم والدنانير

شعراء الرباعيات :

فإذا تركنا الآن «ناصر خسرو» وجب علينا أن نبغى مباشرة إلى دراسة أربعة شعراء ، امتاز كل منهم بالتبريز في قول «الرباعى» وهو ذلك الضرب من ضروب النظم التى قلنا فيما سبق إنها ترجع إلى أصل فارسى خالص .

فأما هؤلاء الشعراء الأربعة فهم :

- ١ — «عمر الحيام» : الشاعر النجم المشهور الذي ينسب الى «نيسابور»
- ٢ — «بابا طاهر الهمداني» : الشاعر الذي أنشد رباعياته في لهجته الخاصة
- ٣ — «ابو سعيد بن أبي الخير» : الشاعر الصوفي المعروف
- ٤ — «الشيخ الأنصاري» : أو كما يعرف في الفارسية «بير أنصار» وهو الرجل الورع التقى الذي قال عنه الدكتور «إتيه» (١) : انه امتاز في كتاباته العديدة بخلط التصوف بالأخلاق ، وقد جعل بعض منشأته منشورة مسجعة ، كما جعل بعضها الآخر منشورا تختلط به بعض «الغزليات» و«الرباعيات» ويعتبر في الحقيقة صاحب الفضل الأكبر في الامتزاج التدريجي الذي حدث بين «الشعر الصوفي» و «الشعر التعليمي» بحيث يمكن أن نجمله أول من مهد الطريق في ذلك للشاعر العظيم «سنائي»

عمر الحيام

ولنبداً الآن بدراسة عمر الحيام (أو الحياي كما يسمى في العربية) . وقد فاز هذا الشاعر ، بفضل العبقرية التي أبداهها «فيزجرالد» في ترجمة رباعياته إلى الإنجليزية ، بشهرة عريضة في إنجلترا وأوروبا وأمريكا ، لم يفربثلها في بلده إيران ، حيث اقتصرت شهرته على ما كتبه متعلقا بالرياضة والنجوم ، ولم تعدها إلى ما كتب من أشعار . وأقدم ما في حوزتنا من أخبار عنه ، ورد في كتاب « چهار مقاله » أو «المقالات الأربع» من تأليف «نظامي عروضي السمرقندي» . ويجب أن نلاحظ أن الأخبار التي وردت عنه في هذا الكتاب ، لم ترد في المقالة المتعلقة بالشعر والشعراء ، وإنما وردت في المقالة المتعلقة بعلم النجوم والمنجمين . وقد كتب نظامي العروضي (٢) هذا الكتاب في النصف الأخير من القرن الثاني عشر الميلادي (السادس الهجري) . ومما كتبه عن عمر الحيام ما رواه في الحكاية السابعة والعشرين (٣) حيث يقول ما ترجمته :

« ... في سنة ست وخمسة نزل الإمام عمر الحياي والإمام المظفر الاسفزاری »

(١) أظن من ٢٨٢ من كتابه «الأدب الفارسي الحديث» : Neupers. Litt.

(٢) يجب ألا نخلط بينه وبين الشاعر المعروف «نظامي الكنجوي» .

(٣) أظن أيضا ترجمة «براون» إلى الإنجليزية من ١٠٠ — ١٠١ .

« في سراى الأمير أبى سعد بمدينة بلخ بمحلة «بائعى العيد» وكنت قد التقيت
 « بنحمتهم هنالك . فسمعت في مجلس من مجالس النادمة والمؤانسة حجة الحق
 « عمر يقول : إن قبرى سيكون في موضع تهب عليه ريح الشمال في فصل
 « الربيع فتنتثر على مرقدى الورود والأزهار ؛ فبدأ لي استحالة هذا الحديث ،
 « ولكنى كنت أعلم أنه لا يقول الكلام جزافاً . فلما كانت سنة ثلاثين وخمسمائة
 « وصلت إلى نيسابور ، وكانت قد مضت بضعة سنوات^(١) منذ مات هذا الرجل
 « العظيم وانطوت صفحة وجهه في تقاب الثرى والتراب ، وتيتيم بفقده العالم الأسفل ؛
 « وكانت له حقوق الأستاذية على . فذهبت في إحدى الجمعات^(٢) لزيارة قبره
 « واصطجبت معى واحداً من الناس ليدلنى على ثراه ، فأخذنى إلى مقبرة الحيرة .
 « فلما دوت إلى ناحية اليسار ، وجدت قبره في أسفل جدار إحدى الحدائق ،
 « وقد أطلت عليه من وراء هذا الجدار ، أشجار الكثرى والشمس ، وثمرت
 « عليه قدراً كبيراً من أزهارها ، كان كافياً لتغطية قبره وإخفائه . عند ذلك
 « تذكرت الحكاية التى سمعتها من فقه في مدينة بلخ فاستولى على البكاء لأنى
 « لم أرله نظيراً في مكان قط من أرجاء هذا العلم وربوعه السكونية . جعل الله
 « مقره في الجنة ... بمنه وكرمه . »^(٣) .

وأما الحكاية الثانية الواردة عن عمر الحيام في كتاب « چهار مقاله » فهى
 الحكاية الثامنة والعشرون منه ، وترجمتها كما يلى :

« رأيت الحكيم حجة الحق عمر ، ولكنى لم أرله اعتقاداً في أحكام النجوم : »

(١) أى ثلاث عشر سنة لأن «عمر الحيام» مات سنة ٥١٧ = ١١٢٣ م .

(٢) يقصد بذلك « ليلة الجمعة » أو يوم الخميس مساءً ، لأن المسلمين يجعلون بداية اليوم مع مغرب الشمس . ويخصص الفرس ليلة الجمعة أو كما يسمونها « شب جمعه » لزيارة موتاهم من الأتارب والأصحاب .

(٣) الترجمة : يجب أن تنتهى هذه الحكاية عند هذا الحد ، ولكن الأصل الانجليزية يضيف إلى ذلك أربعة سطور ، اختلط فيها الأمر على المؤلف ، فجعلها تكملة أو خاتمة لهذه الحكاية . والواقع أنها مقدمة للحكاية الثانية وقد تداركنا ذلك عند الترجمة . كما أن المؤلف عندما قام بطبع النص الفارسي لكتاب « چهار مقاله » ميز كل حكاية من الحكايتين بمقدمتها وخواتمها على الوجه الأصوب .

« وكذلك لم أر كبيراً من الكبراء ولم أسمع من واحد منهم أنه كان يعتقد في
 « هذه الأحكام . ففي شتاء سنة ثمان وخمسمائة أرسل السلطان (١) شخصاً إلى
 « مدينة مرو ، توجه إلى الوزير الكبير صدر الدين محمد بن المظفر وأمره
 « أن يخبر الإمام عمر : أن اختر لنا وقتاً يصلح لخروجنا للصيد والقنص بحيث
 « لا تعطر الدنيا ولا تثلج خلال الأيام القليلة التي تختارها . وكان السيد الإمام
 « عمر مقيماً في قصر الوزير فأرسل إليه الوزير شخصاً يستدعيه ، وحكى له ما جرى
 « من حديث . فذهب عمر وأعمل فكره يومين كاملين ؛ فلما أحسن الاختيار
 « ذهب بنفسه وحضر ركوب السلطان وقتاً للوقت الذي اختاره ، ولم يكذب
 « السلطان يركب ويذهب مقدار صيحة من الأرض حتى تجمعت السحب وارتفعت
 « الرياح ، وهبط الثلج وتكاثر الضباب . فضحك الحاضرون . ! ! وأراد
 « السلطان أن يرجع . ولكن الإمام عمر قال له . اهدأ قلب السلطان
 « فسينكشف السحاب في التو والساعة وإن يكون في الأيام الخمسة التالية
 « أثر للربطوبة أو البلل . فركب السلطان واتشع السحاب ولم يعد أحد
 « يرى أثراً له ، وخلت الأيام الخمسة التالية من المطر والبلل . »
 « والواقع أن أحكام النجوم صنعة معروفة ولكن لا يجوز لأحد الاعتماد
 « عليها ، ويجب على النجم ألا يعتمد عليها اعتماداً كلياً ، وأن يرجع بكل حكم
 « يستنتظه إلى أحكام القضاء والقدر . . . »
 هذه الأخبار المبكرة التي رويت عن «عمر» تدلنا بوضوح على أنه كان حياً يرزق في
 سنة ٥٠٨ هـ = ١١١٤ - ١١١٥ م ، وأن قبره كان موجوداً في مدينة «نيابور»
 وأن الفكرة التي سادت بين أعضاء «جمعية عمر الحيام» من أنه دفن تحت
 شجيرات الورد إنما هي فكرة خاطئة ، مبعثها أن كلمة «گل» الفارسية لها معنيان :
 أحدهما بمعنى الزهرة على وجه الإطلاق ، والآخر بمعنى الورد على وجه التخصيص .
 وقد رأينا أن سياق الحكاية التي رويت عنه في كتاب « چهار مقاله » وهي التي
 ترجمناها فيما سبق ، قطع صراحة بأن المقصود هو أزهار الشمس والكثرى وليس
 أوراق الورد .

(١) هو فيما يظن السلطان «محمد» أخ السلطان «سنجر» السلجوقي .

أمدت الأبحاث عن حياة عمر الخيام

جميع السير التي نشرت في أوروبا عن «عمر الخيام» حتى سنة ١٨٩٧ م ، اعتمد فيها كاتبوها على كتب فارسية متأخرة ليس لها نصيب من الأهمية في قليل أو كثير ؟ لأن هؤلاء الكتاب كانوا يهدفون إلى خلق القصص الخيالية عن هذا الشاعر ، أكثر مما يهدفون إلى تحري الحقائق التاريخية الثابتة . فلما كانت هذه السنة نشر الأستاذ «فالتين ژوكوفسكي» مقالة البديع الرائع عن «عمر الخيام والرباعيات الجائلة» ^(١) فوضع بذلك حدا للعقالات الزائفة التي نشرت عنه قبل ذلك التاريخ . وقد كتب هذه المقالة باللغة الروسية ونشرها في المجموعة التذكارية التي طبعت تخليداً لمرور خمسة وعشرين عاماً على اشتغال «البارون فيكتور روزن» ^(٢) بأستاذية اللغة العربية في جامعة «سان بطرسبورج» وقد سموها بـ «المظفرية» نسبة إلى المعنى الذي يتضمنه اسمه «فيكتور» . وقد كان من حسن الحظ ، لعدم انتشار اللغة الروسية في غرب أوروبا ، أن يقوم المستشرق العبقري الدكتور «إ. دنيسون روس» الذي يتولى الآن عمادة الدراسة الإسلامية بمدينة كلكتا ^(٣) ، بترجمة هذه المقالة الهامة ونشرها في «مجلة الجمعية الملكية الآسيوية» سنة ١٨٠٨ م (مجلد ٣٠ ص ٣٤٩ - ٣٦٦) وقد أعقب ذلك بتلخيصها ونشر أهم النقاط التي دارت عليها في المقالة التي كتبها بعنوان «عمر الخيام وعصره» وجعلها مقدمة لطبعة «مثنوي: M Ibuenn» للترجمة الانجليزية التي نشرها «فيتزجيرالد» للرباعيات ، كما أضاف إليها شرحاً وافياً كتبته السيدة «ه. م. باتسون» ونشرته في سنة ١٩٠٠ م ^(٤) . وقد نقل «ژوكوفسكي» الأخبار المروية عن «عمر الخيام» في لغتها الأصلية ، وألحق بها ترجمة روسية لها ، ثم ترجم هذه الأخبار إلى الانجليزية الدكتور «دنيسون

(١) أظفر: Prof. Valentin Zhukovski: 'Umar Khayyam and the Wandering Quatrains.

(٢) اسمه بالحروف اللاتينية هو : Baron Victor Rosen

(٣) المترجم : هو المستشرق الكبير المرحوم Sir. E. Denison Ross وقد تلمذت عليه أثناء دراستي في «معهد اللغات الشرقية» بلندن وكان في ذلك الوقت مديراً لهذا المعهد ، وأدركته الوفاة في سنة ١٩٤٢ م .

Mrs. H.M. Batson

(٤) اسمها بالحروف اللاتينية هو :

روس». وهى فى جملتها عبارة عن أربعة أخبار استمدها على التوالى من كتاب ألف فى القرن الثالث عشر الميلادى (= السابع الهجرى) ، وخبر منقول من كتاب تم تأليفه فى القرن الرابع عشر الميلادى (= الثامن الهجرى) ، وخبر آخر منقول من كتاب تم تأليفه فى القرن الخامس عشر الميلادى (= التاسع الهجرى) ، وخبر أخير منقول من كتاب يرجع تأليفه إلى أواخر القرن السادس عشر (= العاشر الهجرى) أو مطلع القرن السابع عشر الميلادى (= الحادى عشر الهجرى) .

والخبران الأخيران متأخران تاريخياً ، ولكنه ذكرهما فى مقاله لما اشتملا عليه من أهمية بالغة . وقد يمكننا أن نضيف إلى هذه القائمة مجموعة أخرى من الأخبار التى رواها أصحاب التراجم المتأخرون ، ولكننا نعرض عنها ، لأنها فى الغالب لا تفعل أكثر من أنها تكرر أقوال السابقين فتقتصصها من أطرافها أو تضيف إليها ما ليس فيها . ويجب فى هذه المناسبة أن نذكر أن « عوفى » صاحب « لباب الألباب » وهو أقدم كتاب من كتب التراجم الفارسية وقد تم تأليفه فى بداية القرن السابع الهجرى والثالث عشر الميلادى ، لم يذكر شيئاً بالمرّة عن « عمر الحيام » وكذلك فعل « دولتشاه » فى كتابه « تذكرة الشعراء »^(١) فلم يخصص للحيام مقالة مستقلة مفردة بل تحدث عنه عرضاً^(٢) عندما أخذ يترجم لأحد أحفاده السمعى « شاهفور أشهرى »^(٣) .

كتاب « مرصاد العباد »

يظهر أن أقدم الأخبار المروية عن « عمر الحيام » بعد الخبرين اللذين رويناها فىما سبق عن كتاب « چهارمقاله » هو الخبر الوارد فى كتاب « مرصاد العباد » الذى ألفه « نجم الدين الرازى » فى سنة ٦٢٠ هـ = ١٢٢٣ م^(٤) وقد أشار « ژوكوفسكى » إلى أن أهمية هذا الخبر محصورة فى أن مؤلف هذا الكتاب يعتبر من كبار الصوفية المخلصين ، وقد كتب عن « عمر الحيام » فوصفه بأنه « فياسوف ودهرى وطبيعى »

(١) تم تأليف هذا الكتاب سنة ٨٩٢ هـ = ١٤٨٧ م وقد طبع فى ليدن سنة ١٩٠٠ م

(٢) أظهر من المرجع السابق .

(٣) الشاعر الفارسى المتوفى سنة ٦٠٦ هـ .

(٤) هذا الخبر منقول فى ص ٣٤١ من مقالة « ژوكوفسكى » وكذلك ص ٣٦١ من مقالة « روس » .

واستشهد على ذلك برباعيتين ، يبدو في الأولى منهما كسر الخيام وإلحاده ، بينما الثانية تشمل على توجيه اللوم للخالق لخلق الكائنات الشريرة وإهلاكه للكائنات الحيرة . . ! ! . وقد علق « نجم الدين الرازي » على هذه الأقوال بأنها : « دالة على غاية الحيرة ومنتهى الضلال . » (١) .

كتاب « تاريخ الحكماء » للقفطي :

وقد ورد الخبر التالي لذلك في كتاب « تاريخ الحكماء » تأليف « القفطي » (٢) (ص ٢٤٣-٢٤٤) طبعة الدكتور « يوليوس ليرت : Dr Julius Lippert » في لينز سنة ١٩٠٣ ، وهو كتاب باللغة العربية تم تأليفه في الربع الثاني من القرن الثالث عشر الميلادي (= السابع الهجري) وقد نشر هذا الخبر وترجمه إلى الفرنسية المستشرق « وپكه : Wo pcke » في كتابه عن رسالة الجبر لعمر الخيام L'Algebre d'Omar Khayyami المنشورة في باريس سنة ١٨٥١ م (أنظر ص ٥ من المقدمة وص ٥٢ من النص) وقد أعاد « زوكوفسكي » نشر هذا الخبر (ص ٣٣٣-٣٣٥) وترجمه إلى اللغة الروسية ، كما ترجمه إلى الإنجليزية « روس » (ص ٣٥٤-٣٥٥) . وهذا الخبر في جملة يصور « عمر الخيام » بأنه واحد من حملة العلوم اليونانية أي الحكمة والفلسفة ، كما بين ذلك الصوفي الكبير « جلال الدين رومي » عندما قال في كتابه « المشوي » بيته المشهور الذي ترجمته :

إلى متى ..؟ إلى متى ؟ في حكمة اليونان !! .

أما تفريق ونمضي في حكمة القرآن !! .

(١) المترجم : فيما يلي نص الرباعيتين بالفارسية :

ا - در دايره كامن ورفتن ماست آ نرا نه بدايت نه نهايت پيدااست
 لسي نزندي در اين عالم راست كاي آ مدن از كجا ورفتن بكجااست
 ب - دارنده چو تركيب طباييم آ راست باز از چه قبل فكند الدرگم وكاست
 گر زشت آمد پس اين صور عيب كراست ورنيك آمد خرابي از بهر چراست
 والرباعية الأخيرة هي الرقيقة ١٢٦ من ترجمة « هوفيلد Whinfield » .

(٢) المترجم : توفي القفطي سنة ٦٤٦ هـ = ١٢٤٨ م .

يقول القفطى : « وقد وقف متأخرو الصوفية على شيء من ظواهر شعره فقلوها إلى طريقهم ، وتحاضروا بها في مجالساتهم وخلواتهم ، وبواطنها حيات للشريعة لواسع ، ومجامع للأغلال جوامع » .

ثم يعنى القفطى فيقول : « إنه كان عديم القرنين في علم النجوم والحكمة ؛ به يضرب المثل في هذه الأنواع ، لو رزق العصمة » ويتم القفطى مقاله عن الحيام بذكر أربعة أبيات من إحدى قصائده العربية ، سرى أن ثلاثة منها ترد أيضاً ضمن مقطوعة من ستة أبيات^(١) استشهد بها صاحب الكتاب التالى الذى سنتحدث عنه مباشرة .

كتاب « نزهة الأرواح » للشهرزورى :

والكتاب التالى الذى تحدث عن « عمر الحيام » هو كتاب « نزهة الأرواح وروضة الأفراح » تأليف « الشهرزورى » فى القرن الثالث عشر الميلادى (بداية السابع الهجرى) ويوجد من هذا الكتاب نسختان ، أحدها عربية ، والأخرى فارسية . وقد نشر « ژوكوفسكى » فى مقالته الخبر الوارد عن « عمر » وفقاً للنص العربى والنص الفارسى ، ثم اختار النص الأخير فترجمه إلى اللغة الروسية على خلاف ما فعل « روس » . فقد ترجم النص العربى إلى اللغة الإنجليزية . وكلا النصين يستشهد بأشعار فارسية أو عربية من أشعار الحيام وفقاً للغة التى كتب بها هذا النص ،

(١) المترجم: فيما يلى نص هذه الأبيات وهى سبعة أبيات وليست ستة كما جاء فى كلام المؤلف

محصلها بالكد كفى وساعدى	إذا رضيت نفسى بميسور بلغة
فكن يازمانى موعدى أو موعدى	أمنت تصاريى الحوادث كلها
وفوق مناط الفرقدين مصاعدى	ولى فوق هام النيرين منازل
تميد إلى نفس جميع المساعدا	أليس قضى الأفلاك من دورها بأن
تخر ذراها باقتضاض القواعد	فيا نفس صبراً عن مقلبك إنما
فواعجى من ذا القريب المباعدا	مضى ما دنت دنياك كانت بعيدة
فسيان حالا كل ساع وقاعدا	إذا كان محصول الحياة مثية

فيستشهد النص الفارسي بالرباعيتين الرقيمتين ١٩٣ و ٢٣٠ من طبعة «هونفيلد» ،
وأما النص العربي فيستشهد بمقطوعات ثلاث من أشعاره العربية ، تشمل أولها على
أربعة أبيات ، وثانيتها على ستة أبيات ، وثالثتها على ثلاثة أبيات^(١) وقد رأينا أن المقطوعة
الثانية من هذه المقطوعات هي من نفس القصيدة التي استشهد الكتاب السابق الذي
تحدثنا عنه بثلاثة أبيات من أبياتها .

والخبر الذي رواه «الشهرزوري» أكمل وأوفى من الخبر الذي رواه «القفطى» ؛
فهو يتحدث عن عمر الحيام فيقول عنه إنه : « كان تلو أبي على سينا في أجزاء علوم
الحكمة ؛ إلا أنه كان سيء الخلق ، ضيق العطن . وقد تأمل كتابا بإصفيهان سبع
مرات وحفظه ، وعاد إلى نيسابور فأملأه ، فقبول بنسخه الأصل فلم يوجد بينهما
كبير تفاوت » .

ثم يقول إنه كان عالما بالفقه واللغة والتواريخ والقراءات السبع ، ويقول إن الفقيه
المعروف « أنا جامد محمد القرالى » أحس به بكثير من البغض والكراهية بعدما تباحث
معه في مسألة من المسائل ، وكذلك فعل السلطان «سنجر» ؛ وأما السلطان «مالكشاه»
فكان يحبه ويقربه وينزله منزلة الندماء .

وحكى «الشهرزوري» أن الحيام قيل وفاته « كان يتأمل الإلهيات في الشفاء ،
فلما وصل إلى فصل الواحد والكثير وضع الحلال بين الورقتين وقام وصلى وأوصى
ولم يأكل ولم يشرب ؛ فلما صلى العشاء الأخيرة سجد وكان يقول في سجوده :

(١) المترجم : فيما يلي نص المقطوعتين الأولى والثالثة :

يقول في المقطوعة الأولى :

بل الأفق الأعلى إذا جاش خاطري
عفانا وأقطارى بتقدیس فاطرى
بطرق الهدى من فيضى القطار
نصبى على وادى العسى كالقناطر

تدين لى الدنيا بل السبعة العلى
أصوم عن النجشاء جهراً وخفية
وكم عصبة زات عن الحق فاهتدت
فإن صراطى المستقيم بصائر

ويقول في المقطوعة الثالثة :

برعى ودادى إذا ذو خلة خانا
وكم تبدلت بالإخوان إخواناً
بأنه لا تألفى ما عشت لسانا

زجيت دهرأ طويلا فى التماس أخ
فكم ألفت وكم آخيت غير أخ
وقلت للنفس لا عز مطلبها

« اللهم إني عرفتك على مبلغ إمكاني ، فاغفر لي ، فإن معرفتي بإيك وسيلتي إليك » .

كتاب « آثار البلاد » للقرظيني :

يلي ذلك تاريخياً الخبر الوارد في كتاب « آثار البلاد » للقرظيني فقد تحدث ذلك الكتاب عن « عمر الحيام » عند كلامه عن مدينة « نيسابور » في صفحة ٣١٨ من طبعة « وستنفلد Wustenfled » فقال إنه « كان حكماً عارفاً بجميع أنواع الحكمة سيما النوع الرياضي » وإنه كان مقرباً من السلطان « ملكشاه » السلجوقي ، وإن الفضل يرجع إليه في اتخاذ تمثال من الطين لرجل الطير عن الوقوع في بعض الربط وتجنيس أهله بذرقه .. ثم حكى في النهاية الوسيلة التي اتخذها عمر في فضيحة فيه من الفقهاء ، اعتاد أن يذكره بالسوء ، ويقول عنه أنه كافر ملحد ، بينما كان ذلك الفقيه يعيش إلى كل يوم قبل طلوع الشمس ويقرأ عليه درساً من الحكمة^(١) .

وبالانتهاء من ذكر هذا المرجع ننتهي من الكلام عن الكتب التي تحدثت عن « الحيام » حتى نهاية القرن الثالث عشر الميلادي (= السابع الهجري) ومجددنا — قبل أن نغص في دراسة غيرها من الكتب المتأخرة — أن نشير إلى أن جميع الكتب المبكرة التي سبق لنا الحديث عنها قد أجمعت على الإشارة إلى « عمر الحيام » بأنه « فيلسوف ومنجم ورياضي » وأنه عندما وصف بأنه « صوفي » انبرى للرد على ذلك الصوفي الكبير « نجم الدين الرازي »

(١) المترجم : فيما يلي نص هذه القصة كما وردت في كتاب « آثار البلاد » :
« وحكى إن بعض الفقهاء كان يعيش إلى كل يوم قبل طلوع الشمس ويقرأ عليه درساً من الحكمة ، فإذا حضر عند الناس ذكره بالسوء ، فأمر عمر بإحضار جمع من الطلاب والبوقين وخيأهم في داره ، فلما جاء الفقيه على عادته لقراءة الدرس ، أمرهم بدين الطبول والنفخ في البوقات ، فجاءه الناس من كل صوب ، فقال عمر : يا أهل نيسابور ١٠٠ هـذ عالمكم يأثني كل يوم في هذا الوقت ، ويأخذ مني العلم ، ويذكرني عندكم بما تعلمون ، فإن كنت أنا كما يقول ، فلائى شئ يأخذ علمي ؟! ولا فلائى شئ يذكرني الأستاذ بالسوء ؟! »

فقال عنه أنه « فيلسوف وذهري وطبيعي » بينما نرى « القفطي » يقول إن جماعة من متأخري الصوفية قد وقفوا « على شيء من من ظواهر شعره ، فقلوها إلى طريقتهم وتحاضروا بها في مجالساتهم وخلواتهم ، وبواطنها حيات للشرعية لواسع ومجامع للأغلال جوامع !!! »

كتاب « جامع التواريخ » :

وأهم مرجع من مراجع القرن الرابع عشر الميلادي (الثامن الهجري) هو كتاب « جامع التواريخ » تأليف « رشيد الدين فضل الله » وهو عبارة عن موسوعة في تاريخ « المغول » وبعض أبواب التاريخ العام ، تم تأليفها في الربع الأول من القرن الرابع عشر الميلادي (في سنة ٥٧١٠ هـ) وما زالت لسوء الحظ غير مطبوعة ، برغم مالها من أهمية كبيرة محققة (١) .

وأول مانصادفه في هذا الكتاب هو « قصة الأصدقاء الثلاثة » التي سبق لنا الحديث عنها (٢) وقد سبق لي أن ضمنت جزءاً من هذا الحديث في مقال قصير بعنوان « ضوء جديد يكشف عن عمر الحيام » نشرته في « مجلة الجمعية الملكية الآسيوية » شهر أبريل سنة ١٨٩٩ م (ص ٤٠٩ - ٤١١) ولما كان نص هذه القصة كما ذكرها كتاب « جامع التواريخ » هو أقدم نصوص هذه الأسطورة التي أثارت كثيراً من الجدل والاهتمام بين المعجبين بهذا الشاعر النجم وبين مترجمه

(١) طبع الأستاذ « كاترمير » جزءاً صغيراً منها يتعلق بتاريخ هولانكوخان (باريس سنة ١٨٣٦ م) كما أن المؤكلين بأمر سلسلة جب التذكارية يعنون بنشر أجزاء أخرى من هذه الموسوعة .

المترجم : أصدرت سلسلة جب التذكارية جزءاً من هذه الموسوعة نشره « المسبولوشيه » في المجلد الثامن عشر وهو يتعلق بتاريخ المغول من تولى « أوكتاي » حتى وفاة « تيمورالجاتو » حفيد « قبلاي خان » . كما نشرت جزءاً آخر عن « غازان خان » بعنوان « بتاريخ مبارك غازاني » نشره « كارل يان » سنة ١٣٥٨ هـ = ١٩٤٠ م .

(٢) عند الحديث على « نظام الملك » ص ٢٣٦-٢٣٩ من هذا الكتاب

«فيتجرالد» فإنى أرى لزاما على أن أنشر في هذا المقام ترجمه الجزء التعلق منها بالحيام، وخلاصته كما يلى (١) :

« وأما سبب النفور والعداء اللذين وقعا بين «نظام الملك» و«الحسن الصباح»
 « فمرجه إلى أنهما كانا يحضران الدرس مع «عمر الحيام» فى مدرسة فى مدارس
 « نيسابور؛ وكما فعل الصبية فى أثناء الطفولة، أحس كل منهم بصدقة بالغة
 « لصاحبه، ارتبط فيها ثلاثتهم برباط الدم وأقسموا أغلظ الإيمان على أن
 « من يصل منهم إلى مركز رفيع فى الدولة يجب عليه أن يحمى صاحبه ويقدم
 « لهما كل مغونة لازمة.

« وتابعت الحوادث كما بين ذلك صاحب كتاب «تاريخ آل سلجوق» وانتهى
 « الأمر بنظام الملك فأصبح وزيراً للسلاجقة. فاتصل به عمر الحيام وذكره
 « بالإيمان الذى أقسموا عليها والعهود التى ارتبطوا بها أثناء طفولتهم؛ فاعترف
 « نظام الملك بهذه العهود والمواثيق وقال له: «إنى أهب لك أعمال نيسابور
 « وتوابعها. ولكن عمر كان رجلا عظيما وفيلسوفاً حكيماً فرفض ما عرض
 « عليه قائلاً: إن رغبتى لا تنصرف إلى حكم ولاية من الولايات أو التحكم فى أهلها
 « ولا طاقة لى بالسياسة وأمر العوام، وإنما تنصرف رغبتى إلى أن تجرى على
 « معاشاً أو راتباً أرزق منه. فأجرى عليه نظام الملك معاشاً يبلغ عشرة آلاف
 « دينار، يصرف له سنوياً من دخل نيسابور دون أن يقتطع منه شيء للضرائب

وتستمر القصة بعد ذلك فتذكر وصول «الحسن الصباح» إلى «نظام الملك»
 ومطالبته إياه بتعيينه من المغانم. فلما عرض عليه حكومة «الرى» أو «أصفهان»
 رفضها، ولم يقبل إلا أن يالحق بمنصب من المناصب الرفيعة فى بلاط السلطان. فلما تم
 له ذلك أساء استعمال منصبه، وحاول أن يوقع بضاحب الفضل عليه، وأن يتولى

(١) هذه ترجمة فيها شيء من التصرف ولكنها لم تهمل شيئاً من الأمور الأساسية
 التى وردت فى الأصل وأما المقال الذى نشرته فى «مجلة الجمعية الملكية الآسيوية» فيتضمن
 ترجمة حافية لهذه النبذة.

الوزارة في مكانه ؛ ولكن تديره أخفق وناله كثير من الخزي والعار ، فأثر الهرب إلى « خراسان » ثم إلى « إصفهان » ثم التحق بخدمة الخليفة الفاطمي « المستنصر » بمدينة القاهرة ، حيث تزعم قضية « نزار » ثم عاد إلى إيران ينشر باسمه « الدعوة الجديدة » وقد سبق لنا أن ذكرنا كل هذه الأمور في مكانها من الفصل السابق . ولمن شاء الاطلاع على تفاصيلها أن يرجع إلى ما ذكر عنها في كتاب « تاريخ كزیده ^(١) » وكتاب « تذكرة الشعراء » لدولتشاة ^(٢) وغيرها من الكتب المتأخرة .

كتاب « فردوس التواريخ » :

والخبر التالي الذي رواه « ژوكوفسكى » عن عمر الخيام منقول عن كتاب « فردوس التواريخ » الذي تم تأليفه في سنة ٥٨٠٨ = ١٤٠٥ - ١٤٠٦ م ؛ وهذا الخبر يتضمن رباعيتين من رباعيات الخيام ، ويصف المناظرة التي وقعت بينه وبين « أبى الحسن البهقي » في تفسير بيت عربي من الآيات الواردة في « ديوان الحماسة ^(٣) » ثم ينتهى بذكر قصة موته وفقاً لما ذكره « الشهرزورى » في كتابه « نزهة الأرواح » .

كتاب « التاريخ الألفى » :

وآخر الأخبار التي نقلها « ژوكوفسكى » عن الخيام هو الخبر الذي نقله عن كتاب « تاريخ ألقى » أو التاريخ الألفى ^(٤) ، وهو مؤلف حديث جداً ، سمي بهذه التسمية لأن مؤلفه قصد أن يتحدث فيه عن تاريخ السنوات الألف الأولى من سنى الهجرة

(١) أنظر ص ٤٨٦ - ٤٩٧ من هذا الكتاب طبع « جانتين Gantin » .

(٢) أنظر ص ١٣٨ - ١٤١ من تذكرة الشعراء طبع « براون » بمدينة ليدن سنة ١٩٠٠

(٣) المترجم : البيت المقصود هو قول الشاعر .

ولا يرعون أكراف الهوى إذا حلوا ولا أرض الهدون

(٤) المترجم : مؤلف هذا الكتاب هو « أحمد بن نصر الله التتوى » من أهالى السند وقد

ألفه باسم « أكبر شاه » ملك الهند .

أى إلى سنة ١٥٩١-١٥٩٢ الميلادية . ولكنه في الحقيقة لم يصل به إلا إلى سنة ٩٩٧ هـ . والخبر الوارد في هذا الكتاب هو في الحقيقة تكرار لما ذكره « الشهرزورى » مع شيء من الاقتضاب والاختصار ، ولكنه ينتهى بهذه البنية الغريبة :

« ويؤخذ من أكثر الكتب أنه (أى الحيام) كان يدين بمذهب التناسخ . »
 « وحكى أنه كان فى نيسابور مدرسة قديمة استخدموا فى إصلاحها الحمر ، فكانت »
 « تحمل الأجر إليها . فحدث فى يوم من الأيام أن الحكيم (أى عمر الحيام) »
 « كان يمشى مع جماعة من الطلبة فى صحن المدرسة ، فما كان من أحد الحمر »
 « إلا أن امتنع بتاتا عن الدخول فلما رأى الحكيم ذلك تبسم ، ثم توجه إلى »
 « ناحية الحمار وقال له على البديهة هذا الرباعى . »
 « اى رفته وباز آمده بل هم كشته »
 « نامت ز ميان نامها كم كشته »
 « ناخن همه جمع آمده وسم كشته »
 « ريش از پس كون در آمده دم كشته »
 « ومعناه : »
 « — يا من ذهبت .. ثم عدت كالأنعام بل أضل من الأنعام »
 « — لقد انمحي اسمك ، وضاع من بين أسماء الأنام ... !! »
 « — واجتمعت أظافرك ... فأصبحت حوافر الأقدام ... !! »
 « . — والتصقت ذقنك بعجيزتك ... فصارت هذا الذيل التام ... !! »
 « عند ذلك دخل الحمار ... !! فالتفتوا إلى الحكيم وسألوه السبب فيما كان .. ؟ »
 « فقال لهم : إن الروح التى تقمصت جسد هذا الحمار كانت روح أحد المدرسين »
 « بهذه المدرسة ، لهذا لم تشأ دخولها حتى تبين أن زللاه قد عرفوها »
 « فاضطرت إلى الدخول ... !! »

وليس من الممكن فى هذا المجال أن نمضى فى ذكر الأخبار المتأخرة الواردة عن « عمر الحيام » فإنها فى الغالب عبارة عن حكايات ظاهرة الانتحال ، وضعت لتفسير بعض الرباعيات التى تنسب إليه . ومن الغريب أن صاحب السير المشهور « ابن

خلكان « قد تجهل « الخيام » تجهلاً كلياً وكذلك فعل « ابن شاكر » رغم أنه حاول في كتابه « فوات الوفيات » أن يتدارك ما نسبته سلفه صاحب « وفيات الأعيان » . أما الكتبي التركي « حاجي خليفة » فذكره ثلاث مرات^(١) ؛ الأولى بمناسبة علم الجبر ، والثانية بمناسبة زيج ملكشاه ، والثالثة والأخيرة على أنه معاصر لواحد من المؤلفين الذين تحدث عنهم^(٢) ولكنه نسي أن يعين تاريخ وفاته ، مما يدل دلالة ظاهرة على أنه كان يجهل هذا التاريخ . وقد حددوا هذا التاريخ عادة بسنة ٥١٧ هـ = ١١٢٣ - ١١٤ م ولكني لا أستطيع أن أجد سنداً قوياً استند إليه في تحديد هذا التاريخ^(٣) وكل ما هنالك أنه من المحقق - استناداً إلى ما جاء في كتاب « چهار مقاله » أنه مات في الفترة الواقعة بين سنة ٤٥٠٩ هـ = ١١١٥ م وسنة ٤٥٣٠ هـ - ١١٣٥ م وأنه مات قبل السنة الأخيرة « يضع سنوات » ، وأن أباه كان يسمى « ابراهيم »

وقد وصف بأن له ضنة بالتأليف والتعليم ، ولكن الدكتور « روس » استطاع أن يخرج لنا قائمة بمؤلفاته التي ذكرت في مختلف المصادر ، فإذا بها تبلغ عشرة كتب بما في ذلك رباعياته المعروفة وزيج ملكشاه الذي اشترك في استنباطه . وأغلب هذه الكتب عبارة عن رسائل علمية أو فلسفية مكتوبة باللغة العربية . وقد طبع الأستاذ « ويكه » رسالته عن الجبر ونشر ترجمتها بالفرنسية في سنة ١٨٥١ م وما زالت في مكتبة ليدن نسخة مخطوطة من إحدى رسالاته « في شرح ما اشكل من مصادر كتاب إقليدس » .

(١) ج ٢ ص ٥٨٤ ، ج ٣ ص ٥٧٠ ، ج ٤ ص ٢٧٣ .

(٢) المترجم : عندما تحدث عن كتاب « مهجة التوحيد » لعلاء الدولة الملك بالري .

(٣) أنظر ما كتبه « ريو » في « فهرست الكتب الفارسية » ص ٥٤٦ وكذلك ما كتبه الدكتور « روس » في مقدمته على ترجمة « فيتجرالد » للرباعيات المطبوعة في لندن سنة ١٩٠٠ م ص ٧١ - ٧٢ .

(٤) المترجم : الكتب المنسوبة إلى الخيام هي التالية :

« الرباعيات » . « زيج ملكشاه » . « رسالة في براهين الجبر والمقابلة » . « رسالة في شرح ما أشكل من مصادر كتاب إقليدس » . « رسالة في الطبعيات » . « رسالة في الوجود » . « رسالة في الكون والتكليف » . « رسالة في الاحتيال لمعرفة مقدارى الذهب والفضة في جسم مركب منهما » . « رسالة في لوازم الأمكنة » . « نوروزنامه » . « رسالة في جواب القاضي أبي نصر محمد بن عبدالرحيم النسوى » « رسالة في الجواب عن ثلاث مسائل » .

الأدب الخيامية

من المقطوع به أن أغلب القراء يتركز اهتمامهم في « الرباعيات » ، وقد كانت الترجمة الرائعة التي أصدرها « فينجرالد » لهذه الرباعيات سببا في صدور جملة كبيرة من الكتب والرسائل حول الخيام ورباعياته ، أخذت تنتشر في أوروبا وأمريكا وتكثر كثرة هائلة بحيث أصبح من المستحيل علينا أن نتناولها بالبحث في صفحات هذا الكتاب . ومن الملاحظ أن بعض هذه المؤلفات يرقى إلى أجود أنواع التأليف ، وأن بعضها ينحط إلى أسفل مدارك الكتابات الرخيصة التي صادفها أثناء حياتي ؛ ولا شك أن القاعة الطويلة التي يشتمل عليها الملحق التاسع والأربعون من الطبعة الجميلة المختلفة التي نشرها^(١) « ناثان هسكل دول » للرباعيات في مدينتي بوسطن ولندن سنة ١٨٩٨ ، تكفي لإشباع نهم كل معجب بالخيام متعطش إلى آثاره وأخباره . ومع ذلك فقد اضطر هذا الرجل الدؤوب جامع هذه القاعة إلى الاعتراف^(٢) بأن « مجرد جمع ما كتب عن عمر الخيام في سائر اللغات يقتضى من المرء أن يتفرغ لذلك طوال حياته الكاملة ، وأن مجموع المؤلفات التي كتبت عنه تكفي بلاشك لإنشاء مكتبة عامرة حافلة »^(٣) . ومع حرصى على مراعاة الاقتضاب والاختصار ، أجد لزما على أن أفضل الكلام قليلا عن مسألة « الرباعيات الجميلة »^(٤) التي تناولها بالبحث « زوكوفسكى » ؛ وكذلك عن المقارنة الدقيقة والتحليل العميق اللذين أجراهما « هرون ألن Heron Allen » لترجمة « فينجرالد » ومقابلتها بأصول الرباعيات الفارسية

(١) أنظر ص ٣٤٨ - ٥٩٤ من الطبعة المختلفة للرباعيات من نسخة

Nathan Haskell Dole, Boston and London 1898.

(٢) أنظر ص ٩٤ من المرجع السابق .

(٣) المترجم : ربما كان من المفيد أن نذكر للقارئ العربي أن أهم مترجمي الرباعيات إلى اللغة العربية هم السادة :

« وديع البستاني » و « محمد السباعي » و « محمد الهاشمي » و « أحمد الصافي النجفي » و « جميل صدق الزهاوي » و « أحمد حامد الصراف » و « أحمد رامى » و « أحمد زكى أبو شادى » و « توفيق مفرج » و « حسين مظلوم رياض » و « عبدالحق فاضل » . وترجم « إبراهيم عبدالقادر المازني » بعض الرباعيات في « حصاد الهشيم » .

(٤) يقصد بـ « الرباعيات الجميلة » الرباعيات التي تنسب عادة إلى عمر الخيام ولكنها في أوثق المصادر وأقدمها منسوبة إلى غيره من الشعراء .

الرباعيات الجائزة :

وقد وجد «ژوكوفسكى» أن الرباعيات التى تشتمل عليها طبعة «نيكولاس M Nicolas» تتضمن مالا يقل عن اثنتين وثمانين رباعية يمكن نسبتها، اعتماداً على أوثق المصادر ، إلى واحد من الشعراء الآتين :

« أبو عبد الله الأنصارى » . « أبو سعيد بن أبى الخير » . « أفضل الكاشى » .
 « عاكف » . « علاء الدولة السمنانى » . « الأنورى » . « العسجدى » . « أثير الدين » .
 « العطار » . « ابن سينا » . « أوحى الكرماني » . « بديهي السجاوندى » .
 « سيف الدين الباخرزى » . « نغز الدين الرازى » . « الفردوسى » . « أحمد الغزالى » .
 « حافظ الشيرازى » . « جلال الدين الرومى » . « جمال الدين القزوينى » . « الخاقانى
 الشروانى » . « كمال الدين اسماعيل » . « مجد الدين همكر » . « الغربى » . « الملك
 شمس الدين » . « نجم الدين الرازى » . « نصير الدين الطوسى » . « نعمة الله الكرماني » .
 « رضاء الدين » . « سعد الدين الحموى » . « سلمان الساوجى » . « شاهى » . « سراج
 الدين القمرى » . « طالب الآملى » .

ولو أننا تكلفنا قليلاً من التعب ، لزدنا على هذه القائمة أسماء غيرهم من الشعراء ،
 فقد لاحظت وجود أمثلة أخرى يمكن أن نضيفها إلى الأمثلة السابقة ؛ من ذلك أن
 الرباعيتين اللتين نشرهما «هوينفيلد» برقم ١٤٤ و ١٩٧ ونشرهما «نيكولاس» برقم
 ١١٦ و ١٨٢ ونسب قولهما إلى عمر الحيام ، نشرهما «ژوكوفسكى» برقم ٢٧ و ٢٦
 ونسب قولهما إلى «نصير الدين الطوسى» و «طالب الآملى» . ومع ذلك فقد وجدت
 فى « تاريخ كزیده » (٢) أن الأولى منهما تنسب إلى « سراج الدين القمرى » وأن
 الثانية تنسب إلى « عز الدين الكراتشى » (٢) ومن الواضح أنهما يتناقضان .

(١) كتاب فى التاريخ تم تأليفه سنة ٧٣١ = ١٣٣٠ م
 (٢) أنظر مقالنى عن « شعراء الفرس الذين ذكرهم صاحب تاريخ كزیده » وقد نشرتها
 فى « مجلة الجمعية الملكية الآسيوية » . عدد أكتوبر سنة ١٩٠٠ وعدد يناير سنة ١٩٠١
 (رقم ٣٨ ، ٥٠)

حيث المعنى تناقضا تاما ، بحيث لا يمكن بدهاة نسيهما إلى شاعر واحد . وقد ألحق الدكتور « روس Ross » بترجمته لمقالة « ژوكوفسكى » جدولا قويا للمقابلة بين الرباعيات وقفا لترتيبها في نسخة « هوينفلد » ونسخة « نيكولاس » ونسخه « المكتبة البودلية Bodlian » .

وخلاصة هذا البحث وزيدته ، أنه يمكننا من أن نقطع على وجه التأكيد بأن « عمر الحيام » قد كتب بغير شك كثيرا من الرباعيات ، ولكن من غير الممكن — فيما عدا أمثلة قليلة نادرة — أن نجزم على وجه اليقين بأنه كتب رباعية بعينها من هذه الرباعيات الكثيرة التي تنسب إليه .

وأقدم نسخه مخطوطة من « رباعيات الحيام » هي النسخة الموجودة في « المكتبة البودلية » تحت رقم ٥٢٥ ؛ ويرجع تاريخها إلى سنة ٨٦٥ هـ = ١٤٦٠ م أي أنها نسخت بعد موته بما يقرب من ثلاثة قرون ونصف القرن . وهذه النسخة تشمل على ١٥٨ رباعية ؛ وقد نشرها وترجمها ثرا وعلق عليها المستر « إدوارد هرون ألن » في لندن سنة ١٨٩٨ م ، ثم نشر في السنة التالية كتابا في الموضوع نفسه بعنوان « المقابلة بين ترجمة فيتز جerald لرباعيات عمر الحيام مع أصولها الفارسية ^(١) » وقد أحصى فيه (ص ١٥ — ١٦) عدد النسخ الخطية والمطبوعة من الرباعيات ومقدار الرباعيات التي تشمل عليها كل نسخة من هذه النسخ . والفرق كبير بين عدد الرباعيات في مختلف النسخ . فبينما يقتصر عددها على ٧٦ رباعية في نسخة خطية قديمة في مكتبة باريس يرجع تاريخها إلى سنة ٩٣٧ هـ = ١٥٣٠ م ، إذا به يبلغ ٦٠٦ رباعية في نسخة خطية بمكتبة بانكيسور ، وإذا به يرتفع إلى ٧٠٠ رباعية في النسخة المطبوعة على الحجر في مدينة لكنو سنة ١٣١٢ هـ = ١٨٩٤ م ، ثم إذا به يصل إلى ٨٤٥ رباعية في الترجمة المنظومة التي نشرها « جون باين John Payne » ثم إذا بنا في النهاية نجد أن الأنسة « جيسى كادل Jessie E. Cadell » استطاعت بالرجوع إلى مختلف المصادر أن تجمع ما يزيد على ألف ومائتين من الرباعيات المنسوبة إلى عمر الحيام .

(١) اسمه بالانجليزية: Edward Fitz Gerald's Ruba 'iyyat of Omar
Khayyam with their Original Persian Sources, London, 1899.

وقد يمكن في يوم من الأيام بالتنقيب في خبايا المكتبات الأسبوية العثور على نسخة خطية قديمة من الرباعيات ، استطاع الاعتماد عليها والوثوق من مشتملاتها . ولكننا كما أوضحنا آنفا لا يمكننا قبل العثور على مثل هذه النسخة أن نجزم على وجه اليقين — إلا في أمثله قليلة نادرة — بمقدار الرباعيات التي تصح تسبئها إلى عمر . ومن أسف أن فحص الرباعيات من حيث مبانيها أو معانيها لا يمكن أن ينتهي بنا إلى شيء ؛ فباني الرباعيات من حيث لغتها وألفاظها لا تفيدنا في شيء ، لأننا لا نملك حتى الآن نسخة منها قريبة التاريخ من زمن الشاعر نفسه ؛ وكذلك لا نجدنا أسلوبها نفعاً ، لأن جميع الرباعيات تتشابه في الغالب من حيث الصيغة والوزن والتركيب والمحسنات البلاغية ؛ وهى بالإضافة إلى ذلك قصيرة المدى ، تميل إلى معالجة الأمور « العامة » دون « الخاصة » ، وتمتاز بسهولة المحاكاة والتقليد حتى يصعب — باجتماع كل هذه الأمور — على أى أديب إيراني ، مهما بلغ شأوه في دراسة الآداب الفارسية ، أن يعتمد على أسلوبها ، فيجزم ارتكاباً على ذلك بتعيين قائلها ومنشديها .

أما فيما يتعلق بالمقابلة بين ترجمة «فيتزجيرالد» للرباعيات وبين أصولها الفارسية فقد وفي المستر « إدوارد هرون ألن » هذه المسألة حقها بكل أمانة وإخلاص في ثاني كتابيه اللذين سبق لنا ذكرهما في الصفحات الماضية ، ونحن نكتفي بأن نعيد هنا نتيجة أبحاثه التي وصل إليها بعد كثير من التعب والنصب ، حيث يقول في مقدمة ذلك الكتاب (ص ١١ - ١٢) ما يلي :

« نجد بين الرباعيات التي ترجمها فيتزجيرالد تسعاً وأربعين رباعية ترجمها « فيتزجيرالد بأمانة أو حاكها بإخلاص ، ويوجد الأصل الفارسي لكل « رباعية من هذه الرباعيات في مخطوطة « أوسلي Ouseley » أو مخطوطة « كلكتا أو فيها معا . »

« وفي هذه الترجمة أربعة وأربعون رباعية أخرى يمكن إرجاع كل منها إلى « أكثر من رباعية واحدة فارسية ، ويمكن أن نسميها بالرباعيات المركبة . » . وهناك رباعيتان أوحى بهما إلى فيتزجيرالد بعض الرباعيات التي لا توجد إلا « في نسخة نيكولاس . »

« كما أنه صاغ رباعيتين جعلهما ترددا للروح العامة التي توحى بها الرباعيات . »
 « وفي الترجمة كذلك رباعيتان يمكن إرجاعهما إلى تأثير فريد الدين العطار »
 « وكتابه : منطق الطير . »
 « وهناك رباعيتان من إنشاء عمر أصلا ولكنهما تأثرتا في الترجمة بغزليات »
 « حافظ الشيرازي . »
 « وكانت هناك ثلاث رباعيات ، تضمنتها الطبعتان الأولى والثانية من الترجمة ، »
 « وقد حذفها فيتزجرالد نفسه بعد ذلك ولم أجد لها - رغم البحث الدقيق - »
 « أصلا باللغة الفارسية . ولاشك أنه تأثر فيها بشعراء آخرين ليس يعنينا في هذه »
 « المناسبة تحقيق هويتهم أو معرفة شخصيتهم » .

ولست في حاجة بعد ذلك كله إلا أن أذكر المبتدئين ، دون غيرهم ، بأن الرباعية في الأدب الفارسي تعتبر وحدة مستقلة قائمة بذاتها ، وأنه لا يوجد في ذلك الأدب منظومة طويلة تتركب من عدد من الرباعيات ، وأن الترتيب الذي يراعى في مجموعات الرباعيات هو الترتيب الأبجدي وفقا للحرف الأخير من الشطرات الثلاث الملقاة من الرباعية .

بابا طاهر الهمداني

الشاعر الثاني من شعراء الرباعيات الأربعة هو « بابا طاهر الهمداني » الملقب بـ « العريان » . وسيكون حديثي عنه مختصراً لأن رباعياته طبعت مرتين : الأولى مع ترجمة فرنسية محشاه بواسطة الأستاذ « كليمان أويار » في « المجلة الآسيوية » عدد نوفمبر وديسمبر من سنة ١٨٨٥ م (المجموعة الثامنة ، مجلد ٦) ؛ ^(١) والثانية مع ترجمة إنجليزية منشورة مصحوبة بكثير من التعليقات بواسطة المستر « إدوارد هرون

(١) أنظر مقالة « أويار Huart » في : « المجلة الآسيوية سنة ١٩٠٨ »

ألن « في كتابه « أشجان بابا طاهر »^(١) المنشور في سنة ١٩٠٢ م . وقد تضمن هذا الكتاب أيضاً ترجمة أخرى منظومة للرباعيات كتبها السيدة « إليزابيث كورتيس برينتون »^(٢) . يضاف إلى ذلك أنه قد سبق لي أن خصصت بضع صفحات من الجزء الأول من هذا الكتاب^(٣) للحديث عن اللهجات الفارسية والأشعار التي صيغت فيها ، وتحدثت بوجه خاص عن أشعار « بابا طاهر » ؛ وقد أوردت هناك ثلاث رباعيات من أشهر رباعيّاته بنصّها الفارسي ثم أعقبته بترجمة منظومة بالإنجليزية^(٤) . ورباعيات « بابا طاهر » تتفق مع كثير من الرباعيات التي كتبت في لهجة خاصة ، من حيث كونها لا تجري على أوزان الرباعي المعروفة ، بل تجري على وزن الهزج المدس المحذوف ، فتكرر « مفاعيلن » ست مرات في البيت الواحد ولكن التفعيلة الثالثة والسادسة منها تقتضب إلى « مفاعل » أو « فعولن » . ولما كانت هذه الرباعيات من صياغة رجال سنج من رجال الريف ، فإنها بالضرورة لا تبلغ من حيث الصياغة اللفظية أو البنية مبلغ الرباعيات التي كتبها رجال فنانون من أمثال « عمر الخيام » .

حياة « بابا طاهر »

والمعروف لنا عن « بابا طاهر » قليل جداً ، وقد اختلف كتاب القرس اختلافاً كبيراً في تحديد زمنه ، بحيث جعله بعضهم من الرجال الذين عاشوا في بداية القرن الحادى عشر الميلادى (أوائل الخامس الهجرى) ، وجعله بعضهم الآخر من رجال النصف الثانى من القرن الثالث عشر الميلادى (أواخر السابع الهجرى) . وأقدم ما صادفت

(١) أنظر : Lament of Baba Tahir, by Mr. Eduard Heron Allen : (Quaritch 1902)

(٢) اسم هذه السيدة بالإنجليزية هو : Mrs. Elizabeth Curtis Brenton

(٣) المترجم : أنظر الصفحات ٧٣ - ٧٨ من الأصل الانجليزى للجزء الأول من هذا الكتاب التعلق بالأدب الفارسية منذ أقدم الأزمنة إلى عهد الفردوسى .

(٤) لست أظن قارئ الإنجليزية يستفيد كثيراً بالمقالة التي كتبها « زوكوفسكى » بالروسية في العدد الثامن من ١٠٤ - ١٨ من تقارير القسم الشرقى للجمعية الامبراطورية الروسية

من الكتب التي ذكرت شيئاً عنه هو كتاب « راحة الصدور » فقد ورد في الورقة ٤٣ من المخطوطة الوحيدة المحفوظة بمكتبة باريس ما ترجمته : (١)

« وقد سمعت أنه عندما قدم السلطان طغرل بك إلى مدينة همدان كان بها »
 « ثلاثة من شيوخ الصوفية هم : « بابا طاهر » و « بابا جعفر » والشيخ »
 « «حمشا» ، وكانوا يقفون عند مقدمه على جبل يسمى : جبل الخضر بالقرب »
 « من باب همدان ، فلما وقعت عليهم عين السلطان أمر رجاله بالوقوف ، وترجل »
 « عن جواده ، وتقدم إليهم ، وقبل أيديهم ، وكان بابا طاهر مجذوبا ؛ فقال له : »
 « أيها التركي . . . !! ماذا نويت فعله بعباد الله . . . ؟ فأجابه السلطان : سأفعل »
 « ما تأمرني به . . . !! عند ذلك قال له بابا طاهر : بل افعل ما يأمرك به الله ، »
 « والله يأمر بالعدل والإحسان . (٢)

« عند ذلك بكى السلطان وقال : سأفعل ذلك إن شاء الله . فأخذ بابا طاهر يديه »
 « وقال له : هل تقبل مني هذه الهدية . . . ؟ وأخرج من أصبعه رقبة إبريق »
 « مكسور كان يستعمله في الوضوء مدة طويلة ، ثم وضعها في إصبع السلطان . »
 « وهو يقول : أنى أضع في يدك ملك العالم كما أضع هذا الخاتم في أصبعك »
 « فكن عادلا . . . !! فظل السلطان بعد ذلك يحفظ بها . فإذا خرج لموقعة »
 « من المواقع وضعها في إصبعه . وهذا كله يدل على ما اتصف به السلطان من ثناء »
 « العقيدة وصفاء الطوية ، ولم يكن يدانيه في ذلك أحد من المسلمين . . . »

ومن المحتمل أن تكون المقابلة التي ذكرت في النبذة السابقة قد حدثت بين « طغرل بك » و « بابا طاهر » في سنة ٤٤٧ هـ أو ٤٥٠ هـ = ١٠٥٥ م أو ١٠٥٨ م . وعلى ذلك . يمكننا في اطمئنان أن نرفض التاريخ الذي حدده « رضا قلي خان » لوفاة « بابا طاهر » حين ذكر في كتابه « رياض العارفين » أنه توفي سنة ٤١٠ هـ = ١٠١٩ م . أما النبذة التي كتبها « ژوكوئسكي » في مقاله الذي سبق الإشارة إليه في هامش من هوامش الصفحات الماضية ، وذكر فيها أن « بابا طاهر » تحدث مع « ابن سينا »

(١) المترجم : فاء . طبع هذا الكتاب الاستاذ « محمد اقبال » ونشره ضمن « سلسلة كتب

حب التدكارية »

(٢) سورة النحل آية ٩٢

المتوفى سنة ٥٤٢٨هـ = ١٠٣٥م فمحتملة التصديق عقلا وليس فيها ما يتنافى مع الجائز المقبول . ولا شك أن النبذة التي نقلناها عن كتاب « راحة الصدور » تتفق أنباؤها مع الأخبار القليلة التي ذكرتها كتب المصادر الأخرى، من حيث تصوير « بابا طاهر » وإبراز شخصيته، ومن حيث إظهار الاحترام والتبجيل اللذين يفوز بهما « المجاذيب » و « الأولياء » في البلاد الإسلامية عامة ؛ وقد رأيت بعيني رأسي جماعة من هؤلاء يتنقلون بحرية تامة في مكاتب الحكومة التركية ، فيلاقيهم الموظفون دائماً بمنتهى الحفاوة والتكريم (؟)

* * *

أبو سعيد ابن أبي الخير :

نتقل الآن إلى الحديث عن ثالث الشعراء المشهورين بكتابة الرباعيات ، وهو « أبو سعيد بن أبي الخير » المولود في قرية « مهنة » من أعمال « خاوران » في السابع من ديسمبر سنة ٩٦٧م والمتوفى في الثاني عشر من يناير سنة ١٠٤٩ (= ٣٥٧هـ إلى ٤٤١هـ) . وقد اعتبره « إتيه » : « أول من أبدع الشعر الصوفي ، وأول من روج « الرباعيات » وجعلها وسيلة صالحة لأداء الأفكار الدينية والصوفية والفلسفية بحيث تتركز فيها وتصدر عنها جميع التجليات الصوفية الرائعة ؛ وهو كذلك أول من أضفى على الرموز والتعبيرات الصوفية هذا الجمال الزاهر وهذا الخيال القاهر اللذين عرف بهما الشعر الصوفي منذ ذلك الزمان » .

وروى كذلك عن « أبي سعيد » أنه تمكن من الإجماع بـ « ابن سينا » كما فعل « بابا طاهر » . وقد ورد الخبر في حكاية معروفة أنه عند ما انقض مجلسهما الأول قال أبو سعيد لابن سينا : « إني أدرك ما تعرفه ... !!! » فأجابه ابن سينا بقوله : « وأنا أعرف ما تدركه ... !! » (١) .

(١) من بين الكتب التي ذكرت هذه القصة كتاب « أخلاق جلالى » المؤات في نهاية القرن الخامس عشر الميلادى (أى التاسع الهجرى) ص ٢٨ من نسخته المطبوعة على الحجر في مدينة لكنو سنة ١٢٨٣ هـ : ١٨٦٦ م وقد روى « تاريخ كزیده » هذه القصة بصورة أخرى كما ذكر ذلك الدكتور « إتيه » . فقد ورد فيه أن ابن سينا قال : « كل ما أعرفه يدركه أبو سعيد » فأجابه أبو سعيد بقوله : « أما ابن سينا فيعرف ما لا أدركه ... !!! »

ومع ذلك فقد وضع الدكتور « إتيه » أن هذين الرجلين كانا على طرفي نقيض في كثير من المسائل الدينية وأن العداوة كانت متأصلة بينهما (١).

ومصادر تأريخ « أبي سعيد » — على خلاف العادة — واسعة كاملة؛ فبالإضافة إلى ما نجده عنه من أخبار كثيرة، تضمنتها تراجم الأولياء والشعراء، نجد أن الدكتور « إتيه » قد كتب عنه، بماعهديه من دقة في البحث وعمق في الدرس، مقالين هامتين (٢)، وكذلك قام « ژوكوفسكي » في سنة ١٨٩٩ م بنشر مجلدين يحتويان نصوصا نادرة، تتعلق كلها أو جلها بحياة هذا الرجل، وبما أثر عنه من أقوال وأشعار. ولهذين المجلدين أهمية خاصة تدعونا إلى تفصيل القول عنهما بعض الشيء.

وأول هذين المجلدين يشتمل على النص الفارسي لكل من الكتابين الآتين:

أ — « أسرار التوحيد في مقامات الشيخ أبي سعيد ».

ب — « رسالة حورائيه » أو رسالة الحور.

والكتاب الأول من هذين الكتابين أي « أسرار التوحيد » عبارة عن مؤلف مطول يقع في ٤٨٥ صفحة، كتبها أحد أحفاد الشيخ أبي سعيد المسمى « محمد ابن المنور بن أبي سعيد بن أبي طاهر بن أبي سعيد بن أبي الخير المنسوب إلى قرية مينة » (٣). وقد برهن « ژوكوفسكي » في مقدمته الرائعة التي قدم بها هذا الكتاب، على أن هذه الصفحات قد كتبها مؤلفها فيما بين سنة ٥٥٢ هـ وسنة ٥٩٩ هـ (= ١١٥٧ - ١٢٠٣ م) لأنها تتضمن إشارات إلى موت السلطان « سنجر » السلجوقي المتوفى في أول هذين التاريخين، كما إنها مهداة إلى ملك الغور « غياث الدين محمد بن سام » المتوفى في ثاني هذين التاريخين. وقد نشر « ژوكوفسكي » نص هذا

(١) انظر ص ٥٢ - ٥٣ من المرجع المذكور في الهامش التالي.

(٢) مجموعة مقالات نشرها الدكتور « إتيه » في: Sitzungsber. d. Bayer. Akad. philol.-Philolog. سنة ١٨٧٥ ص ١٤٥ - ١٦٨ وسنة ١٨٧٨ ص ٣٨ - ٧٠. وقد نشر في هذه المقالات اثنتي عشرة رابعة من رباعيات « أبي سعيد » مصحوبة بترجمة منظومة، عليها كثير من الحواشي والتعليقات.

(٣) كما جاء في « أسرار التوحيد » ص ٣.

الكتاب وفقاً لخطوطي « بطرسبورج » و « كوبنهاجن ». وهو يقول إن أهميته تنحصر في أنه يعتبر من المصادر الأصلية التي اعتمد عليها « العطار » و « جامي » وغيرها من « كتاب التراجم » ، كما إن الأخبار التي تضمنها تستند إلى روايات المعاصرين الذين نقلوها إلى المؤلف بطريق المشافهة أو بما خلفوه لأعقابهم من مذكرات ورسائل .

ويعتبر هذا الكتاب من أقدم الرسائل التي كتبت عن « تراجم الأولياء » ومن أوضح الكتب التي صورت لنا حياة « الدرويش » في ذلك العصر ، وهو بالإضافة إلى ذلك يشتمل على كثير من المسائل اللغوية الهامة والصيغ المهجورة التي أبقاها الناشر لحسن الحظ على أصولها . وكلا النسختين اللتين اعتمد عليهما الناشر كتبنا في خلال القرن الثامن الهجري أو الرابع عشر الميلادي

أما « رساله حورائيه » فعبارة عن مقالة قصيرة تقع في خمس صفحات ، كتبها « أبو عبدالله بن محمود » المنسوب إلى « الشاش » في إقليم ما وراء النهر ، وقد فسر فيها إحدى رباعيات الشيخ « أبي سعيد » .

وثاني المجلدين اللذين نشرهما « ژوكوفسكي » يشتمل على النص الفارسي لخطوطة قديمة فريدة ، يرجع تاريخها إلى سنة ٥٦٩٩ هـ = ١٢٩٩ م . وهذه المخطوطة محفوظة في المتحف البريطاني ، والجزء الأكبر منها يتعلق بالحديث عن أسرار الشيخ أبي سعيد وعالمه الروحية . وقد طبعت هذه المخطوطة في ثمان وسبعين صحيفة ، وهي سابقة في تأليفها لكتاب « أسرار التوحيد » ، وقد ألفها أيضاً واحد من أحفاد الشيخ أبي سعيد ، يظنه « ژوكوفسكي » من أبناء « أبي روح لطف الله » .

ولو أننا شئنا أن نتحدث عن هذه المصادر الزاخرة بالأخبار بما هي جديرة به من اهتمام وتقدير ، لاقتضانا الأمر تخصيص مجلد كامل لها ؛ ولكننا نذكر أنه بالإضافة إلى هذه المصادر المستفيضة ، توجد أيضاً بين أيدينا طائفة كبيرة من أخبار هذا الشيخ تتضمنها كتب التراجم المتأخرة مثل كتاب « هفت إقليم » (١) وكتاب

« تاريخ كزیده » . وكتاب « نفحات الانس » (١) وغير ذلك من الكتب . كما أن رباعياته قد طبعت على انفراد جملة مرات في البلاد الشرقية، أو ضمن مجموعات تشتمل على رباعياته مع رباعيات « عمر الحيام » ورباعيات « بابا طاهر » وما شاكل ذلك من الرباعيات .

وكانت حياة « أبي سعيد » خالية من الأحداث والوقائع ، وقد أمضاها كما يقول الصوفية في « عالم الأرواح » لا « عالم الأشباح » ؛ وهو لهذا السبب يختلف اختلافا كبيرا عن سائر الكتاب والشعراء الذين تحدثنا عنهم في الصفحات السابقة من هذا الباب .

أبو سعيد والتصوف

وفي رأي أن الفضل في إثبات أهمية الشيخ « أبي سعيد » وأسبقته بالنسبة لتاريخ التصوف الفارسي ، يرجع إلى الدكتور « إتيه » دون غيره من الكتاب ، فإن الإيرانيين أنفسهم ما زالوا ينكرون أهمية « أبي سعيد » من هذه الناحية ، ويتابعون القول المشهور الذي قاله أكبر متصوفيه « جلال الدين الرومي » حينما اعتبر نفسه ثالث الثلاثة الكبار من الصوفية ، كان « سنائي » أولهم ، وكان « العطار » ثانيهم . ولو أننا راعينا الحق وتحرينا الصواب لوجدنا أن « أبا سعيد » متقدم على هذين من الناحية الزمنية . وقد أثبت الدكتور « إتيه » في الرباعيات التي اختارها ونشرها من رباعيات الشيخ « أبي سعيد » أن جميع خصائص التصوف الفارسي والتعابير الصوفية الفارسية تبدو مجتمعة لأول مرة في هذه الرباعيات ، وقد ظلت على حالها منذ ذلك الوقت ، وأجمع على اتباعها شعراء الصوفية من الفرس والأتراك والهنود (٢) .

وفيما يلي ترجمة لطائفه من الرباعيات اخترناها من مقالة الدكتور « إتيه » واتبعنا فيها الترقيم التي رقت به هنالك ، وهي تكفي للبرهنة على صحة هذا الرأي (٢) :

(١) طبع « ناوليز Nassau Lees » ص ٢٣٩ - ٢٤٧

(٢) ينطبق هذا أيضا على أقواله التي أورد الكثير منها كتاب التراجم .

(٣) المترجم : لم استطع الأسف الرجوع إلى أصل هذه الرباعيات بالفارسية لعدم عثوري

على مقالة الدكتور « إتيه » في دور الكتب الموجودة في مصر .

(١)

- إدخالك السرور على قلب واحد ،
- خير لك من تعمير ألف من المساجد !!...
- واستعبادك لحر واحد بما تسديه إليه من إحسان
- خير من تحريرك آلاف من العبيد والغلان !!...

(٢)

- يا من تملأ طلعتك العالم بالأضواء والأنوار !!...
- إننى أصلى من أجل وصلك آتاء الليل وأطراف النهار .. !!
- فبألى ... إذا شمل عطفك غیری من الناس
- وتباً للناس .. إذا شاركوني اللفة والحنين والإحساس !!...

(٥)

- يذهب الغزاة إلى حومات الوغى للموت والاستشهاد
- وبإليهم علموا حكمة الغزو وسر الجهاد ... !!
- فإنما يفوقهم شأننا ، قتلى العشق وصرعى الوداد
- لأن الأجابة هم الدين قتلوهم ... لا الأعداء الشداد !!...

(٦)

- إنى أدعو للجميع : ألا يحرم أحد منهم من رحمتك الوسيعة
- فإن اللاتذ بك يبلغ أوج المدارج الرفيعة !!...
- ولو أضاءت شمسك فى ذرة من الدرات ...
- لزاد بهاؤها على شمس الأفلاك والسموات !!...

(١٠)

- مبادام الجامع والمدرسة ... لا تهدم منهما الأركان
- وما دام الشك واليقين ... يتناوبان في قلب الإنسان ،
- فكيف يمكن لمذهب « القلندرية » في هذا الزمان (١)
- أن ينتشر ، فيخرج مسلما واحدا قوى الإيمان ... !!

(١٣)

- لا تلمنى ... ياسيدى ... !! إذا احتسيت الخمر والشراب ... !!
- وإذا قضيت في الخمر والعشق أيام الشيب والشباب ... !!
- فانا في إفاقتى أعاشر الأحباب وغير الأحباب
- ولكننى متى سكرت ... لا أجالس غير الأصحاب .. !!

(١٧)

- قلت : حدثنى عن جمالك ... من الذى يفوز بيهجته وسناه ... ؟
- فقال : أنا وحدى الفائز به ... مادمت فى الوجود والحياة ... !!
- فانى أنا وحدى العاشق والعشوق والعشق فى منتهاه
- وإنى أنا وحدى العين البصرة ، والجمال الزاهى ، والمرآة ... !!

(١٨)

- حدثت طبيبى عن آلامى الكثيرة الخافية
- فقال لى : كف الحديث ... ولا تسكلم إلا عن صفاته العالية
- وحذار ان تجعل لك زادا إلا من دماء قلبك الغالية ... !!
- وحذار أن تفكر فى الدار الفانية أو الباقية ... !!

(١) «القلندرية» جماعة من الدراويش لا يهتمون بالمظاهر ولا بآراء غيرهم من الناس .

(١٩)

- هؤلاء الرجال الذين يصدقون على ألقاب التكريم
- لا يعرفون حقيقة ما انطوى عليه قلبي الكريم !!!
- ولو كشفوا خبيثة ما تحتوى عليه ضلوعي ... من عذاب أليم
- لقضوا على بأن أحرق بناري ... كما يحترق الهشيم !!

(٢٠)

- قدرت على الحب ... ثم تركت أحبتك في اعتياق وحنين !!!
- وحرمتني من العقل والفكر خلا منهما قلبي الأمين !!!
- وكنت عفيفا وقورا ... وكنت من أصلح الصالحين ،
- فأصبحت بحبك شريدا خليعا ... ومن أكره العربدين !!!

(٢١)

- هناك بدر التمام... يحلو في بهاء...!!!
- وهو في أقل مراتبه ... عبارة عن الحسن في منتهاه ... !!
- فأطل النظر إلى وجهه الشمس ... فإذا عشيت بسناه
- فانظر إلى شعره المجعد ... كيف يتألق في دجاء ... !!!

(٢٢)

- إذا ابيضت صفحة وجهي بنور الحق وضياء الإسلام
- بلغت غاية الشرف ، وظفرت بنهاية الاحترام ... !!
- ولكن ... من أسف ... أن العار يكسو وجهي بالسواد والقنام
- بحيث ينجل الجحيم ... مما ارتكبت من ذنوب وآثام ... !!

(٢٣)

- متى بلغت في حبك مرتبة العشق والوصال ،
- لم أعد أنطلع إلى الجنة ، أو أغرق في الأمانى والآمال ... !!
- فإن الجنة لا تعينني ... إذا لم أفر فيها بلقائك ... !!
- والنعيم والجحيم سواء ... إذا لم أظفر برضائك ... !!

(٣٠)

- من قبل أن يخلق الزمان والنجم والسماء ،
- ومن قبل أن يخلق النار والماء والأرض والهواء ،
- ومن قبل أن يخلق العقل والشكل والأصوات والأصداء ،
- أخذت أردد أسرار التوحيد في العلانية والخفاء ... !!

(٣١)

- أيها الهندي البرهمي ... !! أنظر إلى هذه الحدود الوردية الحمراء ،
- إنها تتقد بنارها المؤججة على وجه هذه الدمية الحسناء ... !!
- فإذا عميت بصيرتك عن أن تعبد الله صاحب الجمال والبهاء ،
- فاعبد هذه النار ... فهي خير لك من عبادة البقرة العجاء ... !! (١)

(٣٢)

- يا إلهي ... ! أنا في عثري ... ارتجى عفوك ورضاك ... !!!
- وأنا في ذلتي ... أبتغى رحمتك ونداك ... !!
- ولن أفعل كسائر الناس ... فاحتمى بهذا أو ذاك
- وليس لي من حام ولا واق في العالمين ... سواك .. !!

(٣٨)

- بارك الله في أقداى ... إذا سعت إلى لقاءك ... !!
- وبارك الله في كل ساع ... يسعى إلى رضاك ... !!
- وبارك الله في كل من يتمتع ناظره بالتطلع إلى بهاك
- وبارك الله في كل لسان ... يسبح بحمدك وعلاك ... !!

(١) «كاويرست» أي عابد البقرة ، ويطلق اقمرى هذه الكلمة على الهندوكيين لتقدسهم البقر . والشاعر يشير هنا إلى أن حمرة وجه الحبيب شبيهة بالشمس المتقدة أو النار المؤججة ، وعلى ذلك شبهوا العاشق بعابد النار أو عابد الشمس ، لأنه دائماً في لهفة إلى أن يشرق عليه وجه الحبيب .

(۵۴)

- ذلك «العارف» الذى سلك طريق الأسرار
 — قد اتحد بالله ... فأنكر الأثرة ... وآثر الايثار .. !!
 — فاتصل بالله ... وانكر نفسك كل الإنكار
 — فلا إله إلا الله ... وهو وحده الواحد القهار ... !!

(۵۵)

- ليلة الأمس ... حدثت ، «الجيب» أحاديث الحب والوصال ... !!
 — فأخذ يتقضى العهود ، ويتجنى على فى دلال !!
 — وانقضت الليلة ، ولم أحك من قصة الحب الابدائية !!
 — ولا ذنب لليل ؛ ولكن «قصة الحب» ليس لها نهاية !!

(۶۱)

- أنا منذ كنت ... لم ابتعد لحظة واحدة عن وصالك ... !!
 — وقد خدمنى حظى السعيد ... فلم أغب عن مشاهدة جمالك !!
 — وفيت فيك ... فلم يعد يشاهدنى أحد من الناظرين ... !!
 — وأضاء على نورك ... فظهرت مكشفا للعالمين !!
 ونذكر فيما يلي الرباعية التى نسبوها إلى « ابن سينا » ورد الشيخ
 « أبى سعيد » عليها :
 قال ابن سينا : (۱)

(۱) المترجم : فيما يلي أصل هذه الرباعية بالفارسية

ما تيم بغفو تو تولا کرده ور طاعت و معصيت تولا کرده
 آنجا که عنایت تو باشد باشد ناکرده چو کرده کرده چون ناکرده

— نحن اللائذون بعفوك

— المحتنبون لطاعتك ومعصيتك ،

— وأينما تكن غنايتك ولطفك ،

— يصبح مالم نفعه كما لو فعلناه ، وما فعلناه كما لو لم نفعله ... !!

فأجاب « أبو سعيد » برباعية معناها :

— أيها العارق في الإثم ... يامن خلت أعمالك من كل خير ... !!

— أنك تجتهد في أن تنجو بنفسك فتسرك ما أتيت من شر ... !!

— وهل يمكن محو الذنوب والآثام والشرور ... !!

— إنما أنت تعتمد عبثاً على عفو الله الغفور ... !!

وجميع هذه الرباعيات والأشعار تكفي لبيان أهم المسائل التي يدور عليها تفكير الصوفية ومقولاتهم فالفكرة الأساسية لا تكتفي بتصوير « الله » على أنه قادر قاهر خير نخسب ، بل تجعله المصدر الوحيد للكون والجمال ، وتجعله الجمال الحق والكون الحق ، وفيه ينطوي كل ما هو غائب عن البصر ، وينوره يتكشف كل ما يقع عليه النظر ؛ ويتصل بهذه الفكرة كل التعبيرات اللغوية والرمزية التي اشتملت عليها هذه الأشعار والتي تشتمل عليها لغة الصوفية أجمعين ؛ فالله عندهم هو « الجيب » وهو « العشوق » وهو « المحبوب » ؛ والوجد الحاصل من التفكير فيه هو « الحمر » وهو « الحمار » ؛ والظاهر والباطن منه عبارة عن « طلعه النيرة » أو « طرته السوداء القائمة » ، وما إلى ذلك من التعبيرات الرمزية الكثيرة . وفي الصوفية بالإضافة إلى ذلك رفع من شأن المثالية الذاتية على التعارفات الموضوعية ، وفيها كذلك تأويل روحي للواجبات والمراسم الدينية كما هو ملاحظ بين فريق « الإسماعيلية » ، وربما استمد الصوفية منهم فكرة هذه التأويلات وإن كانوا يختلفون عنهم في كل شيء اختلافًا بينا ظاهراً ، وفيها كذلك فكرة لا تقل في أهميتها عن جميع ما سبق ، وهي فكرة « التسامح » التي تجعل جميع المذاهب تمثل « الحق » تمثيلاً يتفاوت كبراً أو صغراً ولكنها تعترف جميعاً بـ « أن طرق الله يندد أنفس الملائق » أو كما عبر « حافظ »

عن ذلك فيما بعد فقال : « إن كل قلة يتوجه إليها الإنسان هي خير من عبادة النفس . . . ! » (١)

وكثير من أقوال « أبي سعيد » وحكاياته مرويه فيما سجله مؤرخوه و مترجموه .
ونحن نكتفي في هذا المقام بذكر أمثلة قليلة منها ؛ فقد سألوه أن يعرف لهم الصوفية فأجابهم : أن الصوفية عبارة عن أطراح ما في يدك وعدم الجزع على ما يصيبك أو ينزل بك . . . !

وقال في مناسبة أخرى : إن الحجاب الذي يحجب الله عن عبده ليس هو الماء ولا الأرض ولا العرش ولا الكرسي ، بل هو الغرور وحب النفس ، ومتى استطعت التغلب على هذين ومحوتهما من طبيعتك ، وصلت إلى الله وزال الحجاب الذي بينك وبينه .

وأخبره جماعة بأن أحد الأولياء كان يمشي على سطح الماء ، وأن آخر كان يطير في أطباق الهواء ، وأن ثالثاً كان يتنقل في طرفة عين من مدينة إلى مدينة ، فأجابهم بقوله : إن الضفدعة تستطيع أن تعوم في الماء ، ويستطيع الحطاف أن ينزلق على سطحه ، ويستطيع الغراب أن يطير في الفضاء ، ويستطيع الشيطان أن يتنقل في طرفة عين بين المشرق والمغرب ، ولكن جميع هذه الأشياء لا أهمية لها في رأيي ، لأن الرجل الجدير بأسماء الرجال هو الذي يعيش مع سائر الناس ، فيشتري منهم ، ويبيع لهم ويتزوج منهم ، ويتعامل معهم ، بشرط ألا يغفل لحظة واحدة عن ذكر الله . . . !!
ويقال إن « أبا سعيد » كان يعجب إعجاباً شديداً بهذا الشعر الذي ورد في قصيدة عربية قالها « كثير » لمعشوقته « عزة » (١) :

ولو أن ليلى الأخيلية سلمت علي ودوني جندل وصفائح
لسلمت تسليم الباشاة أوزقا إليها صدى من جانب القبر صائح

(١) المترجم : عبارة حافظ في الفارسية هي : « هر قبله که باشد بهتر ز خود پرستی » .

(٢) المترجم : لم أعثر له - « كثير » على شعر في هذا المعنى ، وأما البيتان المذكوران فمن قول « توبة بن الجير » وهما في نفس المعنى الذي ورد في الأصل الإنجليزي

وهذا القول يذكرنا بالآيات الجميلة التالية التي قالها الشاعر «تيسون» في «مود Maud»

“ She is coming , my own, my sweet ;
Were it ever so airy a tread ,
My heart would hear her and beat ,
Were it earth in an earthy bed ,
My dust would hear her and beat,
Had I lain for a century dead ;
Would start and tremble under her feet,
And blossom in purple and red ”

وقد نقشوا على قبر «أبي سعيد» هذين البيتين باللغة العربية وهما (١) :
سألتك بل أوصيك إن مت فاكتبني على لوح قبري كان هذا متي
لعل شجيا عارفا سنن الهوى يمر على قبر الغريب مسلما (٢)

* * *

عبد الله الأنصاري :

سيكون حديثي مختصرا عن الشيخ «أبي اسماعيل عبد الله الأنصاري النهروي» الذي اشتهر برباعياته و «مناجاته» .

هذا الشيخ ينتسب كما تدل على ذلك نسبته إلى أصل عربي، فهو من سلالة «أبي أيوب» . وقد ولد في مدينة هراة في اليوم الرابع من شهر مايو سنة ١٠٠٦ م = ٣٩٨ هـ وتوفي في سنة ١٠٨٨ م = ٤٨١ هـ

وينسبون إليه أيضا تاليف الكتابين المعروفين باسم «منازل السائرين» و «أنوار التحقيق» .

وإليك نبذة مترجمة من «مناجاته» :

« يا إلهي . . . ما أعجب حكمتك . . . ! هاتان قطعتان من حديد أخرجتا »
« من منجم واحد ، فأما إحداها فقد أصبحت حدوة يحدون بها الجياد ؛ وأما »
« الأخرى فقد أصبحت مرآة ينظر فيها الملك إلى طلعه . . . ! يا إلهي . . . »
« أما وقد استطعت بقدرتك أن تخلق نار الهجر والفراق ، فما حاجتك إلى نار »

(١) أنظر الصحيفة الأخيرة مما كتبه «زوكوفسكي» في «حالات وسفنان شيخ أبي سعيد»
طبع بطرسبورج سنة ١٨٩٩ هـ = ١٣١٧ هـ

(٢) المترجم : وردت في الأصل كلمة «فسلما» .

« السعير والجحيم .. يا إلهي ... ! لقد تخيلت أنني عرفتك ووصلت إليك ،
 « ولكنني الآن تحققت من أن أوهامي كانت كفقاعات الماء .. !! يا إلهي ! ..
 « أنا عاجز حيران .. فلا أعرف ما أملك ... ولا أملك ما أعرف .. !!
 وفيما يلي ترجمة لإحدى الرباعيات المشهورة التي ينسبونها إليه :

— حذار حذار أن يأخذك التيه والعجب واللال ،

— فظن نفسك أعلا قدراً من سائر الرجال .. !!

— واجتهد دائماً أن تتمثل إنسان عينك وقدرته ،

— فهو يرى كل شيء ... إلا نفسه وصورته .. !!

والرباعية التالية تكفي مثلاً لسائر رباعياته :

— أأتمل بك ... فلا حاجة بي إلى الكأس والشراب !!...

— وقد وقعت في شركك بعدما تحررت من سائر الشباك والأحاييل .

— وأنا دائم السعى وراءك ، ألتمسك في الكعبة وفي سائر المعابد .

— ولا فرق عندي بين هذه وتلك ... ولا هدف لي إلا أن أفوز بقلبك !!..

* * *

وقد ذكر « إتيه » أن الشيخ « أبا عبدالله الأنصاري » ألف الكتب الآتية :

١ — « نصيحت » أو النصيحة ... وقد أهداه لنظام الملك .

٢ — « إلهي نامه » أو الكتاب الإلهي

٣ — « زاد العارفين » .

٤ — « كتاب أسرار » أو كتاب الأسرار .

٥ — تهذيب لكتاب « طبقات الصوفية » للسلمى .

٦ — « أنيس المريدين وشمس المجالس » : وهو عبارة عن قصة « يوسف وزليخا »

مكتوبة ثراً (١) .

(١) المترجم : يعتبر الأنصاري أول من استعمل النثر المسجوع في الفارسية ، وقد كان قادراً على التأليف بالفارسية والعربية . ومن آثاره بالفارسية ما يلي :

١ — رسالة أسرار : وهي مخطوطة بالمتحف البريطاني .

٢ — مناجات نامه : وقد طبعت في طهران كما طبعت في شيراز باسم « أنوار التحقيق » =

ومنى وصلنا إلى هذا الحد ، وجب علينا أن نتقل إلى الحديث عن طائفة من شعراء هذا العصر الذين لم يشتهروا بالتسوف ، ولا بد أن نذكر منهم على الأقل أربعة شعراء ... هم :

- ١ - « أسدى الأصغر » ... من شعراء طوس
- ٢ - « فخر الدين أسعد » ... من شعراء جرجان
- ٣ - « فصيحي » ... من شعراء جرجان
- ٤ - « قطران التبريزي » ... من شعراء تبريز

قطران التبريزي

ولنبداً الآن بالشاعر الأخير من هؤلاء الأربعة ، فقد قابله « ناصر خسرو » وتحدث معه أثناء توقفه بمدينة تبريز في الفترة الواقعة بين ٢٦ أغسطس و ١٨ سبتمبر سنة ١٠٤٦ م = ٢٠ صفر سنة ٤٣٨ هـ - ١٣ ربيع الأول ٤٣٨ هـ .

وقد تحدث « ناصر خسرو » عن هذا الشاعر بما يلي : (١)

« وقد رأيت في تبريز شاعراً ، اسمه « قطران » يقول شعراً طيباً ولكنه لا يعرف الفارسية جيداً . وقد حضر إلى وأحضر معه ديوان منجيق وديوان « الدقيقى وقرأ منهما أهماى ، وكلما أشكل عليه المعنى سألتى ، فأجبتة ، فكان « يكتب شرح الأبيات والمعاني الصعبة ، ثم يقرأ على بعض أشعاره » .
وقد كتب عن هذا الشاعر كل من « عوفى » و « دولتشاه » في كتابهما

-
- ٣ - نصايح : وقد طبعت في برلين سنة ١٣٤٢ هـ ومعها « مناجيات نامه »
 - ٤ - كنز السالكين : مخطوطة في مكتبة المجلس الملى بطهران بعنوان « گنجنامه »
 - ٥ - قلندر نامه : مخطوطة في مكتبة المجلس الملى بطهران تاريخها سنة ٩١٠ هـ
 - ٦ - محبت نامه : وقد طبعت في شيراز باسم « مقالات »
 - ومن آثاره بالعربية كتاب « ذم الكلاء » وكتاب « منازل السائرين »
 - (١) انظر ص ٦ من الأصل الفارسي لكتاب « سفرنامه »

« باب الألباب » و « تذكرة الشعراء »^(١) ولكن الأخبار التي أوردناها عن تاريخ حياته هزيلة للغاية . ويرى « عوفى » أن « قطران » ينتسب إلى مدينة « تبريز » ولكن « دولتشاه » يعتقد أنه من أهالي « ترمذ » ويخالفهما « شيفر » فيرى أنه ولد في جبال الديلم فيما بين مدينة قزوين وبحر قزوين .

ويتحدث « دولتشاه » عن هذا الشاعر فيقول : أنه أنشأ مدرسة في الشعر كانت تضم جماعة من الشعراء الممتازين من أمثال « الأنورى » و « رشيدى السمرقندى » و « روحى الولوالجى » و « شمس سيمكش » و « عدنانى » و « پسر خمخانه »^(٢) ثم يضيف إلى ذلك قوله : « إن الكاتب الشاعر رشيد الدين الوطواط اعتاد أن يقول إنه يعتبر قطران سيد الشعراء جميعا في أيامه ، وأما باقى الشعراء فهم شعراء عن طريق الطبع لا عن طريق العلم » .

ولا شك أن « الوطواط » كان محقا فيما قال ، لأن قطران كان أول من أكثر من إدخال الصنعة والمحسنات البلاغية في الشعر الفارسى بحيث بذى ذلك أكثر الشعراء الذين سبقوه ، ولم ينس « دولتشاه » أن يقرر ذلك فيقول « أنه اجتهد فى نظم الأشعار المشككة مثل المربعات والخمسات والقصائد ذات القافيتين » .

وقدامتاز « قطران » خاصة بنظم القصائد ذات القافيتين . وقد حاول شعراء متأخرون أن يقلدوه ، ولكن القليل منهم هو الذى استطاع أن يتفوق عليه فى هذا المضمار ، ونحن نذكر جميعا أن « المعزى » شاعر السلطان « سنجر » كان بين مقلديه ، وأنه أنشأ قصيدة مشهورة ذات قافيتين مطلعها كما يأتى :

أى تازہ تراز برکش گل تازہ بیر بر پرورده ترا دایہ فردوس بیر بر ومعناه :

— یا من أنت أينع من الورد النضیر . . . هلا ضممتنى إلى صدرك

لقد غذتک مرضعة الفردوس بشدها البار

ومن العسير تأدية هذه الصنعة البديعية فى الإنجليزية ، ومن أجل ذلك فأنا أترك

(١) أنظر « باب الألباب » ج ٢ من ٢١٤ - ٢٢١ وكذلك « تذكرة الشعراء » من ٦٧ - ٦٩

(٢) معناه الحرفى « ابن الحانة »

مجال الحكم على جمالها لمن شاء أن يقرأ أشعار « قطران » بأصلها الفارسي ، فأغلبها يمثل هذه الصنعة البديعية التي تقوم على المحسنات اللفظية أكثر مما تقوم على المحسنات المعنوية ؛ وقد عجزت ترجى البيت السابق عن محاكاة هذه الصنعة ؛ لأن كل شطرة يجب أن تنتهى بكلمة تكون فى بنائها ونطقها مشابهة تماما للمقطع الأخير من الكلمة السابقة عليها ، كما نجد

فى كلمتى « فرسنگ » بمعنى الفرسخ و « سىنگ » بمعنى الحجر

وفى كلمتى « نارنگ » بمعنى النارج و « رىنگ » بمعنى اللون

وفى كلمتى « آموى » بمعنى نهر جيحون و « موى » بمعنى الشعر

فإذا شئت محاكاة هذه الصنعة فى الإنجليزية وجب علينا أن نصوغ شعرا تراعى فى كل بيت من أبياته المحافظة على الوزن والقافية وكذلك أن ينتهى بكلمتين مثل :

« coil » و « recoil »

« face » و « efface »

« use » و « refuse »

وإذا كان هذا عسيرا جدا فى الإنجليزية ، فإنه فى الفارسية يبدو برغم التكلف والتصنع البادى فيه ، جميلا للغاية ، إذا أحسن الشاعر أداءه وصيغته (١) .

أسدى الأصغر

يجب علينا أن نفرق بين أسدى الأصغر الذى يسمى « عليا » وهو مؤلف « كرشاسب نامه » (٢) فى سنة ٤٥٩ هـ = ١٠٦٦ م وبين أيه « أبى نصر أحمد » أستاذ الفردوسى ومخترع شعر المناظره الذى سبق لنا الحديث عنه والذى توفى أثناء حكم السلطان مسعود الغزنوى فى الفترة الواقعة قبل سنة ٤٣٣ هـ = ١٠٤١ م ومن أهم الأمور التى تتصل بأسدى الأصغر ، أنه ما زال فى حوزتنا مخطوط

(١) المترجم : انظر صنعة « ذى القافيتين » فى ترجمتى العربية لسكتاب « حقائق الشعر فى دقائق الشعر » طبع مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٤٥ م وهناك ضرب آخر من هذه الصنعة تكون فيه للقصيد قافيتان متجاورتان .

(٢) « كرشاسب نامه » هى إحدى المنظومات الفارسية التى نظمت تقليدا لشاهنامه الفردوسى

كامل كتيبه بخط يده في شوال سنة ١٢٤٧ هـ = ديسمبر سنة ١٠٥٥ . ويعتبر هذا المخطوط أقدم المخطوطات الفارسية المعروفة لنا حتى الآن وهو محفوظ في مكتبة « فينا » وقد طبعه الدكتور « زيليجان »^(١) طبعة أنيقة في « فينا » سنة ١٨٥٩م ثم ترجمة إلى الألمانية « عبد الخالق »^(٢) وطبع هذه الترجمة بدون تاريخ في مدينة « هاله Halle »

وموضوع هذا المخطوط هو دراسة الأدوية ، وقد أسماه مؤلفه باسم « كتاب الأبنية عن حقائق الأدوية » . ومؤلفه هو « أبو منصور الموفق بن علي الهروي » وقد ذكر الناسخ اسمه في خاتمة الكتاب على هذا النحو « علي بن أحمد الأسدي الطوسي الشاعر » أما « كرشاسب نامه » فعبارة عن ملحمة منظومة يصف فيها الشاعر أعمال « كرشاسب » ومخاطراته ؛ و« كرشاسب » هو أحد أبطال الأساطير في ولاية « سجستان » وتشتمل قصته في هذه المنظومة على تسعة آلاف بيت أو عشرة آلاف ، وأسلوبها شبيه جدا بأسلوب « شاهنامه » ويؤسفني أنني لا أستطيع أن أذكر رأيي فيها لأنني لم أستطع أن أظفر بالاطلاع على إحدى المخطوطات العشر التي ذكرها « إتيه » لهذه المنظومة^(٣) ، وكل ما وقع في يدي هو هذه المقطوعات المتناثرة التي نشرها « ترز مكن » في طبعته لكتاب « الشاهنامه »^(٤)

وأهم من ذلك وأمتع في رأيي ، هو معجمه اللغوي المسمى : « لغت فرس » أو « لغة الفرس » ومخطوطته محفوظة في « الماتيسكان » وقد طبع في مدينة « توبنجن » سنة ١٨٩٧م ، وقام على طبعه الدكتور « بول هورن »^(٥) فاعتبر عمله هذا

-
- (١) يكتب اسمه بالحروف الانجليزية هكذا : Dr Seligmann .
 (٢) كتب اسمه بالحروف الأفرنجية هكذا : Abdul Chalig Achundow .
 (٣) انظر مقالته (ص ٢٣٣ — ٢٣٥) من الجزء الثاني من كتاب « الفصل في الدراسات اللغوية الإيرانية » وكذلك مقالته عن Persische Tenzonen في صفحة (٦٢ — ٦٦) من المجلد الثاني من تقارير المؤتمر الدولي الخامس للمستشرقين .
 (٤) انظر ص ٩٩ - ١٠٠ وما بعدها
 (٥) يكتب اسمه بالأفرنجية هكذا : Paul Horn

أهم أعماله الكثيرة التي خدم بها الأدب الفارسي . . وقد عثر «إتيه» بعد ذلك التاريخ على نسخة أخرى من هذا المعجم في «إدارة الهند» تحت رقم ٢٥١٦ المساوي لرقم ٢٤٥٥ من الفهرست الذي وضعه للمخطوطات الفارسية ، وقد أشار «إتيه» إلى الاختلافات الهامة التي توجد بين هاتين النسختين من المعجم . ونسخة «الثانيكان» هي أقدم النسختين وتاريخ كتابتها هو ٣٠ سبتمبر سنة ١٣٣٢ م = ٥٧٣٣ هـ . ويندوان «أسدي» قد أخذ في تصنيف هذا المعجم في أواخر حياته ^(١) ولكن من العسير أن نحدد الفترة التي قام فيها بهذا العمل . وهذا المعجم لا يتناول بالشرح إلا الكلمات الفارسية المهجورة ، ولكن أهميته العظمى ترجع إلى أن كل كلمة من هذه الكلمات قد فسرت بشاهد من الشواهد التي قالها واحد من الشعراء الأقدمين ، ومن بين هؤلاء كثرة لم نكن نعلم عنهم شيئا من قبل . وجملة الشعراء المذكورين في هذا المعجم هو اثنان وسبعون شاعرا ؛ وتتضمن شواهدهم مقطوعات من نظم «الرودي» لكتاب «كلية ودمنه» وهو كتاب مفقود ، وكذلك شواهد أخرى من جملة من القصائد التي لم تكن معروفة لنا بالمرّة أو كانت معروفة باسمها فقط . ومن أهم الملاحظات التي تسترعى نظرنا في هذا المعجم حذف المصنف لاسم «ناصر خسرو» وقد رأينا فيما سبق أن «عوفى» أيضا تجاهل هذا الشاعر تجاهلا كلياً . ولا شك أن تفسير ذلك راجع - في رأيي - إلى الكراهية الشديدة التي أحس بها أهل السنة للإسماعيليين وما اقترن بذلك من الخوف والفرع من أتباعهم .

فخر المبرجاني

أما «فخر الدين أسعد الجرجاني» فليس معروفا لدينا إلا بوصفه ناظما لقصة «ويس ورامين» . وهي قصة من أقاصيص الحب قيل إنها ترجع إلى أصل يهلولي ^(٢) وبشبهها «إتيه» بقصة «ترستان وايزلت» . ومن المستغرب أن «عوفى» أيضا يقرر في كتابه

(١) انظر مقدمة «بول هورن» ص ٣١

(٢) انظر ص ١١ من الطبعة التي نشرها Nassau Lees في مدينته كلكتا سنة ١٨٦٥ ضمن سلسلة المكتبة الهندية Bibliotheca Indica Series

نه لم يعثر (١) من أشعار هذا الشاعر إلا على خمسة أبيات هي جملة ما يمكنه العثور عليها بالإضافة إلى أشعاره الواردة في هذه المنظومة ، ويتناول الشاعر في هذه الأبيات الخمسة الحديث عن مقدار ألمه وجزعه لما صادفه من مولاه « ثقة الملك شهریار » من عدم تقدير ورعاية ، رغم « الأشعار الكثيرة » التي أنشدها في مدحه والإشادة بذكركه ثم ينتهي في البيتين الأخيرين من هذه الأبيات بالإقذاع في شتمه وسبه وبأنه « لم ير أو يسمع عن آدمي متصف بصفات الثيران والأبقار غيره ... » (٢)

أما « دولتشاه » فلا يذكر شيئاً عن هذا الشاعر وينسب قصة « ويس ورامين » إلى « نظامي العروضي السمرقندي » أو إلى « نظامي الكنجوي » كما يقول بذلك آخرون على حد تعبيره في ص ٣٠ و ١٦٠ من كتابه « تذكرة الشعراء »

وقد تم نظم قصة « ويس ورامين » في سنة ٥٤٤٠ = ١٠٤٨ م عقب تغلب « طغرل بك » على « الرومان » ، وقد أهداها الشاعر لوزير هذا السلطان المسمى بـ « أمين الدين أبي الفتح المظفر النيسابوري »

وقد طبعت هذه المنظومة لأول مرة نقلاً عن مخطوطة معية ، ونشرت ضمن « المكتبة الهندية » في سنة ١٨٦٥ م .

ويقول « إتيه » إن أهمية هذه المنظومة يرجع إلى شيء واحد ، هو أن هذه المنظومة تعتبر أولى المنظومات التي انقسم بوجودها « الشعر الثنوي » إلى قسمين متميزين : أحدهما الشعر الثنوي الذي صيغت فيه قصص الحب والغرام وقد خصصوا له وزن

(١) انظر ص ٢٤٠ من الجزء الثاني من « لباب الألباب »

(٢) المترجم : فيما يلي نص هذه الأبيات بالفارسية

بسیار شعر گفتم وخواندم روزگار	يك يك بجهد بر ثقة الملك شهریار
شاخی تر از امید بکشم بخمش	آن شاخ خشک گشت ویاورد هیچ بار
دعوی شعر کرد ونداشت شاعری	وآنگاه کرد نیز بناهائی افتخار
زو گاو تر ندیدم و نشنیدم آدمی	در دولتش عجب غلطی کرد روزگار
امید من دریغ بدان خام قلیبان	أشعار من دریغ بدان روسی تبار

«الهنج»، والآخرة الشعر الثنوى الذى صيغت فيه قصص الملاحم والأبطال، وقد خصصوا له وزن «المتقارب». ريفايلى أربعة أبيات من «أغنية رامين» نجدها فى ص ١٤٢ سطر ١١ — ١٤ :

خوشا ويسا نشسته پیش رامین چنان کبک درى در پیش شاهین
خوشا ويسا نشسته جام بردست هم از باده هم از خوین شده مست
خوشا ويسا بکام دل نشسته امید اندر دل موبد شکسته
خوشا ويسا بخنده لب گشاده لب انگه بر لب رامین نهاده
ومعناها (١):

— ما أبدع «ويس» وقد جلست أمام «رامين»
كأنها تدرجة الوادى أمام الصقر والشاهين...!!
— وما أبدع «ويس» وقد جلست وفى يدها الكأس والجام
وقد بدت مخمورة بالشراب وبالجمال التام...!!
— وما أبدع «ويس» وقد جلست هائلة البال
وقد انكسر قلب «الموبد» وأصابه الوبال...!!
— وما أبدع «ويس» وهى باسمة مفترقة الشعر
قد انطبقت شفها على شفة «رامين» بعد طول الهجر...!!

قصة «وامق وعذرا»

أما قصة «وامق وعذرا» فأول من نظمها بالفارسية هو «العنصرى» ثم نظمها «فصیحى الجرحانى» بعد ذلك فى تاريخ متأخر عن سنة ٥٤٤١ هـ = ١٠٤٩ م ويقولون أيضا أنها مستقاة من أصل پهلوى . وقد كتب عنها «دولتشاه» ما يلى : (١)

(١) المترجم : ترجم المؤلف هذه الأبيات إلى الإنجليزية ولم ترداعيا إلى إيراد ترجمته ، واستعاضنا عن ذلك بإيراد أصل هذه الأبيات بالفارسية وترجمتها إلى العربية عن نسخة «ويس ورامين» طبع «مجنى مينوى» سنة ١٣١٤ هـ . ش بطهران
(٢) أنظر «تذكرة الشعراء» ص ٣٠ سطر ٣ — ١٢

« ويروون أيضا أن الأمير عبد الله بن طاهر أمير خراسان أثناء حكم الخلفاء
 « العباسيين (من سنة ٢١٣ هـ إلى سنة ٢٣٠ هـ = ٨٢٨ - ٨٤٤ م) كان
 « يجلس في يوم من الأيام في مدينة نيسابور ، فأحضر إليه شخص كتابا وقدمه
 « إليه على سبيل الهدية . فسأله الأمير : ماهذا الكتاب ؟ فأجابه : إنه قصة
 « وامق وعذرا ، وهي حكاية طيبة جمعها الحكماء لكسرى أنوشروان ! ..
 « فقال الأمير : إننا قوم لا نقرأ غير القرآن ، ولا نريد غير قراءته وقراءة أحاديث
 « الرسول ، ولا حاجة بنا إلى مثل هذا الكتاب لأنه من تواليف الجوس وهو
 « مردود لدينا . ثم أمر بهذا الكتاب فألقوه في النهر ، وأمر الناس أن يحرقوا
 « تصانيف العجم وكتب الجوس أينما وجدت في ولاياته ، ومن أجل ذلك لم توجد
 « أشعار فارسية حتى أيام السامانيين ، وإذا وجدت أشعار فارسية قبل هذا الزمن
 « فإنها كانت تشد دون أن تدون . »

وقد ذكر « إتيه » أن هذه القصة نظمت ست مرات في الفارسية ، ولكن
 يبدو أن هذه المنظومات الست قد ضاعت جميعا ، ولم تصل إلينا ، ولم يبق ما يدلنا على
 موضوعها إلا ما نقله البنا الشاعر « لمعى » في ترجمته التركية التي نقلها عن منظومة
 « العنصرى » وهى أولى هذه المنظومات من الناحية التاريخية ولو أن عوفى لم
 يورد عنها شيئا إلا مجرد الإشارة إليها (١) . أما « دولتشاه » فيذكر في مقاليته التى
 خصصها لترجمة حال « فصيحى الجرجاني » أنه رأى بضع أوراق متناثرة من منظومة
 هذا الشاعر لهذه القصة ، وقد نقل منها بيتا واحدا ، صياغته على وزن « شاهنامه »
 أى على وزن المتقارب المثنى (٢) . ثم يجتهد « دولتشاه » فى أن يعوضنا عن قلة
 الأخبار التى أوردها عن هذا الشاعر بكتابة مقال قصير عن سيده ورائيه « عنصر
 المعالى كيكافوس » حفيد « قابوس بن وشمكير » أمير « طبرستان » الذى امتاز
 بتفوق أدبى نادر مكنه من تأليف كتاب « قابوس نامه » وهو الكتاب الذى
 سنتحدث عنه مباشرة فى هذا المقام .

(١) انظر « لباب الألباب » ج ٢ ص ٣٢ سطر ١ - ٩

(٢) المترجم : هذا هو نص البيت الذى ذكره دولتشاه فى ٦٩ من تذكرة الشعراء :
 چه فرخ وجودى كه از همتش ببرد بياى ولى نعمتش

قابوس نامه :

هذا كتاب يشتمل على موضوعات تتصل بعبادى الأخلاق وقواعدها ؛ وقد ألفه « كيكائوس » فى سنة ٤١٥ هـ = ١٠٨٢ م وكان له من العمر ثلاث وستون سنة ، ووجهه إلى ابنه « كيلانشاه »

ومخطوطات هذا الكتاب موجودة فى المتحف البريطانى (رقم ٣٢٥٢ Or.) وفى ليدن وبرلين ؛ وقد طبع هذا الكتاب على الحجر فى مدينة طهران وتولى طبعه « رضا قلى خان » فى سنة ١٢٨٥ هـ = ١٨٦٨ م ؛ وترجمه إلى الفرنسية الأستاذ « كويرى : Query » ونشر هذه الترجمة فى باريس سنة ١٨٨٦ م ؛ وترجم الكتاب إلى اللغة التركية ثلاث مرات ذكرها الدكتور « ريو » فى الفهرست الذى صنفه للمخطوطات التركية ؛ وقد ضاعت على ما يظهر أولى هذه الترجمات (١) من الناحية التاريخية .

وفاز هذا الكتاب بشهرة عريضة ، وهو بغير شك قبيل بها وأهل لها ؛ لأنه ملئ بالحكمة والبراعة ، غنى بالحكايات والأمثلة ؛ يضاف إلى هذا كله أنه كتاب ملكى كتبه صاحبه بأسلوب صريح لا مواربة فيه ، مستمدا موضوعاته من تجاربه الكثيرة الناضجة وخبرته الطويلة الكاملة . وهو شبيه فى كل هذه الأمور بكتاب « سياست نامه » الذى سبق لنا الحديث عنه فيما مضى من صفحات .

ويشتمل « كتاب قابوس » على أربعة وأربعين فصلا ومقدمة تشتمل على شكوى الأمير الذى ألفه من تناقص طاعة الأبناء لأبائهم ، وحث ابنه على أن ينهج فى حياته نهجا فاضلا ، مذكرا إياه بأنه ينتسب من ناحية أبيه إلى ملك « كيلان » القديم « ارغش فرها دوند » الذى ذكره « أبو المؤيد البلخى » فى شاهنامه ؛ وبأنه ينتسب من ناحية جده أبيه إلى « مرزبان بن رستم بن شروين » مؤلف كتاب « مرزبان نامه » الذى يعتبر من الطبقة الثامنة عشرة من أحفاد « كيكائوس بن قباد » أخى

(١) أنظر ص ١١٦ من فهرست « ريو » للمخطوطات التركية

« كسرى أنوشيروان » الملك الساساني ، وبأن أمه بالإضافة إلى ذلك هي ابنة السلطان « محمود الغزنوي » ، كما أن والده جدة أبيه هي ابنة « الحسن بن فيروزان » ملك الديلم .

ويتلو المقدمة مشتملات الكتاب على هذا النحو :

الفصول الأربعة الأولى : في الله والخلق والرسول والطاعة والواجبات الدينية

الفصل الخامس : في معرفة حقوق الوالدين

للفصلان السادس والسابع : في التواضع والفضل وتنمية المدارك والمعارف

الفصل الثامن : في المواعظ المنقوشة بالهوية على مقبرة « أنوشيروان »

الفصل التاسع : في الشيب والشباب

الفصل العاشر : في فائدة الإقلال من الأكل وتنظيم الطعام

» الحادي عشر : في ترتيب الشراب وشرائطه

» الثاني عشر : في الضيافة والاستضافة

» الثالث عشر : في المزاج ، والتردد والشرطج

» الرابع عشر : في العشق والحب

» الخامس عشر : في التمتع بالحياة

» السادس عشر : في فائدة الحمام الساخن وآدابه

» السابع عشر : في النوم والاستجمام

» الثامن عشر : في الصيد

» التاسع عشر : في لعبة الكرة والصوائج

» العشرون : في الحرب والقتال

» الحادي والعشرون : في الغنى وجمع المال

» الثاني والعشرون : في حفظ الأمانات والوفاء بالعهود

» الثالث والعشرون : في شراء العبيد

» الرابع والعشرون : في شراء العقارات والمنازل

» الخامس والعشرون : في شراء الخيول والدواب

» السادس والعشرون : في الزواج وشروطه

- الفصل السابع والعشرون : في تربية الأبطال
 » الثامن والعشرون : في اختيار الأصحاب
 » التاسع والعشرون : في الحذر من الأعداء
 » الثلاثون : في العفو والعقاب
 » الحادى والثلاثون : في طالب العلم والفقہ
 » الثانى والثلاثون : في التجارة
 » الثالث والثلاثون : في علم الطب
 » الرابع والثلاثون : في علم النجوم والهندسة
 » الخامس والثلاثون : في فن الشعر
 » السادس والثلاثون : في فن الموسيقى
 » السابع والثلاثون : في خدمة الملوك
 » الثامن والثلاثون : في منادمة الملوك وآدابها
 » التاسع والثلاثون : في الكتابة وأدب الكتاب
 » الأربعون : واجبات الوزير
 » الحادى والأربعون : في صفات القائد وواجباته
 » الثانى والأربعون : في صفات الملك وواجباته
 » الثالث والأربعون : في الزراعة والفلاحة وأصحاب الحرف
 » الرابع والأربعون : في المروءة والشهامة .

ويحتوى كتاب «قابوس نامه» كما يحتوى كتاب «سياست نامه» على حكايات تبلغ إحدى وخمسين حكاية ، يسوقها المؤلف توضيحا لأرائه . وهى جميعها مستقاة من تجاربه الشخصية ، وأغاب هذه الحكايات توجد فى مجموعات الحكايات الفارسية (١) دون أن تنسب إلى شخص معين ؛ ولكننا إذا رجعنا إلى أصلها فى كتاب «قابوس نامه» نجد أنها تنسب إلى أشخاص معينين معروفين ؛ ومع ذلك فهناك بضع حكايات فى هذا

(١) توجد مثلا فى كتاب النحو الفارسي الذى ألفه «فوربس»
 Forbes' Persian Grammar.

الكتاب لم ينسبها المؤلف إلى أحد من الناس ، وإن كان بعض الكتاب المتأخرين قد نسبوها إلى جماعة من مشاهير الرجال .

وإني أكتفي هنا بذكر مثل واحد من الحكايات النسوبة ، وهو الحكاية المذكورة في الصفحات ١٤٣ - ١٤٦ من طبعة طهران على الحجر . وتعلق بحكمة القاضي «أبي العباس الروياني» وكيف استشهد في إحدى القضايا المعروضة عليه بشهادة إحدى الأشجار ؛ وقد ذكرت هذه القصة مرة أخرى ونسبت إلى نفس الشخص في الكتاب الذي ألفه «ابن اسفنديار» عن «تاريخ طبرستان» ^(١) فإذا أتينا إلى كتاب «فوربس» عن «النحو الفارسي» وجدنا نفس هذه الحكاية مذكورة في باب الحكايات دون أن تنسب إلى شخص معين على وجه التحديد ^(٢) .

وأما الحكايات التي لم ينسبها صاحب «قابوس نامه» إلى أحد من الناس فإني أكتفي بأن أذكر منها تلك الإشارة الواردة في ص (٢١٠) عن العادة التي جرى عليها اليونان بعدم السماح لأحد من الناس أن يضرب شخصا سبق أن ضربه ملكهم ، احتراماً لما ناله من شرف المجازاة على يد ملكهم ، وأنه لا يستطيع أن يضربه إلا من كان مساوياً في مرتبته للملوك ، وقد ذكر «دولت شاه» أن هذا التقليد كان متبعاً في أيام السلطان «محمود الغزنوي» ونسبه إليه ^(٣) ومع ذلك فما لاشك فيه أن «دولت شاه» مدين في اجتلاء هذا الخبر وغيره من الأخبار إلى كتاب «قابوس نامه» ولو أنه لا يذكره إلا مرة واحدة في ص ٦٩ . ولا شك أيضاً أنه استقى منه أخباره عن عزل قابوس بن وشمكير ومقتله ^(٤) وكذلك أخباره عن الإجابة الجريئة التي أجابت بها

(١) انظر مخطوطة إدارة الهند رقم ١١٣٤ ورقة ٥٩ - ١

(٢) انظر الحكاية رقم ٧١ في صفحة ٢٨

(٣) المترجم: انظر ص ٧ من «تذكرة الشعراء» حيث يقول: «حكاي كنيكده سلطان محمود غزنوي هر كس را كه بدست خود بزدي آن كسي را ديگر هيچ آفريده نتوانستي زدن و گفتندي كه همچون محمود كسي بايد كه او را بزند»

(٤) انظر ص ٤٨ من المرجع السابق .

«السيدة» والدة «مجد الدولة» فاستطاعت أن تمنع السلطان «محمود الفزنوى» من مهاجمة عاصمتها في مدينة الرى (١).

أما الحكاية الشهيرة عن الهديد الذى أرسله السلطان «محمود الفزنوى» لأحد أعدائه وكيف أجاب عليه هذا العدو بالحروف «ا . ل . م . و .» فترد في الصفحات ١٨٥-١٨٧ من «قابوس نامه» ولكنها تنسب هذه الإجابة إلى الخليفة «القادر بالله» ولا تنسبها إلى ملك طبرستان، وتقول إن الشخص الذى استطاع أن يحل هذا اللغز هو «أبو بكر الكهستانى» وأنه رقى في منصبه لقاء مهارته، وبذلك يستبعد اسم «الفردوسى» عن هذه القصة نهائياً (٢).

وفيما يلي قائمة بالحكايات المروية في «قابوس نامه» رأيت أن أورها في هذا المقام لما بها من نفع أو متعة لبعض القراء. وقد ذكرت أمام كل حكاية رقم الفصل والصفحة وفقاً للنسخة المطبوعة على الحجر في مدينة طهران سنة ١٢٨٥ هـ

- ١ — حكاية الحاج الغنى وإجابته القاسية على سؤال فقير ... فصل ٤ صفحة ٢٠
- ٢ — حكاية الخليفة المتوكل وكيف نجح عبده الخاص «فتح»
من العرق فصل ٦ صفحة ٢٨
- ٣ — حكاية أفلاطون وكيف غضب، عندما مدحه أحد الجاهل فصل ٦ صفحة ٣٤
- ٤ — حكاية الطبيب محمد بن زكريا الرازى وكيف اضطرب
عندما ضحك إليه مجنون فصل ٦ صفحة ٤٥
- ٥ — حكاية كسرى أنوشروان ووزيره بزرجمهر ... فصل ٧ صفحة ٣٧
- ٦ — حكاية عن الكف عن رواية الأخبار العجيبة ولو
كانت صادقة ما لم تكن مؤيدة بالبرهان الحاضر ... فصل ٧ صفحة ٣٩
- ٧ — حكاية عن أهمية التفسير متعلقة بحلم هارون الرشيد
والرجلين اللذين عبرا له رؤياه فصل ٧ ص ٤٢

(١) انظر إلى ما سبق لنا ذكره عن هذه الأخبار ضمن أخبار «بندار الرازى» وانظر كذلك «قابوس نامه» ص ١٢٨ و «تذكرة الشعراء» ص ٤٣ — ٤٤
(٢) ارجع إلى خلاصة هذه القصة في الصفحات السابقة عند ذكر صنعة «التلويح» في الفصل الأول من هذا الكتاب (ص ٩٢ — ٩٣).

- ٨ — حكاية في الموضوع السابق متصلة بحاجة غلام لمولاه
اللاجئ فصل ٧ ص ٤٢
- ٩ — حكاية بزر جمهر ورده على عجوز اتهمته بالعجز عن
إجابة سؤاها فصل ٧ ص ٤٣
- ١٠ — حكاية الشاب العلوي الزنجاني الذي غلبه سني عجوز فصل ٧ ص ٤٥
- ١١ — حكاية الحائك وإبريقه فصل ٩ ص ٥٢
- ١٢ — حكاية العجوز الأحديب والشاب الذي هزى به فصل ٩ ص ٥٣
- ١٣ — حكاية الوزير العجوز والحصان فصل ٩ ص ٥٦
- ١٤ — حكاية الصاحب بن عباد مع ضيفه فصل ١٠ ص ٥٩
- ١٥ — حكاية ابن مقله ونصر بن منصور التيمي فصل ١٢ ص ٦٥
- ١٦ — حكاية المحرم الذي حكم عليه المعتصم بالموت وكيف نجى
نفسه بكيوب من الماء (١) فصل ١٢ ص ٦٧
- ١٧ — حكاية النبي والمرأة العجوز فصل ١٣ ص ٧٠
- ١٨ — حكاية شمس المعالي قابوس بن وشمكير جد المؤلف فصل ١٤ ص ٧٤
- ١٩ — حكاية السلطان مسعود الغزنوي فصل ١٤ ص ٧٥
- ٢٠ — حكاية عمرو بن الليث فصل ٢٠ ص ٨٥
- ٢١ — حكاية عزل قابوس بن وشمكير ومقتله فصل ٢٠ ص ٨٧
- ٢٢ — حكاية عن شرف اللصوص فصل ٢٢ ص ٩٤
- ٢٣ — حكاية أحمد الفريغوني فصل ٢٥ ص ١١١
- ٢٤ — حكاية عن فوائد العوم والسباحة فصل ٢٧ ص ١١٥
- ٢٥ — حكاية گشتاسب فصل ٢٧ ص ١١٨
- ٢٦ — حكاية شهر بانويه والحسين فصل ٢٧ ص ١٢٠
- ٢٧ — حكاية موت سفراط فصل ٢٨ ص ١٢٥

(١) تروى هذه القصة عادة عن «هرمزان الفارسي» والخليفة «عمر» - انظر تاريخ الطبري

- ٢٨ — حكاية المهلب فصل ٢٩ ص ١٢٧
- ٢٩ — حكاية «سيدة» والدة محمد الملك والسلطان محمود الغزنوى فصل ٢٩ ص ١٢٨
- ٣٠ — حكاية ذى القرنين ووصاياه عن مدفنه فصل ٢٩ ص ١٣١
- ٣١ — حكاية معاوية فصل ٣٠ ص ١٣٥
- ٣٢ — حكاية القاضى أبى العباس الرويانى والشجرة التى
استشهد بها فصل ٣١ ص ١٤٣
- ٣٣ — حكاية التاجر والمشتري فصل ٣٢ ص ١٥٠
- ٣٤ — حكاية بائع اللبن الذى أنبه ضميره فصل ٣٢ ص ١٥٤
- ٣٥ — حكاية « فضلون » ملك كنجه فصل ٣٧ ص ١٧٧
- ٣٦ — حكاية أخرى عن « فضلون » فصل ٣٧ ص ١٧٩
- ٣٧ — حكاية المأمون والقاضى عبد الملك العبرى فصل ٣٩ ص ١٨٤
- ٣٨ — حكاية صاحب اسماعيل بن عباد فصل ٣٩ ص ١٨٤
- ٣٩ — حكاية الخليفة القادر بالله وإجابته على تهديد السلطان محمود فصل ٣٩ ص ١٨٥
- ٤٠ — حكاية عبد الجبار الخوجانى كاتب أبى على نيمجور فصل ٣٩ ص ١٨٧
- ٤١ — حكاية ربيع بن المطهر القصرى فصل ٣٩ ص ١٩١
- ٤٢ — حكاية الملك الفارسى ووزيره فصل ٤٠ ص ١٩٣
- ٤٣ — حكاية نحر الدولة واسماعيل بن عباد فصل ٤٠ ص ١٩٥
- ٤٤ — حكاية أبى الفضل البلعمى وسهل الخجندى فصل ٤٠ ص ١٩٧
- ٤٥ — حكاية طغرل السلجوقى فصل ٤٢ ص ٢٠٤
- ٤٦ — حكاية السلطان محمود الغزنوى وإبى الفرج البسقى فصل ٤٢ ص ٢٠٦
- ٤٧ — حكاية السلطان مسعود الغزنوى فصل ٤٢ ص ٢٠٧
- ٤٨ — حكاية نحر الدولة وعضد الدولة فصل ٤٢ صفحة ٢١٠
- ٤٩ — حكاية الاسكندر الأكبر فصل ٤٢ صفحة ٢٣١
- ٥٠ — حكاية اللصوص فى مشكلة عويصة فصل ٤٤ صفحة ٢٢٠

٥١ - حكاية عما وقع بين دوريشين من أهل

الصوفية فصل ٤٤ صفحة ٢٢٣

وأغلب هذه الحكايات جميل وأصيل ، يبلغ جد الروعة والإمتاع .

وتشتمل « قابوس نامه » بالإضافة إلى هذه الحكايات على جملة من الأشعار ، أكثرها عبارة عن « رباعيات » من نظم المؤلف نفسه . وقد استشهد المؤلف أيضا بأشعار من قول « أبي سعيد بن أبي الخير » و « أبي شُكُور البلخي » و « أبي سليك الجرجاني »^(١) و « العسجدى » و « الفرخى » و « ليبي » و « قرى الجرجاني » . وأورد المؤلف كذلك بيتا منظوما في اللهجة الطبرية وقرنه بترجمة صاغها له باللغة الفارسية^(٢) .

أما الأشخاص الذين ذكرهم المؤلف في حكاياته ، فمن بينهم جملة من حكام اليونان هم : « فيثاغورث » و « سقراط » و « أفلاطون » و « بقراط » و « جالين » و « الأسكندر الأكبر » ؛ ومن بينهم جملة من ملوك الساسانيين ووزرائهم هم : « أنوشيروان » و « بزرجهر » و « شهربانو » بنت يزدجرد الثالث التي وقعت أسيرة في أيدي العرب وتزوجت بالحسين ؛ ومن بينهم طائفة من آل الرسول كعلي والحسن والحسين ؛ وذكر المؤلف من الأمويين « معاوية » ؛ ومن العباسيين « هارون الرشيد » و « المأمون » و « التوكل » و « القائم » كما ذكر طائفة من حكم فارس المسلمين ووزرائهم مثل « عمرو بن الليث » و « السلطان محمود » و « السلطان مسعود الغزنوي » و « أبي الفضل البلعمي » و « صاحب اسماعيل ابن عباد » و « أبي علي سيمجور » و « طغرل السلجوقي » و « نوستكين » و « الحسن بن القيروزان الديلمي » و « شمس العالي قابوس » و « شرف العالي » . وغيرهم ممن لا يلفون مبلغ هؤلاء في الأهمية ووضوح الشخصية .

(١) ذكر عنه أنه مخترع لنوع من الألحان .

(٢) انظر ص ٨٦ من « قابوس نامه » .

ومؤلف « قابوس نامه » لا يروى في كتابه إلا القليل الأقل مما يتصل بحياته الشخصية ؛ وقد أوصل نسه إلى « أنوشيروان » كما قالت بذلك أيضا كتب المصادر الأخرى ؛ ثم هو يذكر أنه أدى فريضة الحج إلى مكة المكرمة أثناء خلافه « القائم » وأنه اشتغل بالجهاد الديني وحارب أهل الهند وجورجيا وأرمينيا . ويذكر أحيانا بعض الأخبار المتصلة بأسلافه وأقاربه من « آل زيار » فترك لنا تقريرا كاملا عن الأحوال التي عزل فيها وقتل بسببها « قابوس » وكيف قتل اثنان من أسلافه هما « وشمكير » و « شرف العالي » بطريق القضاء والقدر بينما كانا يقومان بالصيد والطراد .

أسلوب « قابوس نامه » :

الأسلوب الذي كتب به كتاب « قابوس نامه » يعتبر من أجمل الأمثلة للنثر الفارسي البسيط الذي لا عوج فيه ؛ وهو من حيث الصنعة والتنسيق يفضل كتاب « سياست نامه » ولكنه لا يبلغ مبلغ التزيينات البلاغية التي تصادفها في كتب أخرى مثل كتاب « گلستان » . والكتاب مشحون بكثير من العنويات والفكاهات والأمثال ذات المغزى الرائع ؛ وفيما يلي طائفة من الأمثال نسوقها على سبيل المثال :

- « كل طائر يطير مع ما شاكلة » ص ٤٥
- « المرء في داره كالملك في مملكته » ص ٦١
- « خير للبنات ألا تولد ، فإذا ولدت فزوجها أو فاقبرها » . . . ص ١٢٠
- « المنزل الذي يشتمل على سيدتين يبقى بغير كنس » ص ١٧٩
- « عصفور في اليد خير من طاووس مرتقب » ص ١٧٩
- « لا يموت أحد من الناس إلا إذا حان أجله ، ولن يحين أجله إلا إذا ذهب إلى بردع^(١) في أثناء الصيف » . . . ص ١٧٩
- « من أتعس الأمور أن يحتاج الرقيب إلى من يراقبه » . . . ص ١٩٩

(١) بردع أو بردعة أو بردعة بلدة في أذربيجان ؛ انظر القاموس الجغرافي الذي وضعه المستشرق « باربييه دي مينار » ص ٩١ - ٩٣ . ولم أظفر بما يؤيد أن هذه المدينة كانت موبوءة من الناحية الصحية .

« إذا أردت أن تدخل مكانا فانظر أولا كيف تخرج منه » . ص ٢٠٢

« مهما بلغ الأمر فلن يؤمن القط على الشحم ... !! » . ص ٢٠٤

والمؤلف يعرض علينا أفكاره في خليط عجيب من الصنعة والبساطة ، والشك والزهادة . والاستخفاف والعفاف ؛ فتراه يعالج بعض الموضوعات الأخلاقية دون أن يتعرض لناحيتها الروحية ، فيكتفي ببيان فائدة الصلاة والصوم والواجبات الدينية الأخرى ، ويقرر أنها وسيلة لطهارة الأبدان والتواضع والتخفف ، ويقول بوجوب اتباع أحكام الإسلام لأنه لا توجد حكومة أقوى من حكومة الإسلام ؛ وفي رأيه أن إلزام الأغنياء بتأدية فريضة الحج يعتبر من أحكم الوسائل التي اضطهرهم الدين بواسطتها إلى السياحة والتجوال في أنحاء الأرض ؛ ثم يختم حديثه عن هذه المسائل الدينية بأن ينصح ابنه بعدم التعمق في بحث المذاهب الدينية لأن كثرة الأسئلة بشأنها والإكثار من قول « لماذا » و « كيف » بصددها لا يملغان بالسائل أى مبلغ . ومن أيدع ما كتبه أيضاً نصيحته التي نصحنها فيها بأن تقيس حالنا بحال جارنا الفقير لا بحال جارنا الغني لأننا متى قلنا ذلك شكرنا الله على ما سبغ نعمه ولم نحمد الغنى على غناه وثراته .

والأمثلة التي يضربها لنا المؤلف عن آداب السلوك لاذعة ماهرة ، وهى في بعض الأحيان تبلغ مبلغ الجديد المستحدث ؛ فتراه يفيض في فائدة « الكلام المعسول » ويطلب إلى ابنه أن يتعلم الحكمة من الجبل ، ولكنه يحذر في الوقت نفسه من الإغراق في « التواضع » لأن كثيرا من الرجال قد اخفقوا في نيل أوتارهم بسبب ما امتازوا به من أدب جم وتواضع كثير .

فإذا عرض المؤلف للحديث عن الحق والصدق ، فإننا نجده ممتعا فيها أبدى من أقوال ، فهو يخاطب ابنه بقوله : « اجتهد يابنى في المداواة ولكن لاتكن كذوبا ؛ واسع إلى أن تشهر بين الناس بقول الصدق حتى إذا اضطررت في وقت من الأوقات إلى الكذب ، صدقك أناس فيما تقول .. !! »

ثم هو يحذر ابنه أيضاً من الإدلاء بالأقوال الصادقة التي يحتمل تكذيبها ولا تسهل البرهنة على صحتها ، فيقول له : « ومن البعث أن يدلى الإنسان برأى يحوجه — زعم

صدقہ — إلى السعي في البرهنة على صحته طوال أربعة أشهر وإلى الاستشهاد بأربعائة شخص من أعدل الشاهدين !!!...»

أما الأمثلة التي يضر بها لنا المؤلف عن آداب المجتمع فصحيحة سليمة ، فهو يقرر أنه من الواجب على المضيف ألا يكثر من الاعتذار لضيفه عن تفاهة ضيافته ، لأن هذا يشعر الضيف بالحرج وضيق الصدر ، كما يجب على المضيف أن لا يؤنب خدمه على ما يبدو منهم من تقصير في حضور ضيوفه .

فإذا انتهى من ذلك أوصى ابنه ألا يلعب الترد والشطرنج بالدراهم والدنانير ، وأن يحذر اللعب مع القمارين المشهورين ، وأن يتجنب القسم وحلف الإيمان ، وأن ينتفع عن إهارة النقود لأحد من أصدقائه ما لم يكن مستعداً أن يعتبر العارية هبة لصديقه إذا لم يستطع دفعها أو لم يشأ ردها . إليه .

وقد اختلطت وصاياه عن الشراب بسكاهة لاذعة ، فهو يعترف من ناحية بأن شرب الخمر محظور حظراً باتاً من ناحية الدين ، ولكنه يعود فيقول لابنه : « إني على ثقة من أني مهما نصحتك فإنك لن تستمع لنصحي وتمتنع عن شرب الخمر ... !! » ولذلك فهو يقصر وصاياه على أن ينصح ابنه بعدم احتساء الخمر في الصباح ، لأن ذلك يغريه بتفويت الصلاة ، ولأنه كذلك يجعل خمار الليل يجتمع بخمار الصباح فيلتقي - الخماران في رأسه ويسببان له فساد العقل والإدراك . ثم هو ينصح ابنه ألا يشرب الخمر إلا في منزله تجنباً للفضيحة والعار ؛ وأن يمتنع عن الشراب ليلة الجمعة مراعاة لحرمته ذلك اليوم ، ولأن الناس إذا رأوه يفعل ذلك يغفرون له احتساءه الخمر في الليالي الباقية من الأسبوع !!!... ثم يوصيه بأن لا يعربد أو يفحش إذا شرب الشراب فيقول له : « إن الشراب وحده رجس وإثم ، فإذا اضطرت إلى أن تأثم فلا أقل من أن تجعل أثمك لطيفاً مقبولاً هيناً ، وعليك أن تختار من الأشربة أحسنها فتشربه ، كما عليك أن تختار من الموسيقى أجمل الألحان فتستمع إليه ؛ وإذا مزجت مع أحد من الناس فاجعل مزاحك طيباً مستساغاً ، حتى إذا حوسبت عليه في العالم الآخر لا تكن ملوماً مذموماً !!!... » وهو أيضاً ينصح الناس ألا يسألوا البخلاء والثقلاء حاجة إلا إذا لعبت الخمر برؤوسهم فإن ذلك يجعلهم أكثر استجابة واستعداداً لقضاء الحوائج .

ويعطى المؤلف في إيراد الفصول الممتعة عن شراء العبيد والحياد ، وبذكرة مميزة كل صنف من هذه الأصناف وعيوب كل واحد منها ؛ ويتحدث عن الصيد والطراد ثم يعطى بذلك في الحديث عن الزواج فيقول: إن الحب من أول وهلة عبث مستحيل ؛ ثم يذكر الحصال التي يجب اجتماعها في الزوجة الصالحة ، وأهمية مصاهرة البيوتات القوية صاحبة النفوذ . وفي رأيه أنه لا يجب تعليم البنات القراءة والكتابة ، وأنه من الواجب ألا يبيعن أولياؤهن يعبا للأزواج الأغنياء اللذين لا يصادفون قبولا في أنفسهن . ويجب ضرب الأطفال إذا تكاسلوا أو لم يتأدبوا ؛ فإذا أبدوا شيئا من الهمة وحسن التأدب وجبت مكافأتهم بهليل من الدرهم .

ويجب على اللبيب العاقل أن يدارى الأشخاص الذين لا يحبهم ، فيظهر لهم المودة والمحبة ؛ كما يجب عليه ألا يأمن صديقا من الأصدقاء فيعطيه كل أسراره خشية أن ينقلب ذلك الصديق عدوا ، فيتمكن منه ويتغلب عليه . ويجب على العاقل أيضا ألا يشمت لوفاة عدو من أعدائه ، لأنه هو نفسه لا يستطيع أن يضمن النجاة والسلامة . والأمانة هي رأس مال التاجر ، ومن الواجب على الشراء أن يقتصدوا في مدائحهم ، فإذا أرادوا المبالغة فمن الواجب عليهم ألا يصفوا الرجل الذي لم يتمتع أثناء حياته بمبرة أو بسكين ، بأنه يستطيع بضربة سيفه أن يقضى على الأسود الضارية كما يستطيع بضربة حربته أن يزحزح جبل بيستون^(١) عن مكانه العتيد ...!! ويجب عليهم ألا يصفوا الرجل الذي لم يتمتع ظهر حمار في حياته بأن له جوادا يشبه « دلدل » أو « البراق » أو « رخش »^(٢) ...!! ومن الواجب عليهم ألا يشتغلوا بالهجاء فإن الجره لا تسلم في كل مرة .^(٣) ويجب على الشاعر ألا يكذب في أشعاره وأن لا يبالغ فيها .

(١) جبل بالقرب من كرمانشاه عرف قديما باسم « باغستانا » أو « بهستون » وقد اشتهر بالنقوش الأكتينية التي نقش على قمته .

(٢) « دلدل » هي بقعة على ؛ و « البراق » هو الذي امتطاه النبي في الإسراء ؛ و « رخش » هو جواد « رستم » البطل الأيراني .

(٣) المترجم : يقول في الأصل الفارسي : « وهجا گفتن عادت مکن که همیشه سبواز آرد . درست بر نیاید » وهذا القول مطابق للمثل العربي .

ويجب على العاقل ألا يتجاذى في متابعة العدو والهارب أو تضيق السبل عليه ، فإنه إن فعل ذلك هجم عليه العدو في يأس وضراوة .

ويجب في المكتوبات الفارسية أن تترج بشيء من العربية ، فإن الفارسية الخالصة كريهة معية (١) .

ويجب كذلك على العاقل ، أن يزهد في خدمة الملوك ، وأن يتجنب مصاحبة العسكر والجنود .

ومن الخير قلما أختتم حديثي عن هذا الكتاب أن أورد هنا ترجمة لبعض النبذ الواردة في بداية الباب التاسع منه ، وهو الباب المتعلق « بالشيب والشباب » ولا شك أن هذه النبذ كافية في التمثيل على أسلوب هذا الكتاب الممتع الشائق :

- « يا بني كن كبير العقل وإن كنت صغير السن ، ولن أقول لك »
 « لا تتمتع بالشباب ، ولكني أقول لك أن تقضى شبابك في الزهد والعفاف ، »
 « وحذار أن تصبح من جملة الشبان الذين ذبل شبابهم بارتكاب الآثام ، فإن »
 « الشباب نشاط وتوقد ، وهو كما وصفه أرسططاليس نوع من الجنون . وحذار »
 « أن تنخرط في سلك الشبان الجاهلين ، فإن البلاء لا يتأتى من النشاط والتوقد »
 « ولكنه يتأتى من الجهل والتبذ ؛ واستوف حظك من الأيام ، فإنك متى »
 « بلغت مبلغ الشيخوخة فلن تستطيع أن تفعل ذلك . وقد قال شيخ من الشيوخ : »
 « قضيت السنين الطوال أتجرع الغصص والأحزان خوفا من أني إذا كبرت فلن »
 « يتطلع إلى صاحبات الوجوه النضيرة من الحسن . فلما بلغت مبلغ الشيخوخة »
 « لم أعد أفكر فيهن أو أتطلبهن . . . ! ولو أنه استطاع أن يطلبهن ، لما كان »
 « هذا الأمر ليليق بشيخ هرم ، أو يحسن من رجل طاعن في السن . . . ! »
 « ومهما بلغ بك شبابك . . . يا بني . . . فلا تنس إلهك عز وجل في وقت »
 « من أوقاتك . وحذار أن تأمن الموت في لحظة من لحظاتك ، فإن الموت لا »

(١) المترجم : يقول في الأصل الفارسي : « وأكر نامه بود پارسی پارسی مطلق منویس که ناخوش بود »

« صلة له بالشيب أو بالشباب كما يقول العسجدى :

« كَرَّ بِجَوَانِي وَبِهِ يَرِيسَقِي . . . يَرِ بِعَرْدِي وَجَوَانُ زَيْسَقِي »

ومعناه

« — لو أن الموت كان متعلقا بالشيب أو الشباب »

« لمات العجوز الطاعن في السن ، وبقى الشاب »

« ومما لاشك فيه أن كل مولود مصيره إلى الموت لا محالة »

« حكاية :

« سمعت أن حائكا كان يقيم في بلدة من البلدان ، وكان له حانوت على باب »

« المدينة ، فعلق في حانوته كوزا ، دلالة في مسار ، وأخذ يقذف فيه حجرا »

« كلما خرجت من المدينة جنازة من الجنائزات ، فإذا انقضى الشهر عند هذه »

« الأحجار ، وعلم عند الأشخاص الذين خرجت جنازتهم . ثم يفرغ الكوز ويلقه »

« ثانية ، ويأخذ في إلقاء الحجارة فيه من جديد ، حتى إذا حان الشهر التالي فعل »

« مثما فعل من قبل . وانتقضت الأيام على هذا المنوال وإذا نيد القضاء تنزل الحائك »

« فيردية الموت ، وتصادف في هذه الأثناء أن أقبل شخص يسأل عنه ولم يكن »

« يعرف بموته ، فوجد باب حانوته مغلقا ، فسأل واحدا من جيرانه عنه وعن سبب »

« غيابه . فقال له الجار .. أما تعلم أن الحائك قد انطوى عليه الكوز ... !! »

« فكُن متنبها ... يا بني .. ولا يأخذك بالله الغرور .. واذكره أينما كنت في »

« طاعة أو معصية ، واسأله العفو والغفران ، وخف الموت حتى لاتقع فجأة في »

« هذا الكوز ... !! وارع للشيوخ حرمتهم ، ولا تحذهم بحزاف »

« القول ، فإن أجوبتهم مسكة قاطعة ملجمة ... !! »

« حكاية :

« سمعت أن عجوزا محدودة الظهر ، قد بلغ المائة من عمره ، فقوس ظهره جدا وكان »

« يشكى على عكازة ويسير ، فاعترضه شاب ، أراد مداعبته فقال : أيها الشيخ .. ! »

« بكِ اشتريت هذه القوس الجميلة ... حتى اشتري لنفسى واحدة مثلها .. ! فأجابته »

« الشيخ إذا امديك العمر ، وطال بك الضرب ، فسيمنحونك واحدة بالجمان .. !! . . . »

« وأزف الشيوخ أكثر مما تنصف الشباب ، فإن الشبان لهم أمل في »

« الشيخوخه ، وأما الشيوخ فلا أمل لهم إلا في الموت ، ومحال عليهم أن يفكروا »
 « إلا فيه .. !! ومثلهم مثل الخنطة إذا ابيضت ولم يسرعوا إلى حصادها ، فإنها »
 « تنساقط على الأرض من تلقاء نفسها ؛ وكذلك مثلهم مثل الفاكهة الناضجة فإنهم »
 « إذا لم يسرعوا إلى قطعها فإنها تنساقط من أشجارها دون أن يهزها أحد ... »
 « وقد قالوا بالعريية :

« إذا تم أمر دننا نقصه توقع زوالا إذا قيل : تم »
 « واعلم ... يابني ... ! إنهم ان يسمحوا لك بالبقاء إذا تعطلت حواسك ؛ فإنه »
 « متى استغفلت عليك أبواب النطق والبصر والسمع واللمس والذوق فإنك »
 « نفسك لن تتمتع بالحياة ، كما أن أحدا غيرك لن يتمتع بحياتك ، بل تصبح »
 « وبالا وشرا مستطيرا ، ويصبح موتك خيرا من حياتك ؛ فإذا بلغت مبلغ »
 « الشيخوخة فحذار من محالات الشباب ، وابتعد عن أفعالهم ، فإن أقرب الناس »
 « إلى الموت يجب أن يكون أبعدهم عن محالات الشباب . لأن عمر الناس شبه »
 « بالشمس متى حلت بالأفق الغربي فإنها تؤذن بالزوال والمغيب . وقد قلت »
 « في ذلك القطعة الآتية :

« — تنبه ... يا كيكاس ... قد أصبحت عاجزا في قبضة شيخوختك »
 « ودبر لنفسك أمر ذهابك ... قد بلغت الثالثة والستين من عمرك »
 « — وقد انتهى يومك إلى صلاة العصر »
 « وسرعان ما يدخل الليل متى انتهيت من هذه الصلاة ... !! (۱) »

« ومن أجل هذا لا يجوز للشيخ الهرم أن يصف بقل الشبان ، أو يقتدى »
 « بأفعالهم . وكن دائما ... يابني ... رحما شفوفا بالشيوخ ، فإن الشيخوخة »
 « مرض لا يعود المريض فيه أحد ، وهي علة لاعلاج لها عند الطبيب إلا بالموت ، »

(۱) المترجم : فيما يلي نص هذين البيتين بالفارسية :

كيكاسا در كف پیری شده عاجز تدبیر شدن کن چو بشصت و سه در آمد
 روزت بنهار دگر آمد بهمه حال شب زود در آید چو نماز دگر در آید

« لأن العجز لا يستريح من آلام الشيخوخة إلا بالفناء . وهى محالفة لسائر »
« العلل والأمراض ، لأن سائر العلل إذا أصابت الإنسان ولم يمت بسببها فإن »
« الأمل بقوى فى شفائه وبرئته منها ، وأما الشيخوخة - فبخلاف ذلك على »
« خط مسقيم ، فإن المريض بها - توء حاله يوما بعد يوم ولا أمل له فى »
« انشفاء والعافية . وقد قرأت فى كتاب من الكتب أن الإنسان يستمر »
« فى الزيادة يوما من حيث القوة والتركيب حتى يبلغ الرابعة والثلاثين »
« من عمره ، فإذا بلغ ذلك العمر لا يزيد ولا ينقص ، ويبقى كالشمس فى »
« وسط السماء ، تبطىء فى سيرها حتى تأخذ فى الزوال والغيب ؛ فإذا كان »
« الإنسان بين الأربعين والخمسين من عمره ، أصابه من النقص فى كل سنة »
« ما لم يكن ليدركه فى السنة السابقة ؛ فإذا كان بين الخمسين والستين من »
« عمره شاهد فى كل شهر شيئا من النقص يصيبه فى جسده ، لم يكن ليُسَده فى »
« الشهر القاتل ؛ فإذا كان بين الستين والسبعين من عمره شاهد فى كل أسبوع »
« بعض النقص ينزل بجسده ولم يكن له وجود فى الأسبوع القاتل ؛ فإذا كان »
« بين السبعين والثمانين من عمره شاهد فى كل يوم بعض النقص يصيب جسده »
« ولم يكن له وجود فى اليوم السابق ؛ فإذا قُبِضَ الله له تجاوز الثمانين فإنه »
« يشاهد فى كل ساعة شيئا من الألم والعناء ، لم يكن ليمانيه فى الساعة »
« الماضية . !! ولذة الحياة موجودة فى السنوات الأربعين الأولى من العمر »
« فإذا صعدت أربعين درجة فى سلم الحياة ، فأنتك لاحتالة آخذ فى الهبوط . »
« ذلك لتعود إلى المكان الذى أخذت فى الصعود منه . وما اتسبب الشجع »
« الذى يصيبه فى كل ساعة ألم جديد لم يكن يحس به فى الساعة الماضية »
« فىا ولدى وقرة عيني ... لقد أطلت عليك شكوى الضعف والشيخوخة لأن »
« شكواى من الكبر ألمية مريرة ، وليس فى هذا ما يستغرب ، فإن الشيخوخة »
« عدو لدود ، ولا بد من شكوى الأعداء والحصوم ... !! »

كتب أخرى منتشرة

ويجب علينا قبل أن نخرج من الحديث عن كتاب الفرس الذين نشأوا في هذا العصر ، أن نذكر بعض الكتب المنتشرة الأخرى التي لم أوفق إلى الحصول عليها في الوقت الحاضر ، والتي لو أنها وقعت في يدي لما خصصتها كذلك إلا بأشارة يسيرة حرصاً على الاختصار ومراعاة لضيق المقام .

« نزهت نامه »

ومن بين هذه الكتب كتاب « نزهت نامه علائي » وهو عبارة عن موسوعة ألفها « شهردان بن أبي الخير » في نهاية القرن الحادي عشر الميلادي (نهاية القرن الخامس الهجري) لأمر طبرستان « علاء الدولة خاص بك » وقد وصف « برتش : Pertsch » مشتملاتها وصفاً كاملاً في ص ٣٠-٣٦ من « فهرست الكتب الفارسية في مكتبة جوتا »^(١) كما ذكر « إتيه » محتوياتها باختصار في الأعمدة القيمة ٩٠٦ - ٩٠٨ من فهرست الكتب الفارسية في « المكتبة البودلية »^(٢) .

وقد سبق لنا أن تحدثنا عن كتاب آخر شبيه بهذا الكتاب ولكنه أسبق منه زمناً ، وهو كتاب « ذانق نامه علائي » الذي قام بتأليفه « ابن سينا » . . . أما كتاب « بيان الأديان » الذي كتبه « أبوالمعالى محمد بن عبيد الله » في سنة ٤٨٥ هـ = ١٠٩٢ م فقد عرفنا به « شيفر » في المجلد الأول من مختاراته الفارسية^(٣) .

. . . وهناك كتاب تاريخي آخر كبير الأهمية فيما يتصل بخراسان خاصة وهو كتاب « زين الأخبار » الذي ألفه « الكرديزي » في منتصف القرن الحادي عشر الميلادي (أي القرن الخامس الهجري) ولا توجد من هذا الكتاب إلا نسخة وحيدة معيبة وصفها لنا « إتيه » في الأعمدة القيمة ٩ - ١١ من فهرست الكتب

Gotha Persian Catalogue.

(١) أنظر :

Bodleian Persian Catalogue.

(٢) أنظر :

(٣) راجع المجلد الأول من : Chrestomathie Persane ص ١٣٢ - ١٨٩ وكذلك

الصفحات ١٣٢ - ١٧١ من التصويب الفارسية .

الفارسية في « المكتبة البودلية » . وشبه بهذا الكتاب من حيث الأهمية الكتاب النادر الذي لم يطبع بعد وهو كتاب « كشف المحجوب » الذي ألقه « عثمان بن أبي علي الجلابي المجبوري » في نهاية القرن الحادى عشر الميلادى (أى أواسط الخامس الهجرى) وتحدث فيه عن حياة رجال الصوفية ومذاهبهم (١) .

ويجدر بنا فى هذا المقام أن نشير إلى رسالة أخرى عن الصوفية ، ألفها بالعربية فى سنة ٤٣٨ هـ = ١٠٤٦ م « أبو القاسم عبدالكريم بن هوازن القشيري » المتوفى فى سنة ٤٦٥ هـ = ١٠٧٠ م . وهذه الرسالة تشتمل على أربعة وخمسين بابا . وقد طبعت مرتين على الأقل فى مطبعة « بولاق » ولها ترجمة بالفارسية موجودة فى المتحف البريطانى تحت رقم ٤١١٨ ، وهذه الترجمة لا يعرف تاريخها على وجه التحديد ، ولكنها من غير شك ترجمة مبكرة ، لأن مخطوطة المتحف البريطانى مؤرخة سنة ٦٠٢ هـ = ١٢٠٥ م .

ويبقى علينا بعد ذلك أن نذكر ثلاثة آخرين من مشاهير الكتاب ، لهم أهميتهم الكبرى ، بحيث يستحيل علينا فى هذا المقام أن نوفهم حقهم من الحديث .

الملاورى

وأول هؤلاء هو « أبو الحسن على الملاورى » المتوفى سنة ٤٥٠ هـ = ١٠٥٨ م وقد وضعه أولا لأننا سنكتفى بإشارته بسيطة إليه ، نذكر فيها أن « بروكان » قد ذكر له تسعة مؤلفات (٢) ربما كان أهمها كتابان اثنان ؛ أولهما : كتاب « الأحكام السلطانية » (٣) ويتناول الحديث عن النظرية المثلى للنظم الإسلامية ، وفيه آراء لم يحدث أبدا أن طبقت عمليا فى زمن من الأزمنة وعلى الخصوص فى زمن المؤلف نفسه ؛ وثانيهما كتاب « أدب الدنيا والدين » وهو كتاب فى الأخلاق ما زال يدرس

(١) المترجم : طبعت ترجمة هذا الكتاب إلى الإنجليزية ضمن سلسلة جيب التذكارية فى سنة ١٩١١ وطبع الأصل « زوكوفسكى » .

(٢) أنظر ص ٣٨٦ من الجزء الأول من كتابه : تاريخ الأدب العربى . Gesch.d:Arab. Litt.

(٣) طبع هذا الكتاب فى مدينى بون Bonn والقاهرة .

في المدارس الثانوية والعالية في تركيا ومصر (١) .

أبو العلاء المعري

وثاني هؤلاء الرجال لاصلة له بإيران على الإطلاق ولكنه شخصية رائعة جداً في عالم الفكر والأدب الإسلاميين بحيث لا يمكننا أن نمر عليه في صمت وسكون . وهذا الرجل هو الشاعر الضريع والفيلسوف الشاك « أبو العلاء المعري » وقد سمي بالمعري نسبة إلى قرية صغيرة من قرى سوريا هي « معرة النعمان » وهي القرية التي ولد بها وقضى فيها الشطر الأكبر من حياته ، وقد زاره الرحالة « ناصر خسرو » عندما توقف بهذه القرية ثلاثة أيام نهايتها ١٥ رجب سنة ٤٣٨ هـ = ١٥ يناير سنة ١٠٤٧ م وتحدث عنه في كتابه « سفرنامه » على هذا النحو : (٢) .

« وكان في هذه المدينة رجل يسمونه « أبا العلاء المعري » وكان ضريباً ورئيساً »
 « للمدينة وصاحب نعمة كثيرة ، يمتلك كثير من العبيد والقطان . وفي الحق كان »
 « أهل المدينة جميعاً خدماً له . ولكنه اختار حياة الزهد ، فكان يلبس أحقر »
 « الملابس ، ويلزم مسكنه ، ولا يأكل طوال اليوم إلا صف من من خبز الشعير . »
 « وقد سمعت أنه كان يترك باب قصره مفتوحاً على مصراعيه ، وأن نوابه وملازميه »
 « يتولون تدبير أمور المدينة ولا يرجعون إليه إلا في جلائل الأمور . وهو »
 « لا يمنع نعمة عن أحد من الناس ، ويصوم الدهر ، ويقوم الليل ، ولا يشغل »
 « باله بأمر من أمور الدنيا . وقد بلغ هذا الرجل مرتبة عالية في الشعر والأدب ، »
 « جعلت أفاضل الشام والمغرب والعراق يقرؤون له بها ويعترفون بأن أحداً في »
 « هذا العصر لم يبلغ منزلته ، ولن يصل إلى درجته أحد . وقد ألف كتاباً أسماه »
 « الفصول والغايات ، جعل كلامه فيه مرموزاً ، وأورد فيه كثيراً من الأمثال »
 « الفصيحة العجيبة التي لا يقف على سرها أحد من الناس اللهم إلا النفر القليل »

(١) المترجم : لم يعد هذا الكتاب يدرس في تركيا ومصر إلا دراسة خاصة .

(٢) أنظر ص ١٠ — ١١ من طبعة « شيفر » .

« الذين يقرأونها عليه ، مما دعا جماعة من الخلق إلى اتهامه بأنه صاغ هذا »
 « الكتاب معارضة للقرآن ^(١) . ويقبل عليه دأماً من مختلف الأنحاء ما يزيد »
 « على مائتي رجل يقرأون عليه الأدب والشعر . وقد سمعت أن له من الأشعار »
 « ما يزيد على مائة ألف بيت . وقد سأله أحد الأشخاص السؤال الآتي : »
 « — إن الله تبارك وتعالى قد أجزل لك كل هذا المال ، والنعم فلائى سبب »
 « تعطيها للناس ولا تتمتع بهما في معيشتك ... ؟ »
 « فأجابته المعري : »
 « — إننى لأستحق منهما إلا ما أحتاج إليه في مأكلى !! »
 « وقد كان المعري على قيد الحياة عندما وصلت إلى المعرة . ^(٢) »

ويرجع إلى « البارون فون كريمير » الفضل الأول في تعريف علماء أوروبا بالمعري وإظهارهم على نواحي عظمتهم وعبقريته ، وقد خصص للحديث عنه تسع صفحات من الجزء الثانى من كتابه الرائع عن « تاريخ الحضارة فى الشرق » ^(٣) كما نشر عنه سلسلة من المقالات والرسائل الرائعة ^(٤) .
 وقد أورد « دولتشاه » فى مقالته القصيرة التى كتبها عن هذا الشاعر ثلاث مقطوعات من أشعاره هى التالية : ^(٥) .

(١) حفظت لنا قطعة من هذه المعارضة القرآنية ، نشرها لناحولديزير فى سنة ١٨٧٥ فى مجلة المستشرقين الألمان مجلد ٢٩ وقد قرنها بملاحظات ممتعة عن المعري فى الصفحات ٦٣٧ — ٦٤١ . أنظر أيضاً هذه المجلة مجلد ٣٢ ص ٢٨٣ وكذلك المجلد ٣١ ص ١٧٦ وكذلك كتاب جولديزير المسمى دراسات إسلامية مجلد ٢ ص ٤٠٣ Muhamedanische Studien .
 (٢) مات بعد ذلك بعشر سنوات فى سنة ٤٤٩ هـ = ١٠٧٥ م وقد بلغ من العمر ثمانين سنة .

(٣) أنظر ص ٣٨٦ — ٣٩٤ من الجزء الثانى من كتاب Culturg schichte des Orients
 (٤) أطول هذه المقالات هى المنشورة فى Sitzungsberichte d. Wiener Akad.
 سنة ١٨٨٨ م مجلد ١١٧ . وقد سبق هذه المقالة مقالات أخرى فى « مجلة المستشرقين الألمان » فى السنوات ١٨٧٥ و ١٨٧٦ و ١٨٧٧ و ١٨٨٤ . المجلد ٢٩ ص ٣٠٤ — ٣١٢ والمجلد ٣٠ ص ٤٠ — ٥٢ والمجلد ٣١ ص ٧١ والمجلد ٣٨ ص ٤٩٩ — ٥٢٩ .
 (٥) أنظر « تذكرة الشعراء » ص ٢٥ .

القطعة الأولى :

أبا العلاء ابن سليمان عمالك قد أولاك إحسانا
إنك لو أبصرت هذا الوري لم ير إنسانك إنسانا

والقطعة الثانية :

ألا إنما الأيام أبناء واحد وهذي الليالي كلها أخوات
فلا تطلبن من عند يوم وليلة خلاف الذي مرت به السنوات

والقطعة الثالثة :

من راعه سبب أو هاله عجب فلي ثمانون حولا لا أرى عجبا
الدهر كالدهر والأيام واحدة والناس كالناس والدنيا لمن غلبا
وقد نشر «جولده زهر» القطعة التالية من أشعاره في مقالة له « بمجلة المستشرقين
الألمان » مجلد ٢٩ ص ٦٣٧

في القدس قامت ضجة ما بين أحمد والمسيح
هذا بناقوس يديق وذا بمثذنة يصيح

كل يمجّد دينه ياليت شعري ما الصحيح ؟!

وطبقاً لأحكام الشريعة الإسلامية يعاقب السارق الذي يسرق ما يزيد قيمته على
ربع دينار بقطع يده ، بينما يعوض الشخص الذي يفقد يده في أحوال أخرى بخمسمائة
دينار كاملة وفي هذا المعنى يقول المعري :

تناقض مالنا إلا السكوت له وأن نعوذ بمولانا من النار

يد بخمس مئين عسجد فديت ما بالها قطعت في ربع دينار ؟!

وفيما يلي بيتان يذكرهما « فون كريمر » على سبيل المثال في « مجلة المستشرقين

الألمان » ج ٢٩ ص ٣٠٥

ضحكنا وكان الضحك منا سفاهة وحق لسكان البسيطة أن ييكوا
تمحطنا الأيام حتى كأننا زجاج ولكن لا يعاد لنا سبك

وقد ذكرت أن « المعري » لاصلة له بإيران ، لامن ناحية مولده ، ولامن ناحية
إقامته ، ولم يدفعني إلى ذكره في هذا الكتاب إلا كونه شاعرا كبيرا ومفكرا عبقريا .
يضاف إلى ذلك أن الأبحاث المستقبلية ربما تكشف لنا أنه كان ذا أثر محسوس نستطيع

لمسه في آراء شعراء الفرس الشكاكين المتشاكين . ولا شك أن آراءه الخاصة تذكرنا بعض الشيء بـ « عمر الحيام » وإن كان يمتاز عنه بأنه أعلا منه شأنًا وأبلغ منه منطقًا من حيث كونه شاعرا وفيلسوفًا شاكًا .
وأهم مؤلفات المعري هي التالية :

- ١ — سقط الزند : هو ديوان من الشعر يتضمن منظوماته البكرة
- ٢ — اللزوميات أو « لزوم مالا يانزم » وهو ديوان من الشعر يتضمن أشعاره المتأخرة التي تشتمل على فلسفته وتشاؤمه .
- ٣ — الرسائل : وقد نشرها وترجمها الأستاذ « مارجوليوث » بجامعة أكسفورد في سنة ١٨٩٨ م ^(١) .

٤ — رسالة الغفران : وهي رسالة كتبها ثرا في وصف الجنة والنار . وتحدث فيها عن زيارة خيالية للعالم الآخر وما جرى بينه وبين شعراء العرب والكافرين من حديث . وقد نشر الأستاذ « ر . ا . نيكولسون » وصفًا لهذه الرسالة مع مقتطفات منها في « مجلة الجمعية الملكية الآسيوية » سنة ١٩٠٠ (ص ٦٣٧ - ٧٢٠) وسنة ١٩٠٢ (ص ٧٥ - ١٠١ ؛ ص ٣٣٧ - ٣٦٢ ، ص ٨١٣ - ٨٤٧) وهذا المؤلف يتمتع حقًا ولكنه مليء بالصعوبات والمائل للعقدة ، خاصة في فصوله الأخيرة التي تحدث فيها عن الكفار والزنادقة ، وقد اضطر المؤلف مراعاة للحكمة والصلحة أن ينتقد هؤلاء الطائفة ، ولكننا مع ذلك لانستطيع أن نبرئه من أنه كان يعطف عليهم عطفًا كبيرًا .

- ٥ — الفصول والغايات : وهذا هو أبعد كتبه إغراقًا في الزندقة كما تنذهب إلى ذلك آراء المسلمين . وهو عبارة عن معارضة للقرآن كالتى صاغها « التنبي » وقد نشر فصولًا منه المستشرق « جولديزير » في مقالته التي نشرها في سنة ١٨٧٥ م في المجلد ٢٩ من مجلة المستشرقين الألمان ^(٢) (ص ٦٣٧ - ٦٤١) بعنوان :
« أبو العلاء المعري كفكر حر Abul 'Ala al Ma'arri als Fréidenker »

Anecdota Oxoniensia, 1898.

(١) أنظر :

(٢) الترجم : طبع هذا الكتاب في القاهرة في مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

وقد رسم الأستاذ « مرجوليوث » صورة ممتعة لحياة المعري جعلها مقدمة لطبعته التي نشرها لـ « رسائل المعري » ؛ كما أن المقالات العديدة التي نشرها « فون كرىمر » وضمنها كثيرا من أشعاره المترجمة إلى شعر ألماني تمد الباحث الأوروبي بكثير من الزاد الذي يساعده على دراسة هذا الفكر العبقري القوي .

الغزالي :

أرجأت إلى نهاية هذا الفصل الحديث عن رجل آخر له تأثير كبير في هذا العصر ، ويعتبر بحق من كبار المفكرين الذين ظهوروا فيه ، وأقصد به « الإمام أبا حامد محمد الغزالي » (١) وهو الفقيه الذي كان له الفضل الأول في إنهاء عصر الفلسفة في الإسلام ، وفي إقامة عصر « التصوف » الذي يعتبر أبلغ تعبير وأوضح تحديد للمذهب السني الإسلامي .

يقول الدكتور « ت . ث . دي بوير » في كتابه « تاريخ الفلسفة في الإسلام » (٢) « إن التصوف منذ ظهور الغزالي أصبح الدعامة التي قام عليها صرح المعرفة في العالم السني الاسلامي ، وأصبح كذلك التاج الذي انعقد على مفروق هذا السرح » .

وقد أورد الدكتور « دي بوير » في كتابه العلمي الرائع مافيه الكفاية عن الغزالي ومنهجه بحيث أجد لزما على الأبطال الحديث عن هذا الفقيه النابه الذي خدم الدين خدمات جليلة ، جعلته يكسب لقاءها اللقب الذي عرف به أبدا وهو « حجة الإسلام » . ولد الغزالي في بلدة طوس من مدن خراسان في سنة ٤٥٠ هـ = ١٠٥٨ م . وعلى قول آخر في سنة ٤٥١ هـ = ١٠٥٩ م وقد صادف مولده تولى « ألب ارسلان » عرش

(١) يقال له أيضا الغزالي بتشديد الزاي وقد سبق لي كتابة اسمه على هذا النحو في مؤلف سابق فأتقنني على ذلك المستشرق الكبير « جولنزيهر » ؛ ومع ذلك فيجب أن أذكر أن هذه التسمية تبعها عدد كبير من كتاب المسلمين منذ القرن الثالث عشر الميلادي (= السليج الهجري) انظر : الفخرى وكذلك كتاب « بروكلمان » في « تاريخ الأدب العربي » ج ١ ص ٤١٩ .
(٢) انظر : ص ١٥٥ من الترجمة الانجليزية من كتاب :

الصلاحية . ومات أبوه وهو صغير ، فقام على تربيته وتربية أخيه رجل صوفي من أصدقاء أبيه ، ثم التحق بعد ذلك بإحدى المدارس الموجودة في بلده . واعتاد أن يقول :
« طلبنا العلم لغير الله فأبى أن يكون إلا الله »

وقد تلقى الدرس فترة في « جرجان » على يد الإمام « أبي نصر الإسماعيلي » وبينما كان في طريق عودته إلى طوس سطا عليه جماعة من قطاع الطريق وسلبوه كل أمتهته ، وقد تبعهم لكي يسترد منهم مذكراته ، وقال لمقدمهم أنه ترك الأهل والوطن لأجل تحصيلها وهي تستوعب جميع علومه ومعارفه . فضحك مقدم اللصوص وقال : « كيف تدعى أنك أدركت ما فيها من علم فلما أخذناها منك تجردت من معرفتها وبقيت بلا علم... »
ثم انتهى الأمر بأن استرد الغزالي مذكراته وأقبل على الاشتغال بها حتى حفظ جميع ما فيها بحيث لو قطع عليه اللصوص الطريق مرة أخرى لم يتجرد من علمه !!

ثم ذهب الغزالي إلى « نيسابور » . وجد واجتهد وأحسن التأليف وأجاد الوضع والتصنيف حتى علم به الوزير العظيم « نظام الملك » فولاه في سنة ٥٤٨٤ = ١٠٩١ م التدريس في مدرسته « النظامية » التي أسسها في بغداد قبل ذلك التاريخ بخمس وعشرين سنة . وظل الغزالي أربع سنوات في المدرسة النظامية يقوم « على التدريس وتعليم العلم ، عظيم الجاه ، زائد الحشمة ، على الرتبة ، مشهور الإسم ، تضرب به الأمثال ، وتشهد إليه الرجال ، إلى أن شرفت نفسه عن رذائل الدنيا ، فرفض ما فيها من التقدم والجاه ، وترك كل ذلك وراء ظهره ... فاستناب أخاه في التدريس . » وقصد بيت الله الحرام فحج ، ثم ذهب إلى الشام حيث ألف كتابه الكبير « إحياء علوم الدين » وهذا الكتاب مكتوب بالعربية ، ولكنه نقل بعد ذلك باختصار إلى الفارسية بعنوان « كيمياء سعادت » أو « كيمياء السعادة » .

فلما عاد الغزالي إلى بغداد جعل هذا الكتاب أصلاً لمجموعة من المراسم الدينية التي أخذ يبشر بها في هذه المدينة ، ثم عاد بعد ذلك إلى نيسابور ودرس بالمدرسة النظامية مدة يسيرة ، ثم رجع إلى بلده طوس حيث توفي في يوم الاثنين ١٢ جمادى الآخر سنة ٥٥٥ = ١٨ ديسمبر سنة ١١١١ م .

ومؤلفات الغزالي كثيرة . أحصى منها « بروكلمان » قرابة السبعين ، وهي تشمل ، فيما عدا ما ذكرناه على : « رسالة في الرد على الباطنية أو الإسماعيلية » و « المنقذ من

الضلال» و «تهافت الفلاسفة» . والكتاب الأخير هو الذى أوحى ، فيما بعد ، لابن رشد القرطبي بتأليف كتابه «تهافت التهافت» .

وفىما يلى قطعة تنقلها من «النقد» وهى كبيرة الفائدة فى الدلالة على مقدار ما بلغه الغزالى من التعمق فى الدين قبلما يبلغ مرتبة الصفاء النفسى التى ظفر بها فى النهاية^(١) :

« ولم أزل فى عنفوان شبانى — منذ راهقت البلوغ قبل بلوغ العشرين إلى الآن وقد أناف السن على الخمسين — أقتحم لجة هذا البحر العميق ، وأخوض غمرته خوض الجسور ، لا خوض الجبان الحذور ؛ وأتوغل فى كل مشكلة ، وأتبحر كل ورطة ، وأتمحص عن عقيدة كل فرقة ، واستكشف أسرار مذهب كل طائفة : لأميز بين محق ومبطل ، ومبتين ومبتدع ؛ لأغادر باطنياً إلا وأحب أن أطلع على بطائنه ، ولا ظاهرياً إلا وأريد أن أعلم حاصل ظهارته ، ولا فلسفياً إلا وأقصد لوقوف على كنه فلسفته ، ولا متكلماً إلا وأجتهد فى الاطلاع على غابة كلامه ومجادلته ، ولا صوفياً إلا وأحرص على العثور على سر صفوته ، ولا متعبداً إلا وأترصد ما يرجع إليه حاصل عبادته ، ولا زنديقا معطلاً إلا وأتجسس وراءه للتنبه لأسباب جرأته فى تطيله وزندقته ، وقد كان التعطش إلى درك حقائق الأمور دأبى وديدى من أول أمرى وربعان عمرى غريزة وفطرة من الله ، وضعتافى جبلتى ، لا باختيارى وحيلتى . حتى أنجملت عنى رابطة التقليد ، وانكسرت على العقائد الموروثة ، على قرب عهد سن الصبا ... » .

وقد استطاع «الغزالى» بعد هذه المجاهدات المبكرة فى البحث عن الحق ، والخروج من مغاور الشك القائمة ، أن يكسب الدين البين قدرة ورسوخاً ، يستطيع بواسطتهما سائر الناس ، أن يلغوا الرسالة المطمئنة التى رسا إليها هو نفسه بعد جهود مضنية ومشاكل شائكة ؛ وقد فاز لقاء هذه الجهود باللقب الرائع الذى عرف به وهو «حجة الإسلام» . كما استطاع أن يجعل عالمه معروفاً كالسيوطى يقول فى شأنه : إنه لو قبض للإسلام رسول بعد محمد ، لما كان هذا الرسول غير الغزالى ... ! .

(١) المترجم: قلنا النص من طبعة «النقد» المنشورة فى القاهرة سنة ١٩٥٢م (أنظر ص ٥١)

الفصل الخامس

عصر السلطان سنجر وأخوته

(٤٨٥ - ٥٥٢ = ١٠٩٢ - ١١٥٧ م)

الفترة التي تقدم على دراستها في هذا الفصل تستغرق خمسا وستين سنة ، تبدأ بموت « ملكشاه » كما فصلنا الخير عن ذلك في نهاية الفصل الثالث من هذا الكتاب وتنتهي بموت ابنه « سنجر » .

والعروف عن « سنجر » أنه لم يكن مطلق الحكم في إمبراطورية السلاجقة إلا في خلال الفترة الواقعة بين سنتي ٥١١ و ٥٥٢ = ١١١٧ و ١١٥٧ م ؛ ومع ذلك فقد كان قبل توليه ملك السلاجقة حاكما على ولاية خراسان ، وكان أروع شخصية ذات نفوذ بين آل سلجوق منذ سنة ٥٤٩٠ = ١٠٩٦ م . وقد نجحت خراسان بفضل حكومته المستتبة القادرة من شر الحروب الطاحنة التي وقعت بين إخوته ، واستطاع بإدارته الماهرة أن ينجبها ويلا هذه الشرور الدائرة ؛ حتى إذا كانت غارات « الأتراك الغز » أصيبت هذه الولاية الآمنة في السنوات الأخيرة من حكمه بكثير من الأذى والتخريب ، بحيث بدا الدمار الذي نزل بهذه الديار شاملا وفظيما وخيفا ؛ ولكن هذا البلاء الذي وقع على أيدي « الغز » سرعان ما اغتمر خطره وهان أمره ، عندما قورن بما أنزله « المغول » من رعب وفزع خلال غارتهم التي وقعت بعد ذلك بما يقرب من سبعين سنة .

وعلى ذلك يمكننا ، على سبيل التجاوز ، أن نسمي هذه الفترة التي ندرسها « عصر سنجر » وأن نعتبر موته نهاية لعهد « السلاجقة العظام » في إيران .

وقد فاق « سنجر » - كما جاء في كتاب « راحة الصدور » للراوندي (١) - جميع

(١) أرجع لي مقالتي عن هذا الكتاب في « مجلة الجمعية الملكية الآسيوية » سنة ١٩٠٢

ملوك السلاجقة الآخرين من حيث طول عمره وكثرة الأعمال الجليلة التي قام بها .
 فمُنذ تولى الحكم من قبل « بركيارق » على ولاية خراسان تمكن في فترة السنوات
 الأربعين التي تولاها من أن يقوم بتسع عشرة غزوة من الغزوات النظفرة . فاستطاع
 أن يستولى على « غزنه » وأن ينصب عليها « بهرامشاه » بشرط أن يدفع إليه جزية
 يومية مقدارها ألف دينار ، كما استطاع أن يأسر ملك سمرقند المسمى « أحمدخان »
 وهو الملك الذي ثار عند موت « بركيارق » في سنة ٥٢٥ هـ = ١١٣٠ م وأخضع
 ولايتي « سجستان » و « خوارزم » . ومع ذلك كله ، لم يهدل سلجوق من الناحية
 السياسية بما كان لهم من القوة والنفوذ أثناء حكم « ألب أرسلان » و « ملكشاه »
 لأننا لو تجاوزنا فرضاً عن الأثر البالغ الذي أحدثته الحروب التي وقعت في بداية
 هذه الفترة بين أبناء « ملكشاه » ، وكذلك عن المصائب الكثيرة التي نتجت عن
 الغارات التالية التي قام بها بعض أمراء المقاطعات الثائرين ، فإننا نجد أن إيران في
 ذلك الوقت كان يقوم بها إلى جانب « السلاجقة العظام » بيوت ملكية أخرى
 تنازعهم السيطرة والسلطان .

وكان أهم هذه البيوت وأكثرها خطراً بيت « الغوريين » أو « ملوك جبال
 الغور » في الشمال الشرقي من إيران ، وهو البيت الذي ورث « الغزنويين » في
 هذه الولاية ، ثم « دولة ملوك خوارزم » أو حكام « خيوه » وهي الدولة التي
 أصبحت أكبر خصم للسلاجقة ، عند تولى « أتسز » في سنة ٥٢١ هـ = ١١٢٧ م
 وكذلك « سلاجقة كرمان » الذين كانوا يحكمون غيرمنازين في الولايات الجنوبية
 الغربية من إيران .

وربما كان فريق « الإسماعيلية » أو « ملاحدة الموت » أشد خطراً من هؤلاء
 جميعاً ، لانتشارهم في مختلف الولايات وسيطرتهم على سائر الأنحاء . وقد استطاعوا رغم
 المقاومة الشديدة الباتية التي تصدوا لها من آن إلى آخر ، أن يقوموا بكثير من
 الأعمال التي أصبحت مصدر فزع ورعب في إيران ، مالبث أن امتد خطرهم حتى شمل
 الشام أيضاً .

عصر سنجر من الناحية العلمية والأدبية

يمتاز هذا العصر من ناحية الأدبية والعلمية بكثير من البهاء الذى امتاز به العصر السابق عليه والعصر اللاحق له ؛ فقد ازداد عدد الأدباء الإيرانيين من كتاب النثر والشعر ، وتم خلاله تأليف عدد من أمهات الكتب العربية التى أخرجتها إيران . وقد عاش خلال عهد « سنجر » عدد من كبار شعراء الفرس ، وولد فيه شاعران كبيران هما :

« الشيخ فريد الدين العطار » المولود سنة ٥١٤ هـ = ١١٢٠ م

و « نظامى الكنجوى » المولود سنة ٥٣٥ هـ = ١١٤٠ م

وتوفى به جملة من الشعراء المشهورين مثل :

« عمر الحيام » التوفى سنة ٥١٤ هـ = ١١٢١ م

« أزرقي » » » ٥٢٥ هـ = ١١٣٠ م

« مسعود بن سعد » » » ٥٢٦ هـ = ١١٣١ م

« أديب صابر » » » ٥٣٨ هـ = ١١٤٣ م

« معزى » » » ٥٤٢ هـ = ١١٤٧ م

« عمق البخارى » » » ٥٤٣ هـ = ١١٤٨ م

وعاش به طائفة أخرى من كبار الشعراء والكتاب مثل :

« سنائى » و « نظامى عروضى السمرقندى » و « رشيد الدين الوطواط »

و « سوزنى » الشاعر الهجاء . ووجد به أيضا بالإضافة إلى هؤلاء جماعة آخرون ، لا يبلغون منزلتهم من حيث الفضل وبعد الصيت .

أما أهم المؤلفات النثرية التى كتبت بالفارسية فى هذا العصر فهى التالية :

١ - « ذخيرة خوارزمشاهى » : أو « ذخيرة ملوك خوارزم » وهى عبارة عن

موسوعة طبية ، تم تأليفها سنة ٥٠٤ هـ = ١١١٠ م

٢ - ترجمة كذبة ودمنه : التى قام بها نصر الله بن عبد الحميد سنة ٥٣٨ هـ =

٣ — مقامات القاضي حميد الدين أبي بكر البلخي، التي أنشأها حوالى سنة ٥٥٥ هـ = ١١٦٠ م

٤ — كتاب « چهار مقاله » : أو المقالات الأربع التي ألفها « نظامى عروضى السمرقندى » حوالى هذا التاريخ .

وهذا الكتاب الأخير هو من أهم هذه المؤلفات المنشورة ، ومن أجل ذلك سنستشهد به غالباً في هذا الفصل . كما فعلنا في الفصول السابقة ؛ ويمكننا أن نعتبر « الغزالي » من أهم كتاب هذا العصر الذين كتبوا بالعربية دائماً أو غالباً ، فقد توفي في سنة ٥٠٥ هـ = ١١١١ م كما ذكرنا آنفاً .

ومن أهم الشخصيات التي تلاقيها في هذا العصر ثلاثة من علماء اللغة ، هم : « الروزنى » و « التبريزى » و « الجوالقى » ؛ والجغرافى المعروف « البكرى » ؛ والشاعران الكبيران « الأبيوردى » و « الطغرائى » صاحب لامية العجم ؛ والمؤرخ « ابن منده » مؤرخ أصفهان ؛ والكاتب المتصوف « القشبرى » ؛ وكاتب المقامات « الحريرى » وقد كتبها استجابة لأمر وزير السلاجقة ومؤرخهم « خالد بن أنوشىروان » ؛ والمفسران : « الفراء البغوى » و « الزمخشرى » ؛ وجامع الأمثال العربية « الميدانى » ؛ ومؤلف كتاب الملل والنحل « الشهرستانى » ؛ وجماعة آخرون غير هؤلاء لا يتسع المقام لذكرهم وتعدادهم .

* * *

ووفقاً للنهج الذى اتبعناه فيما سبق من فصول ، سنتحدث أولاً على الوضع السياسى لإيران والبلاد المجاورة لها خلال هذا العصر ، حتى إذا فرغنا من ذلك انتقلنا إلى الحديث عن النواحي الأدبية والعلمية فيها ، فنقول إنه عندما توفي « ملكشاه » كان له أربعة أولاد ، هم :

١ — بركيارق : وكان في الحادية عشرة أو الثانية عشرة من عمره

٢ — محمد : ويصغر عن أخيه الأكبر بستة شهور .

٣ — سنجر : وكان في الثامنة من عمره

٤ — محمود : وكان طفلاً في الرابعة من عمره

وكان «بركيارق» عند وفاة أبيه في بلدة أصفهان مع أمه «زبيدة» انق كانت هي أيضا تنسب إلى أصل سلجوق . أما «محمود» فكان مع أمه المتفطرة الطامعة «تركان خاتون» في «بنداد» ، فحاولت هذه السيدة أن تتهن فرصة وجودها في دار الخلافة لتضمن الملك لابنها الصغير ، ولم يشأ الخليفة «المقتدى» في البداية أن يجارها على ما تريد ، ولكنه سرعان ماوافق على طلبها أمام إلحاح ابنه «جعفر» الذي رزقه من الأميرة «ماه ملك» أخت ملكشاه ، وأمام ما بذلته له من هدايا ورشى للوصول إلى غايتها . فلما تم لها ذلك أرسلت الأمير «بغا» إلى أصفهان فبلغها بعد أسبوع واحد ليقبض على «بركيارق» ، ولكن جماعة من أبناء «نظام الملك» استطاعوا عند ذلك أن ينقلوه خفية أثناء الليل من أصفهان إلى «ساوه» ثم إلى «آبه» ثم إلى «الري» حيث نصبوه ملكا على عرش السلاجقة . وقالوا إنه لم يكن قد بلغ الثالثة عشرة من عمره عندما احتفلوا بتويجه فأشفقوا أن يضعوا التاج الكبير على رأسه ، وعلقوه من فوقه مخافة أن ينوء بحمله ^(١) . وقد ترأس حفلات التتويج حاكم الري المسمى «أبومسلم» وأحاط بأبواب المدينة عشرون ألف جندي يجرسون ملكهم الصغير الجديد .

وفي هذه الأثناء كانت «تركان خاتون» قد احتلت أصفهان معتمدة على مناصرة «مجد الملك القمي» و «تاج الملك أبي الغنائم» والأمير «أزوبلكا» وغيرهم من أعداء «نظام الملك» وقتليه . وسار «بركيارق» بجيشه إلى «أصفهان» وشاء أن يحاصرها ولكنه عدل عن ذلك لقاء خمسمائة ألف دينار دفعت إليه لينفض عنها ويذهب إلى «همدان» . ولكن سرعان ماتم ذلك حتى عادت «تركان خاتون» إلى تدير المكائد ضده ، فوعدت خاله «ملك إسماعيل» بأنها تقبل الزواج منه ، ودفعت به بذلك إلى محاربة «بركيارق» في سنة ٥٤٨٦ = ١٠٩٣ م بالقرب من الكرج . ولكن الهزيمة كانت من نصيب هذا الحال فدارت عليه الدائرة . في اليوم الثالث

(١) أنظر «سيرة ابن هشام» طبع «وستفالد» ص ٢٤

من فبراير سنة ١٠٩٤ م (= ٤٨٧ هـ) وأعلن «بركيارق» عند ذلك ملكا في بغداد . ولكنه لم يكد يتم له الأمر حتى ثار أحد أعمامه «تنش» (١) ثورة عنيفة تمكن بواسطتها من هزيمة «بركيارق» وأخذه أسيرا إلى مدينة «اصفهان» حيث استقبله أخوه الأصغر «محمود» استقبالا تيدو عليه مظاهر العطف وحسن المعاملة ، ولكنه في الحقيقة لم يلبث أن وكل أمره إلى «ازرويلكا» فأمر بحبسه في «كوشك ميدان» وعزم على سمل عينيه حتى لا يكون أهلا بعد ذلك لمطالبة بالملك .

ومن حسن حظ «بركيارق» أن أخاه الأصغر «محمودا» مرض في نفس الأسبوع بالجدري ومات ، فلم ينفذوا فيه هذه العقوبة الشنعاء التي دبرت له ، واجتمع الأمراء عند ذلك ونصبوا «بركيارق» مرة أخرى على العرش ، ثم مالبث «تركان خاتون» أن قتلت في خريف سنة ٤٨٧ هـ = ١٠٩٤ م فصلا لـ «بركيارق» الجؤ وسهلت أمامه الأمور .

ومرض «بركيارق» بعد ذلك بنفس المرض الذي أودى بأخيه ، ويثسوا من برئه ولكن الله قدر له الشفاء في النهاية . فلما كان العام التالي نهض لمحاربة عمه «تنش» واستطاع هزيمته وقتله .

وقتل في هذه الأثناء أيضا عمه «أرسلان أرغون» وقد كان خارجا عليه . قتله أحد أتباعه في مدينة «مرو»

ونجا «بركيارق» نفسه من القتل على يد أحد ملاحدة «ألموت» . وبعد ذلك بفترة وجيزة نصب أخاه «سنجر» حاكما على خراسان في سنة ٤٩٠ هـ = ١٠٩٦ م ثم عاد إلى العراق .

فلما كانت سنة ٤٩٣ هـ = ١٠٩٩ م ثار أخوه «محمد» ثورة عنيفة ، ناصره فيها أكبر أولاد نظام الملك وأقدرهم «مؤيد الملك» ، وكان «بركيارق» قد طرده من منصبه فاستحق بذلك خصومته العنيفة الدائمة . وقد كانت هذه الثورة من أعظم المخاطر التي تعرض لها «بركيارق» ؛ واستمرت الحرب دائرة بينه وبين أخيه ، تهدأ أحيانا ، وتشتد أحيانا أخرى ، ويكسبها هذا أو ذاك حتى سنة

(١) المترجم : يكتب هذا الاسم أحيانا هكذا «تنكش»

٥٤٧٩ = ١١٠٣م وقد وقعت بينهما خلال ذلك خمس معارك حامية ، ثم اتفقا على الهدنة قبل موت «بركيارق» بسنة أوسنتين . وقد ارتكبت خلال هذه الحروب كثير من الفظائع والشنائع ، فقد أسر «محمد» أم بركيارق المسماة «زيدة» وأمر بخنقها في سنة ٥٤٩٣ = ١٠٩٩م وكانت في الثالثة والأربعين من عمرها ؛ وثار الجند فأخذوا «محمد الملك القمي» الذي أصبح وزيرا لـ «بركيارق» بعد «مؤيد الملك» ومزقوه إربا إربا بتهمة ميله إلى مذهب الملاحدة والحشاشين ؛ وأمر «بركيارق» باقتبض على «مؤيد الملك» ثم اغتاله غيلة شعاء بقطع رأسه وفصلها عن جسده . وعقد الصلح بعد ذلك بين الأخوين في سنة ٥٤٩٧ = ١١٠٣م . فلما بلغت هذه السنة نهايتها ، أصيب «بركيارق» بالمرض الذي أودى بحياته في مدينة «بروجرد» ، وكان له من العمر خمس وعشرون سنة ، وقد أوصى قبل وفاته بتنصيب ابنه الصغير «ملكشاه الثاني» ملكا على عرش السلاجقة ، ولم يكن هذا الطفل قد بلغ الخامسة من عمره ، فبقي على العرش بضعة أشهر ثم خلع عنه ، وسملت عيناه كما كانوا يفعلون عادة في هذا الوقت بكل من يريدون إقصاءه عن العرش .

محمد بن ملكشاه :

وقد أصبح عند ذلك «محمد بن ملكشاه» الملقب بـ «غياث الدين» الحاكم الذي لا يتنازع في ملك السلاجقة ، فظل مترجعا على العرش أكثر من ثلاث عشرة سنة من سنة (٤٩٩ إلى ٥١٢ = ١١٠٥-١١١٨م) وقد عمل بهمة خلال هذه المدة على مقاومة نفوذ «الحشاشين» التزايد ؛ وستحدث بعد قليل عن تطور حركتهم وما أحدثوه من أمور خلال هذا العصر . وفيما عدا ذلك فقد امتاز حكم «محمد بن ملكشاه» بهدوء نسبي لم تتخلله إلا معركة موقعة ، فاز فيها على الأمير العربي الكريم «صدقة بن مزيد» أمير الحلة في سنة ٥٠٢ = ١١٠٨م وقد ذكر لنا «نظامي العروض السمرقندي» حكاية غريبة تتعلق بهذه الموقعة في المقالة التي خصصها للنجوم والنجمين (١) .

(١) أظن الحكاية التاسعة والعشرين من كتاب «جواهر مقاله» وكذلك «مجلة الجمعية الآسيوية الملكية» سنة ١٩٠٢ م ص ٦٠٥

محمود بن محمد

وتولى الملك بعد محمد ابنه « محمود » وكان صبيا في الرابعة عشرة من عمره ، حكم فترة وجيزة ، أساء فيها الحكم (١) ، ثم ساقه حقه إلى محاربة عمه « سنجر » حاكم خراسان القوى . فوقعت الموقعة بينهما في مدينة « ساوه » في سنة ٥١٣ هـ = ١١١٩ م وأصابته الهزيمة محموداً ، ولكن « سنجر » لم يعاقبه العقوبة المتعارف عليها في هذه الأيام ، وقبل شفاعته أمه ، فعفا عن ابن أخيه المغلوب وتجاوز عن خطئه وحماقته ، ونصبه واليا على العراق (٢) ثم زوجه من ابنته « ماه ملك خاتون » فظل حاكما على العراق مدة السنوات الأربع عشرة التالية . ولكن هذه الأميرة سرعان ما اغتالها الموت ، وكان « سنجر » يكن لها كثيرا من الحب ، فحزن عليها حزنا شديدا ، وظل فترة لا يتسلى بشيء عن ذكرها ، وقد قيل إنه استدعى عند موتها الشاعر العجوز « عميق البخاري » وطلب إليه أن ينظم الشعر في رثائها (٣)

سنجر

أعلن في بغداد تنصيب « سنجر » ملكا على عرش السلاجقة في السادس والعشرين من جمادى الأولى سنة ٥١٣ هـ الموافق الرابع من سبتمبر سنة ١١١٩ م وقد ذكرنا فيما سبق أنه تولى قبل ذلك حكم خراسان مدة السنوات الأربع والعشرين الماضية . وقد كان حكمه على العموم موقفا ناجحا ، لم تشبه إلا سجب قائمة ، عكزت صفو سمائه في

(١) أنظر ص ١٢١ — ١٢٤ من « البندارى » طبع « هوتما » فقد ذكر الاتهامات العشرة التي وجهت إليه .

(٢) أنظر تذكرة الشعراء لـ « دولتشاه » ص ١٣٠ حيث ذكرت هذه الحادثة بالتفصيل وقد تكون روايه دولتشاه خيالية في بعض وقائمه . وقد نسبها إلى تاريخ يسبق الذي ذكرناه بأربع سنوات .

(٣) المترجم : أنظر المرجع السابق ص ٦٥ حيث جعل مطلع مرثيته البيتين الآتين :

هنگام آنکه گل دمد از صحن بوستان رفت آن گل شکفته و در خاک شد نهان
هنگام آنکه شاخ شجر نم کشد ز ابر بنی آب ماند نرگس آن تازہ بوستان

الأيام الأخيرة من حياته ويقترب باسمه ويقصره جماعة من كبار شعراء الفرس الذين عاشوا في هذا العصر وأهمهم : « أنورى » و « المعزى » و « أديب صابر » .

وقد ولد « سنجر » في سنة ٤٧٩ هـ = ١٠٨٦ م ^(١) في مكان من آسيا الصغرى اسمه « سنجار » فنسب إليه ^(٢) ؛ أما وفاته فكانت في سنة ٥٥١ هـ أو سنة ٥٥٢ = ١١٥٦ - ١١٥٧ م وقد بلغ من العمر اثنتين وسبعين سنة قرية؛ وامتد حكمه كما يقول « الراوندى » إحدى وستين سنة ، منها عشرون سنة تولى فيها حكم خراسان ، وإحدى وأربعون سنة تولى فيها حكم العالم ، وبمعنى آخر دولة السلاجقة .

أما الأحداث المؤلمة التي عكرت صفو أيامه الأخيرة فقد بدأت بالثورة التي أعلنها ملك خوارزم « أكرز » وأعلن فيها استقلاله التام في سنة ٥٣٥ هـ = ١١٤٠ م . وفي السنة التالية قهره جماعة من كفار الأتراك وأخذوا زوجته أسيرة ، وقتلوا من رجاله مائة ألف رجل ، واستولوا منه على « مرو » و « سرخس » و « نيسابور » و « يهق » فظلت هذه المدن في أيديهم فترة من الزمان .

أما هزيمته المنكرة على أيدي « الأتراك الغز » فقد حدثت في صيف سنة ٥٤٨ هـ = ١١٥٣ م ؛ فأغار هؤلاء القوم على « طوس » و « نيسابور » ونهبوها ، وقتلوا كثيرا من سكانها ، وذبحوا كثيرا من الرجال الذين اشتهروا بالفضل والصلاح . وقد وقع « سنجر » نفسه أسيرا في أيديهم ، فعاملوه ظاهريا بشيء من الإجلال والإكرام ، ولكنهم حظروا عليه حرية النقل ومنعوه من مساعدة رعاياه المنكوبين وأبقوه في أسرهم حتى خريف سنة ٥٥١ هـ = ١١٥٦ م . فاستطاع « المؤيد » وجماعة من خلصاء أتباعه السابقين أن يرشوا حراسه من « الغز » وأن ينجوه من

(١) هذا التاريخ مذكور في « ابن الأثير » وفي « راحة الصدور » أما البندارى فيذكر أن تاريخ ولادته هو سنة ٤٧٣ هـ = ١٠٧٩ م .

(٢) إذا تخربنا الدقة وجب علينا أن نقول إنهم اختاروا له هذا الاسم التركي لمقارنته ومشايعته لاسم المكان الذي ولده ، فكلمة « سنجر » التركية بمعنى « صقر » أو طائر من طيور الصيد ، والمعروف عن الأتراك السلاجقة وغيرهم أنهم كانوا يسمون أولادهم بأسماء الحيوانات والطيور ، مثل « طغرل » معناها الصقر أو الباز ، و « أرسلان » معناها الأسد .

الأسر وأن يلفوه مدينة « مرو » سالما آمنا . وحاول « سنجر » في هذه المدينة أن يجمع جيشا لينتقم به من « الغز » : ولكن الأسى الذى أصاب قلبه ، والحراب الذى أصاب بلاده ، والشيخوخة التى هدمت شبابه ، اجتمعت كلها فسيبت موته فى الشهور القليلة التى أعقبت خلاصه . وقد دفن مع عمه « ألب ارسلان » فى مدينة « مرو » فى البناء الذى بناه هنالك وأسماه « دولت خانه » .

سلاجقة كرمان :

ويقرن الحديث عن هذا العصر الذى درسناه فى الصفحات السابقة باسم أربعة من سلاجقة كرمان هم :

- ١ - تورانشاه : المتوفى سنة ٤٩١ هـ = ١٠٩٧ م .
- ٢ - إيرانشاه بن تورانشاه : المقتول فى سنة ٤٩٥ هـ = ١١٠١ م . بتهمة ميله إلى مذهب « الإسماعيلية » أو « الملاحدة » .
- ٣ - أرسلان شاه : وهو ابن عم « إيرانشاه » وتوفى سنة ٥٣٧ هـ = ١١٤٢ م .
- ٤ - مغيث الدين محمد بن أرسلان شاه : وهو الذى اشتهر بأنه افتتح عصره بسمل أعين عشرين أميرا من أخوته وأبناء إخوته ؛ وقد توفى سنة ٥٥١ هـ = ١١٥٦ م .

الخلفاء العباسيون المعاصرون

مات « المقتدى » عند بداية هذا العصر فى سنة ٤٧٨ هـ = ١٠٩٤ م ومات « المقتضى » قرب نهايته فى سنة ٥٥٥ هـ = ١١٦٠ م . أما الخلفاء الثلاثة الذين تولوا الخلافة فى الفترة الواقعة بين هذين الخليفين فأولهم « المستظهر » وقد مات فى سنة ٥١٢ هـ = ١١١٨ م ، وثانيهم « المسترشد » وثالثهم ابنه « الراشد » . وقد قتل هذان الخليفان على أيدي الإسماعيلية ، وقيل إن « سنجر » هو الذى حرض على قتل « المسترشد » عندما كان أسيرا فى بلدة « الراغة » فى أيدي السلطان « مسعود السلجوقى » قتلوه فى يوم الأحد السابع عشر من ذى القعدة سنة ٥٣٠ هـ الموافق التاسع والعشرين من شهر

أنسطس سنة ١١٣٥ م . أما « الراشد » فقد خلعه السلطان « مسعود السلجوق » وقتله بعد سنتين من خلعه في أصفهان في يوم الثلاثاء السابع من سنة ٥٥٣٣ = ١١٣٨ م ويلاحظ أن الخلفاء العباسيين لم يكونوا في هذا العصر أكثر من ألعاب في أيدي السلاجقة ، وقد حكوا عن « المسترشد » إنه قال في خطبة الجمعة في « كرمانشاه » عند ما كان في طريقه لمحاربة السلاجقة في الحرب التي أودت بحياته ، قال العبارة الآتية : —

« فوضنا أمورنا إلى آل سلجوق ، فبرزوا علينا ، فظال عنهم الأمد ، قست قلوبهم ، وكثر منهم الفاسقون » (١)

الغزنويون والغزنويون :

أما الغزنويون فقد خبا نجمهم منذ أمد بعيد ، ثم استوصلت شأفتهم في النصف الأخير من هذا العصر الذي ندرسه ، على أيدي « ملوك جبال الغور » هؤلاء المحاربين الأشداء من الأقعانيين الذين يعيشون في « فيروزكوه » .

وكان يتولى ملك الغزنويين في بداية هذا العصر ملكهم « إبراهيم » . وقد وردت عنه في كتاب « سياست نامه » حكاية تدل على ما امتاز به من قوة شخصية وعلو همة (١) . فقد حكوا : إن مدينة « غزنه » أقفرت في وقت من الأوقات من الخبز ، فأغلق الحجازون حوانيتهم ، وشكا الفقراء والغرباء شدة الضائقة لملكهم ، فأمر باستدعاء الحجازين وسألهم عن السبب الذي أدى إلى نقص الخبز في المدينة ، فأخبروه بأن خبازه الخاص يجمع كل ما يوجد من قمح ودقيق حتى يرتفع سعرهما . فلما علم السلطان بذلك أمر رجاله أن يلقوا بخبازه الخاص تحت أقدام القيلة ، فلما مات ربطوه على أبواب فيل منها وطافوا به على هذه الصورة في أنحاء البلدة ، وأخذ النادى يتنادى بأن هذا المصير سيكون نصيب كل خباز لا يادر بفتح خانوته ، فلما حانت صلاة العشاء

(١) لارجع إلى الحكاية السابقة من كتاب « چهارمقاله » .

(٢) أنظر ص ٢٢ من كتاب « سياست نامه » طبع شبفر سنة ١٨٩١ م .

حتى كان كل حانوت من حوانيت الحبازين يعرض على بابيه خمسين مناً من الحبز لاتجد من يشتريها !!...

وقد مات السلطان إبراهيم الغزنوى في سنة ٥٤٩٣ = ١٠٩٩ م ، خلفه ابنه « مسعود الثالث » فبقى على العرش حتى مات سنة ٥٥٠٨ = ١١١٤ م وتبعه على العرش ثلاثة من أولاده على التتابع هم : « شيرزاد » التوفى سنة ٥٥٠٩ = ١١١٥ م ثم « أرسلان » ؛ ثم « بهرامشاه » ؛ وقد أمر هذا الأخير بخلق أخيه « أرسلان » في سنة ١١١٨ م واستولى بذلك على العرش لنفسه وظل متربعا عليه حتى نهاية هذا العصر الذى ندرسه أى حق سنة ٥٥٤٧ = ١١٥٣ م

ويقترن اسم « بهرامشاه » عادة باسم الشاعر الأول من كبار شعراء الصوفية في إيران وأغنى به « سنائى » مؤلف « حديقة الحقائق » في سنة ٥٥٣٦ = ١١٣١ م وقد انتهى حكم « بهرامشاه » بنكبة كبيرة ، ففي خريف سنة ٥٥٣٠ = ١١٣٥ م اتهمه « سنجر » بالخيانة فسار إليه بجيشه ، واضطره إلى الخضوع ودفع الجزية ، وظل « سنجر » غزاه بضعة شهور ثم عاد في صيف السنة التالية إلى بلخ (١) ؛ وبعد اثنتى عشرة سنة من هذا التاريخ رأى « بهرامشاه » أن يقتل صهره « قطب الدين محمد » من أمراء القور ، فلما فعل ذلك أسرع أخوا القتل « علاء الدين حسين » و « سيف الدين سورى » إلى الثأر لأخيها وتمكنا في سنة ٥٥٤٣ = ١١٤٨ م من طرد « بهرامشاه » من مدينة « غزنه » حيث نصب « سيف الدين » نفسه حاكما على هذه المدينة من قبل أخيه « علاء الدين » ؛ ولكن سرعان ما أقبل الشتاء وأغلقت الطرق بالثلوج المتراكمة عليها ، حتى دبرت المكائد ضده واستدعى الثائرون « بهرامشاه » ونصبوه على غزنه ثانية ، وقبضوا على « سيف الدين » وطاقوا به في هذه المدية راكبا على نخل وقد لطمخوا وجهه السواد ، ثم أخذوه بمشركه وصلبوه ، وقد كان من نتيجة هذه الفعلة الشنعاء أن اسلم « علاء الدين حسين »

(١) أما الجوينى فيروى في كتابه « تاريخ جهانگشا » أن « بهرامشاه » فر من أمام سنجر ، ويقول إن هذا الملك السلجوقى أشار عند فراره إلى رجاله وقال عبارته المشهورة : « هذا ظهر مدبر ليس له وجه يبدو بعد الآن !!... »

لنفسه انتقاماً شنيعاً في سنة ٥٥٠ هـ = ١١١٥ م أي بعد ثلاث سنوات من موت « بهرامشاه » وتولية ابنه « خسروشاه » فأقبل هذا الغوري الكاسر على مدينة « غزنه » وأزّل سخطه ثلاثة أيام متوالية على أهلها المتعجرفين بحيث لقبوه بلقب « جهان سوز » أي « محرق العالم »

ومع ذلك، يجب علينا أن نلاحظ مدى التقدير الذي كان الأدب يفوز به في هذه الأيام. فقد روى لنا صاحب چهار مقاله : « إن علاء الدين حسين عندما أغار على غزنه وأخذ يحطم جميع المباني والمنشآت التي أنشأها محمود ومسعود وإبراهيم ، أخذ في نفس الوقت يشتري القصائد التي قالها الشعراء في مدحهم ثم يأمر بوضعها في مكتبته الخاصة . ولم يعد أحد من الجند أو سكان المدينة يجرؤ على أن يلقبهم بألقاب السلاطين مع أن علاء الدين نفسه كان يقرأ له « شاهنامه » حيث قال الفردوسي في مدح السلطان محمود (١) :

— عندما تقطم شفاه الصبي عن لبن والدته
فإن أول ما ينطق به في المهد هو لفظ « محمود » يجري على شفته
— ومحمود فيل يجسده ... وهو جبريل بروحه
وهو كالزمن بكفه ... وهو كنهر النيل بقلبه
— وهو الحاكم والملك القادر الكبير الشأن
الذي جعل « الشاه » تستقى مع « الدائب » من حوض واحد ... في أمان ... !

ملوك خوارزم شاه أو الخوارزمشاه :

هؤلاء الملوك أهم أثراً وأبلغ دلالة في تاريخ إيران من دولتي الغزنويين والغوريين . وهم يعرفون باسم الـ « خوارزمشاه » أو « ملوك خيوه » وأول ملوكهم هو « أنوشتهكين » وكان يشغل سابقاً للسلطان « ملكشاه » السلجوقي ؛ وقد بدأ ملكه في سنة

(١) المترجم : فيما يلي أصل هذه الأبيات بالفارسية :
چو کوئک لب از شیر مادر بشت ز گهواره محمود گوید تخت
بن زنده پیل و بجان جبرئیل بکف ابر بهمن بدل رود نیل
جهاندار محمود شاه بزرگ آبشخور آرد همی میش و گریک

٤٧٠ هـ = ١٠٧٧ م (١) ثم استطاع خلفاؤه بعد ذلك التخلص من كل صلة لهم بملوكهم الأقدمين من السلاجقة ، وظلوا يحكمون حتى انتهى أمرهم بالبطل الشجاع « جلال الدين المنكرى » آخر بطل إسلامى صمد فى وجه الجموع الفاتكة من جيوش المغول الكافرة من سنة ٦١٧ هـ إلى سنة ٦٢٩ هـ = ١٢٢٠ - ١٢٣١ م .

وقد بدأت قوة هذه الدولة فى العلو والارتفاع سنة ٥٢١ هـ = ١١٢٧ م عندما تولى عرشها الملك الماهر الطموح « أرتسز » ، فلما شاعت الشائعات عن أطاعة وبلغت آذان « سنجر » اضطر إلى أن يوجه جيوشه إلى خوارزم لمحاربته هناك فى سنة ٥٣٣ هـ = ١١٣٨ م .

وقد استطاع « سنجر » فى هذه المرة أن يهزم « أرتسز » هزيمة كبيرة ، كلفته كثيرا من الخسائر ، كان من جملة ابنه الذى قاده فى هذه الموقعة وعز خطبه فيه (٢) ، وكان من نتيجة هذه الموقعة أن استولى « سنجر » على « خوارزم » وأقطعها من قبله لابن أخيه « غياث الدين سليمان شاه » ولكن لم يلبث أن عاد « سنجر » إلى « مرو » حتى عاد « أرتسز » واستولى على عاصمته ، ثم دبر الشار لنفسه من « سنجر » بأن حرض عليه الكفرة من الأتراك « الخطائين » فهاجموه وهزموه هزيمة منكورة فى صيف سنة ٥٣٦ هـ = ١١٤١ م ، وقتلوا مائة ألف من جنده وأخذوا زوجته أسيرة فى أيديهم واضطروه إلى الحرب إلى « ترمذ » و « بلخ » .

وفى هذه الأثناء أعلن « أرتسز » استقلاله ، ثم تقدم إلى مدينة « مرو » فاحتلها ، وأسر جملة من أفاضل رجالها ، كان من بينهم الفقيه « أبو الفضل البكرمانى » (٣) .

(١) يقول « الجوينى » فى كتابه « جهان گشا » إنه كان متعارفا لدى السلاجقة أن يكافئوا أتباعهم من السقاة والحجاب وحراس الملابس الخاصة بإقطاعات من الأرض .
(٢) يقول « الجوينى » إن اسمه « إيلخ » وروى أنهم عندما قبضوا عليه أحضروه إلى « سنجر » فأمر بقطع جسده بمنشار فشقه إلى نصفين .

(٣) يبدو ما رواه ابن الأثير فى أخبار سنة ٥٣٦ هـ أن « أرتسز » لم يكن ينوى التعرض لمدينة « مرو » كإفعل بمدينة « سرخر » ولكنه اضطر فى نهاية سنة ٥٣٦ هـ = ١١٤١ م إلى مهاجمتها وإنزال البلاء بها عندما علم بقتل جماعة من أتباعه .

وكانت هذه الواقعة كما يقول «ابن الأثير» أول موقعة خسرها «سنجر» وقدرأينا أنها كانت فاتحه لسلسلة أخرى من النكبات المتلاحقة .

ويمكن «أنسز» بعد ذلك من احتلال مدينة «نيسابور» وظل بها فترة لم يتعرض لها بشيء من سوء ، وأمر بحذف اسم «سنجر» من الخطبة فحذفوها ثلاثة أشهر من صيف سنة ٥٣٧هـ = ١١٤٢م . وبعد ذلك بما يقرب من سنة واحدة حاول «سنجر» محاصرة «خوارزم» ولكنه عجز عن ذلك فقبل الصلح مع «أنسز» . ثم مات «أنسز» عقب ذلك في التاسع من جمادى الآخر سنة ٥٥١هـ الموافق ٣٠ يوليه سنة ١١٥٦م قبل موت خصمه «سنجر» بفترة وجيزة^(١) .

شعراء سنجر وأنسز :

ويقترن باسمي «سنجر» و «أنسز» ولا يكاد ينفصل عنهما ، أسماء أربعة من كبار الشعراء الإيرانيين ، سندرس آثارهم بعد قليل وهم :

١ - معزى ٢ - أنورى

٣ - أديب صابر ٤ - رشيد الدين الوطواط

أما «المعزى» فكان شاعر السلطان «سنجر» وكذلك كان من قبله ، أبوه «برهانى» . وقد فاز بمكانة عالية جعلت الخطب فيه عظيماً عند ما قتل على يد مولاه بواسطة سهم أخطأ الهدف وأصابه في مقتل سنة ٥٤٢هـ = ١١٤٧م .

وربما كانت وفاة «الأديب صابر» أكثر إيلاماً ؛ فقد روى دولتشاه^(٢) إن سنجر أرسله إلى خوارزم ليتجسس على «أنسز» أو كما قال «الجوينى» في كتابه تاريخ «جهان كشا» ليكون سفيراً له لدى ملك خوارزم . وكان «أنسز» قد استأجر اثنين من الملاحدة وأمرهما بالذهاب إلى مرو وقتل السلطان سنجر . فكتب «الأديب صابر» يخبر مولاه بذلك النبأ ، وضمن رسالته وصفاديقاً لهُذين الرجلين ؛ وحملت هذه الرسالة امرأة عجوز ، سارت بها إلى «مرو» وقد أخفتها في حداثها . فلما بلغت «سنجر» هذه الرسالة

(١) الترجم : مات «سنجر» فى ربيع الأول سنة ٥٥٢ هـ

(٢) أنظر : «تذكرة الشعراء» ص ٩٣

تعرف على الرجلين وأعدمهما؛ فلما علم «أتسز» بذلك أمر رجاله أن يقيدوا «الأديب صابر»، فربطوا يديه وقدميه بالسلاسل والقيود ثم أغرقوه في نهر جيحون. وقد أخبرنا «دولت شاه» أن هذه الحادثة وقعت في سنة ٥٤٦هـ = ١١٥١ م، ولكن صاحب تاريخ «جهان كشا» وهو أصدق منه، أخبرنا أنها وقعت قبل سنة ٥٤٢هـ = ١١٠٧ م، ويرى «إتيه» - وربما كان محققاً - أنها وقعت سنة ٥٣٨هـ = ١١٤٣ م. وسأكتفي فيما يتعلق بـ «الأنوري» و«رشيد الدين الطوطا» (١) بأن أذكر عنهما في هذا المكان ما يتعلق بأخبارهما بصد العارك التي تحدثنا عنها فيما سبق. والمعروف أن «الطوطا» كان كاتباً للسلطان «أتسز». كما كان شاعره الخاص، وقد أثار رقعة «سنجر» عندما كتب قصيدته التي مطلعها:

جون ملك أتسز بتخت ملك برآمد
دولت سلجوق وآل او بسر آمد

ومعناه:

— عندما ارتقى الملك «أتسز» عرش الملك،
انتهى أمر دولة سلجوق وآله...!!

فلما كان «سنجر» في خريف سنة ٥٤٢هـ = ١١٤٧ م محاصر «أتسز» في قلعة «هزاراسب» أمر شاعره «الأنوري» وكان يصحبه ويرافقه، أن ينشئ بضعة أبيات لكي يكتبها على سهم من سهامه، يقذف به إلى داخل المدينة المحاصرة؛ فكتب «الأنوري» هذه الرباعية:

أي شاه! همه ملك زمين حسب تراست
وازد دولت واقبال جهان كسب تراست
امروز بيك حمله «هزاراسب» بگير

فردا «خوارزم» وصد «هزاراسب» تراست...!!

(١) سمي كذلك لفضالة جسده ونخافته.

ومعناها :

- أيها الملك !.. إن ملك العالمين رهن لإشارتك
- والعالم كسب لك بفضل إقبال حظك ودولتك
- نخذ اليوم بحملة واحدة قلعة «هزاراسب»
- وغداً تكون لك «خوارزم» ومائة «هزاراسب»^(١) !!...

وليس في هذه الرباعية شيء يستحق الذكر إلا اللعب على لفظ «هزاراسب»؛ وقد أجاب عليها «الوطواط» بالبيت التالي فكتبوه على سهم وقذفوا به إلى سنجر^(٢) :

گر خصم توای شاه شود رستم کرد يك خر ز هزار اسب تو تواند برد

ومعناه :

- فلو قدر ... وصار خصمك هو البطل المعروف «رستم» .
- فإنه لن يستطيع أن يأخذ حماراً واحداً من جيادك الألف : «هزار اسب»^(٣)
- وسمى «سنجر» عند ذلك سعيًا حثيثاً إلى القبض على «الوطواط» حتى يتمكن في النهاية من ذلك ، فأمر رجاله بأن يقطعوه إلى سبعة أجزاء . ويقول راوى هذه الحكاية وهو «منتخب الدين بديع انكاتب»^(٤) «أحد أجداد «الجويني» مؤلف «تاريخ جهانگشا» إن الوطواط استطاع أن يهدىء ثائرة السلطان وأن يضحكه

(١) هذه الكلمة مركبة من «هزار» بمعنى ألف و «اسب» بمعنى حصان ، وعلى ذلك فمعناها «ألف جواد» .

(٢) يبدو أن قذف السهام المزودة بالرسالات المنقوشة عليها كان عادة قديمة متبعة في إيران فيذفون بها إلى داخل المدن المحاصرة أو إلى خارجها .
أنظر ما كتبه نولده بعنوان «تاريخ اردشير بن بابك»

Geschichte des Artachshir-i-Pāpakān, Göttingen 1879.

(٣) المترجم : «هزار اسب» كما أنها اسم مكان فإن معناها في الفارسية أيضاً «ألف جواد» .

(٤) المترجم : اسمه «منتخب الدين» بالجيم وليس «منتخب الدين» بالماء . وهو خال نجد الأعلى لعطاء ملك الجويني .

وترجمة حياته موجودة في «لباب الالباب» ل محمد عوف ج ١ ص ٧٨ .

عندما التفت إليه وقال : « لدى رجاء يامولاي ... وهو أن الوطواط طائر هزيل لا يحمل جسده أن يمزق إلى سبعة أجزاء ، فهل لك أن تكفي بتعزيقه إلى نصفين ...!! » .

وبهذه الوسيلة استطاع الوطواط أن يحصل على عفو « سنجر » لأنه تمكن من إضحائه ...!!

الاسماعيلية في الموت أو الحشاشين :

فإذا رجعنا الآن لاستعراض الأحوال السياسية في إيران في هذه الفترة ، فإنه يتبقى علينا أن ندرس أحوال طائفة أخرى من الناس ، لم يقدر لهم أن يبلغوا مبلغ الدولة السلجوقية ، ولكنهم كانوا من حيث اتساع نفوذهم و رهبة جانبهم أقوى من السلاجقة والغزنويين والعمويين والحوارز مشاهين ، وتقصد بهم جماعة الحشاشين أو الاسماعيلية في « الموت » . وقد وصفنا في فصل سابق الظروف التي أدت إلى نشأة هذه الطائفة في إيران وما أصابها من تغيير بسبب « الدعوة الجديدة » التي تولاهها « الحسن بن الصباح » . وقد كان هذا الزعيم الخفيف حيا على أيام « سنجر » لأنه لم يمت إلا في سنة ٥١٨ هـ = ١١٢٤ م وقد ظل سنوات طويلة لا يخرج من قلعة « الموت » بل لا يغادر منزله الخاص ، ومع ذلك فقد بلغت سطوته أرجاء الشام وأصبح اسمه مرهوبا في الأنحاء العربية من آسيا ، وكان بالغ القسوة في حياته ، فأدى به ذلك إلى إعدام ولديه بتهمة الزنا والتواء الحمر ، ثم عين واحداً من أتباعه ليخلفه في رئاسة هذه الطائفة وهو « كيا بزرگ اميد » فلما مات هذا الأخير في سنة ٥٣٢ هـ = ١١٣٧ م خلفه ابنه « محمد » الذي توفي في سنة ٥٥٨ هـ = ١١٦٢ م .

ومن العتب ، بل من المستحيل ، أن نحاول في هذا المؤلف تفصيل الحديث عن تاريخ الحشاشين « أو » الاسماعيلية في الموت « في هذه الفترة التي ندرسها ، ولكن يجب علينا أن نعترف بأن هذه الطائفة أصبحت من أقوى العوامل المميزة لهذا العصر ، بحيث نجد لزاما علينا أن نبين في هذا المجال بعض نواحي نشاطهم لكي تتمكن من تصوير هذا العصر على حقيقته ، وقد أورد « ابن الأثير » ذكر هذه الطائفة الخفية

في كل سنة تقريباً من السنين التي تحدث عنها في موسوعته التاريخية، ومن المحقق أنهم قد فصموا كل علاقة تربطهم بالشعبة الأساسية في مصر وشمال إفريقيا عندما أدركت الوفاة الخليفة الفاطمي «الستنصر» وأنهم بدأوا قوتهم السياسية بالاستيلاء على القلعة الجبلية الحصينة «ألموت» (١) في سنة ٤٨٣ هـ = ١٠٩٠ م. ومن عجيب المصادفات التي تنبه إلى ملاحظتها أغلب مؤرخي القرس في هذه الفترة، أن هذا التاريخ يتفق مع القيمة العددية التي تدل عليها الحروف التي تتركب منها هذه الكلمة. وكان أول حدث سياسي أحدثوه هو أنهم تمكنوا بعد ذلك بعامين من قتل «نظام الملك»، ثم تالت بعد ذلك الأحداث على فترات قصيرة، فقتلوا وزير والده «بركيارق» المسمى «عبدالرحمن السمرامى» في سنة ٤٩١ هـ = ١٠٩٧ م (٢)، ثم «أرئوبلسكا» في سنة ٤٩٤ هـ = ١١٠٠ م؛ ثم «جناح الدولة» في مسجد حمص في سنة ٤٩٦ هـ = ١١٠٢ م ثم القاضي «أبا العلاء سعيد النيسابورى» في سنة ٤٩٩ هـ = ١١٠٥ م، ثم «نغر الملك» وهو من أبناء «نظام الملك» في سنة ٥٠٠ هـ = ١١٠٦ م، ثم القاضيين في إصفهان ونيسابور، ثم «عبدالواحد الرويانى» في طبرستان سنة ٥٠٢ هـ = ١١٠٨ م؛ ثم «مودود» في مسجد دمشق سنة ٥٠٧ هـ = ١١١٣ م؛ و«أحمد ابن وهسودان» في بغداد سنة ٥١٠ هـ = ١١١٦ م؛ ثم القاضي «سعد المهروى» في همدان سنة ٥١٩ هـ = ١١٢٥ م، ثم «عبد اللطيف بن الحجندى» في سنة ٥٢٤ هـ = ١١٢٩ م؛ ثم الخليفة الفاطمي «الأمير بأمر الله» في سنة ٥٢٥ هـ = ١١٣٠ م ثم «أبا على بن أفضل» وزير الخليفة «الحافظ» وابن عمه في سنة ٥٢٧ هـ = ١١٣٢ م ثم الخليفة العباسى المسترشد في سنة ٥٣٠ هـ = ١١٣٥ م؛ ثم ابنه وخليفته «الراشد» في سنة ٥٣٢ هـ = ١١٣٧ م؛ ثم أحد خواص أتباع سنجر المسمى «جوهري» في سنة ٥٣٤ هـ = ١١٣٩ م؛ هذا بالإضافة إلى عدد كبير آخر من الرجال الذين لا يبلغون مبلغ هؤلاء أهمية وخطراً.

(١) هذه الكلمة مكونة من «آله آموت» بمعنى «تعليم العقاب»

(٢) يحوط هذا التاريخ بعض الشك، وتشير بعض المراجع إلى أن هذه الحادثة وقعت في

وقد استتبع هذه الاغتيالات بالضرورة سلسلة من سلاسل الأخذ بالتأثر ، قام بها أهل السنة ، فقرأ في كتب التاريخ عن « اضطهاد الملاحدة والمفكرين الأحرار » في مدينة نيسابور في سنة ٤٩٠ هـ = ١٠٩٦ م . ثم عن « مذبحة الباطنية » التي أمر بها « بركيارق » في سنة ٤٩٥ هـ = ١١٠١ م ، وعن صلب الوزير « سعد الملك » وأربعة من الباطنية ، وعن الزعيم الأثيم « ابن عطاش » وبعض أتباعه في سنة ٥٠٠ هـ = ١١٠٦ م . وعن المذبحة التي قتل فيها سبعمائة من الباطنية في مدينة « آمد » في سنة ٥١٨ هـ = ١١٢٤ م ؛ ثم عن مذبحة أخرى أكبر وأهم وهي المذبحة التي أمر بها « سنجر » في سنة ٥٢١ هـ = ١١٢٧ م لينتقم بها لقتل وزيره « معين الملك » ، ثم عن مقتل « عباس الرازي » في سنة ٥٤١ هـ = ١١٤٦ م وكان من ألد أعدائهم ، واعتاد أن يبنى الأهرامات من جماجمهم .

وقد أشرنا فيما سبق ، إلى أن الحروب الأهلية التي كثرت في الفترة الأولى من هذا العصر قد ساعدت « الحشاشين » كثيراً على تثبيت أقدامهم وتقوية نفوذهم ، ولولاها لما استطاعوا أن يصلوا إلى ذلك بأية طريقة من الطرق ، وقد اتهم « بركيارق » بالعطف عليهم ، أو على الأقل بالتسامح الشديد معهم ، لقاء أن يمدوه بمعونتهم أو يققوا موقف المحايدين منه ، ويروى « ابن الأثير » في أخبار سنة ٤٩٤ هـ = ١١٠٠ م أنه عندما أسر « مؤيد الملك بن نظام الملك » سبه « بركيارق » لانتسابه إلى مذهب الباطنية ثم قتله بيده ^(١) . وفي نفس السنة سار « بركيارق » لمحاربة أخويه « سنجر » و « محمد » عند بغداد ، فلما تلاقي الجيشان التحاربان بجنداء دجلة ، أخذ أعداؤه يشتمون عليه بـ « إله الباطنية » ويكبرون عليه ويقولون : « يا باطنية .. !! » وربما كان المقصود من المذبحة التي أمر بإجرائها على الباطنية في هذه السنة ، هو أن يزيل من عقول رعاياه هذه الفكرة الخطيرة التي تعلقت به والتي كانت كافية لقتله أو عزله كما حدث تماماً لـ « أحمد خان » حاكم ممرقند ، و « إيرانشاه » أمير كرمان السلجوقي ، فإنهما مع جماعة آخرين من الوزراء ورجال السياسة مثل « محمد

(١) يروي « راحة الصدور » هذه الحادثة بشكل آخر : انظر المقال المختصر في مجلة الجمعية الملكية الأسبوعية » سنة ١٩٠٢ ص ٦٠٣ — ٦٠٤ .

الملك « قد انتهوا إلى هذه النهاية المؤلمة بسبب اتهامهم بالعطف على الملاحدة ، وقد ساد الخوف جميع الناس ، وأصبح من الأمور العادية أن يلبس من يخشى نقعة الحشاشين درعا تحت ثيابه كما كان يفعل « بليكا » حتى إذا قدر عليه ونسى في يوم من الأيام أن يتخذ هذه الحيلة التي اعتادها ، فقد حياته لقاء إهماله وتهاونه . وكان القديثيون من الحشاشين ، إذا قبض عليهم وحكم عليهم بالتعذيب والإعدام ، لا يعدمون حيلة في الثأر من أعدائهم ، كما فعل قاتل « نخر الملك » ، فإنهم حيناً أحضروه أمام « سنجر » وأخذوا يستجوبونه عن فعلته أعلن أن جماعة من الأمراء وضباط القصر كانوا شركاءه ، فأمر سنجر بإعدامهم جميعاً ، وربما كانوا أبرياء من هذه التهمة (١) .

ومن أعجب الأحداث المتصلة بتاريخ هذه الطائفة الخفية من الملاحدة ، أحداث رواها بالتفصيل صاحب « راحة الصدور » وكذلك « ابن الأثير » وأقصد بها الحوادث التي وقعت في ربيع سنة ٥٠١ هـ = ١١٠٧ م. وانتهت بتخريب حصن الحشاشين الحصين « شاه دژ » أو « دژ كوه » بالقرب من أصفهان وصلب « ابن عطاش » وقتل عدد كبير من أتباعه ... ووالد « أحمد بن عطاش » الذي نشير إليه هو « عبد الملك بن عطاش » وكان رجلاً أديباً من أهل الفضل يقيم في « أصفهان » اتهموه بالعطف على الشيعة فاضطر إلى الهرب إلى مدينة « الري » حيث وقعت تحت تأثير « الحسن بن الصباح » ودخل في مذهبه (٢) ، وقد كتب في هذه الأثناء إلى واحد من أصدقائه فكان مما جاء في رسالته : « لقد وقعت على الصقر الأشهب فعوضني الله بذلك جميع ما تركت » وقد اشتغل ابنه بتجارة الكتان ، وكان شديد الكراهية لمذهب أبيه في الإلحاد ، فاستطاع بذلك أن ينجو من كل شر وسوء .

وكان بالقرب من أصفهان قلعة اسمها « دژ كوه » بناها « ملكشاه » وأسمها « شاه دژ » أي « قاعة الملك » وكانت هذه القلعة تحتوى على خزان الملك وأسلحة الجيوش وكان يقيم بها جماعة من غلمان القصر وصيقاته ، تتولى حراستهم سرية من

(١) المترجم : انظر تفصيل ذلك في حوادث سنة خمسمائة في تاريخ الكامل لابن الأثير

(٢) أما ابن الأثير وجماعة آخرون من المؤرخين فيقولون إنه كان استاذاً للحسن بن الصباح

وليس تلميذاً من تلاميذه .

الجند الديليين ، فكان « ابن عطاش » يذهب إلى هذه القلعة بحجة التدريس لهؤلاء الشبان والشابات حتى استطاع تدريجيا بواسطة الهدايا والأقوال العسولة أن يستميل رجال الحامية إلى جانبه . ثم أسس بعد ذلك دارا للدعاية في مكان اسمه « دشت گور » شديد القرب من أبواب المدينة ، ونجح في دعوته نجاحا باهرا ، حتى بلغ عدد أتباعه ومريديه ثلاثين ألفا كما يقول مؤرخنا المذكور .

وبدأ الرعب في هذا الوقت يستولى على أهل « اصفهان » بسبب ما كان يتكرر وقوعه يوميا من اختفاء مواطنيهم وأهلبيهم . ثم مالئ القناع أن تكشف عن هذه الجرائم الغامضة على يد سائلة عجوز ، تقدمت إلى أحد المنازل تطلب إحسانا ، فسمعت أصوات عويل وأنين تنبعث من داخله ، فظنت أن بالمنزل مريضا وأخذت تدعوا الله أن يأخذ بيده ويشفيه . وحاول سكان المنزل أن يستدرجوها إلى الدخول ليعطوها طعاما وقوتا ، ولكنها شكت في نواياهم وأسلمت أرجلها للفرار ، وأخذت تستغيث بمن صادفها .

والتف حولها خلق كثيرون ، وأحاطوا بالمنزل ، ثم كسروا بابه ودخلوه ، فوجدوا في سراديبه منظرا مرعبا ، يتألف من أربعمائة أو خمسمائة جثة من الجثث ، بعضهم مصلوب على الجدران ، وبعضهم ذبيح على الأرض ، وبعضهم مازال يجود بأفئاسه الأخيرة ، وبين هؤلاء وهؤلاء جماعة استطاع الناس أن يعرفوا عليهم ويقرروا أنهم من أصدقائهم الذين قعدوهم أخيرا . وقد تبين أن هذا المنزل مملوك لرجل اسمه « علوى المدني » وأنه كان ندوة للشاشين ، وكان من دأب هذا الرجل أن يستند إلى إلى عصاه ، ويقف عند المغرب على باب الدرب المظلم الطويل الذي يؤدي إلى داره ، فإذا اجتاز به إنسان أخذ يدعو الله أن يغفر لمن يأخذ بيد الضريب الفقير ويقوده إلى باب داره في هذا الدرب .. فإذا استجاب لدعائه واحد من الضحايا الأمنين وأخذ بيده انتهى أمره إلى الموت ، لأنه متى وصل به إلى نهاية الدرب انقض عليه جماعة من أتباع هذا الضريب ، وأخذوه فطرحوه في سراديب الدار حتى يقضى عليه بالموت . وقد استمر الحال على هذا النوال بضعة شهور قبل أن تتجلى حقيقة المفزعة على هذه الصورة التي بينهاها . وكان من الطبيعي أن يتلو ذلك انتقام سريع ، فصدى الناس

له ، وأوقدوا نارا كبيرة في سوق المدينة ، ثم طرحوا فيها « علوى المدنى » وامرأته وجماعة آخرين من شركائه .

وكثر عند ذلك الشك ، وبالغ الناس في الريية ، فكان ممن شكوا في أمره الوزير « سعد الملك » ولكن السلطان كان يقرب هذا الوزير ، فأبى في البداية أن يصدق الناس فيما اتهموه به . وكانت قلعة « دژكوه » محاصرة في هذه الفترة ، وكادت موارد « ابن عطاش » أن تنضب ، فأرسل سرا إلى « سعد الملك » يبلغه أنه لا قبل له بالمقاومة أكثر من ذلك ويقترح عليه التسليم والخضوع . ولكن « سعد الملك » أجابه برسالة خواها : « اصبر أسبوعا آخر حتى أهلك هذا الكلب » قاصدا بذلك السلطان نفسه ؛ وكان يعلم أن السلطان يحتج مرة في كل شهر ، فأفزع في رشوة الحلاق حتى يسمم موساه ، ويهلكه بهذه الوسيلة الخفية .

ولكن غلامه أبلغ أمر هذه الخطة الماكرة إلى زوجته الجميلة التي كان يقاسمها أسرارها ، وأبلغتها هذه بدورها إلى عاشقها ، فنقلها العاشق إلى مسامع أحد ضباط « شرف الملك » ثم نقلها هذا في النهاية إلى مسامع السلطان . فأمر السلطان باستدعاء الحلاق فلما أحضروه أمر به فخره بموساه ، ونفذ السم فيه ، وظهر تأثيره ، فاسود جلده ، ومات بسرعة ، وهو يتلوى من الوجع والألم الشديدين .

عند ذلك فقط صدق السلطان التهمة المذسوبة إلى وزيره ، وأمر بصلبه وصلب أربعة من أعيان أصحابه كان من بينهم : « أبو العلا الفضل » . ولم يلبث أن انقضى على ذلك يومان حتى سلم « ابن عطاش » قلعة « دژكوه » . وأمر السلطان فأركبوه جملا ، وطافوا به في شوارع « اصفهان » وشهره بين آلاف التفرجين ، فقدفوه بالوحل والقاذورات ، وعاظوه بأغبياتهم الساخرة ، وبقت من هذه الأغاني مقطوعة منظومة في لهجة محلية نقلها كتاب « راحة الصدور » ، ثم علقوه مصلوباً مدة سبعة أيام كاملة . وأخذوا يرشقونه بالسهام والحرايب وهو مصلوب لا يستطيع الحركة أو الدفاع عن نفسه ، حتى إذا لم يبق في جسده موضع لرشفة أو رمية ، أخذوه وأحرقوه حتى استحال رمادا ذاريا . وكان « ابن عطاش » يدعى الخبرة بأحكام النجوم فتقدم إليه وهو مصلوب واحد من النظارة ، وسأله هل استطاع أن يتنبأ بمصيره بفضل ما عرفه من أحكام النجوم...؟ فأجاب « ابن عطاش » بقوله : « لقد عرفت من طالعى أنني سأطوف شوارع

أصفهان في أبهة تفوق مواكب الملوك ، ولكن لم أتخيل أنها ستكون على هذه الحال ... ١١ » (١)

وقد هال « السلطان محمد » أمر الحشاشين وأحسن بالخطر الذي يهدده فبدأ ينظم الإجراءات التي تؤدي إلى اجتثاث أصولهم والاستيلاء على قلاعهم الجبلية الحصينة ، ولكن الوفاة أدركته في سنة ٥١٢ هـ = ١١١٨ م فتوقف بموته تنفيذ مشروعاته ، ووجد الملاحدة فرصة مجددة ، لم يبطئوا في انتهازها لتقوية حالهم . بحيث إذا انقضت على موته عشر سنوات أو خمس عشرة سنة ، نجدهم قد استطاعوا بواسطة القوة أو الخديعة أو الرشوة أن يستولوا على القلاع الآتية في الشام : وهي قلعة « قديموس » وقلعة « بانياس » وقلعة « مصياث » (٢) وأن يضيفوها إلى ممتلكاتهم في إيران التي شملت « ألمات » و « كردكوه » و « شيركوه » و « طبس » و « خور » و « خوسف » و « زوزن » و « قاين » و « تون » و « وشم كوه » بالقرب من « أبهر » و « خالنجان » بالقرب من أصفهان ، و « استناوند » في مازندران ، و « قلعة الناظر » في خوزستان ، وقلعة « الطنبور » بالقرب من أرجان ، و « خلادخان » وغير ذلك من المواقع الحصينة المنتشرة في سائر أرجاء إيران .

(١) تروى هذه الحكاية بشيء من التصوير مع حذف الأسماء في كتب الحكايات العربية والفارسية مثل « جوامع الحكايات » تأليف محمد عوفى . ومن الجلى أن الشاعر « أنورى » يشير إلى « ابن عطاش » عندما يقول :

در خواب دیده خشم تو خود را بلندی تعبیر آن بديده بیدار دار یافت
ومعناه :

-- لقد رأى خشمك لنفسه الرفعة في المنام والأحلام ،

فكان تعبیر رؤيته أن وجد المشقة بأعين اليقظة التي لاتنام .

(٢) المترجم : يسميها صاحب « معجم البلدان » باسم « مصياب » أو « مصياف » ويقول إنها حصن حصين مشهور للاسماعيلية بالقرب من طرابلس .

الحركة الأدبية في هذا العصر

الآن وقد انتهينا من عرض مجمل للحالة السياسية في إيران على عهد «سنجر» وإخوته ، يجمل بنا أن نقوم بدراسة الحركة الأدبية في هذا العصر . وسنجد أن زيادة عدد شعراء الفرس ، واتساع استعمال الفارسية كلغة أدبية في إيران بدل العربية ، سيكونان سبباً في أن نقصر عنايتنا على دراسة أشهر الشعراء وأنبههم ذكرنا ، كما سيكونان سبباً من ناحية أخرى في أن تقلل من عنايتنا بالأمور العربية والكتابات العربية .

أولاً - شعراء الفرس

ولنض الآن في دراسة أشهر شعراء الفرس بحسب ترتيبهم الزمني على وجه التقريب :

سنأى :

ينسب هذا الشاعر إلى غزته أوبلخ^(١) . واسمه الكامل هو «أبوالمجد مجدودبن آدم» ويعتبر أول الشعراء التصوفيين الثلاثة العظام عن كتبوا «التنويات» في إيران ، وأما ثانيهم فهو «الشيخ فريد الدين العطار» ، وأما ثالثهم فهو «جلال الدين الرومي» ويعتبر هذا الأخير أعظم الثلاثة شأنًا وإن كان هذا لم يمنعه من أن يقول في تواضع :
عطار روح بود وسنأى دوچشم او ما از پی سنأى وعطار آمدم

ومعناه :

لقد كان «العطار» روحاً ، وكان «سنأى» عينيه البصيرتين .
وقد أتينا تلو «سنأى» و «العطار» ، وفي إثر هذين الاثنين .

(١) يتحدث «سنأى» في صحيفة ٨١ من النسخة المطبوعة من ديوانه في إيران بأن بلغ تزدهر بصيته وتفتخر بذبوع اسمه .

وكل ما نعرفه عن حياة «سنائي» أمور قليلة ، تكاد تنحصر في أنه كان في الفترة المبكرة من حياته متصلاً بخدمة «بهرامشاه» . أما ما رواه «دولت‌شاه» عن قصة إعراضه عن الدنيا ، وزهده في حياة القصور ، وانتقاله إلى حياة التصوف ، وهي نفس الحكاية التي نقلها «سير جور أوزلي» في كتابه «تراجم شعراء الفرس» فحكاية غير خليقة بالذكر بل جديرة بالإهمال^(١) . فإذا أتينا إلى المقدمة التي كتبها لكتاب «الحديقة» أو التي كتبها تلميذه «محمد بن علي الرقام» لم نظفر منها بشيء على الإطلاق يتصل بحياته^(٢) ، اللهم إلا ما كان متصلاً بما هدفاً إليه — كما يقول «ريو» — من تأكيد ما ذكره «جامي» من أن الشاعر كتب «الحديقة» وهي خير مؤلفاته في نهاية أيامه ، وأنه لم يكذب يوماً حتى أدركته الوفاة في سنة ٥٥٢٦ = ١١٣١ م .

أما «عوفي» في كتابه «لباب الألباب» فلا يذكر لنا كعادته شيئاً متصلاً بحياة هذا الشاعر . وقد أشار «إتيه» إلى أن بعض الحقائق المعروفة عن هذا الشاعر تتعارض مع بعض التواريخ التي يمكن استخلاصها من القديمتين المكتوبتين للحديقة^(٣) ، لأن هذه التواريخ تهدف إلى جعل هذا الشاعر متأخراً من الناحية الزمنية عن «المعري» وإلى القول بأنه لم يموت قبل سنة ٥٥٤٥ = ١١٥٠ م إلا بفترة وجيزة .

وآثار «سنائي» تشتمل كما وصلتنا على سبع مثنويات وديوان . فأما المثنويات فهي :

- ١ — حديقة الحقيقة : وهي المثنوية الوحيدة التي اشتهرت من بين مثنوياته .
- ٢ — طريق التحقيق
- ٣ — غريب نامه : أو كتاب الغريب .
- ٤ — سير العباد إلى المعاد .
- ٥ — كار نامه : أو كتاب الأعمال .

(١) انظر : Onseley: Lives of the Persian Poets pp. 184 — 187

وكذلك « تذكرة الشعراء » ص ٩٥ — ٩٧ .

(٢) وصف «ريو» محتويات هاتين القديمتين في « فهرست المخطوطات الفارسية » ص ٥٥٠ .

(٣) انظر فهرست المخطوطات الفارسية المحفوظة في المكتبة البودلية ، عمود ٤٦٣ ، وكذلك فهرست المخطوطات الفارسية المحفوظة بمكتبة إدارة الهند ، عمود ٥٧١ .

٦ — عشق نامہ : أو کتاب العشق .

٧ — عقل نامہ : أو کتاب العقل .

والمثنويات الست الأخيرة نادرة جداً ، ولم يقدر لى أن أراها بعينى^(١) . أما الديوان
فنسخه المخطوطة كثيرة ، وقد طبع على الحجر في طهران سنة ١٢٧٤ هـ = ١٨٥٧ م
وهذه النسخة المطبوعة تشتمل على ٢٧١ ضحيفة ، كل صحيفة منها تشتمل على ٤٥
بيتاً على وجه التقريب ، بحيث يبلغ مجموع الأبيات التى يتضمنها الديوان اثني عشر
ألف بيت من الشعر ، موزعة بين القصائد والترجيحات والتركيبات والغزليات
والرباعيات^(٢) .

ومثنويته «الحديقة» هى أشهر مؤلفاته وأكثرها انتشاراً ، وقد طبعت طبعة
شرقية جميلة على الحجر في مدينة بمباى سنة ١٢٧٥ هـ = ١٨٥٩ م ؛ ومن أجل ذلك
فستنصر حديثنا عليها وعلى الديوان ونخصهما ببعض ملاحظاتنا^(٣) .

معرفة الحقيقة :

أهدى سنائى هذا الكتاب إلى «بهرامشاه» سلطان غزنه ، وهو عبارة عن
مثنوية تتصل بالأخلاق أكثر مما تتصل بالتصوف الخالص ، ويبلغ عدد أبياتها أحد
عشر ألف بيت ؛ وقد قسمها الشاعر إلى عشرة فصول أو كتب :

(١) جميع هذه المثنويات موجودة في مخطوطة « مكتبة إدارة الهند » الرقيمة ٣٤٦ و ٣٤٧ ،
وهناك مخطوطات أخرى تشتمل عليها باستثناء المثنوية التى عنوانها «غريب نامہ» . انظر كذلك
فهرست «إليه» رقم ٩١٤

(٢) المترجم : للديوان مجلة طبعات أخرى ، خيرها وأحسنها هى التى نشرها «مدرس رضوى»
في إيران سنة ١٣٢٠ هـ . ش . على نفقة «شركت طبع كتاب» وقد نشرت مثنويات «سنائى»
الأخرى في إيران في تواريخ متفرقة .

(٣) المترجم : كذلك طبع الماجور «ستيفنسون» الجزء الأول من الحديقة مع ترجمته
الانجليزية في مدينة كلكتا في سنة ١٩١٠ م وصدر الكتاب بمقدمات قيمة عن حياة سنائى
وعن النسخ الخطية والمطبوعة من الحديقة .

- الأول : في حمد الله . الثاني : في نعت النبي .
 الثالث : في العقل . الرابع : في المعرفة .
 الخامس : في الإعراض . السادس : في السماوات والبروج .
 السابع : في الفلسفة . الثامن : في العشق .
 التاسع : في أحوال الشاعر . العاشر : في مدح بهرامشاه سلطان غزنه .

وقد نظم الشاعر هذه المثنوية في بحر من بحر الشعر الحالية من كل روعة أو جاذبية أو سحر^(١) . والمثنوية في رأيي تعتبر من أسقم الكتب الفارسية المملة ، وهي مليئة بالبديهيّات الساذجة والحكايات السخيفة^(٢) ، ولا سبيل إلى مقارنتها بما كتبه «جلال الدين الرومي» في «المثنوى» إلا إذا أجزنا لأنفسنا أن نقارن ما كتبه «روبرت منتجومري» في كتابه «الشیطان» بما كتبه «ملتون» في كتابه «الجنة المفقودة» !!... وفيما يلي حكاية من حكايات الحديقة ، تصور لنا أن الإنسان يبتذل عليه أن يدرك الله إلا إدراكاً ناقصاً معيماً ، وهي نموذج طيب من نماذج هذه المثنوية على العموم :

« في جماعة العميان وأحوال القيل^(٣) »

بود شهری بزرگ در حد غور واندران شهر مردمان همه کور
 پادشاهی بر آن مکان بگذشت لشکر آورد وخیمه زد بر دشت
 داشت پیل بزرگ با هیبت از پی جاه وحشمت وصولت
 مردمان را ز بهر دیدن پیل آرزو خاست ز آنچنان تهویل
 چند کور از میان آن کوران بر پیل آمدند چون عوران
 تا بدانند شکل و صورت پیل هر یکی تازیان دران تعجیل
 آمدند و بدست پسودند زانکه از چشم بی بصر بودند

(١) المترجم : وزن المثنوية هو (فاعلاتن مفاعلاتن فعلن) وهو وزن الخفيف السدس الشعث المقصور ، وأبوابها ليست على ترتيب واحد في جميع النسخ .

(٢) لإتصل إلى مستوى ما كتبه بالإنجليزية «مارتن تپر» في كتابه « الفلسفة للمثالية »

Proverbial Philosophy. by Martin Tupper.

(٣) المترجم : اكنفي «براون» بذكر الترجمة بالإنجليزية ولكننا للفائدة نقلنا النص الفارسي .

هر یکی را بلس بر عضوی اطلاع اوفتاد بر جزوی
هر یکی صورت محالی بست دل و جان در پی خیالی بست
چون بر اهل شهر باز شدند بر شان دیگران فراز شدند
آرزو کرد هر یکی ز ایشان آنچنان گمراهان و بد کیشان
هیئت و شکل پیل رسیدند و آنچه گفتند جمله بشنیدند
آنکه دستش بسوی گوش رسید دیگری حال پیل از او پرسید
گفت : شکلیست سهمناک عظیم پهن و صعب و فراخ همچو گلیم
و آنکه دستش رسید زی خرطوم گفت : گشت است مرا معلوم
راست چون ناودان میانه تهنیت سهمناکست و مایه تهنیت
و آنکه را بد ز پیل ملونش دست و پای سطر بر بوش
گفت : شکلیست چنانکه مضبوطست راست همچون عمود مخروطست
هر یکی دیده جزوی از اجزا همگان را نظر قتاده خطا
هیچ را دل ز کلی آگاه نی علم با هیچ کس همزه نی
جلگی را خیالهای محال کرده مانند غتفره بحوال
از خدائی خلائق آگاه نیست عقلا را درین سخن ره نیست

و معنی هذه الآيات :

- كانت في حدود « النور »^(۱) مدينة كبيرة ذات خطر .
وكان أهلها جميعاً مكفوفين ... قد حرموا نعمة البصر ... !!
— فمر بهذه المدينة ملك في تجواله
و ضرب خيامه في واديه ، وأناخ برجاله ... !!
— وكان له فيل كبير الحجم والجمجمة والهيبة ،
ليدل به على ماله من جاء وحشمة وصوله ... !!

(۱) المترجم : هي جبال وولاية بين هراة و غزنه ، وهي بلاد واسعة موحشة لاتطوى على مدينة كبيرة ، وأكبر ما فيها قلعة يقال لها « فيروز كوه » . (أنظر : معجم البلدان)

- فرغب الناس في رؤية هذا الفيل
وازدادت رغبتهم ، لما سمعوا عنه من تهويل ... !!
- فتقدم جماعة من بين هؤلاء العميان
واقتربوا من الفيل يتخبطون في غير اتران ... !!
- ثم هرع كل واحد منهم إلى مكان الفيل ،
لكي يعرف شكله وصورته في سرعة وتعجيل ... !!
- ومدوا جميعهم أيديهم يتحسسون بها جثته
لأنهم كانوا محرومين من البصر ونعمته .. !!
- ولس كل واحد منهم عضواً من أعضائه
واستطاع بذلك أن يعرف جزءاً من أجزائه ... !!
- وكون كل واحد منهم صورة مستحيلة تصورها
واستقرت في نفس كل منهم أخيلة تخيلها وقدرها ... !!
- فلما عادوا إلى أهل المدينة بعد هذه الزيارة
اجتمع حولهم الباقون . . والتفوا بغزارة ... !!
- وشاء كل واحد من هؤلاء الضالين ..
أن يسأل عن حقيقة الأمر ... ويستطلع الخبر اليقين ... !!
- فلما سألوهم عن شكل الفيل وهيئته
أخذوا جميعاً يستمعون إلى حديثهم ويصغون له بحماسة ... !!
- وسأل سائل منهم عن حال الفيل وما له من صورة
وكانت يد المسؤل قد لمست أذنه الكبيرة ... !!
- فقال . إن الفيل حيوان هائل عظيم الصورة
عريض ، ومتسع ، كأنه السجادة المنشورة ... !!
- أما من لمست يده خرطوم الطويل
فقال : إنني - على اليقين - قد عرفت الفيل .. !!
- إنه مستقيم كالقناة الجوفاء الخالية ... !!
- ولكنه مخيف ، وخطر ، ومصدر كل داهية ... !!

- وأما من لمس من الفيل يديه الغليظتين
أو قدميه الضخمتين المكثرتين !!...
— فقال : إن شكل الفيل على الوجه الصائب المضبوط
شبيه على التحقيق بالعمود أو المخروط !!...
— وبذلك أدرك كل واحد منهم جزءا من الأجزاء ،
ولكنهم جميعا وقعوا في أشد الأخطاء !!...
— ولم يستطع أن يعرف واحد منهم شكل الفيل في مجموعه
وكذلك لن يدرك الأعمى شيئا من العلم أو فروعه !!...
— ولقد فكروا جميعا في الخيالات المستحيلة الباطلة
وصاروا كالبلهاء عقولهم قاصرة جاهلة !!...
— وكذلك لن يستطيع الخلق معرفة الحقيقة عن الله القدير
ولذلك لا يتحدث عقلاؤهم في هذا الأمر الخطير !!...

* * *

أما ديوان سنائي فيشتمل — في رأيي — على أشعار تفضل أشعار « الحديقة »
وتمتاز عنها كثيرا بحيث يكاد الفرق بينهما يدفع المرء إلى الشك في كون مؤلفهما شاعرا
واحدا ، لولا معرفتي بأن شعراء الفرس قلما يجيدون إلا ضربا واحدا من الشعر
دون سائر ضروب . وسأكتفي بمثل واحد للتدليل على هذا الرأي ، وهو أن قصائد
« الأنورى » تنوق قصائد « حافظ » بقدر ما تنوق « غزليات حافظ » غزليات
« الأنورى » . وفيما يلي أمثلة اقتطفناها من ديوان « سنائي » وهو ديوان جدير
بالفحص الدقيق والدرس العميق .

يقول في قصيدة مذكورة في الديوان ص ٨٠ من النسخة المطبوعة على الحجر^(١)

برکتی برگی ننداری لاف درویشی مزین

رخ چو عیاران ننداری جان چو نامردان مکن

(١) المترجم : هذه القصيدة موحودة في ص ٣٧٥ من نسخة إيران سنة ١٣٢٠ هـ . ش

وهد قلناها عن هذه النسخة .

یا برو همچون زنان رنگی و بوئی پیش گیر
 یا چو مردان اندر آی و گوی در میدان فکن
 هرچه بینی جز هوا آن دین بود بر جان نشاف
 هرچه یابی جز خدا آن بت بود درهم شکن
 چون دل و جان زیر پایت نطع شد بائی بکوب
 چون دو کون اندر دو دست جمع شد دستی بزن
 سر بر آر از گلشن تحقیق تا در کوی دین
 کشتگان زنده بینی انجمن در انجمن
 در یکی صف کشتگان بینی به تیغی چون حسین
 در دگر صف خستگان بینی بزهری چون حسن
 درد دین خود بوالعجب در دیست کاندروى چو شمع
 چون شوی بیمار خوشتر کردی از کردن زدن
 اندرین میدان که خود را می در اندازد جهود
 و ندرین مجلس که بت را می بسوزد برهن

* * *

سالمها باید که تا يك سنگ اصلی ز افتاب
 لعل کنند در بدخشان یا عقیق اندر یمن
 ماهها باید که تا يك پنبه دانه ز آب و خاک
 شاهی را حله گردد یا شهید را کفن
 روزها باید که تا يك مشت پشم از پشت میش
 زاهدی را خرقه گردد یا حمار را رسن
 عمرها باید که تا يك کودکی از روی طبع
 عالمی گردد نکو یا شاعری شیرین سخن
 قرن‌ها باید که تا از 'مشت آدم نطفه'
 بو الوفاى کرد گردد یا شود ویس قرن

ومعنى هذه الأبيات :

- إنك لا تملك القدرة على الاستغناء ، فلا تفخر بأنك درويش كامل ... ١١
- ووجهك لا يشابه وجوه العيارين ، فلا تجعل روحك كروح الأراذل ... ١١
- فإما أن تذهب كالنساء ، فتعطر بالعطور وتصبغ بالألوان ... ١١
- وإما أن تقبل كالرجال ، فتقذف الكرة في الميدان ... ١١
- وكل ما تراه — خلاف الهوى — فهو دين ، فثبت على صفحة روحك واذكره ،
- وكل ما تدركه — خلاف الله — فهو صنم ، فخطمه وكسره ... ١١
- وارقص هنيئاً ... إذا أصبح القلب والروح نطعا تحت قدميك
- وصفق مرحاً ... إذا اجتمع الكونان في قبضة يديك ... ١١
- وارفع رأسك من روضة التحقيق ، حتى ترى في جادة الدين
- أن القتلى أحياء ، وأنهم صاروا في جموعهم متراسين (١) .
- وسترى في أحد الصفوف قتلى كالحسين .. قتلوا بحمد السيف البتار
- وسترى في صف آخر قتلى كالحسن ... قتلوا بفعل الغدار ... ١١
- وفي دينك عجب عجاب ، فأنت فيه شبيه بالشمع في سيرتك ... ١١
- ومتى صرت عليلاً ، فإنما تصح وتطيب ... إذا قطعت رقبتك ... (٢)
- وفي هذا الميدان يلقي « اليهودي » نفسه ووجوده
- وفي هذا المجلس يحرق « البرهمي » صنمه ومعبوده ... ١١
- وتلزم سنوات كثيرة قبل أن يصبح حجر واحد بفعل الشمس والزمن
- ياقوتا في « بدخشان » ، أو عقيقاً في « اليمن » (٣) ... ١١
- وتلزم شهور كثيرة ... قبل أن تصبح بذرة القطن بفعل التراب والماء
- حلة لحساء ، أو كفناً لواحد من الشهداء ... ١١
- وتلزم أيام كثيرة ... قبلما تصبح حفنة صوف من ظهر الأغنام
- خرقه لزاهد ، أو رسناً لحمار أو مقوداً للأنعام ... ١١

(١) يشير إلى قوله تعالى « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون » .

(٢) الترجم : الشمعة إذا قطعت فنيها زاد ضياؤها .

(٣) الترجم : الياقوت البديهي المنسوب إلى « بدخشان » مشهور بجماله وصفاته ، وكذلك

مقيق الجمل يخرج من اليمن .

— وتلزم أعمار طويلة ... قبلما يصبح طفل طيب الطبع ، سليم الوجدان
علما كبيرا أو شاعرا حلوا الكلام والأوزان ... !!

— وتلزم قرون عديدة ... قبلما تصبح نقطة من ظهر آدمي
« أبا الوفاء الكردي » أو « أويس القرني » (١) ... !!

* * *

وفيا لي غزلية قصيرة من غزلياته ، نقلها عن صحيفة ١٦٧ من الديوان (٢)
هر دل كه قرين غم نباشد از عشق بر او رقم نباشد
من عشق تو اختيار کردم شاید كه مرا درم نباشد
زيرا كه درم هم از جهانست جانان و جهان بهم نباشد
تا در دل من نشسته باشي هرگز دل من درم نباشد
ومعناها :

— كل قلب لا يقترن بالعموم والأحزان في حياته
لا يصلح أن يكون مستقرا للعشق ، يرقم على صفحاته ... !!
— ولقد اخترت عشقك دون غيرك ، ولم أكن مضطرا أو سرغما
وماذا يضريني ... ؟ إذا أصبحت مفلسا لا أملك درهما ... !!
— لأن الدرهم يعتبر من متعلقات الدنيا الزائلة
والحب والدنيا لا يجتمعان ، وليس على شاكه ... !!
— وما دمت مستقرا في قلبي ، وما دمت فيه باقيا
فإن قلبي لن يصبح قاسيا ولن يصير غائبا ... !!

وفيا لي مثل آخر من غزلياته الغنائية نقلها عن صحيفة ٢٠٦ من الديوان (٣)
ترا دل دادم ای دلین شبت خوش باد من رقم
تو دانی با دل غمخور شبت خوش باد من رقم

(١) أويس القرني صوفي كبير ، مذكورة سيرته في « تذكرة الأولياء » للشيخ فريد الدين العطار ؟ وأبو الوفاء الكردي صوفي أيضا لم أعر على ترجمة حياته .

(٢) المترجم : هذه الغزلية موجودة في ص ٦٢٦ من النسخة المطبوعة في إيران سنة ١٣٢٠ هـ .

(٣) المترجم : هذه الغزلية موجودة في ص ٦٧٤ من النسخة المطبوعة في إيران سنة ١٣٢٠ هـ .

اگر وصلت بگشت از من روا دارم روا دارم
 گر قم هجرت اندر بر شبت خوش باد من رقم
 پردی نور روز و شب بدان زلف ورخ زیبا
 زهی جادو زهی دلبر شبت خوش باد من رقم
 بچهره اصل ایمانی ، بزلفین مایه کفری
 ز جور هر دو آفتگر شبت خوش باد من رقم
 میان آتش و آبم ازین معنی مرا بینی
 لبان خشک و چشم تر شبت خوش باد من رقم

ومعناها :

— لقد أسلمت لك قلبي أيها الجيب ، فطب مساءً إني ذاهب
 وأنت تعلم حال قلبي الحزين ، فطب مساءً إني ذاهب
 — وإذا استحال واصلك لي مرة أخرى ، فأنت محق ... وعلى حق
 ولكن دعني في ساعة الفراق أضحك إلى صدري ، وطب مساءً ... إني ذاهب
 — لقد سلبت بطرتك السوداء ، ووجهك الوضئ نور النهار وظلام الليل
 فما أبدعك من ساحر ، وما أجملك من فاتن ، وطب مساءً ... إني ذاهب
 — وأنت بوجهك أصل للإيمان ولكتك بطرتيك أصل للكفر
 وكلاهما سبب للبلاء . . . فطب مساءً . . . إني ذاهب
 — وإنك ترائي بهذا الوضع بين النار والماء
 شفتاي صاديتان ، وعيناي باكيتان . . . فطب مساءً . . . إني ذاهب ... !!

* * *

وقد اخترت هذه الأمثلة اعتباطاً وعن غير تعمد ، ولكنها تكشف لنا عن
 روعة وإبداع بالغين ؛ ولا شك أن الأشعار الفارسية مازالت خبيثة في بعض المناجم
 الغنية التي لم تكشف حتى الآن ، ولو اعتنى بها الباحث الجاد لوجدها غنية بالدرر
 الزاهرة واليوافيت الباهرة

أزرقى :

« أبو بكر » أو « أبو المحاسن الأزرقى » هو ولد « اسماعيل » الوراق - الهروى الذى ذكر صاحب « چهار مقاله » عنه ^(١) ، أن « الفردوسى » اختفى فى بيته ستة أشهر عندما أثار عليه حقن السلطان « محمود الغزنوى » . والفضل فى شهرة « الأزرقى » راجع كما يقول « جامى » و « دولتشاه » إلى مؤلف أذى ^(٢) يشك فى نسبته إليه وكذلك إلى رباعية قيلت فى مناسبتها ، وهى الرباعية التى ذكرناها فى الفصل الأول من هذا الكتاب ص ٥٣ ، فقد استطاع بفضل هذين أن يكسب عطف الأمير السلجوقى « طغانشاه » وأن يفوز برعايته وحمايته ^(٣) .

وقد اشتهر « الأزرقى » بين شعراء عصره بأنه من كتاب القصائد والمدائح . ووضعه « عوفى » ^(٤) فى المرتبة الثالثة مباشرة للشاعر « المعزى » الذى يصغر عنه سناً ويكبر عنه شهرة وبعد صيت . والمدائح مهما قيل فى أمرها ، ومن اشتغالها على العرفان بالجميل لمن أشادت بذكرهم ، ومن فضلها فى جلب الغنى العريض لمنشئها ، إلا أنها لأسباب واضحة لاتهم الأجيال المتعاقبة بمقدار ما يهتمهم الشعر الذى يمس العواطف الإنسانية عامة ويبقى على الزمان مهما قدم العهد أو طال العصر . ومن أجل ذلك فقد أصبح « الأزرقى » كما أصبح جماعة آخرون من أشهر منافسيه ، مجرد أسماء لا يعرف عنهم القارىء الفارسى شيئاً ، وبقي ديوانه معدوماً أو نادراً الوجود . وقد خصص « دولتشاه » مقالا للحديث عن سيرته ^(٥) ولكنه لم ينقل لنا من سائر أشعاره إلا الرباعية التى سبق لنا الإشارة إليها . أما « عوفى » فقد أورد لنا مجموعة من قصائده الطويلة ^(٦) ، كما يجد القارىء

(١) المترجم : أنظر ص ٤٩ من الأصل الفارسى وص ٨١ من ترجمة « براون » الإنجليزية
 (٢) التصود به كتاب « الفيه شلقيه » وقد وصف « عوفى » محتوياته وصفاً كاملاً فى « لباب الألباب » ج ٢ ص ٨٧ كما فعل ذلك أيضاً سائر المؤلفين . وقد أوردت عنوان الكتاب كما ذكر فى سائر النصوص ، وليكنى أميل إلى الاعتقاد بأن صحة تسميته هى « الفيه شلقيه »
 (٣) المترجم : أنظر أيضاً التعليقات التى نشرها محمد بن عبد الوهاب الفزوينى عن الأزرقى فى « چهار مقاله » فهى غنية بالتفصيلات

(٤) أنظر « لباب الألباب » ج ٢ ص ٨٨ (٥) أنظر « تذكرة الشعراء » ص ٨٢

(٦) « لباب الألباب » ج ٢ ص ١٠٤-٨٦

أيضا في كتاب « تاريخ سلاجقه كرمان » تأليف « محمد بن ابراهيم » قصيدة كاملة أنشأها الأزرقى في مدح « اميرانشاه » أحد أمراء هذا الفرع من السلاجقه (١) . ولما لم يكن في أيدينا من مؤلفات « الأزرقى » إلا قصائده ، وهى صعبة الترجمة ، غير مستساغة إذا ترجمت ، فسأخذو حذو « دولتشاه » وأكتفى بهذا القدر عن الأزرقى وانتقل إلى الحديث عن شاعر آخر .

(٢) مسعود سعد سلمان

هو « مسعود بن سعد بن سلمان » وهو جذر بالذكر على الخصوص لبعض القصائد العاطفية المبتكرة التى أنشأها عند ما أمر السلطان « ابراهيم الغزنوى » بحبسه فى قلعة « ناي » بتهمة التآمر عليه مع السلطان « ملكشاه » السجوقى . وقد سجل صاحب « چهار مقالة » هذه القصة (٢) وعلق على هذه الأشعار بقوله إنه يحس عند قراءتها « بأن شعره يقف على جسده ، وأن الدموع تجرى فى مآقيه لما اشتملت عليه من فصاحة ورقة . » وأورد مثلين من هذه الجبسيات ، الأول منهما عبارة عن الرباعية التالية (٤) :

در بند تو ای شاه ملکشه باید تابند تو پای تاجدارى ساید
آنکس که ز پشت سعد سلمان آید گر زهر شود ملک ترا نگراید
ومعناها :

— أيها الملك ... إن « ملكشاه » هو الذى يجب أن يرسف فى قيدك
وأن تربط أقدامه فى سلاسل أسرك ... !!

(١) طبع « هوتسما » ص ١٤-١٦

(٢) بعد كتابة هذه المقالة نشرت فى « مجلة الجمعية الملكية الآسيوية » عدد أكتوبر سنة ١٩٠٥ ص ٦٩٣-٧٤٠ وعدد يناير سنة ١٩٠٦ ص ١١-٥١ ترجمة لمقالة نشرها بالفارسية صديق العلامة ميرزا محمد بن عبد الوهاب القزوينى « عن هذا الشاعر . وإنى أحيل القارىء الجاد إلى هذه المقالة لأنها تكمل ما كتبت ، بل لأنها فى بعض المواضع تصحح ما سطرت

(٣) أنظر سيرته فى ص ٤٤-٤٦ من الأصل الفارسى وص ٧٣-٧٥ من الترجمة الإنجليزية (٤) المترجم : لم يذكر « براون » أصل هذه الرباعية الفارسية .

— أما من يأتي من ظهر « سعد بن سلمان » أو سلالته

فلن يؤذى ملبكك ... ولو كان سما زعافا برمته !!

وأما المثل الثاني فعبارة عن مقطوعة نصها كالآتي (١) :

مقصود شبد مصالح کار جهانیان

بر حبس و بند این تن مهجور ناتوان

بر حبس و بند نیز ندارندم استوار

تا گرد من ندارند ده تن نگاهبان

هر ده نشسته بر در و بر بام سجن من

با یکدیگر دمانم بگویند هر زمان

هان بر جهید زود که حیلت گریست او

کز آفتاب پل کند از سایه نردبان

گیرم که ساخته شوم از بهر کارزار

بیرون جهم ز گوشه این سجن تا کهان

با چند کس بر آیم در قلعه گرچه من

شیری شوم معرید و بیلی شوم دمان

پس بی سلاح جنگ چکونه کنم مگر

من سینه را سپز کنم و پشت را کمان

ومعناها :

— لقد اقتضرت مصالح أهل الدنيا من الحاکمین

على حبسى وتقيدى ... أنا الضعیف العاجز المسکین ... !!

— وهم لا یثقون فى بقائى فى الحبس والتقید

مالم یضعوا حولى عشرات من الحراس، عن قرب وعن بعد ... !!

— کل عشرة منهم یجلسون على باب سجنى أو فوق سطحه ... فى انتباه والتفات

وهم يتصاحون فيما بينهم فى کل لحظة من اللحظات ... !!

(١) المترجم : لم يذكر « براون » أصل هذه الأبيات بالفارسية ، ولم نجد لها فى الأصل الفارسی لكتاب « چهار مقاله » .

— فيقولون : تنهوا وخذوا حذرکم ، فإنه متحایل ما کر
يصنع الجسور من أشعة الشمس ، ويرفع السلام من ظلها العابر ... !!
— فلا أقض أنى وقت في وقت العراك والنزال
واستطعت الفرار فجأة من ركن هذا السجن ، والحلاص من الوبال !!
— فهل استطيع أن أتصر على هؤلاء الرجال الكثيرين في هذه القلعة الحصينة
ولو كنت أسدا مفترسا ... أو فيلا هائجا قوى الشکمة ... !!
— وكيف أستطيع أن أحارب بغير آلة أو سلاح ... ؟!
وهل أکتفى بأن أجعل صدرى درعاً ، وأن أجعل ظهري قوسا للرماح ... ؟!
ولم تلن قناه السلطان أو يرق قلبه حتى أدركه الموت ، وظل « مسعود » في
محبسه اثنتى عشرة سنة كاملة .

وفما یلی قصیده من قصائدها « دولتشاه » فی ص ٤٧ - ٤٨ من کتابه (١)
چون بدیدم . بدیده^١ تحقیق که جهان منزل فنامست کنون
راد مردان نیک محضر را روی در برقع خفاست کنون
آسمان چون حریف نا منصف بر ره عشوه ودغاست کنون
طبع بیمار من ز بستر آرزو شکر یزدان در سنت خاست کنون
وز عقاقیر خان^٢ توبه نوش داروی صدق خواست کنون
وین زبان جهان خدیو سرای ماح حضرت خداست کنون
لهجه^٣ نو نوای خوش زخمه بلبل باغ مصطفاست کنون
عزت جامه و قصب بر من چون فزون شد خرد بکاست کنون
سر آسوده وتن آزاد پنج گز پشم و پنبه راست کنون
مندی خدمت شما کردم نوبت خدمت خداست کنون
ومعناها :

— عندما رأيت بعين البصيرة والتحقيق
أن العالم أصبح الآن منزلا للفناء والضيق ... !!

(١) المترجم : اکتفى « براون » بإيراد الترجمة وقد رأينا إيراد الأصل أيضاً .

- وأن الرجال الطيبين الكرماء
قد تسربت وجوههم في براقع الخفاء والفناء ... !!
- وأن السماء قد أصبحت كالعدو اللدود
وأن أحكامها الآن سائرة في نفاق وخداع وشروء ... !!
- نهضت سليماً بعد المرض وتركتم فراش الحرص والحاجة
وأخذت الآن في شكر الله في ضراعة ولجاجة ... !!
- وقصدت دار التوبة ، وطلبت منها مختلف العقاقير
لأعالج بها الصدق ، وأتمس بها باب «الحق» الكبير ... !!
- فبدلت هذا اللسان الذي كان يمدح الملوك والسلاطين
وأصبحت الآن أقصر مدحى على رب العالمين ... !!
- وتجددت لهجة مدحى ، وأصبحت نعمته جديدة ذائعة
وأصبح لسانى بلبلاً مغرداً في حديقة النبی الرائعة ... !!
- ومتى زادت الملابس الزاهية الموشاة بالذهب
قل العقل ، ونضب معينه وذهب ... !!
- فالرجل الحر صاحب الهناء والسعادة
تكفيه خمسة أذرع من الصوف أو القطن في العادة ... !!
- ولقد خدمتكم «أيها الملوك» مدة طويلة مديدة
فلتكن نوبتى الآن فى خدمة الله ذى المنن العديدة ... !!

* * *

ويضيف «دولتشاه» على ذلك أن «مسعود بن سعد» كان من أهالى «جرجان» كما أن «إتيه» يرى أن أباه «سعدا» كان فى خدمة الأمراء الزياريين فى هذه الولاية . ويقول دولتشاه : إن الأكابر والفضلاء لهم رأى عال فى أشعار مسعود ، حتى أن «فلكي الثمروانى» عندما أراد أن يفخر بتبريزه فى قول الشعر قارن نفسه بمسعود فقال (١) :

(١) المترجم : هذا هوئى البيت بالفارسية وفقاً لما ورد فى «تذكرة الشعراء» ص ٤٧

گر این طرز سخن در شاعری مسعود را بودی
بجان صد آفرین کردی روان سعد سلمانش

ومعناه

- لو كان لمسعود من المهارة في الشعر ما لكلامي من حسن البيان
لنهضت روح آية «سعد بن سلمان» وقالت له: أحسنت كل الإحسان...!!
والمعروف أن وفاة «مسعود» حدثت في سنة ٥١٥ هـ = ١١٢١ م أو في سنة
٥٢٦ هـ = ١١٣١ م وهذا التاريخ الأخير هو أقرب التاريخين احتمالا وصحة.

أبو طاهر الخاتوني:

شهرة «أبي طاهر الخاتوني» تنحصر أساسا في كونه المؤلف الذي ألف أقدم
كتاب ، وصل خبره إلينا ، في تراجم شعراء الفرس ؛ ومن سوء الحظ أن هذا
الكتاب مفقود ولم يعثر عليه أحد حتى الآن ^(١) ولكن «دولتشاه» أشار إليه في
موضعين ^(٢) وذكر صراحة أنه نقل عنه خبرين من أخباره . ومن العجيب أنه لو
صح أنه كان حقيقة في حوزته ، لما اقتضت استفادته منه على هذا القدر البسيط
ولأكثر من النقل عنه ؛ وهذا يدعوني إلى الظن بأنه لم يكن ينقل عنه مباشرة بل
بطريق كتاب آخر نقل عنه مباشرة . وقد ذكره «حاجي خليفة» في موسوعته
كشف الظنون ^(٣) وذكر أن الكتاب مكتوب بالفارسية ، ولكنه نسي أن يذكر
إن تاريخ وفاة مؤلفه ، وربما استعصى عليه أن يكشف عن هذا التاريخ ، فأهمله إهمالا ،
وقد ورد ذكر «الخاتوني» أيضا في جملة مواضع من كتاب البنداري «تاريخ السلاجقة»
وهو يخبرنا ^(٤) بأن «الخاتوني» أنشأ هجويه في واحد من وزراء السلطان «محمد

(١) المترجم : يقصد به « منائب الشعراء » وقد أخبرني في سنة ١٩٤٩ أحد الأساتذة
الأتراك وهو الأستاذ قاسم أستاذ الصوف في المعهد الإسلامي بتركيا أن أحد أساتذة جامعة
استانبول عثر على نسخة هذا الكتاب وأنه عازم على طبعه
(٢) أنظر «تذكرة الشعراء» ص ٢٩ ، ٥٨
(٣) أنظر طبعة «فلوجل» ج ٦ ص ١٥٢ ، رقم ١٣٠٢٦
(٤) أنظر طبعة «هوتسا» ص ٨٩ ، ١٠٥-١٠٨ ، ١١٠ ، ١١٣

ابن ملكشاه» جعلها بعنوان «تنزير الوزير الزير الخنزير» وأنه كان يعتبر من أفاضل رجال عصره ، ومن الكتاب الممتازين للتفنين (١) وقد أورد كذلك طائفة من هجوياته المنظومة ، ولكنه للأسف لم ينقلها بأصلها الفارسي بل اكتفى بذكر ترجمتها إلى العربية .

وقد عاش «الخاتوني» حوالي سنة ٥٠٠ هـ أو في بداية القرن الثاني عشر الميلادي ويبدو لي أنه تخلص باسم «الخاتوني» نسبة إلى زوجة السلطان السباء «جوه خاتون» لأنه كان ملتحقاً بخدمتها . وقد ورد بيت من أبياته الفارسية في كتاب «لغت فرس» تأليف أسدي . ولكن طابع هذا الكتاب وهو «بول هورن» أخطأ في تسميته ، فاسماه «الخاتوني» بدل «الخاتوني» وهو خطأ في الحقيقة لا يغتفر (٢)!! وأكبر مجموعة من أشعار «الخاتوني» موجودة فيما أعرف في الكتاب الفارسي النادر الذي وضعه «شمس قيس» في الشعر وأوزانه (٣) كما إن «الخاتوني» مذکور أيضاً في كتاب الرواندي «راحة الصدور» حيث ورد ذكره على أنه كان يتولى قيد الصيد الذي يصيده «ملكشاه» (انظر «مجلة الجمعية الملكية الآسيوية» سنة ١٩٠٢ ص ٥٩٨)

وبالرجوع إلى أقدم المصادر يتضح لنا بجليا أن «الخاتوني» كان سبرزاً في طائفة من الأمور ؛ ولكن من العجب أن الكتب المتأخرة لاتذكره إلا قليلاً . وليس هناك من شك في أن ضياع كتابه «مناقب الشعراء» يعتبر من الكوارث الأدبية المحزنة . وينقل لنا أيضاً «راحة الصدور» مقطوعة للخاتوني في بيتين ، هجابهما الوزير «مجد الملك القمي» وذكر فيها ما أمتاز به من لؤم وبخل (٤) .

(١) أورد «رضا قليخان» طائفة من أشعاره في كتابه «معجم الفصحاء» ج ١ ص ٦٦ ، ويستفاد مما كتبه «رضا قليخان» عنه أنه كتب أيضاً في تاريخ السلاجقة . وربما كان القصود بما كتبه هو كتاب «تاريخ السلاجقة» الذي أشار إليه «دولت شاه»

(٢) أنظر ص ٢٣ من المقدمة وكذلك ص ٣١

(٣) المترجم : يقصد به كتاب «المعجم في معايير أشعار المعجم» وقد طبع ضمن «سلسلة جب الذكارية» - سنة ١٩٠٩م

(٤) أنظر «مجلة الجمعية الملكية الآسيوية» سنة ١٩٠٢ ص ٦٠٠

الأمير «معزى» هو شاعر السلطان «سنجر» ؛ ولكنه استطاع قبل ذلك في أيام السلطان «ملكشاه» أن يفوز بشهرة عريضة في قول الشعر ؛ وقد استمد تخلصه الذى عرف به من أحد ألقاب هذا السلطان وهو «معز الدين» كما أخبرنا بذلك هو نفسه في إحدى الحكايات المروية في كتاب «چهار مقاله» وقد ذكرناها برمتها في الفصل الأول من كتابنا هذا .^(١) ويصفه صاحب «چهار مقاله» بأنه من أعذب شعراء الفرس قولاً وأجملهم إنشاداً ، وأن شعره قد بلغ أوج الروعة والجمال وامتاز بالفصاحة وشدة الأسر . كما أن عوفى يقول في كتابه «باب الألباب»^(٢) : «إن ثلاثة من الشعراء استطاعوا في ثلاث دول متوالية أن يبلغوا مراتب العز والإقبال بحيث لم يتيسر ذلك لغيرهم ، فأما الأول فالشاعر «رودكى» في عهد السامانيين ؛ وأما الثانى فهو «عزى» في عهد الغزنويين ؛ وأما الثالث فالشاعر «المعزى» في عهد السلاجقة .»

ولكن نهاية «المعزى» كانت مفاجئة وحزينة ؛ فقد قتله سهم انفلت خطأ من من قوس «سنجر» عندما كان يقوم بالرماية . وقد اشتهرت هذه الحكاية عن مقتله ؛ ولكن هناك رواية أخرى تقرر أنه لم يقتل بل أصابه جرح ، لم يلبث أن شفى منه . وروى «رضا قليخان» في «مجمع القصائد»^(٣) بيتاً يستشهد به على صحة هذا رأى ، لو صحت نسبته إلى المعزى ، لدل على غير شك على صحة ما ذهب إليه قليخان ؛ وهذا البيت هو :

منت خدای را که بتیر خدایگان من بنده ییگناه نشدم کشته رایگان
ومعناه :

— الله ذى الفضل والإحسان

إنتى ، أنا العبد البرىء ، لم يهدر دى سهم السلطان . . . !!

(١) أنظر ص ٤٩ — ٥٠

(٢) أنظر ج ٢ ص ٦٩

(٣) أنظر ج ١ ص ٧١

ويذكر هذا الكتاب أن وفاة « المعزى » حدثت في سنة ٥٤٢ هـ = ١١٤٧ م
ثم يورد بعض الأشعار التي رثاها بها الشاعر « سنائي » . كما يقرر أن « المعزى » كان
تلو « الفرخى » في الغزليات ، وتلو « العنصرى » في القصائد . وفيما يلي مقطوعة
تنهض مثلاً لغزلياته (١) :

روى او ماهست اگر بر ماه مشک افشان بود
قد او سروسست اگر بر سرو لالستان بود
گر روا باشد که لالستان بود بر زاد سرو
بر مه رویش روا باشد که مشک افشان بود
دل چو کوی و پشت چون چوگان بود عشاق را
تا زنگدانش چو کوی وزلف چون چوگان بود
گر ز دو هاروت او دلها بدرد آید همی
درد دلها را ز دو یاقوت او درمان بود

ومعناها

— وجهها هو القمر . لو أمكن أن تنتشر فوق القمر غلالة من المسك سوداء ..!!
وقدها هو السرو .. لو أمكن أن يزهر السرو زهرات الشقائق الحمراء ..!! (٢)
— ولو صح للسرو أن يزهر زهرات الشقائق الحمراء
لصح للمسك أن ينتشر فوق وجهها القمري ذى البهاء ..!!
— وقلوب العشاق كأنها الكرات المتدحرجة ، وظهورهم كأنها الصواجل للقوس
منذ استدارت ذقتها كالكرة ، وتقوست طرحتها كالصولجان .
— وإذا ابتليت القلوب ، فأصابها السقم بفعل عينها الساحرتين ؛
فإن شفاءها مضمون في شفتيها الياقوتيتين ..!!
وعندما يشير « عوفى » إلى أن (٣) « طفل البلاغة وصل إلى حد البلوغ على يدي

(١) المترجم : اكتفى « براون » بإيراد ترجمة الأبيات الأربعة الأولى من هذه الغزلية وهي
الأبيات التي نقلناها أعلاه . ولكن الغزلية برمتها تقتل على سبعة أبيات كما هي مذكورة
في « لباب الألباب » ج ٢ ص ٧٢
(٢) نفس المرجع ص ٦٩ .

المعزى» فإنه ربما يقصد بذلك أننا نجد في أشعاره سائر أنواع التشبيهات الأصلية المتكررة التي أصبحت فيما بعد مبتذلة ومألوفة لدى سائر من يدرس الأشعار الفارسية . ولو نظرنا إلى الأبيات الأربعة التي نقلناها آنفاً لوجدناها مليئة بالتشبيهات العادية المألوفة التي تشبه الوجه الجميل بالقمر المنير ، وخصلات الشعر السوداء المعطرة بالمسك الأذفر الذكي (١)، والقامة المديدة بشجرة السرو المعتدلة ، والحدود الحمراء بزهرة الشقائق القانية ، والدقن والقلب بالكرة ، والظهر الذي قوسته أفعال السنين والهموم بالصولجان الذي يقذف الكرة ، والشفاه باليواقيت ، والعيون الساحرة بـ «هاروت» ذلك الملاك الخاطيء الذي يعلم الناس السحر ، إذا سمعوا إليه في الجب الذي يحبس فيه مدينة «بابل» .

وفما يلي غزلية أخرى من غزليات المعزى (٢) :

تا دلم عاشق آن لعل شكر بار بود
ديده من صدف لؤلؤ شهور بود
صدف لؤلؤ شهور بود ديدم آنك
دل او عاشق آن لعل شكر بار بود
نخلد ناولك آن زكس خون خوار دلم
تا سلاح دلم آن زلف زره دار بود
ای نگارنده نگاری كه ز تو مجلس من
كه چو كشمير بود گاه چو فرخار بود
كر گنه كار نشد زلف تو بر عارض تو
چون پسندی كه همه سال نگو نسا بود
ورگنه كرد چرا یافت نخلد اندر جای
خلد آراسته كي جای گناه كار بود

(١) المترجم : يشبه الشاعر شعر الحبيبة بالمسك الأسود ذي الرائحة الطيبة ، كما يشبه وجه الحبيبة بزهرات الشقائق الحمراء .

(٢) المترجم : نقلنا الأصل الفارسي عن « لباب الألباب » ج ٢ ص ٧٣

ومعناها :

- منذ أصبح قلبي عاشقا لشفتك الحلوة الحمراء ...
 وقد أصبحت جفوني أصدافاً للدر الثمين اللائع ...!!
 — ومن الحق أن تصبح عين العاشق مليئة بالدرر الغالية
 مادام قلبه يتعشق هذه الشفاء الحلوة القانية ...!!
 — ولن تستطيع سهام عينك العطشى إلى الدماء
 أن تحترق قلبي ، مادامت طرتك هي الدرع والسلاح والوقاء ...!!
 — وبأيتها الدمية الجميلة .. لقد أصبح مجلّسى بحضورك شديد البهاء
 وكأنه مليء بحسان «كشمير» أو غانيات «فرخار» صاحبات الرواء (١) ...!!
 — ولو لم تصبح طرتك جانية على وجنتيك
 لما قبلت أن تتدلى طوال السنة مقبولة الرأس على خديك ...!!
 — وإذا صح أنها أذنبت .. فلماذا تستقر في جنة الخلد العالية
 وهل يعقل أن تصبح جنة الخلد البهجة مستقراً لأصحاب الآثام النابية ...!!
 وهنا أيضاً نجد عقدا متصل الحلقات من التشبيهات العادية التي تعارفوا عليها في
 الشعر الفارسي الغزلي . فالعين الباكية هي الصدفة التي تجود بالآلئ والدرر ؛ والشفاء
 الحلوة الحمراء هي اليواقيت التي تنضج بالسكر ؛ والعين نرجسة توصف بأنها ظمأى إلى
 الدماء لأنها تجرح بسهامها قلوب العشاق وتدميها ؛ والشعر المجدول يشبه بالسلاسل
 والدروع ؛ والمحبوبة هي الدمية الجميلة التي تفوق في جمالها تصاوير «مانى» التركستانيه
 ودعى المعابد الهندية ...!! أما وجه المعشوقة فهو جنة الخلد الموعودة ...!!

ولن يذهبنى بعد ذلك كله أن أقرر أن سائر التشبيهات التي استعملها في عصور
 متأخرة شعراء الحب في غرب آسيا ، إنما هي من إنتاج «المعزى» فقد أبدع الكثرة
 البالغة منها ، وكان له الفضل الأول في تقريرها واستعمالها . وإذا صح هذا الرأي
 أمكن - إلى حد ما - تعليل السبب الذي من أجله نال « المعزى » هذه الشهرة
 العريضة في بلاده . ولولا ذلك لما أمكننا وقد اعتدنا قراءة أشعار « حافظ » وغيره

(١) المترجم : كشمير وفرخار بلدان اشتهرا بحمال من بهما من النساء .

من الشعراء التأخرين أن تعتبر « المعزى » ضمن النابهين المبدعين من الشعراء ،
 ما لم تذكر دائماً هذه الفترة للبكرة التي عاش فيها . فلنتركه الآن ولننتقل إلى شاعر
 آخر ممن ذكرناهم في هذا الفصل وهو رشيد الدين الوطواط .

رشيد الدين الوطواط :

« رشيد وطواط » أو « رشيد الدين الوطواط » هو « محمد بن عبد الجليل
 العمرى » . سمي بالعمرى لانتسابه إلى الخليفة « عمر » . وكان يشتغل بالكتابة ومن
 أجل ذلك فإنه يلقب غالباً بالكتب . وقد ألفت بالإضافة إلى أشعاره طائفة من الكتب
 المنثورة ، أهمها الكتب الآتية :

١ — صد كنه : أو الكلمات المائة من أقوال الخلفاء الراشدين الأربعة ، وقد
 شرحها وفسرها باللغة الفارسية (١) .

٢ — حقائق السحر : وهو كتاب شهير جداً في البلاغة الفارسية والشعر الفارسي
 وقد اعتمد في وضعه فيما اعتقد على كتاب « الفرخي » المفقود « ترجمان
 البلاغة » . وقد طبع على الحجر في إيران ويعتبر من أهم الكتب المجلدة
 في علوم الشعر الفارسية (٢) .

وقد لقبوه بـ « الوطواط » لفضالة جسمه وهزال بنيته ، ولكن « دولتشاه » ،
 يذكر لنا أنه كان حاد اللسان قوى البيان ، فتتج عن ذلك أن أكثر أعداؤه وازداد
 خصومه . ويروى لنا هذا المؤرخ أن « الوطواط » كان ذات مرة يتناقش في مجلس
 من المجالس في حضرة مليكه وراعيه « أئمز خوارز مشاه » وقد وضعوا بالمصادفة

(١) المترجم : لهذا الكتاب تسميتان أخريان هما : « نثر الآلى من كلام أمير المؤمنين على »
 أو « مطلوب كل طالب من كلام علي بن أبي طالب » وقد طبع هذا الكتاب في ليرج سنة
 ١٨٣٧م وفي طهران سنة ١٣٠٤هـ .

(٢) المترجم : نشر هذا الكتاب في السنوات الأخيرة الأستاذ عباس إقبال وقدم عليه
 بحث طويلة مفيدة عن حياة الوطواط ومؤلفاته . وقد طبعه بمطبعة المجلس في طهران سنة
 ١٣٠٠ هـ . وقد نقلته عن هذه النسخة إلى اللغة العربية وطبعته بمطبعة لجنة
 الترجم والذخير في سنة ١٣٦٤هـ = ١٩٤٥م .

عجزة أمامه. فلما اشتد النقاش أعجب « أئمز » بهذه السيل المنهمر من الكلمات التي تخرج من شخصه الضئيل ، فأمر رجاله بأن يرفعوا الدواة حتى يستطيع رؤية الشخص الذي يتحدث من وراءها. فلما سمع ذلك « رشيد الدين الوطواط » أسرع بالنهوض وقال على البديهة : « المرء بأصغريه قلبه ولسانه » . ثم يقول « دولتشاه » إن « الوطواط » قد عاش طويلا ، وإنه مات في « خوارزم » أو « خيوه » في سنة ٥٧٨ هـ = ١١٨٢ م ^(١) وأما ولي نعمته « أئمز » فقد مات في سنة ٥٥١ هـ = ١١٥٦ وقد بكاه الوطواط بدمع سخين ، ورثاه بالرباعية التالية : ^(٢)

شاهها فلک از سیاست میلرزید پیش تو بطوع بندگی میورزید
صاحب نظری نجاست تا در نکرد تا آن همه سلطنت بدین می ارزید

ومعناها :

— أيها الملك . . . لقد كان الفلك يرتعد لشدة قهرك . . .

— وكان يتقاد لك طواعية ، ويستجيب لأمرك . . .

— فأين واحد من أصحاب النظر . . . ليظهر في خبرك

— وهل كان كل هذا الملك ليساوي هذه النهاية عندما غيوك في قبرك . . .

وبعد هذه الحادثة بسبع عشرة سنة ، أي في سنة ٥٦٨ هـ = ١١٧٢ م تولى عرش خوارزم الـ « سلطان شاه محمود » خيد « أئمز » وشاء أن يرى هذا الشاعر العجوز المريض ، فحملوه إليه في محفة ، فلما مثل بين يديه أنشأ له على البديهة الرباعية التالية : ^(٣)

جدت ورق زمانه از ظلم بشتت غدل بدرت شکستگی کرد درست

ای بر تو قیای سلطنت آمده چست هان تا چه کنی که نوبت دولت تست

ومعناها :

— إن جدك قد غسل صحائف الزمان من المظالم والشور

(١) المترجم : يرى الأستاذ « عباس إقبال » أن الوطواط توفي سنة ٥٧٣ هـ

(٢) المترجم : قلنا هذه الرباعية عن « تذكرة الشعراء » ص ٩١

(٣) المترجم : قلنا هذه الرباعية عن « تذكرة الشعراء » ص ٨١ وقد ذكرها « عباس إقبال » كذلك في مقدماته .

— وأقام أبوك بعد له ما اعوج من الأمور .

— فيا من يزهو بك رداء الملك والسلطان

— تنبه ، وتبين ما أنت فاعل ... فهذه نوبتك من الزمان ... ١١

وقد ورد قدر كبير من الأخبار المتصلة برشيد الدين الوطواط في كتاب لم يطبع بعد عن تاريخ المقول (١) هو كتاب «الجويني» المعروف باسم «تاريخ جهانگشا» وخصوصا في الجزء الثاني منه المتعلق بتاريخ ملوك خوارزم . ففي بداية هذا الجزء ، وبعد الفصل الذي كتبه صاحبه عن هزيمة «سنجر» في معركته مع جيوش «الخطا» وغارة «أتسز» على مدينة مرو في سنة ٥٣٦ هـ = ١١٤١ م نجد خطا بطويلا بالمرية كتبه الوطواط إلى شخص يسمى بالـ «حكيم حسن القطان» يبدو أنه اتهمه بتبني كتيبه التي ضاعت أثناء هذه الغارة على مدينة مرو . وقد دافع «رشيد الدين» عن نفسه في هذا الخطاب دفاعا قويا ، وأنكر هذه التهمة الكريمة الباطلة وقال : «وها أنا أتاني الله من الوجه الحلال قريبا من ألف مجلدة من الكتب النفيسة والدفاتر الشريفة ، وأنا وقفت الكل على خزان الكتب المبنية في بلاد الإسلام عمرها الله تعالى لينتفع المسلمون بها . ومن كانت عقيدته هذه ، كيف يستجيز من نفسه أن يغير على كتب إمام من شيوخ العلم أنفق جميع عمره حتى حصل أوراقا يسيرة ، لوييعت في الأسواق مع أجداد أديم ما أحضرت بشمها مائدة لثيم ١١٠٠» (٢) ثم يتلو ذلك وصف لحصار قصبة «هزاراسف» وكيف أمر «أتسز» بإعدام «أديب صابر» وكيف نجح «الوطواط» بمجد النفس من غضب «سنجر» بسبب أشعاره التي قالها في هذه المناسبة ، وقد سبق لنا ذكرها في موضع آخر . فإذا تقدمنا بعد ذلك بضع صفحات من الكتاب علمنا أن الوطواط وصاحبه «كالم الدين بن أريسلان خان محمود» حاكم «جند» قد تسيا في سنة ٥٤٧ هـ = ١١٥٢ م في إغصاب «أتسز» فأمر «أتسز» بطرد «الوطواط» من خدمته ، ولكنه استطاع بعد ذلك أن يستعطفه بطائفة من القوائد

(١) المترجم : طبع هذا الكتاب برمته في ثلاثة أجزاء ضمن «سلسلة كتب التذكارية» صدر الأول منها سنة ١٩١٢ والثاني سنة ١٩١٦ والثالث قبل الحرب العالمية الأخيرة .

(٢) الترميم : نقلت هذه العبارات عن «تاريخ جهانگشا» ج ٢ ص ٦ - ٧

والمقطعات حتى نال عفوه . وقد أورد « الجويني » فيما أورد من هذه الأشعار المقطوعة التالية (١) :

سی سال شد که بنده بصف نعال در
بودست مدح خوان و تو بر تخت مدح خواه
داند خدای عرش که هرگز نایستاد
چون بنده مدح خوانی در هیچ بارگاه
اکنون دلت ز بنده سی ساله شد ملول
در دل بطول مدت یابد ملال ز راه
لیکن مثل زنند چو غدوم شد ملول
جوید گناه و بنده بیچاره بی گناه

ومعنى هذه الأبيات :

— لقد مضت ثلاثون سنة منذ وقفت بالباب في صف النعال ، (٢)

وكنت مداحاً للملك ، وكان الملك على عرشه راغباً في مدحي

— وإله العرش يعلم وحده ، أن أحداً مثلي

لم يقف مادحاً في قصر من القصور

— ولكن قلبك الآن أصبح متعباً من خادمك الذي أمضى في خدمتك ثلاثين عاماً ،

ولا شك أن الملل يتطرق إلى القلوب بطول المدة والملازمة

— وقد ضربوا الأمثال فقالوا : « عندما يمل الخدم ، يبحث لخدمته عن ذنب

أو جريرة ، بينما يكون الخادم المسكين نقي الطوية والسريرة . . . »

(١) الترجمة : أنظر « تاريخ جهانگشا » ج ٢ ص ١١

(٢) يبدو من ذكر الثلاثين سنة أن « الوطواط » التحق بخدمة ملوك خوارزم سنة ٥١٧ هـ

= ١١٢٣م وقد رأينا أنه كان في سنة ٥٦٨ هـ = ١١٧٢م رجلاً مسلماً مريضاً . كما أن

« دولتشاه » ذكر أنه توفي في سنة ٥٧٨ هـ = ١١٨٢م ويقول « الجويني » إن « الوطواط »

كان قد جاوز الثمانين من عمره في سنة ٥٦٨ هـ وعلى ذلك يكون مولده حوالي سنة ٤٨٨ هـ =

١٠٩٥م . ولا أعرف المصدر الذي اعتمد عليه « بروكلمان » ليقرر في كتابه « تاريخ الآداب

العربية » أن الوطواط مات سنة ٥٠٩ هـ .

ويقول « دولتشاه » إن ديوان « الوطواط » يشتمل على خمسة عشر ألف بيت من الشعر كلها مصنوعة ومليئة بالصناعات البلاغية والبديعية . وقد كان مغرماً على الخصوص بصناعة « الترصيع » فادعى أن أحدا غيره لم يستبقه بين شعراء الفارسية أو العربية إلى إنشاء قصيدة كاملة ، دخلها الترصيع في سائر أبياتها . أما قصائده فتمتاز عامة بأنها من نوع الفخريات والمبالغات التي اعتادها شعراء الملوك في هذا الوقت ، ولا يستطيع أحد أن يقول إن شهرته الخالدة ترجع إلى هذه القصائد ، وإنما مرجعها الأول والأخير إلى كتابه « حدائق السحر » وإلى جملة من الأبيات التي تفسر لنا بعض الوقائع التاريخية كما ذكرنا ذلك من قبل .

أديب صابر :

من بين خصوم « رشيد الدين الوطواط » كان الشاعر التاسع « أديب صابر » وقد ذكرنا نهايته المفجعة فيما سبق لنا من قول حيناً أمر « أتسر » بإغراقه في نهر جيحون في شهر جمادى الأولى سنة ٥٤٢ هـ = أكتوبر سنة ١١٤٧ م أو كما يقول « دولتشاه » في سنة ٥٤٦ هـ .

وقد ذكر « دولتشاه » أن هذين الشاعرين تهاجيا بهجويات وضعية ، بلغت منتهى الحسة والتسفل بحيث لم يسمح لنفسه أن يوردها في كتابه^(١) . وكان لكل منهما معجوه فكان « الأنوري » و « الخاقاني » من أشهر المعجبين بالأديب صابر ؛ بل كان « الأنوري » يفضل على الشاعر « سنائي » الذي يرجحه بعد الصيت والاشتهار ، فهو يقول^(٢) :

چون سنائي هستم آخر گرنه همچون صابر

ومعناه :

— أنا على كل حال شبيه بسنائي ولكني لست شبيهاً بصابر

(١) أنظر « تذكرة الشعراء » ص ٩٢ .

(٢) أنظر « لباب الألباب » لمحمد عوف ج ٢ ص ١١٦ .

ولا يعرف من حياة «الأديب صابر» إلا قليل من الأخبار التي تتضمنها أشعاره . وقد كان من أهل مدينة «ترمذ» ولكن «دولتشاه» يذكر لنا أنه أمضى أكثر حياته في خراسان وخاصة في مدينة «مرو» . وفيما يلي بيتان من الشعر نقلهما «عوفي» في كتابه اللباب ، أنشأها «الأديب صابر» بمناسبة موت أحد أمراء «ترمذ» الظالمين المسمى «أخطى» حينما كان يستقي الخمر ، فانتقل كما يقول «عوفي» في تعبيره الرشيقي «بطريق الشراب إلى نار العذاب...!!» وهذان البيتان يدلان على أن هذا الشاعر لم يحرم بلدته من نتائج مواهبه وثمرات قريحته فهو يقول (١) :

روز می خوردن بدوزخ رفتی ای اخطی ز برم
صد هزاران آفرین بر روز می خوردنت باد

تا تو رفتی عالمی از رفتن تو زنده شد
کرجه أهل لعنتی رحمت برین مردنت باد
ومعناها :

— لقد انتقلت في يوم الشراب .. يا «أخطى» ..! من مجلس الناحمة إلى نار السعير ...!! فوافرحته .. وطوبى لهذا اليوم الجدير بالتقدير ...!!
— فمنذ ذهبت ... أصبح العالم بعد ذهابك في عيش نضير

وأنت جدير باللعنة ... ولكن يوم مماتك جدير بالرحمة والتقدير ...!!
وكان «الأديب صابر» يلقب بشهاب الدين ، ولا شك أنه ظل فترة من الزمان في علاقات طيبة مع «أنز» بدليل هذه القصائد التي يمدحه فيها ، ثم ساءت العلاقات بينهما حتى انتهى الأمر بقتله على يديه . ويبدو كذلك أنه كان متصلا بمحلة من الشعراء المعاصرين بالإضافة إلى «الوطواط» فكتاب «لباب الألباب» ينقل لنا طائفة من أشعاره قالها في مدح الشعراء «عمادي» و «فتوحى» كما ينقل لنا مقطوعة قالها في ذم الشاعر «شمالي» . وفيما يلي مقطوعة من ثلاثة أبيات ، كتبها الأديب صابر إلى رجل من ذوي النفوذ ، هجاء جماعة من الظرفاء بهجوية نسبوها إليه فكتب إليه معتذرا : (٢)

(١) نفس المرجع ص ١٢٣

(٢) المرجع : نقلنا هذه الأبيات عن كتاب «لباب الألباب» ج ٢ ص ١٣٤

گفتند که کرده نکوهش آن را که ستوده جهانست
واین فعل نه فعل این ضمیرست واین قول نه قول این زبانست
این قصد کدام زن بمرست واین فعل کدام قلتانست

ومعناها :

— لقد قالوا : إنك هجوت من هو حقيق بمدايح العالمين . . .

— وفي الحق ... إن هذه الفعلة ليست من أفعالي ولا هذا القول من أقوالى...!!

— ويا ليتنى أعلم أى زانية قالت هذا القول أو أى قواد فعل هذه الفعلة...!!

ومما يؤسف له أن هذا الأسلوب العنيف شائع على الخصوص بين شعراء القصور في إيران ، ولكننا لا نستطيع أن نقدم للقارئ الأوروبي إلا ألفت أمثله وأقلها عنفا وخشا . ويبدو لى أن الأمراء المعاصرين كانوا يجعلون مثل هذه الأقوال المنبثقة من فورات الغضب والغيط موضوعا لكثير من متعهم وتسليتهم ، بل إنهم في بعض الأحيان كانوا يحرضون عليها تحريضا ، كما يتبين لنا ذلك من الحكاية الروية في كتاب « چهار مقاله » عن شاعرين معاصرين هما « عمیق البخاری » و « الرشیدی » ؛ وأولهما كان شاعرا لـ « خضر خان » أحد أمراء الـ « ايلك خانيين » فيما وراء النهر وترکستان . يقول صاحب « چهار مقاله » :

« إن هذا الأمير كان محبا للشعراء ، وقد التحق بخدمة الأمير عمیق ، والأستاذ « رشیدی » ، ونجار ساغر جى ، وعلى پانیدی وبشر درغوش وبشر الاسفراينى (١) »
« وعلى سپهرى ونجيبى فرغانى ، فقالوا منه الصلات الغالية والتشريفات الزاهية . وكان »
« الأمير عمیق هو أمير الشعراء في هذه الدولة فقال من أمراءها حظا موفورا ونعما سابعة »
« كان في عدادها الغلمان الأتراك والجواری الملیحات والجياد الصافيات والسرچ »
« الموشاة بالذهب والأواني الفاحرة والأموال الطائلة والعقارات الموفرة . وكان »
« عظیم الاحترام في مجلس الملك مما اضطر سائر الشعراء إلى القيام على خدمته . »

(١) المترجم : على الأستاذ براون في الهامش بأنه يفضل كتابة هذين الاسمين بلفظ « بشر » بدل « پسر » الفارسية بمعنى « ابن » ولذا وجب التنبيه ، لأن الأصل الفارسي يدكر كلمة « پسر »

« وكان يطمع في أن يعامله الأستاذ رشيدى بمثل ما كان يلقاه من غيره من الشعراء ، ولكن ظنه لم يتحقق ، لأن رشيدى كان حديث السن غير أنه كان عالماً بصناعة الشعر ؛ وكان يقوم على مدح الست زينب حتى أصبح على المنزلة فى حريم خضر خان ، وكانت هذه السيدة أثيرة لدى الملك فأخذت تمدح رشيدى وتعترف بفضلها حتى علا أمره ، وظفر بقلب «سيد الشعراء» ، وأخذ الملك يحسن الظن به حتى وصله بالصلوات العزيزة العالية . وفى يوم من الأيام غاب رشيدى فسأل الملك عمق : كيف ترى شعر عبد السيد الرشيدى ؟ فقال : إنه شعر طيب منقح ومنقى . . . ولكن يلزمه قدر من الملح ! ثم لم تلبث أن انقضت أيام قليلة حتى عاد رشيدى والتحق بخدمة الملك ، فلما هم بالجلوس ناداه الملك وقال له كما هى عادة الملوك عندما يضربون الواحد من رعيهم بالآخر : إننى سألت أمير الشعراء عن شعرك فقال إنه شعر طيب ولكنه خال من الملح ، فيجب عليك أن تقول فى هذا المعنى بعض الأبيات ، فأنحنى رشيدى إجلالاً ثم جلس فى مكانه وقال على البديهة :
 « — لقد عبت أشعاري ، وقلت أنها خالية من الملح ، ويجوز أن يكون ذلك حقاً . . . »
 « — لأن شعري شينه بالسكر والشهد ، ولا يستطاب الملح مع هذين الشيتين الحلوين »
 « — أما شعرك فهو اللفت والبقلاء ، ولذا يلزمه الملح . . . أيها القواد الخاسر (٢) . . . »

وقد سر «خضر خان» سرورا بالغاب هذه الأبيات العابثة الساخرة ، بحيث إنه منح «رشيدى» - كما يقول صاحب «چهار مقاله» - ألف دينار من الذهب ثقلت إليه فى مجلس الملك فى أربعة أطباق كما جرت بذلك العادة المتبعة لدى أمراء ماوراء النهر والتركستان .

(٢) المترجم : فيما يلى أصل هذه الأبيات بالفارسية :

شعر هاى مرا به بنمكى	عيب كردى روا بود شايه
شعر من همچو شكر وشهدست	وندرن دو نمك نكو نايد
شلفم وباقليست گفته تو	نمك اى قلتبان ترا بايد

نظامي عروضي سمرقندی :

آن لنا الآن أن تفصل الحديث بعض الشيء عن صاحب كتاب « چهار مقاله » الذي أكثرنا من النقل عنه في هذا الفصل والفصول السابقة ؛ وهذا الكتاب يعتبر في رأيي من أهم الكتب الثبوتية في اللغة الفارسية وأكثرها متعة وإيناسا ، كما إنه أكثر الكتب التي أعرفها فائدة في الكشف عن الصميم من حياة القصور في إيران وفي أواسط آسيا أثناء القرن السادس الهجري والثاني عشر الميلادي . وقد كان مؤلفه شاعرا مداحا التحق بخدمة الغوريين أو « ملوك الجبال » وبقي في خدمتهم كما يخبرنا هو نفسه حتى أُلّف هذا الكتاب أي مدة خمس وأربعين سنة . وهو يخبرنا أن اسمه الكامل كما ورد في « چهار مقاله » هو « أحمد بن عمر بن علي » وأن لقبه هو « نجم الدين » ولكنه مشهور بتخلصه الذي تخلص به وهو « نظامي » . وقد كان بين معاصريه — كما سيتضح لنا ذلك — جملة من الأشخاص فاقوه شهرة وبعد صيت ، عرف كل منهم باسم « نظامي » ، كما إن له ميميا متأخرا عنه هو « نظامي انكنجوي » الذي يعتبر بحق « نظامي » الآداب الفارسية غير منازع ، ومن أجل ذلك يشيرون دائما إلى هذا الشاعر الذي ندرسه الآن باسم « نظامي العروضي السمرقندي » . ولم يصل إلينا من أشعاره إلا التزير اليسير ، بل إن « دولتشاه » نفسه لم ينقل إلينا إلا بيتا واحدا من قصة « ويس ورامين » ، وهي قصة يدول للأسف أنها ليست من آثاره^(١) . وقد أفرد له « عوفي » صفتين من كتابه^(٢) ، نقل فيها خمس مقطوعات من أشعاره ، كلها من أشعار المناسبات التي تمتاز بهذا النوع من الفحش الذي تحدثنا عنه فيما سبق ، ثم يقرر بعد ذلك أنه أُلّف جملة « مثنويات » لم يبق منها شيء ، بل إن أسماءها ضاعت واندثرت . وكل ما نعرفه عنه عبارة عن أخبار متفرقة يرويها هو نفسه في كتابه « چهار مقاله » ، ونستطيع أن نعتمد عليها في تحديد التواريخ التالية من حياته وهي :

(١) أنظر « تذكرة الشعراء » ص ٦٠ — ٦١

(٢) أنظر « لباب الألباب » ص ٢٠٧ — ٢٠٨

١ - إنه كان في مدينة «سمرقند» في سنة ٥٠٤ هـ = ١١١٠ م يسمع أخبار الشاعر البكر «الرودى» .

٢ - إنه كان في مدينة «نيسابور» في سنة ٥٠٦ هـ = ١١١٢ في محبة الشاعر للنجم المشهور «عمر الحيام» .

٣ - إنه كان في مدينة «هراة» بعد ذلك مدة ثلاث سنوات .

٤ - وفي السنة التالية أى سنة ٥١٠ هـ = ١١١٦ م عاد إلى «نيسابور» ثم ذهب إلى «طوس» حيث أخذ يجمع أخبار الشاعر العظيم «الفردوسى» وانهز الفرصة لزيارة قبره بهذه المدينة .

٥ - وقد استطاع في هذا الوقت بفضل مساعدة «المعزى» شاعر «سنجر» أن ينجح في تقديم نفسه إلى هذا السلطان ، فكان هذا بداية شهرته وعلو شأنه .

٦ - ثم نجده ثانية في مدينة «نيسابور» في سنة ٥١٢ هـ = ١١١٨ م وسنة ٥٣٠ هـ = ١١٣٥ م . وتمكن في هذه السنة الأخيرة من زيارة مقبرة «عمر الحيام» . وقد شغلت هذه الزيارة أذهان طائفة من أعضاء نادى «عمر الحيام» لأنهم لم يقرأوا كتاب «چهار مقاله» فظلووا يقدسون الوردة الحمراء ويولونها كثيرا من التقدير ، بينما تولى القصة المروية في هذا الكتاب كل تقديرها لزهرات أشجار الخوخ والكثرى التى كانت تنثر أوراقها على مقبرته !!..

٧ - وفي سنة ٥٤٧ هـ = ١١٥٢ م اختبأ في مدينة «هراة» عقب هزيمة جيوش الغوريين على يدى «سنجر السلجوقى» .

وقد كتب «نظامى» كتابه في السنوات التسع التالية لهذه الواقعة ، فهو يشير فيه إلى «حسين جهانسوز» أو «حسين محرق العالم» على أنه مازال حيا يرزق ؛ ونحن نعلم أن هذا الرجل قد توفى في سنة ٥٥٧ هـ = ١١٦١ م .

أما ما يتعلق بالخطر الأخير من حياته فلا علم لنا به ؛ بل إن سنة وفاته مجهولة لنا تمام الجهل .

أما سبب خلود اسمه فيرجع أساسا إلى كتابه «چهار مقاله» وهو كتاب لم تقدر

قيمته حتى الآن تقديرا سليما ، ولو أنه في متناول دارسي الفارسية بفضل نسخة المطبوعة على الحجر في مدينة طهران سنة ١٣٠٥ هـ = ١٨٨٧ م ؛ كما إنه في متناول قراء الإنجليزية في ترجمته التي نشرتها له في سنة ١٨٩٩ م . في « مجلة الجمعية الملكية الأنسيوية » والكتاب برمته جدير بالقراءة ، وقد أكرت من الرواية عنه في صفحات هذا الكتاب ، ولكنني مع ذلك كنت مضطرا لضيق المقام أن أحذف كثيرا من الأخبار الممتعة التي تاققت نفسي لذكرها . وسأكتفي في هذا المقام بأن أقول للقارئ حكاية لها دلالتها التاريخية المتصلة بحياة المؤلف ، وهي الحكاية الأخيرة من حكايات الباب الثاني المتعلق بأخبار الشعراء ، ويقول فيها :

« عند ما كنت في خدمة مولاي ملك الجبال تور الله مضجعه ورفع في الجنان »
 « موضعه ، كان ذلك الملك الكبير قوى الاعتقاد في ، رفيع الهمة في إكرامى »
 « ففي يوم عيد الفطر وصل إلى حضرته كبير من سلالة أكاير بلغ عمرها الله ، »
 « هو الأمير العميد صفى الدين أبو بكر محمد بن الحسين الروانشاى ، وكان »
 « شابا فاضلا مفضلا ، وكاتبنا مجيدا مستوفيا لشروط الأدب ، حائزا لثمار الفضل ، »
 « مقبولا في قرارات القلوب بمدوحا بأطراف الألسنة . ولم أكن في هذا الوقت »
 « حاضرا في خدمة الملك . فلما انعقد المجلس قال الملك للحاضرين : ادعوا النظامى . »
 « فالتفت الأمير العميد صفى الدين وقال : وهل النظامى موجود هنا ؟ فأجابوه : »
 « بلى . وظن الأمير أن المقصود هو نظامى منيرى . فقال : إنه شاعر مجيد »
 « ورجل معروف . »

« فلما أتاني القراش واستدعاني أسرعرت فوضعت الحذاء في قدمي ودخلت المجلس »
 « وسلمت وجلست في مكانى . فلما دار الشرايب بضع دورات قال الأمير العميد »
 « إن نظامى لم يأت حتى الآن . ولكن ملك الجبال أجابه على الفور : بل إنه »
 « قد أتى وهو جالس هنالك ... !! »

« فقال الأمير العميد : إنى لا أقصد هذا « النظامى » بل أقصد نظاميا آخر ، »
 « ثم إنى لا أعرف هذا الشخص ... !! »
 « عند ذلك رأيته الملك وقد تغير وجهه ، ثم التفت صوبى قائلا : هل يوجد »

« نظامى غيرك فى أى مكان ...؟ فأجبه : بلى يامولاي يوجد اثنان آخران . »
 « أحدهما من أهل سمرقند ويسمونه « نظامى المنبرى » والآخر من أهل »
 « نيسابور ويسمونه « نظامى الأثرى » . وأما عبدكم المائل بين يديكم فيسمونه »
 « بالنظامى العروضى . »

« فقال : وهل أنت خير منهما ... أم هل هما خير منك ... ؟ »
 « وعلم الأمير العميد أنه أخطأ القول ، ورأى الملك وقد تغير حاله وغضب »
 « فقال : يامولاي إن الآخرين معربدان يثران المجالس بعربدتهاا ويتسيبان »
 « فى كثير من الضرروالأذى !!... »

« فقال الملك مازحا متبسطا : تبهل حتى ترى هذا النظامى يشرب خمسة »
 « أقداح من النبيذ ثم يقلب المجلس رأسا على عقب...!! ولكن خبرنى أى هؤلاء »
 « الثلاثة أكثر شاعرية وقدرة على الشعر...؟ فقال الأمير العميد: لقد رأيت الاثنين »
 « الآخرين وأعرفهما حق المعرفة ، أما هذا فلم يسبق لى رؤيته ولم أسمع إلى »
 « شعره ، فيأليه يقول فى المعنى السابق بضع أبيات حتى أسمع إلى شعره وأحكم »
 « على ذوقه وأتمكن من أن أقدر أى هؤلاء الثلاثة أجود طبعاً وأحسن »
 « شعراً !!... »

« فالتفت الملك إلى وقال : هيا ... يانظامى .. وحذار أن نخجلنا ...، وقل »
 « ما يرغب فيه الأمير العميد . »

« وكان لى فى ذلك الوقت — عندما كنت أقوم بخدمة الملك — ، طبع فياض »
 « وخطر وهاج ؛ وكان إكرامه وإنعامه يجللان بديهي مواتية ذاتية ... »
 « فلم أكد أسك القلم ويدور الشراب دورتين حتى قلت هذه الأبيات »
 « الخمة (١) : »

(١) المترجم : فيما بلى نس هذه الأبيات بالفارسية :

در جهان سه نظامییم ای شاه که جهان ز ما با نجاتد
 من بورساده پیش تخت شهم وآن دو در مرویش سلطانده

- « — أيها الملك .. ! يوجد في العالم « نظاميون » ثلاثة ، قد سارت بذكركم »
 « الركبان وجلجل بأسمهم كل مكان ... !! »
- « — وأنا واحد منهم أمام عرش الملك في مدينة « ورساد » ، وأما الآخرون »
 « ففي مرو عند السلطان ... !! »
- « — وفي الحق ... قد برز كل منهما في قول الشعر حتى أصبح كل منهما »
 « مفخرة خراسان ... !! »
- « — وهما يقولان الشعر كالماء الجاري ، ويقدران مواضع الكلام كالحكيم »
 « ذي البيان .. !! »
- « — ولكنني أنا الشراب العتيق ... إذا أدركتهما فإنهما يعجزان ويتخاذلان .. !! »
 « فلما عرضت هذه الأبيات إنجى الأمير العميد وقال : دعك من جميع النظاميين »
 « فليست أعرف بين شعراء ما وراء النهر وخراسان والعراق أحداً يستطيع »
 « ارتجال مثل هذه الأبيات الخمسة وأن يجعلها بهذه التانة والجزالة والعذوبة »
 « بحيث تكون مليئة بالألفاظ العذبة ، مشحونة بأبكار المعاني .. فاهناً »
 « يا نظامي ... فليس لك نظير على سطح الأرض .. ويا مولاي ... يا صاحب »
 « الجلالة ... إن له طبعاً لطيفاً ، وخطراً قوياً ، وفضلاً كاملاً ، وقد أصبح »
 « نادرة زمانه بفضل إقبالك وهمتك (رفعهما الله) . وسيزداد شأنه علواً لأنه »
 « مازال شاباً في مقتبل العمر ... !! »
- « فامتد وجه الملك كثيراً ، وبدأ عليه بشاشة بالغة ، وكال لي عبارات الإستحسان »
 « ثم قال : لقد منحتك منجم الرصاص في « ورساد » وجعلته لك منذ هذا »
 « العيد الأصغر حتى عيد الأضحى ، فأرسل عاملك حتى يشرف عليه . »

هر يکی مفخر خراساند
 ورچه همچون خرد سخن داند
 هر دو از کار خود فرو مآند

بحقیقت که در سخن امروز
 گرنه همچون روان سخن گویند
 من شرایم که شان چو دریام

« ففعلت ذلك وأرسلت « إسحاق اليهودي » وكان ذلك في صميم الصيف ،
 « فلما اشتغل الرجال استطاعوا أن يذبيوا كثيرا من هذا المعدن حتى بلغ مقداره اثني
 « عشر ألف من من الرصاص الخالص ، أخرجوها في سبعين يوما ، وكان نصيب
 « منها الخمس . وأصبح الملك يقدرني أكثر من ذي قبل بألاف المرات ؛ أثار
 « الله مضجعه العزيز بشمع رضاه ، وقرح روحه الشريفة برحماته وعطاياه ،
 « بعتة وكرمه . »

ونستطيع أن نرى من هذه الحكاية أن شاعرنا لم يكن متواضعا في تقرير مواهبه
 والكشف عن مزايه ، ولكننا - حيا ل سروره الواضح عند تصريحه بهذه المواهب
 والمزايا - لا نستطيع إلا أن نجرد أنفسنا من كل أسلحة النقد والمهجوم ، وأن نقنعها
 بأن التواضع أمر قلما اتصف به شعراء الفرس أو عرفوه !!

وقبل أن يتطرق بنا الحديث إلى الكلام عن « الأنثوري » أشهر الشعراء للمتحمين
 بقصر «سنجر» يجب أن نتحدث حديثا مختصرا عن شاعرين آخرين أو ثلاثة من
 زملائه . فهم وإن كانوا أقل شهرة منه ومن سائر الشعراء الذين ذكرناهم في هذا
 الفصل ، إلا أنهم مبرزون بين كثرة من أصحاب الشعر الجيد الذين عاشوا في هذه
 الفترة ؛ ومن الحق علينا أن نخصهم بنظرة عابرة .

عبد الواسع الجيلي :

هذا الشاعر — كما تفيد نسبته — من أهل الولاية الجبلية « غرجستان » ، وقد
 خرج منها إلى « هراة » ثم إلى « غزنه » حيث التحق فترة بقصر « السلطان بهرامشاه
 ابن مسعود » فلما سار « سنجر » لمحاربة هذا السلطان في سنة ٥٣٠هـ = ١١٣٥م استطاع
 هذا الشاعر كما يحدثنا « دولتشاه » ، أن ينال رضا « سنجر » بقصيدة جميلة مبتكرة ،
 نقل منها الأبيات الثمانية الآتية (١) :

(١) أنظر « تذكرة الشعراء » ص ٧٤

ز عدل کامل خسرو وز امن شامل سلطان
 تذرو و بک و گور و مور در گشتند در کیهان
 یکی همخانه شاهین ، دوم همخوابه طغرل
 سه دیگر مؤنس ضیفم ، چهارم محرم ثعبان
 خداوند جهان سنجر که همواره چهار آیت
 بود در رایت و رای و جین و روی او پنهان
 یکی بهروزی دولت ، دوم فیروزی ملت
 سه دیگر زینت دنیا ، چهارم نصرت ایمان
 بنان اوست در بخشش ، سنان اوست در کوشش
 لقای اوست در مجلس ، لوای اوست در میدان
 یکی ارزاق را باسط ، دوم ارواح را قایض
 سه دیگر سعد را مایه ، چهارم فتح را برهان
 شد اندر قرن لو باطل ، شد اندر عهد او ناقص
 شد اندر عصر او حاصل ، شد اندر وقت او حصان
 یکی ناموس کی خسرو ، دوم مقدار اسکندر
 سه دیگر نام افریدون ، چهارم ذکر نوشیروان

و مضاهای :

- بسبب ما امتاز به السلطان من عدل و امن شامل
- أصبح الأمن يشمل التدرج والفراخ البرية وحر الوحش والنمل في كل مكان
- فأصبحت التدرجة تعاشر «الشاهين» ، وأصبحت الفرخة البرية قرينة للصقر
- وأصبح حمار الوحش مؤنساً للضيفم ، وأصبحت النملة محرماً للثعبان ۱۱۰۰
- وفي ملك العالمين «سنجر» تستر أربع آيات
- توجد على الدوام في رايته ورأيه وجينته ووجهه
- ففي رايته الظفر والاقبال ؛ وفي رأيه الفوز وتحقيق الآمال
- وفي جينته زينة الدنيا والحال ؛ وفي وجهه نصر الإيمان والأبطال ۱۱۰۰
- وبنانه مخصص للعطاء ، وسنانه مخصص للجهاد الأعداء

ولقاؤه محبب في مجلس الأصدقاء ، ولوأوه مرتفع في ميدان القداء .. !!

— فأما بنانه فباسط للأرزاق . . . وأما سناناه فقابض للأرواح

وأما لقاؤه فسبب للهناء . . . وأما لوأوه فبرهان على الفتح والمضاء . . . !!

— وقد بطل شيء في رمنه . . . ونقص شيء في عهده

وحصل شيء في عصره . . . وقل شيء في وقته . . . !!

— فقد بطلت سطوة « كيوخسرو » . . . ونقصت رهبة « الاسكندر »

وحصلت معدلة « أفريدون » . . . وقلت شهرة « انوشيروان » . . . !!

ويعتمد « دولتشاه » على أسباب لا تراها كافية ولا شافية ، فينكر القصة المعروفة

عن « عبدالواسع الجبلي » وأنه في بداية شأنه كان فلاحا جلقا ، استطاع أن يلفت

إليه نظر واحد من الأثرياء الأقوياء ، بشرط أن يشرقاها على البديهة ، وأخذ

يردها دون أن يظن أن أحدا يصنعى إليه ، ليطردها بها بعض الإبل التي أغارت

على حقل من القطن كان يقوم على حراسته ، فأخذ يقول (٩) :

اشتر . دراز کرد تا . دانه چه خواهی کرد تا

کردن دراز میکنی . پنه بخوای خوردن

ومعناها :

— أيتها الإبل . . . يا ذات الرقاب الطويلة . . . !!

— إني أعلم ماذا تصنعين من حيلة . . . !!

— إنك تمدين رقبتك المستطيلة . . .

— لكي تأكل هذه الأقطان الجميلة . . . !!

* * *

(٩) يؤكد « دولتشاه » أنه لم ير هذه القصة في أي كتاب من كتب التاريخ المعتمدة ،

ولكن فاته أنها مذكورة في كتاب « تاريخ كريد » وهو من المصادر التي رجع إليها في

تأليف كتابه « تذكرة الشعراء » ويعتبر من كتب المصادر التي تعتمد عليها أكثر مما تعتمد

على تذكرته .

سوزنى:

السوزنى من أهل مدينة «نصف»^(١) أو «سمرقند» كما يقول «دولت شاه». واسمه الكامل «محمد بن علي السوزنى» وقد اشتهر بقول المزيّلات وبرع فيها أثناء شبابه، والظاهر أن أشعاره كانت لاذعة جداً حتى بالنسبة لأهل زمانه والوسط الذى عاش فيه؛^(٢) فإن «دولت شاه» الذى لم يعرف بالترزمت اعتذر عن أن يورد شيئاً من أمثلتها، بينما أحل لنفسه في غير امتعاض أن يذكر الأخبار الفاحشة التى وقعت بين «أبى العلاء الكنجوى» و«الحاقانى»، وكذلك فعل «عوفى» فاعتبر هزلياته مليئة بالحكمة ولكنه رأى من الخير أن «يقصر عنان البيان عن إبراد أمثلتها» ودعا الله أن يغفر ذنوب هذا الشاعر الخطيء لأنه تاب وأناب فى شيخوخته وقال جملة قصائد فى التوحيد والاستغفار.

وقد ذكر عوفى أنه اشتهر بلقب «السوزنى» لتمشقه غلاماً جميلاً كان يشتغل صيا لرجل يحترف صناعة الإبر^(٣).

وقد ذكر عوفى أيضاً أن «حميد الدين الجوهري» كان من خصوم «السوزنى» وقد تبودلت بينهما جملة من المعارضات الشعرية.

ويذكر «دولت شاه» أن السوزنى مات فى سنة ٥٦٩ هـ = ١١٧٣ م. كما أن صاحب «تاريخ كزنده» يقول إن الله عفا عن السوزنى لقوله هذا البيت من الشعر:

چار چين آورد ام با رب كه در گنج تو نيست
تو حاجت و حرم و گناه آورده ام

(١) المترجم: «نصف» مدينة كبيرة بين جيحون وسمرقند.

(٢) أورد صاحب «تاريخ كزنده» مثلاً واحداً من أشعار «السوزنى» يتألف من ثلاثة أبيات من الشعر استشهد بها فى تقرير رأيه بأن «السوزنى» جاوز حدود المقول فى هزلياته وقد كتب الشاعر هذه الأبيات فى الواحدة والخمسين من عمره ولم يشعر فيها بشيء من الندم أو الاستغفار. وقد ذكر «تاريخ كزنده» أن اسم «السوزنى» هو «أبوبكر بن السلخاني» وأنه من قرية «كلاش» من توابع «سمرقند».

(٣) المترجم: «سوزن» فى اللغة سارسية بمعنى: إبرة.

ومعناها :

— إني جالب لك ... ياربى ... أربعة أشياء لا توجد في كنوزك العامة

وهي : العدم والحاجة والذنوب والجرأثر الجائرة ... !!

ويقرر «السوزنى» نفسه أن حياته لم تخل من التقدر والتجريح ، وهو يقرر هذه الحقيقة ضمن قصيدة طويلة أوردتها « دولتشاه » في ص ١٠٠ من كتابه « تذكرة الشعراء » .

رقم براه ديو وقتادم بدام او وز ديو ديوتريشم از سیرت تباہ
يك روز ييگناه نبودم بعمر خویش گویا که بود ييگنہی نزد من گناه
هر گونه گناه ز اعضای من برست چون از زمین نم زده هر گونه گیاه
فردا بروز حشر که امروز منکرند اعضای من بود بر اعمال من گواه
ومعناها :

— لقد سرت في طريق الشيطان ووقعت في جائله انشائكة

بحيث تشيطنت أكثر من الشيطان ، وقتته في سيرته الخاطئة ... !!

— ولم أكن في يوم من أيام حياتي مبرأ من الآثام

حتى لقد خيّل لي أن البراءة منها واحدة من الجرائر العظام ... !!

— وقد نمت من سائر أعضاء مختلف الجرائر والأخطاء

كما تنمو الأعشاب في الأرض الحصبة الندّاء بالماء ... !!

— واليوم إذا أنكر المنكرون ذنوبهم ... ففي يوم الحشر في العداة

سكون أعضاء بدني شاهدة على أعمالي في غير مداراة ... !!

ويذكر « دولتشاه » أن ثلاثة من الشعراء يعتبرون من تلاميذ « السوزنى »

ومقلديه وهم :

١ — على الشطرنجى صاحب قصيدة « اللكلک » التي أوردتها « عوفى » في كتابه

لباب الألباب ج ٢ ص ١٩٩ — ٢٠٠

٢ - جنتي النخشي (١)

٣ - لامعي البخاري .

صغار الشعراء

من البعث أن نحاول في هذا القام ذكر سائر الشعراء الذين عاشوا في هذه الفترة وحققوا شيئاً من الشهرة أثناء حياتهم ، لأن أسماءهم قد عفى عليها القسيان وأصبح لا عيب لنا عن الرجوع إليها في كتب التواريخ والتراجم القديمة . وقد ذكر محمد عوفي في الباب العاشر من كتابه «اللباب» - وهو الباب الذي خصه لشعراء الفترة الأولى من عهد السلاجقة - أنه عاش في الفترة التي تنتهي بموت «سنجر» والتي هي موضوع دراستنا في هذا الفصل ، اثنان وخمسون شاعراً لا يدخل في عدادهم الشعراء من الأمراء والوزراء والأطباء الذين خصص لهم عوفي الشق الأول من كتابه . ولا شك أن جماعة من هؤلاء جديرون بالذكر في أي كتاب يكون أوسع مقاما من كتابي هذا ؛ ولكنني لن أحرز على التحدث عنهم في هذا المكان لسبب آخر هو أنني لم أكون عن شخصياتهم فكرة واضحة ، ولا عن آثارهم رأياً قاطعاً ؛ ومن هؤلاء :

«جوهري المهری» و «سمائي الروزی» (٢) و «أثير الدين المروزی» و «سيفي النيسابوری» و «روحي الولوالجي» و «رشيدى السمرقندى» و «أثير الدين الأخسيكى» و «أبو المعالى الرازى» و «قوامى الرازى» و «أبو الفرج الرونى» و «كوهيارى الطبرى» و «سيد حسن الغزنوى» و «عماد الدين الغزنوى» و «على بن أبى رجاء الغزنوى» (٣) .

(١) المترجم : النخشي نسبة إلى مدينة «نخشب» من مدن ما وراء النهر بين جيحون وسمرقند ؛ ويقول ياقوت في مجبه أن «نخشب» هي «نسف» قسماً .
(٢) المترجم : المهرى نسبة إلى مدينة «مهرآه» ؛ والمروزی نسبة إلى مدينة «مرو» .
(٣) المترجم : كل شاعر من هؤلاء منسوب إلى بلده . فالولوالجى نسبة إلى «ولوالج» بلد من أعمال «بخشان» خلف بلخ وطخارستان ؛ والأخسيكى نسبة إلى «إخبيكت» وهي مدينة بما وراء النهر وهي قصبه ناحية «فرغانه» على شاطئ نهر الشاش ؛ والرازى نسبة إلى مدينة «الرى» ؛ والرونى نسبة إلى مدينة «رونه» من خطه لوهور ؛ والغزنوى نسبة إلى مدينة «غزنه» ؛ والطبرى نسبة إلى ولاية «طبرستان» .

ولكني رغم إعراضي عن ذكر هؤلاء وأمثالهم ، أحسن تفسيرهم وخلوي من
دلائل الشهامة إذا أملت ذكر الشاعرة الأولى من شاعرات القرنين ، وبضيت عنها في
صمت وسكوت ، وهي الشاعرة « مهسي » .

مهسي :

لا يعرف من أمر « مهسي » إلا قليلا من الأخبار ، وما زال اسمها وضبطه
واشتقاقه من المسائل التي ليستقر عليها الرأي حتى الآن (١) . ويدلني - إذا لم نسيء
الظن بها كثيرا - أنها كانت طروية الزعة مريحة النفس ، وقد استخدمت « الرباعي »
في أكثر أقوالها ، ويقال إنها استطاعت أن تحوز رضا « السلطان سنجر » وحسن
قبوله عندما غادر مجلسه في ليلة من الليالي لتطير جواده فلما هم بفعل ذلك وجد
الثلج يثاقط ويغطي الأرض فقالت على البديهة الرباعية الآتية (٢) :

شاهها فلنك است سعادت زين كرد
وز جمله جسر وان ترا محسن كرد
دانا در حرکت سمد زرین نعلت
بر كل تنهد پای زمین سیمین كرد
ومعناها :

- أيها الملك ... لقد أسرج الفلك لك جواد السعادة والهناء
- وميزك على سائر الملوك بالعزة والقدرة والسناء ...
- وجعل لك الأرض قضية الأديم ، ناصعة الوجه ، بيضاء
- حتى لا يبطأ جوادك - محدوته الذهبية - طينتها الغبراء ...

وقد ذكروا أن « مهسي » كانت معشوقة للشاعر « تاج الدين أحمد بن الخطيب
الكنجوي » . ونقل صاحب « تاريخ كزينة » في كتابه جملة من الرباعيات التي

(١) يضبطونها أحيانا بكسر الهمزة وسكون الهاء وكسر السين فيقولون « مهسي » ، وأحيانا
بكسر الهمزة وفتح الهاء وسكون السين فيقولون « مهسي » ، وأحيانا بفتح الهمزة وسكون الهاء
وفتح السين فيقولون « مهسي » .

(٢) أنظر ، تذكرة الشعراء ، ص ٦٥ .

بودلت بينهما ، كما أورد بالإضافة إلى ذلك رباعيتين أخريين وجهتهما «مسيق» إلى جزار غاب كانت تشعقه وتهم به ، وقد كتب « اعتماد المظنة » مقالا قصيرا عنها في الجزء الثالث من كتابه « خيرات حسان » وهو كتاب يتضمن سير مشيرات النساء ، ولكن هذا المقال لا يكشف عن جديد تزود به بشأن حياتها وآثارها ، ولم نذكره في هذا المقام إلا لنبه القارئ إلى أن الرباعية التي تسبق الأخيرة من بين الرباعيات النسوبة إليها في هذا الكتاب إنما هي من قول شاعرة أخرى ، هي « بنت التجارية » كما يقرر ذلك صاحب « تاريخ كريمة » .
ولابد لنا أيضا أن نذكر أن من أهم صفات الشعراء الذين ظهرُوا في هذه الفترة الشعراء الثلاثة الآتية أسماؤهم :

١ - فريد كاتب أو فريد دبير وكلاهما بمعنى فريد الكاتب .

٢ - عماد زوزني أو عماد الزوزني .

٣ - سيد حسن الغزنوي .

وقد أنشأ « فريد الكاتب » عند هزيمة « سنجر » على أيدي « الغز » في سنة ٥٣٥ هـ = ١١٤٠ م الرباعية التالية التي اشتهرت شهرة بالغة حتى ترى لزوما علينا أن ننقلها في هذا المقام :

شاهز سنان تو جهانی شد راست تیغ تو چهل سال ز اعدا کین خواست
گر چشم بدی رسید آن هم ز قضاست کان کسی که یک حال بماندست خداست
ومعناها :

— أيها الملك . . . لقد استقامت الدنيا بفضل سنائك ومضائك

— وتأثر سيفك ، أربعين سنة ، من خصومك وأعدائك

— فإذا أصابك الآن عس . . . فما ذلك إلا من تقدير قضائك

— والله وحده هو الذي يبقى على حال واحدة ؛ فلا تحزن لبلائك . . . !

أما أشهر الشعراء إطلاقا من بين الشعراء الذين اتصل ذكرهم بقصر « سنجر » فهو الشاعر « الأنثوري » وسندرسه بالتفصيل في الفصل التالي مع اثنين آخرين من معاصريه الشأن هما « الحافظي » و « نظامي الكنجوي » فإن هؤلاء الثلاثة أهمية بالغة تكسبهم الحق في دراسة واسعة مفصلة .

التوايف الفارسية المنشورة في هذا العصر

تناولنا بالبحث فيما سبق كتابين من أهم الكتب الفارسية المنشورة التي ظهرت في هذا العصر وهما :

- ١ — « حقائق السحر » : تأليف رشيد الدين الوطواط .
 - ٢ — « چهار مقاله » : تأليف نظامى العروضى السمرقندى .
- وقد تحدثنا أيضا بعض الحديث عن « الفزالى » ومؤلفاته ويكفى أن نذكر للقارىء في هذا المقام أن أهم مؤلفاته الفارسية هو كتاب :
- ٣ — « كيمياء سعادت » : أو كيمياء السعادة وهو عبارة عن مختصر لكتابه الموسع الذى كتبه بالعربية باسم « إحياء العلوم » .
- وبقى علينا أن ننبه القارىء إلى ثلاثة كتب منشورة أخرى جديرة بالذكر والدراسة وهى :

- ٤ — « ذخيره خوارزمشاهى »
 - ٥ — « مقامات حميدى » وهى مقامات مكتوبة بالفارسية
 - ٦ — « كليله ودمنة » كما ترجمها « أبو المعالى نصر الله »
- وستتحدث فيما يلى عن هذه الكتب الثلاثة .

ذخيره خوارزمشاهى :

وهى عبارة عن موسوعة طبية، وضعها في بداية القرن السادس الهجرى (الثانى عشر الميلادى) « زين الدين أبو إبراهيم إسماعيل الجرجانى » وأهداها إلى « قطب الدين خوارزمشاه » والى السلطان « أتسز » ، وهى غير جديرة بإضاعة الوقت في التحدث عنها ، لأنها لا تدخل في دائرة الآثار الأدبية الفنية ، وهى في رأيى - عبارة عن مختصر أو تلخيص للنظريات الطبية والتجريبية التي اتبعها « ابن سينا » وخلفاؤه .

وقد وضعها صاحبها باللغة الفارسية لتكون في متناول الهواة الذين لا يحسنون فن التطبيق أو لا يجيدون معرفة اللغة العربية (١)

مقامات صمبى :

وضع هذه المقامات « القاضى حميد الدين أبو بكر البلخى » من معاصرى « الأنورى » ومندوحه . وهى تقليد فارسى للمقامات العربية الدائمة الصيت التى وضعها « بديع الزمان الهمداني » و « الحريرى » اللذين يرجع إليهما الفضل فى إبداع هذا الأسلوب المصنوع والعمل على ترويقه .

وقد بدأ « حميد الدين » وضع مقاماته الفارسية فى صيف سنة ١١٥١ هـ = ١١٥٦ م وقد ذكر صاحب « چهارمقاله » أن هذه المقامات تعتبر نموذجاً للبلاغة وجودة الأسلوب . وهى عبارة عن ثلاث وعشرين مقامة أو أربع وعشرين مقامة كما اشتملت عليها النسختان المطبوعتان على الحجر فى طهران وكانپور . وقد توفى « حميد الدين » فى سنة ١١٦٤ هـ = ١١٦٤ م .

ووصف « ريو » مشتملات هذه المقامات وصفا شاملاً (٢) . وهى بلا شك لا تبلغ مبلغ زميلاتها العربية من حيث الموضوع والسبك والبراعة فى الأداء ، ولكنها مع ذلك حازت كثيراً من إعجاب الفرس وتقديرهم كما تشهد بذلك الآيات الآتية من شعر الأنورى : (٣) :

هر سخن كان نيست قرآن يا حديث مصطفى
از مقامات « حميد الدين » شد اكنون ترهات

(١) رجع إلى وصف « ريو » محتويات هذا الكتاب فى فهرست المخطوطات النادرة فى المتحف البريطانى ص ٤٦٦ — ٤٦٨ .

(٢) نص للرجع ص ٧٢٧ .

(٣) وردت هذه الآيات فى ص ٢٥١ من طبعة تجرير سنة ١٣٦٦ هـ وفى ص ٦٠٢ من طبعة لكتو سنة ١٣٩٧ م .
[الترجم : قلت النص الفارسى عن الطبعة الأخيرة .]

اشك اعمى دال مقامات «حریری» و «بديع»

پیش آن دریای مالامال از آب حیات

شاد باش ای عنصر محمودیان را روی تو

رو که تو محمود عضری ما بتان سومنات

از مقامات تو کز فصلی بخوانم بر عذات

حالی از نا منطقی جذر اصم یابد نتجات

عقل کل خطی تأمل کرد از و گفتا عجب

علم اکسیر سخن داند مگر افضی القضا

دیر مان ای رای قدرت عالم تأیید را

آفتابی بی زوال و آسمانی با ثبات

و معناها :

— کل کلام لا یكون من الأحادیث النبویة أو من القرآن وآياته

أصبح بعد مقامات «حمید الدین» من لغو القول وترهاته ... ۱۱

— فاعتبر مقامات «الحریری» و «بديع الزمان» هی جموع العمیان

و أما مقامات «حمید الدین» فی الحجار الملیئة بماء الحیاة ... ۱۱

— فاسعد حالا ... یا من أنت طلیعة الشعراء المبرزین

وسر قدما ... فإنک «محمود» هذا العصر ... وما نحن إلا أصدان

«سومنات» (۱)

— ولو أنني قرأت فصلا من مقاماتک ، لاستطاع فی الغداة

أن ینجو الأصم الأبکم بما به من یکم وصمم ... ۱۱

— ولقد تأملک «العقل الکلی» فقال یا للعجب العجائب ... ۱۱

إنما يعرف أفضی القضاة (ای حمید الدین) علم کثیر الکلام ... ۱۲

(۱) الترجم : «سومنات» هی التي غزاها السلطان محمود الغزنوی وحطم ما بها من أصدان

ففى نظريه... يا صاحب الراى القدير... فإنك فى عالم التأليف...
فليس لا تقرب ولا تزول ، وسماء مستقرة ثابتة كل الثبات...
وختلف ترتيب المقامات وهما لاختلاف النسخ . وأماؤها فى نسخة طهران
تختلف عن نظائرها فى النسخة المخطوطة التى وصفها الدكتور «زبو» : وبعض هذه
المقامات ما هو فى الحقيقة إلا « مناظرات » كالمقامة المتعلقة بالشباب والشيب ،
والمعلقة بالسنى والشيعى ، والمعلقة بالطبيب والنجم ؛ وبعضها يتحدث عن موضوعات
مختلفة كالربيع والحب والحريف والجنون ؛ وبعضها عبارة عن ألغاز أو أحاجى أو
معجمات ؛ كما أن بعضها الآخر يتناول موضوعات قهية أو تأملات صوفية . وهناك
مقامتان من النوع الوصفى ، وصف فيهما المؤلف مدينتى « بلخ » و« سمرقند » ولقد
خيل لى أنهما تشتملان على كثير من الأخبار الحقيقية الموثوق بها ، بل وعلى أخبار
الرجال الذين عاشوا فيهما ، ولكن سرعان ما تحطمت آمالى عندما تحققت بأن
الناحية اللفظية قد غطت على الناحية الموضوعية وطف عليها .

وأسلوب هذه المقامات الذى يمتاز بالتصنيع والتكلف لا يسمح بنقلها إلى لغة
أخرى ، لأن « الأسلوب » هو عماد هذه المقامات ، وأما « الموضوع » فيعتبر أمراً ثانوياً
بالنسبة له ، ومن أجل ذلك فإنا إذا شئنا أن نعطى القارىء فكرة عن هذه المقامات
فى أصلها الفارسى وجب علينا ألا نترجم فيها بل أن نفسر ونحاول التلخيص والتقليد ،
وفما يلى مثل أخذناه من وصف مدينة « بلخ » قبل غارة « الغز » عليها فى سنة
٥٤٨ هـ = ١١٥٣ م وما أطابها بعد هذه الغارة (١) :

« روى بصوب خراسان نهادم ، چون بسرحد آنولایت رسیدم از واردان
بلخ دیگر گونه حکایت شنیدم

ومن يسأل الركبان عن كل غائب فلا بد أن يلقي بشيرا وناعيا

(١) هذه هى المقامة المعروفة فى طبعة طهران وقد نقلت منها القطعة الواقعة فى ص ٩٦٥
[الترجم : نشر الأستاذ على أصغر الهمدانى هذه المقامات فى مدينة تبريز سنة ١٣١٢ هـ] .

ثقافة رواة خبر دادند که مشتایی که مقصود و مقصد نه بر نطق و نسق عهد گذشته ، و ایام نوشته است ، آن همه نسیمها بسموم بدل شده است ، و آن همه شکرها بسموم عوض گشته ، از ریاحین این بساتین بجز خار نیست ، و از آن آقداح آفراح در سر جز خمار نه ، معشوق را در لباس خواری و جامه سوگواری شاید دید ، و مربع یاران در خلقان یمرادی مشاهده نباید کرد

أمن أم أوفى دمنة لم تكلم

گفتم چشم بد کدام ناظر بر این ریاض ناضر باز خورد ، و کدام صوم ثقاق آن انتظام و انتساق را از هم جدا کرد .؟! گفتند که ای جوان .. طوارق حدثان و نوازل زمان را جنس این تصرف بسیار است ، و أمثال این دستبرد بیشمار ، و ان الدهر ظلام ، و لیس البیان کالعیان . بران تابدانی و پرو تا ببینی که ذکر غایب از جمله معایب است «

و ترجمتها : (۱)

«فانصرفت عن هذا المكان ، واتجهت صوب خراسان ؛ فلما بلغت حدود هذه الولاية ، وانتهيت إلى هذه الغاية ، سمعت من بعض من وردوا مدينة «بلخ» حكاية غريبة للغاية :

ومن يسأل الركبان عن كل غائب فلا بد أن يلقي بشيرا وناعيا

فقال لي الثقافة من الزواة ، تمهل ولا تعجل ، فقصودك ومقصودك ليسا على نعط العهود السابقة ، ولا على نسق الأيام السالفة ، فقد تبدلت النسائم بالسموم ، والحلوى بالسموم ؛ ولم يبق من رياحین البساتین إلا أشواکها ، ولم یبق فی الرؤوس من آقداح الراح إلا خمارها ، ولا یجوز رؤية المعشوق فی لباس الهوان ، متدترا بشباب الأحزان ؛ کما لا یجب مشاهدة مربع الأجاب ، وقد رانت علیه الذلة وخیم علیه الخراب .

(۱) المترجم : لم يذكر الأستاذ «براون» النسخ الفارسی وإنما ذكر ترجمته وحاول أن يسجع العبارات الانجليزية ليحلل الفارسی الانجليزية صورة عن أسلوب هذه اللغات . وقد ترجمتها أنا أيضا مسجعة لاعتيادنا هذا الأسلوب في العربية .

«أمن أم أوفى دمنة لم تكلم»

قلت لهم : أى النواظر أصابت بالحسد هذه الرياض النواضر ... ؟! وأى سموم
النفاق قد شتت هذا الانتظام والاتساق ... ؟!
فقالوا لى : أيها الشاب الكريم والفق العظيم ... ! ان طوارق الحدثنان ، ونوازل
الزمان ، لها أمثلة كثيرة من هذه التصرفات ، وأشياء لا يحصيها العدمن هذه الكوارث
والآفات ، وأن الدهر ظلام ، وأيس الخبر كالبيان ، فتقدم حتى تعلم ، واذهب بقدميك
حتى ترى الأمر بعينيك ، فالتحدث عن الغائب ، محدود في جملة العيوب والشوائب .

كليب ودمنة :

انتقل الآن إلى الحديث عن ثالث الكتب الفارسية المنشورة التى ظهرت فى هذا
العصر ، وأعنى به الترجمة الفارسية التى قام بها «نظام الدين أبوالمعالى نصرالله» للنسخة
المشهوره من كتاب «كليه ودمنه» وهى التى كتبها بالعربية «عبد الله بن القفيع» .
وقد وضع «أبو المعالى» هذه الترجمة الفارسية امثالاً لأمر «بهرامشاه الغزنوى»
ثم أهداها إليه . (وقد حكم هذا السلطان من سنة ٥١٢هـ = ١١١٨م إلى سنة ٥٤٤هـ
= ١١٥٠م ؛ وقيل إلى سنة ٥٤٧هـ = ١١٥٣م أو إلى السنة التالية (١) .) وقد
وضعها أبو المعالى على كل حال بعد سنة ٥٣٩هـ = ١١٤٤م كما يقول بذلك «ريو» (٢) .
وقد أشار «ريو» أيضا إلى أن هذه الترجمة نالت كثيرا من الإعجاب فى إيران بحيث إن
مؤرخ المغول ومادحهم «الوصاف» يجعلها مثالا للفصاحة والبلاغة ، كما أن صاحب
«هفت إقليم» يقرر أن سائر المنشورات الفارسية لا تبلغ مبلغها من حيث الجودة
وجس السبك .

وقد طبعت هذه الترجمة على الحجر فى مدينة طهران سنة ١٣٠٥هـ = نهاية

(١) التاريخ الأول وارد فى كتاب «تاريخ كزیده» والثانى فى «روضة الصفاء» والثالث
فى «ابن الأثير» .

(٢) أنظر : فهرست المخطوطات الفارسية المحفوظة فى المتحف البريطانى من ٧٤٥-٧٤٦

سنة ١٨٨٧ الميلادية ، وسأشير إلى هذه الطبعة كما أوجزني الأمر إلى ذلك (١) .
 وأول ما أقرره في هذا الموضوع هو أن الكتب العالمية التي ترجمت إلى «كليلة ودمنة» قليلة جدا ، كما أن الكتب التي ترجمت إلى سائر اللغات مثل «كليلة ودمنة» نادرة جدا . وأصل هذا الكتاب هندي ، أحضروه إلى إيران في القرن السادس الميلادي أثناء حكم «كسرى أنوشيروان» ثم ترجموه إلى اللغة «الهلوية» ثم نقلت الترجمة الهلوية مباشرة إلى اللغة السريانية وإلى اللغة العربية ، ثم نقلت النسخة العربية إلى كثير من اللغات الشرقية والغربية .

وقد وضع «كيث فولكنر» بالتفصيل تاريخ «كليلة ودمنة» في كتابه الذي طبعه في سنة ١٨٨٥ م في مطبعة جامعة كامبردج بعنوان «كليلة ودمنة أوقصص نيدبا» (٢) وقد أورد في ص (٨٥) من المقدمة جداول وافية تبين لنا العلاقة بين هذه النسخ المختلفة وتواريخها ، وتبين لنا أن جميع هذه النسخ متقولة عن النسخة الهلوية المفقودة التي نقلت في سنة ٥٧٠ م إلى السريانية القديمة ، ثم نقلها «ابن المقفع» حوالي سنة ١٣٣ هـ = ٧٥٠ م إلى اللغة العربية ، ولا يشذ عن ذلك إلا النسخة «التيبية» فهي وحدها التي نقلت عن اللغة «السنسكريتية» مباشرة . . أما سائر النسخ المعروفة من هذا الكتاب فشتقة من نسخته العربية التي كتبها ابن المقفع ؛ ويدخل في عداد هذه النسخ الترجمة السريانية المتأخرة التي وضعت في القرن العاشر أو الحادي عشر الميلادي (٣) وكذلك الترجمات اليونانية والفارسية والعبرية (٤) ، واللاتينية (٥) ، والإسبانية والإيطالية والسلافية والتركية والألمانية .

(١) ناسر هذه الطبعة هو د. محمد كاظم الطباطبائي ، وقد ذكر أن هذا الكتاب طبع مرتين قبل ذلك في سنة ١٢٨٢ هـ ثم في سنة ١٣٠٤ هـ .

(٢) أنظر: Keith Falconer: Kalilah and Dimnah, or the Fables of Bidpai, Cambridge. 1885

(٣) نشر الأستاذ «رايت Wright» هذه النسخة السريانية المتأخرة في سنة ١٨٨٤ م .

(٤) أنظر: Derenbourg: Deux versions hébraïques du livre de: Kalilah et Dimnah.

(٥) في سنة ١٨٨٧ م . حضرت كلية الدراسات العليا بباريس النسخة اللاتينية التي

والإنجليزية والدنماركية والفهلندية والفرنسية. وآخر هذه الترجمات وأحدثها من الناحية الزمنية هي الترجمة الفرنسية التي بدأها « جالاق Galland » وأكملها

« كاردون Cardonne » في سنة ١٧٧٨ م.

ونسخته « أبي المعالي » هي أقدم الترجمات الفارسية الموجودة في أيدينا ، ولم يسبقها فيما نعلم إلا الترجمة المنظومة المفقودة التي تولاها « الرودي » قبل ذلك بسنوات كثيرة .

أما خير الترجمات الفارسية لقصة « كليله ودمته » فهي بغير شك الترجمة التي قام بها « حسين الواعظ الكاشفي » في نهاية القرن التاسع الهجري أو الخامس عشر الميلادي وقد اشتقت من هذه الترجمة النسخة الفارسية الثالثة التي تعرف باسم « عيار دانش » أي « عيار المعرفة » وهي التي وضعها « أبو الفضل » للسلطان « أكبر » ، وكذلك النسخة التركية التي وضعها « علي جلبي » للسلطان سليمان الأول باسم « همايون نامه » أو الكتاب الملكي . وكلاهما من كتب القرن العاشر الهجري أي السادس عشر الميلادي .

وقد هدف صاحب « أنوار سهيلي » — كما يظهر — إلى تبسيط نسخة « نصر الله » وإذاعتها ولكنه أخفق في ذلك فكان أساوبه أكثر تصنعا وتكلفا ، وللمقارنة بين الأساليب المختلفة لهذه الترجمات سأنقل للقارئ قصة « الثعلب والظيل » كما وردت في سائر النسخ المختلفة ، وهي القصة التي تأتي في بداية باب الأسد والثور . وفيما يلي نصها وفقا لنسخة ابن المقفع العربية (١) :

« قال دمنه : زعموا أن ثعلبا أتى أجرة فيها طبل معلق على شجرة ، وكما هبت
« الريح على قضبان تلك الشجرة حركتها فضربت الطبل فسمع له صوت عظيم
« باهر . فتوجه الثعلب نحوه لأجل ما سمع من عظيم صوته ، فلما أناه وجده ضحيا »

وضمها « جون كابوا : John of Capua » جوال سنة ١٢٧٠ م. بعنوان Directorium vitae Humanae . وقد اعتمد فيها على النسخة العربية القديمة التي اعتمدت مباشرة على

نسخة ابن المقفع العربية .

(١) أنظر مطبعة بيروت سنة ١٨٨٤ م ص ١٠٦ .

« فَأَيُّقِن فِي نَفْسِهِ بَكْتَرَةُ الشَّحْمِ وَاللَّحْمِ ، فَجَالَجَهُ حَتَّى شَقَّهَ ، فَلَمَّا رَأَى أَجُوفَ لَاشٍ »
 « فِيهِ قَالَ : لَا أَدْرِي لِمَلِ أَقْشَلُ الْأَشْيَاءِ أَجْبَرُهَا صَوْتَا وَأَعْظَمُهَا جَثَّةٌ ... !! »
 و فِيمَا بَلَى نَصَ هَذِهِ الْحِكَايَةِ فِي نَسْخِهِ « نَصَرَ اللَّهُ » الْفَارْسِيَّةُ (۱) :

« دمنه گفت : آورده اند که روباهی در بیشه رفت. آنجا طبلی دید در پهلوی
 « درختی افکنده ، و هرگاه باد بمحسّی شاخ درخت بر طبل رسیدی آواز
 « سَهْمَنَکْ بگوش روباه آمدی . چون روباه ضخامت جثه بدید ، و مهابت
 « آواز بشنید طمع در بست که گوشت و پوست او فراخور آواز باشد ،
 « میکوشید تا آنرا بدید . الحق جز پوستی بیشتر نیافت . مرکب ندانست
 « در جولان کشید و گفت : ندانستم که هر بجا جثه ضخیم تر و آواز هایلتر
 « منفعت آن کمتر ... !! »

أما « أنوار سهیلی » فيخط هذه القصة على النحو الآتي (۲) :

« دمنه گفت : آورده اند که روباهی در بیشه میرفت ، و بنوی طعمه هر
 « طرف می گشت . پیای درختی رسید که طبل از پهلوی آن آویخته بودند
 « و هرگاه بادی بوزیدی شاخی از آن درخت در حرکت آمده بر روی
 « طبل رسیدی و آواز سَهْمَنَکْ از آن بر آمدی . روباه بزیر درخت مرغ
 « خانگی دید که منقار در زمین میزد و قوتی می طلید . در کمین نشسته
 « خواست که او را صید نماید که ناگاه آواز طبل بگوش او رسید . نگاه
 « کرد . جثه دید بمحابت فربه و آواز وی مهیب استماع افتاد . طامعه روباه
 « در حرکت آمده با خود اندیشید که هر آئینه گوشت و پوست او فراخور
 « آواز خواهد بود . از کمین مرغ بیرون آمد و روی بدرخت نهاد . مرغ از »

(۱) أنظر طبعة طهران على الحجر سنة ۱۳۰۵ هـ من ۷۹ .

[المترجم : نقلنا النص عن نسخة طهران سنة ۱۳۱۲ هـ من ۸۰ .]

(۲) أنظر « أنوار سهیلی » طبع طهران على الحجر سنة ۱۳۷۰ هـ من ۵۸ - ۵۹ .

[المترجم : وقد اعتمدنا نحن على نسخة كانبور المطبوعة سنة ۱۸۸۰ م من ۹۱ .]

« آن واقعه خبر دار شده بگریخت ، وروباه بصد محنت بدرخت برآمد .
 « بسی بکوشید تا آن طبل را بدید . جز پوستی و پاره چونی هیچ نیافت .
 « آتشی حسرت در دل وی افتاد ، و آب ندامت از دیده پاریدن گرفت ،
 « وگفت : دریغ که بواسطه این جثه قوی که همه باد بود ، آن صید حلال
 « از دست من بیرون شد ، وازین صورت بیمعنی هیچ فائده بمن نرسید...!!»
 « دهل در قعاست دایم ولی
 « چه حاصل چو اندر میان هیچ نیست (۱)
 « گرت دانشی هست معنی طلب
 « بصورت مشو غره کان هیچ نیست »

ویدو من هذا المثل أن نص هذه القصة كما وردت في « أنوار سهلی » قريب جدا من أصله ، وإن كان قد دخله بعض التخصيص والزيادة . ومع ذلك فهو مشحون بالمبالغات النافذة ، والكلمات الغامضة ، والتشبيهات السخيفة ، والمجازات البعيدة ، والتعابير الباردة ، بحيث يمثل لنا تماما أسوأ الأساليب التي اتبعها الكتاب المصنفون الذين عاشوا في رعاية التيموريين فيما وراء النهر والأجزاء الشمالية الشرقية من إيران خلال القرنين التاسع والعاشر الهجريين أو الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين ، والذين انتقلوا — مع الأسف — في ركاب « بابر » إلى الهند فأصبحوا القدوة التي يحتذيها أهل هذه البلاد المعزومون بالتعابير المنعقة والعبارات المزوقة . وربما كان هذا هو أهم الأسباب التي أدت إلى أن أهل الهند لم يحببوا على الإطلاق بالفارسية البسيطة الخالصة ولم يتجوا فيها شيئا من الأدب ، بل اتجوا طائفة متجذلة من الكتاب ممن ينشئون بالفارسية المتكلفة ، وهم يشبهون تماما طائفة المتخلفين الذين

(۱) المترجم : تختلف هذه القصة عن القصة التي رواها ابن المقفع في أنها تصور الثعلب وقد كمن في البداية ليصيد فرخة ولكنه عندما استمع إلى صوت الطبل ترك الفرخة وطمع في الطبل فلما صعد الشجرة وتحقق من حقيقة الطبل وأنه أجوف ، تقدم على ترك الفرخة وإفلات الصيد من يده بببارات مشورة اتبعت باليتين اللذين انتهت بهما القصة .

ينشئون حاليا بالإنجليزية - التكلفة التي تطرأنا أمثلتها المضحكة الواردة في كتاب « ترجمه حياة القاضي موكرجي » (١).

ولكى أتم مقارناتي أقبل فيما يلي قصة « الثعلب والظيل » كما وردت في النص اللاتيني الذي وضعه « جون كابوا » جوالى سنة ١٦٦٩ هـ = ١٢٧٠ م. اعتمادا على النسخة العبرية المنقولة عن العربية ، وترجمته كما يأتي : (٢)

« يقول دمنه : كان ثعلب يتجه نحو نهر . وكان بقرية شجرة قد علق عليها
« ظيل ، وكانت الريح تحرك أغصان الشجرة فتحدث صوتا ، فلما رآها الثعلب
« ظنها حيوانا مميئا مليئا باللحم فزقها ولكنه وجدها خالية خاوية ... !!
« يقول دمنه : أننى لا أعتقد أن الأشياء ذات الحجم الكبير والصوت المرتفع
« يكون لها في نفسها قوة ... !! ثم سار في طريقه وانصرف عائدا ... !! »

الكتب العربية في هذا العصر

لم يبق علينا الآن إلا أن نذكر أهم الكتب العربية الخالدة التي تم وضعها في هذا العصر . ومن الحق على أن أنه القارئ إلى أن اختيار المجموعة الجديرة بالذكر من بين هذه الكتب ليس أمرا ميسورا ولا سهلا ، ومن أجل ذلك فقد عمدت

(١) انظر : Biography of Honble. Chief Justice Mookerjee.

(٢) فيما يلي النص اللاتيني كما جاء في طبعه درنبورج ص ٥٠

Ait Dimna : « Fuit vulpes quidam ambulans versus flumen, circa quod suspensum erat cimbalum in arbore, ventus autem ramos arboris agitabat et propulsabatur cimbalum. Et cum vulpes videret, estimavit esse aliquod pingue animal et plenum carnibus, que cum sciudere ipsum, invenit ipsum concavum et vacuum. El ait: « Nolo credere res magni corporis et fortis vocis in se habere potentiam » et abiit in viam suam . »

إلى اختيار الكتب التي أظنها مفيدة لدراسي الفارسية باعتبارها من المراجع التي يضطرون إلى اللجوء إليها بصرف النظر عن أخواتها العربية التي ترجحها شهرة وبعد صيت .

وأهم كتاب العربية وعلماؤها الذين توفوا في هذا العصر الذي ندرسه هم الآتون بحسب ترتيبهم الزمني :

١ — « الزوزني » : المتوفى سنة ٤٨٦ هـ = ١٠٩٣ م ، وهو عالم لغوي اشتهر بتفسيره للعلاقات السبع . وقد وضع أيضاً معجمين بالعربية والفارسية ، أحدهما هو « ترجمان القرآن » ليستفاد به في قراءة القرآن وفهمه .

٢ — « التبريزي » : المتوفى سنة ٥٠٣ هـ = ١١٠٩ م وهو أيضاً عالم لغوي اشتهر من بين مؤلفاته « شرح الحماسة » و « شرح العلقات » . وقد كان تلميذاً للشاعر العظيم « أبي العلاء المعري » .

٣ — « الغزالي » : وهو « حجة الإسلام » المتوفى سنة ٥٠٥ هـ = ١١١١ م وقد درسنا حياته ومؤلفاته في الفصل السابق :

٤ — « الروياني » : وهو عبد الواحد الروياني الذي قتله واحد من الحشاشين في مدينة « آمل » عندما كان يقوم بالتدريس والمحاضرة .

٥ — « الطغرائي » : صاحب « لامية العجم » ووزير السلطان مسعود السلجوقي ، وقد أعدم حوالي سنة ٥١٤ هـ = ١١٢٠ م

٦ — « الحريري » : المتوفى سنة ٥١٥ هـ = ١١٢١ م ، وهو صاحب « المقامات » التي ذاع صيتها ، وقد أنشأها للوزير « أنوشروان بن خالد » المتوفى سنة ٥٣٣ هـ = ١١٣٨ م وهو صاحب « تاريخ السلاجقة » الذي طبعه « هوتما » في مدينة ليندن سنة ١٨٨٩ م ضمن مؤلف البنداري .

٧ — « الفراء البغوي » : المتوفى سنة ٥١٦ هـ = ١١٢٢ م وهو فقيه وعهدت

اشتهر من كتبه تفسير للقرآن بعنوان « معالم التنزيل » .

٨٧ - « الميداني النيسابوري » : المتوفى سنة ٥١٨ هـ = ١١٢٤ م وقد سار ذكره مؤلفه الجامع للأمثال العربية .

٩ - « ابن عبدون » : المتوفى سنة ٥٢٠ هـ = ١١٢٦ م ، وهو من أهل الأندلس ، وقد اشتهر بقصيدته التاريخية الطويلة التي شرحها فيما بعد واحد من مواطنيه هو « ابن بدرون » المتوفى حوالي سنة ٥٨٠ هـ = ١١٨٤ م .

١٠ - « الزمخشري » : المتوفى سنة ٥٣٨ هـ = ١١٤٣ م وهو من رجال المعتزلة وصاحب التفسير الكبير المعروف بـ « الكشف » وكذلك صاحب جملة من المعاجم اللغوية بالعربية والفارسية .

١١ - « الجواليقي » : المتوفى سنة ٥٤٠ هـ = ١١٤٥ م وهو من علماء اللغة وصاحب « العرب » في الكلمات الأعجمية المستعملة في اللغة العربية .

١٢ - « الشهرستاني » : المتوفى سنة ٥٤٨ هـ = ١١٥٣ م وهو صاحب « كتاب الملل والنحل » .

١٣ - « اللسقي » : وهو تجم الدين أبو حمص عمر المنسوب إلى مدينة نيساب المعروفة أيضا باسم « نجشب » وقد توفي سنة ٥٣٧ هـ = ١١٤٢ م ويعتبر من أئمة فقهاء الحنفية في زمانه .

١٤ - « الطوسي » : وهو الفقيه الشيعي المتوفى سنة ٤٦٠ هـ = ١٠٦٧ م وصاحب مجموعة الكتب الشيعية التي نشرها « سمرنجر » في مدينة كلكتا سنة ١٨٥٣ - ١٨٥٥ م .

١٥ - « الطبرسي » : وهو أيضا من فقهاء الشيعة ، وقد توفي سنة ٥٤٨ هـ = ١١٥٣ م .

وأكثر هؤلاء الكتاب — كما هو ظاهر — من أصل فارسي ، ولكن دراستهم بالتفصيل تعتبر من موضوعات « الآداب انغرية وتاريخها » ، ولا مجال لها في هذا الكتاب حتى لو اتسعت لذلك صفحاته واستوعبتها أوراقه . ومع ذلك فإنني أنبه كل جاد في الاشتغال بتاريخ الآداب الفارسية بأن يعود نفسه على الاطلاع على أكثر مؤلفات هؤلاء الكتاب بين الفينة والفينة ، لأن اللغة العربية — كما أشرنا إلى ذلك من قبل — ظلت تحافظ على مكانتها في إيران كلغة للعلوم والآداب حتى كانت غارة المغول وسقوط بغداد في منتصف القرن السابع الهجري والثالث عشر الميلادي ؛ وقد ألفت فيها المؤلفون أكثر كتب المراجع التي لا يستغنى عنها الطالب الجاد والدارس المتخصص ، وربما كان من الخير أن أفصل الحديث قليلا عن بعض هؤلاء الكتاب ولنبداً بالباخرزي فقد توفي سنة ٤٦٨ هـ = ١٠٧٥ م وكان لزاماً علينا أن ندرسه في الفصل السابق لولا ما وقفنا فيه من سهو وإغفال .

الباخرزي :

هو « أبو القاسم علي بن الحسن بن أبي الطيب الباخري » وقد اشتهر بقول الشعر وكتابة تراجم الشعراء . وقد كتب عنه صاحب « اللباب » باعتباره شاعراً ، فترجم له ترجمة مطولة في الجزء الأول من كتابه في الصفحات من ٦٨ إلى ٧١ ، أما باعتباره من أصحاب كتب التراجم فقد استطاع « الباخري » أن يتم كتاب « يتيمة الدهر » الذي وضعه « الثعالبي » من قبله ، فأكمل به كتابه « دمية القصر » وضعه سير حياة ٢٢٥ شاعراً من المعاصرين وعشرين رجلاً من أهل الفضل لم يؤثر عنهم شيء من الشعر^(١) . ومن الأسف أنه قصر عنايته على ذكر الشعراء الذين صاغوا شعرهم بالعربية ، وأغفل ذكر شعراء الفرس ، ولو أنه تحدث عنهم لكان حديثه مصدراً لكثير من الأخبار الصادقة الصحيحة .

(١) لهذا الكتاب مخطوطتان في المتحف البريطاني تحت رقم Add ٩٥٩٩١ ورقم Add ٣٣٣٧١

أما أشعار «الباخرزى» نفسه، فبعضها عربى وبعضها فارسى، وقد كتب عنه العوفى فقال: «لقد أصبح فى اللتين علماً يرتفع فوق أرجاء العالم، وتمكن من أن يسلب فضلاء الزمان قصب السبق فى هذين اللسانين».

وكان «الباخرزى» فى شبابه كاتباً للسلطان «طغرل» السلجوقى ثم فضل حياة العزلة فاستقال من منصبه وعاش عيشة لاهية عابثة انتهت بمقتله فى سنة ثمان وستين وأربعمائة الهجرية (= ١٠٧٥ م) أثناء ثورة من ثورات الشراب كما يظهر.

ويذكر «العوفى» فى الجزء الأول من «لباب الألباب» ص ٧٠، وكذلك «رضا قليخان» فى الجزء الأول من كتابه «مجمع القصائد» ص ٣٤٣ أن «الباخرزى» أنشأ بالإضافة إلى أشعاره المتفرقة قصيدة مطولة، جعل عنوانها «طرب نامه» أو «رسالة الطرب» وأنه جعلها مكونة من رباعيات فارسية تتسلسل بحسب الترتيب الهجائى للحروف.

وفى ما يلى أبيات منقولة فى «الباب» من قصيدة عربية قالها الباخرزى فى مدح طغرل (١):

سرنا و امرأة الزمان محلها فالآن قد عحقت وصارت منحلا
تخذ الركاب فلا تبعوج بنا على تطل الحبيب ولا تحيى التزلا
وتحرك الأعطاف تشميراً بنا تقيم الملك المظفر طغزلا

وفى ما يلى ترجمة لرباعية من رباعياته الفارسية (٢):

— حول وجهها الأبيض ليل شديد السواد والقمام (أى الشعر)
— وتحت سكرتها (شفتها) اثنان وثلاثون كوكباً (أى أسنانها) تثير الظلام

(١) انظر «لباب الألباب» ج ١ ص ٦٩

(٢) المترجم: فى ما يلى أصل هذه الرباعية كما وردت فى ص ٧٠ فى المرجع السابق
پیرامن روز قیرگون شب دارد زیردو شکرسی و دو کوب دارد
بر سرخ گل آن غایب عقب دارد واز توش دو تریاک مجرب دارد

- وفوق وردتها الحراء (أى وجنتها) عقرب أسود هو طرتها السوداء
 — ولكن لديها تريباقان مجربان (أى شفتاها) لدفع التمة ورفع البلاء... ١١
 وفيما يلي رباعية أخرى قالها فى وصف الشراب (١):

- إني أريد تلك الخمر ... فعلى سبب السعادة والهناء
 — واسمها الخمر ... ولكنها فى الحقيقة كيمياء الهجة والصفاء... ١١
 — وهى من ماء العنب ... ولكنها كالغلاب قانية حمراء
 — وهى ماء عجيب ... يلهب الوجنات بالنار والبريق والضياء... ١١

وفيما يلي رباعية أخرى يقال إنه أنشأها فى حالة النزع (٢):

- إني ذاهب .. فتعال الآن وانظر إلى قبل الرحين
 — وانظر إلى وأنا أتهدب فى هذا الحال للؤلؤ الويل
 — ثم انظر إلى هذه الحجارة من فوق وإلى يدي من تحتها
 — وإلى فراق الأجنة ... وإلى سيف الأجل القاطع الثقيل... ١١

وقد رثاه شاعر اسمه « عياضى » بالبيتين الآتين (٣):

مسكين على حسن كه از آف شوم كارزار
 بى جرم چون حسين على كشته گشت زار

(١) للترجم: فيما يلي أصل هذه الرباعية كما وردت فى صفحة ٧٠ فى المرجع السابق
 زان مى خواهم كه خرمى را سبب است نامش مى و كيميائى شادى لقب است
 سرخست چو عنب واز آب عنب است آبي كه برخ بر آتش آرد هجب است

(٢) للترجم: فيما يلي أصل هذه الرباعية كما وردت فى « باب الالباب » ج ١ ص ٧١
 من دى روم يا مرا سبر يه بين وين حال بعد هزار ثقبور به بين
 سنگى ز بر و دست من از زير به بين وز بار بريندى بشمشير به بين

(٣) حسن للمرجع والمصحف

شیری بُد او که بود ادب مرغزار او
گر گشته شد عجب نبود شیر مرغزار

ومعناها :

- مسکین « علی بن الحسن » فقد وقع في هذا العراك المشثوم
- وقتل بغير جريرة كالحسين بن علي الشهيد المظلوم ... !!
- وقد كان أسداً ... وكان الأدب عرينه وواديه
- ولا عجب إذا قتل الأسد في مأسدته وبواديه ... !!

الروائي :

هو قتيبة الشافعية «عبدالواحد بن اسماعيل الروياني» الملقب أثناء حياته بلقب «فخر الاسلام» وبعد مماته بلقب «الإمام الشهيد». وأهم ما يذكر عنه هو طريقة استشهاديه وقد أوردها «ابن أسفنديار» في كتابه «تاريخ طبرستان» على النحو الآتي : (١).

- « وقد اشتهر بنفاذ البصيرة وصدق الحكم ، بحيث أنه عندما طلب الملاحدة (٢) »
- « في أيامه الفتوى كتابة في مسألة قدموها إلى العلماء على النحو الآتي : ماذا »
- « يقول علماء الإسلام في قضية اتفق فيها الشاكي والشكوى في حقة على قول »
- « التزاما فيه العدل والحق ، ولكن اعترض دعواهما شاهد من الشهود فأنكر »
- « دعوى الشاكي وإقرار المشكوى في حقه ... فهل تقبل شهادته أو ترفض ؟... »
- « وقد كتبوا هذا الاستفتاء على الورق وأرسلوا به إلى المدينتين المقدستين مكة »
- « والمدينة . فأفتى فقهاء المدينتين وكذلك أئمة بغداد وسوريا بأن شهادة الشاهد »

(١) أنظر ترجمتي المختصره لهذا الكتاب ص ٧٥ — ٧٦ وهي منشورة في المجلد الثاني من «سلسلة جب النذكارية» وبه أصل القطعة باللغة الفارسية
(٢) سميت جماعة المحاشين باسم «الملاحدة» وعرفوا بهذه التسمية في إيران خاصة

« مرفوضة ، لا يقبل صماعها ؛ ولكنهم عندما قدموا الورقة التضمنية لهذا الاستفتاء »
 « إلى الروياني ، حذق فيها ثم التفت إلى مقدمها وقال له : أيها الملعون التاعس »
 « إن غفلتك ستجلب لك الهلاك الويل... 11 ثم أمر بحبسه ، وجمع رجال القضاء »
 « والشرع وقال لهم : لقد كتب الملاحدة هذا الاستفتاء ، وهم يقصدون بالشياكي »
 « والشكوى في حقه النصراني واليهود ، وأما الشاهد الذي يعنونه فهو النبي عليه »
 « الصلاة والسلام لأن القرآن يقول : وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم . »
 « فلما سألوا الملحد في هذه المسألة اعترف لهم بأنه ظل سنة كاملة ينتقل من »
 « مكان إلى مكان يجمع الفتاوى والإجابات ، فأمرؤا برجه ؛ واجتمع أهل »
 « « آمل » فرجموه بالحجارة حتى مات . ثم أمر فخر الإسلام الروياني بلعنة »
 « الملاحدة ومن يتبعهم . فأنار عمله هذا حفيظتهم ، فأرسلوا إليه جماعة »
 « من الفدائيين قتلوه غيلة بالمدى على باب أحد أروقة المسجد الجامع بمدينة »
 « آمل من الناحية التي تنتصب فيها منارته . وما زالت المديّة التي استعملت في »
 « قتل هذا الإمام الشهيد محفوظة في الرواق الذي كان يقيم فيه بالمدرسة وقد »
 « شاهدها بنفسى جملة مرات . »

وقد كان غرض « الحشاشين » وما يهدفون إليه من وراء هذا الاستفتاء هو أن يسخروا من قهلاء الإسلام بأن يثبتوا لهم أن الشريعة الإسلامية تتناقض مع الفقه الإسلامي تمام النفاقة . فإن النصراني وهم الشاكون في هذه القضية ، يتهمون اليهود وهم الجناة والتهمون فيها بأنهم قتلوا « المسيح » وصلبوه ، واعترف اليهود بصحة التهمة المنسوبة إليهم وقبلوا الآثار المترتبة على جريعتهم ، ولكن النبي محمداً يذهب منذهب بعض الفرق القنوصية (١) فينكر أن اليهود قد صلبوا المسيح ، وبذلك يشهد ضد الشاكي وينكر في الوقت نفسه إقرار المتهم . وقد قبل المسلمون جميعاً شهادة نبيهم في هذا الموضوع كما قبلوها في مواضع أخرى ؛ ولكنهم لو اتبعوا آراء قهلاءهم وعلمائهم

(١) فرقة من المسيحيين تذهب إلى أن طريق الخلاص هو المعرفة وليست العقيدة

لما وجدوا ما يبرر قبولهم لهذه الشهادة . وقد استطاع « الروياني » بنفاذ بصيرته وسرعة حكمه أن يكشف موضع الفخ الذي نصبه الملاحدة ، فأثار بذلك دهشهم وإعجابهم ولكنه في الوقت نفسه أثار حفيظتهم عليه حتى قتلوه غيلة في النهاية .

الحريري :

درسنا فيما سبق هذا الأسلوب المصنوع المبتكر الذي تمتاز به سائر « المقامات » سواء ما كتب منها بالعربية كمقامات « بديع الزمان الهمداني » ومقامات « الحريري » أو ما كتب بالفارسية كمقامات « حميد الدين البلخي » ، ولم تعد بنا حاجة إلى التمثل في هذا المقام لدراسة أسلوب الحريري خاصة ، فهو الملك المتوج على رأس هؤلاء الكتاب الذين تخصصوا في هذا الأسلوب المتكلف ، كما أن « بديع الزمان الهمداني » هو أول السابقين إلى ابتكاره وترويجه . يضاف إلى ذلك أن مؤلفات « الحريري » قد درست وشرحت وترجمت أكثر من مرة في بلاد الشرق وأوروبا ، بحيث أن محاولة الحديث عن هذه الدراسات والشروح والترجمات تستوعب في مجموعها أكثر مما استوعبت صفحات هذا الكتاب كما إنها تصرف القارئ عن كثير من المسائل الهامة التي بينها « دى ساسي » في طبعته الأنيقة للمقامات في باريس سنة ١٨٢٢ م ، أو التي تحدث عنها « تشنري Chenery » في الصفحات المائة التي قدم بها الجزء الأول من ترجمته للمقامات المطبوعة في لندن سنة ١٨٦٧ (١) ، أو التي توجد في التقلييدات الألمانية لأسلوب المقامات كما اشتمل عليها المجلد الثاني من كتاب « فون كريمر » عن « تاريخ الأدب الشرقي » (٢) أو في غير ذلك من المؤلفات المتعلقة بالأدب العربية .

ويقرر « الزعخشري » في بيت من الشعر ، كتبه « دى ساسي » على غلاف طبعته

(١) أنظر :

Chenery : Assemblies or Maqamat, London 1867

(١) أنظر :

Von Kremer: Culturgeschichte des Orients. vol II pp 470-476

أن مقامات «الحريري» حرية بأن تكتب بماء الذهب ؛ وهو في هذا يعبر عن رأي مواطنيه فيه ، ولكنه يخالف في ذلك آراء جملة من كبار المستشرقين الممتازين . ومهما كان الأمر فإن المراجع المتعلقة بدراسة هذه المقامات وافرة وكثيرة وزائدة . أما صاحب المقامات ، فيكفي أن نذكر عنه أنه ولد في البصرة في سنة ٤٤٦ هـ = ١٠٥٤ م وأنه مات بها في سنة ٥١٥ هـ = ١١٢١ م وقد كان ضئيل الحجم ، زرى المظهر ، يقتلع شعرات ذقنه إذا اشتغل بالتفكير والكتابة ، ولكنه مع ذلك كله كان موضعاً لتقدير الوزير «أنوشروان بن خالد» ورعايته ، وقد كتب «المقامات» بناء على طلبه وجعل إهداءها إليه (١) .

أنوشروان بن خالد :

هذا الوزير جدير بالذكر في هذا المقام لأنه صاحب الرسالة المشهورة عن تاريخ السلاجقة ، وهي الرسالة التي طبعا «هوتما» عند تحقيق تاريخ البنداري وجعلها الجزء الثاني من «مجموعة النصوص المتعلقة بتاريخ السلاجقة» (١) .

وقد جمع «هوتما» في مقدمته (ص ١١ — ٣٠) جميع ما يعرف عن هذا الوزير ، ولكن وجدته عنه نبذة في مخطوطة لكتاب «عيون الأخبار» محفوظة بمكتبة جامعة كامبردج تحت رقم Add. ٢٩٢٢ بالورقة ١٢٦ ففشرتها في ص ٨٦١ — ٨٦٢ من مجلة الجمعية الملكية الآسيوية لسنة ١٩٠٢ . وفيما يلي خلاصتها كما جاءت تحت سنة ٥٣٢ هـ = ١١٣٧ م .

« وفيها توفي أنوشروان بن خالد بن محمد القاشاني أبونصر الوزير . مولده بالري »

(١) أنظر ص ٥ من طبعة «دي سامي» للمقامات ، وكذلك ص ١٢ من مقدمة «هوتما» لتاريخ البنداري وكذلك ص ٢٧٦ من الجزء الأول من كتاب «تاريخ الآداب العربية» لبروكلمان

(٢) Houtama : Recueil de textes relatifs à l'histoire des Seljoucides , Leyden. 1880.

« سنة تسع وخمسين وأربعائة . تنقلت به الأحوال إلى أن ولي وزارة السلطان
 « محمود [بن محمد بن] ملكشاه سنة سبع عشرة وخمسة مائة وقدم معه بغداد
 « واستوطنها ، وكان يسكن بالحريم الظاهري في دار على شاطئ دجلة . وعزل
 « عن الوزارة ثم أعيد إليها ثم قبض عليه السلطان واعتقله ثم أفرج عنه
 « واستوزره الإمام المسترشد في أواخر سنة ست وعشرين وأقام مديراً إلى
 « أن عُزل سنة ثمان وعشرين وأقام بمنزله في الحريم الظاهري مكرماً إلى
 « أن توفي في هذه السنة (٥٣٢هـ) ، وكان من الصدور الأفاضل موصوفاً بالجود
 « والكرم محباً لأهل العلم ، وكان قد أحضر إلى داره أبا القاسم بن الحسين لسمع
 « أولاده منه مسند ابن حنبل بقراءة أبي محمد بن الحشاب وأذن للناس عامة
 « في الحضور لسماعه فحضره الجم الغفير وسمعه خلق كثير ، ولابن جكينا
 « الشاعر فيه أمداح وأهاجى . فمن أمداحه فيه قوله :
 « سألوني من أعظم الناس قدراً قلتُ مولاهمُ أنوشيروان
 « وإذا أظهر التواضع فينا فهو من آية الرفيع الشأن
 « ومضى لاحت النجوم على صفحة ماء-فهن غير دواني
 « وكتب إليه القاضي ناصح الدين الأرجاني يطلب منه خيمة ، فلم يكن عنده ،
 « فبعث إليه صورة فيها خمس مائة دينار وقال : اشتر خيمة : فقال الأرجاني :
 « لله در أبي خالد رجلا أحيانا الجود بعد ماذهب
 « سألته خيمة ألود بها فجاد لي ملء خيمة ذهباً
 « وكان هو السبب في عمل مقامات الحريري ، وإياه عنى الحريري في أول
 « مقاماته بقوله : فأشار من أشارته حكم وطاعته غم . وكان أنوشيروان
 « يتشيع سامعه الله تعالى . . »

الزخسري :

أما العالم اللغوي والمفسر المعتزلي « أبو القاسم محمد بن عمر الزخسري » فخير
 منا بكلمات قليلة . ولد هذا الرجل في مدينة خوارزم (وهي مدينة خيوة الحديثة)
 في سنة ٥٧٦هـ = ١٠٧٤ م ومات بالقرب منها في سنة ٥٣٨هـ = ١١٤٣ م .

وقد أقام بعض الوقت في مدينة مكة ، فأسماء الناس من أجل ذلك بـ «جارالله»
وقد كان من أقوى المعارضين لمذهب الشعوية ، وهو المذهب الذي كان يفضل العجم
على العرب في كل شيء ، ولكنه مع ذلك وضع معجما عربيا فارسيا لينتفع به مواطنوه
وقد نشره «قبرغتاين» في مدينة ليبرج سنة ١٨٤٤م^(١) .

وأهم مؤلفاته هي الكتب الآتية ، وجميعها مكتوبة باللغة العربية :

- ١ — الكشف : وهو تفسير كبير للقرآن
- ٢ — المفصل : وهو كتاب معروف في قواعد اللغة العربية
- ٣ — كتاب الأمكنة والخيال واليآاء : وهو عبارة عن معجم جغرافي .
- ٤ — أطواق الذهب .

الشهرستاني

هو « أبو الفتح محمد بن أبي القاسم بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني »
نسبة إلى «شهرستان» في ولاية خراسان . وقد ولد سنة ٤٧٩هـ = ١٠٨٦م وزار
بغداد في سنة ٥١٠ = ١١١٦م وبقي بها ثلاث سنوات . وتوفي في النهاية في بلدته سنة
٥٤٨هـ = ١١٥٣م

وقد ألف كتابين أو ثلاثة كتب قليلة الأهمية ثم ألف في سنة ٥٢١هـ = ١١٢٧م
كتابه المعروف «الملل والنحل» وقد نشره «كيرتون Cureton» في سنة ١٨٤٦م
كما ترجمه إلى الألمانية في سنة ١٨٥٠ الدكتور «تيودور هازبروكر» . وقد ظل هذا
الكتاب مدة طويلة ، المرجع الأول والوحيد لجميع الدراسات المتعلقة بهذا الموضوع
الهام ، حتى تم الآن في مدينة القاهرة طبع كتاب يحمل نفس هذه التسمية ولكنه أسبق

(١) المترجم : صفة هذا التاريخ هو سنة ١٨٤٣ م أنظر

I . G . Wetstein : Samachcharii Lexicon Arabicum Persicum,
Lipsiae 1843

منه زمنا وأوفى موضوعا ، وهو كتاب « ابن حزم » اقيقه الأندلسى الظاهري^(١) ،
 الولود فى سنة ٣٨٤ هـ = ٩٩٤ م والتوفى سنة ٤٥٧ هـ = ١٠٦٤ م .
 وقد كان الفضل فى حصوله على نسخة جميلة من هذا الكتاب الهام ، وهو شرف
 لم يهبه الا قليل من المحظوظين ، راجعا إلى صديقى وأستاذى للأسوف عليه مفق
 مصر الأ كبر الشيخ « محمد عبده » الرجل العظيم والأستاذ القدير وأعمق مفكرى
 الإسلام فى هذه الأيام .

(١) كتاب فلول والنحل ، لابن حزم طبع القاهرة سنة ١٣١٧-١٣٢١ هـ = ١٩٠٣-١٩٠٩ م .

الفصل السادس

الشعراء الأربعة النابهون

في نهاية القرن الثاني عشر الميلادي (السادس الهجري)

- ١ - الأنوري
- ٢ - الخاقاني
- ٣ - نظامي الكنجوي
- ٤ - ظهير القارياني

مقدمة :

سأتحرف في هذا القسم قليلا عن تتبع النظام التاريخي الذي راعيته حتى الآن لكي أستطيع أن أدرس في وقت واحد أربعة شعراء من الشعراء الذين ينسبون إلى الفترة الأخيرة من الدولة السلجوقية . وهؤلاء الشعراء الأربعة يعتبرون ، باتفاق آراء مواطنيهم في عداد كبار الشعراء الذين أنشدوا القصيد في إيران .

ولم يكونوا جميعا متعاصرين بالمعنى الدقيق ، كما لا يمكن أن نعتبر غير واحد منهم من شعراء السلاجقة ، ولكننا نجتمعهم في هذا الفصل فنقوم بدراستهم والمقارنة بينهم ، وذلك لما لهم من مكانة خاصة في الأدب الفارسي ، تدعونا إلى الإفاضة في الحديث عنهم ، وإعطاءهم ما هم جديرون به من عناية واهتمام .

هؤلاء الشعراء الأربعة هم :

١ - أنوري الخاوراني من أهل خراسان :

عاش بعد «سنجر» مدة ثلاثين أو أربعين سنة ولكنه اشتهر على أيام «سنجر»

٢ - خاقاني شاعر شروانشاه :

ولد في «كنجه» (الآن اسمها أليزافبول) في سنة ٥٠٠ هـ (١١٠٦ -

١١٠٧ م)

٣ - نظامي :

ولد أيضا في « كنج » بعد الحاقاني بخمس وثلاثين سنة (١٣٥ هـ) .

٤ - ظهير الدين الفاريابي :

ولد في « فارياب » بالقرب من بلخ ، واتصل في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الميلادي (= السادس الهجري) بطغانشاه في « نيسابور » ، وجسم الدولة اردشير في « مازندران » والأتابكة في « أذربيجان » ثم مات في النهاية في مدينة « تبريز » عند مطلع القرن الثالث عشر الميلادي (= السابع الهجري) .

١ - الأنوري

أقدم هؤلاء الشعراء وأكثرهم شهرة هو « الأنوري » . والبيتان التاليان المعروفان بمجملاته واحدا من ثلاث شعراء يعتبرون أكبر من أن يجتهد إيران على الإطلاق :
 در شعر سه تن بیغمبر آند قولیست که جملگی بر آند
 فردوسی و آنوری و سعدی هر چند که لا نبی بعدی

ومعنى هذين البيتين :

— للشعر ثلاثة أنبياء ، وهذا قول يتبعه الجميع :

— الفردوسي والأنوري والسعدی ، ثم بعد ذلك لا نبی بعدی .

ومن الصعب على مستشرق أوروبي يدرس الفارسية ، مهما حاول احترام آراء النقاد من الفرس ، أن يتابع هذا القول فيجعل « الأنوري » مساويا للفردوسي أو « السعدی » أو يجعله في مرتبة أعلا من مرتبة « ناصر خسرو » أو « النظامي » . ذلك لأن « المدائح » وهي الكثرة المطلقة من أشعار « الأنوري » لا تستطيع أن تمس إلا قلب الممدوح مهما اجتهد الشاعر في تسميقها وتديجها .

ومن رأى أحد أصدقائي وهو « ميرزا محمد قزويني » ، العالم الفاضل الذي كان من حسن حظي التعرف عليه ، أن شهرة الأنوري تعتمد أصلا على القصائد التي لم يكن غرضها « المديح » . وربما كانت هذه النظرة هي أصوب الآراء وأقربها إلى الدقة .

ولم يكن الأنورى مبرزاً في قول «الغزل» أو «الرباعي» أو ما شابه ذلك من فنون النظم وضروبه ولكن شخصيته كانت قوية واضحة فيما قال من «مقطعات»

مصادر دراسة الأنورى

وإيس في أيدينا عن حياة «الأنورى» إلا القليل من الأخبار الصحيحة التي يمكن أن نعتمد عليها ، ولكننا لو درسنا أشعاره دراسة دقيقة لأمكننا بلا شك أن نحصل على كثير من المعلومات التي مازالت خافية عنا من نواحي حياته . وللأسف لا تعدنا المصادر الأخرى إلا بالقليل من الأخبار التي لا يمكن الوثوق منها .

أما عوفي في كتابه «باب الألباب» (الجزء ٣ ص ١٢٥ — ١٣٨) فلا يجبرنا — كعادته — بشيء عنه ، إلا أنه كان مبرزاً في النجوم والهندسة والمنطق ؛ وهذه حقيقة معروفة لدينا من مصادر أخرى ، وعلى الخصوص من قصائده مروية في «تاريخ كزیده» (١) حيث يذكر هذه العلوم ويضيف إليها الموسيقى والإلهيات والأحكام ، بل وكل علم نظري أو عملي يعرفه واحد من معاصريه .

(١) أنظر هذه القصة وترجمتها في ص ٧ — ٨ من مقالتي المنشورة في مجلة الجمعية الآسيوية الملكية عدد أكتوبر سنة ١٩٠٠ عن «شعراء الفرس المذكورين في كتاب تاريخ كزیده» Biographies of Persian Poets contained in the Tarikh-i-Guzida. J. R. A. S. October 1900.

والنص أيضاً موجود في طبعة لكتنو على الحجر سنة ١٢٩٧ هـ (١٨٨٠ م) ص ٧٠٤ و ٧٥ وفي ص ٨١٣ من طبعة «براون» المنشورة في «سلسلة جب التذكارية» طبع لندن سنة ١٩٢٨ هـ (١٩١٠ م) وهذه الأبيات هي التالية :

گرچه در بستم در مدح وغزل یکبارگی	ظن مبرکز نظم الفاظ ومعانی قاصر
بلکه از هر علم کز اقران من داند کسی	خواه جزوی گیر آنرا خواه کلی فاجرم
منطق و موسیقی و هیأت شناسم آنک	رأستی باید بگویم بانصی و اقرم
در الهی آنچه تصدیقش کند عقل صریح	گر تو تصدیقش کنی در شرح و بسطش ماهرم
نستم یسگانه از اعمال و احکام نجوم	ور همی باور نداری رنجی شو من حاضر

نشأة الأنورى :

والأنورى وفقاً لما يقوله دولتشاة (ص ٨٣ - ٨٦ من طبعتي) ولد في قرية « مهنه » من قرى « أيورد » في صحراء « خاوران » ، ومن أجل ذلك تخلص في البداية بكلمة « الخاوري » ثم غيرها فيما بعد إلى « الأنورى »

وقد حصل علومه في المدرسة النصورية بمدينة « طوس » حيث قضى سنوات تعلمه في قهر وإملاق ، وفي يوم من الأيام - كما تقول الروايات - مر ياب المدرسة رجل جليل الهيئة قد امتطى صهوة جواده ، وفي أثره كثير من الخدم والحشم ، فسأل الأنورى عنه فقالوا له : إنه شاعر ... قال الأنورى : « سبحان الله ... ! أهكذا أظن فقيراً مسكيناً وقد بلغت النهاية من العلم ... !؟ ويكون هو غنياً مع ما يعرف من هوان أمر الشعر ... !؟ » فما برح العزة والجلال لأجملن الشعر شغلي بعد اليوم ولو أنه أقل مراتبي وأهون ما حصلت ... (١) ثم انبرى في هذه الليلة فأنشأ قصيدته المعروفة في مدح السلطان « سنجر » ومطلعها :

كر دل ودست بحر وكان باشد دل ودست خدايگان باشد

ومعناه :

— إذا استطاع القلب والكف أن يكونا بحراً ومنجماً للدرر والجواهر
فإن قلب الملك وكفه هما البحر والمنجم لما يجودان به من عطاء وافر ١١

فلما أصبح الصباح تقدم إلى السلطان « سنجر » وأنشده قصيدته ، فاستحسنها السلطان وسأله عن الجزاء الذي يريده منه ، وهل يفضل الالتحاق بخدمته أم الحصول على عطاء مالى ... ؟؟ قبل « الأنورى » الأرض بين يديه وقال له بيته للشهور :

(١) المترجم : أظن من ٨٣ من « تذكرة الشعراء » وقد اعتيدنا في الترجمة على الأصل الفارسي لأنه أقرب إلى الروح العربية .

جز آستان تو ام در جهان پتاهی نیست

ببر مرا بجز این در حواله گاهی نیست (١)

ومعناها :

— هذه أعتابك ... ولا ملجأ لي في العالم إلا هذه الأعتاب ...

وهذا بابك ... ولا معتصم لرأسي إلا في هذا الجنب ... !!

عند ذلك أمر له « سنجر » بعرب شهرى ومخلعة طيبة ثم استصحبه معه إلى

مدينة « مرو » .

ويؤخذ من أبيات مروية في تذكرة الشعراء (ص ٨٤) أن « خاوران » أئجت

أربعة من الأفاضل ليس لهم خامس . أحدهم « الأنورى » وثانيهم « أبو على أحمد

ابن شاذان » الذى كان وزيراً له « طغرل بيك » وثالثهم الأستاذ « أسعد مهنه » من

فحول العلماء المعاصرين للغزالي والمناظرين له ، ورابعهم الصوفى المعروف « أبو سعيد

ابن أبى الخير » الذى ترجمناه فيما سبق ؛ ونص هذه الأبيات كما يلي (٢) :

تا سپهر صيت گردان شد بخاك خاوران

تا شبانگاه آمدش چار آفتاب خاوری

خواجه چون « بوعلی شاذان » وزیر نامدار

عالی چون « أسعد مهنه » ز هر شینی بری

صوفی صافی چو سلطان طریقت « بو سعید »

شاعر قادر چو مشهور خراسان « آنورى »

وقد أقدم « الأنورى » رُغم علو منزلته فى علم النجوم ، على إخراج حكم من

أحكامها لم يتحقق ، وكاد يقضى على ما عرّف عنه من منزلة وشهرة فى هذا العلم .

وتفصيل الخبر : أن الكواكب السبعة السیارة اجتمعت على عهد « سنجر »

فى برج میزان ، فقرر الأنورى أنه سينتج من اجتماعها فى هذا البرج أن تنور

العواصف فى هذا الشهر ، فتقتلع البنايات من أساسها والأشجار من جذورها ،

(١) المترجم : الظاهر أن « حافظ الشيرازى » أخذ هذا البيت وجعله مطلقاً للقول رقم ٤٠

من غزلياته . أنظر ترجمتى العربية المنشورة تحت عنوان « أغاني شيراز » .

(٢) المترجم : أضفنا هذه الأبيات بنصها الفارسى ولئلا يوجد فى الأصل

وتخرب المدن والبلاد ... تخاف عوام الناس من هذا التقرير وجفروا السرايب
ليحتموا فيها عند وقوع الواقعة ... فلما حلت الليلة التي حددها « الأنورى » لم يثر
من الريح ما يكفي لإطفاء شجرة أشعلوها ورفعوها على مثذنة من مآذن المدينة ... !!
فلما عاتبوه على خطأ تقديره ، اعتذر بأن آثار القرائن لا تظهر فجأة ، وإنها تحتاج
إلى شيء من المهلة والتدرج ... ولكن مضت على ذلك سنة كاملة والرياح على غاية
من الهدوء والضعف بحيث لم يكف هبوبها لتذرية المحصول واضطروا إلى إبقائه في
بياديه على حاله حتى الربيع التالى ... !!

وقد قال « فريد الكاتب » يتبين من الشعرين فيما بطلان حكم الأنورى ،
هذا نصهما :

كفت أنورى كه از جهت باد هاى سخت
ویران شود عمارت و كه نیز بر سرى
در روز حكم او نوزیست هیچ باد
یا مرسل الرياح تو دانی وأنورى
وترجمتها :

— قال الأنورى : إن الرياح العاصفة ستخرب العمارات وتقتلع الجبال ...
— فلما كان اليوم الذى حدده ، لم تهب الرياح بل سكنت ... فيا مرسل الرياح
أنت أدري بالحال ... !!
وقال أيضا البيتين الآتين في هذا المعنى :

می گفت آنورى كه درین سال بادها
چندان وزد كه كوه بختند تو نیگوى
بگذشت سال و برك نجید از درخت
ای مرسل الرياح تو طای نه آنورى
ومعناها :

قال الأنورى إن الرياح ستهب في هذا العام بشدة بحيث تزحزح الجبال عن مكانها
في فاصلة عام بطوله ولم تحرك الرياح أوراق الأشجار ... فيا مرسل الرياح
أنت عالم بحالها ... لا الأنورى !!

وللشهور أن قرآن الكواكب الذي أشار إليه « الأنورى » وقع في شهر رجب سنة ٥٨١ هـ (أكتوبر سنة ١١٨٥ م) أو في السنة التالية كما أشار إلى ذلك « إتيه » (١) ، وعلى ذلك يكون موت الأنورى قد حدث بعد هذا التاريخ قطعاً لا كما يقول أصحاب كتب التراجم من أقوال متناقضة (ربما تتناقض باختلاف الأمكنة من الكتاب الواحد) حينما يعملون وفاته بين سنة ٥٤٥ هـ و ٦٥٦ هـ = ١١٥٠ - ١٢٥٨ م) .

وخير رسالة كتبت عن « الأنورى » هي التي نشرها الأستاذ « فالتين زوكوفسكى Valentin Zhukovski » في مدينة « يروغراد » سنة ١٨٨٣ بعنوان « أوحاد الدين الأنورى » .

ومن أسف ، أن هذه الرسالة مكتوبة باللغة الروسية ، ومن أجل ذلك فعلى عميرة على أغلب المستشرقين ، ولكن الدكتور « برتش W. Pertsch » أصبح يديننا بفضل جديد هو أنه لحص لنا الجزء المتعلق بحياة الشاعر ونشره في الجزء الثانى من « الصحيفة الأدبية للفيولوجيا الشرقية . ليبرج ١٨٨٤ » :

Litteratur— Blatt für orientalische Philologie, Leipzig, 1884

والرسالة الروسية الأصلية تحتوى على : مقدمات من ٢٤ صحيفة و ٢٤٩ صحيفة في صلب الموضوع ثم ٩٠ صحيفة من النصوص الفارسية ، وتشتمل على الفصول الآتية :

مقدمة
عميد
١ - ح
خ

(١) يشير ابن الأثير إلى أن هذا القران وقع بين خمسة كواكب (لا سبعة) في ٢٩ جادى الآخرة سنة ٥٨٢ هـ (١٦ سبتمبر سنة ١١٨٦ م) . ويشير إلى أحكام النجمين وخطأهم بقوله : « كان النجمون قديما وحديثا قد حكموا أن هذه السنة في التاسم والعشرين من جادى الآخرة تجتمع الكواكب الخمسة في برج الميزان ويحدث باقترانها رياح شديدة فلم يكن لبلد مكة ولم يهب من الرياح شيء البتة حتى أن الفلال (الحنطة والشعير) تأخر نجاؤها لعدم الهواء الذى يبرى به الفلاحون . فأكذب الله أحفوة النجمين وأخزاهم » .

الفصل الأول : حياة الأنورى ٣٠ —

الفصل الثانى : حياته الأدبية وخصائصه ٣١ — ٧٨

الفصل الثالث : شروح الأنورى وخاصة شرح أبى الحسن الفراهانى ٧٩ — ٩٧

الفصل الرابع : لغة الأنورى ومؤلفاته ٩٨ — ١٠٢

ترجمة لبعض القصائد ١٠٣ — ١١٣٥

ترجمة لبعض الغزليات ١٣٥ — ١٣٧

لوحة لبيان السنوات الهجرية وما يقابلها من السنوات الميلادية فى الفترة

الواقعة بين سنتي ٢٣٥ هـ — ١٢٧٣ هـ ١٢٧ — ١٤١

أما الجزء الثانى الذى يشتمل على النصوص الفارسية فقامه ما يأتى :

ست قصائد ... الأولى منها كاملة الشرح ، والخمس الأخريات عليها

تعليقات ٢ — ٧٢

أربع غزليات مختارة ٧٣ — ٧٦

ترجمة حياة الأنورى كما وردت فى « تذكرة الشعراء » تأليف

دولتشاه ٧٨ — ٨٣

ترجمة حياة الأنورى كما وردت فى « مرآة الخيال » تأليف

شيرخان لودى ٨٣ — ٨٥

ترجمة حياة الأنورى كما وردت فى « آتشكده » تأليف لطفعلى بيك

ترجمة حياة الأنورى كما وردت فى « هفت إقليم » تأليف

« أمين أحمد رازى » ٨٨ — ٩٠

ويجب العناية بوجه خاص — فيما جمعه « ژوكوفسكى » من أخبار عن الأنورى —

بالجدول الذى أورده فى ص ٣٩ ، وبين فيه التواريخ المختلفة لوفاة هذا الشاعر وقفا

لاختلاف المصادر ، وكذلك بيان الكتب الفارسية والعربية التى تبلغ ستين كتابا

ونهى الكتب التى أشار إليها « أبو الحسن الفراهانى » فى شرحه لأشعار الأنورى

(ص ٧٩ — ٩٦)

أما تاريخ وفاة الأنورى فبما به كما يبدو فى الجدول الآتى :

obeikandi.com

ويلاحظ القاريء أن أغلب هذه الكتب حديث التأليف ، لا يستثنى من ذلك إلا كتابان اثنان هما « المجلد » و « تذكرة الشعراء » اللذان يرجعان إلى القرن التاسع الهجري . (النصف الثاني من القرن الخامس عشر الميلادي) . أما الكتب القديمة التي كنا نتوقع منها أن تذكر « الأنوري » ، فإننا نجد أن كتاب « چهار مقاله » لا يذكره مطلقا ؛ أما كتاب « تاريخ كزيمه » تأليف حمد الله المستوفي (في سنة ٧٣٠ هـ = ١٣٣٠ م) فقد تحدث عنه ولكنه لم يذكر تاريخ وفاته ؛ وكذلك فعل كتاب « لباب الأبواب » تأليف « محمد عوف » (في بداية القرن السابع الهجري = ١٣٠٠ الميلادي) ؛ وكذلك فعل أيضا الكتاب العربي المعروف باسم « آثار البلاد » تأليف القزويني (طبعة وستفالد Wüstenfeld ص ٢٤٢ تحت كلمة « خاوران » فوصف شعر الأنوري بأنه : « غاية في الحسن وهو ألطف من الماء وشعره بالعجمية كشعر أبي العاتية بالعربية » وهذه المقارنة بين شعر « الأنوري » وشعر أبي العاتية مقارنة في غير موضعها كما يبدو لي .

وليس في أيدينا إلى الآن أي مصدر يمكن أن نعتمد عليه في تقرير التاريخ الذي ولد فيه « الأنوري » أو التاريخ الذي توفي فيه ؛ ومع ذلك فالأسباب التي بينها آثافا تقطع بأن وفاته قد وقعت في سنة ٥٨١ هـ ، أو بين سنتي ٥٨٥ و ٥٨٧ هـ (١١٨٩ — ١١٩١ م) كما أشار بذلك المستشرقان « ژوكوفسكي » و « إتيه » .

وقبل أن نسير قدما في دراسة هذه الرسالة الممتعة التي كتبها « ژوكوفسكي » نرى من الواجب علينا أن نشير إلى رسالة أخرى كتبها « مسيو فرتيه M. Ferte » عن الأنوري أيضا ، ونشرها في « المجلة الآسيوية Journal Asiatique » في عدد مارس إبريل سنة ١٨٩٥ م (مجموعة ٩ مجلد ٥ ص ٢٣٥ — ٢٦٨) . ولكن هذه الرسالة لن تعوقنا طويلا لعدم أهميتها ، والظاهر أن مؤلفها كتبها دون أن يطلع على ما كتبه « ژوكوفسكي » أو « برتش » فاكنتي بأن يترجم بعض قصائد « الأنوري » المعروفة وأن يسوق بعض النواذر المتصلة به مما رواه كتاب التراجم ومما يكون مشكوكا في صحته عادة .

يبدأ « ژوكوفسكي » كتابه بمقدمة يصف فيها المصادر التي استطاع جمعها ، ثم ينتقل بعد ذلك إلى بيان الأسباب التي دعت به إلى اختيار القصائد الست التي نشرها في

بهنية الكتاب. وأول هذه القصائد هي أيضا الأولى وفقا لطبعة «ليكنو» ومطلعا
باز این چه جوانی وجمالمت جهان را وین حال که نوکر دژمین را از زمان ورا
ومعناه :

— أنظر ثانية . . ما أبدع نضرة العالم وجماله وشبابه الفتان . . . !!

وما أبدع هذه الحال التي جددت المكان والزمان . . . !!

ويقول «ژوكوفسكى» إنه اختار هذه القصيدة لأنها من أشهر قصائد «الأنورى»
ولأنها من أصعبها وأكثرها تعقيدا ولأن «أبا الحسن القراهماني» كتب عليها شرحا
مطولا ، استطاع «ژوكوفسكى» أن يطبعه مع نصها ويضيفه إلى كتابه .

أما القصيدة الثانية فمطلعا :

اگر محول حال جهانیان نه قضاست چرا ماجرای احوال برخلاف رضاست
ومعناه :

— إذا لم يكن القضاء هو محول حال الناس ،

فلماذا تكون الأحوال على غير ما نرضى ونهوى ؟ !

ويقول «ژوكوفسكى» إنه نشر هذه القصيدة لأن «نيكولاس : Nicolas»
ترجمها قبله ولم يستطع فهمها فأساء تصوير حال «الأنورى» وفقا لما ذهب إليه من
ترجمة خاطئة ... !

أما القصيدة الثالثة فهي التي سبق ذكرها ومطلعا :

گر دل ودست بحر وکان باشد دل ودست خدایگان باشد

ومعناه :

— إذا استطاع القلب والكف أن يكونا بحرا ومنجا للدرر والجواهر ...

فإن قلب المليك وكفه هما البحر والنجم . . لما يجودان به من عطاء وافر . . . !!

ويقول «ژوكوفسكى» إنه اختارها لأنها تعتبر من أوائل ما قاله «الأنورى»
ومن أكثر قصائده جمالا وروعة .

أما القصيدة الرابعة فقد نشرها «كركپاتريك Kirkpatrick» مع ترجمة إلى
اللغة الإنجليزية بعنوان «دموع خراسان The Tears of Khurasan» في المجلد

الأول من كتاب « Asiatic Miscellany » ص ٢٨٦ وما بعدها (طبع كلكتا سنة ١٧٨٥ م) ومطلعها :

برسمرقند آگر بگذری ای باد سحر نامه اهل خراسان به بر سلطان بر
ومعناه :

— یا نسیم السحر .. إذا مررت بمدينة سمرقند ... !!
فاحمل رسالة أهل خراسان إلى حضرة السلطان ... !!
ويقول « ژوگوفسکی » إنه اختار هذه القصيدة لما اشتملت عليه من أخبار
تاريخية ومشاعر إنسانية بالإضافة إلى ما لها من شهرة عريضة وصيت ذائع .
أما القصيدة الخامسة فهي التي مطلعها :

* ای برادر بشنو این رمزی ز شعر وشاعری * (١)
ومعنى هذا المصراع :

— أيها الأخ ... استمع إلى حديث رمزي عن الشعر والشاعرية ... !!
ويقول « ژوگوفسکی » إنه اختارها لأنها تحتوي على اعتراف الشاعر صراحة
بدم الشعر وأهله .

أما القصيدة السادسة فهي التي مطلعها :

أي مسلمانان فغان از دور چرخ چتری وز نفاق تیر و جبر ماه و کید مشتری
ومعناه :

— واؤیلاه ... أيها المسلمون ... من دورة الملك الدائر ...
ومن نفاق المربخ وأفعال القمر وكيد مشتری ... !!

(١) المترجم : في نسخة خطية اشترتها من طهران يختلف هذا المطلع قليلا فيرد بالصورة
التالية :
ای برادر نشنوی رمزی ز شعر وشاعری تا ز ما هستی گداکس برادر مردم نشمری

و يقول «ژوکوفسکی» إنه اختارها لأنها من آخر ما نظم «الأنورى» من قصائد رائعة ، هذا بالإضافة إلى ما اشتملت عليه من أخبار متعلقة بحياته .

وقد اختار «ژوکوفسکی» أربع غزليات فقط من غزليات «الأنورى» واعترف بأنه اختارها بطريق المصادفة لأنه يعتبر سائر غزلياته متساوية من حيث الصنعة والمعنى .

وقد أتبع «ژوکوفسکی» مقدمة كتابه بتمهيد بين فيه مركز الشاعر المحترف في إيران في هذه الفترة على الخصوص ، ووضح فيه الحاجة الملحة التي كانت تدفع الشاعر إلى العمل ليحصل على المال اللازم له ، مما يجعله يكرس مجهوداته للأشعار السياسية ومدح الأمراء والكبراء ، وإن كان يتخلل هذا المدح عادة شيء من التهمك بخصوصهم لأن التهمك من مستلزمات المدائح على العموم .

و يقول «ژوکوفسکی» إن استعمال البديع في النظم — دون استعماله في الشعر بمعناه الحقيقي — كان نتيجة لتراحم «شعراء الملوك» الذين كانوا يقومون إلى حد ما بمهمة الصحفيين في الوقت الحاضر وكذلك بمهمة الندماء والمهريجين . فقد كان شاعر القصر يكتب من أجل المال ، وربما تحدث عن ذلك صراحة كما قال الشيخ «أبو زراعته المعمرى الجرجاني» لمدوحه : «إذا أعطيتني واحدا من ألف ما كان يناله الرودكي من عطاء الملوك ، فسأنظم في مدحك من القصيد ما يفضل قول الرودكي ويعلو عليه ألف مرة . . . ۱۱۰» (۱) وكان يطلب من الشاعر أن يرهن على أنه كفء للقول في كل مناسبة تعرض لمدوحه ؛ فعليه أن يقول في الفرح والروح ، وأن يقول في الحزن والترح ، وأن يهنئ مليكه بسلامة بصره لأنه استطاع أن يرى الهلال الجديد يعلن انتهاء شهر الصيام ، وأن يسليه إذا سقط عن ظهر جواد جامع أو إذا رمى

(۱) المترجم: أظفر من ۱۰ من ج ۲ من «باب الآلباب» حيث يقول :

اگر بدولت با رودکی نمی مانم عجب مکن سخن از رودکی نه کم دایم
اگر بیکوری چشم او یافت گیتی را ز بهر گیتی من کور بود توام
هزار یک ز آن کو یافت از عطاء ملوک
بمن دهی سخن آید هزار چند آیم

الكسيتين فخرتاً بغير ما يريد، أو إذا انهمز أمام عدوه في الموقعة (٢) أو إذا أحس بالأم في الإنسان أو مشابه ذلك من أغراض كثيرة... ١١

ويذكر «زوكوفسكى» نقطة أخرى لها غرابتها وطرافتها، وهى أن كل شاعر شهير كان له فى العادة راو يقوم برواية أشعاره وترويجهما بين الناس. فذكر عن «الفردوسى» مثلاً أن راويه هو «أبو دلف» (٣)، كما أن «أبا الفرج الرونى» قال فى بيت من الشعر ذكره «زوكوفسكى» مامعناه: «لقد أنشد راوى فى حضرتك مابقلته فى فتح مرو ونيسابور» وكذلك فعل «مسعود بن سعد بن سلمان» حين أمر راويه «خواجه أبو الفتح» كما يقول زوكوفسكى: ألا يظهر مواطن الضعف فى أشعاره بل يجتهد فى أن يزيل هذه المواضع بما يضيفه عليها حتى صوته من جمال، وبما تكتسبه من بهاء بواسطة إنشاده الذى يثير القلوب والمشاغى... ١١

وأمل الغموض الذى يسر به كثيراً من مدائحه المصنعة يجعل من الضرورى على القارىء أن يستعين بشرح مستفيضة مفصلة حتى يتمكن من فهمها وإلا فإنه سيضطرب فى النهاية إلى أن يكتفى بقول العبارة المعروفة «إن معنى الشعر فى بطن الشاعر».. ويختم «زوكوفسكى» كلمته التحديدية بأن يحاول أن يميز بين ثلاثة عصور مختلفة فى تطور الشعر الفارسى حتى نهاية العصر السلجوقى الأول، وهى العصور الآتية:

العصر الأول: عصر القصص الحماسى Epic الذى صاحب النهضة الفارسية القومية على أيام السامانيين، وأنتج الشاعر الكبير الفردوسى.

(١) أظن الرباعى الذى أنشده «فريد الدين الكاتب» للسلطان «سنجر» عند انهزاه أمام جيوش ال «قرة خطاي» من ٥٩٩ من «تاريخ كزنده» حيث يقول:

شاهما ز سنان تو جهان شد راست تیغ تو چهل سال زاعدا کین خواست
ور چشم بدی رسید آن هم ز قضاست کانسکس که یک حال بماند ست خداست
ومعناها:

— ايها الملك.. ان العالم استقام بسيفك. وقد انتقم من أعدائك أربعين عاماً بعد سنانك
— فإذا أصابتك عين سوء فذلك من فعل القضاء.. لأن الذى يبقى على حال واحدة
هو الله سبحانه وتعالى... ١١

(٢) أظن ما كتبه «نولدك» فى Iranisches Nationalepos وكذلك «چهارمقاله» من ٤٨

والعصر الثاني : عصر المدائح المشتركة Venal Panegyric التي ثار عليها الشاعران « ناصر خسرو » و « عمر الخيام » .

والعصر الثالث : عصر الشعر الصوفي Mystie Verse وهو الذي ينتهى إليه المداحون الذين لا تحقق آمالهم وتكشف أطماعهم عن سراب، ومن هؤلاء « سنائي » وكذلك « الأنورى » وإن كان متأخرا قليلا .

والأخبار المتصلة بحياة « الأنورى » مقتضبة أشد - للاتضاب ، ولكن « زوكوفسكى » استطاع أن يكتب فى الفصل الأول من كتابه مقالة وافية عن حياة الشاعر ، ربما كانت أوفى ما نستطيع أن نكتبه عنه حتى الآن ، وقد استعان فى كتابتها بكتب التراجم الثمانية التى ذكرناها آنفا (١) بالإضافة إلى ما استطاع أن يستخرجه من قراءة ديوان الشاعر نفسه .

أما مولد « الأنورى » وصباه فلا نعرف عنهما شيئا على الإطلاق . وأما إنه كان فى شبابه طالبا جادا فى تحصيل العلم كما يشير إلى ذلك كتاب التراجم ، وأنه كان ملما بكافة العلوم التى يعرفها أهل عصره ، فذلك يؤكده ما كان يديه فى شعره من استشهاد يدل على معرفة تامة بشعب العلوم المختلفة وبما ذكره صراحة فى مقطوعة معروفة سبق لنا ذكرها ومطلعها :

گرچه در بستم در مدح و غزل یکبارگی

ظن مبرکز نظم ألفاظ ومعانی قاصرم (٢)

(١) هى المذكورة فى الجدول السابق فى صحيفة ٤٦٩ من هذا الكتاب

(٢) هذه المقطوعة تشتمل على ١٩ بيتا وهى موجودة فى ص ٣٠٧ من ديوان أنورى طبع تبريز سنة ١٢٦٦هـ وكذلك باختلاف فى ترتيب الأبيات فى ص ٧٠٤ - ٧٠٥ من طبعة لكنو سنة ١٢٩٧هـ (١٨٨٠م) وستة أبيات منها ، روية فى « تاريخ كزیده » ص ٨١٣ وفى كتاب زوكوفسكى ص ٦ - ٧ .

وقول الأنورى فى بيت آخر من الشعر (ص ٨٧ من طبعة لكنو) ما معناه : «إننا اخترعنا فى أى فرع من فروع العلوم لوجدت أننى أدركت فيه مرتبة الكمال » .

ومعناه :

— إننى أغلقت باب المدح والغزل دفعة واحدة .

ولكن حذار أن تظن أننى عاجز عن نظم الألفاظ والمعاني .. ؟!

وفي قطعة أخرى رواها « زوكوفسكى » (فى ص ٧) يفخر الأنورى بتبرزه فى جملة من الهوايات مثل الخط والشطرنج والنرد ومعرفة أشعار الأوائل والأواخر والقدرة على التهمك والهجاء والسباب . . . ! ! وقد أكد لمولاه أنه سوف لا يعل مجلسه لأنه امتاز بسعة فى ثقافته وتشعب فى نواحي معلوماته . . . ! !

وواضح أيضاً أن كتاب التراجم كانوا مصيين حين قرروا أن « الأنورى » كان يفض من شأن الشعر ولكنه فى الوقت نفسه كان يفرق فى إعلان مواهبه فيه كشاعر من الطراز الأول : فهو يقول فى بيت من الشعر (يغلب على ظنى أن نصه الصحيح هو المنشور فى الجزء الثانى من لباب الألباب ص ١١٧) . « أنه مساو للشاعر سنائى وإن كان لم يصل إلى مرتبة أديب صابر » .

« چون سنائى هستم آخر گرنه همچون صابرم » (١)

وسنائى كما نعلم شاعر من الطراز الأول ، وهو أكثر شهرة من « أديب صابر » ولكن « الأنورى » رفع من قدره لأنه كان يمدح السلطان « سنجر » وقد قتل فى النهاية وهو قائم بعمله يؤدى لسيده خدمة من الخدمات .

وفى هذه القصيدة نفسها يقول « الأنورى » بيتا معناه :

— لقد أصبح يستهان بالنبوغ فى هذه الأيام .. وإلا لشهدت أشعارى بأنى لست

شاعراً بل ساحراً ... !!

خود سزد در عهد با عیست اگر نه این سخن

میکند برهان که من شاعر نیم بل ساحرم

ويقول فى موضع آخر (طبعة لىكنو ص ٦٩٤) .

(١) هذا النص يختلف عن النص المطبوع على الحجر من « لباب الألباب » وهذا النص الأخير لو ترجم لكان معناه هكذا : وأنا لست مساوياً للشاعر « سنائى » ولا للشاعر « أديب صابر » .

— إن لي روحاً متقدة كالنيران ، ولساناً عذبا كاللحاء
وعقلاً حاداً ، وذكاءاً مفرطاً ، وأشعاراً خالية من الخلل والهرءاء ... ١١

— ولكن وا أسفا ... لست أجدر بمدوحاً جديراً بهذا الثناء
ولا معشوقاً أستطيع أن أوجه إليه هذا الغزل في صفاء ... ١١
خاطري چون آتشم هست وزبانی همجو آب
فكرت تيز وذكاء نيك وشعري بي خلل

أي دريغا نيست ممدوحی سزاوار مديح
وی دريغا نيست معشوقی سزاوار غزل
وفي موضع آخر (ص ٦٨٨) يعلن الأنوري أن أشعاره تجوب أنحاء العالم
كالحمام الزاجل ، وأن أسلوبه هو بإجماع الآراء أجمل أساليب معاصريه (ص ٣٤) .

وعلى العكس من ذلك يتحدث «الأنوري» عن صناعة الشعر فيقول : (ص ٧٣٠)
— يا أنوري ... هل تعرف ما هو الشعر وما هو الحرص والطمع في المال ... ؟
أما الأول فطفل رضيع ... وأما الثاني فمريضته ١١
— وأنت كالدريك ... لك تاج من العلم فوق رأسك
ولكن هل لك أن تخبرني لماذا تبيض كالدجاج ١٩

أنوري شعر وحرص داني چيست ١٩! آن يکی طفل ، وان دگر دايه
تاج دازي خروس وار از علم چکني همجو ما کيان خايه ١١
ثم هو يلزم نفسه بعد ذلك بأن «يطوح بقاذورات الشعر للرياح الدارية... ١١» .
وهناك قطعة أخرى ممتعة تدل على صدق ما قرره كتاب التراجم عن الأسباب
التي دعت «الأنوري» إلى هجر العلوم والاشتغال بالشعر وهي مذكورة في نهاية
ص ٦٣٩ من طبعة لکنو ويقول فيها :

— مادام جاهي سيرتفع بقول المدح والقرىض
فلماذا أحرقت روحي وأضيتها في نيران التفكير العميق ... ١٩
— ولقد ضيعت عشرين عاماً من عمري في «لعل وعسى»
ولكني تحققت بعد ذلك أن الله إن يمنحني عمر نوح الطويل ... ١٩

— ومن أجل ذلك فساخذ نفسى بالروية ، وأثنى عنانى

إذا لم أجد باب القبول مفتوحا أمامى . . . !!

— فإذا لم يمنعنى العطاء الجزل لمدحى إياهم

فساخطم بالهجاء كل من مدحته حق أخرج السماء من رأسه . . . !!

چو آروى بيفز ايدم بمدح وغزل چرا بآتش ففكرت همى بكا هم روح

بياد بوكه وبكه بيست سال بر دادم مرا خداى ندادست زندگانى نوح

عنان طبع از بن پس كشيده خواهم داشت

اگر كشاده نه بينم در قبول و قبح

و كر عطا ندهتم بر آرم از پس مدح

بلفظ هجو دمارا از سر چنين بمدوح

ويقول الأنورى فى نهاية ص ٤١ «إن الاستجداء هو وسيلة الشعراء» كدائى

شريت شعراست) ولكنه على استعداد للهجاء اللاذع إذا لم يفلح الاستجداء فى أن

يعود عليه بما يريد من عطاء . . . !! ومع ذلك فهو يحس بكرهية شديدة لحياة القصور

والحاشية ، وإن كان يعود فى ثورة جاعحة على زمانه ، فيعترف من ناحية أخرى ، بأن حياة

القصور وحدها للأسف هى الكفيلة بأن تدرك عليه المال الوفير ، بينما حياة الجد

والاجتهاد لا تفيده شروى تغير . . . !! (أنظر ص ٧١١)

— ليس من الحق أن أتمب قلبى وروحى من أجل أن أكتسب آداب

الندماء . . . !! (أى رجال القصور) .

— فأحرك لسانى بالنثر والنظم ، وأبعث الأفكار المذارى من عقلى وخاطرى . . . !!

— لأن الندماء ينتهى بهم الأمر فى العادة إلى تلقى اللطافات وتلقى كلمات الازدراء

والسباب . . . !!

نشايد بهر آداب نديمى دگر بر جان و دل زحمت نهادن

زبان كردن بظلم و تشدد جارى ز خاطر نكتهائى بكر زادن

كه باز آمد همه كار نديمان بسبلى خوردن و دشنام دادن

ويقول فى سوء معاملة الحظ لرجال العلم (ص ٣٩ سطر ٦) . . .

— وهل يمكن لفرد أن يعلم كيف أن هذا القلک العجوز الأحدي مولع بإبداء
الطراء... ١١٠٠٠

کسی چه داند کین کوز پست مینا زنتک
چگونه مولع آزار مردم دانامت

وعلى هذا فقد كان الأثوري «طالب علم» باستعداده ومواهبه، وشاعرا
بصناعته ومهنته، فتوزعت نفسه بين ما عليه عليه استعداد وما تقتضيه منه صناعته.
ولم يستطع أن يفتح بنصيب العالم من الفقر، أو أن يهدأ إلى النفاق الذي تضطره
إليه حياة القصور والملوك. وتحقق فيما بينه وبين نفسه ما تجلبه عليه أقواله من
تعريض وزرابة فازدري نفسه وطريقة حياته؛ وتاق إلى أن يعيش كما يعيش
«ابن سينا» ولكنه اضطر اضطرارا إلى أن يعيش حياة مشابهة لحياة «أبي نواس».
وقد قال إنه من الواجب على الشاعر ألا يقول الشعر بعد الخمسين (ص ٧٢٥)
ولكنه هو نفسه ظل يقرض الشعر أربعين سنة على الأقل؛ فقد ذكر في إحدى
قصائده (ص ٦٣٦) إنه قالها في سنة ٥٤٠ هـ (١١٤٥ — ١١٤٦ م) ثم ظل
يقول الشعر بعد خيبته المعروفة في إصدار الحكم الذي استوحاه من اجتماع الكواكب
في سنة ٥٨١ هـ (١١٨٥ — ١١٨٦ م). ولكنه على ما يظهر نبح في نهاية أيامه
عند ما ناز عليه أهله «بلخ» (كأن جزيرة اتركها) في تطبيق حياة القصور وترك
خدمة الملوك والأمراء، والعودة إلى حياة العلم والعزلة والاعتكاف، وهي الحياة التي
طالبها من نفسه بها وأحبها.

وهناك بعض القضايا التي تقوم دليلا على صحة هذا القول وخاصة القطوعة
التي نشرتها مع ترجمتها الإنجليزية (ص ٨ — ١٠) في مقالتي عن «حياة شعراء الفرس
الذكوريين في تاريخ كزنده» وهي المقالة التي نشرتها في «مجلة الجمعية الآسيوية
البلكية» سنة ١٩٠٠ — ١٩٠١ م؛ فهذه القطوعة (في شيء من
الإخلاص) مقدار الهدوء والراحة اللذين ظفرت بهما في كونه المتواضع حيث لا زلزال
إلا الحزن الجاف وقليل من الأدام، وحيث لا كأس له ولا مطرب إلا الحجاز والأقلام...
وهو يردد هذا المعنى في موضع آخر (ص ٧٣٣ من طبعة لكتنو سنة ١٩٨٨ م).

— یا ربی ... ابدل هذه النعم التي أغدقها علی ...
 أعطنی القناعة بالحق ، ورزقا طاهرا ، وزادا نظيفا ...
 — واجعل قوام حیاتی الأمن والصحة والطاعة
 ورغیفا وخرقة مهلهلة والاعتكاف فی ركن من الأركان الهادئة ... !!

یا رب بدم مرا بدل نعمتی که بود ، خر سندی حقیقت پویا کیزه توشه
 امنی وصحتی وپسندیده طاعتی نانی وخرقه ونشستن بگوشه
 و«السید نور الله الشوشتری» ، مؤلف کتاب «مجالس المؤمنین» الذي احتوی
 علی تراجم کثیر من أهل الشيعة وتم تألیفه حوالی سنة ١٥٨٦ م ، يعتبر «الأنوری»
 واحدا من شعراء الشيعة ، ولكن هناك مقطوعات فی دیوانه فی مدح «عمر» إذا
 ثبتت صحتها ونسبتها إلیه كان الأمر علی خلاف ما قال الشوشتری . هذا بالإضافة إلی أنه
 لا يمكن أن یعقل أن شاعرا من شعراء السلاجقة الذين كانوا من أهل السنة يستطيع
 أن يتغاضی عن هذه الحقيقة فيقدم علی مدح مذهب الشيعة وهو عارف أن أسناده
 یكرهونه ویضضونه كل البض .

ويقول الأنوری فی إحدى مقطوعاته الواردة فی ص ٥٣ : «أن سيف الدين
 عمر» مفتی بلغ هو الإمام الذي اختاره الإسلام فورث عدل «عمر» وصلاته ... !!
 صفی ملت اسلام وصدر دین خدای عمر که وارث عدل وصلات عمر است

ويقول فی مقطوعة ثانية واردة فی ص ٧٤ «إن الاسلام ظهر علی یدی عمر» .

بدلیری وهیت عمری که ظهور شریعت ان عمر است

ويقول فی مقطوعة ثالثة : ...

... إن الکفر قد امتحنی علی یدی محمد وعمر وقد بثت أنت ایمانها من جدید .
 وعندما كان الأنوری ملتحقا بخدمة الملوك لم یمنع عن شرب الخمر ، بل نجده
 فی إحدى مقطوعاته (ص ٦٨٨ القطعة الثانية سطر ٤ - ٥) يقول : «هل لك أن
 تدنی علی طريقة أستطيع بها أن أعتذر عن شربی للخمر وإحسانی بالقی والحار» .

رهیج دانی چگونه خوابم داشت - عذر فی کردنکی ومنتی خویش

وفي مقطوعة أخرى (ص ٦٩٨) يقول :

— أنت تعلم . . . يامولاي . . . أننى مريض بالنقرس ، ومن أجل ذلك فأنى
(رغم حبي للخمر) امتنع عن كل ما هو لاذع حريف . . . !!
— فلما سألتك كأساً من الشراب أعطيتنى كأساً من الخل الحامض الحريف ،
فلو أننى شربته لقمّت في يوم القيامة كاللحوم المتبلة . (المصوص)
— فأين ساقيك الوغد . . . ؟! حتى أستطيع أن أهرق في أنفه وأذنيه كأساً
مترعة . . . !!

بزرگوارا دانی کز آفت نقرس
ز هر چه ترشی من بنده می پرهیزم
شراب خواستم و سرکه کهن دادی
که گر خورم بقیامت مصوص بر خیزم
شراب دار تو آخر بکاست تا قدحی
بگوش و بینی آن قلتبان فرو ریزم

هذه هي الحقائق المجردة التي استطعت أن أصل إليها من نظرتي العاجلة لديوان
الأنوري ، ولكنني على ثقة من أن الدراسة الدقيقة لنص صحيح من هذا الديوان -
وهو ما زلنا في حاجة إليه إلى الآن - ستكشف لنا عن تفاصيل جديدة عن حياة
هذا الشاعر وعن كثير من الأسانيد التي يمكن أن نحكم بها على عقلية ونفسية .
فلنكتف الآن بهذا القدر ولنعد إلى الحكايات التي رواها عنه كتاب التراجم والتواريخ ،
فهي وإن كانت تافهة القصة بحيث لا يمكن الاعتماد عليها كثيراً ، إلا أنه لا يمكن
إهمالها جملة والغرض من شأنها غضا تاما .

ومن أهم الروايات المعروفة الرواية التي رواها كتاب « حبيب السيرة » (مجلد ٢
جزء ٤ ص ١٠٣-١٠٤ من طبعة بمباي سنة ١٨٥٧م) عن اتصال الأنوري بسنجر
فقصتها مخالفة للرواية التي ذكرتها المصادر الأخرى . وهي تقول إن « العزى » كان
أميراً للشعراء في ذلك العهد ، وكان موكولا إليه مقابلة الشعراء الذين يريدون أن
رفعوا قصائدهم إلى السلطان ومنع من لم تسم مواهبهم عن التشرف بالشول بين يديه ،

فابتدع «المعزى» حيلة مخزية يستطيع بها أن يقضى غيره من الشعراء الذين كان يخشى منافستهم له . . . ذلك أن ذاكرته كانت قوية على الحفظ بحيث كان يستطيع أن يعيد على التوأمة قصيدة بعد سماعها مرة واحدة ، وكان له ابن يستطيع أن يعيدها بعد سماعها مرتين ، كما كان له خادم يستطيع إعادتها بعد سماعها ثلاث مرات . فإذا تقدم إليه شاعر يريد التشرف بالمثل بين يدي السلطان ، فإنه يأذن له أن ينشده قصيدته برمتها فإذا فرغ منها التفت إليه المعزى وقال له : «إنتى أنا قائل هذه القصيدة ، وسأبرهن لك على صحة قولى بإنشادها لك ثانية ...» ثم يأخذ فى إنشاد القصيدة ؛ فإذا أعادها التفت إلى ابنه وقال : « وابنى أيضا يحفظها عن ظهر قلب . » فيأخذ ابنه أيضا فى إنشادها وإعادتها على مسامع الحاضرين ، فالتفت معزى إلى خادمه - كما فعل مع ابنه - فيأمره بإعادتها لثالث مرة ثم يأمر بطرد الشاعر المسكين بتهمة أنه شاعر وضعيف يغير على أشعار غيره فينتحلها لنفسه ...!! وضاق الشعراء ذرعا بهذه الحيلة التى ابتدعها «المعزى» إلى أن بلغ الأمر «الأنورى» فألقى دلوه فى الدلاء لعله فاعل شيئا أومتدبر أمرا ، فتقدم إلى «المعزى» فى ثياب رثة مهلهلة وأخذ ينشده أشعارا مضحكة تافهة ، فاستثار بظهوره وشعره هزه الحاضرين وسخريتهم ، وظن «المعزى» أنه مهرج عاجز ولم يستشعر شيئا من الخطر يهدده إذا قدمه إلى السلطان ، فوعده بذلك فى اليوم التالى . فلما حان الموعد الذى ضرب له تقدم «الأنورى» فى ثياب محترمة وأنشد البيتين الأولين من قصيدته التى مطلعها :

گر دل و دست بحر و کان باشد دل و دست خدا یگان باشد

ثم توقف عن الإنشاد والتفت إلى «المعزى» وقال له «أتمم إنشاد هذه القصيدة إذا كنت سمعتها قبل ذلك ... وإلا فاعترف أنها من إنشائى ... ۱۱»

فذهل «المعزى» لهذه المفاجأة واعترف للأنورى بحسن حيلته وقوة بذيته وهذه القصيدة نفسها تشهد بأن «الأنورى» كان يشتغل بقول الشعر قبل ذلك بوضع سنين ، فهو يقول فيها :

خسروا . . بند را چو ده سال است کاش همی آرزوی آن باشد

کز ندیمان مجلس ار نبود از مقیمان آستان باشد
ومعنی هذین البیتین :

— أيها المليك ... لقد كانت الرغبة الوحيدة لبعذك منذ عشر سنوات
— أن يكون واحدا من ندماء مجلسك ، فإذا لم يستطع ، فليكن مقبياً على اعتاب
بابك ... !!

ومهما كان من أمر ، فإن كلمات « الأنورى » تشهد بأنه نال استحسان الملك ورضاه
فهو يقول :

انورى را خدا یگان جهان

پیش خود خواند و دست داد و نشانید

باده فرمود و شعر خواست ازو

و ترجمتها :

— فدعا ملك العالم شاعره « الأنورى » وسلم عليه وأجلسه إلى جواره

— ثم أمر بالشراب وسأله أن ينشده بعض أشعاره ... !!

وهناك قصة أخرى عن الأنورى مروية بصور مختلفة في «هفت إقليم» و«بهارستان»
و«مجموع فصیحی» و«لباب الألباب» (لمحمد عوفى ج ٢ ص ١٣٨ - ١٣٩) وهي
تشير إلى تحذير تلقاه من شاعر معاصر هو «خالد بن الربيع» حين أراد السلطان
علاء الدين ملك الجبال (ملك الغور) أن يستدعى الأنورى إلى حضرته ، فأظهر
التلطف في استدعائه ، ولكنه كان يضمن له السوء ويريد أن ينكل به لأشعار قالها
في هجوه ! فعلم «خالد بن الربيع» بحقيقة الحال ، وشاء أن يحذر صديقه من سطوة
السلطان وقهره ، ولكنه خشى أن يكتب له صراحة بحقيقة الأمر ، خشية أن يثير
غضب السلطان عليه ، فصدر رسالته إليه بهذه الأبيات العربية :

هي الدنيا تقول بملء فيها حذار حذار من بطشى وفقى

فلا يغرك طول فى ابتسأى فقولى مضحك والفعل مبكى

هي الدنيا أشبهها بشهد يسم وجيفة ملكت بمك

قاستدل « الأنورى » من هذه الأبيات على الخطر الحائق به ورفض الذهاب إلى السلطان « علاء الدين » وأرسل السلطان رسولا آخر إلى « الملك طوطى » الذى كان يستضيف « الأنورى » وطلب منه أن يرسل إليه الشاعر فى مقابل ألف رأس من الغنم يعطيها له . ولكن الشاعر استطاع أن يقنع « الملك طوطى » بألا يسلمه غنيمة باردة لحصمه ... !!

ويقول بعض الكتاب إن « الأنورى » اعتذر لملك الغور بقصيدة مطلعها: (١)

كلبه كاندران بروز وبشب

جای آرام وخورد و خواب من است

وهى قصيدة يرجع تاريخ إنشائها إلى النصف الأخير من حياته حينها هجر القصور وحياة القصور . والشهور أن « الأنورى » أمضى أواخر أيامه فى مدينة « بلخ » حيث اختار عيشة العزلة بعد ما أخفق فى حكمه على اجتماع الكواكب السبعة فى سنة ٥٨١ هـ (١١٨٥ - ١١٨٦ م) (٢) . ولكن سوء الحظ تابعه فى هذه البلدة أيضا ، فقد انتشرت بين أهلها قصيدة فى هجائهم باسم « خرنامه » أو « رسالة الخير » كان مؤلفها الحقيقى الشاعر « سوزنى » (٣) ولكنهم نسبوها خطأ إلى « الأنورى » فعامله أهل البلدة بشئ من القسوة والشدة ، وعرضوه فى شوارع بلدتهم معصوب الرأس بعصابة امرأة ، وكادوا يفتكون به لولا أن تدخل بعض أصحابه فى الأمر يخلصوه من أيديهم . وكان بين الذين خلصوه كثير من أصحاب النفوذ مثل القاضى « سيد أبوطالب حميد الدين » والفقى « صفى الدين عمر » والمحتسب « تاج الدين أحمد » والأستاذ « نظام

(١) أنظر ص ٥٩٣ - ٥٩٤ من ديوان أنورى طبع لكتنو سنة ١١٨٠ ، وكذلك مقالنى عن الشعراء المذكورين فى « تاريخ كزنده » المنشورة فى مجلة الجمعية الآسيوية الملكية فى أكتوبر سنة ١٩٠٠ .

(٢) حاول البعض الدفاع عن الأنورى فقالوا إنه أشار فى حكمه إلى العواصف السياسية ، لا العواصف الجوية ، لأن جنكيزخان فى ذلك الوقت استطاع أن يترجم المغول ويتولى أمرهم .
(٣) قالت بعض الروايات أن هذه القصيدة كانت من خمسة أبيات ذم فيها قائلها حواضر خراسان الأربعة (أى مرو وبلخ ونيسابور وهراة) وأن الذى أنشأ هذه الملقوعة هو الشاعر « فتوحى » بتعريض من « سوزنى » الذى نسبها متعمداً إلى الأنورى للإيقاع به .

الدين احمد»... وإلى الأخير منهم وجه الشاعر قصيدة تبلغ أبياتها المائة ، مدحه فيها على تخليصه إياه من بليته (وهي القصيدة رقم ٦ في كتاب ژوكوشكى) ومطلعه :

ای مسلمانان فغان از دور چرخ چنبړی
وز تفاق تیر وجیر ماه وکيد مشترى

ولا يفوتني أن أقرر أن هذه القصيدة هي الأصل لقطعة نشرها الأستاذ المرحوم «بالمر E.H. Palmer» في ص ٦٣ — ٨٠ من كتابه المسمى «أغنية الناي» «Song of the Reed»^(١) تحت عنوان Palinodia وهي ترجمة غير دقيقة ، لم تنقيد بالأصل الفارسي ، كما يدل على ذلك الفقرتان التاليتان اللتان يقابلهما ثلاثة أبيات من الأصل :

“Ah .. the spheres are incessantly rolling ,
And the Archer is shifting his ground ,
And the Moon is for ever patrolling ,
And Jupiter going his round .
The water that tastes to another
Refreshing and cool on the lip ,
Is as fire that no efforts can smother
In the cup which I sip .”

“The dust that all quiet is lying
When others recline on the ground ,
Around me in volumes is flying ,
Like a desert where whirlwinds abound ;
And Fate , in the ship of my being ,
In happiness hurries me past ,
But if ever from sorrow I'm fleeing ,
It anchors me fast .”

فلو أننا ترجمنا الأبيات الثلاثة الفارسية التي ترجمت في هاتين الفقرتين لكان معناها الحرفي هكذا :

— أيها السبعون... وأويله من دورة هذا الفلك الأعوج

ومن نفاق «الريح» ورياء «القمر» وكيد «المشتري» (١)

— فهي تحيل الماء العذب إلى نار تلهب في لهاقي وحلقى

وهي تحيل الأرض الهادئة إلى ريح صرصر عاتية تصف بمسكنى

— والسما دائماً تفعل بزورق عمرى أمرأ من أمرين :

فهي إما أن تنفخ الريح في قلاعه وقت السرور ؛ وإما أن تلقى بمراسيه في

وقت الأحزان !!..

وأشهر قصيدة معروفة للأنورى في أوروبا هي التي ترجمها «الكابتن وليام

كركباتريك» إلى الإنجليزية نظماً تحت عنوان «دموع خراسان» ونشرها في المجلد

الأول من كتاب Asiatic Miscellany الذى طبع في مدينة كلكتا سنة ١٧٨٥م

(ص ٢٨٦ - ٣١٠) وكذلك نشرها الأستاذ «E. H. Palmer» في كتابه

المعروف بـ «أغنية الناي» ص ٥٥-٦٢.

ويقول «كركباتريك» : «إن هذه القصيدة من أجمل القصائد في اللغة الفارسية .

فالعواطف المثلثة بها طبيعية ، وهي في الغالب من أجمل العواطف وأنبهها . وكذلك

الصور التي اشتملت عليها واضحة ظاهرة للعيان ؛ والشاعر ثائر في قوله ولكنه

جميل التعبير منمق العبارة عفيف الألفاظ ؛ ونظمه ليس سلساً في كل المواضع ولكنه

على العموم متناسب مع موضوع القصيدة ، وكذلك البحر الذي نظم فيه الشاعر يعتبر

من أبطل البحور من حيث موسيقاه ومن أكثرها مهابة واتزاناً » . وهذه القصيدة

لها بالإضافة إلى ذلك فائدة تاريخية كبيرة لأنها تمثل لنا الغارات التي قامت بها قبيلة

متوحشة من الأتراك «الغز» غرقت أكثر الأنحاء ازدهاراً في إيران في سنة ٥٤٨هـ

(أوائل سنة ١١٥٤م) وكانت هذه القبيلة تستقر بمراعيها بالقرب من «ختلان»

من أعمال بلخ ، وكانت تمد مطابخ السلطان «سنجر» بأربعة وعشرين ألف رأس من

(١) الترجم : فيما يلي نص الأبيات الفارسية :

وز نفاق تیر و جبر ماه و کید مشتری

خاک ساکن را دهد در مسکن من صرصری

وقت شادی بادبانی وقت انده لنگری

آی مسلمانان فغان از دور چرخ چنبری

آب نافع را دهد در مشرب من آتشی

آسمان در زورق عمرم کند دایم دوکار

الغنم، تقوم بإيقاعها له كجزية سنوية مرتبة عليهم . وقد ظمعرئيس المطايح (خوانسلاز) في عدد أكثر من ذلك العدد ، وقسا على « الغز » في معاملته إياهم ، فأدى ذلك إلى كثير من المنازعات التي أريقَت فيها الدماء ، وقد رحا ك بلغ المسمى « قجاج » ما يحيطه من ظروف فكتب إلى مولاه « سنجر » يشكو له من ازدياد قوة « الغز » وجرائهم عليه ويطلب إليه أن يعينه حاكما عليهم (شحنة) وتعهده في نظير ذلك أن يخضعهم لسلطانه وأن يجبرهم على رفع الجزية إلى ٣٠.٠٠٠ رأس من الغنم . ولكن « قجاج » لم يفلح في تحقيق وعده واستطاع « الغز » أن يطرده من أراضيهم وأن يذبحوا ابنه « علاء الدين » .

وحرض الأمراء السلطان « سنجر » أن يخرج إليهم بنفسه، وأن يرفض ما قدموه إليه من معاذير وتعويضات بلغت مائة ألف دينار وألفا من العبيد الترك !!.. وتقدم « سنجر » إلى خيامهم فاستولت عليهم الرهبة وتملكهم الرعدة ، وخرجوا إليه هم ونساؤهم وأطفالهم يتوسلون إليه أن يغفر أخطاءهم ويتناسى جرائهم ، ثم عرضوا عليه أن يدفعوا له سبعة أمتان من الفضة ، يأخذها من كل أسرة من أسراتهم . ولكن الأمراء منعوا السلطان « سنجر » من قبول هذه العروض السخية وخاصة « المؤيد » و « يرقش » و « عمر العجمي » وانتهى الأمر إلى القتال . واستيأس « الغز » في الميدان فاستطاعوا بحماسهم أن يستأصلوا جيوش « سنجر » وأن يأخذوه أسيرا إلى عاصمته في مدينة « مرو » وأن يغيروا على هذه المدينة ويبيحوها للنهب العام مدة ثلاثة أيام ، أذاقوا فيها الأهلين كثيرا من الماراة والعذاب حتى يضطروهم إلى إظهار الكنوز التي أخفوها . ثم التحق بهم مدد يبلغ عدده ثلاثة أضعاف قوتهم الأصلية ، أغلبه من الجنود المهزومة والأوياش والسفلة ، فاندفعوا بهم إلى مدينة « نيسابور » فدافعهم أهلها وقتلوا عددا منهم ، ولكن « الغز » اشتدوا في غارتهم على هذه المدينة واستطاعوا أن يقتلوا في « المسجد الجامع » عددا كبيرا من أهل البلدة لا يبلغه الإحصاء ، لأن القتلى كما تقول الأخبار : « كانوا غارقين في دماهم لا تستطاع رؤيتهم وهم في لجة عميقة من السماء المهزقة !!... »

ثم تحول « الغز » فأحرقوا « جامع الطرز » وكانت بنيته تستوعب ألفين من الناس... ثم استمروا على أتواء المشاعل يغيرون على أنحاء البلدة ويخربون ما تصل إليه

أيديهم . ثم عسكروا خارج البلدة ولكنهم استمروا يوميا يدخلون المدينة ويعيثون فيها ، فيقتلون بعض الأفراد ، أو يكتفون بتعذيب بعض من يلاقونه ، وقد غرّبون الديار ويحطمون المنازل ويقهّلون من الأمور ما يثير في النفوس كثيرا من المرارة والحسرة . وقد بلغ عدد ضحاياهم بضعة آلاف ، بينهم جماعة من أفاضل الرجال مثل « الشيخ محمد الأكاف » و « محمد بن يحيى » وقد رثى الأخير منهما الشاعر « خاقاني » في ثلاث قصائد على الأقل (١)

وكان الحراب شاملا بحيث أن مؤلف كتاب تاريخ السلاجقة المعروف بـ « راحة الصدور » (٢) يقول : إن « معزى » ربما فكر في هذه الكارثة حينما أنشد الأقوال التالية :

- وكان نديمي موجودا في هذه الحداثق الزاهرة ومن حوله الرقاء والإخوان ؛
 - فأصبحت هذه الحداثق مرتعا للشعالب والذئاب والثوم والغربان ... !!
 - وأصبحت حمر الوحش ترتع فيها ... وكانت تدور فيها الكؤوس والأكواب .
 - وأصبحت الغربان تنعب فيها ... وكانت تتجاوب فيها من قبل نيمات العود والزمار ونبرات الحديث المستطاب ... !!
 - وقد محا الفلك هذه الآثار العزيرة على النفوس والقلوب ؛
 - فلن يستطيع منقب في ثناياها أن يتبين المكان الذي كنت أغازل فيه الحبيب !..
- آنجا كه بود آن دلستان با دوستان در بوستان
شد كوف و كركس را مكان شد كرك و روبه را وطن

(١) أنظر مجلة « الجمعية الآسيوية الملكية » سنة ١٩٠٢ ص ٨٥٤ ، وكذلك « كلمات خاقاني » طبع لكتو سنة ١٣٩٣ هـ ج ١ ص ٥٨٧ — ٥٩٠

(٢) مؤلف « راحة الصدور » هو الراوندى .

بر جای رطل و جام می گوران نه — دستند بی
 بر جای نقل و نای و نی آوای زاغست وزغن
 زین سان که چرخ نیلگون کرد آن نهانهارا نگون
 دیار کی گردد کنون کرد دیار یار من (۱)

وقد فعل « الغز » بسائر أنحاء خراسان مثلما فعلوا بمدينة نيسابور ، ولم ينج
 من أيديهم إلا مدينة « هراة » فإنها قاومتهم أشد المقاومة وقد مكث « سنجر »
 سنتين أسيرا في أيديهم ولم يستطع الخلاص إلا بعد أن دفع رشوة لجماعة من رؤسائهم
 فخرج من « بلخ » إلى « مرو » وأخذ يعد العدة لجمع جيش جديد ولكن الحزن
 استولى عليه بسبب الحراب والدمار اللذين أصيب بهما دياره ففرض مرضا شديدا
 توفي على أثره في سنة ٥٥٠ هـ (= ١١٥٥ م) ودفن في « مرو » بالمقبرة المعروفة
 باسم « دولتخانه » .

وقد كتب « الأنوري » قصيدته التي عرفت باسم « دموع خراسان » أثناء الفترة التي
 وقع فيها « سنجر » أسيرا في يد « الغز » وربما كتبها في سنة ٥٥٠ هـ (= ١١٥٥ م)
 وقد خاطب بها الشاعر أمير سمرقند « محمد بن سليمان » كما يرى ذلك « كركياتريك »
 وإن لم يكن هنالك ما يقطع بهذا الرأي . والقصيدة طويلة بحيث لا يتسع المقام لنشرها
 لأنها تشتمل على ٧٣ بيتا ، ومن أجل ذلك فسأكتفي بأن أنشر هنا قطعاً جميلة من
 ترجمة « كركياتريك » وترجمة « بالمر »

وفيا يلي ثلاث فقرات من ترجمة « كركياتريك » وهي تقابل الأسطر الأربعة
 عشر الأولى من ترجمة « بالمر » وتقابل الأبيات الخمسة الأولى من الأصل
 الفارسي :

(١) المترجم : أنظر ص ١٨٢ — ١٨٣ من كتاب « راحة الصدور » طبع ليدن سنة ١٩٢١ م

I

"Waft , gentle gale , oh waft to Samarcand ,
When next thou visitest that blissful land ,
The plaint of Khorassania plunged in woe :
Bear to Turania's king our piteous scroll ,
Whose opening breathes forth all the anguished soul ,
And close denotes what all the tortur' d know ."

II

"Whose red tinged folds rich patriot blood enclose,
The mortal fine impos'd by ruthless foes ,
And misshap'd letters proof our trembling fears :
Whose every word reveals a pungent grief ,
Whose every line implores a prompt relief ,
While every page is moistened with our tears."

III

"Soon as loud Fame our wretched fate shall sound,
The ear of Pity shall receive a wound ;
And feel th' extreme of intellectual pain :
Soon as our dismal tale shall meet the view ,
The melting orbs shall catch a purple hue ,
And sanguine drops the mournfull verse disdain ."

وفيما يلي نورد الجزء المقابل لهذه الفقرات من ترجمة « بالمر » :

"O gentle zephyr : if o'er Samarcand
Some dewy morning thou shouldst chance to blow ,
Then waft this letter to our monarch's hand ,
Wherein Khorassan tells her tale of woe ;
Wherein the words that for the heading stand
Are present danger and destruction nigh ,
Wherein the words that are inscribed below
Are grief , and wretchedness , and misery ,
On every fold a martyr's blood appears ,
From every letter breathes a mourner's sigh ,
Its lines are blotted with the orphan's tears ,
Its ink the widow's burning anguish dries .
Its bare recital wounds the listener's ears ,
Its bare perusal scathes the reader's eyes ."

وفما بلى ترجمة حرفية للآيات الفارسية التي تقابل القطع السابقة (١)

— إذا مرت ... يا ربح السحر ... على مدينة « سمرقند »

فانحلي رسالة أهل خراسان إلى حضرة السلطان ... !!

— فهي رسالة مطلعها غناء الجسد وعذاب للروح

ومقطعها (أى نهايتها) ألم للفؤاد وضى للأكباد ... !!

— وهي رسالة تبدو في سطورها تأوهات الأعزاء

وتحتوى في ثناياها على دماء القتلى من الشهداء ... !!

— وقد جفت صفحاتها بفعل التأوهات الحارة التي تخرجها صدور المظلومين

ولكن عنوانها مازال نديا مبللا بفعل الدموع الجارية من أعين المحرومين ...

— وقد احترق بها سمعى ... عندما أخذ يصغى إلى أخبارها

ودى بها إنسان عيى ... عندما نظر إلى مضمونها وآثارها ... !!

وقبل أن ترك هذه القصيدة الخالدة يحذر بنا أن نذكر قطعة أخرى متقابلة في

توجهي « كركياتريك » و « بالمر » .

[ثم يذكر الفقرات ١٣ — ١٦ من ترجمة « كركياتريك » والقطعة التي تقابلها

من ترجمة « بالمر » ولم تر حاجة إلى إيرادها] .

والترجمة الحرفية للأصل الفارسي [للفقرات الانجليزية التي تركناها] هي الآتية : (١)

(١) المترجم : فيما بلى النص الفارسي للآيات الخمسة الأولى من القصيدة ، وهو الذي اعتمدنا

عليه في الترجمة :

بر سمرقند اگر بگنری ای باد سحر نامہ

نامہ مطلع آن رنج تو وآفت جان

نامہ بر رقص آہ عزیزان پیسا

نقش تحریرش از سینہ مظلومان خشک

ریش گردد مر صوت ازو گاه سماع

(١) المترجم : الآيات الفارسية هي :

بر بزرگان زمانه شده خوردان سالار بر کریمان جهان گشته لثیمان مہتر =

- وقد أصبح الصغار يرأسون العظماء والكبراء
وأصبح أهل اللؤم والبخل يفضلون الكرماء الأسخياء...!!
— وأصبح الأحرار حيارى... يقفون في حزن على أبواب الأسافل
وأصبح الأبرار أسرى في أيدي الأراذل...!!
— ولم تعد ترى أحدا يبدو البشر على وجهه إلا إذا كان على أبواب الموت
ولم تعد تجد بنتا بكرا إلا من كانت في بطن أمها...!!
— وأصبح المسجد الجامع في كل بلدة مربطا لدوابهم
ولم يعد له سقف أو باب...!!
— ولم يعد أحد يخطب باسم «الغز» في أى بلدة من البلاد
لأن خراسان قد خلت الآن من الخطباء والناظر...!!

شعر الأنورى :

نتقل الآن إلى الفصل الثانى من كتاب «زوكوشكى»^(١) الذى أفرده لنشاط «أنورى» الأدبى ولخصائص شعره . وهنا نجد أن «الأنورى» اتبع نهج الشعراء الآتية أسيادهم ، وهم من العرب والفرس وقد ذكرهم في قطع مختلفة من قصائده : «الأخطل» و«جرير» و«الأعشى» و«حسان بن ثابت» و«البحترى» و«أبو فراس» و«بديع الزمان الهمداني» و«الحريرى» و«العنصرى» و«الفردوسى» و«الفرخى» و«أبو الفرج» و«الأمير معزى» و«سنائى» و«أديب صابر» و«رشيدى» و«حميد الدين» و«رشيد الدين الوطواط» و«شجاعى» و«كامل الدين اسماعيل» . ويبدو

== بر در دونان احرار حزين و حيران در كف رندان ابرار اسير و مضطر
شاد الا بدر مرگ ته بينى مردم بكر جز در شك مام نيابى دختر
مسجد جامع هر شهرستور ايشانرا پاى گاهى شده نه سقش پيشا و نه در
نكند خطبه بهر شهر بنام غز از آنكه در خراسان نه خطيبست كنون نه سر
(١) أظفر ص ٣٤ — ٣٧ من كتاب «زوكوشكى» .

من هذه القائمة — كما لاحظ ذلك «ژوكوفسكى» — أن الأنورى كانت له معرفة تامة بشعر الشعراء القدامى وكذلك بشعر المحدثين من معاصريه. وقد رأينا أن صلاته كانت طيبة مع واحد من معاصريه هو الأديب المعروف «حميد الدين» مؤلف «المقامات» وقد تبادل معه كثيرا من الأشعار. وقد ذكر «ژوكوفسكى» جملة من هذه القطع الجميلة التى أرسلها الأنورى إلى «حميد الدين» ومن بينها هذه الأبيات المعروفة التى ترجمتها :

— إذا أرسلت بجناح جرادة إلى حضرة سليمان
فأتمس لى عذرا عن هذه الهدية التى أخجل من تقديمها ... !!

— وإنى لأخشى ما ينالنى من احتقار زهرى وربحانك
وقد أقدمت على إرسال هذه الأشواق إلى بستانك ... !!

ومن بين الشعراء الذين خصهم الأنورى بإعجابه — وفقا لما ذكره صاحب «تاريخ كزیده» و «هفت إقليم» — الشاعر «أبو الفرج الرونى» الذى كان من أهل «لاهور» ومن المادحين لمولوك «غزنه» وتوفى فى تاريخ لاحق لسنة ٤٩٢ هـ (= ١٠٩٩ م).

أما الأمراء والأفاضل الذين ورد ذكرهم فى أشعار الأنورى فمن بينهم :

«السلطان سنجر» و «أبو الفتح طاهر بن غفر الملك» وهو من أحفاد الوزير المعروف «نظام الملك» و «السلطان طغرل تكين» و «عماد الدين فيروز شاه» حاكم بلخ و «خواجه جهان مجد الدين أبو الحسن العمرانى» و «السيد أبو طالب» و «حميد الدين» صاحب المقامات .

ويختتم «ژوكوفسكى» هذا الفصل بذكر الفنون الشعرية التى اتبعها الأنورى مثل «القصيدة» و «الغزل» و «الرباعى» و «الهجاء» و «المقطوعات» ثم يذكر بعد ذلك جملة من أشعاره التى قالها فى احتقار الشعر، ثم يورد بعد ذلك

المنظومات التي قالها ثلاثة من الشعراء من بينهم «مجد الدين همكر» و «إمامي» (١) عندما سئلوا عن آرائهم في المفاضلة بين «الأنورى» و «ظاهر الدين الفاريابى» فانفقوا جميعاً على تفضيل «الأنورى» على صاحبه.

صغرة أشعار الأنورى :

فإذا وصلنا إلى الفصل الثالث من كتاب «ژوكوشكى» وجدناه يتعلق بصعوبة أشعار الأنورى ، وبالمراجع التي تساعدنا على التغلب على هذه الصعوبة والتسكن من فهم أشعاره وخاصة الشرحين الآتيين :

١ - الشرح الذى كتبه «محمد بن داود العلوى الشادآبادى» على أشعار الأنورى (وهذا الشخص نفسه هو الذى شرح أشعار «الحاقانى») .

٢ - الشرح الذى كتبه «أبو الحسن الفراهانى» من رجال النصف الأخير من القرن السابع عشر الميلادى (= الحادى عشر الهجرى) .

وقد أعجب «ژوكوشكى» بالثانى من هذين الشرحين ، لأن صاحبه اعتمد فيه على ما سمعه شفويا من روايات ، وكذلك على ما قرأه مكتوبا من تفاسير اشتمل عليها ستة وثمانون كتابا ذكرها الشارح بأسمائها .

أسلوب الأنورى :

أما الفصل الرابع والأخير من كتاب «ژوكوشكى» فيتعلق بأسلوب الأنورى ولغته ، وبما قام به المستشرقون من مجهود لتعريف الناس بالأنورى وبأشعاره . وليس هذا الفصل فى حاجة إلى تعليق جديد نكتبه عنه .

فلنترك الآن الأنورى ، ولننتقل إلى الحديث عن الشاعر «الحاقانى» .

(١) النص الفارسى لهاتين القصيدتين موجود مع ترجمته إلى الإنجليزية فى ص ٦٠ — ٦٤ من مقالتي عن الشعراء الفرس المذكورين فى كتاب «تاريخ كزبده» ، ويذكر عبد الدين أنه قال قصيدته فى رجب سنة ٦٧٤ هـ (= يناير سنة ١٢٧٦ م) .

٢ - خاقانى

اشتهر هذا الشاعر بصعوبة أشعاره وخفاء معانيها . وأغلب منظوماته من نوع القصائد ولكنه نظم « مثنويا » طويلا أسماء « تحفة العراقيين » وصف فيه حجه إلى مكة المكرمة . وضمنه كثيرا من المعلومات التى تتصل بحياته .

وهناك مقالة قيعة كتبها « خانيكوف N . de Khanikoff » عن الشاعر خاقانى تحت عنوان « خاقانى : الشاعر الفارسى فى القرن الثانى عشر الميلادى »

Mémoire sur Khâcânî , Poète Persan du XII Siècle .

ونشرها فى « المجلة الآسيوية » سنة ١٨٦٤ - ١٨٦٥ م

وقد كتب عنه فقال إنه « نجم لامع بين الملهمين من الفرس » ثم أخذيين لنجاحه فى صورة واضحة ، استطاع أن يحلو بها كثيرا مما خفى من أجز الشعر وأمر عصره . ويؤخذ من بيت من قصيدة له عن أصفهان أن « أفضل الدين إبراهيم بن على الشيروانى » كان يعرف أولا باسم « حقائق » ثم تلقب بعد ذلك بالـ « خاقانى » وأنه ولد سنة ٥٠٠ هـ (١١٠٦ - ١١٠٧ م) فى مدينة « كنجة » التى تعرف الآن باسم اليزافيتبول Elizavetpol^(١) .

وكان أبوه نجارا وكانت أمه مسيحية من النساطرة اعتنقت الإسلام^(٢) وكانت تشتغل طاهية .

وكان جده - كما نخبرنا هو بصراحة تامة - ناسجا ، وكان عمه طبيباً اسمه « ميرزا كافى بن عثمان » وإليه يرجع الفضل فى تأديبه وتثقيفه .

وفى سن مبكرة تركه أبوه - إما لوفاته أو لهجر أمه - فاهتم عمه بالعناية به وتولى تنشئته وتربيته ثم علمه مبادئ العلوم واللغة العربية والطب والنجوم والفلسفة . وقد

(١) هكذا رأى « خانيكوف » ولكن يبدو لى من « تحفة العراقيين » (النسخة المطبوعة على الحجر فى سنة ١٨٧٧ م ص ٣٥) أنه ولد فى مدينة « شروان » .

(٢) تحفة العراقيين ص ١٩٩ سطر ١ - ٦ تحت عنوان أصل الشاعر

قاسى فى تعليمه الكثير لأنه كان على شاكلة أهل عصره ويبتته يريد ألا يفسد الطفل ولو اضطر إلى استعمال العصاة والمقرعة . فلما بلغ « خاقانى » الخامسة والعشرين من عمره مات عمه ولم يتجاوز الأربعين من عمره فانقطعت بموته تربية الشاعر ووقف تعليمه .

خاقانى وأبو العلاء الكنجوى :

ولكن خاقانى مدين فى براعته فى النظم إلى أستاذ آخر هو « أبو العلاء الكنجوى » أحد شعراء « منوچهر شروانشاه »^(١) وقد قدمه هذا الشاعر إلى مولاه فأذن له أن غير تخلصه الذى عرف به باسم « حقائق » إلى هذا اللقب الفخم الذى أصبح يعرف به وهو : « خاقانى »

وقد تزوج « أبو العلاء » ابنته من تلميذه « الخاقانى » فكان هذا ماثرا لحسد تلميذه الآخر « فلكى الشروانى » الذى مازال غاضبا من أستاذه بسبب هذه الزيجة حتى أرضاه فى نهاية الأمر بمنحه ٣٠٠٠٠ درهم ليشتري بها كما قال له : « عشرين أمة تركية يفقن عروس الخاقانى جمالا وبهاء .. !! »

والظاهر أن رضاء « أبى العلاء » على تلميذه وزوج ابنته لم يستمر طويلا ، وأنه أحس من الخاقانى شيئا من الخفاء والنفور فوجه إليه هذه الرباعية :

خاقانيا گرچه سخن نيك دانيا
يك نكته گويمت بشنو رايجانيا
هجو كسى مكن كه ز توبه بود بسن
شايد كه پدر بود ... تو ندانيا ... !!

ومعناها :

- يا خاقانى ... !! ولو أنك ماهر حقيقة فى قول الشعر
- ولكن دعنى أنصحك نصيحة واحدة ، فاصنع إليها من غير أجر
- لا تهزأ بشاعر يكبرك سنا ... وحذار أن تهجوه
- فربما كان أباك ... دون أن تعرف أنت هذا الأمر ... !!

(١) كان على عهده كثير من الشعراء مثل « نظامى الكنجوى » و « أبو العلاء الكنجوى » و « فلكى الشروانى » و « خاقانى » و « السيد ذو الفقار » و « شاهفور » . انظر تذكرة الشعراء ص ٧١ .

وربما ساء « الخاقاني » ما سمعه من قدح حميه فيه ، فطلب منه أن يعتذر عما قال ولكن « أبا العلاء » لم يستمع إليه وجدد هجاءه له في الأبيات الآتية : (١)

تو ای افضل الدين گر راست پرسى بجان عزیزت که از تو نشادم
دروگر پسر بود نامت بشروان بخاقانیت بر لقب بر نهادم
بجای تو بسیار کردم نکوئی ترا دختر و مال و شهرت بدام
چرا حرمت من نداری تو چون من ترا هم پسر خوانده هم اوستادم
بمن چند گوئی که گفتی سُخْنا که من يك شي مر ترا خوش بگدام
وگر خیزگی می کنی باز گویم کزین سان سُخْنا نباشد بیام
بگفتم بگفتم نگفتم نگفتم بگدام بگدام نگدام نگدام

ومعنى هذه الأبيات :

— يا أفضل الدين .. لو أنك سألتني الحق لأقسمت لك بروحى أننى مستاء منك

— لقد كان اسمك في «شروان» ابن النجار ، فلقيتك بالخاقاني ... !!

— ثم أكرّث من إحسانى لك ، فزوجتك ابنتى ، وأعطيتك المال والشهرة ..

— فلم لا تحترمنى ... وقد كنت آخذك ولداً ، وكنت لك أستاذاً ... !!

— وإلى متى تقول أننى قلت بشأنك حديثاً ، وأننى نكحتك فى إحدى الليالى

نكحة طيبة ... !!

— أما إذا كنت تعبت بى ، فإننى أعيد القول أننى أنا نفسى لا أكاد أذكر هذا

الحديث ... !!

— فإن كنت أنا قتلته فيها ، وإن كنت لم أقله فيها ، وإن كنت أتيتك فيها ،

وإن كنت لم آتتك فيها ... !!

وقد أجابه « خاقانى » على هذه الأبيات بمنظومة لازمة فاحشة الألفاظ ، نشرها

« خانيقوف » مع ترجمتها ، ثم اعتذر عن إقدامه على نشرها بأنها صحيحة فارسية فى القرن

الثانى عشر الميلادى . (السادس المجرى) فلا غزو إذا احتوت على كثير من الفحش

الذی ربما وجدنا له مثیلا فی هذا القرن فی لغة ایران فی لغة أوربا أيضاً (۱).

(۱) الترجم : فَمَا یَلِ نَصْ هَذِهِ اَلْثَنَوِیَّةُ تَقْلًا مِنْ مَقَالَةِ «خَابِقُوف» :

یمنی سگ گنجہ در این کوی	م سرخ ققا وم سیه روی
آن سرخ نه کنز معمری خاست	سرخ کی که ز دست مرغزی خاست
آن ملحد أبو العالی سافل	چون وحش بی همه عقل وغافل
غریجه وغریجه ز سکوری	غوری سگ وعولی اصل عوری
چون آن سگ عوری از جهان زاد	همیره شیخ نجدی افتاد
شکر وچو سگ زبان مختال	پرورده شیرسگ علی الحال
آن جاحظ وقت را بدی خواه	وآن جاحد دین آباده الله
بطریق زمانه باب بطروس	صد ره به ازو جهود وبعوس
خواهی اش جهود ملحدان دان	ور خواهی ملحد جهودان دان
مانند جهود شد زحل رنگ	لا بل چو زحل جهود نیرنگ
او کیست که با روان نازک	باشد بنسبت هو ینیک
او جز بی تقی حق نیوید	ان از اب واین روح گوید
آن مشرک واین معطل از دل	م مشرک بهتر از معطل
از م شده افتابی از دست	شتاب ودهن دریده چون طست
لا بل که چو شمع طست از آغاز	خو کرده شمعی سرکار
دارد نسب از حجیم خذلان	م نار مجیم گردش جان
بوده نسبش از آتش آز	م بر سر آرز جان دهد باز
ماند بجعل بفعل وسیما	یمنی بجعل که وقت گرما
از قل چهارپا بر آید	م بر سر آتش جان بر آید
چون از در دین ستوده گردد	کرد در وگرد کوه گردد
صاحی را در ابر جوید	چون یافت تمام صباح گوید
گوید که حسن پیمبری بود	کیال بزرگ مهتری بود
گوید که محمد ای برادر	مردست حکیم کیمیا گر
که با زن زید این آن نکرد	انگاه ورا نکاح دین کرد
از محدث کاف ونون که مولیست	محبوب کر این حدیث او نیست
وز روضه مصطفی که میترست	پزارم از این نه گفته اوست
هستند بر این گوا شب وروز	در فندق او دو صد کله دوز
در فندق او بود دکانش	صد کوثر دو مغز در دهانش
وز فندقیان بطبع ناخوش	در نمره چو شه بلوط از آتش
آنکه احمد را حکیم داند	خاقانی را به بین چه خواند
گوید که رسول بود فاجر	در پوری علی چه گوید آخر
صبح شد این لعین بی دین	مانا که نماند اهل قزوی
شروان که چو کعبه بود از این پیش	گردش چو گشت از آفت خویش
بیت المقدس بده با ایام	چون دارا قنامه گشت بد نام
بر جبهش از فنا رقم باد	اهل املوت را امل باد

ولم يكتف «خاقاني» في هذه القصيدة باتهام أستاذه وصديقه بأشنع التهم ، بل اتهمه بتهمة أشد وأشنع مما كانت تثيره الشكوك حول المسائل الأخلاقية ، فأعلن صراحة أنه من أتباع « الحسن بن الصباح » وجماعة الحشاشين الذين كانوا يقيمون في حصن « الموت » .

ويقول «خانيقوف» إن الخاقاني أنشد هذه القصيدة فيما بين سنتي ٥٣٢ - ٥٥٤ م (١١٣٨ - ١١٤٦ م) وإنه في ذلك الوقت ترك مسقط رأسه والتحق بخدمة ملك شروان المسخي « أختسان بن منوچهر » الذي انتقل بعاصمته من مدينة « كرشاسب » في أذربيجان إلى مدينة « باكو » ، ولكن الأمور لم تسر وقفاً لمراده هناك ، لأنه كان من الصعب إرضاء هذا الملك الذي كان كثير الشكوك ، كثير الغضب ، لأقل سبب . ويتمثل جفاء طباعه في الحكاية المعروفة الآتية :

« ... أرسل الخاقاني إليه في إحدى المناسبات قصيدة تضمنت البيت التالي :

وشقى ده كه در . برم كيرد يا وشاقى كه در برش كيرم

ومعناه :

— فأعطني برداً يضمني إلى متنه ، أو غلاماً أضمه إلى صدري ... !!

فأمر « شروانشاه » بقتله على هذا القول الجريء ... !! فلما علم الخاقاني بغضب مولاه أخذ ذبابة وقطع أجنحتها ثم أرسلها إلى مولاه قائلاً : إنها السبب في إهدار دمه لأنه كتب « يا وشاقى » فسقطت الذبابة على الباء فجعلتها « ياء » بنقطتين (٢) .

ويضيف « دولتشاه » على ذلك قوله : « هكذا كان حال الملوك من حيث الهمة والعظمة ، وهكذا كان لطف الشعراء والفضلاء ؛ ولو أن شاعراً طلب الآن من ممدوحه حملين من اللفت لما رأوا في ذلك ما يغض من قدره ، ولشكروه على هذا التخفيف فيما يطلب ... !! » (١) .

واستأذن « خاقاني » في الذهاب إلى مكة للحج ، وكان قد حج قبل ذلك بثلاثين سنة

(١) أنظر « تذكرة الشعراء » ص ٨٠ .

(٢) المترجم : بكتابة كلمة « يا » يكون معنى البيت :

فأعطني برداً يضمني إلى متنه [وأرساه] مع غلام [أى خادم] حتى أضم البرد إلى صدري ..

عندما كان غلاما صغيرا في رقعة عمه ، وأنشد في ذلك قصائد تصف خروجه من « شروان » ومروره على « سفيد رود » ورؤية الثلج على قمة جبل « سبلان » .

وربما فكر في هذا الوقت في زيارة خراسان كما يقول « خانيقوف » . ولا شك إنه سمع كثيرا عن جود « سنجر » فشوقه ذلك إلى الالتحاق بخدمته ، ولكننا لانكاد نثر على الدليل الذي يثبت لنا أنه استطاع أن يحقق ما كان يحول برأسه من رغبة وأمل .

وقد قال في هذا الصدد جملة قصائد، منها :

چه سبب سوي خراسان شدنم نگذارند
عندليم بگلستان شدنم نگذارند

ومعناه :

— لأى سبب لا يسمحون لى بالذهاب إلى خراسان .

وأنا العندليب فلماذا لا يسمحون لى بالذهاب إلى البستان ... !!

وله قصيدة أخرى مطلعها :

بخراسان شوم إن شاء الله از ره آسان شوم إن شاء الله
ومعناه :

— سأذهب إلى خراسان إن شاء الله .

وسأذهب بطريق اليسر إن شاء الله .. !!

وله قصيدة ثالثة مطلعها :

ره روم مقصد امکان بخراسان یابم تشنه ام مشرب إحسان بخراسان یابم
ومعناه :

— سأسلك سبيلي ، وسأجد مقصد الإمكان في خراسان ...

وإني ظمآن ، وسأجد مشرب الإحسان في خراسان ... !!

ويبدو أن « الخاقاني » استطاع أن يشرق حتى وصل إلى مدينة « الري » ثم منع لأمر من الأمور عن تجاوزها ، فقال في ذلك قصيدة وجهها إلى هذه البلدة ، منها البيتان الآتيان :

چون نیست رخصه سوی خراسان شدن مرا
 م باز پس نکشم من بالای ری
 گرباز رفتم سوی تبریز اجازت است
 شکرانه گویم از کرم پادشای ری

ومعناها:

— لا رخصة لي في الذهاب إلى خراسان... ومن أجل ذلك فأرجع، فلا قدرة
 لي على تحمل متاعب مدينة «الري»...!!
 — وإذا سمح لي بالذهاب إلى «تبريز»... فإنني أكرر الشكر للملك «الري»
 وأحمد له كرمه...!!

وربما تخيل «الحاقاني» أنه سيفوز بكثير من التقدير في خراسان، فقال في
 نهاية القصيدة التي سبقت البيت الآتي:

چون زمن اهل خراسان همه عتقا بینند
 من سلمان جهانبان بخراسان یابم

ومعناه ::

— ولما كان أهل خراسان يروني العتقاء، فربما استطعت أن أجد سلمان
 الحكيم في خراسان...!!

وهو يشير بذلك إلى «سنجر» الذي ذكره صراحة فيما بعد. ويبدو لي أنه قال
 هذه القصيدة قبل غارة «الغز» على أملاك «سنجر» في سنة ١١٥٤م (= ٥٤٩هـ)
 وهي الغارة التي قتل فيها الطبيب العالم «محمد بن يحيى» صديق الحاقاني، وكان قد ترأس
 معه كثيرا أثناء حياته، فلما قتل خنقا على أيدي «الغز» رثاه بمرثيات جميلة مذكورة
 في ديوانه (١)

وكان «الحاقاني» أيضا متصلا بملوك خوارزم (الحوارزمشاه) وبثبت ذلك وجود

(١) أنظر قصيدة باللغة العربية ضمن «كليات خاقاني» موجهة إلى «محمد بن يحيى»

جملة قصائد من قصائده في مدح الـ « خوارزمشاه » وفي مدح شاعره المعروف « رشيد الدين الوطواط » الذي أرسل إليه جملة أبيات يثنى عليه فيها .

ويبدو لي أن « الخاقاني » لم يفكر في زيارة « خراسان » بعد موت « سنجر » لما أحدثته فيها غارة « الغز » من دمار وهلاك .

تحفة العراقيين :

أما فيما يخص برحلة « الخاقاني » إلى مكة للحج للمرة الثانية ، ففي أيدنا سجل من إنشائه في مثنويته المعروفة بـ « تحفة العراقيين » التي طبعت في مدينة « لكنو » في سنة ١٢٩٤ هـ . وهذه المثنوية مقسمة إلى خمس مقالات :

المقالة الأولى : في الشكر الإلهي .

المقالة الثانية : تحتوي على بيانات عن ترجمة حياة الشاعر .

المقالة الثالثة : وصف همدان والعراق وبغداد .

المقالة الرابعة : وصف مكة .

المقالة الخامسة : وصف المدينة

وقد شرح « خانيقوف » محتويات هذه المقالات الخمس وفسر ماورد بها من أسماء ومن أجل ذلك فسأكتفي بهذا الحديث الوجيز عنها .

وقد أوحى هذه الرحلة بجملة قصائد أخرى جميلة بالإضافة إلى « تحفة العراقيين » ومن بينها القصيدة الرائعة التي مطلعها :

سر حد باديه انت ، روان باش بر سرش

ترياك روح كن ز سموم معطرش

ومعناه :

— ها كه حد البادية ... فتقدم إليه ... ولا تردد ... !!

واشف روحك برياحها العلية المعطرة ... !!

وقد زار «خاقانی» مدينة أصفهان أثناء عودته من الحج ، فأصابه هناك شيء من سوء الحظ كالذي أصاب «الأثوري» في مدينة «بلخ». وتفسير الخبر أنه عند ما وصل إلى «أصفهان» أحسن أهلها استقباله ولكن أحد تلاميذه وهو «عبد الدين البيلقاني» نشر رباعية (١) عن أهل أصفهان مليئة بالسباب والشتائم ، فأنبرى شاعر آخر اصفهاني اسمه «جمال الدين عبد الرزاق» للرد عليه بقصيدة لازعة مليئة بالفحش ؛ وأراد «الخاقاني» أن يتخلص مما جره عليه تلميذه ، فأنشأ قصيدة أخرى كلها مدح وثناء على أصفهان والإصفهانيين ، يقول فيها بعد ما أطراها كل الاطراء :

این همه کردم برایگان نه برای طمع
کافر وزیر یابم از عطای صفاهان
دیو رجیم آنکه بود دزد پیام
کردم طغیان زد از هجای صفاهان
او بقیامت سپید روی نخیزد
زانکه سیه بست بر قفای صفاهان
أهل صفاهان مرا بدی ز چه گویند
من چه خطا کرده ام بجای صفاهان

ومعنى هذه الأبيات :

— وقد فعلت ذلك غير طامع ، وبدون أجر ، ودون أن أفكر في الحصول على تاج ذهبي من عطاء أصفهان ...!!

(١) المترجم: الرباعية الذموية إلى «عبد الدين البيلقاني» هي الآية :

گفتم ز عراق قوت جان خیزد لعليست مروت که از آن کان خیزد
کی دانستم کاهل صفاهان کورند با این همه سرمه کن صفاهان خیزد
ومعناها :

قلت لنفسی إن الروح تسترد قوتها في العراق ، وتستطيع أن تجد بواقیت المروءة في مناجها .
ولسکي لم أعرف أن أهل اصفهان عمى العيون ، رغم هذا الكحل الكثير الذي يجلب منها .

— ولكن هذا الشيطان الرجيم الذي سرق فصاحة يياني ، لو أنه تنفس بكلمة واحدة في هجاء اصفهان ،

— لما قام في يوم القيامة أبيض الجبين ، لأنه أراد أن يلطخ بالسواد رأس اصفهان... !!

— فلماذا يتحدث أهل اصفهان بالسوء في شأني ... وأى خطأ ارتكبته في حق اصفهان ... ؟!

وقد نظم الشاعر هذه القصيدة بعد سنة ٥٥١ هـ كما يستفاد ذلك مما بها من إشارات ، أو ربما في السنة التالية كما يقول «خانيقوف» .

وعندما عاد خاقاني إلى «شروان» غضب عليه ملكها «أختسان» فأمر بحبسه في قلعة «شابران» حيث أنشأ قصيدته «الحبسية» المروفة . وربما كان سبب غضب مولاه عليه راجعاً إلى غروره واعتداده بنفسه (وهي صفة لم تفارق الشاعر في أي وقت من الأوقات) أو ربما كان السبب راجعاً إلى اتهام بعض الحاسدين له بأنه يسعى إلى الالتحاق بخدمة شخص آخر غير ملك شروان^(١) .

ولسنا نعرف إلا القليل من أمر «الخاقاني» من يوم حبسه إلى وفاته بعد ذلك في تبريز سنة ٥٨٢ هـ (١١٨٥ م) ولكننا نعلم من قصائده أنه عاش فترة بعد موت مولاه «أختسان» وأنه فقد امرأته وأحد أبنائه المسمى «رشيد» ولم يتجاوز العاشرة من عمره^(٢) .

(١) المترجم: هذه الحبسية تعتبر من أبلغ ما قاله «الخاقاني» من قصائد، ونحن ننقل منها الأبيات الآتية من المطلع :

صبح دم چون کله بندد آه دود آسای من چون شفق در خون نشیند جسم شب پیمای من
مجلس غم ساخته است ومن جوید سوخته تا بمن راوق کند مژگان می بالای من
رنگ باز بچه است کار گنبد نارنج رنگ چند جوشم کز بیرونم بگردد صفرای من
(٢) تاریخ وفاة «خاقانی» المذكور آنفا قال به عوفی فی «باب الألباب» و «المستوفی» فی «تاریخ گزیده» ودولتشاه فی «تذکرة الشعراء» ولكن هناك أقوال أخرى أوردها «خانيقوف» فی مقالاته تجعل وفاته بعد ذلك إلى سنة ٥٩٥ هـ (١١٩٨ م — ١١٩٩ م) . ويلاحظ «خانيقوف»

وقد تحدث «خانيقوف» عن المراثية التي رثا بها «خاقاني» زوجته فقال :
 « إن هذه القصيدة - في رأيي - هي القصيدة الوحيدة التي يظهر فيها الخاقاني
 كما نود له أن يظهر : شاعراً طيباً رقيق الإحساس . فقد أنساه الأسى قوة يئانه فلم
 يشحن عباراته بالاصطلاحات العسيرة ولا بالصناعات البديعية الكثيرة ، فكان ذلك
 سبباً في أن تندفق أشعاره إلى قلب القارئ فيحس فيها بلوعة الأسى التي صورت
 هذه النكبة المزلزلة منذ سبعة قرون ماضية ... !! »

وقد دفن «الخاقاني» في مقبرة الشعراء في «سرخاب» بالقرب من «تبريز» بحوار
 الشاعرين المعروفين «ظهر الدين الفاريابي» و«شاهفور بن محمد الأشهرى النيسابوري» .
 وقد أخبرنا «خانيقوف» أنه سمع من رجلين عجوزين من أهالي تبريز في سنة ١٨٥٥م
 أن هذه المقبرة كانت قائمة ومعروفة قبلما يحطمها الزلزال الشديد الذي خربها ولم
 يبق على شيء من آثارها . وقد حاول «خانيقوف» البحث عن هذا القبر فأجرى
 كثيراً من الحفريات ولكنه لم يستطع الكشف عنه .

ومن اتصل بهم «خاقاني» غير من ذكرناهم :

١ - الفيلسوف أفضل الدين الساوجي .

٢ - أمير الدين الأخسيكتي .

وقد ذكر جماعة غير هؤلاء من الشعراء والأدباء... كان يذكروهم في معرض الفخر
 عليهم، من بينهم «معزى» و«الجاحظ» (ولكن النسخة المطبوعة على الحجر ذكرت
 بدل «الجاحظ» كلمة «حافظ» وهذا بالطبع خطأ فاحش نصادف كثيراً مثله في
 الشروح الهندية عادة) و «أبورشيد» و «عبدك الشراواني» و «قطران التبريزي»
 و «سنائي الغزنوي» و «العنصرى» و «الرودى» .

فن الخاقاني :

يعتبر الخاقاني من الشعراء الذين برزوا في قول القصائد مثل «الأنورى»

== أن التواريخ التأخرة أقرب إلى الصواب، لأن المروف أن «خاقاني» عاش بعد «أختسان»
 وأن «أختسان» توفي سنة ٥٨٣ هـ فلا يعقل أن يقال أن «خاقاني» مات في سنة ٥٨٢ هـ

وشهرته قائمة على هذا الفن وحده من الفنون الشعرية ، رغم أنه أنشأ كثيراً من «الغزليات» ومن «الرباعيات» ومن «الثنويات» وخاصة «تحفة العراقيين» التي ذكرناها فيما سبق وكذلك جملة من القصائد العربية .

وأسلوبه غامض في العادة ، كثير التصنع حتى يقال إنه يفرق في التكلف ، وقد عقد «فون هامر Von Hammer» مقالة قارن فيها بين «خاقاني» وبين «بندار» وقد استعرضها «خانيقوف» وتناولها بالنقد .

أما قصائد «خاقاني» فكثيرة عملاً ١٥٨٣ صحيفة من الصفحات الكبيرة وقفا لطبعة السكون على الحجر .^(١) وفي إحدى قصائده التي نشرها «خانيقوف» يظهر «خاقاني» معرفته بالدين المسيحي ومراحمه ، ويرغب في أن يلتحق بخدمة امبراطور بيزنطة وأن يعتنق الديانة المسيحية؛ كما يذكر أنه يحكي تعاليم زردشت اذا سمح له بذلك القيصر... ولكنه عاد فسأل الله الرحمة والغفران في نهاية قصيدته^(٢) ١١..

٣- نظامي الكنجوي

ثالث الشعراء النابهين الذين عاشوا في هذا العصر هو نظامي الكنجوي، أستاذ الشعر المثنوي الرومانيكي ، الذي برز على كل الشعراء في فنه فاكتسب به شهرة عريضة خلدت ذكره في إيران وفي تركيا أيضا .

وفي أيدينا رسالة قيمة كتبها الدكتور « ولهم باخر Dr. Wilhelm Bacher » ونشرها في مدينة «ليزج» في سنة ١٨٧١ تحت عنوان :

Nizâmî's Leben und Werke und der zweite theil des Nizâmischen Alexanderbuches, mit persischen Texten als anhang .

وسأعتمد على هذه الرسالة في الكتابة عن «نظامي» في هذا الجزء من كتابي .

(١) المترجم : أحدث طبعة لديوان «خاقاني» هي التي نشرها الأستاذ «علي عبد الرسول» في سنة ١٣١٦ الهجرية الشمسية ، وطبعها في «شركت چاپخانه سعادت»

(٢) مطلع هذه القصيدة :

فلك كجروتر است از خط ترسا مرا دارد مسلسل راهب آسا

اتبع «باخر» في رسالته الطريقة العلمية الصحيحة التي يجب اتباعها عند محاولة الكتابة عن حياة شعراء الفرس ، فأهمل تماماً جميع الروايات التي لا يعتمد عليها مما كتبه «دولت شاه» وأمثاله من كتاب التراجم (١) ، وقصر همه فيما جمع من معلومات عن الشاعر على مصدر واحد موثوق به ، هو عبارة عن الإشارات العارضة التي أشار بها الشاعر إلى نفسه في ثنائيا أشعاره .

وطى هذا نجد أن كتاب التراجم يختلفون في تأريخ وفاة «نظامي» ، فيجعله «دولت شاه» (٢) في سنة ٥٧٦ هـ (١١٨٠ - ١١٨١ م) ، ويجعله غيره مثل حاجي خليفة ما بين سنتي ٥٩٦ و ٥٩٩ هـ (١١٩٩ - ١٢٠٣ م) . ولكن «باخر» استطاع أن يبرهن بالدليل الكافي على صحة التاريخ الأخير من هذه التواريخ ، وأن يثبت أيضاً كثيراً من الأخبار التاريخية المتصلة بحياة هذا الشاعر ، فقال إنه ولد في مدينة «كنج» (وتعرف الآن باسم اليراقتبول : Blizavetpol) في سنة ٥٣٥ هـ (١١٤٠ - ١١٤١ م) ، وأنه كتب أولى مثنوياته (٣) المعروفة باسم «مخزن الأسرار» خوالى سنة ٥٦١ هـ (١١٦٥ - ١١٦٦ م) ، وكتب المثنوية الثانية عن قصة «خسرو وشيرين» في سنة ٥٧١ هـ (١١٧٥ - ١١٧٦ م) ، وكتب المثنوية الثالثة المسماة «ليلى ومجنون» في سنة ٥٨٤ هـ (١١٨٨ - ١١٨٩ م) ، وكتب المثنوية الرابعة المسماة «سكندرنامه» في سنة ٥٨٧ هـ (١١٩١ م) . وكتب المثنوية الخامسة المسماة «هفت بيكر» أو الصور السبع في سنة ٥٩٥ هـ (١١٩٨ - ١١٩٩ م) ، ثم مات في منتصف العام الرابع والستين من عمره في سنة ٥٩٩ هـ (١٢٠٢ - ١٢٠٣ م) .

واسم نظامي كما يقول «باخر» هو الياس ، وكنيته «أبو محمد» ، ولقبه «نظام الدين» ومن هذا اللقب استمد الشاعر تخلصه الذي عرف به في أشعاره . وعرف

(١) كان «عوفي» صاحب لباب الألباب معاصراً لـ «نظامي» ، وكان في مقدوره أن يمدنا بمعلومات قيمة عنه ، ولكنه كمادته اكتفى بأن يقصر همه على سخافات قليلة في باب اللعب على الألفاظ (أنظر ج ٢ ص ٣٩٦ - ٣٩٧) .

(٢) أنظر ص ١٣١ من «تذكرة الشعراء»

(٣) كتب «نظامي» خمسة من القصائد المزدوجة عرفت باسم «الخمسة» أو المثنويات الخمسة أو باسم «بئج كنج» بمعنى «الكنوز الخمسة» .

أبوه باسم «يوسف بن زكي مؤيد» وقد توفي عنه وهو صغير ، ثم لم تلبث أمه أيضاً أن ماتت بعده بقليل ، وكانت من أسرة كردية كريمة . والشاعر يشير في بعض أشعاره إلى وفاة واحد من أخواله ، ويرى «باخر» أن هذا الحال قام بتربيته بعد وفاة أبيه . وللشاعر أخ اسمه «قوامي المطرزي» نال مكانة لا بأس بها في قول الشعر^(١) ، واشتهر على أنه مؤلف قصيدة من مائة بيت عن البديع الفارسي أوردناها في الجزء الأول من هذا الكتاب^(٢) .

ويؤخذ من مواضع مختلفة من أشعار «نظامي» أنه تزوج ثلاث مرات ، وأنه أعقب ولداً واحداً على الأقل اسمه : محمد ، كانت ولادته في سنة ٥٧٠ هـ (١١٧٤ - ١١٧٥ م) لأنه كان في الرابعة عشرة من عمره حين أمّ والده كتابة مشنويته الثالثة «لبي والمجنون» .

ويقول «دولتشاه»^(٣) أن نظامي كان مريداً « (تلميذاً) للشيخ » «أخي فرج الزنجاني» ولكن «باخر» يسمي هذا الشيخ باسم «أخي فرخ الريحاني» . وفيما عدا الأخبار التي رويناها فيما سبق لا نكاد نعرف شيئاً عن الشاعر إلا أنه (كما قال «باخر» ص ١٤ - ١٥) عرف أغراض الشعر الحقيقية وواجبات الشاعر أكثر مما عرفها غيره من شعراء القصور الذين يمثلهم «الأنوري» فأعرض عن المدائح وتجنب ارتياد القصور^(٤) ، وإن كان قد تابع أهل عصره في إهداء مشنوياته إلى حكام زمانه ؛ فأهدى «مخزن الأسوار» إلى «إيلدگز» حاكم أذربيجان؛ وأهدى «خسرو وشيرين» إلى ولديه اللذين أعقباه في الحكم «محمد» و «قزل أرسلان»^(٥) وكذلك

(١) نسخة من ديوانه مكتوبة في القرن الرابع عشر الميلادي موجودة في المتحف البريطاني تحت

رقم Or. 6464

(٢) المترجم : تعرف هذه القصيدة بين الفرس باسم «كشف الأستار عن بدايب الأشعار» أو «بدايب الأسفار في صنایع الأشعار» أنظر الصفحات ٦٣ - ٨٩ من هذا الكتاب

(٣) أنظر : « تذكرة الشعراء » ص ١٢٩

(٤) بذلك أيضاً قالت الروايات المختلفة وكذلك أشعاره في مواضع متفرقة .

(٥) أنابه «قزل أرسلان» على هذه الهدية بأن خصص له قرية «حدونيان» أنظر ص ١٢٩ من «تذكرة الشعراء» حيث قال إن الشيخ شكر هذا الإنعام بقوله :

نظر بر حمد وبر اخلاص من كرد ده حدونيانرا خاص من كرد =

أهداها لآخر ملك سلجوقي في إيران وهو « طغرل بن أرسلان » ، وأهدى « ليلي والمجنون » إلى « اختسان بن منوچهر » حاكم شروان الذي كان يرعى بحمايته الشاعر « خاقاني » ، وأهدى كتاب « الاسكندر » أو « سكندرنامه » إلى « عز الدين مسعود » حاكم الموصل ثم إلى « نصرة الدين أبي بكر بيشكين » الذي تولى حكم أذربيجان بعد وفاة عمه « قزل أرسلان » في سنة ٥٨٧ هـ (١١٩١ م) ، كما أهدى إليه أيضا كتاب « هفت بيكر » .

ويقول « دولتشاه » في كتابه « تذكرة الشعراء » ص ١٢٩ أنه بالإضافة إلى هذه المثنويات التي سبق ذكرها والتي تعرف بالـ « الخمسة » فإن لنظامي ديوان من الغزليات والموشحات والقصائد يبلغ العشرين ألف بيت^(١) . ويذكر « باخر » بيتا من « ليلي ومجنون » يستشهد به على أن « نظامي » رتب ديوانه هذا في نفس الوقت الذي كتب فيه هذه القصة أي في سنة ٥٨٤ هـ (١١٨٨ - ١١٨٩ م) . أما « عوفي » فعلى العكس من ذلك يذكر في كتابه لباب الألباب (ج ٢ ص ٣٩٧) « إن الرواة لم ينسبوا لنظامي شيئا من الشعر إلا هذه المثنويات . ومع ذلك فقد سمعت من أحد العظماء في مدينة نيسابور أن الرواة نسبوا إليه قول الغزليات الآتية : . » ثم يورد عوفي ثلاثا من هذه الغزليات ، كل واحدة منها تشمل على خمسة أبيات ، والأخيرة منها مرثية قالها في رثاء ابنه^(٢) .

وقد أضاف « دولتشاه » (ص ١٢٩ - ١٣٠) غزلية رابعة من ثمانية أبيات

ومعناه : أنه نظرا لإخلاصه له وحنده لعمه ، فقد خصص لي قرية « حمدونيان »

(١) المترجم : يقول في النص الفارسي : « ديوان شيخ نظامي ورأى خمسة قريب بيست هزار بيت باشد و غزليات مطبوع و موشحات و شعر مصنوع بسيار دارد »

(٢) المترجم : نص هذه المرثية كما يلي :

أي شده هم سر خوبان بهشت	آنچنان عارض و آنکه برخفت
بر نخ عمر بسر بردن خوش	دوزخی ناشده رفی به بهشت
خط نیاورده بتو عمر هنوز	این قضا بر سر آخر که نوشت
چه عجب گر شودی جان و جهان	خاک از دیده من خون آغشت
سبز زاری خطت اندر خاکت	آب کی باز توان داد بکشت

ذكر في البيت الأخير منها تخلصه صريحاً . ومع ذلك فيجب ملاحظة أنه وجد في الأدب الفارسي جملة من الشعراء تخلصوا باسم « نظامي » وأن دولتشاه ، وقد عرف بكثرة الخطأ فيما كتب من سير وتراجم ، معرض لأن يخلط بين « نظامي » الذي ترجم له في هذه المقالة وبين غيره ممن حملوا هذا اللقب الشعري . ومهما كان من أمر فإننا لو فرضنا صحة القول بوجود ديوان لنظامي ، فإن هذا الديوان قد ضاع منذ زمن طويل وعفت الأيام على محتوياته .

ملامة نظامي :

ومكانة « نظامي » كشاعر موهوب ، كثير الإنتاج ، متميز بذكاء نادر ، يعترف بها جميع النقاد من الفرس وغيرهم على السواء . وقد اعترف له بذلك كتاب التراجم ومن بينهم « عوفي » و « حمد الله المستوفي القزويني » و « دولتشاه » و « لطفعلی بيك » وكذلك الشعراء ومن بينهم « سعدی » و « حافظ » و « جامی » و « عصمت » .

وكما أن ذكاه لا ينافسه فيه إلا القليل من شعراء إيران ، فكذلك أخلاقه قلما يدانيه فيها أحد ؛ ذلك لأنه كان يمتاز بالورع الحقيقي دون أن ينزل إلى التعصب والترمت والجود ، وكان مستقلاً برأيه شديد الاحترام لكرامته ، ولكنه كان كذلك ظريفاً وديعاً ؛ وكان والدًا محباً لأولاده ، وزوجاً عاشقاً لزوجته ، وكان لا يحتسى الخمر ، وهو في ذلك على التقيض من الكثرة الكثيرة من شعراء إيران وخاصة الصوفيين منهم ، فإنهم كانوا يحتسونها برغم تحريمها ، ويجعلونها النبع الذي تصدر عنه آلهة الوحي والشعر . ولو أردنا تحري الدقة والإيجاز في وصف « نظامي » لقلنا إنه الشاعر الوحيد بين شعراء إيران الذي جمع بين الذكاء النادر والخلق الرفيع ، وأنه تميز بهاتين الحصلتين مجتمعين بين جميع شعراء الفرس الذين أمكنت دراستهم والترجمة لهم .

ومن الواجب علينا الآن أن نتحدث حديثاً قصيراً عن كل واحدة من هذه الشؤون التي تشتمل عليها ال « خمسة » ، ومع ذلك فإنه يجب علينا أيضاً أن نعترف بأن حديثنا عنها سيكون ناقصاً مقتضباً ، لأنه من المحال أن نوفيها حقها أو شيئاً منه في كتاب موجز مثل كتابنا هذا لا يتسع نطاقه للإفاضة في العرض والتحليل .

وقد نشرت « الخمسة » في طبعات شرقية مختلفة ، وأنا شخصياً أستعين بنسخة طهران المطبوعة على الحجر في سنة ١٣٠١ هـ (١٨٨٤ م) ، وهي تقع في مجلد واحد تبلغ عدد صفحاته ستمائة صحيفة ، كل واحدة منها تشتمل على خمسين بيتاً من الشعر^(١) .

مخزن الأسرار

فأما « مخزن الأسرار » فهو المثنوية الأولى من هذه المثنويات الخمسة من ناحية ترتيبها الزمني ، كما أنها أقصرها طولاً . وهي تتأخر عن المثنويات الأخرى بأنها ليست قصة روائية Romance بل هي « منظومة صوفية » تشتمل على كثير من النكات والحكايات على أسلوب « حديقة الحقيقة » التي ألفها « سنائي » ، أو على أسلوب « المثنوى » الذي كتبه فيما بعد « جلال الدين الرومي » . ويظهر لي أيضاً أنها دون المثنويات الأخرى من الناحية الفنية ، وربما كان سبب ذلك راجعاً إلى كراهيتي الشديدة لوزنها الشعري الذي صيغت فيه (البحر السريع)

— — — — —
| — — — — — | — — — — — | — — — — — |

مفتعلن مفتعلن فاعلن

وهي تشتمل على كثير من القدمات في المناجاة والحمد ، يعقبها عشرون مقالة كل واحدة منها تتعلق بموضوع فقهي أو أخلاقي يتناوله الشاعر أولاً من الناحية النظرية والمعنوية ، ثم يصوره بعد ذلك بحكاية من الحكايات . ولكي ندرك أسلوب هذه القصة نكتفي بأن نذكر هنا على سبيل المثال ترجمة حكاية « أنوشروان مع وزيره » ، وهي الحكاية التي تمثل الوزير الجريء ينف سيده على ما أصاب الرعية من حيف وإهمال^(٢) :

(١) الترجمة : أحدث طبعات « الخمسة » هي التي نشرها « وحيد دستگردى » في خمسة أجزاء في طهران - وهناك أيضاً نسخة جميلة من « هفت بيكر » نشرها في استامبول المستشرقان « ريتز » و « ريبكا » في سنة ١٩٣٤ .

(٢) أظن من ٢٣ من « الخمسة » طبع طهران سنة ١٣٠١ هـ ، وكذلك من ٨٠ من مخزن الأسرار طبع طهران سنة ١٣١٣ هـ .

- خرج «أنو شيروان» يوما للصيد فابتعد به جواده عن كوكبة الفرسان .
 — ولم يبق له من أنيس إلا وزيره ، فسارا معا ولم يكن معهما كائن من كان .. ۱۱ .
 — فر الملك ، بناحية مليثة بالصيد ، ورأى بها قرية خربة كقلوب الأعداء .
 — وقد جلست فيها بومتان متجاورتان ، وهما يتحدثان ، والملك يضيق ذرعا بحديثها
 — فالتفت إلى وزيره وقال له : فيم يتحدثان وما دلالة هذا الصغير الذي يصفران
 — فقال الوزير : يا ملك الزمان ، اسمع لى وكن غفورا ، أقل لك مايقولان .
 — ليس حديثهما غناء وطربا ، بل هما يعدان خطبة للزواج .
 — فقد أعطى ذلك الطائر ابنته لهذا الطائر ، وهو يطلب منه مهرها الآن .
 — وهو يقول له : اترك لى هذه القرية الخربة وكذلك بضع قرى أخرى مثلها
 — فيقول له الطائر الآخر : «ما عليك بهذا ، ألسنترى جور الملك ؟ فلا تدع
 الهموم تستولى عليك ... ۱۱
 — فإنه لو امتدت أيام الملك ولو قليلا .. لأعطيتك من القرى الخربة مائة ألف
 قرية أخرى (۱) .»

(۱) المترجم : فيما يلى أصل هذه الآيات بالفارسية :

صيد كنان مركب نو شيروان	دور شد از كوكبه خسروان
مؤنس خسرو شده دستور ويس	خسرو و دستور و دگر هيچكس
شاه دران ناحيت صيد ياب	ديد دهى چون دل دشمن خراب
تنك دو مرغ آمده در يكديگر	وز دل شه قاينه شان تنگتر
گفت بدستور : چه دم مى زنند	چيست صغرى كه بهم مى زنند
گفت وزير : اى ملك روزگار	گويم اگر شه بود آموزگار
اين دونوا نر پى رامشگرى است	خطبه از بهر زنا شوهرى است
دخترى اين مرغ بآغز داد	شيربها خواهد ازو بامداد
كاي ده ويران بگذارى بما	نيز چنين چند سپارى بما
آن دكرش گفت كز اين در گذر	جور ملك بين بروغم مخور
گر ملك اينست نه بس روزگار	زين ده ويران دهمت صد هزار

فردوسيرين

في هذه القصة يجرى «نظامي» على نسق «الفردوسي» من ناحية الموضوع والصياغة . وموضوع قصته يشتمل على مخاطر الملك الساساني «كسري پرويز» (خسرو پرويز) وغرامه مع معشوقته الجميلة «شيرين» ، ونهاية منافسه التعيس «فرهاد» ، وقد اعتمد «نظامي» في هذه القصة على المصادر التي اعتمد عليها «الفردوسي» من قبل أو على مصادر أخرى شبيهة بها ، ولكنه تناولها بطريقة أخرى ، ابتعد فيها عن الدراسة الموضوعية ، فاستطاع أن يخرجها لنا قصة غرامية بعكس «الفردوسي» فإنه أخرجها لنا قصة حماسية . وقد استعاض «نظامي» في صياغتها عن «البحر المتقارب» الذي خصصه الاستعمال للشعر الحماسي ، بالهزج السدس على هذا النحو :

مفاعيلن مفاعيلن فعولن (١)

وهذه المنظومة تشتمل على ما يقرب من ٧٠٠٠ بيت ، وفيما يلي قطعة منها تمثل حسرة «فرهاد» وموته عندما أمر «خسرو» رجاله بأن ييلغوا «فرهاد» النبأ الكاذب بموت «شيرين» في نفس الوقت الذي أتم فيه «فرهاد» المهمة الملقاة على عاتقه من قطع أخدود في جبل «بيستون» (٢) ، وهي المهمة التي قام بها ووعد عند إتمامها بالتزوج من «شيرين» :

— فلما سمع «فرهاد» هذا الخبر ، سقط من فوق الجبل كقطعة من الحجر !
— وأخرج زفرة حزينة من كبده ، كما لو أصابت كبده حربة ذات رأسين
فرزقه ... !!
— فقال في لوعة : يا أسفا على الشاق التي تحملتها ، وقد مت دون أن أظفر
بالراحة ... !!

(١) المترجم : هذا هو وزن الهزج السدس المحذوف .

(٢) جبل «بيستون» قريب من «كرمانشاه» وهو مشهور بالآثار الأكيينية وبالنفوش القديمة ، وكان يسمى في اللغة الفارسية «باجستانا» .

- ویا حسرتاه علی مجهودی الضائع ، وعلی أملی الخائب ... !!
- فما النتيجة التي حصلت عليها من شق الصخور ... ؟ ! ولم يتيسر مطلبي ، وازدادت مشقتي ... ؟ !
- وكنت جهولا أطمع في اليواقيت ، فلم أظفر بها ولم أصب إلا الحجارة التافهة ... !!
- واشتعلت نيران الدمار في ييدري ، ثم أغرقني البلاء في طوفانه ... !!
- وخلت الدنيا من الشمس والقمر ، وخلت الحائل من الزهر والشجر ... !!
- وانطلقا المصباح المضيء ، فلم تغب عني «شیرین» ... بل غابت عني الشمس المشرقة ... !!
- وهذا هو الفلك الغادر لا يشفق على مظلوم ، ولا يرعى برحمته محروم ... !
- فيا أسفا على هذا الكوكب الذي أصابه الخسوف فجأة ... !!
- ولقد بكيت جميع الكائنات على قلبي الحزون ، لأن ماء حياتي قد غاض في الظلام ... !!
- ولأى سبب يقع الفراق بيني وبين حبيبتي ... ؟ ولماذا أبقى في هذه الدنيا وقد ذهبت عنها «شیرین» ... !!
- ولو قسم لي البقاء بغير «شیرین» لانتحلت عظامي من جدي ... !!
- ومثات من الحلال تمر أمام الذئب الجائع ، ولكنه لا يختطف إلا حمل الفقير المسكين ... !! (۱)

(۱) المترجم : أنظر ص ۱۲۹ من الخمسة طبع طهران سنة ۱۳۰۱ هـ ، وكذلك ص ۲۵۶ من «خسرو وشیرین» طبع طهران سنة ۱۳۱۲ هـ . ش . طبع مطبعة أرمغان . والأصل الفارسی كما يلي :

چو افتاد این سخن در گوش فرهاد	ز طاق کوه چون کوهی در افتاد
بر آورد از جگر آهی چنان سرد	که گشتی دور باشی بر جگر خورده
بزاری گفت کاوخ رنج بردم	ندیده راحتی در رنج مردم

- وقد وقعت شجرة السرو الطويلة... خفق لي أن أهيل التراب على هامتي...!
- واتثرت أوراق الورد الباسمة... خفق للبلستان أن يصبح سجنًا لي...!!
- وطار طيور الربيع البيجة، فلماذا لا أنوح في لوعة كالسحب الراحلة...!!
- وانطلق السراج الالامع، فلماذا لا يستحيل نهاري الشمس إلى ليل دامس...!!
- وخدمت أنفاسي لحسرتي وكربي، واصفرت «شمسي» لغياب «قري»
- وموضع حي...!!
- وسألتحق بـ «شيرين» في طيات العدم، وسأهرع إليها في قفزة واحدة
- ثم صلي على «شيرين» وترحم على عشقها، وقبل الأرض على ذكرها، ثم
- أسلم روحه إلى بارئها (۱)...!!

دریفا آن دل امید وارم	دریفا هرزه رنج روزگارم
نشد کارم میسر مشکل این بود	مرا زین کوه کندن حاصل این بود
چو نادان طمع در لعل بستم	ندیدم لعل و سنگ آمد بدستم
چه طوفان بد که ناگاه در من افتاد	چه آتش بود کاندل خرم افتاد
چمن خالی شد از شمشاد واز پید	جهان خالی شد از مهتاب وخورشید
نه شیرین کافتاب از من نهان شد	چراغ عالم افروز از جهان شد
نبا شد شفقش بر هیچ معلوم	نبخشاید فلک بر هیچ مظلوم
کز ایشان درخسوف افتاد ناگاه	دریفا آنچنان خورشید و آناه
که رفت آب حیاتم در سیاهی	بگرید بر دل من مرغ و ماهی
چو شیرین رفت من اینجا چرایم	چرا از روی آن دلم جدایم
سزد کز تن بر آید استخوانم	اگر بی روی شیرین زنده مانم
برد گرگ از کله قربان درویش	اگر صد گوسفند آید فرا پیش
چرا بر سر فرزم هر زمان خاک	فرو رفته بخاک آن سرو چالاک
چرا بر من نگردد باغ زندان	ز گلبن ریخته گلبرگ خندان
چرا چون ایر نخروشم بزاری	پریده از چمن کبک بهاری
چرا روزم نگردد شب بدین روز	فرو مرده چراغ عالم افروز
منم رفت آتایم زرد از آنست	چراغم مرد بادم سرد از آنست
یک تک تا عدم خوام دویدن	بشیرین در عدم خوام رسیدن
زمین بر یاد او بوسید و جان داد	صلای عشق شیرین در جهاندا

(۱) قارن هذه القطعة بما يقابها في القصة التي كتبها الشاعر «شيخى» باللغة التركية

لبلى ومجنون:

ثالثة المتنويات التى كتبها «نظامى» هى قصة «لبلى والمجنون» وقد أصبحت لها مكانة كبيرة فى أذهان الخاصة والعامة على السواء ، وذاعت شهرتها بين قصص الحب فى الشرق وطلعت على ما عداها من هذه القصص ، وفازت بالمكانة الأولى فى إيران وكذلك فى تركيا حيث أضفى الشاعر التركى «فضولى» كثيراً من الجمال على قصة هذا العاشق الحزين وعلى محبوبته الحسناء مما ساعد على نشرها فى الناحية الغربية من القارة الآسيوية (١) . وفى العربية ديوان ذائع الصيت يشتمل على كثير من الغزليات الجميلة التى ينسبونها إلى «قيس العامرى» الذى اشتهر بالمجنون ، وهو شخصية تكاد تكون خرافية ، ويقول عنه «بروكلمان» (٢) «أنه توفى فيما يظن فى سنة ٧٠ الهجرية (= ٦٨٩ م)» .

وقصة «نظامى» لاتحدث وقائعها فى إيران بل تقع حوادثها فى بلاد العرب ، وهى لاتمثل شخصية ملكية كالقصة السابقة . بل تمثل شخصين عاديين من عرب الصحراء أحدهما هو البطل ، والآخر هو الفتاة المعشوقة . ولكن «نظامى» استطاع أن يصبغها بالصبغة الفارسية وقد اختار لها الوزن الشعرى الآتى (٣) :

مفعول مفاعيلن فعولن
| — — — | — — — | — — — |

وتقع هذه المتنوية فيما بين الصفحات ١٩٤ - ٢٧٨ من نسخة طهران وهى تشتمل على أكثر من ٤٠٠ بيت .

وتجدها مذكورة فى كتاب «تاريخ الشعر العثمانى» تأليف المرحوم «جب» ج ١ ص ٣٥٤ أما عرض القصة وتحليلها فى صفحة ٣١٠ .

(١) أنظر ملخصاً عن القصة التركية مع أمثلة لأسلوب «فضولى» فيما نشره «جب» فى كتابه «تاريخ الشعر العثمانى» ج ٣ ص ٨٥ وكذلك ص ١٠٠ - ١٠٤ .

(٢) أنظر «تاريخ الآداب العربية» لبروكلمان ج ١ ص ٤٨ .

Brockelmann : Geschichte der Arabischen Litteratur

(٣) الترجمة : هذا هو وزن المزدج السدس الأخرى المقبوض المحذوف .

ونحن ننقل فيما يلي قطعة منها ، صور فيها الشاعر « زيداً » وقد رأى في منامه
ليلى والمجنون في جنات الخلد . وتعتبر هذه القصة دليلاً - إذا أخرجنا الدليل - على كذب
الخرافة الشائعة بين الأوروبيين من أن المسلمين ينكرون على نساءهم الدخول في الجنة
أو أنهم يستخفون بحب طاهر عفيف ... !!

— فلما فتح الليل نوافج العير ...

وشرقات المسك على صفحات النهار المنير ... !!

— أتى « ملاك » فأظهر له في غفلته

روضة الخلد المزدانة في جنته .. !

— وقد ازدانت ساحتها بالأشجار العالية ... !!

وامتلأت بالهناء . كقلوب أصحاب الحظوظ المواتية ... !!

— وكل زهرة في أحضانها حديقة منمقة نامية ... !!

وكل ورقة من أوراق الورد كأنها الثريات الصافية ... !!

— والتمائل كأنها العيون البصرة الراضية ... !!

أصبحت « مستقراً للأرواح » بألوانها اللاجوردية الزاهية ... !!

— والزهور المتفتحة قد أمسكت بكؤوس الشراب ... !!

وأخذت البلابل السكرى تشدو بأغاني الحب والأحباب ... !!

— وحضرتها يانعة ... لا يشابهها الزبرجد في صفائه ... !!

ونورها ساطع ... لا حد لروائه وضيائه ... !!

— وأخذ العازفون يعزفون بالألحان والألحان ... !!

وأخذت الحمام تردد أغاني الشوق والحنان ... !!

— وفي ظلال الورود المشمسة ذات البهاء ... !!

قد نصبوا « أريكة » على حافة النهر والماء ... !! (١)

(١) المترجم : الأصل لفارسي هو الآتي كما نقله من ص ٣٦٩ من « ليلى ومجنون » طبع طهران
سنة ١٣١٣ الهجرة الشمسية .

— وفرشوها بالديجاج والدمقس والحرير ... ۱۱

فبت كآنها فراش الجنة الجميل الوثير ... ۱۱

بر نيفه روز مشك پاشيد
آراسته روضه جهاتاب
خرم چو دل بلند بختان
هر برگ گلي در او چراغي
مينو كده برنگ مينا
بر داشته بانك بلبل مست
افرختگيش را حدى نه
هم فاختگان يزند خواندن
تختي زده بر كنار آبي
چون فرش بهشت كرده زيا
در دست نشاطگه بسته
آراسته چون مجله در حور
ايشان دو بدو بقصه خويش
كه بر لب خويش بوسه دادند
گاهى بمراد خويش خشتند
سر بر سر تفتشال نهاده
بر تارك آن دو شخص مريخت
پر سيد ز پير آسمانى
در باغ ارم چه نام دارند
اين منزلت از كجا گرفتند
گفتش ز سر زبان لآلى
هستند رفيق جاودانه
اين ماه بتان بدلتوازي
مجنون لقب آمد آنكه شاهست
در درج وفا بمر بوده
اينجا بمراد دل رسیده
الى ابد الأبد چنين اند
زينگونه كند در اين جهان سر
شاديش در اين جهان چنين است

شب چون سر ناه را خراشيد
بشود فرشته ايش در خواب
صحنش ز بلندی درختان
در دامن هر شكوفه باغى
در هر چمنى چو چشم بينا
كله‌اى شكفته جام بر دست
خضرا تر از ان زير جدى نه
هم رود زنان بزخمه راندن
در سايه گل چو آفتابى
وان تخت بفرشلى ديا
فرخ دو سروش پي خسته
سر تا بدم بزبور نور
ي در كف ونوبهار در پيش
كه بر لب جام لب نهاده
گاهى سخنان خويش گفتند
پيرى بتمه استاده
هر لحظه ز نوشارى انگيخت
بيننده خواب از آن نهانى
كاین سرو بتان كه جام دارند
در منزل جان هوا گرفتند
آن پير زبان گرفته حالى
كاین يار دو گانه يگانه
آشاه جهان براست بازى
ليلي شد ليلي آنكه ماهست
بودند دو لعل نابوده
آسايش اين جهان ندیده
اينجا ألى ديگر نبينند
هر كو نخورد در آنجهان بر
آنكس كه در آن جهان خزينست

- ثم أقبل ملاكان رحيان سعيدان ... !!
- فجلسا في جوار وسرور وحنان ... !!
- وفاض عليهما النور من أخص القدم إلى قمة الرأس العالية ... !!
- فكأنهما الحور في أبهى الخلل والأردية العالية ... !!
- والخمر في أكفهما ، ونضرة الريح يادية عليهما ... !!
- وهما يتحدثان عن قصتهما وأمرهما ... !!
- فيقبلان شفة الكأس في لهفة واشتياق ... !!
- أو يقبلان الشفاء والثغور والأعناق ... !!
- وأحيانا يتحدثان بما هما فيه من حب وهيام ...
- وأحيانا يتعاقبان في غفلة لذينة الأحلام ... !!
- ووقف إلى جوارهما « شيخ » وقور جليل ... !!
- قد أطل برأسه ليشتمع بمنظرهما الجميل ... !!
- وكان ينثر عليهما في كل لحظة الذهب والجواهر ...
- ويصب على مفرقهما ما شاء من الإبريز الساحر ... !!
- فتقدم رائى الرؤيا ، فسأل ذلك الشيخ الخافي عن العيان ...
- ليحدثه بأمر هذين العاشقين منذ أقدم الأزمان ...
- فسأله : من يكون هذان العاشقان المسكان بالأقداح ... ؟
- وما اسمهما في حديقة إرم بين الغيد والملاح ... !!
- فإنهما قد تحابا في منزل الأرواح ...
- فمن أين لهما بهذه المكانة والمنزلة ... يا صاح ... ؟
- فأجابه الشيخ على الفور بمحدث بادی النظام ...
- هو من سحر القول أو من جواهر الكلام ... !!
- فقال : هذان حبيبان فريدان ...
- قد انعقدت الصداقة بينهما منذ أبعـد الأزمان ... !!
- فأما أحدهما فملك ... حكم العالم بنقائه ...
- وأما الأخرى فقمر ... فاق الأقمار بصفائه ... !!

- فلما ماتت « ليلي » ... وكانت القمر النير ١١ ...
 جن الملك ، فلقبوه بالمجنون الكبير ١١ ...
 — وكانا من قبل ياقوتتين غير مثقوبتين ...
 اشتمل عليهما درج الوفاء ، وختموه بالحب حتى لايفرق بينهما الين ...
 — ومن أسف أنهما لم يظفرا في الدنيا إلا بالعناء ١١ ...
 ولكنهما ظفرا هنا بما شاء من سعادة وهناء ١١ ...
 — وسوف لايريان بعد الآن ألماً يدعو إلى الأئين ...
 وسيظلان فيما هما فيه إلى أبد الآبدن ١١ ...
 — فإن الذى لا يظفر فى الدنيا بمناء ...
 سيظفر بما يريد ويشتهى ... فى أخراه ١١ ...
 — وكذلك الذى أعيته الأحزان فى دنياه ...
 سيكون سروره فى الآخرة على هذا النحو الذى تراه ١١ ...

هفت بيكر أو بهرام نام (الصور السبع أو كتاب بهرام)

هذا الكتاب فى الحقيقة هو آخر المثنويات التى أنشدها « نظامى » ولكنه فى طبعة طهران يأتى بعد ليلي والمجنون ، ويحتل الصفحات من ٢٨٠ إلى ٣٩٤ ، ويشتمل على أكثر من ٥٠٠ بيت من الشعر تجرى على الوزن الآتى :

— — — — —
 | — — — — — | — — — — — | — — — — —
 فاعلاتن . مفاعلن . فاعلان

وموضوع هذه المثنوية مشابه لموضوع « خسرو وشيرين » فى كونه متعلقا بقصة خاصة بأحد الملوك الساسانيين وهو « بهرام گور » . وأكثرا الحكايات التى رويت عن هذا الملك الذى اشتهر بفروسيته ومهارته فى الصيد والطراد مبنية على أساس تاريخي ، أو متعارف عليها من قديم الزمان ، فهى مروية فى تاريخ الطبرى (وقد صرح نظامى باسمه وذكره من بين مصادره التى اعتمد عليها . انظر « باخر » ص ٥٤) . وربما كانت تسمية هذه المثنوية باسم « بهرام نامه » أظهر فى الدلالة على

موضوعها من تسميتها باسم « هفت بيكر » ؛ لأن الصور السبع التي ذكرت فيها ليست إلا موضوعا واحدا من موضوعات القصة ، وربما سميت به لأنه أهم موضوع فيها .

والصور السبع التي تشير إليها هذه المتنوية هي الصور التي اكتشفها « بهرام كور » في غرفة سرية في قصره المعروف بالخورنق ، وقد تبين له أنها صور سبع أميرات يمتزج بالجمال والحسن : أولاهن ابنة ملك الهند ، والثانية ابنة خاقان الصين ، والثالثة ابنة شاه خوارزم ، والرابعة ابنة ملك الصقالبة ، والخامسة ابنة شاه إيران ، والسادسة ابنة امبراطور بيزنطة ، والسابعة ابنة ملك المغرب .

فلما رأى « بهرام » صورهن وقع في حبهن جميعا ، فلما مات أبوه « يزد جرد » وتولى العرش مكانه ، كان أول ما فعله أن جد في طلب هؤلاء الأميرات من آبائهن ، واستطاع أن يحقق رغبته بالزواج منهن جميعا . وقد أسكن كل واحدة من هؤلاء الأميرات السبع في قصر مستقل ، جعله في لونه يمثل إقليما من الأقاليم السبعة التي ينقسم إليها الكون ، ثم أخذ في زيارتهن بالتناوب في سبع ليال متتالية ، بادئا في يوم السبت بزيارة القصر الأسود الذي خصه لابنة ملك الهند ، ومنتها يوم الجمعة بزيارة « القصر الأبيض » الذي تسكنه ابنة ملك المغرب . وتستقبله كل أميرة من الأميرات باحتفال فاخر ، وتحتفى به خير احتفاء بأن تسرد له ليلة مبيتها عندها جملة من الحكايات الممتعة كالتى نجدناها عادة في قصة « ألف ليلة وليلة » .

وتنتهى المتنوية بقصة « الوزير الظالم » الذي التفت « بهرام » إلى سوء أعماله عند سماعه لحكاية « الراعى وكلبه الخائن » ، فإذا ما انتهت هذه القصة وصلت « المتنوية » إلى خاتمتها بوفاة « بهرام »

وفي المتنوية حكاية رائعة تمثل صحة المثل القائل بأن : « التكرار يعلم الحمار » تصور « بهرام كور » وهو يخرج كعادته مع جارية له اسمها « فتنة » تعود أن

(١) هذه القصة مروية بتمامها في كتاب « سياست نامه » تأليف « نظام الملك » . أنظر طبعة

يستصحبها معه عند خروجه للصيد ، وتعودت هي أن تغني له على نفقات العود في فترات استراحته واستجمامه ، ففي يوم من الأيام أظهر الملك مهارة عظيمة في الصيد والرماية ، وكان يريد أن يستمع إلى كلمة إعجاب من جاريته « فتنة »

— ولكنها تدلت عليه ، ومنعت نفسها من الثناء عليه

— فصر الملك على ذلك برهة ، حتى اجتاز به عن بعد حمار وحش

— فقال لها : « أيتها الفتاة الثرية يا ذات العيون الضيقة ، لا تحقرى مهارتى

في الصيد . . . ! !

— فمهارتى في الصيد لا يشعلها وصف ، وكيف يمكن لى أن أبديها لعينيك

الضيقتين . . . ! ؟

— فقولى لى ، وقد أقبل هذا الحمار كيف أطارد ، وفي أى جزء من أجزائه

أرميه بسهمى . . . واختارى مكانا بين رأسه وحافره . . . ! ؟

— فأجابته الجارية : « إذا شئت أيها الملك أن تبيض وجهك ، فاضرب هذا

الحمار بسهم واحد ، واقرن رأسه بحافره . . . ! !

— فعلم الملك بتعقيدها للأمر ، وأخذ يبحث عن وسيلة يتخلص بها من

سوء مقصدها ونتيها .

— ثم أسرع بطلب قوسه ووضع فيها كرة من الطين الصلصال

— وقذف بها حمار الوحش ، فأصابت الكرة أذنه وآذته

— ورفع حمار الوحش حافره إلى أذنه ليحكها به ، ويخلصها من هذا الصلصال

الذى علق بها .

— فإذا بالملك يلقي السهم . . . فيصيه كالبرق . . . ويقرن حافره برأسه . . . ! !

— فالتفت الملك إلى جاريته المفترية وقال لها : « لقد فزت كما ترين . . . ! ! »

— فقالت الجارية هازئة به « لقد أتقن الملك هذا الأمر فكيف يصعب عليه

ما أتقن . . . ! ؟

— وكل ما يتعلمه المرء ، يسهل عليه فيستطيع فعله ولو كان صعبا . . . ! !

— فإذا كنت قد أصبت بسهمك حافر الحمار فما ذلك إلا لطول مرانك على

الصيده . . . وليس في الأمر ما يدل على قوة عضدك (۱) . . . !»
 فلما سمع الملك إيجابتها وتهكمها به ، اشتد حنقه عليها ، وأمر أحد ضباطه بأخذها
 وقتلها ، ولكنها ما زالت بالضابط تتودد إليه وتستعطفه بأن المليك سيندم على
 قتلها أشد الندم ، حتى استطاعت في النهاية أن تقنعه بأن من الخير له أن ينقذها من
 الموت ، فأخذها الضابط إلى قصره في الريف وأخفاها هنالك ، وكانت هي نفسها
 ما زالت تتوق إلى أن تثبت له إن « التكرار يعلم الحمار » وأن « المران ينتهي
 إلى الإتيان » فلاحظت أن سلم القصر يشتمل على ستين درجة ، فاشتريت عجلارضيعة
 وأخذت تحمله كل يوم على أكتافها وتصعد به ذلك الدرج ثم تهبط به ثانية ، حتى
 اعتادت حمله رغم نموه وكبره .

وفي يوم من الأيام نزل « بهرام گور » ضيفا على هذا الضابط فغطت « فتنة »
 وجهها بغطاء ثقيل ، وأخذت تعرض على الملك زيارتها التي مررت عليها ، فأعجب الملك

(۱) المترجم : هذه ترجمة الآيات المذكورة في ص ۸۹ من النص الفارسي لـ « هفت پیکر »
 الذي نشره الأستاذان ريتير Ritter وريبكا Rypka في استانبول سنة ۱۹۳۴ ونصها كالآتي:

وآن کنیزک ز ناز و عیاری	در ثنا کرد خویشم داری
شاه یک ساعت استاد صبور	تا یکی گور شد روانه ز دور
گفت کای تنگ چغم تاتاری	صید مارا بچشم در تاری
صید ما کر صفت برون آید	در چنان چغم تنگت چون آید
گوری آمد بگو که چون نازم	وز سرس تا سمش چه اندازم
گفت باید که رخ بر افروزی	سر این گور در سمش دوزی
شاه چون دید پیچ پیچی او	چاره گر شد ز بند بسیچی او
خواست اول کان گروهه چو باذ	مهره در کان گروهه نهاده
صید را مهره در فکند بگوش	آمد از تاب مهره مفر بجوش
سم سوی گوش برد صید زبون	تا ز گوش آرد آن علاقه برون
تیر شه برق شد جهان افروخت	گوش و سم را بیکدیگر در دوخت
گفت شه با کنیزک چینی	دست بردم چگونه می بینی
گفت پر کرد شهریار این کار	کار پر کرده کی بود دشوار
هرچ تعلیم کرده باشد مرد	گرچ دشوار شد تواند کرد
رفتن تیر شاه بر سم گور	هست از ادمان نه از زیادت زور

من نتيجة ذلك إلا الإطالة في هذه المقالة التي تحدثنا فيها عن « خمسة نظامي » فطال فيها الحديث من حيث لا يريد . (١)

٤ - ظهير الدين الفارياي

هذا الشاعر وإسمه الكامل « ظهير الدين طاهر بن محمد الفارياي (٢) » أقل شهرة من الشعراء الثلاثة الذين سبق الحديث عنهم ، وهو مدين فيما حاز من شهرة إلى يت واحد من الشعر ، يكثر ترديده بين الفرس دون أن يعرف قائله وهو :

ديوان ظهير فارياي در كعبه بزد اكر يياي

ومعناه : إسرق ديوان « ظهير الدين الفارياي » ولو وجدته في الكعبة ... ١١

وقد أشرنا فيما مضى إلى آراء « مجد الدين همكر » و « إمامي » وشاعر ثالث في المفاضلة بين « ظهير الدين » وبين « الأنوري » ، ورأينا أن الشعراء الثلاثة أجمعوا على تفضيل « الأنوري » .

ولكن قيام هذا النوع من الجدل بين هؤلاء الشعراء يدلنا بصورة قاطعة على أن أشعار « ظهير الدين » كانت في وقت من الأوقات تقدر حق قدرها ويكثر قراؤها على خلاف حالها الآن .

وقد طبعت أشعار « ظهير الدين » على الحجر في مدينة « لكنو » (٣) وقام على طبعتها « نول ك شور : Nawal Kashor » . ولكن النسخة التي اعتمد عليها في هذا البحث عبارة من مخطوط جيد (رقم ٥٥٦٤٠٦) من مخطوطات مكتبة « جامعة كامبردج » وهو يشتمل على ١٦٠ ورقة ، كل واحدة منها تشتمل على ٢٢ بيتا من الشعر أي أن كل صحيفة من صفحاتها تشتمل على أحد عشر بيتا من الشعر ، ومعنى ذلك أن هذه الورقات تشتمل على ما يزيد على ثلاثة آلاف بيت من الشعر موزعة بين « القصائد » و « المقطعات » و « الغزليات » و « الرباعيات » .

(١) المترجم : من حسن الحظ أن أحدث بحث عن « نظامي » هو الذي كتبه بالعريسة صديقي الدكتور عبد النعيم حسنين وأحرز عليه في العام الماضي أول درجة للدكتوراه من جامعة أبراهيم وقد تمكن من نشره هذا العام بعنوان : نظامي الكنجوى ، شاعر الفضيلة .
(٢) أنظر « تاريخ كريد » وكذلك « تذكرة الشعراء » لدولتشاه .

(٣) المترجم : تاريخ هذه الطبعة هو ١٢٩٧ هـ = ١٨٨٩ م .

وقد خصص «عوفى» مقالة ليست بالقصيرة لحياة «ظاهر الدين» (١) وفيها مغالاة كبيرة في بيان سمو مرتبته وعلو منزلته حتى إنه قال : « إن لشعره من الرقة واللفظ ما ليس لشعر غيره من الشعراء » (٢) وأضاف «عوفى» إلى ذلك أن «ظاهر الدين» ولد في بلدة «فارياب» في الشمال الشرقى من إيران ، ولكنه فاز بشهرة عريضة في العراق حيث كان يفوز برعاية خاصة يتلقاها من حاكم أذربيجان الأتابك «نصرة الدين أبى بكر بن محمد بن ايلدگز» الذى كان يلقب باسم «جهان بهلوان» أى «بطل العالم» .

وقد أفرد له «دولتشاه» مقالة طويلة (ص ١٠٩ — ١١٤ من تذكرة الشعراء) قال فيها : أن ظاهر الدين كان تلميذا للشاعر رشيدى السمرقندى ، وإنه ترك خراسان وهاجر إلى العراق وأذربيجان في أثناء حكم الأتابك «أرسلان بن ايلدگز» (٥٨١ — ٥٨٧ هـ = ١١٨٥ — ١١٩١ م) ، وإنه كان قبل ذلك في خدمة «طغان» حاكم نيسابور ، وإن بعض الأكابر والأفاضل يعتبرون أشعاره أرق وأدق من أشعار الأنورى .

ويبدوننا مما جاء في «تاريخ طبرستان» أن «ظاهر الدين» كان قبل ذلك ملتحقا بخدمة إصبيهد مازندرانسمى «حسام الدولة اردشير بن الحسن» الذى قتل في أول إبريل سنة ١٢١٠ م = ٦٠٧ هـ ؛ وإليه وإلى جوده يشير «ظاهر الدين» في كثير من اللوعة والندم حيث يقول :

شاید که بعد خدمت ده سال در عراق

نامم هنوز خسرو مازندران دهد

ومعناه : وهل يجوز بعد ما انقضت على عشر سنوات خدمتها في العراق أن يظل ملك مازندران يعطينى قوتى . . . !؟ (٣)

(١) أنظر ج ص ٢٩٨ — ٣٠٧ من «آب الآب» .

(٢) الترجم : العبارة الفارسية الأصلية هى : « وشعر اولطنى دارد كه لطف او هيچ شعر ديگر ندارد » .

(٣) يقول ابن اسفنديار في كتابه «تاريخ طبرستان» إن بعض الخدم قتل هذا البيت إلى إصبيهد مازندران فأمر بأن يعطى الشاعر مائة دينار وجواذاً وخلعه ومنطقه مرصعة بالجواهر .

وقد زار « ظهير الدين » مدينة أصفهان ، ولكن قاضى قضاتها السمي : « صدر الدين عبد اللطيف الحنجدى » لم يحسن استقباله فبقي بها فترة قصيرة ، وكان من بين أعدائه « مجير الدين البيلقانى » شاعر الهجاء والتهكم فى أصفهان ، وهو نفس الشاعر الذى صادفناه من قبل بين خصوم « الخاقانى » ، وقد أشار إليه « ظهير الدين » فى البيت التالى ، وفيه يتهم به وبملابسه الفاخرة التى كان ينالها من « قول أرسلان »

كر بديساهای فاخر آدمی گردد کسى

پس در اطللس چیست کړک ودر عبائی سوسمار^(١)

ومعناه : إذا استطاع الإنسان أن يصير آدميا بالملابس الفاخرة

فما ذا يكون الذئب فى فروه الوافر ، والضب فى جلده الفاخر . . . !

وقد اعتزل « ظهير الدين » قبيل انتهاء حياته عيشة الملوك والقصور وقنع كما فعل الكثيرون غيره من شعراء المديح بعيشة الاعتكاف والتعب فى تبريز حتى أدركته الوفاة فى نهاية سنة ١٢٠١ م $(٢) = ٥٩٨ هـ$ وقد دفن هنالك ، كما رأينا من قبل ، فى مقبرة « سرخاب » بجانب الشعارين المعروفين « خاقانى » و « شاهفور الأشهرى » .

ومع ذلك فإن قصائد « ظهير الدين » خالية من كل أثر للتدين ، عاطلة من كل ما يشعرونا بأنه أحسن التعب والزهد ، وهى — على العكس من ذلك — دنيوية فى أغراضها ومعانيها ، بحيث إذا فرضنا جدلا أنه شعر بالندم فى آخر حياته من التزامه حياة القصور فقرر بعد ذلك الاعتزال والاعتكاف ، وجب علينا لزما أن نفترض أيضا أنه اعتزل فيما اعتزل قول الشعر وإنشاء القصيد .

ولقد حملت نفسى مشقة كبيرة فى قراءة ديوانه المخطوط ، ولكن النتيجة التى حصلت عليها من هذه القراءة كانت محزنة مزعجة ، فلقد وجدت أن الإشارات التى تشير إلى حوادث تاريخية قليلة جدا ، كما وجدت أن سائر أشعاره تجرى على نمط واحد ، فهى دائما من نوع القصيد المصقول المذهب الذى امتاز به شعراء المديح من الفرس فجعل أشعارهم خالية من كل ما يستنفعه الذوق ، وجعلها خالية من الأقوال العنيفة

(١) أنظر « تذكرة الشعراء » ص ١١٤ .

(٢) سنة ٥٩٨ هـ كما ذكر ذلك « تاريخ كرميه » و « تذكرة الشعراء » فلولشاه . ويقول « تاريخ كرميه » أنه مات فى شهر ربيع الأول من هذه السنة .

أو التهجمات اللاذعة أو الإحساسات النفسية العميقة ، وهذه الأشياء جميعها هي التي أضفت في الحقيقة كثيرا من الروعة والجمال على قصائد « الأنورى » و « الخاقاني » .
وقصائد « ظهير الدين » ومقطعاته وغزلياته تبلغ في عددها ١٨٥ منظومة ، أما « رباعياته » فتبلغ ٩٧ رباعية . ويشتمل ديوانه بالإضافة إلى ذلك على مثنوية واحدة في مدح السلطان « قزل أرسلان »

الملوك والأمراء الذين اتصل بهم ظهير الدين :

والمملوك والأمراء الذين خصهم « ظهير الدين » بمدائحه هم كما يلي (١) :

- ١ — « عضد الدين طغانشاه بن مؤيد » : (٢) الملقب بملك الشرق (خسرو شرق) وقد خصه بسبع أو ثمان قصائد .
- ٢ — « حسام الدين أرمشير بن حسن » ملك مازندان ، وخصه بثلاث قصائد (٣) .
- ٣ — « أختسان » شروانشاه ، وقد وجه إليه قصيدة واحدة ، وهو ملك شروان الذي اختصه « الخاقاني » بمدائحه .
- ٤ — « قزل أرسلان بن ايلدگز » أتابك أذربيجان ، وقد وجه إليه إحدى عشرة قصيدة وأشار إلى موته في مقطوعتين أخريين (٤) .
- ٥ — « نصره الدين أبو بكر بيشكين بن محمد بن ايلدگز » ابن أخى « قزل أرسلان » ووارث ملكه وقد وجه إليه ٣٥ قصيدة .
- ٧ — « طغرل بن أرسلان » آخر ملوك السلاجقة في فارس ، وقد وجه إليه قصيدة واحدة (٥) .

(١) الأسماء المذكورة في هذا البيان ذكرناها وفقا لما جاء في هذه القصائد لأن العناوين قليلة ولا تذكر فيها هذه الأسماء .

(٢) مات كما جاء في « ابن الأثير » سنة ٥٨٢ هـ (١١٨٦ — ١١٨٧) .

(٣) توفي كما جاء في « ابن الأثير » سنة ٦٠٣ هـ (١٢٠٦ — ١٢٠٧ م) .

(٤) قتل في « قونية » في سنة ٥٨٨ هـ (١١٩٢ م) .

(٥) قتله « الخورزمشاه » في مدينة الزى في سنة ٥٩٠ هـ (١١٩٤ م) .

- ٧ — سيد الرؤساء « بهاء الدين أبوبكر » : وقد خصه بأربع قصائد
 ٨ — « تاج الدين إبراهيم » : وقد خصه بقصيدتين
 ٩ — « مجد الدين محمد بن علي أشعث (١) » : وقد خصه بأربع قصائد
 ١٠ — « سعد الدين » : وقد خصه بقصيدتين
 ١١ — « رضى الدين » : وقد خصه بقصيدتين
 ١٢ — « جمال الدين حسن » : وقد خصه بثلاث قصائد
 ١٣ — الوزير « شمس الدين » : وقد خصه بخمس قصائد
 ١٤ — « جلال الدين » : وقد خصه بقصيدة واحدة
 ١٥ — « شرفشاه » : وقد خصه بقصيدة واحدة
 ١٦ — الوزير « عماد الدين » : وقد خصه بقصيدة واحدة
 ١٧ — الوزير « محمد بن فخر الملك » : وقد خصه بقصيدة واحدة
 ١٨ — « صفى الدين الأربيلى » : وقد خصه بقصيدة واحدة
 ١٩ — « عز الدين يحيى التبريزى » : وقد خصه بقصيدة واحدة
 ٢٠ — الوزير « نظام الدين » : وقد خصه بقصيدة واحدة
 ٢١ — « صدر الدين الحنجدى » : وهو من كبار رجال الشافعية
 فى إصفهان ، وكان مقتله على يد « فلك الدين سنقر » فى سنة ٥٩٢ هـ (١١٩٦ م) .
 وقد وحه إليه « ظهير الدين » ثمانى قصائد . وكان « صدر خجند » هذا
 يعرف باسم « عبد اللطيف » وقد روى لنا « دولتشاه » مقالاً بين فيه علاقة
 « ظهير الدين » به ، فقال (٢) :

« بقولون إن ظهير الدين خرج سائحاً من نيسابور إلى إصفهان ، وكان صدر
 الدين عبد اللطيف الحنجدى فى ذلك الوقت قاضياً للقضاة فى إصفهان ، فذهب إليه
 ظهير الدين ليسلم عليه ، فرأى عنده كثيراً من الفضلاء والعلماء ، فسلم عليه وجلس
 فى مكان من الأمكنة ، ولم يظفر فى هذه الجلبة بما كان يطمع فيه من العناية والعطف

(١) فى ديوان « الفارابى » طبع « لكنو » كتب هذا الاسم بالباء أى « أشعث » .

(٢) انظر ص ١١٢ من « تذكرة الشعراء » .

فغضب على صاحب الدار ، وما لبث أن قال قطعة من الشعر ، أنشأها على البديهة ، وأسرع بتسليمها إليه ، [وترجمة هذه القطعة كما يلي] :

— أيها السيد العظيم ... رققا ... فإن عظمة الدنيا ليست من الخطورة بحيث

تسمح لأحد بأن يرفع رأسه تكبرا وعجبا ... !!

— وبالفضل وحده يكون الشرف ، ولقد جمعته برمته ، فلماذا تنبه اختيالا

بهذا التعميم المزور ... !!

— ولماذا لا ترعى باحترامك أهل الفضل، وأنت معروف في هذا الزمان

بأنك ممتاز بالفضل ... ؟ !

— فانظر إلى ، ولا تهزأ بي ، فإن قلبي بما امتلأ من فضل لا يلهو بظنر الحور ... !!

— وإذا لم يعجبك حديثي ... فاستمع لكلمة واحدة مني واجعلها مستورا

لأحوالك ... !!

— واطرح هذا الثقاب الذي اتخذته على وجهك في هذه الدنيا ، وطوح به جيدا

عنك في يوم عرض المظالم ... !!

— فسوف لا ترفع عليك ظلامة إلا ماتعلق منها بإجابتك الخشنة على سلام الناس

عليك ... ؟ ! (۱)

وقد أولاه «صدر الدين» كثيرا من رعايته وعنايته ، ولكنه لم يشأ أن يقيم بعد

ذلك في مدينة إصفهان ، وغادرها إلى أذربيجان ، فالتحق هنالك بخدمة الأتابك

(۱) المترجم: فيما يلي النص الفارسي لهذه الأبيات وفقا لما جاء في «تذكرة الشعراء» ص ۱۱۳

وهذه الأبيات موجودة أيضا في ص ۱۷۷ من ديوان الفارياي طبع «لكنو» سنة ۱۸۸۰ م

مزر گوارا دنیا ندارد آن عظمت

شرف بفضل و هنر باشد و ترا همه هست

ز چیست کاهل هنر را نمیکنی تمیز

بمن ننگه تو بیازی مکن از آنکه بفضل

اگرچه نیست خورشید سخن ز من بشنو

تو این سپر که ز دنیا کشیده در رو

که از جواب سلامی که خلق را برست

که هیچ کس را زید بدان سرا فرازی

بدین نفیم مزور چرا همی نازی

تو نیز هم بهتر در زمانه ممتازی

دلم بگیسوی حوران نمیکند بازی

چنانکه آنرا دستور حال خود سازی

بروز عرض مظالم چنان بیندازی

بهیچ مظلمه دیگری نپردازی

« مظفر الدين محمد بن إيلدغر » ، فبقى في خدمته مدة السنوات العشر التالية ..
ولكن هذه القصة لا تتفق مع الحقيقة المعروفة عن « ظهير الدين » من أنه وجه
إلى « صدر الدين الحجندی » جملة قصائد ذكر في إحداها صراحة أنه مكث ملازماً
لأعباء الشريفة مدة سنتين كاملتين ، وأنه يرجوه في إلحاح أن يستمر على ثموله
بنعمه ، وألا يضطره في يوم من الأيام — وهو كثر العلم والفرائد — إلى أن يعد
يده إلى طغمة من الأسافل والأراذل ... !!

وعلى هذا يبدو لنا أن الشاعر مكث في أصفهان سنتين أو ثلاث ثم ساءه أنه لم
يظفر من « صدر الدين » بالجوائز والعطايا التي كان يطمع فيها فتركه إلى آذريجان
يريد أن يجرب حظّه عند سيد جديد ربما يكون أكثر كرماً وأجزل عطاءً .

حياة ظهير الدين :

ومن العسير أن تفصل الحديث عن حياة « ظهير الدين » لأن كثيراً من الحقائق
المتعلقة بحياته ليست في أيدينا ، ولكن النقطة الأساسية في سيرته واضحة تمام الوضوح
بحيث نستطيع أن نستشف منها صورة كاملة لحياة هذا الشاعر .

فقد بدأ يقول الشعر في بلدته « فارياب » وذكرها في بعض أشعاره على أنها موطنه
ومسكه ؛ ثم خرج منها وذهب إلى « نيسابور » ومدح حاكمها « طغانشاه بن المؤيد »
بجملة من قصائده . وقد مات هذا الأمير في سنة ٥٨٢ هـ (١١٨٦ — ١١٨٧ م) .
وعلى ذلك يتحتم علينا أن نقول إن الشاعر قال مدائحه التي يخص بها هذا
الأمير قبل هذا التاريخ . وقد ذكر الشاعر في أحد أبياته أنه بلغ الثلاثين من عمره ،
فإذا فرضنا أنه محق في قوله ، وأنه لم يكن يقل عن الثلاثين ، أو إنه لم يتجاوزها إلا
بسنوات قليلة فمن الممكن أن نستنتج من هذه القرينة أن « ظهير الدين » ولد حوالي
٥٦٢ هـ (١١٥٦ م) .

وقد جاء إلى « آذريجان » أثناء حياة « قزل أرسلان » ، وعلى ذلك يبدو أن
زياراته لـ « حسام الدين أردشير بن حسن » ولـ « ملك مازندران » وبلدية أصفهان ،

إنما وقعت جميعها فيما بين سنة ٥٨٢ هـ وسنة ٥٨٦ هـ (١١٨٧ - ١١٩١ م) ،
والسنة الأخيرة من هذين التاريخين هي السنة التي جلس فيها الأتابك
« نصره الدين أبوبكر » في مكان عمه « قول أرسلان » .

وإذا صح أن وفاة « ظهير الدين » حدثت في سنة ٥٩٨ هـ (١٢٠١ م) —
وليس لدى من الأخبار ما ينفي هذا التاريخ — فإنه يبدو أنه أمضى السنوات التي
سبقت وفاته في خدمة مولاه « نصره الدين أبوبكر » ، وأنه لم يستكف في « تبريز »
إلا خلال السنة الأخيرة من حياته ، أو على الأكثر خلال السنتين الأخيرتين
السابقتين على مماته .

ونجد الشاعر يشير إلى بعض ظروف حياته في جملة من قصائده ؛ فقد ذكر في
إحداها ، وربما قالها عند انتهاء إقامته في « نيسابور » هذين البيتين :
مرا بدمت شش سال حرص علم وأدب بخا كدان نیشابور کرد زندان
بهر هنر که کسی نام برد در عالم چنان شدم که ندارم بهد خود ثانی
ومعناها :

— إن حرصي على العلم والأدب حبسني مدة ست سنوات في مدينة نيسابور
الكرهة .

— ولكنني استطعت أن أصبح ولا ثاني لي في كل فن من فنون الفضل
المعروفة في هذا العالم ... !!

وفي هذه القصيدة نفسها إشارة تحملني على الظن بأن « ظهير الدين » تهمك بالشاعر
« أنوري » عندما أصدر حكمه عن اقتران الكواكب في سنة ٥٨٢ هـ (سبتمبر
سنة ١١٨٦ م) فقد قال هذا البيت :

رسالتی که ز انشای خود فرستادم بمجلس نو بایطال حکم طوفانی
ومعناه :

— وهي رسالة من إنشائي ، أرسلتها إليك لأبطل بها حكم الطوفان ... !!

و يساعدني على هذا الظن قطعة أخرى عثرت عليها في ديوانه ، إذا صح فهمي لها ، فهي تشير صراحة إلى « الأنوري » لأنه قال فيها :

آنکس که حکم کرد بطوفان باد گفت آسیب آن عمارت گیتی کند خراب
تشریف یافت از تو و اقبال دید و جاه در بند آن نشد که خطا گفت یا صواب
من بنده چون بنکته ، بطلال کردم با من چرا زوجه دیگر می رود خطاب
و معنی هذه القطعة :

— ذلك الشخص الذي أصدر حكمه بقيام الريح ... قال إن أذاها سيجعل
عمائر الدنيا خربة محطمة .

— ولقد نال منك التشریف والاقبال والجاه ، فلم يعلق أهمية على قوله إذا
أخطأ أو أصاب .

— ولقد أبطلت حكمه بنکته من قولي ، فلماذا تخاطبني بطريقة أخرى جزاء
لما قلت من صدق و صواب ... ؟ !

و ربما تعرف « ظهير الدين » بعد ذلك بالأنوري ، أو ربما أطلع على أشعاره ،
فإنه يبدو لي أن « ظهير الدين » قال قصيدته التي مطلعها :

ای فلک سر بدان در آورده که تو گوئی که خاک پای من است
يجب بها « الأنوري » و يعارضه في قصيدته التي مطلعها :

کلبه که اندر آن بروز و شب جای آرام و خورد و خواب من است

ولا أستطيع بالإضافة إلى هذه الإشارات أن أجد إشارة صريحة في أشعار « ظهير الدين »
لشاعر آخر من معاصريه ، اللهم إلا إذا كان البيت التالي يشير إلى الشاعر « نظامي »
الذي أكمل مثنوته عن « خسرو و شیرين » في سنة ۵۷۱ هـ (۱۱۷۵ - ۱۱۷۶ م)
وهذا البيت هو :

ولیک بیخمارین در عراق ثابت نیست

خوشا فسانه شیرین و قصه فرهاد

ومعناه :

—ولكن جذورى ليست ثابتة فى العراق

فما أحلى قصة «شيرين» وحكاية «فرهاد» !!...

ومن المحتمل جدا أن «ظهر الدين» كان يحسد معاصريه الكبارين «نظامى» و«الأتورى» ؛ فإن أشعاره مليئة بالبراهين التى تدل على أنانيته ، وحرصه على المنفعة واستعداده لتجنيء القمص للظفر بما يريد ، وتحقيره لأرباب مهنته ؛ وهو فى هذا كله مشابه للأتورى . وقد أشار «ظهر الدين» فى أشعاره إلى شاعر آخر سابق لعمره هو «پندار الرازى» الذى عاش فى القرن الحادى عشر الميلادى (الخامس الهجرى) فقال فيه هذين البيتين :

شعر پندار كه كفى بحقيقت وحى است

آن حقيقت چو به ينى بود از پندارى

در نهان خانه طبعم بتماشا بنكر

تا ز هر زاويه عرضه دهم دلدارى

ومعناهما:

— إن شعر «پندار» الذى قلت عنه إنه فى الحقيقة وحى ، إذا نظرت إليه

لوجدت أن هذه الحقيقة وهم وخيال ... !!

— فانظر فى دخيلة نفسى ، فى استطاعتى أن أطلعك فى كل ركن من

أركانها على ما يسبك ويأسرك ... !!

وهنا أيضا نلاحظ أن «ظهر الدين» على عادته يحقر أشعار غيره من الشعراء حتى هذا الشاعر المتقدم عليه ، الذى لم يكن بينه وبينه أى منافسة أو حسد .

وكان «ظهر الدين» كغيره من شعراء القصور مولعا بشرب الخمر ، وكان سنى المذهب ، ولكنه ربما لم يهتم بأمر الدين فى كثير أو قليل ، فهو يقول فى إحدى رباعياته : «إنه من الخير لك أن تكون ثملا بالخر فى جهنم من أن تكون مفيقا فى الجنة ... !!»

(١) أخطأ «دولتشاه» فى نقل هذين البيتين فأورد البيت الثانى منهما بقليل من التحريف وسوء الفهم . انظر ص ٤٣ من «تذكرة الشعراء» .

وهو يقول في رباعية أخرى : « إنه عبد مطيع للخضر الذي أخرجه من ظلمة العنب والعنايد .. !! » وهو يشير بذلك إلى رحلة «الإسكندر» في الظلمة تحت إرشاد «الخضر» باحثاً عن ماء الحياة .

وقد اعترف «ظهر الدين» بكونه سفي المذهب فيما تحدث به عن الخلفاء وخاصة عمر وعثمان .

فهو يذكر «عمر» على أنه مثال للعدل حيث يقول :

شاهنشاه ابی بکر محمد که جهان را از حضرت او مرده عدل عمر آمد
ومعناه :

— أن الملك «أبا بكر محمد» قد زف البشرية من لدنه إلى الدنيا بعدل عمر
وقد ذكر عمر وعثمان معا في مكان آخر ، فقال مامعناه :

— فهو الأتابك العظيم الذي استطاع عدله أن يقيم دين الله وسنة الرسول

— وهو كأبي بكر في عظمته ، وهو شبيه بعثمان في تواضعه ورحمته ، وهو في علمه وعدله مساو للفاروق (عمر) ولحيدر (علي) .

ولعل المثل العربي الذي يقول إن «الناس على دين ملوكهم» لا ينطبق تمام الانطباق إلا على شعراء القصور ؛ ولعله من الخطأ الواضح أن نعلق أية أهمية على مثل هذه الأقوال التي لا دلالة لها أكثر من أنها ترينا أن «ظهر الدين» لم يكن شيعياً متعصباً على أقل تقدير .

وكان شاعرنا — كما قلنا — شحاذاً ملحاحاً ، ولكنه كان على بينة من أنه باستجدائه بأشعاره قد أساء تمام الإساءة في استغلال مواهبه . والآيات التالية مثل واضح لطائفة كبيرة من أشعاره ، فهو يقول في قصيدة طويلة يخاطب بها «صدر خجند» ما معناه (١) :

(١) هذه الأبيات موجودة في ص ٤٤ — ٤٥ ، من ديوان «ظهر الدين الفارابي» نبع لكتو سنة ١٨٨٠ م ، وهذا نصها مع مراعاة أنها لم ترد بالقصيدة على هذا الترتيب :
عالمی از عطیات بر سرموج کشتی من چنین گران لشکر
منه امروز وانی که مهرس کر بگویم نداریم بلور =

— سار العالم بأجمعه في بحر من عطايك ، ولكن سفينتي وحدها ثقلت
مراسيها ... !!

— فلا تسألني عن حالي اليوم ، فلو حكيتها لك لما صدقتني ... !!

— فالقننة بأنواعها كامنة حولي والفاقة بألوانها متكشفة أمام وجهي ... !!

— فهلا تريد أن أصبح بقليل من عنايتك ، مادحا لك في هذا العالم ... !!

— ففي البحث عن أوجه المعاش لن يكون هناك مجال لحب أبي بكر أو
صداقة عمر (١)

— وليس في العراق جوهرى خبير بالجواهر ، ومن أجل ذلك حق لهم ألا
يعرفوا قيمة جواهرى ... !!

— فيا قلبي ... إنك أنظف من أكياس الفضة ، ويا وجهي ... إنك أشد
اصفرارا من صرر الذهب .

— وكل ما نالني من جاه أننى أصبحت رئيسا للشعراء أجمعين ... !!
وفي قصيدة أخرى خاطب بها سيدالرؤساء «بهاء الدين أبي بكر» يقول مامعناه :
— ولما أطلق لسانى في مدحك ، وإن كان كرمك يستوجب العذرة من
قصائدى ... !!

فتنه در گزند من گشاده كين	فاقه در روى من كشيده حشر
من نخواهى كه من ز اندك سعى	با شمت در جهان ثنا گستر
در وجوه معاش مى شنود	مهر يو بكر ودوستى عمر
جوهرى نيست در عراق ورواست	گر ندا تند قيمت گوهر
اوى دل پاك تر ز كيسه سيم	وى رخ زرد تر ز صره زر
نيست دولت وراى آنكه شذم	در ميان سخنورات سرور

(١) الترجمة : يقول الأستاذ « براون » في تعليقاته على هذا البيت إنه يدل على أن الشاعر
كان متبها أمام « صدر الدين الحنبدى » وهو من كبار المتشيعين ، فأراد أن يعترف عن
سفيته بمثل هذا القول ، وربما كان هذا هو السبب الذى انتهى به إلى الابتعاد عن أصفهان .

- ولقد نفر خاطري من الشعر لأنه ينقص من درجة الفضلاء (۱)
- وكل غرضي هو أن أمدحك ، وإلا فأين مكاني من الشعر والشاعرية ...؟
- ومقامي في قربك هو أدنى مقام في خلوة سراي القدرة ...!!
- فكيف أختر بالشعر ، ولو ثبت اسمي في جرائد الشعراء ...!!
- والشعر في ذاته ليس أمرا مشينا ، ولكن شكواي منه ترجع إلى خسة شركائي فيه ...!!
- وهو يقول في قصيدة أخرى ما معناه (۲) .
- والشاعرية هي أقل مواهب ، فانظر إلى أنواع البلاء التي تحملتها منها ...!!
- فلم يثبت لي منها شيء في العراق سواء في «همدان» أو «بغداد» ...!!
- وكل ما تلقيته من تنعم بسبب فضلي في هذا العالم كان قاصرا على جفاء أبي وصفعات أستاذي ...!!
- وكل من مدحته ورفعت ذكره ، عمل كل ما في استطاعته ليمحو ذكرى عن خاطره ...!!
- والتزل هو أحسن أنواع الشعر ، ولكنه للأسف ليس البضاعة التي يمكنني أن أعتمد عليها ...!!

(۱) المترجم هذه الأبيات موجودة في س ۱۱۶ من ديوان «ظهر الدين الفارابي» ، وهذا نصها الفارسي :

من مدحت زبان نداده هنوز	كرمت عذر صد قصيده بخواست
نفرتي دشت خاطر من از شعر	ز انكه آن قصص منصب فضلاست
غرضم مدحت تو بود ار نه	شاعري از كجا وبنده ز كجاست
زانكه خلوت سراي قدرت را ز قريت	جاي من در مقام او اداست
نچون تفاخر كم بشعر از چه	نام من در جريده شعراست
شعر در نفس خویش هم بد نيست	نا له من ز خست شرکااست

(۲) المترجم : هذه الأبيات موجودة في س ۳۱ من الديوان ، وهذا نصها الفارسي :

كینه مایه من شاعریست خود بنگر . که چند گونه کشیدم ز دست او بیداد

وليك هیچم ازین در عراق ثابت نیست تو خواه در همدان گیر وخواه در بغداد

— ولقد أخذ بناء عمرى فى التحطم... فألى متى أعمر منزل أطماعى ببطايا الناس
وما أوئل منهم ... !!

— وأية فائدة لى من أن حسناء فضية الصدر موجودة فى « كشمير » ...
وأى نفع لى ... من أن حلوة الشفاه موجودة فى « نوشاد » (۱) ... ؟!

— فاقنع بهذا القول ولا تسلى عن حال توبى ، فليس فى استطاعتى أن أشرح
لك مقدار العناء الذى يقاسية قلبى ... !!

— وأطيب ورده تفتحت لى من قول الشعر هو أننى أصبحت أسمى نفسى عبد
وأسمى معشوقى حرا (۲)

— وأحيانا أصف عبدا زنجيا بأنه من حور الجنان ، وأحيانا أصف السفلة
والأراذل بأنهم أشد الناس نبلا ومجدا ... !!

ولا شك أن مثل هذه الأقوال تعتبر اعترافات صريحة لاذعة ، شاء الشاعر أن
يتحكم بها بكل مداح محترف . ولا شك أيضا أن « ظهير الدين » كان يعتبر نفسه
واحدا من هذا الطراز من الشعراء ، فهو يعترف فى قصيدة أخرى أنه ليس من
أصحاب الثروات الواسعة ، ولا من أصحاب التاجر الرائجة ، ومن أجل ذلك فهو

همین جفای پدر بود وسیلى استاد
نمیکنند پس از آن تا تواند از من یاد
بضاعتی که توان ساختن بران بنیاد
برنگ و بوی کسان خانه هوس آباد
مرا ازان چه که شیرین لبی ست در نوشاد
که شرح درد دل این نمیتوانم داد
که بنده خوانم خود را و سرو را آزاد
گاهی خطاب کنم مست و سفله را راد

تسمى که من از فضل در جهان دیدم
به پیش هر که ازو یاد میکنم حرفی
ز جنس شعر غزل بهتر است و آن کم نیست
بنای عمر خرابی گرفت چند کنم
مرا ازان چه که سیمین بریست در کشمیر
برین پسند کن از حال توبه هیچ مپرس
بهین کلی که مرا بشکفت ازو این است
گاهی لقب بهم آشفته زنگی را حور

(۱) اشتهرت جملة مدن بأن أهلها يمتازون بالجمال والحسن ، ومن أشهر هذه المدن فى
الشعر الفارسى المدن الآتية : « كشمير » ، « نوشاد » ، « ختان » ، « فرخار » ، « جگل » .

(۲) الترجمة : يشبه المعشوق فى الشعر الفارسى بشجرة السرو فيقولون « سرو آزاد » أى
شجرة السرو الحرة أو النبيلة وهى أجل أنواع السرو وأكثرها اعتدالا .

لا يملك الخازن إلا بالغلل ، ولا الصناديق الزاخرة بالنفود والأموال ... !!
ومن أجل ذلك أيضا تحتم عليه أن يشكسب بما يقول من شعر ، وأن يخضع
نفسه إلى ما يستلزمه قول المديح من اعتبارات ، ربما كان يحس لها بالملصق والحسرة
في قرارة نفسه . وهو في هذا يلزم نفسه بأن تقنع مؤقتا بما تنظر به من عطاء ، وأن
تتطلع إلى وسيلة تلتصق بها المزيد ، فإذا ظفر مثلا بخلعه طيبة وبمركب فاره ، فإنه
يجد الفرصة مواتية ليقول :

— إنني لازلت أطمع في برذعة ولجام

لكي أستطيع أن امتطي متن هذا المركب الدلول ... !!

فإذا لم يظفر بالمال لقاء ما يصدر عنه من مديح ، فإنه ربما لجأ إلى «الهجاء» وربما
ظفر من أعداء من يهجو به بما يعوض عليه ما فاته عند قول المديح ، ولعل الأبيات الآتية
تقوم دليلا على هذا الرأي ، وفيما يلي ترجمتها :^(١)

— أيها السيد .. لقد انقضى على ما يزيد على عام

وأنا أتجرع شراب مدحك في كؤوس النظم والشعر ... !!

— ولمكني لم أر منك شيئا أستطيع التحدث عنه

ولم أظفر منك بشيء أستطيع أن أتدثر به ... !!

— فإذا سألوني عما أظفر به من جود في مجلسك ... ؟

. أجد نفسي مضطراً إلى أن أحشو آذاني بالقطن وأدعي الصمم ... !!

(١) المترجم : الأبيات الفارسية موجودة بالديوان ص ١٩٧ ، وهذا نصها :

خدايگانا سالی زیادست که من	بجام نظم می مدح تو همی نوشم
ندیده ام ز تو چیزی چنانکه برگویم	نیافتم ز تو چیزی چنانکه در پوشم
به مجاس تو ز جودت مراسؤال کنند	نهاده باید نا چار پنبه در گوشم
باش غره اگر چه من از شائیل خوب	حکیم سیرت و نیکو نهاد و خاموشم
بگاہ نظم چو من بر سخن سوار شوم	کشند غاشیه آقران ز فخر بر دوشم
مدح و هجو همه کس پیشکایت و شکر	چو آفتاب بتام چو بحر بخروشم
من از ز هجو تو بیق دوبر کسی خوانم	نهند تخته دنیا همی در آغوشم
ز سر سرخ چو از من هجای تو بخزند	روا بود که به نرخ تمام بفروشم

— فلا تقتر بشمائل الطيبة

إذا بقيت حكماً ، طيب العنصر ، ملتزماً للصمت . . !!

— فإنني إذا امتطيت صهوة النظم عندما أريد قول الشعر

فإن أقراني يحملون لي — في غفر — البراذع على أكتافهم . . . !!

— وفي المدح أو في الهجاء ، جميع الناس إلى شكاية أو ثناء

لأنني في كلا الحالين أضىء كالشمس الساطعة وأصخب كالبحر الزاخر . . . !!

— ولو أنني أنشدت أحداً بيتاً أو بيتين في هجائك

لوضع في أحضان خزائن الدنيا . . . !!

— وما داموا على استعداد لأن يشترخوا هجاءك مني

فمن الحق على أن أيعهم إياه بضمن باهظ . . . !!

والظاهر أن مجرد التهديد بالهجاء كان في ذاته كافياً لأن يجعل (حق الدين لا

يرتاحون إلى الديح) يحلون عن طيب خاطر الأريطة التي تزم أكياس تقودهم فيذلونها

راضين أو كارهين للشاعر ، ومن أجل ذلك أيضاً لا نجد في ديوان الشاعر إلا

عدداً قليلاً من هذه المهجويات .

وفيما يلي هجاء موجة إلى فقيه اسمه «محي الدين» نلاحظ فيه ، على خلاف ما هو

متبع في المجدو ، أنه معتدل اللهجة متزن الحاشية ، وفيما يلي ترجمته (١) :

— يا إمام العالم ، ويا مفتي الخلق ، يا محيي الدين . . .

أنت تفوق بمركبك (٢) وطلعتك ، الخلق أجمعين . . . !!

(١) المترجم : الأبيات الفارسية موجودة بالديوان من ١٨٨ ، وفيما يلي نصها :

إمام عالم ومفتي خلق محيي الدين	توثي بأسب ورخ از كل كائنات فره
بمدحت تو تو نوبت قصيده ها گفتم	نه کرده سعی تو از کار من كشاده گره
ز پیش منبت امروز مردکی بر خاست	که توبه میکنم از جرما تو گفتم زه
ز مردمانش زر وسیم خواستی و همه	بر طوع طبع بدادند بی لجاج وسته
ز بهر شعر چیزی ندادیم باری	برای توبه کنه دادی بشاعریم بده

(٢) الـكـمـتـان الفـارـسـيـتان هـا «أسب» و «رخ» والأولى بمعنى حواد، والثانية بمعنى «وجه»

أو «قلعة» وهما أيضاً قطعتان من قطع الشطرنج .

— لقد مدحتك مرتين بقصائدي

ولكنك لم تحل القعد من أموري !!...

— واليوم وقف رجل أمام منبرك

فقال : إني تأب عن جرأى فأجبت : لقد أحسنت !!...

— ثم طلبت له من الناس بعض النقود والأموال

. فاستجابوا لطباعهم الكريمة وأعطوك المال بغير حاجة أو إلحاح

— فإذا لم تعطني شيئاً في مقابل ما أقول من الشعر

فلا أقل من أن تعطني شيئاً في مقابل التوبة التي أوجبت لي بها عن قول

الشعر !!...

ومن السهل أن نستشهد بكثير من أقوال الشاعر التي كان يلح فيها على ممدوحيه بطلب المال ، والتي كان يضيغ فيها بالشكوى من فقره وعوزه ، فيقول مثلاً : « إن الدائنين يرابطون على أعتاب داري ، كما يرابط الحظ السعيد على أبوابك ... !! » ولكننا نكتفي بما سبق من أمثلة فهي كافية لتصوير اللهجة التي كان يتخذها الشاعر ولتصوير نوع الشعر الذي كان يقوله .

وكان ظهير الدين - رغم فخره بعلو منزلته في العلم - أقل مكانة من الأنورى والحقاني الذين تمتلئ قصائدهما بإشارات كثيرة تدل على علم غزير .

وفيما يلي يجدر بنا أن نقف قليلاً لتأمل بيتا من الشعر قاله الشاعر لا يخرج في معناه عما نجمده في الإنجيل :

شتر بچشم سوزن يرون نخواهد شد حسود خام طمع کو درین هوس بگداز
ومعناه :

— إن الجمل لا ينفذ من عين إلا برة .

قل لحسودك الساذج : « احترق في رغبتك الجامحة ... !! »

ولست أعرف النظام الذي اتبع في تنسيق ديوان « ظهير الدين » فإن ترتيب القصائد الموجودة به ليس موافقاً للترتيب الزمني ولا للترتيب الأبجدي ؛ ويبدو لي أن

جامعه سعى إلى أن يضع في بداية الديوان أجمل قصائد الشاعر ؛ وربما كان مستغرباً أن نجد أن ثلاثاً من القصائد الخمس الأولى في الديوان قد استشهد بها «عوفي» في كتابه «باب الالباب»^(١)، وأن رابعها قد استشهد بها «دولتشاه» في كتابه «تذكرة الشعراء»^(٢)، وفي رأيي أن أجمل قصيدة في الديوان هي القصيدة الأولى التي تشتمل على سبعة وثلاثين بيتاً، وربما كان من الخير أن أختتم مقالى عن «ظهر الدين» بترجمة بعض أبياتها :

- ولكي تملأ بطنك بالطعام ؛ ولكي تستر جسدك بالثياب
انظر إلى مatalقيه الكائنات منك ... من ألم ونصب وعذاب ... !!
- وإلى الإعياء الثقيلة التي تعانيها منك الهوام والسوام
وإلى الأرزاء المريرة التي تصادفها منك قلوب الوحوش والطيور والأنعام ... !!
- وهذا حيوان في غفلة من أمره ... يعى الأشواك في واد بعيد
ولكنك تعد لحلقه هذا الساطور القاطع الشديد ... !!
- وهذه ديدان ضعيفة ... تنسج أعشاشها بدماء قلوبها الضعيفة
ولكنك تجمعها لتتخذ منها لنفسك الأطلس والحرير والثياب اللطيفة ... !!
- وأنت تأخذ أكفان الدودة الميتة فتلبسها في هناء
فهل يعذرك أحد من أهل الزوجة فيما تفعل من بلاء ... !!
- ولشدة جشعك وغاية حرصك على أن تجعل لسانك حلوا المذاق
جلست ترصد النحل أن يتقيا من فمه ما يحمل من شهد يراق^(٣) ... !!

(١) أنظر ج ٢ ص ٢٩٨ — ٣٠٧ .

(٢) أنظر ص ١١٠ .

(٣) المترجم : الأبيات الفارسية موجودة في ص ٢ — ٣ من الديوان وهي الآتية :

به بين كه ناشكبت سيروتنت پوشيده است	چه مایه جانور اناز تو خسته ورنجور
چه بارهاست ز تو بر تن سوام وهوام	چه داءهاست ز تو جردل وحوش وطيور
بدشت جانوری رخا میخورد غافل	تو نیز میکنی ز بهر حلق او ساطور
کناغ چند صمغی بخون دل بتند	تو جم آری کین اطلست وآن سیفور

فناهم :

ومن العدل أن أعترف إنني أطلت الحديث عن «ظهر الدين الفاريابی» ، ولم يكن ذلك لأنني أساويه بـ «الأنوری» ، أو «الحقانی» ، أو «نظامی» ، أو لأنني أقرنه بـ «الفردوسی» ، أو «ناصر خسرو» ، ولكن لأنني وجدته نموذجاً طيباً لعدد لا يحصى من شعراء المديح الذين لازموا القصور في هذه الفترة ، مثل «أثير الدين الأخسيكتي» ، و «مجير الدين البيلقاني» ، و «فريد الكاتب» ، و «شُفُروَه الأصفهاني» ، وكثير غيرهم ممن لا يزيدون أو يقلون في مكانتهم عن «ظهر الدين» .

ومن الخير أن نكتفي في هذا المقام بذكر أسمائهم ، دون أن نحاول أن نفصل الحديث عنهم جميعاً في كتاب ، مثل كتابنا هذا ، لا تتسع صفحاته للتفصيل والإفاضة .

ميان أهل مروت که داردت معنور
نشسته مرصده که فی کند زنبور

ز گرم مرده کفن بر کفی و در پوئی
بدان طمع که دهن خوش کنی ز غایت حرص

oboi.kandi.com

الفصل السابع

مملكة خوارزم

غارة المغول على خوارزم ، واستيلاؤهم على بغداد
وتحطيمهم للخلافة العباسية

تحدثنا في الفصل الخامس من هذا الكتاب عن نشأة ملوك خوارزم المعروفين باسم الـ « خوارزمشاه » أو « ملوك خيوه » الذين ينتسبون إلى « أنوشتكين » ساقى « ملكشاه » السلجوقي .

ولقد وصلنا الآن إلى بداية القرن الثالث عشر الميلادى (السادس الهجرى) وفيه نجد أن « علاء الدين محمد » حفيد « أنسر » قد تربع على عرش خوارزم ، وأخذ يحكم إمبراطورية واسعة الأرجاء كانت في السنوات الأخيرة تنافس في التوسع رقعتها وفسحة نواحيها إمبراطورية السلاجقة في أبهى أيامها وأسعد أوقاتها ، فقد امتدت من جبال الأورال إلى الخليج الفارسي ، ومن جبال الإندوس إلى حدود القرات ، وشملت جميع ولايات إيران ما عدا ولايتي فارس وخوزستان .

ومن المستبعد جدا أن تكون مملكة خوارزم قد قامت على دعائم قوية ثابتة تفوق تلك التي قامت عليها الدول التي سبقتها ، والتي أخذت تزول عند ظهورها ، كدولة الغزنويين والسلاجقة والغوريين ، ولكنها مع ذلك استطاعت أن تثبت أقدامها مدة تزيد على قرن كامل من الزمان ؛ ولم يحصها من الوجود إلا كارثة عامة لم يكن ينتظر وقوعها أحسن الناس ؛ وكانت هذه الكارثة من الشدة والقسوة بحيث استطاعت أن تغير وجه البسيطة بأجمعه ، وأن تحرك من القوى الكامنة ما ظل يفعل فعله حتى هذه اللحظة الحاضرة ، ولقد أصابت الجنس البشرى بكثير من الشرور التي لم تحدثها كارثة أخرى في تاريخ العالم المعروف ؛ وأعني بهذه الكارثة : غارة المغول .

فهذه الغارة شبيهة بثورة جامعة من ثورات الطبيعة الشاردة ، ولكنها لا تشبه في شيء ما نعرفه من أحداث التاريخ الإنساني ، لأنها امتازت بالمفاجأة ، التخريب الشامل ، والقسوة النابية ، والعلظة الجافية ، والشدة التي لا تقاوم ، والتحطيم الذي لا رحمة فيه ، والدمار الذي لا مقصد من ورائه ... !!

وقد قامت بهذه الأفعال جميعها قبائل متوحشة لم يكن يعرفها أحد ، حتى أشد الناس اتصالاً بهم من جيرانهم ... !!

ويقول « دوسون d'Ohsson » : « لولا أن المصادر كلها تنفق على تصوير ما قاموا به من قتل وتخريب وتدمير لما استطاع أحد أن يصدق مقدار البلاء الذي أوقعته في سنين قليلة هذه الجموع البربرية بمساحات واسعة من العالم امتدت من اليابان إلى ألمانيا (١) ... !! » .

ولقد نستطيع أن نعرف مدى الأثر الذي أثروا به في قلوب معاصريهم من الكتاب إذا أوردنا هذه البينة التي كتبها عنهم الكاتب الدقيق وللؤرخ المحقق « ابن الأثير » عندما أراد أن يتحدث عنهم تحت سنة ٦١٧ هـ (= ١٢٢٠ - ١٢٢١ م) فقد قال :

« ذكر خروج التتر إلى بلاد الإسلام :
 « لقد بقيت عند سنين معرضاً عن ذكر هذه الحادثة ، استعظماً لها ، كارهاً لذكرها .
 « فأنا أقدم إليها رجلاً وأؤخر أخرى ، فمن الذي يسهل عليه أن يكتب نعي
 « الإسلام والمسلمين ... ؟ ومن الذي يهون عليه ذكر ذلك ... ؟ ! فيأليت
 « أئني لم تلدني ، وبأليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً . إلا أني حتى جماعة
 « من الأصدقاء على تنظيرها وأنا متوقف ، ثم رأيت أن ترك ذلك لا يحسن »

(١) طلب للنول من اليابان الموضوع لطلانهم في سنة ١٢٧٠ م وهاجوم ثلاث مرات كانت الأخيرة منها في سنة ١٢٨٣ م وقد حلم أسطول للنول في سنة ١٢٨٠ م كما حلت الأرماة الأسبانية تماماً . أما غارات للنول في أوروبا فقد حدث ما بين سنة ١٢٣٦ وسنة ١٢٤١ م

« نفعاً ، فقول : هذا الفصل يتضمن ذكر الحادثة العظمى والمصيبة الكبرى »
 « التي عقت الأيام والليالي عن مثلها ؛ عمت الخلائق وخصت المسلمين ، فلو قال »
 « قائل : إن العالم مذ خلق الله سبحانه وتعالى آدم إلى الآن لم يبتلوا بمثلها لكان »
 « صادقاً . فإن التواريخ لم تتضمن ما يقاربها ولا ما يدانيها . ومن أعظم ما يذكرون »
 « من الحوادث ما فعله « مختصر » بني إسرائيل من القتل وتخريب بيت المقدس . »
 « وما البيت المقدس بالنسبة إلى ما خرب هؤلاء اللاعين من البلاد التي كل مدينة »
 « منها أضعاف البيت المقدس ، وما بنو إسرائيل بالنسبة إلى من قتلوا ... ؟ »
 « فإن أهل مدينة واحدة ممن قتلوا أكثر من بني إسرائيل ... !! ولعل الخلق »
 « لا يرون مثل هذه الحادثة إلى أن يفرض العالم وتفنى الدنيا إلا بأجوج وأجوج . »
 « وأما الدجال فإنه يبقى على من اتبعه ويهلك من خالفه ، وهؤلاء لم يقفوا على »
 « أحد ، بل قتلوا النساء والرجال والأطفال ، وشقوا بطون الحوامل ، وقتلوا »
 « الأجنة . فإننا لله وإنا إليه راجعون ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم »
 « لهذه الحادثة التي استطار شررها ، وعم ضررها ، وسارت في البلاد كالسحاب »
 « استدبرته الريح . فإن قوما خرجوا من أطراف الصين ، ققصدوا بلاد »
 « تركستان مثل كاشغر وبلاساغون ثم منها إلى بلاد ما وراء النهر مثل سمرقند »
 « وبخارى وغيرها ، فحملكونها ويفعلون بأهلها ما نذكره ، ثم تعبر طائفة »
 « منهم إلى خراسان فيفرغون منها دكا وتخريباً وقتلاً ونهباً ، ثم يتجاوزونها »
 « إلى الري وهمذان وبلد الجبل وما فيه من البلاد إلى حد العراق ، ثم يقصدون »
 « بلاد أذربيجان وأرانية ويخربونها ويقتلون أكثر أهلها ، ولم ينج إلا »
 « الشريد النادر ... في أقل من سنة ، هذا ما لم يسمع بمثله ... !! »
 « ثم لما فرغوا من أذربيجان وأرانية ساروا إلى « دربندشروان » فملكوا »
 « مدنه ولم يسلم غير القلعة التي بها ملكهم ، وعبروا عندها إلى بلد اللات »
 « واللكز ومن في ذلك الصقع من الأمم المختلفة فأوسعهم قتلاً ونهباً وتخريباً »
 « ثم قصدوا بلاد القباچاق وهم من أكثر الترك عدداً قتلوا كل من وقف لهم »
 « فهرب الباقون إلى الغياض ورؤوس الجبال وفارقوا بلادهم واستولى هؤلاء »
 « التتر عليها . فعلوا هذا في أسرع زمان ، لم يلبثوا إلا بعداد سيرهم لا غير ... !! »

- « ومضت طائفة أخرى غير هذه الطائفة إلى غزته وأعمالها وما يحاورها من »
 « بلاد الهند وسجستان وكرمان ففعلوا فيها مثل فعل هؤلاء وأشد . هذا ما لم »
 « يطرق الأسماع مثله ، فإن الإسكندر الذي اتفق المؤرخون على أنه ملك الدنيا »
 « لم يملكها في هذه السرعة إنما ملكها في نحو عشر سنين ولم يقتل أحداً ، »
 « إنما رضى من الناس بالطاعة ، وهؤلاء قد ملكوا أكثر العمور من الأرض »
 « وأحسنه وأكثره عمارة وأهلاً ، وأعدل أهل الأرض أخلاقاً وسيرة في نحو »
 « سنة ... ١١ ولم يبت أحد من البلاد التي لم يطرقوها إلا وهو خائف يتوقعهم »
 « ويتربص وصولهم إليه ... ١١ »
- « ثم إنهم لا يحتاجون إلى ميرة ومدد يأتيهم ، فإنهم معهم الأغنام والبقر والحيل »
 « وغير ذلك من الدواب ، يأكلون لحومها لا غير ، وأما دوابهم التي يركبونها »
 « فإنها تحفر الأرض بحوافرها وتأكل عروق النبات لا تعرف الشعر ... ١١ »
 « إذا نزلوا منزلاً لا يحتاجون إلى شيء من خارج ... ١١ »
- « وأما دياتهم فإنهم يسجدون للشمس عند طلوعها ، ولا يحرمون شيئاً ، فهم »
 « يأكلون جميع الدواب حتى الكلاب والخنازير وغيرها ... ١١ ولا يعرفون نكاحاً »
 « بل المرأة يأتيها غير واحد من الرجال ، فإذا جاء الولد لا يعرف أباه ... ١١ »
- « ولقد بلى الإسلام والمسلمون في هذه المدة بمصائب لم يبتل بها أحد من »
 « الأمم ، منها : هؤلاء التتر — قبحهم الله — أقبلوا من الشرق ففعلوا »
 « الأفعال التي يستعظمها كل من سمع بها ، وسترها مشروحة مفصلة »
 « إن شاء الله تعالى ؛ ومنها خروج الفرنج — لعنهم الله — من المغرب »
 « إلى الشام وقصدهم ديار مصر وملكهم ثغر دمياط منها ، وأشرفت ديار مصر »
 « والشام وغيرها على أن يملكوها لولا لطف الله تعالى ونصره عليهم ، وقد »
 « ذكرناها سنة أربع عشرة وستائة ؛ ومنها أن الذي سلم من هاتين »
 « الطائفتين فالسيف بينهم مسلول ، والفتنة قائمة على ساق ، وقد ذكرناه أيضاً »
 « فإننا لله وإنا إليه راجعون ، نسأل الله أن ييسر للإسلام والمسلمين نصراً من »
 « عنده ، فإن الناصر والمعين والداب عن الإسلام معدوم ، وإذا أراد الله بقوم »

« سوءاً فلا مرد له ، وما لهم من دونه من وال ثان . . . هؤلاء التتر إنما »
 « استقام لهم هذا الأمر لعدم المانع . وسبب عدمه أن خوارزمشاه محمداً كان »
 « قد استولى على البلاد وقتل ملوكها وأقناعم ، وبقي هو وجده سلطان البلاد »
 « جميعها ، فلما انهزم منهم لم يبق في البلاد من يمنعهم ولا من يحميها ليقتل الله »
 « أمراً كان مفعولاً ... !! »

وقد كتب « ابن الأثير » هذا البيان برمته قبلما تحدث النكبة النهائية بثلاثين سنة تقريباً عندما أغار المغول على بغداد وحطموا الخلافة في فبراير سنة ١٢٥٨ م = ٦٥٦ هـ . وقد انتهى « ابن الأثير » من تاريخه بذكر سنة ٦٢٨ هـ (= ١٢٣٠ - ١٢٣١ م) ثم مات بعد سنتين من ذلك التاريخ ولم يشهد بعينه الفظائع التي تحدث عنها ، ولكنه كان يسمعا من الحاربيين الهاربين الذين استولى عليهم الرعب والفرع ثم أخذ في تسجيلها بعد ذلك فاستطاع أن يحفظ لنا جملة من زواياهم، ذكرها في السنة الأخيرة التي انتهى بها تاريخه حيث يقول :

« ... ولقد حكى لي عنهم حكايات يكاد سامعها يكذب بها من الخوف الذي »
 « ألقاه سبحانه وتعالى في قلوب الناس منهم ، حتى قيل إن الرجل الواحد منهم »
 « كان يدخل القرية أو الدرب وبه جمع كثير من الناس ، فلا يزال يقتلهم »
 « واحداً بعد واحد ، لا يتجاسر أحد أن يمد يداً إلى ذلك الفارس ... !! وقد بلغني »
 « أن إنساناً منهم أخذ رجلاً ، ولم يكن مع التترى ما يقتله به ، فقال له : ضع »
 « رأسك على الأرض ولا تبرح ... !! فوضع رأسه على الأرض ومضى التري فأخضر »
 « سيفاً فقتله به ... !! وحكى لي رجل قال : كنت ومعى سبعة عشر رجلاً في »
 « طريق ، فجاءنا فارس من التتر ، وقال لنا حتى يكتف بعضنا بعضاً ، فشرع »
 « أصحابي يفعلون ما أمرهم ... !! قتلناهم : هذا واحد فلم لاقتله ونهرب ؟ »
 « فقالوا : نخاف . فقلت : هذا يريد قتلكم الساعة فنحن نقتله فلعن الله »
 « نخلصنا ... !! فوالله ما جسر أحد يفعل ذلك ... !! فأخذت سكيناً وقتلته »
 « وهربنا فنجونا . وأمثال هذا كثير ... » (١)

(١) ترجم هذه النبذة المؤرخ « دوسون d'Ohsson » في كتابه بالجزء الثالث ص ٨٠

وكان « ياقوت الحموي » معاصرا لغارة المغول (فقد ولد سنة ٥٥٧٥ = ١١٧٨ وتوفي سنة ٦٢٧ هـ = ١٢٢٩ م) وكان صديقا لابن الأثير الذي ذكرناه سابقا ، وقد استطاع أن ينجو بنفسه من غارتهم ، وأن يخلف لنا صورة جلية لما كانوا يلقونه في النفوس من رعب وفرع . وإشاراته إلى ذلك واضحة فيما نقله إلينا متفرقا في كتابه الجغرافي « معجم البلدان » وكذلك في خطاب له أورده « ابن خلكان » في كتابه وفيات الأعيان (١) . وقد وجه ياقوت خطابه هذا إلى « القاضي الأكرم جمال الدين أبي الحسن طي الشيباني القفطي » وزير ملك حلب ، وذلك بعدما تمكن « ياقوت » من التغلب على كثير من المصاعب والهروب من « مرو » والوصول إلى الموصل .

ويرجع تاريخ هذا الخطاب إلى سنة ٦١٧ هـ (١٢٢٠ — ١٢٢١ م) وقد وصف فيه ياقوت المكتبات الموجودة في مدينة مرو ، وقال في لغة قوية رصينة : أنها كانت سببا لنسيان الأهل والأجباب والوطن والأصحاب ، وأن محتوياتها وما اشتملت عليه من الكتب « شغله عن الأهل والوطن ، وأذهله عن كل خل صفى وسكن ، فظفر منها بضالته المنشودة ، وبغية نفسه المفقودة ، فأقبل عليها إقبال النهم الحريص ، وقابلها بمقام لا يجمع عنها محيص . »

ثم ذكر مقدار الرخاء والعمران اللذين فيهما كانت تنعم خراسان ، وأنها كانت في ذلك شبيهة بجنة المأوى ورياض الخلد ، فقال :

« فكف فيها من خير راق خيره ، ومن إمام توجت حياة الإسلام سيره ؛ »
« آثار علومهم على صفحات الدهر مكتوبة ، وفضائلهم في محاسن الدنيا والدين »
« محسوبة ، وإلى كل قطر مجلوبة ، فما من متين علم وقويم رأى إلا ومن »

وكذلك « السير هنري هوورث Sir Henry Howorth » في كتابه « تاريخ المغول » History of the Mongols جزء ١ ص ١٣١ .
(١) هذه الرسالة المذكورة في ترجمة ياقوت الروي بالجزء الثاني من وفيات الأعيان طبع المطبعة اليمنية بمصر سنة ١٣١٠ هـ أنظر ص ٢١١ — ٢١٤ وانظر أيضا ترجمة De Slane كتاب وفيات الأعيان (جزء ٤ ص ١٢ — ٢٢) .

« مشرقهم مطلعهم ، وما من معرفة فضل إلا عندهم مغربهم وإليه مخرجهم ، وما
 « نشأ من كرم أخلاق بلا اختلاف إلا وجدته فيهم ، ولا إغراق في طيب
 « أعراق إلا اجتنيته من معانيهم ، أطفالهم رجال وشبابهم أبطال ، ومشايخهم
 « أبدال ؛ شواهد مناقبهم باهره ، ودلائل مجدهم ظاهره . ومن العجب العجائب أن
 « سلطانهم المالك ، هان عليه ترك تلك الممالك وقال لنفسه الهوآلك وإلا فأنت في الهوآلك .
 « وأجفل إجحاف الرال ، وطفق إذا رأى غير شيء ظنه رجلاً بل رجال...!! (١)
 « كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين ،
 « نجاس خلال تلك الديار أهل الكفر والإلحاد ، وتحكم في تلك الأستار
 « أولو الزينغ والعناد (٢) ، فأصبحت تلك القصور كالمعجوق من السطور ،
 « وأمسّت تلك الأوطان مأوى للأعداء والغربان ، يتجاوب في نواحيها البوم
 « ويتناوح في أراضيها السموم ، يستوحش فيها الأنيس ، ويرثي لمصابها إبليس
 « كأن لم يكن فيها أوانس كالدمى وأقوال ملك في بسالهم أسد
 « فمن حاتم في جوده وابن مامة ومن أحنف أن عد حلم ومن سعد
 « تداعى بهم صرف الزمان فأصبحوا لنا عبرة تدمى الحشا ولمن بعد
 « فإن الله وإنا إليه راجعون من حادثة تقصم الظهر وتهدم العمر ، وتفت
 « في البعد ، وتوهي الجلد ، وتضاعف الكمد ، وتشيب الوليد ، وتنحب لب
 « الجليلد ، وتسود القلب ، وتذهل اللب...!!
 « حينئذ تقهر المملوك على عقبه ناكصاً ، ومن الأوبة إلى حيث تستقر
 « فيه النفس بالأمن آيساً ، بقلب واجب ، ودمع ساكب ، ولب غارب ، وحلم غائب ،
 « فتوصل وما كاد حتى استقر بالموصل ، بعد مقاساة أخطار ، وإبتلاء
 « واصطبار ، وتمحيص الأوزار ، وأشراف غير مرة على البوار والتبار ، لأنه
 « مر بين سيوف مسلولة ، وعساكر مغلولة ، ونظام عقود محلولة ، ودماء

(١) أي «علاء الدين محمد» ملك خوارزم .

(٢) أي الفول

« مسكوبة ؛ وكان شعاره كلما علاقتبا ، أو قطع سيبا : لقد لقينا من سفرنا
 « هذا نصبا . . . ! فالحمد لله الذى أقدرنا على الحمد ، وأولانا نعا تفوت الحصر
 « والعد ؛ وجملة الأمر إنه لولا فسحة فى الأجل ، لعز أن يقال : سلم البائس
 « أو وصل ، ولصفق عليه أهل الوداد صفقة المغبون ، وألحق بألف ألف
 « ألف ألف ألف هالك بأيدي الكفار أو يزيدون . وخلف خلفه جل
 « ذخيرته ومستمد معيشته :
 « تنكرلى دهرى ولم يدر أننى أعز وأحداث الزمان تهون
 « وبات يرينى الخطب كيف اعتداؤه وبت أريه الصبر كيف يكون . ١١
 « . . . الخ (١) »

وقد ساعد مظهر المغول البغيض ، وما امتازوا به من عادات قبيحة كرهية على
 زيادة الفزع الذى استولى على القلوب بسبب ما عرف عنهم من غلظة لا تتقف عند
 حد وقسوة لا مزيد عليها . ولقد كان فتح العرب لأيران سيبا فى كثير مما وقع فيها
 من دمار وخراب وغنائم ، ولكن العرب كانوا — على حد تعبير أعدائهم
 الأسبانيين — « فرسانا وأبطالاً يمتازون بكثير من الرقة والندمات ولو كانوا من
 المغاربة القساة الأشداء ١١ » وقد خربوا فى الحقيقة كثيرا من إيران ولكنهم
 جلبوا معهم كثيرا من الخير والنفع ؛ وعلى العكس من ذلك كان المغول الذين وصفهم
 مؤرخهم أثنابه « دوسون » بقوله (١) :

« . . . لقد فاقوا فى قسوتهم أشد الشعوب همجية ، قتلوا غيلة جميع من
 وقع فى أيديهم من أهل البلاد التى فتحوها ، ولم يبقوا على رجل أو امرأة أو طفل

(٣) الترجم : الترجمة الانجليزية لهذه النبذة مختصرة وقد أثبتنا هنا الأصل العربى .
 (١) أنظر ص ٦ من المجلد الأول من كتابه المعروف « تاريخ المغول من جنكيز خان
 إلى تيمور لنگك » .

وأحرقوا البلدان والقرى ، وأحالوا الديار العامرة إلى مفاظات مقفرة ؛ ولم يكن يحفزهم على ذلك كله رغبة في ثأر أو حب للانتقام ، قتلما كانوا يعنون بمعرفة أسماء ضحاياهم الكثيرة ، وقلما كانوا يهتمون بالكشف عن هويتهم أو الوقوف على شخصيتهم .

ولربما ظن ظان أن التاريخ تعالى في وصف مآسهم وفظائعهم ، ولكن جميع المراجع التي دونت عنهم في بلاد مختلفة ، تتفق تمام الاتفاق على ما امتازوا به من غلظة وعنف . وكانت عاداتهم أن يسترخوا البقية الباقية من أهل البلاد التي يفتحونها وأن يعذبوهم أشد العذاب ، بحيث كان من ينجو برأسه من سيوفهم لا يستطيع أن ينجو بنفسه من عسفهم وظلمهم . وكانت حكومتهم تعمل على نشر الفساد فتقصي كل من عرف بالشرف والنبل ، وتقرب كل من اشتهر بالضعف والحقنة ، وتجزئهم على طاعتهم الذليلة وعلى خضوعهم لسادتهم من ذوى القلوب الغليظة بكل ما يتمنون من مال أو قوه أو سلطة ، يستطيعون بها التعسف مع ذوى قرباهم وأبناء جلدتهم . وقد أصبح تاريخ المغول ، بما انفرد به من وحشية وعنجهية ، سجلا لكثير من حوادث الفرع والرعب ، ولكن دراسته على الرغم من ذلك واجبة على كل من يريد تفهم الحوادث الهامة التي وقعت في القرنين الثالث عشر والرابع عشر . خاصة وأن تاريخهم قد اتصل بتاريخ جملة من الممالك والامبراطوريات .. !! »

وربما اقتضت فضائل المغول على مزايهم الحرية ، فقد كانوا يمتازون بالنظام والخضوع وطاعة الرؤساء ، وكانت الترقية عندهم قاصرة على من يكون جديرا بها لكفاية أو دراية ؛ وكان الفاضل في أداء الواجب أو الخارج على النظام أو العاجز عن القيام بما وكل إليه ، يعاقب بالموت هو وزوجه وأولاده .. !!

وإذا غضب امبراطور المغول لأمر ارتكبه أكبر قواده ، فإنه كان يأمر بعقابه عقابا علنيا أمام سائر جنده ، وربما وكل أمر عقابه إلى رسول بسيط من رسله .. !! وكان المغول يسترخصون حياة الناس ، ولكنهم كانوا يعنون بخيانة المغولى أشد العناية ، فلا يلجأون إلى الحرب والفرار إلا إذا أعييتهم الحيلة ولم تنفعهم الوقعة والحداد .

وكانوا يعاقبون من يقف في وجههم بالموت ، ولكنهم أيضا كانوا يعاقبون من يخضع أمامهم بالموت . . ؟؟ ولم يكونوا يقولون على أحد من سكان المدن التي يفتحونها إلا على من ينتفعون بمهارته في حرفته ، أو من يستخدمونه في غارتهم التالية في محاربة أبناء وطنه وعشيرته . وكانوا يضعون في طليعة جيوشهم جماعات من الأسرى المساكين فإذا بدأت المعركة فإنهم كانوا يقذفون بهم ليقبضوا لهم آلة الحرب والحصار ، ثم ربما أكرههم بعد السيف إلى أن ينفذوا خلال الفجوات التي يحدونها في أسوار المدينة وأن يملأوا الخنادق بأجسادهم لكي يعبروا عليها ، فإذا سلم منهم أحد بعد هذا كله ، فإنهم كانوا يحزون رأسه ليتخلصوا منه وليفسحوا المجال للأسرى الجدد الذين يظفرون بهم في موقعهم الجديدة . . . !!

وكانت قسوة المغول متعمدة يقصدون بها إيقاع الرعب في قلوب أعدائهم حتى يشل الفزع حركتهم فلا يقدرّون على المقاومة أو المدافعة . وكانوا يجدون أنه آمن لجيوشهم المظفرة ألا يتركوا وراءهم إلا الخرائب الملتبّية ، أو الأفران المملّاء بالجلث الآدمية . لأنهم كانوا يخشون أن يقولوا على أحد بعد المعركة مخافة أن يشير لهم الفتن والقلقل . . . !!

ولا تتسع صفحات هذا الكتاب لإيراد التفاصيل المتعلقة بتاريخ المغول ، أو لإيراد ملخص عن إحدائهم في إيران ، وإني أحيل القارئ الذي يرغب في استيعاب هذه التفاصيل إلى أحد مرجعين :

- ١ - تاريخ المغول الذي كتبه « دوسون d'Ohsson » .
- ٢ - تاريخ المغول الذي كتبه « السير هنري هوورث Sir Henry Howorth » ويمتاز المرجع الأول من هذين المرجعين ، بأن مؤلفه قد استعان في تأليفه بالمصادر العربية والفارسية كما حدثنا بذلك في مقدمة الجزء الأول من كتابه (١) .

وأهم المصادر الإسلامية في تاريخ المغول هي الآتية :

- ١ - تاريخ « ابن الأثير » وهو مكتوب بالعربية .

(١) أنظر ص ١٠ - ٦٨ من المقدمة .

٢ — سيرة السلطان جلال الدين التكريتي وقد كتبها بالعربية صاحب رسائله المسمى بـ «شهاب الدين محمد النبوي» .

٣ — تاريخ «جهان كشا» وقد كتبه بالفارسية «علاء الدين عظاملك الجويني» وزير «هولاكو خان» .

٤ — جامع التواريخ وقد كتبه بالفارسية «رشيد الدين فضل الله» .

٥ — تجزئة الأمصار أو «تاريخ الوصاف» وقد كتبه بالفارسية «أبو عبد الله بن فضل الله الشيرازي» .

والكتاب الأول من هذه الكتب طبع مرتين إحداهما في القاهرة والأخرى طبعة تورنبرج Tornberg ؛ وأما الكتاب الثاني فقد نشره وترجمه إلى الفرنسية «م . هوداس M. Houdas» في باريس سنة ١٨٩١ — ١٨٩٥ م^(١) وأما الكتاب الأخير فقد نشره مع ترجمة ألمانية المستشرق «هامر بورجستال Hammer Purgstall» وقد ظهر الجزء الأول منه في مدينة فيينا في سنة ١٨٥٦ ، وله كذلك طبعة شرقية على الحجر . وأما الكتاب الثالث والرابع فمخطوطان حتى الآن^(٢) .

(١) المترجم : أحدث طبعة لسيرة جلال الدين هي التي نصرتها دار الفكر العربي سنة ١٩٥٣ م
(٢) المترجم : عندما كتب الأستاذ «براون» هذا الفصل لم يكن في متناول يده إلا النسخ الخطية من كتابي «تاريخ جهان كشا» و «جامع التواريخ» ولكن هذين الكتابين طبعا بعد ذلك في سلسلة جب التذكارية .

وقد أشار الأستاذ براون إلى أن «شيفر Sehefer» نشر جزءاً من تاريخ «جهان كشا» في ص ١٠٦ — ١٦٩ من الجزء الثاني من كتابه المعروف باسم مختارات فارسية Chrestomathie Persane وهذا الجزء هو الذي يتحدث فيه المؤلف عن غارة المغول على خوارزم وينتهي بفارتهم على نيسابور ؛ كما نشر كاترمير Quatremère «جزءاً من «جامع التواريخ» مع ترجمة فرنسية في سنة ١٨٣٦ وهذا الجزء هو الذي يفسر فيه المؤلف أحوال هولاكو خان ؛ وقد نشر «برزين Bérésine» جزءاً آخر من هذا الكتاب ولكن الحصول عليه غير لائق نسخه ، وقال إن بلوشية Blochet يقوم بتكملة العمل الذي بدأه كاترمير ليتم طبع جامع التواريخ في سلسلة جب التذكارية كما تنوي هذه السلسلة أيضاً طبع «تاريخ «جهان كشا» . [وقد تم طبعه فعلاً في ثلاثة أجزاء]

وقد أصدرت هذه السلسلة أيضاً في سنة ١٩٤٠ م «تاريخ مبارك غازاني» باهتمام «كارل يان»

والرأى السائد أنه لم يكن هنالك ما يحول دون وقوع غارة المغول ، ولكنها من غير شك سهلت وتيسر حدوثها بواسطة ما عرف عن ملك خوارزم «علاء الدين محمد» من طمع وخيانة وتردد . فطمعه ظاهر كما يقول « ابن الأثير » في أنه استولى على البلاد وقتل ملوكها وأفنانهم ، ليقى هو وحده على مملكة نخرة هاوية ، فلما انهزم أمام المغول وفر أمام جيوشهم تاركاً بلاده للقدر يفعل بها ما يشاء ، لم تجدهم البلاد أميراً إسلامياً واحداً يستطيع أن يلم شعها ويوحد جهودها أمام الجيوش الغيرة من أهل الكفر والزيغ . وأما خيائته فظاهرة لأنه أقدم على قتل رسل المغول وتجارهم فأعطى بذلك لـ « جنكيز خان » الحجة الدامغة لتبرير الهجوم عليه ولإثبات أوجه الضعف والخذلان التي تسود الحالة في إيران . وأما تردده فظاهر كذلك من أنه عند أول صدمة تلقاها من المغول أسرع إلى إظهار الفزع والخوف بدل ما كان يديه من غطرسة وتحد ، ولم تكسب تنقضى سنتان على قتله لرسل المغول حتى نجده في النهاية يموت شريفاً طريداً في جزيرة من جزر بحر قزوين . ولولا الجهود الجبارة والأعمال الخالدة الجليلة التي أثرت عن ولده « جلال الدين » للزم العار جبين هذه الدولة الكبيرة التي كانت تعرف بمملكة خوارزم.

وهناك سبب آخر يرجع إليه ضعف المقاومة الإسلامية في وجه المغول ، وهو الخلاف الذي نشأ بين ملك خوارزم «محمد» والخليفة العباسي « الناصر » . فقد كان هذا الخليفة يخشى ملك خوارزم وازدياد قوته وطمعه في الاستيلاء على «بغداد» ، فسعى كما كان يفعل الخلفاء التأخرون إلى أضعاف منافسه والإيقاع به وتدمير المكائد له ، وأخذ يشجع المغول على مهاجمته ، وقد أشار إلى ذلك «ابن الأثير» إشارة عارضة كما صرح بذلك « المقرئ » في كتاباته ؛ ومن عجب أن أعقاب هذا الخليفة قد هلكوا على أيدي هؤلاء المغول الذين أبادوهم جميعاً وحطموا دولتهم واستولوا على بلادهم (١) . ويبدو أن الكارثة قد بدأت عندما علم ملك خوارزم عند استيلائه على مدينة غزنه . بأمر مراسلات متبادلة بين الخليفة وحكام «غزنه» من أعقاب «سبكتكين» (٢)

(١) أنظر ما كتبه « دوسون » في جزء ١ ص ٢١١ .
(٢) أي الغزنويين من أعقاب محمود الغزنوي بن سبكتكين .

يُشيرهم فيها الخليفة على ملك خوارزم ؛ وقد أسرع هذا برد الكيل مضاعفاً ، فأعلن أن الخليفة العباسي لا يمكن أن يعتبر إماماً للمؤمنين ، ونصب أحد الأشراف من سلالة «علي» في مكانه واعترف له بالسلطة الروحية التي كانت للخليفة. وأصبحنا بذلك نجد أن ملك خوارزم بدل أن يجمع قوته للملاقاة الكارثة التي تهدد حدوده الشمالية الشرقية يزج بنفسه في خصومة حامية مع خليفة بغداد . ثم يزداد الأمر سوءاً بوقوع كارثة أخرى كان سببها اشتداد البرد وقسوة الشتاء في هذه الديار بشكل لم تعرفه من قبل .

ومن المحتمل جداً أن الكارثة كانت آتية لا ريب فيها ، وأنه لم يكن ليعنها مانع ، أو ليؤجل وقوعها مؤجلاً . ولكن سببها المباشر يرجع إلى إحدى هذه البعثات التي نسمع عنها كثيراً في تلك الأيام . فقد رأى « جنكيز خان » أن يرسل جماعة من التجار محملين بمصنوعات بلاده إلى مدينة على حدود خوارزم اسمها «أترار» . وقد اختلفت المصادر اختلافاً بيناً في عدد هؤلاء التجار ، فقال « النسوي » إنهم أربعة ، وأنهم كانوا مسلمين ومن رعايا خوارزم ؛ بينما قال كتاب آخرون أنهم يبلغون الأربعمائة والخمسين تاجراً ، وقد قتلهم حاكم «أترار» جميعاً بتحريض خفي من ملك خوارزم بعدما ألقى في روعه أنهم ليسوا تجاراً في الحقيقة بل هم جواسيس للغول .

فلما قتل هؤلاء التجار ، أسرع « جنكيز خان » بإرسال بعثة إلى ملك خوارزم مكونة من عضوين مغوليين وثالث تركي اسمه «بغرا» وكلفهم بأن يحتجوا لديه على ما أصاب رسله من إهدار لحقوق الضيافة وتضييع لواجبات المجاملة ، وإن يطلبوا إليه أن يسلمهم حاكم «أترار» وإلا فليعد العدة لحرب طويلة قاسية .

ولم يجبه ملك خوارزم إلى ما طلبوا ، بل على العكس من ذلك قتل الرسول التركي «بغرا» وأمر الرسولين المغوليين الآخرين بالعودة إلى مولاهم بعد أن حلق ذنبيهما .

وثار «جنكيز خان» لإهانة رسله ، فعقد جمعية عامة من المغول «قوزيلتاي» وقرر مهاجمة «خوارزم» .

وبدأت الحرب بانتصار تافه فاز به «محمد خوارزمشاه» ولكنه بقي مع ذلك

خاملاً مبتعداً بنفسه عن مواقع الخطر ، تاركاً أمر المدافعة عن حدود بلاده إلى أغار عليها المغول إلى حكمها ، منتظراً — فيما يقولون — لحظة مباركة يشير بها المنجمون ليبدأ فيها منازلة خصمه ١١٠٠ (١)

وفي أثناء انتظاره وترقبه ، عصفت العاصفة بشدة فيما وراء النهر في خريف سنة ١٢١٩ م = ٦١٦ هـ وسقطت مدينة «أترار» بعد حصار دام خمسة أشهر أو ستة ، وقبض المغول على حاكمها الذي أمر بقتل تجارهم ، فأعدموه بأن صبوا الفضة المصهورة في عينيه وأذنيه ، ثم ساقوا أمامهم من نجا من غارتهم على هذه المدينة فدفعوا بهم إلى مدينة «بخارى» لينتفعوا بهم كما ذكرنا ضد مواطنيهم وأهل دينهم . وأغاروا على «أوزكند» وعلى مدينتين صغيرتين أو ثلاث ؛ ثم أتوا إلى «جند» فاستولوا عليها بعد حصار قصير وأعمالوا الغارة فيها تسعة أيام كاملة ، ولكن من عجب أنهم لم يقتلوا سكانها ١١٠٠ . ثم سقطت مدينة «بناكت» في أيديهم ، وصمدت في وجههم مدينة «خنجد» لأن «تيمور ملك» دافع عنها دفاعاً مجيداً . . ولم تظهر تبشير سنة ١٢٢٠ م = ٦١٧ هـ حتى سيطر المغول على مدينة «بخارى» وأعمالوا الغارة فيها وأحرقوها وقتلوا عدداً كبيراً من سكانها واستحيوا النساء وهتكوا الحرمات وقد آثر الموت جهاداً جماعاً من سكانها لم يرضوا بحياة العار والدل فاستشهدوا مقاتلين ، وكان من بين هؤلاء «القاضي بدر الدين» والإمام «ركن الدين» وابنه .

وجاءت نوبة «سمرقند» بعد ذلك فحاصرها المغول أربعة أيام ثم خضعت لهم في نهاية هذه المدة ، فأغاروا عليها كعادتهم ونهبوها وقتلوا كثيراً من سكانها واستعبدوا من نجا من حد سيفهم .

واستمر «محمد خوارزمشاه» في التقهقر والتراجع ، وأخذ ينصح سكان البلاد التي يمر بها أن يعملوا ما يستطيعون لحماية بلدانهم لأنه في موقف يعجز معه عن معاونتهم أو حمايتهم . واعتقد أن المغول سوف لا يحسرون على عبور نهر «جيحون»

(١) ربما قيل فيه ذلك لإظهار الجبنه وتردده

فتوقف قليلا في مدينة « نيسابور » ، ولكن لم تنقض على ذلك ثلاثة أسابيع حتى علم أنهم دخلوا خراسان ، فأسرع إلى الحرب إلى ناحية القرب صوب « قزوین » فلما بلغها دار على عقبه وبعم وجهه شطر « كيلان » و « ما زندران » وهناك تركه أتباعه وانقضوا من حوله ، ثم مرض بالبرص واشتدت عليه علته فمات شريفا طريدا في جزيرة بعيدة من جزر بحر قزوین ، تاركا ملكه لابنه الشجاع « جلال الدين » وقد وقعت أمه « ترکان خاتون » مع زوجاته وأولاده وجواهره في أيدي المغول وحوزتهم .

وسقطت بعد ذلك « خوارزم » وكانت قد قاومت المغول مقاومة شديدة أثارت حفيظتهم ، فلما وقعت في أيديهم عملوا سيوفهم في رقاب أهلها جميعا ولم يبقوا من سكانها إلا على أصحاب الحرف والصناعات فنقلوهم كما دبتهم إلى « منغوليا » . وقد ذكر صاحب « جامع التواريخ » أن الجيش المغولي الذي حاصر « خوارزم » كان يبلغ خمسين ألف مقاتل ، وإنه وكل إلى كل واحد من هؤلاء أن يقتل أربعة وعشرين رجلا من الأسرى الذين وقعوا في قبضتهم بعد الاستيلاء على هذه المدينة . . . ١١٠٠

واستشهد على أيديهم في هذه المدينة العالم الورع الشيخ « نجم الدين كبرى » (١) وعاملوا سكان مدينة « ترمذ » نفس هذه المعاملة فقتلوا سكانها ، ووقعت في أيديهم امرأة عجوز ابتلعت جوهرة لتخفيها عنهم ، فأمرؤا جندهم بإخراج القتلى وشق بطونهم بحثا عن الدرر والجواهر . . . ١١٠٠

وازدادت قسوة المغول وغلظتهم بازدياد نجاحهم ونفوذهم ، فلم تعد بعد الآن نسمع بحادثة واحدة أظهروا فيها قليلا من الرحمة والشفقة حيال سكان المدن البائسة التي وقعت تحت أيديهم بل أخذوا يبيدونهم عن آخرهم في غلظة وفضاعة كما فعلوا بسكان « بلخ » و « نصرت كوه » و « نسا » و « نيسابور » و « مرو » وأما كن أخرى كثيرة . وقد قدر « ابن الأثير » القتلى من أهل « مرو » بـ ٢٠٠.٠٠٠ قتل ، وأما صاحب « تاريخ جهانگشای » فقد رفع عددهم إلى ١٠٣٠.٠٠٠ وذلك فيما عدا

(١) ارجع إلى « تنوعات الأنس » تأليف جاي ، طبع « ناوليز » ص ٤٨٦ - ٤٨٧ .

الذين اختفت أجسادهم في فجوات مجهولة أو تحت الأنقاض والخرائب ١١٠٠٠
وفي «نيسابور» قطع المغول رؤوس القتلى، وبنوا أهرامات عالية أحدها للرجال،
والآخر للنساء ، والثالث للأطفال ، وبذلك ضمنوا أن لا ينجو مخلوق من حد سيفهم
بادعائه الموت وارتعائه بين الأشلاء والجثث المترامية ١١٠٠٠

وخفت غارتهم على مدينة «هراة» قليلا ، ولكنهم عندما وصلوا إلى «باميان»
قتل أحد أمرائهم أثناء المعركة فخرّبوها تخريباً كاملاً ، ولم يأخذوا شيئاً من أسلحتها
بل فضلوا أن يتركوها صحراء خاوية، بقيت خالية من السكان قرناً كاملاً من الزمان ١١٠٠٠
ولم يأل «المغول» جهداً في إيقاع الدمار والخراب بالأماكن التي اجتازتها جيوشهم
وكانوا يعمدون إلى إحراق الحبوب والفلال التي تزيد على حاجتهم ، وكثيراً ما كانوا
يعودون إلى البلدان التي أغاروا عليها فيفتشونها من جديد ويقتلون البقية الباقية من
أهلها الساكنين الذين اختبأوا أثناء الغارة الأولى وأخذوا يخرجون الآن باحثين
عن الطعام أو الشراب ١١٠٠٠ وقد فعلوا ذلك مع أهل «مرو» فاستطاعوا أن يقتلوا
اثناء عودتهم خمسة آلاف رجل نجوا من غارتهم الأولى التي ذكرنا خبرها فيما
سبق من حديث .

وكانوا يلجأون إلى شتى وسائل التعذيب لحمل الأسرى على الاعتراف بأماكن
الثقود والكنوز التي أخفوها ١١٠٠٠

أما كنوز الآداب والفنون التي كانت تزرعها المدن القديمة التي فتحوها فقد
حطمت تمام التحطيم وكان هذا طبعاً ومنتظراً من قوم يستهينون أشد الاستهانة
بكل شيء وبالحياة الإنسانية على وجه الخصوص .

ويذكر «الجويني» أنه «لم يبق بالبلاد التي فتحها المغول واحد من ألف من
ألف من سكانها» ؛ ثم يعلن : أنه إذا لم تقع بخراسان والعراق العجى حادثة من
الجوادر تهوق ازدياد السكان بهاتين الولايتين ، فإن أهلها لن يبلغوا إلى يوم
القيامة عشر العدد الذي بلغوه قبل غارة المغول ١١٠٠٠ (١)

(١) أظن ما كتبه «دوسون» جزء ١ ص ٣٥٠ .

وكانت أعمال المغول الإرهابية تلقى الفزع في نفوس سكان البلاد التي يزمعون الإغارة عليها ، وكانت قلوبهم تنخلع رعباً وفزعاً حينما يوجهون إليهم إنذارهم المعتاد : « ولسنا نعلم ماذا تفعل بكم الأقدار إذا لم تسرعوا إلى تقديم الخضوع والاستسلام لنا ، والله وحده هو الذي يعلم ما هو نازل بكم !!... » (١)

وكانت عادات المغول وطباعهم تدعو إلى الاشمئزاز ؛ كما إن بعض أيورهم كانت تبعث في نفوس المسلمين كثيراً من النفور والكراهية لمناقضاتها لتعاليمهم ، فكانوا على استعداد لأن يأكلوا كل ما حرمة الإسلام وكذلك كل حيوان دنس كالفرثان والقطط والكلاب . بل كان طعامهم — كما يقول « جان دى پلان كاربان Jean de Plan Carpin » — « يشتمل على كل ما يستطيع مضغه ، وقد رأيناهم يزدردون كل شيء حتى الأعواد الجافة والبراغيث !!... » (٢)

وكانوا يكرهون الاستحمام والاعتسال ، وحرموا غسل الأيدي أو الثياب في المياه الجارية واعتبروا ذلك جريمة جنائية بل من أمهات الجرائم التي يعاقب عليها بالإعدام !!...

وكذلك اعتبروا ذبح الحيوان (بقطع حلقه) من أمهات الجرائم ، فحرموا على المسلمين ذبح حيواناتهم وفقاً للطريقة التي أجازها الشرع ، واستعاضوا عن ذلك بطريقتهم الخاصة ، فكانوا يشقون بطن الحيوان ثم يمدون أيديهم إلى جوفه ، فإذا وصلوا إلى قلبه أمسكوه وزعوه من مكانه !!...

وكان المغول في أمور الدين يتساهلون أشد التساهل ، وقد سوا بين رجال الدين في مختلف العقائد والمذاهب وميزوهم ببعض الميزات وأعفوه من بعض الضرائب ، وهكذا كان حالهم في معاملتهم للأطباء والجماعات خاصة من أرباب الحرف ، وقد امتاز « جنكيزخان » على الخصوص بتسويته بين الأديان جميعها دون أن يعتق واحداً منها ، وأما « قبلاى خان » ١٢٥٧ — ١٢٩٤ م = ٦٥٥ — ٦٩٤ هـ فكان أول

(١) نفس المرجع ، جزء ١ ص ٣٩٤ .

(٢) نفس المرجع ص ٤١١ .

(٣) حبي « قبلاى خان » هذه العادة فيما بعد كما « يتحدثنا » دوسون » في جزء ٢ ص ٤٩١ — ٤٩٣

من اعتنق البوذية من عشيرته ؛ وأما أول من اعتنق الإسلام فهو : أحمد تاكدار خان
 ١٢٨٢-١٢٨٤ م = ٦٨١-٦٨٣ هـ ثم غازان خان ١٢٩٥-١٣٠٤ م = ٦٩٥-٧٠٤ هـ
 وقد بقى أعقابهم الذين حكموا إيران يدينون بهذا الدين ، وقضى نهائيا على أمل طالما
 تردد في نفوس المسيحيين بأن يكسبوا إلى جانبهم المغول وأن ينجحوا في جلبهم إلى
 حوزة المسيحية ومعتنقها ، حتى يتمكنوا من القضاء على الإسلام القضاء الأخير
 الذي لا يبعث بعده ، ولم يبق من أثر البعثات المسيحية التي وصلت إلى المغول في عاصمتهم
 « قراقورم » إلا السجلات الخالدة لأسفار جماعة من البشريين والقسيسين الذين
 احتملوا في شجاعة فائقة أهوال السفر العديدة ومخاطره الشديدة لعلمهم بظفروفت
 بفوز مؤزر للكنيسة المسيحية بجلب المغول إلى حوزتهم ، وكان من بين هؤلاء :
 « جان دي بلان كاربان » و « روبريكس Rubruquis » وغيرهما من القسس والرهبان .
 وقد تحققت أوروبا من أن « خان » (١) المغول الذي ظل يرسلهم في لغته المغولية
 برسائل مكتوبة بالخط الأيغوري ، سوف لا يعتنق المسيحية ، وبدا هذا اليقين واضحا
 في رسالة مكتوبة في « نورثامبتون » في ١٦ أكتوبر سنة ١٣٠٧ م بعث بها « إدوارد
 الثاني » إلى ملك المغول « ألبايتو خدا بنده » (٢) .

وهذه الاتصالات التي كانت تتكرر بين أباطرة المغول وملوك أوروبا كان الغرض
 منها التحالف مع المغول ضد المسلمين ، ومساعدة الأرمن ، والسعى إلى استرجاع
 لأراضي المقدسة ، وقد نجحت هذه الاتصالات إلى حد ما ، فجلبت إلى حوزة
 المسيحية عشيرة مغولية اسمها « قيرايت » كذلك أظهر الميل إلى اعتناق الدين المسيحي
 بعض الأمراء كالأميرة « أوروك خاتون » واثنين من الملوك الإيلخانيين في إيران هما
 « أحمد تاكدار » و « ألبايتو خدا بنده » فكلاهما عمدا في صباه باسم « نيكولاس »

(١) « خان » هو لقب ملوك المغول .

(٢) أنظر ما كتبه « دوسون » جزء ٤ ص ٥٩٢ — ٥٩٤ وكذلك ما كتبه رموسا
 Abel Remusat بعنوان « بحث في العلاقات السياسية بين الأمراء المسيحيين ، وخاصة
 بين ملوك فرنسا وأباطرة المغول » .

« Memoire sur les relations politiques des princes Chrétiens et
 particulièrement les Rois des France avec les Empereurs Mongols »

ولكنهما فيما بعد اعتنقا الدين الإسلامى وأصبعا من أكبر المتفقيين في تعاليمه (١) .
ومهما قيل في غارة المغول وأنها كانت كارثة كبرى أصابت صميم الحياة وأنها جنت
على العلوم والمعارف وخاصة الحضارة العربية التي استطاعت أن تحتفظ بكيانها سليماً
في إيران طوال القرون الستة التي تلت الفتح العربى لهذه البلاد . فإن هذه الغارة كانت
مجلبة لبعض عناصر الخير برغم ما عرف عنها من شدة وغلظة ، وربما كان من بعض
فضائلها أنها كانت سبباً في المزج بين الشعوب المختلفة المتباعدة ، مما نتج عنه فيما بعد
تجديد العقليات التي طال ركودها وخمولها .

وكان تأثيرها في أوروبا واضحاً ، فقد كانت سبباً هاماً بل أهم الأسباب في حركة
 النهضة ، فهي التي دفعت بالأتراك العثمانيين من مجاهل خراسان إلى أبواب القسطنطينية ،
فكانت بذلك السبب المباشر والأخير في تحطيم الامبراطورية البيزنطية وما نتج عن
ذلك من انتشار اليونان وكنوزهم العلمية في مختلف البلاد الأوروبية . وقد استطاعت
هذه الغارة أيضاً أن تحطم الحدود والحواجز بين مختلف الأقاليم والممالك ، فمكنت
بذلك لبعض الرحالة من أمثال « ماركو پولو Marco Polo » أن يجوبوا الأقطار
الناحية من آسيا وأن يحدثونا بالعجائب التي لم يكن من المستطاع الوصول إليها لشدة
الحفاظة عليها . وكما كانت سبباً في البداية في خلق التطاحن بين القرس والعرب من
 ناحية ، وبين الصينيين وأهل « التبت » من ناحية أخرى ، فإنها كانت كذلك سبباً في
إيجاد التوافق والتعاون بينهم ، بمساواتها بين « الفقيه المسلم » و« القس المسيحي »
و« اللاما البوذى » و« البخشى المغولى » وكل رئيس لدين آخر أو مذهب مخالف ؛
وكانت هذه المساواة الدينية قد انعدم وجودها منذ خمسة قرون أو ستة خلت قبل
هذه الغارة .. (٢)

(١) أنظر كتاب « دوسون » جزء ٣ ص ٦٥١ وجزء ٤ ص ٧٩ .
(٢) في سنة ١٢٧٢ م استعان « قبلاى خان » بإثنين من المهندسين الإيرانيين في حصار
« فان شنج » بالصين وكان أحدهما يدعى « علاء الدين » والآخر يدعى « إسماعيل »
[أنظر كتاب دوسون جزء ٢ ص ٣٨٩] ؛ وعندما خرج « هولاكو خان » في حملته على بغداد في
سنة ١٢٥٢ م = ٦٥٠ هـ جلب معه ألفاً من مهندسى الصين ليقوموا له بالمجاليق وآلات
المحاصر [أنظر نفس المرجع جزء ٣ ص ١٣٥] وقد استعان النجم الفارسى الشهير والفيلسوف =

ومما لا شك فيه أن الأمور تحسنت كثيراً عندما ترك أعقاب «هولاكو خان» في إيران معتقداتهم الوثنية واعتنقوا الدين الإسلامي، فقد كان هذا سبباً في انفصالهم نهائياً عن ذوى قرباهم من أهل «قراقورم» وفي اندماجهم في النهاية بالشعوب المغلوبة على أمرها التي كانت تخضع لحكمهم.

ومن عجب أن «هولاكو خان» الذي حطم الخلافة في بغداد، والذي يعتبر أكبر خصم للإسلام، كان يشمل برعايته اثنين من كبار الكتاب في زمانه، أحدهما «نصير الدين الطوسي» والآخر «عطا ملك الجويني» مؤلف تاريخ «جهانگشاي» (١) وقد عاش مؤرخان آخران أثناء حكم «غازان خان» ١٢٩٥ - ١٣٠٤ م = ٦٩٥ هـ - ٧٠٤ هـ وهما «عبدالله بن فضل الله الشيرازي» المعروف باسم «وصاف الحضرة» والوزير «رشيد الدين فضل الله» وكلاهما يعتبر من أكبر الكتاب الذين دونوا التاريخ باللغة الفارسية.

والأدب الفارسي بمعناه الضيق، لا يمكن أن يقال عنه أنه قد أصيب بسبب غارة المغول بكارثة دائمة الأثر... لأننا نجد أن ثلاثة من أكبر الشعراء الذين نشأوا في إيران قد عاصروا هذه الغارة وعاشوا خلالها، ونقصدهم «سعدى الشيرازي» و«فريد الدين العطار» و«جلال الدين الرومي» كما أن جماعة آخرين من أكبر الشعراء قد نشأوا بعدها بقليل.

ومع ذلك كله فإن تحطيم بغداد كعاصمة للمسلمين، وإزالتها إلى مرتبة المدن الإقليمية، قد أصاب رباط الوحدة بين الأمم الإسلامية بلطمة شديدة كما أصاب مكانة اللغة العربية في إيران بضريرة قاصمة، فاقصر استعمالها بعد ذلك على العلوم الفقهية والفلسفية، فإذا وصلنا إلى نهاية القرن الثالث عشر الميلادي (السابع الهجري) لم نعد نصادف إلا القليل النادر من الكتب العربية التي تم تأليفها في إيران.

= المعروف «نصير الدين الطوسي» بجماعة من النجسين الصينيين في عمل الزيج الذي قدمه إلى «هولاكو خان» في سنة ١٢٥٩ م = ٦٥٨ هـ.

[أنظر نفس المرجع جزء ٣ ص ٢٦٥]

(١) بمعنى «تاريخ فاتح العالم» ويقصد به جنكيز خان

عهود استعلاء نفوذ المغول في إيران :

فلنمض بعد ذلك إلى بيان العهود المختلفة التي استعلى فيها نفوذ المغول في إيران .
وهذه العهود يمكن أن يقال أنها تمتد منذ الغزوة الأولى التي تم بها جنكيز خان فتح هذه البلاد في سنة ١٢١٩م = ٦١٦هـ وتنتهى بموت «أبي سعيد خان» في سنة ١٣٣٥م = ٧٣٦هـ ويتبع هذه الفترة مدة تقرب من نصف قرن من الزمان سادت فيها الفوضى وانتهت بغزوة أخرى للتر بقيادة « تيمور لنگ (١) » (١٣٨٠ - ١٤٠٠م = ٧٨٢ - ٨٠٣هـ)

وهذه الحادثة التاريخية الأخيرة تعتبر «فترة انتقال» إلى ما يمكن أن نسميه بـ«تاريخ إيران الحديث» وهي تخرج عن نطاق هذا الجزء من كتابنا الذي قصره على عهد المغول بمعناه الضيق ، ولم يكن ذكرنا لها في هذا الموضع إلا لنبه القارئ إلى أن يجعلها حدا للفترة التي سنتناولها بالبحث .

وأول عهد لاستعلاء نفوذ المغول هو العهد الذي أسماه « ستانلي لين بول » بعهد كبار الملوك (أو الخانات جمع خان بمعنى ملك) وهو العهد الذي حكم فيه « جنكيز خان » و «أوكداي» و « كيوك » و « منكو » وقد امتد هذا العهد من سنة ١٢٠٦م إلى سنة ١٢٥٧م (٦٠٣ - ٦٥٥هـ)

ويمتاز هذا العهد بأن الولايات المختلفة التي فتحها المغول وأصبحت جزءا من امبراطوريتهم ، كان يقوم على حكمها ولاية يعينهم « الخان الأكبر » الذي كان يقيم في عاصمة المغول « قراقورم » .

وعندما اجتمعت الجمعية الكبرى للمغول أي الـ«قوريلتاي» في سنة ١٢٥١م = ٦٤٩هـ وذلك في بداية عهد « منكو » قررت هذه الجمعية إيفاد بعثتين حريتين إلى ناحيتين مختلفتين ، يتولاهما اثنان من أخوة هذا الامبراطور ومن أحفاد « جنكيز خان » ؛ فأما البعثة الأولى فكانت موفدة إلى الصين ، وكان يتولاهما

(١) أو تيمور الأعرج .

«قبلاى خان» ؛ وأما الثانية فكانت موفدة إلى إيران والعراق وآسيا الصغرى وكان
رأسها «هولاكو خان»

وثانى عهد لاستعلاء نفوذ المغول هو العهد الذى يمكن تسميته بعهد «الإيلخانيين
الكفرة» أو العهد الذى أصبح فيه منصب «نائب الملك» فى إيران وآسيا الصغرى
منصبا متوارثا فى أبناء نائب الخان الأكبر. وهذا العهد يبدأ بعبور «هولاكو خان»
لتهر جيحون فى يناير سنة ١٢٥٦م = ٦٥٤هـ ويتهى بقتل «بايدو» فى ٥ أكتوبر
سنة ١٢٩٥م = ٦٩٥هـ. ويمتاز هذا العهد بأن الإسلام فيه أخذ يستعيق قوته وأخذ
يناضل بكل ما يملك من قوة لحفظ كيانه ضد هجمات البوذية والمسيحية، ويمتاز أيضا
بأن الصلات التى كانت تربط الإيلخانيين فى إيران بأباطرة المغول فى موطنهم الأصلى
أخذت تنفصم وتلاشى. وجدير بنا أن نلاحظ هذا التطور الدينى الذى أصاب المغول
المقيمين فى إيران، فبينما كان مقتل «أحمد تادكار» فى أغسطس سنة ١٢٨٣م
= ٦٨٢هـ يرجع سببه جزئيا إلى حبه للإسلام^(١)، فإن مقتل «بايدو» بعد اثنتى عشرة
سنة من ذلك التاريخ يرجع إلى حد كبير إلى بغضه للإسلام وحبه للمسيحية وتفضيلها
عليه^(٢) ولم يكده عقبه «غازان» يجلس فى مكانه حتى أعلن اعتناقه للإسلام وأمر بهدم
الكنائس المسيحية والمعابد البوذية فى إيران. وبعد ذلك بقليل نجده فى سنة ١٣٠٠م
= ٧٠٠هـ يأمر كهنة المغول^(٣) الذين يقيمون فى إيران أن يعتنقوا الدين الإسلامى
أو أن يتركوا إيران وإلا أمر بقتلهم والقضاء عليهم. ومن أجل ذلك نجد أن أشرف
المغول وقوادهم ممن كانوا يناوئون الإسلام يجتمعون عندا اعتلاء «غازان» العرش فى
سنة ١٢٩٥م = ٦٩٥هـ ويدبرون مؤامرة كبيرة لحلعه تنتهى بفشلهم ومقتلهم
جميعا^(٤)، وبعد ذلك بغير سنوات نجد أن بعض الأميرات والأمراء يحاولون
أن يحرضوا «أجلاتو خدا بنده» على ترك الدين الإسلامى والرجوع إلى عقيدة آبائهم

(١) أنظر كتاب «دوسون» ج ٣ ص ٦٠٨.

(٢) أنظر كتاب «دوسون» ج ٤ ص ١٤١.

(٣) يعرف الكاهن المغولى باسم «بخشى».

(٤) كتاب «دوسون» ج ٤ ص ٢٨١ - ٢٨٢.

وأجداده (١). وربما كانت هذه الحادثة هي آخر مظهر للوثنية المغولية في إيران - وكانت هذه الوثنية تظهر من قبل في أمور تثير النفوس كاختيار المغول للفتيات الحسنات ثم قتلهن وتقديمهن قربانا لروح الأباطرة عند وفاتهم ١١٠٠٠ وكقتل جميع الذين يصيهم الحظ النكد بأن يصادفوا جنازة الامبراطور في أثناء نقلها إلى مقرها الأخير خشية أن يتسرب نأ موتة قبل إعلانه رسميا ١١٠٠٠ (٢)

فإذا رجعنا الآن إلى هذه العهود التي وصفناها من عهود استعلاء المغول نجد أن العهد الأول منها وهو عهد التدمير والتحطيم يمتاز بموجتين من أمواج الفتح :

الأولى بقيادة جنكيز خان ١٢١٩ - ١٢٢٧ م = ٦١٦ - ٦٢٥ هـ .

والثانية بقيادة هولاكو خان ١٢٥٥ - ١٢٦٥ م = ٦٥٣ - ٦٦٤ هـ .

وقد اكتسحت الغزوة الأولى إقليم خراسان وامتدت غربا إلى «الري» و«قم» و«قاشان» و«همدان» وفي خلالها قام «جلال الدين خوارزمشاه» بأعماله الفاققة في مقاومة المغول فأبدى من أعاجيب البطولة ما يخلب أبصارنا عندما نقرأ قصته كاملة واضحة فيما سجله من مآثره كاتبه المعروف «شهاب الدين محمد النسوي» الذي ظل يرافقه حتى اغتاله أحد الأكراد في ١٥ أغسطس سنة ١٢٣١ م = ٦٢٩ هـ .

أما الغزوة الثانية التي قادها «هولاكو خان» فقد اكتسحت أيضا خراسان في بداية سنة ١٢٥٦ م = ٦٥٤ هـ وامتدت إلى حصون الإسماعيلية في «ألموت» و«قهستان» فحطمتها ، ثم مضت إلى الخلافة في بغداد فأودت بها أيضا ، واستمرت تزحف غربا حتى أوقفتها ممالك مصر في موقعة «عين جالوت» التي وقعت في ٣ سبتمبر سنة ١٢٦٠ م = ٦٥٩ هـ وفاز فيها المصريون فوزا كبيرا اعتبر أول فوز أصابه المسلمون

(١) نفس المرجع ج ٤ ص ١٥٧ .

(٢) أمر «أوكداي» بقتل أربعين فتاة قربانا لروح جنكيز خان وكذلك أمر بقتل عدد كبير من الجياد . [كتاب دوسون ج ١ ص ١٣] وقرر الجند الذين رافقوا جثة «منكوخان» إلى مقرها الأخير في جبال آلتاي أنهم قتلوا أثناء الجنازة ما لا يقل عن ٢٠٠٠ شخص . . . [أنظر : كتاب «دوسون ج ١ ص ٢٨٤»]

ضد «المغول» في مدى السنوات الثلاثين التي تلت موت «جلال الدين خوارزمشاه» ومنذ ذلك التاريخ انحطمت موجة الفتح المغولي، وأخذ المسلمون يرون أن القول بأن أعداءهم لا يقهرون كان مجرد خرافة وخزعبلات، فاستجمعوا قوتهم من جديد وتمكنوا من أن ينتصروا عليهم في كثير من المواقع الفاصلة وخصوصاً موقعة «عين تاب» في ١٦ أبريل سنة ١٢٧٧م = ٦٧٦هـ عندما تمكن «الظاهر بيبرس» من هزيمة المغول هزيمة نكراء واستطاع أن يقتل منهم في هذه الموقعة ٦٧٧٠ جندياً . وربما كان فوز المصريين أكبر وأوضح في موقعة «مرج الصفر» بالقرب من دمشق في ٢٣ أبريل سنة ١٣٠٣م = ٧٠٣هـ فقد استطاع الملك الناصر أن يجلب عند عودته إلى القاهرة ١٦٠٠ أسير مغولي مصفدين في الأغلال، وقد حمل كل واحد منهم رأس قتيل مغولي، تتدلى من سلسلة في عنقه، وسار بهم في المدينة، يتقدمهم ألف فارس من رجاله، قد شهِروا حراهم، وعلى كل واحدة منها رأس قتيل مغولي جلبوه معهم من الموقعة ... !!

وقد وصفنا فيما مضى هول الفظائع التي كان يأتها جند «جنگيز خان» أثناء الغزوة الأولى لإيران، ولمن شاء زيادة الإيضاح أن يرجع إلى وصف البلاء الذي أصاب المدن الآتية «أترار» و«جند» و«بناكت» و«بخارى» و«نيسابور» و«سمرقند» و«خبوشان» و«طوس» و«إسفراین» و«دامغان» و«سمنان» و«نخشب» و«أركنج» (أو كركانج أو الجرجانية كما يسميها العرب) و«ترمز» و«بلخ» و«نصرت كوه» و«نسا» و«خرنذر» و«مرو» و«هراة» و«کردوان» و«باميان» و«غزنه» و«الري» و«قم» و«مراغه» و«إربل» و«قاشان» و«يلقان» و«همدان» وعدداً آخر من المدن والقرى الفارسية .

وهذا الوصف مذکور بإيضاح في «تاريخ جهانگشای» وفي «جامع التواريخ» وكذلك في الكتب التي كتبها «دوسون» و«السير هنري هو ورث»، ومنها يبدو أن البلاء الذي عانته إيران وآسيا الصغرى على يد المغول كان مساوياً للبلاء الذي أصابوا به الصين وآسيا الوسطى، وأقل قليلاً مما ابتلوا به أوروبا الشرقية .

وقد اتسعت رقعة الامبراطورية المغولية وبلغت ذروة الاتساع أثناء حكم « قبلاى خان » ١٢٦٠ — ١٢٩٤ م = ٦٥٩ — ٦٩٤ هـ . وفى أثناء هذه السنوات تمكن « ماركو پولو Marco Polo » من القيام برحلاته الخالدة فى أرجاء هذه الامبراطورية الشاسعة ، التى لم تبلغها امبراطورية أخرى ، والتى كانت تتضمن الصين وكوريا والهند الصينية والتبت والهند إلى حدود نهر الكنجج وإيران وآسيا الصغرى والقرم وجزءا كبيرا من روسيا إلى حدود نهر الدنيبر^(١).

وقد تهدمت امبراطورية المغول فى إيران بموت « أبى سعيد » فى سنة ١٣٣٥ م = ٧٣٦ هـ ، وتهدمت امبراطوريتهم فى الصين بعد خمسين سنة من ذلك التاريخ ، وظلت امبراطوريتهم فى روسيا حتى نهاية القرن الخامس عشر^(٢) ؛ وكانت آخر بقاياهم ممثلة فى خانية خيوة (خوارزم) وخانية بخارى . [وقد قعدتا استقلالهما فى سنة ١٨٦٨ وسنة ١٨٧٢ م ، وكذلك فى خانية القرم التى زالت قبل ذلك فى سنة ١٧٨٣ م . وقد بقى واحد من أحفادهم اسمه « السلطان كريم كراى كنى كراى » انتهى به المطاف إلى اسكتلندا فتزوج بها وأقام فى مدينة « إدنبره »^(٣) .

جلال الدين خوارزمشاه

فى هذه الأيام الحالكه التى وقعت فيها غارة جنكيز خان ، وفى هذه الأوقات التى تلبدت فيها سماء إيران بالأدخنة المتصاعدة من المدن المحترقة ، وتبلل فيها ثراها بالدماء المهرقة من قلوب أبنائها ، نجد أن « جلال الدين خوارزمشاه » بما جابه الله من شخصية لامعة استطاع لحظة قصيرة كالشهاب الثاقب والبرق الخاطف ، ثم تخمد ناره ويتطفئ أواره دون أن ينتج أثرا أو يحدى نفعا . ولربما خلت صفحات التاريخ من ذكر أمير مثله

(١) أنظر « دوسون » ج ٢ ص ٤٧٧ .

(٢) أنظر « دوسون » ج ٢ ص ١٨٣ — ١٨٦ .

(٣) أنظر كتاب « الدول الاسلاميه » تأليف « ستانلى لين پول » .

امتاز بجراته وإقدامه ، فقد كان يعلم من البداية أنه يحارب موقعة خاسرة لا رجاء فيها ، وكان من أجل ذلك حقيقا ، بأن يترفق به القدر فلا يقضى عليه بأن يموت شريدا طريدا على يد جلف من أجلاف الأكراد في سنة ١٢٣١ م = ٦٢٩ هـ . ولقد رأينا فيما سبق كيف تبدل حال أبيه « علاء الدين محمد خوارزمشاه » عندما تحقق من قسوة المغول فانقلب بين عشية وضحاها من ذئب كاسر إلى حمل وديع فما زال يفر ويهرب حتى قضى نحبه في جزيرة من جزر بحر قزوين في سنة ١٢٢٠ م = ٦١٧ هـ ؛ ورأينا كيف قبض المغول على جدته « ترکان خاتون » وحملوها أسيرة ذليلة إلى « جنكيزخان » في عاصمته « قراقورم » في سنة ١٢٢٣ م = ٦٢٠ هـ وكيف وقفوا بها فترة على حدود خوارزم لتنتحب على ملكها الضائع (١) ، ولتكفر عن صلفها وقسوتها عندما وجدت الأمور تفلت من يدها فأمرت بقتل البقية الباقية من أمراء السلاجقة والتورينين ، وكانوا رهائن لديها لا يملكون من أمر أنفسهم شيئا (٢) في هذه الأحوال المضطربة نجد أن « جلال الدين » يستجمع قوته فيترود بدعاء أبيه ويتمنطق بسيفه ثم يمضى أمام العاصفة على عجل فيحتمى بالحدود الهندية (٣) ويقوم هنالك بأعجوبة من أعاجيب بطولته التي ذاع صيتها وانتشر خبرها . وتفسير الأمر أنه عندما بلغ مع جيشه الصغير نهر السند وجد نفسه فجأة وقد أحاطت به جموع كبيرة من المغول فائقة العدد والعتاد ، فقاومها قدر ما يستطيع من مطلع الفجر إلى منتصف النهار ، وأبدى من ضروب الشجاعة والجلد ما لا مزيد عليه ، ولكنه أدرك في النهاية أنه قد خسر الموقعة فهجم على أعدائه هجوم اليأس ، ثم يعم وجهه شطر النهر وألقى بدرعه عن جسده ، ثم امتطى صهوة جواده ، وعبر النهر على متنه ، وتبعه قوم من أتباعه ففعلوا مثل ما فعل ولكن أكثرهم غرقوا أو أهلكتهم سهام المغول الذين كانوا يمجدون في أثرهم (٤) .

(١) أنظر كتاب دوسون ج ١ ص ٢٢٢ .

(٢) نفس المرجع ج ١ ص ٢٥٨ .

(٣) نفس المرجع ج ١ ص ٢٥٥ .

(٤) نفس المرجع ج ١ ص ٣٠٦ والصفحات التالية ، وقد روى صاحب تاريخ جهانگشای أن أم جلال الدين وزوجه وبعض نساء حرمه كن معه في ذلك الوقت وأن المغول أسروهن ،

ولقد استطاع بعد ذلك أن يجمع شتات جيشه وأن يدفع عن نفسه غارة شنها عليه أمير هندي اسمه « جودي » ، وشجعه هذا الانتصار فجمع الزاد والعتاد وهاجم أمير السند « قراجة » وأمير دهلي « التامش » وكانا متحالفين على قتاله ؛ ولكنه استطاع رغم هذا التحالف أن يبق في بلادهما حتى ينسحب المغول ويفسحوا له طريق العودة إلى إيران ليسعى مرة ثانية إلى استرجاع مملكة آبائه وأجداده .

وأعقبت ذلك ثمان سنوات قام فيها « جلال الدين » بسلسلة لانظير لها من المجازفات والمخاطرات التي سجل تفاصيلها كاتبه « النسوي » في كتاب يمكن قراءته باللغة العربية ، وكذلك باللغة الفرنسية في ترجمة كاملة تولى نشرها المسيو هوادس M. Houdas (١) .

ولقد اضطر « جلال الدين » إلى أن يحارب جميع الناس تقريبا ؛ فقد كان عليه أن يحارب المغول الذين كانوا يتعقبونه ، وكان عليه أن يحارب أيضا أخاه الخائن « غياث الدين » ، وأن يحارب أيضا حاكم كرمان « براق الحاجب » ؛ وكانما لم يكتف بالقدر له بهذا العدد من الأعداء فاضطره في ظروف مختلفة إلى أن يحارب الخليفة في بغداد وكذلك التركمان والحشاشين (الاسماعيلية) وأن ينفذ إلى ولاية جورجيا فاتحا غازيا .

وفي سنة ١٢٢٣ م = ٦٢٠ هـ نجده يقتحم كرمان وفارس وأصفهان والري ؛ وفي سنة ١٢٢٥ م = ٦٢٢ هـ يتمكن من هزيمه « قشتمر » قائد الخليفة ويتبع جيشه حتى أبواب بغداد ويستولى على تبريز ويهزم جيوش جورجيا ؛ وفي سنة ١٢٢٦ م (٦٢٣ - ٦٢٤ هـ) يستخلص مدينة « تفليس » ثم يعود في عجلة إلى الجنوب الشرقي من إيران لينزل سخطه بحاكم كرمان « براق الحاجب » الذي خانته وتحالف مع المغول على الإيقاع به .

وفي سنة ١٢٢٧ م = ٦٢٥ هـ تمكن من معاينة التركمان والحشاشين ثم اتبع

ولكن كاتبه النسوي روى رواية أخرى فقال إنهن سألن « جلال الدين » أن يأمر بإغراقهن خشية أن يقمن في أيدي المغول ورأى جلال الدين استحالة العبور بهن فأمر بإغراقهن .
(١) المترجم : أحدث طبعة لكتاب « سيرة السلطان جلال الدين » هي التي نشرتها دار الفكر العربي سنة ١٩٥٣ م .

ذلك بنصر كبير على المغول في « دامغان » وقتل اربعائة أسير مغولي وقعوا في يده ، ثم دار إلى أصفهان فدافع المغول عنها ، ثم علم أن أهل « جورجيا » قد تحالفوا مع المغول على قتاله فأسرع إليهم وقتل أربعة من قوادهم في موقعة واحدة انتهت بهزيمتهم هزيمة منكرة .

وفي سنة ١٢٢٩ م = ٦٢٧ هـ أخذ يدعو أمراء المسلمين للتحالف معه على محاربة المغول وكاد ينجح في إنشاء هذا الحلف ولكن جيشا من المغول قوامه ٣٠.٠٠٠ محارب بقيادة « نويان جرماغون » حمل عليه فجأة واضطره إلى الهرب شمالا حيث استطاع أن يستولى على مدينة كنج (١) .

وانقلب حظه بعد ذلك ، وخمد نشاطه ، وأدمن الشراب ، وهام على وجهه دون غاية ، وبدأت عليه المغموم ، فأصبح كبير القلب ، سريع البكاء ، وأخذ يتحجب أشد التحجب لموت « قليج » أحد غلمانه المقربين إليه ، وما زال يهرب أمام المغول حتى انتهى به مطافه إلى قرية كردية ، فهجم عليه أحد رجالها وتمكن من قتله في ١٥ أغسطس سنة ١٢٣١ م = ٦٢٩ هـ .

وقد أحاط كثير من الشك بنهاية « جلال الدين » ولم يستطع المؤرخ الكبير « ابن الأثير » أن يقطع بأمر في مصيرها ، وظلت الإشاعات تملأ الوادي الإيراني مدة السنوات الاثني والعشرين التي تلت موته ، فظنوا أنه مازال حيا ، وأنه قد خرج ثانية من مخبائه ؛ وادعى ذلك كثير من المدعين وانتهى الأمر بقتلهم على أيدي المغول .

ونهاية « جلال الدين » هذه وما أحاطها من شك في مصيره ، تمثل لنا حال أي بطل قومي يتعلق به الآمال في ساعات اليأس العسيرة ... وشبه بها عندنا حالة « هارولد الإنجليزي » ، ففى كلتا الحالتين نجد الأوهام الشعبية تنتهي بالبطل إلى حياة الزهد والتقشف ثم الموت في سن الشيخوخة ميتة الأولياء والصالحين .

(١) هي المعروفة الآن باسم « اليزافيتبول Elizavetpol » .

أوكداى (أوكناى) :

مات « چنگيزخان » فى الصين فى ١٨ أغسطس سنة ١٢٢٧ م = ٦٢٥ هـ بعد ما حكم اثنى عشر سنة ، وكان يبلغ من العمر ستة وستين عاما . وقد انقضت على موته سنتان قبل أن يتمكن أمراء المغول ورؤساؤهم فى مختلف البلاد التى فتحوها من الاجتماع فى جمعية عمومية «قوريلتاى» لأختيار خليفة ؛ وقد انتخب ابنه «أوكداى» فى تاريخ تصادف وقوعه مع موت « جلال الدين » و انتهاء حكمه ال «خوارزمشاه» أو ملوك خوارزم . وقد كان حكم أوكداى قصيرا لأنه مات فى ديسمبر سنة ١٢٤١ م = ٦٣٩ هـ وربما ساعد على التعجيل بموته إدمانه للشرب القوى ، وهى خصلة اعتادها المغول من بين ما اعتادوه من خصال سيئة شريرة .

وامتاز حكم « أوكداى » بمجموعة أشياء من بينها :

- ١ - تأسيس عاصمة المغول فى « قراقورم » فى سنة ١٢٣٥ م = ٦٣٣ هـ
- ٢ - إيفاد بعثة حرية إلى إيران بقيادة « نويان چرماغون » .
- ٣ - غزو روسيا وبولندا ما بين سنتى ١٢٣٦ و ١٢٤١ م = ٦٣٤ - ٦٣٩ هـ وقد ابتلى المغول روسيا وبولندا بنفس الأهوال التى ابتلوا بها إيران فتحمل كثير من مدنها مشاعات المغول وخاصة « موسكو » و « روستوف » و « ياروسلاف » و « تشير » و « شير نيكوف » و « كيف » و « كراكوف » و « پست » .

وفى بولندا وحدها جمع المغول أكياسا ملاؤها بأذان ضحاياهم وقتلهم فبلغ مجموع ما جمعوه ٢٧٠٠٠٠ أذن ، أخذوها معهم دليلا على ما كانوا يفعلون به من بأس وسطوة

وازعج المغول بأفعالهم وشناعاتهم العالم المسيحى ، فبعث البابا «جريجورى التاسع» خطابا دوريا إلى الأمراء المسيحيين يحثهم فيه على التكاتف لإعلان حرب صليبية على هؤلاء الغزاة من التتر .

ومع ذلك كله ... فقد كان «أوكداى» بالقياس إلى المغول الآخرين ، لين العريكة

كريم الجانب، وقد أجمع المؤرخون الإسلاميون على وصفه بذلك وخاصة مؤلف كتاب « تاريخ جهانگشای » وكذلك « طبقات ناصری » (١) ، فقد أورد هذان المؤلفان أمثلة كثيرة تبرهن على شدة حبه للشفقة والرحمة وعلى بغضه لإراقة الدماء بغير داع أو سبب ، وعلى خصال يخالف فيها ما عرف عن أخيه الأكبر « چغتای » من غلظة وفظاظة (٢) .

كيوك :

عندما مات « أوكدای » تولت امرأته « تورا كينا » حكومة البلاد حتى يستطيع ابنها الأكبر « كيوك » العودة إلى « منغوليا » من معاركه التي كان مشغولا بها في روسيا وبولندا عند موت أبيه . وقدامتازت الجمعية العامة التي تم فيها انتخابه بوفرة عدد من حضرها من ممثلي الدول الأجنبية والشعوب الخاضعة لنفوذ المغول ، فقد حضرها ممثل للخليفة في بغداد ، وآخر يمثل شيخ الجبل أو رئيس الحشاشين في الموت ، واثنان من الكهنة بعث بهما البابا ، وكان أحدهما هو « جان دي پلان كارپان » وقد أشرنا إلى مذكراته فيما سبق ، وكان يحمل من البابا خطابات يرجع تاريخها إلى أغسطس سنة ١٢٤٥ = ٦٤٣ هـ :

وقد استقبل هذان الكاهنان خيرا استقبال ونجحوا في التأثير على وزيرين من وزراء « كيوك » إسمهما « كدك » و « چنگاج » فاعتنقا الديانة المسيحية واستطاعا بما لهما من مكانة لدى مولاهما التأثير عليه بحيث أخذ يعطف على المسيحية ومعتنقها .

أما ممثل « الخليفة » وممثل « شيخ الجبل » فقد استقبلا شر استقبال ، وطردهما الإمبراطور المغولي من حضرته بعدما زودهما بكثير من التهديدات التي سرعان ما حققها الأيام .

والظاهر أن المسيحيين جميعا كانوا على استعداد لأن يتغاضوا عن الشناعات التي

(١) أنظر ص ٣٨٠ — ٣٩٦ في طبعة ناساويلز Nassau Lees .

(٢) أنظر ص ١٤٣ من « تذكرة الشعراء » تأليف دولتشاه .

ارتكبها المغول ضد أبناء دينهم في روسيا وبولندا وأن يمجّدوا المغول كمحطمين لقوة العرب ، لأننا نجد أن بعثات أخرى مسيحية تقصد المغول في هذا الوقت من بينها بعثة «دومنيكية» وصلت إلى حضرة «بايدو» في إيران في سنة ١٢٤٧ م = ٦٤٥ هـ وكذلك بعثة أخرى بعثها «سانت لويس» في ١٠ فبراير سنة ١٢٤٩ م = ٦٤٧ هـ من «نيكوسيا» عاصمة «جزيرة قبرص» وكان يرأسها «روبريكس Rubruquis» ولكنها لم تصل إلى «قراقورم» إلا في نهاية سنة ١٢٥٣ = ٦٥١ هـ وكان كيوك قد مات وتولى مكانه «منكو»

منكو:

مات «كيوك» في إبريل سنة ١٢٤٨ م = ٦٤٦ هـ خلفه على عرش المغول ابن عمه «منكو» بن «تولي» بن «جينغيزخان» وقد تم تنصيبه في أول يولية سنة ١٢٥١ م = ٦٤٩ هـ وقد تأمر عليه أحفاد «أوكداي» لخروج الملك من فرعه ولكن «منكو» أسرع بالقبض عليهم وقتلهم قبل أن تفلح مؤامرتهم . وعند ما اجتمع الـ «قوريلتاي» في سنة ١٢٥١ م = ٦٤٩ هـ لتتويج «منكو» بقرر إيفاد بعثتين حرييتين ، إحداهما إلى الصين والأخرى إلى إيران . فأما الأولى فقد أعطيت رئاستها لـ «قبلاي» ، وأما الثانية فكانت قيادتها في يد «هولاكو» وكان كل من هذين القائدين أخا للإمبراطور «منكو» .

وبدخول هولاكو في إيران ، تبدأ الفترة الثانية من الفترات الثلاث التي ينقسم إليها عهد استعلاء النفوذ المغولي ، وهي فترة الإيلخانيين الكفرة التي امتدت من سنة ١٢٥٦ إلى سنة ١٢٩٥ م = ٦٥٤ - ٦٩٥ هـ حينما أصبحت إيران وغرب آسيا قصرا على فرع خاص من الأسرة المغولية المالكة ، يتبع إسمها الخان الأكبر في منغوليا ، ولكنه عمليا مستقل استقلالاً تاماً عنه ، حتى قبل أن يعتنق أفراد الديانة الإسلامية وقبل أن يتم اندماجهم بأفراد رعائهم عندما لم تعد تربطهم رابطة من الروابط بعشائهم الوثنية في منغوليا والصين .

وعلى ذلك فمن الممكن ، لكي نصل إلى أغراضنا التي نتجراها ، أن نتغاضى عن

ذكر الأعمال المحيطة التي قام بها « قبلاي خان » وأن عمر سراجا ، فلا نصف العظمة التي اتصفت بها عاصمته « خان باليق » (١) وهي العظمة التي وصفها الشاعران « كولريدج Coleridge » و « لونج فيللو Longfellow » للقارئ الانجليزي وأن تقصر جهودنا على أعمال « هولاكو » (٢) وحفدته في إيران وهم الذين يعرفون باسم : « الإيلخانيين »

هولاكو :

خرج « هولاكو » من « قراقورم » يولي سنة ١٢٥٢ م = ٦٥٠ هـ مزودا بتعليمات مشددة بأن يستأصل شأفة « الحشاشين » في « الموت » ، وأن يحطم الخلافة في بغداد ، وكان يصطحب في حملته عددا كبيرا من المهندسين ورجال المدفعية من أهل الصين ليستعين بخبرتهم في أعمال الهجوم والمحصرة . وكان سيره في البداية وثيدا بطيئا ، وأمضى صيف سنة ١٢٥٤ = ٦٥٢ هـ ، في تركستان ثم وصل إلى سمرقند في سبتمبر سنة ١٢٥٥ م = ٦٥٣ هـ وبقي أربعين يوما . وفي يناير سنة ١٢٥٦ م = ٦٥٤ هـ ، وصل إلى « كيش » فلاقاه بها « أرغون » الذي كان يتولى حكم إيران من قبل « منگو » منذ سنة ١٢٥٣ م = ٦٥١ هـ وكان في صحبته كاتبه الأكبر (الوغ بتكجي) بهاء الدين الجويني وابنه عظاملك الجويني . وقد لحق الابن بـ « هولاكو » فأصبح كاتبه الخاص وصحبه في أشد معاركه وحضر معه غارته على حصن « الموت » معقل الحشاشين ، فتمكن بذلك من الرجوع إلى مصادر أصيلة موثوق بها ، كان عليها اعتياده في تأليف كتابه « تاريخ جهانگشاي » الذي طالما أشرنا إليه في مواضع مختلفة .

الحشاشون أو الاسماعيلية في الموت :

تحدثنا فيما سبق عن نشأة الحشاشين أو الاسماعيلية في الموت ، وقلنا أن أولهم كان « الحسن بن الصباح » الذي كان معاصرا لعمر الخيام ، وهو الذي أنشأ « الدعوة

(١) كانت تسمى بأسماء مختلفة منها « خندو » و « كبلو » وهي « بكين » الحالية .

(٢) الشاعر الانجليزي « Longfellow » اسمي « هولاكو » في قصائده باسم « Alaü »

الجديدة» واستطاع أن يكون مرهوب الجانب منذ استيلائه على حصن «الموت» في ٦ رجب سنة ٤٨٣ هـ = ٤ سبتمبر سنة ١٠٩٠ م؛ ثم مات في ٢٣ مايو سنة ١١٢٤ م ^(١) = ٥١٨ هـ .

وكان الحسن رجلا غليظ القلب؛ خالفه ولداه في بعض تعاليم مذهبه فأمر بقتلها، وعين أحد أتباعه خليفة له وهو المعروف باسم «كيا بزرگت أميد» وإليه ينتسب الستة الذين أعقبوه في رئاسة هذا المذهب . فقد خلفه عند مماته ابنه «محمد» في ٢٠ يناير سنة ١١٣٨ م = ٥٣٣ هـ؛ فلما مات في ٢١ فبراير سنة ١١٦٢ م = ٥٥٨ هـ خلفه ابنه الحسن الذي عرف بين أتباعه باسم «الحسن على ذكره السلام» . وقد أعلن الحسن في جراءة أنه ليس من أحفاد «كيا بزرگت أميد» بل هو من سلالة الفاطميين ومن أعقاب الإمام «نزار بن المستنصر» الخليفة الفاطمي الذي دعا له الإسماعيليون دعوتهم الجديدة، وبهذا الادعاء الجريء أعلن الحسن نفسه إماما للمذهب وليس داعيا له . وكان الحسن يريد أن يعلن هذا الادعاء قبل وفاة أبيه . ولكن أباه استطاع أن يكبح جماحه فأسرع بقتل جماعة من أتباعه يبلغون مائة وخمسين رجلا، وشرذ مائة وخمسين آخرين فنفاهم خارج حصنه في الموت ، ولكن الفرصة نemat للحسن عند وفاة أبيه فعقد في ١٧ رمضان سنة ٥٥٩ هـ = ٨ أغسطس سنة ١١٦٤ م جمعية عامة للإسماعيليين أسماها «عيد القيامة» ثم خطب فيهم بوصفه «إماما» لهم، وأعلنهم أن القرآن قد ألغيت معانيه الحرفية منذ ذلك التاريخ، وأن تعاليم الإسلام لا تشير إلى هذه المعاني الحرفية التي تدل عليها الكلمات بل إلى معان أخرى رمزية تحتاج إلى إيضاح وتفسير... ١١ وقد قابل أتباعه هذا التصريح خير قبول وأسرعوا إلى العمل بمقتضاه فكان ذلك سببا في زيادة النفور الذي أجبه أهل السنة لهم، ويقول «رشيد الدين فضل الله» أنه ابتداء من ذلك الوقت أخذ أهل السنة يطلقون عليهم اسم «اللاحدة» ، ومن عجب أن الحسن كان يطلق على مقره اسم «مؤمن آباد» أو بلدة المؤمنين !!...

(١) اعتدنا في هذه التواريخ على ما ذكره صاحب «جامع التواريخ» وقد ذكر هذا الكتاب تفاصيل كثيرة عن الإسماعيلية تزيد على ما ورد عنهم في تاريخ «جهانگشاي» ولكن هناك قدرا مشتركا بينهما تكاد تتفق كلماته .

وإلى «الحسن» يرجع الفضل في تنمية تعاليم الاسماعيلية وخاصة من ناحيتها الفلسفية وهو الذى أنشأ الدعوة الجديدة التى أسماها بـ «دعوة القيامة» . وقد انتهى الأمر بقتله فى «لمسر» فى ١٠ يناير ١٦٦٦ م = ٥٦٦٢ هـ على يد صهره «الحسين بن ناماور» أحد أحفاد الديلمة من آل بويه .

وقد تولى مكانه ابنه «نور الدين محمد» فكان أول ما فعله أن أمر بإعدام قاتل أبيه ، وكذلك باستئصال البقية الباقية من البويهيين . وقد اتبع تعاليم أبيه ، وكان فيما يقولون على نصيب كبير من القدرة الأدبية والمعرفة الفلسفية ، كما كان على جانب كبير من القدرة على الإقناع ، فاستطاع أن يضم إلى جانبه الفيلسوف الكبير «نصر الدين الرازى» بواسطة «الحجج الدامغة» التى قدمها إليه أى بواسطة الذهب والسيوف ، فجعله على الأقل يظهر شيئاً من الاحترام للمذهب الذى كان يتولى رئاسته . وقد كانت هذه بداية طيبة لفخر الدين الرازى لأن المرتب الكبير الذى كان يتلقاه فى «ألموت» لقاء أن يكف عن ذكر الاسماعيلية بسوء ، ولكنه فى النهاية من أن يقدم نفسه إلى الأميرين القوزيين «شهاب الدين» و «غياث الدين» وكذلك إلى ملك خوارزم «محمد خوارزمشاه» . ومات «محمد بن الحسن على ذكره السلام» فى أول سبتمبر سنة ١٢١٠ م = ٦٠٧ هـ فأعقبه ابنه «جلال الدين» وقد خالف سياسة أبيه وجده فأعلن إلغاء جميع المذاهب ، وأعلن نفسه مسلماً سنياً ، وأصبح يعرف باسم «نومسلمان» أو «المسلم الجديد» وقد أسرع بتقديم خضوعه للخليفة العباسى «الناصر لدين الله» وأخذ يوثق العلاقات بينه وبين أمراء المسلمين ، وبعث بأمره إلى مكة لتؤدى فريضة الحج فى سنة ١٢١٠ م = ٦٠٧ هـ . ولكى يقيم الدليل على حسن نواياه بعث إلى ققهاء «قزوين» وهى أقرب البلاد جواراً إلى مقره فى «ألموت» يدعوه إلى أن يراجعوا الكتب التى يقتنها وأن يعدموا منها ما يرونه خارجاً عن تعاليم الإسلام أو متضمناً لشيء من الإلحاد .

وقد وثق به فى النهاية جميع الناس ، وخلع عليه الخليفة الخلع الطيبة وقربه أشد التقريب ، فكان ذلك مثاراً لحسد الـ «خوارزمشاه» مما ترتب عليه اشتداد الخلف بين خوارزم وبغداد بحيث أدى ذلك إلى كثير من النتائج السيئة والعواقب الوخيمة وقد تحالف مع الأتابك «مظفر الدين أذربك» ١٢١٣ - ١٢١٥ (= ٦١٠ هـ - ٦١٢ هـ) ضد «ناصر الدين منكلى» ؛ وكان الوحيد من بين «مشايخ الجبل» الذى

استطاع أن يقضى ما يقرب من سنة ونصف السنة خارج معاقل الإسماعيلية في العراق وأران وأذربيجان ، وقد تحالف في بداية الأمر مع « جلال الدين خوارزمشاه » ولكن عندما أخذت طلائع « جنكيزخان » تتقدم في داخل إيران ، وجد من الحكمة أن يتحالف مع هذا الفاتح الوثني ، فكان رسله أول من قدموا خضوعهم له بعدما عبر بجيوشه نهر جيحون . وربما أثارت فعلته هذه حقد أتباعه وسخطهم عليه فبعد قليل من الزمن نجده يموت مسموما على يد إحدى نساائه فيما يقولون ، في الثاني أو الثالث من شهر نوفمبر سنة ١٢٢٠ م = ٦١٧ هـ وقد خلفه ابنه الوحيد « علاء الدين » ولم يكن عمره يزيد على تسع سنوات فتولى الوصاية عليه وزيره ، وكانت فاتحة أعماله أن أمر بقتل جماعة من النساء اللاتي كن في حريم « جلال الدين نو مسلمان » بحجة أنهم تآمرن على قتله ، كما أمر بحرق بعضهن وهن على قيد الحياة . وقد ذكر « رشيد الدين » في كتابه ، أن « علاء الدين » لم يكد يبلغ الخامسة عشرة من حياته حتى أصيب بعارض شديد من المالبخوليا بحيث أصبح من الخطر على أي إنسان أن يقربه ليفض إليه بأنباء لا تسره أو ليخبره بأمور لا ترضيه . وفي أيامه تمكن الحاكم الإسماعيلي لـ « قهستان » واسمه « ناصر الدين »^(١) من أن يختطف المنجم المشهور « نصير الدين الطوسي » مؤلف الرسالة الأخلاقية المعروفة باسم « أخلاق ناصري » وأن يبعث به إلى حصن « ألموت » حيث أقام كارهها حتى تمكن القول من فتحه والاستيلاء عليه . وقد كان لهذه الحادثة دلالة مزدوجة من حيث الناحية الأدبية والناحية التاريخية ، فهي من الناحية الأدبية قد أتاحت لبعض الرواة أن يخلطوا بين الأسماء المتشابهة فيضمنوا طرفا من هذه القصة في الترجمة الزائفة التي وضعت عن حياة « ناصر خسرو » الذي كان يعيش قبل ذلك بما يزيد على قرن ونصف القرن من الزمان ؛ أما من حيث الناحية التاريخية فأهميتها ناتجة من أننا نعلم أن « نصير الدين الطوسي » هو أول من حرص « ركن الدين خورشاه » إلى أن يسلم نفسه للفقول القادرين^(٢) ، ثم هو الذي أشار على « هولاكو خان » بأن غضب السماء سوف لا ينصب عليه إذا هو

(١) أهدى « الطوسي » كتابه إلى هذا الحاكم الإسماعيلي ، ولكنه في نسخة أخرى اعتذر عن هذا الإهداء وعن بعض المواضع التي أبدى فيها ميله إلى المذهب الإسماعيلي .
(٢) أنظر ص ٢٥٩ من ترجمتي الإنجليزية لـ « تاريخ طبرستان » تأليف ابن اسفنديار

أقدم على قتل «المستعصم بالله» آخر خلفاء بني العباس (١) ١١٠٠ وما أعجب تهكمات
التقدر التي سمحت لهذا الخائن الخادع أن يكتب رسالة في الأخلاق، لا زالت تعتبر من
أجمل ما كتب في موضوعها باللغة الفارسية ... ١

وقد تزوج «علاء الدين» وهو صغير، ولم يكد يبلغ الثامنة عشرة من عمره حتى أنجب
أول أولاده « ركن الدين خورشاه » فجعله خليفة له على الإسماعيلية ، ولكن أفعال
الأيام جعلت الحسد يدب بينهما بحيث سعى الوالد إلى خلع ابنه، وعمل جاهدا على ذلك
ولكن الإسماعيلية رفضوا أن يجيئوه إلى ما طلب ، لأنهم يدينون بالمذهب القديم الذي
ينص على أن ولاية العهد متى صدرت من إمام له الحق في منحها فلا يمكن بحال من
الأحوال الرجوع أو التحول عنها . وقد ترتب على هذه الظروف أن وجد «علاء الدين»
مقتولا في «شيركوه» في آخر شوال سنة ٦٥٣ هـ = أول ديسمبر سنة ١٢٥٥ م ،
وقد بادر ابنه «ركن الدين» إلى الأمر بإعدام قاتله «الجسن المازندراني» وإحراق
جثته ، ولكن الأقاويل ثارت بأنه هو الذي حرّضه على قتل أبيه ... ١١ وقد برهن
على صحة هذه الأقاويل «رشيد الدين» فقال أن « ركن الدين » بادر إلى إعدام
قاتل أبيه ولم يتبع معه الطرق القانونية العادية خشية أن يفضي أثناء التحقيق بما
حرص على إخفائه ... ١١

وقد ذكر هذا المؤرخ أن من يقتل أباه لا يستطيع أن يفلت من عقاب الله ،
وساق على ذلك الأمثلة الكثيرة كحادثتي «شبرويه الساساني» و«المنتصر»
الخليفة العباسي؛ فقد قتل كلاهما أباه فلم يعيشا إلا فترة قصيرة ، ثم أشار إلى هذه
المصادفة الغريبة التي أدت بـ « ركن الدين » إلى أن يسلم نفسه لقاتليه بعد ستة هجرية
كاملة من مقتل أبيه حينما سلم نفسه للمغول في آخر شوال سنة ٦٥٤ هـ = الأحد
١٩ نوفمبر سنة ١٢٥٦ م .

فإذا عدنا الآن إلى حملة «هولاكو» التي تركناها في مدينة «كيش» في يناير سنة ١٢٥٦ م = ٦٥٤ هـ فإننا نجد يتحول سريعا إلى معقلين من معاقل الاسماعيلية في ولاية قهستان فيستخلصهما في مارس سنة ١٢٥٦ م وهما «تون» و«خواف» وقد أمر بإعدام كل من يزيد عمره على عشر سنوات من سكان مدينة خواف ولم يستثن إلا عددا قليلا من الفتيات الجميلات ، أبقى عليهن ليتحملن حظا هو في الحقيقة أكثر سوءا وأشد بؤسا من الموت...!!

ثم استعمل «هولاكوخان» الطرق المغولية المعروفة، فنشر الوعود الكاذبة، رجاء أن ينجى من ورائها كل ما يريد ، قبل أن يجرد سيفه من غمده فلا يستطيع أحد أن يوقفه ولا يستطيع الدماء أن تروى ظمأه ؛ وتنازعت المخاوف روح «ركن الدين» ولم يكن له من الجرأة ما يدفعه إلى المقاومة حتى النهاية المريرة ... ولم يكن له من الحزم وبعد النظر ما يدفعه إلى الإسراع بتقديم خضوعه للمغول حتى يستطيع بذلك من أن يتعلق بأمل واه في إطالة حياته الشائنة ، بل استمر على تردده وتراخيه فترة من الزمان وأخذ يساوم المغول ، ولكنه أعطاهم كل ما يريدون ولم يحصل منهم إلا على وعود كاذبة ، ومازالوا يضيّقون عليه الخناق حتى رضي بأن يسلمهم بعض حصونه ومعاقله على شريطة ألا يعدموا حاميتها وسكانها ، ثم أرسل أخاه «شاهنشا» ومعه ثلثمائة رجل إلى «هولاكوخان» ليستبقهم لديه كرهائن . ولكن «هولاكو» سرعان ما التمس بعض الأعداء فأمر بقتل «شاهنشا» في بلدة «جمال آباد»^(١) بالقرب من قزوین ، ثم اتبع ذلك بقتل جميع الاسماعيلية الذين سلموا معاقلهم له ، ولم يستثن من ذلك أحدا منهم بل وقتل الأطفال في مهادمهم...! واستيأس جماعة من أشداء الاسماعيلية في مقاومة المغول وحصل لهم «ركن الدين خورشاه» على عفو كتابي (برلينغ) من هولاكوخان ولكنهم استمروا على مدافعة المغول واستطاعوا أن يقتلوا عددا كبيرا منهم . غير أن هذه المحاولات جميعها لم تستطع أن تؤجل النهاية التي كانت تنتظر طائفة الاسماعيلية حينئذ سلم «ركن الدين» نفسه إلى المغول في ١٩ نوفمبر سنة ١٢٥٦ م = ٦٥٤ هـ وحينما

(١) أشار «الجويني» إلى أن القزوينيين اعتادوا بعد هذه الحادثة أن يستعملوا عبارة «ذهب

إلى جمال آباد» بمعنى ذهب إلى حتفه . !!

ستولى المغول على قلعتي « الموت » و « ميمون دژ » فأعملوا فيهما القارة ثم اشعلوا فيهما النار بعد ذلك .

وقد استطاع «عطا ملك الجويني» أن يستأذن مولاه «هولاكو خان» في أن يحتجز لنفسه جملة من التوالمف القيمة التي اشتملت عليها مكتبة « الموت » الشهيرة ، وأن يحتفظ كذلك ببعض الأدوات التي استعمالوها في رصد النجوم ، ويمكن من أن يترك لنا في مقابل ذلك وصفا رائعا للمهارة الفائقة التي بنى على أساسها حصن « الموت » بحيث أصبح من الأمكن الحصينة التي لا يمكن اختراقها . وقد نقل لنا عن كتاب تاريخي وجده في هذا الحصن وكان من تأليف «غفرالدولة البويهى» أن هذا المؤلف يذكر أن الذى بنى هذا الحصن هم أمراء الدليم فى سنة ٢٤٦ هـ = ٨٦٠ م .

وأستولى المغول بعد ذلك على بقية معاقل الاسماعيلية فى إيران (١) فأخذوا « لمر » فى ٤ يناير سنة ١٢٥٧ م (= ٦٥٥ هـ) ولكنهم لم يستطيعوا أن يأخذوا « كردكوه » حتى سنة ٦٥٨ هـ = ١٢٦٠ م وكان « منهاج السراج » قابعا فيه على تدوين كتابه « طبقات ناصرى » .

وأخذ المغول « ركن الدين خورشاه » إلى همدان وأحسنوا معاملته وسمحوا له بأن يتزوج فتاة مغولية أعجب بها ، ومنحوه مائة من الجياد القارهة كان يتسلى برؤيتها وهى تتعارك مع بعضها ، وهى متعة مرذولة لم تكن لتليق بحالته ومكانته ، وربما كانت أكثر خسة من الهواية الغريبة التى اشترى بها أبوه وهى غرامه برعى الأغنام !!...

وفى ١٩ مارس سنة ١٢٥٧ م = ٦٥٥ هـ أرسله المغول (٢) إلى « قراقورم » ليقدم نفسه إلى الامبراطور المغولى « منكو خان » وفى أثناء الطريق اضطروه إلى أن يأمر ضباطه فى « قهستان » بتسليم قلعتهم إلى المغول ، ففعلوا ذلك بعدما أمنهم المغول على حياتهم ، ولكنهم ما لبثوا أن قتلوا من السكان الآمنين اثنى عشر ألفا بمجرد تحرك

(١) كان للاسماعيلية فرع آخر فى سوريا ، لم يقض عليه كما قضى على أخيه فى إيران وما زالت بقية من الفرع السورى باقية حتى الآن .

(٢) ذكر « الجوينى » و « رشيد الدين » أن ذهابه إلى قراقورم كان بناء على طلبه ولكننا لا نوافقهما على ذلك .

ركاب « ركن الدين » في طريقه إلى « قراقورم » . فلما وصل ركابه إلى بخارى أساء حراسه معاملته ، ولم يكد يصل إلى قراقورم حتى أمر « منكو خان » بقتله قاتلاً : أنه كان من السفه استعمال خيول البريد في نقله إلى قراقورم !!...

وأمر بعد ذلك بقتل جميع أتباعه حيثما كانوا . ولا شك أن العدد الذي هلك منهم كان كبيراً جداً ، ولكن لما لاشك فيه أيضاً أن الإبادة لم تشملهم جميعاً ، فلا زالت لهم بقايا في إيران كما أخبرني بذلك « درويش كرماني » من البائية ، رأيته في القاهرة في سنة ١٩٠٣ ، ولهم بقايا في الهند باسم « خواجه » أو « چترال » وكذلك لهم بقايا في الزنجبار وسوزيا وفي أماكن أخرى غير تلك ، ولكن يجب أن اعترف بأنني محتاج إلى كثير من التعب والعناء لكي أتمكن من أن أربط بين رئيسهم الحالي « أقا خان » الذي يمتاز بالركة والوداعة ، وبين « مشايخ الجبل » في حصن ألو ت كما أممهم بذلك « ماركوپولو » في رحلته المشهورة .

المرحوم علي بغداد

فاز « هولاكو خان » بعد القضاء على « الحشاشين » بإعجاب أهل السنة في العالم الإسلامي . ولكن خطوته التالية اقترنت بكثير من الرعب الذي لم يتمكن من إخفائه أشد الناس تحفظاً وأكثرهم حرصاً على كتمان الأمور ؛ فبعد انقضاء ستة أشهر على خروج « ركن الدين خورشاه » إلى قراقورم ليلاقي حتفه هنالك ، أرسل هولاكو خان من مقره في « همدان » إنذاراً إلى الخليفة « المستعصم بالله » بأن يسلم نفسه إليه وأن يسلمه كذلك مدينة بغداد التي ظلت عاصمة للمسلمين طيلة القرون الخمسة الماضية . واتفق على ذلك شهران ثم بدأ « هولاكو خان » معركته في نوفمبر سنة ١٢٥٧ م = ٦٥٥ هـ وكان يستصحب معه جملة من أمراء المسلمين من بينهم أتابك شيراز « أبو بكر بن سعد بن زنگي » الذي عرف برعايته للشاعر الكبير « سعدى » وكذلك أتابك الموصل « بدر الدين لولي » الذي يشير إليه « ابن الطقطقي » كثيراً في كتاب الفخرى ؛ وكان يرافقه كذلك كاتبه « عطا ملك الجويني » مؤلف « تاريخ جهانگشاي » وكذلك النجم المعروف « نصير الدين الطوسي » .

وكان الخليفة العباسي قد بادر بإرسال « شرف الدين عبد الله بن الجوزي » إلى « هولانكو خان » في همدان ، وزوده برسالة إليه ، ولكن هذا القائد المغولي اعتبر رسالة الخليفة غير مرضية وغير قاطعة ، فأخذ يوجه الجزء الأساسي من جيشه إلى بغداد ليحيط بها من ناحية الشرق ، وأمر جيشا آخر بقيادة « باجو نويان » أن يتحرك من الشمال عن طريق تكريت بالقرب من الموصل ، وأن يلتف حول المدينة من ناحية الغرب . وكان قوام الجيش الأول كما يقول ابن الطقطقي (١) يزيد على ثلاثين ألف محارب ، بينما يقول مؤلف كتاب « طبقات ناصري » (٢) إن قوام الجيش الثاني كان يبلغ ثمانين ألف جندي (٣) ، وأن جيش الخليفة في بغداد لم يكن يزيد على عشرين ألف مقاتل .

وتلاقت جيوش المغول مع جيوش الخليفة في تكريت ، واستطاع جند الخليفة أن يحطموا الجسر القائم على « دجلة » وكان القائد المغولي « باجو نويان » يريد العبور بواسطته ، ولكن انتصارهم هذا كان قصير الأمد وما لبث المغول أن اندفعوا إلى « دجيل » و « الإسحاق » ونهر الملك ونهر عيسى وأماكن أخرى كثيرة بالقرب من بغداد . واستولى الفزع على سكان هذه البلاد فأخذوا يفرون أمام المغول لائذين بعاصمتهم الكبيرة بغداد . واستغل ملاهو القوارب حالة الفزع هذه ، فأخذوا ينقلون الشخص من شاطئ إلى آخر لقاء أجر كبير أو لقاء سوار ذهبي أو بعض الأمتعة الثمينة الغالية كما حدثنا بذلك صاحب كتاب الفخرى .

ثم تلاقت جيوش المغول وجيوش الخليفة للمرة الثانية بالقرب من دجيل في يوم ١١ يناير سنة ١٢٥٨ م = ٦٥٦ هـ وتمكن جيش الخليفة بقيادة « مجاهد الدين إيبك » الملقب بالدويدار الصغير ، و« الملك عز الدين بن فتح الدين » من إحراز نصر صغير رغم قلة الجند الذين كانوا تحت قيادتهما ، ولكن المغول انتظروا إلى الليل واستعانوا بالمهندسين الصيغيين الذين كانوا في رفقتهم ، ثم غمروا معسكر المسلمين بالماء

(١) أنظر ص ٣٠٠ من كتاب الفخرى طبع القاهرة سنة ١٣١٧ هـ .

(٢) أنظر ص ٤٣٦ من هذا الكتاب طبع ناساو ليز Nassau Lees .

(٣) ربما بالغ المؤلف في هذا التقدير .

فتمكنوا بذلك من إزال الهزيمة بجيوش الخليفة ومن الإيقاع بالمشاة والأسرى الذين وقعوا في أيديهم بعد ذلك .

وعندما تحدث صاحب كتاب الفخرى عن فتح العرب لآيران في القرن السابع الميلادى ذكر أن جنود الآيرانيين كانوا مزودين بغير العدة والعتاد فأخذوا يتهكمون بالبدو من العرب الذين لم يكونوا يتدنرون إلا بالخرق البالية المهلهلة ثم قارن هذه الحادثة بحادثة رواها له « فلك الدين محمد بن أيدمر » عند قدوم المغول إلى بغداد فقال : « كنت في عسكر الدويدار الصغير لما خرج إلى لقاء التتر بالجانب الغربى من مدينة السلام في واقعها العظمى سنة ست وخمسين وستائة ، قال فالتقينا بنهر بشير من أعمال دجيل ، فكان الفارس منا يخرج إلى المبارزة وتحته فرس عربى وعليه سلاح تام ، كأنه وفرسه الجبل العظيم ، ثم يخرج إليه من المغول فارس تحته فرس كأنه حمار وفى يده رمح كأنه المغزل ، وليس عليه كسوة ولا سلاح فيضحك منه كل من رآه ثم ما تم النهار حتى كانت لهم الكرة فكسرونا كسرة عظيمة كانت مفتاح الشر ، ثم كان من الأمر ما كان . » (١)

وقد هلك عدد كبير من نجوا من المعركة في الأحوال التى نتجت عن غمر الأراضى بالماء ، ولم ينبج منهم إلا من استطاع أن يعبر النهر سباحة وإن يدخل البرية ويمضى على وجهه إلى الشام ، وقد نجا الدويدار مع جماعة صغيرة من أتباعه واستطاعوا أن يدخلوا بغداد . ثم أخذ هو و « عز الدين » يحرضان الخليفة على مغادرة بغداد والذهاب إلى البصرة ولكن الوزير « ابن العلقمى » لم يوافقهما على هذه الخطة ؛ وتردد الخليفة ولم يستطع أن يقطع رأى وإذا بجيوش المغول تحيط ببغداد من كل ناحية وتضرب عليها الحصار ابتداء من ٢٢ يناير (= الخميس) محرم سنة ٦٥٦هـ . وبدأ المغول هجومهم العام فى الثلاثين من هذا الشهر ، وبعد أربعة أيام أرسل الخليفة رسوله « ابن الجوزى » ثانية إلى هولاكو خان ليقدم له فى هذه المرة كثيرا من الهدايا القيمة مشفوعة برضاه بالتسليم ووقف القتال ؛ ولم تمض على ذلك بضعة أيام حتى

(١) أنظر ص ٧٦ من كتاب الفخرى طبع القاهرة سنة ١٣١٧ هـ .

خدعه المغول بالوعود الكاذبة فلم نفسه إليهم مع ولديه الأكبرين « أبي العباس أحمد » و « أبي الفضائل عبد الرحمن » ، ولكن « هولاكو خان » سرعان ما أمر بإعدامهم جميعا دون شفقة أو رحمة [في ٤ صفر سنة ٦٥٦ هـ] .

أما الطريقة التي اتبعها المغول في قتل الخليفة فيحوطها كثير من الشك والغموض ، وقد ذكر الشاعر الانجليزي « لونجفيلو Longfellow » في قصيدة « كبالو Cambalugo » إنهم حبسوا الخليفة في خزائنه وبيت ماله وتركوه هنالك يموت جوعا . . . !! ولكن هذه الرواية بعيدة عن الاحتمال ، وربما كان أقرب منها إلى التصديق الرواية التي ذكرها المؤرخون الإسلاميون حينما قالوا أن المغول لقوا الخليفة في سجادة ثم انهاروا عليه ضربا بعضيهم ودبايسهم حتى مات . وما يؤيد أنهم اتبعوا هذه الطريقة أو ما يشابهها في قتل الخليفة أنهم كانوا يحرمون إهراق الدم الملكي ، وكانوا إذا رادوا إعدام أحد أمراءهم يتبعون طريقة وحشية اختصوا بها في إعدام الأبراء فلا يقتلونهم بالسلاح بل يكفون بكسر ظهورهم . . . !!

وبدأت الغارة على بغداد في يوم ١٣ فبراير سنة ١٢٥٨ م = منتصف المحرم سنة ٦٥٦ هـ واستمرت أسبوعا كاملا ، أعدم فيه المغول عددا يبلغ الثمانمائة ألف من سكانها ، واستولوا على الكنوز المادية والأدبية والعلمية التي اجتمعت في بغداد خلال القرون الطويلة الماضية التي ظلت فيها بغداد عاصمة زاهرة لحلفاء العباسيين .

أما الخسارة التي أصابت الحركة العلمية الإسلامية فلا يمكن وصفها مهما أعملنا في ذلك ضروب الفكر والخيال ؛ ولم ينحصر أثر هذه الكارثة في خسارة العدد الكبير من الكتب القيمة التي أيدت تمام الإبادة ، ولكنها امتدت فأهلكت من رجال العلم عددا كبيرا ولم تبق منهم إلا على فئة قليلة مشردة الأذهان ، بحيث نجد أن الدراسة الصحيحة والبحث العلمي اللذين امتازت بهما من قبل دراسة الآداب العربية لم تقم لهما قاعة بعد هذه الكارثة . ولم يحدثنا التاريخ أن مدينة زاهرة كالخضرة الإسلامية قد اختفت في مثل هذه السرعة التي اختفت فيها هذه المدينة وأصبحت طعمة لتلهمها النيران المستعرة وتغرقها الدماء المهرقة .

ثم تبع ذلك كما يقول صاحب كتاب الفخرى : « أن تقحم العسكر السلطاني

هجومًا ودخولاً ، فجرى من القتل الدريع والنهب العظيم والتمثيل البليغ ما يعظم سماعه جملة ، فما الظن بتفاصيله . . ؟ !

وكان ما كان مما لست أذكره . فظن ظنا ولا تسأل عن الخبر

الح (١)

هذا ما قاله صاحب كتاب «الفخرى» بعد أربعة وأربعين سنة من هذه الكارثة (لأنه كتب كتابه في سنة ١٣٠٢هـ = ٧٠٢هـ) ولم يكن طليق العنان يكتب ما يشاء ويسجل ما يريد ولكنه كان يكتب ما يكتب وهو يعلم أنه يعيش تحت حكم مغولي أيام غازان حفيد هولاكو خان .

ابن العلقمي :

أما الدور الذي لعبه وزير الخليفة « مؤيد الدين محمد بن محمد بن العلقمي » في تسليم بغداد فيحوطه كثير من الشك والغموض ، فصاحب « طبقات ناصري » يتهمة بالخيانة وإنه قتل من عبدالحامية متعمدا ، وإنه هو الذي زين للخليفة التسليم ووقف القتال ، وأنه كان يريد من وراء ذلك إرضاء أطماعه المتزايدة وكذلك الانتقام لبعض الاضطهادات التي أنزلها ابن الخليفة الأكبر بأهل الشيعة الذين كان يدين بمذهبهم . أما « ابن الطقطقي » فيدفع عنه هذه التهم مستندا إلى ما ذكره له «أحمد بن الضحاك» — وهو ابن أخت الوزير ابن العلقمي — من أن نصير الدين الطوسي هو الذي قدم الوزير إلى هولاكو خان فسمع كلامه ووقع موقع الاستحسان عنده ثم قدمه إلى شحنة بغداد «علي بها در» فسلمه المدينة ... ويعلق «ابن الطقطقي» على ذلك « بأن من أقوى الأدلة على عدم مخا مرته سلامته في هذه الدولة ، فإن السلطان هولاكو لما فتح بغداد وقتل الخليفة سلم البلد إلى الوزير وأحسن إليه وحكمه ، فلو كان قد خامر على الخليفة لما وقع الوثوق إليه .. » (٢)

ولسكن يجب ألا يغيب عن أذهاننا أن «ابن العلقمي» وكذلك « نصير الدين الطوسي » كانا من أهل الشيعة ، وأن الثاني منهما رغم كتابته في الموضوعات

(١) المترجم : أظرس ٣٠٠ من كتاب الفخرى طبع مصر سنة ١٩٢٣م .

(٢) نفس المرجع والصحيفة .

الأخلاقية والدينية قد أتكّر جميل مضيفيه من الاسماعيلية ، كما ساعد على الإيقاع بالخليفة في سبيل أن يرضى فاتحا وثنيا سفاكا للدماء مثل هولاءكو...!! ولما كان «ابن الطقطقى» شيعيا مثل هذين تماما ، فإنى شخصا أرى أن ما ذكره فى كتاب الفخرى عن هذه الواقعة ، يجب تأويله تأويلا مضادا للرأى الذى رآه .

ولكى نوفق بين آرائنا وبين ما نعرفه عن الغول وخاصة هولاءكوخان، يجب أن نفترض أن «ابن العلقمى» قد خدعته الوعود الطيبة التى بذلها له الغول، ثم أعماه التعصب المذهبى، فزى له تفضيل الوثنى الكافر على من يخالف مذهبه من أهل دينه . وربما انضم إلى ذلك أنه كان على وفاق مع «نصير الدين الطوسى» الذى أصبح وزيرا لهولاءكوخان والذى كان مثله أيضا من أهل الشيعة ، فقبل من أجل هذه الفروض جميعها أن يخون الخليفة وأن يخون بغداد وأن يسلمهما معا إلى الغول ليفعلوا بهما ما يشاءون . وقد قربوه الغول كعادتهم، حتى إذا اعتصروا عاصرته ونالوا منه ما يريدون تخلصوا منه فى قليل من الزمن . وربما يؤيد هذا الرأى إننا نجد أن حياته لا تمتد إلا إلى ثلاثة أشهر بعد موت الخليفة أى إلى مايو سنة ١٢٥٨ م = جمادى الأولى سنة ٦٥٦ هـ

ومع كل هذا .. يجب أن نقرر أن الأمر مستعلق ، وأنه سيظل مستعلقا غامضا ما شاء الله له أن يكون ، فإذا لم تشأ أن تدعو للوزير بالرحمة كما فعل ابن الطقطقى ، فلا أقل من أن تمتنع عن لعنته كما فعل صاحب «طبقات ناصرى» . ومن الملاحظ أن هذا الأخير يتغالى فى سنيته أكثر مما يتغالى «ابن الطقطقى» فى تشيعه .

الاستعصم :

ويبدو لنا من الفصل الأخير من كتاب «الفخرى» وهو الفصل الذى خصصه للخليفة المستعصم ، أن الخليفة كان لين الجانب سهل العريكة مستضعف الرأى ، وأنه لم يكن الشخص المناسب لمداغة هذا الخطر الداهم الذى شققت به أيامه والذى انتهى بالقضاء عليه شخصا فى قليل من الزمن .

وكان «الاستعصم» خيرا متدينا ، غفيف اللسان ، عالما ، مليح الخط ، يكثر القراءة فى الكتب ، خفيف الوظأة على أتباعه ؛ ولكنه كان برغم هذه الحصال الطيبة رعيديا مترددا ، ضعيف البطش ، قليل الخبرة بأمرور المملكة . وقد رفض أن يتبع سنة آباءه الذين كانوا يحبسون أولادهم وأقاربهم مخافة أن يتآمروا على خلعهم ويستأثروا بالسلطة

لأنفسهم . وقد حكوا عنه أن خويدهما صغيراً كان يقوم على خدمته ، نام قريباً من الأريكة التي كان يجلس عليها الخليفة في خزائنه كتب ، وكان الخليفة في ذلك الوقت جالساً يقرأ ، فاستغرق الغلام في النوم وتقلب حتى تلفف في الملحفة المبسوطة على الأريكة ثم تقلب حتى صارت رجلاه على المسند ، فأشار الخليفة إلى خازن الكتب أن يترفق بالغلام وألا يوقظه حتى يخرج من الحجرة خشية أن تنفطر ممرارته من الخوف إذا علم بما فعل ... !!

وكان الوزير «ابن العلقمي» يشبه مولاه من حيث شغفه بالكتب وتقريبه لرجال العلم والأدب ، وقد احتوت مكتبته على عشرة آلاف مجلد من نفائس الكتب ، وقد صنف له الناس كثيراً من الكتب ، وأهداه كثير من الشعراء دواوينهم . وكان كما يقول ابن الطقطقي — وهو الذي اعتمدنا عليه في استقاء هذه الأخبار — عفيفاً عن أموال الديوان وأموال الرعية ، منزهاً مترفعاً .

وقد كنت أحب أن أفعل كما فعل صاحب كتاب «طبقات ناصري» فأختم هذا الجزء من كتابي بهذا الملخص التاريخي الذي أوردته فيما سبق ، وطلما تمنيت ألا تكون نهايته مفاجئة مثل هذه النهاية الحزينة التي وصلنا إليها عندما نزلت هذه الطامة الكبرى بالإسلام وبالحضارة «العربية الفارسية» التي ازدهرت أيام الخلافة العباسية ، ولكن بقي أمامي أن أتم هذا الجزء بالحديث (في فصلين تالين) عن الحركة الأدبية التي نشأت في هذه الفترة التي أجملنا الحديث عنها سياسياً ، وهي فترة تستغرق الحسين أو الستين سنة الأولى من القرن الثالث عشر الميلادي . (السابع الهجري) ولا شك أننا بهذا نوفي موضوعنا الأصيل الذي اخترنا الكتابة فيه وهو «تاريخ الأدب في إيران» وإني أرجو أن أكمله في مجلد آخر أو أكثر ، حتى أصل به إلى الحديث عن الأدب في إيران في أوقاتنا الحاضرة .

جدول بأسماء

كتاب العصر المغولي الأول

[وفقاً لورود ذكرهم في الفصل التالي]

١ - أصحاب التواريخ العامة ٧ - أصحاب التوايف العربية

ابن الأثير	ابن ميمون
ابن العبري	البوني
منهاج السراج	ابن البيطار
جرحيس المسكين	الشفاشي
٢ - أصحاب التواريخ الخاصة	عز الدين الزنجاني
الجرىاذقاني	جمال القرشي
الفتح البنداري	ابن الحاجب
عطا ملك الجويني	المطرزي
أحمد النسوي	ضياء الدين ابن الأثير
٣ - كتاب التراجم	مجد الدين ابن الأثير
ابن خلكان	البيضاوي
الفقطنى	ياقوت المستعصى

٤ - أصحاب التواريخ المحلية ٨ - مؤلفون آخرون

ابن اسفنديار	أبو نصر الفراهي
أبو عبد الله الديلمي	شمس قيس الرازي
جماعة آخرون	٩ - كتاب الصوفية
٥ - الجغرافيون والرحالون	روزبهان
ياقوت الروي	نجم الدين كبرى
زكريا القزويني	مجد الدين البغدادي
ابن جبير	سعد الدين الحموي
٦ - الفلاسفة	شهاب الدين السهروري
فخر الدين الرازي	محمي الدين بن العربي
نصير الدين الطوسي	عمر بن الفارض

الفصل الثامن

كتاب العصر المغولي الأول

٦٠٠ - ٥٦٦٠ = ١٢٠٣ - ١٢٦٢ م

مقدمة :

سأتحدث في هذا الفصل عن أهم الكتاب الذين ظهوروا في العصر الذي تحدثت عنه في الفصل السابق ، وسأتترك الحديث عن « شعراء الفرس » إلى فصل لاحق لأن ثلاثة منهم على الأقل تكفي أخبارهم لملء هذا الفصل الذي سيكون خاتمة فصول هذا الكتاب . وهؤلاء الكتاب ينقسمون إلى ثلاثة أقسام متباينة :

- ١ - كتاب ولدوا في « إيران » وكتبوا كل كتاباتهم أو أغلبها باللغة الفارسية .
- ٢ - كتاب ولدوا في « إيران » وكتبوا كل كتاباتهم أو أغلبها باللغة العربية .
- ٣ - كتاب ليسوا من أصل إيراني وكتبوا بالعربية ، ولكن لا يمكن التغاضي عن ذكرهم لما لهم من صلة خاصة بإيران ، وبالموضوعات الفارسية ، أولما لهم من أثر هام في العالم الإسلامي عامة . ومن أجل ذلك كان لزاما علينا أن نتحدث عنهم بعض الشيء في هذا الكتاب الذي خصصناه أصلا لدراسة النشاط الأدبي في إيران دون غيرها من الأقطار .

ولكن بعض الدوافع العملية تجعل من المناسب إهمال هذا التقسيم ، وتفرض علينا أن نتناولهم جميعا بالبحث طبقة طبقة ، وفقا للموضوعات التي تناولوها بالكتابة ، دون تفرقة بين من كتب منهم بلغة من اللغات أو بأخرى ، ذلك لأن اللغة العربية كانت إلى ذلك الوقت منتشرة في إيران ، يصاغ فيها كثير من الأدب والعلم والثقافة ؛ وقد ظلت محافظة على مالها من مكانة عالية في هذه الديار حتى انتهى الأمر بسقوط الخلافة وتخريب بغداد عاصمة الإسلام وحاضرة المسلمين .

فلنبدا إذن بذكر المؤرخين وأصحاب التراجم والجغرافيين وقد سبق لنا الإشارة إلى أهمهم في الفصول السابقة .

١- أصحاب التواريخ العامة

ابن الأثير :

وأول هؤلاء وأجدرهم بالذكر بين جميع المؤرخين في كل زمان ومكان ، هو « عز الدين ابن الأثير الجزرى » المنسوب إلى موطنه جزيرة « ابن عمر » بالقرب من الموصل ، ومؤلف التاريخ الكبير المعروف باسم « الكامل » . وهذا الكتاب يشتمل على تاريخ العالم كما عرفه المسلمون في هذا العصر منذ بداية الزمان حتى سنة ٦٢٨ هـ = ١٢٣٠ م . وقد زاره « ابن خلكان » في مدينة حلب في سنة ٦٢٧ هـ = نوفمبر سنة ١٢٢٩ م وتحدث عنه حديثا طيبا ، أكد فيه أنه كامل حقا في الفضل والتواضع وكرم الأخلاق . ولا حاجة بي في هذا المقام إلى ذكر المقالة التي كتبها عنه « ابن خلكان » لأن القارئ الأوروبي يستطيع قراءتها في الترجمة التي نشرها « دى سلان . de Slane » لكتاب وفيات الأعيان ^(١) وسأكتفى هنا بأن أذكر أن « ابن الأثير » ولد في سنة ٥٥٦ هـ = مايو سنة ١١٦٠ م وتوفي في سنة ٦٣١ هـ = مايو سنة ١٢٣٣ م .

وقد طبع « تورنبرج Tornberg » كتابه « الكامل » في مدينة ليدن في سنة ١٨٥١ م إلى سنة ١٨٧٦ م ونشره في ١٤ مجلدا ، كما طبع هذا الكتاب أيضا في « بولاق » في سنة ١٢٩٠ هـ إلى سنة ١٣٠٣ هـ = ١٨٧٣ - ١٨٨٦ م ونشر في ١٢ مجلدا ؛ ولكن من سوء الحظ أن الطبعة المصرية وهى الطبعة الوحيدة التى يمكن الحصول عليها الآن ، لا تشتمل على فهرست مبوب بأسماء الأعلام ، ومن أجل ذلك فقد نقصت فائدتها . نقصا كبيرا ، ولا شك أن هذا عيب خطير قد أصاب مرجعا كبيرا لا يستطيع أن يستغنى عنه طالب من طلبة التاريخ الإسلامى ^(٢) . وقد كتب « ابن الأثير » بالإضافة إلى كتابه التاريخي الكبير كتابا في أخبار

(١) انظر الجزء الثانى من الترجمة ص ٢٨٨ - ٩٠

(٢) المترجم : طبع هذا الكتاب بعد ذلك أكثر من مرة في القاهرة ، ففي سنة ١٣٠٢ هـ طبعت المطبعة الأزهرية . وفي سنة ١٣٠٣ هـ نشره محمد اقتدى مصطفى وفي سنة ١٣٥٢ هـ نشرته إدارة الطباعة المنيرة .

١٢٨٠ هـ وأسماء « أسد الغابة في معرفة الصحابة » وقد طبع في القاهرة في
 هـ أجزاء في سنة ١٢٨٠ هـ = ١٨٦٣ م ، وكذلك لخص كتاب الأنساب للسمعاني
 وهو غير مطبوع ^(١) ؛ كما كتب « تاريخ المملكة الأتابكية بالموصل » ، وهو
 مطبوع بتمامه في الجزء الثاني من « مجموعة المؤرخين العرب الذين أرحوا الحروب
 الصليبية » ^(٢) .

ابن العبري :

وآخر من كبار المؤرخين الذين عاشوا في هذه الفترة ، وكتبوا بالعربية كما فعل
 « ابن الأثير » هو النصراني يعقوب « يوحنا أبو الفرج » المعروف بابن العبري ،
 أى ابن اليهودي ، لأن أباه « اهرون » ترك ديانتَه الأصلية وكانت اليهودية واعتنق
 المسيحية ؛ ويعرف « ابن العبري » أيضاً باسم « جريجوريوس » أو « غريغوريوس »
 وهو الاسم الذى أطلقه على نفسه في سنة ٦٤٤ هـ = ١٢٤٦ م عندما تولى أسقفية
 « جوباس » من أعمال « ملطية » .

وقد ولد « ابن العبري » في مدينة « ملطية » في سنة ٦٢٤ هـ = ١٢٢٦ م ،
 فلما حدث الفزع من غارة المغول فر به أبوه وكان طيباً إلى مدينة « أنطاكية » في
 سنة ٦٤١ هـ = ١٢٤٣ م ثم خرج بعد ذلك فزار مدينة « طرابلس » . وفي سنة
 ٦٥١ هـ = ١٢٥٣ م تولى أسقفية حلب ، حتى إذا كانت سنة ٦٦٣ هـ = ١٢٦٤ م
 أقامه اليعاقبة « مفرينا » عليهم ^(٣) فكان يقيم أحياناً في « الموصل » وأحياناً أخرى

(١) المترجم : يعرف هذا الكتاب باسم « اللباب في معرفة الأنساب » .

(٢) أنظر : Recueil des historiens Arabes des croisades.

وقد ترجمه إلى الفرنسية البارون دى سلان de Slane

(٣) المترجم : فيما يلى معنى كلمة « مفرينا » نقلا عن المقدمة الموضوعة على كتاب « تاريخ
 مختصر الدول » طبع الأب « أنطون صالحاني اليسوعي » بيروت سنة ١٨٩٠ م ، قال :
 « مفرينا من المبراني ومعناها عندهم المتمر . وكان منصب المبريان عند اليعاقبة من أكبر
 المناصب بعد البطريركية وتحت رئاسته عدد من الأساقفة له عليهم مل السلطان مثل
 ما للبطريرك على أساقفته ، وهو عندنا بمقام كبير رؤساء الأساقفة » .

في إقليم « أذربيجان » أى في تبريز والمراغة في الشمال الغربى من إيران . وقد مات في مدينة « المراغة » في الثلاثين من يولييه سنة ١٢٨٦ م = ٦٨٥ هـ .

وقد كتب « ابن العبرى » تاريخه المعروف باسم « مختصر تاريخ الدول » في الأصل باللغة « السريانية » ولكن جماعة من كبار المسلمين طلبوا إليه أن ينقله إلى العربية ففعل ذلك في السنوات الأخيرة من عمره . وقد طبع هذا التاريخ لأول مرة سنة ١٠٧٤ هـ = ١٦٦٣ م في مدينة أ كسفورد بالعربية واللاتينية بمراجعة العلامة « بوكوك » ثم نشرت له ترجمة إلى الألمانية في سنة ١١٩٨ هـ = ١٧٨٣ م ثم طبعه طبعة أنيقة « الأب أنطون صالحانى اليسوعى » في مدينة بيروت سنة ١٨٩٠ م . وتشتمل هذه الطبعة الأخيرة على ٦٣٠ صحيفة تتضمن أصل الكتاب وكذلك ترجمة لحياة مؤلفه ، وفهرسة للأعلام والأماكن ، وجدولا لمقابلة السنين الهجرية بالسنين المسيحية .

وقد تحدث « ابن العبرى » في كتابه عن عشر دول ، هى الآتية :

الدولة الأولى : دولة الأولياء من آدم أول « البرنساء » أى الناس .

الدولة الثانية : دولة قضاة بنى إسرائيل .

الدولة الثالثة : دولة ملوك بنى إسرائيل .

الدولة الرابعة : دولة ملوك الكلدانيين .

الدولة الخامسة : دولة ملوك المجوس . أى ملوك إيران منذ الملك الأسطورى

« كيومرث » إلى « دارا » ومقتله على أيدي الاسكندر الأكبر

الدولة السادسة : دولة ملوك اليونانيين الوثنيين .

الدولة السابعة : دولة ملوك الفرنج ، ويقصد بهم ملوك الرومانيين .

الدولة الثامنة : دولة ملوك اليونانيين المنتصرين ، أى البيزنطيين .

الدولة التاسعة : دولة ملوك العرب المسلمين .

الدولة العاشرة : دولة ملوك المغول : وقد أوصل ابن العبرى تاريخهم إلى سنة

٦٨٣ هـ = ١٢٨٤ م وهى السنة التى تولى فيها « أرغون » الحكم .

وقد كتب الأستاذ «نولدكه» مقالا ممتعا عن «ابن العبري» والعصر الذي عاش فيه نشره في كتابه «صور من التاريخ الشرقى» ولهذا الكتاب ترجمة إلى الإنجليزية نحيل إليها القارئ الذي يريد أن يزود بمعلومات أوفى عن هذا الكاتب وكتابه (١)

منهاج السراج :

ومن بين كتّاب التاريخ العام الذين كتبوا بالفارسية في هذه الفترة ، بل أنهم ذكروا « منهاج السراج » المنتسب إلى « جوزجان » بالقرب من « بلخ » وهو مؤلف كتاب « طبقات ناصري » الذي أكرت من الإشارة إليه في الفصل السابق من هذا الكتاب .

ولد « منهاج السراج » حوالي سنة ٥٩٠هـ = ١١٩٣م والتحق كأيّيه وجده بخدمة ملوك الغور ، فلما كانت سنة ٦٢٤هـ = ١٢٢٦م أقبل إلى الهند والتحق بخدمة السلطان « ناصر الدين قبلاجه » وظل بها سنة حتى إذا تغلب « شمس الدين ألتتمش » على هذا السلطان التحق بخدمته ، وأهدى كتابه إلى ابنه المسمى « ناصر الدين محمود شاه » وقد فرغ من تأليف كتابه في سنة ٦٥٩هـ = سبتمبر ١٢٦٠م .

وقد أعطى « ريو » في « فهرست المخطوطات الفارسية » كثيراً من الأخبار المتعلقة بحياته (٢) . كما أن السير « هـ . م . اليوت » تحدث عنه في كتابه « تاريخ الهند » (٣) .

(١) أظن ترجمة هذا الكتاب إلى الإنجليزية بعنوان :

Sketches from Eastern History, pp 236 - 256

ومترجم هذا الكتاب إلى الإنجليزية هو المستر جون. بلاك . John S. Black .

(٢) أظن من ٧٢ من فهرست المخطوطات الفارسية .

(٣) أظن من ٢٦٠ من كتاب H. M. Elliot : History of India.

وكتاب « طبقات ناصري » موزع على عشرين فصلا تبدأ بالأولياء والأنبياء وتنتهي بفارة المغول . وقد تحدث المؤلف عن هذه الفارة حديثا مستفيضا أمكنة فيه أن يزودونا بأخبار فريدة لا توجد في غيره من المراجع .

وقد طبع الكاتبين « نساو ليز Nassau Lees » جزءا من هذا الكتاب ، ترجمه الماچور « رافرتي Raverty » في سلسلة مكتبة الهند^(١) ومن أسف أن هذا الجزء المطبوع لا يتناول إلا ذكر الدول المتصلة بالهند ويهمل كل ماله صلة بالطاهريين والصفاريين والسامانيين والدليين والسلاجقة والحوارزمشاه وغير ذلك من الدول التي لها أهمية خاصة لدى كل مشغوف بدراسة التاريخ الفارسي .

وترد في نهاية الكتاب قصيدة غريبة جدا منظومة باللغة العربية ومنسوبة إلى شخص اسمه « يحيى أعقب » من أتباع « علي بن أبي طالب » صهر النبي وابن عمه ، وفيها نبوءة عجبية عن المصائب التي أحدثتها غارة المغول . وقد قرنت هذه القصيدة العربية بترجمة منشورة إلى الفارسية منشورة في ص ٤٣٩ — ٤٤٣ من الجزء المطبوع من هذا الكتاب .

جرجيس المكيين :

وآخر من كتب التاريخ العام المؤلفة في هذا العصر ، ويجدر بنا ذكره في هذا المقام ، لأنه من أوائل الكتب العربية التاريخية التي طبعت في أوروبا ، هو « كتاب المجموع المبارك » تأليف « جرجيس » أو « عبد الله بن أبي الياسر بن أبي المكارم المكيين بن العميد » .

وقد ترجم هذا الكتاب إلى اللاتينية المستشرق الهولندي « ارپنيوس Erpenius » ونشر الترجمة مقرونة بالنص العربي في مدينة « ليدن » سنة ١٠٣٥ هـ = ١٦٢٥ م — ثم ترجمه إلى الإنجليزية في السنة التالية المستشرق

« Purchas »^(١) حتى إذا كانت سنة ١٠٦٨ هـ = ١٦٥٧ م ترجمة « قاتير Vattier » إلى الفرنسية ، وبذلك أصبح هذا الكتاب ومعه كتاب تاريخ أبي الفدا أمير حماة^(٢) هما عماد المصادر العربية التي ظلت فترة طويلة في تناول البحاثة الأوروبيين المشتغلين بالتاريخ الإسلامي . ولو لم تكن له هذه الميزة لما ذكرناه في هذا المكان لأن مؤلفه مسيحي مصري لا علاقة له بإيران على الإطلاق . وقد ولد في سنة ٦٠٢ هـ = ١٢٠٥ م وتوفي في سنة ٦٧٢ هـ = ١٢٧٣ م .

٢ - أصحاب التواريخ الخاصة

ونحن نضى الآن إلى دراسة طبقة أخرى من المؤرخين وكتاب التراجم ، وهم الذين عنوا بدراسة أسرة من الأسر الحاكمة ، أو ملك من الملوك ، أو فترة من الفترات أو ولاية من الولايات ، أو بلدة من البلدان ، أو جماعة خاصة من جماعات الناس ، ويدخل ضمن هؤلاء أصحاب كتب التراجم المبوبة بتبويب المعاجم .

الجرباذقاني :

عندما كنا نتحدث في فصل سابق عن « آل سبكتكين » أو الدولة الغزنوية ، أشرنا مرارا إلى تاريخ « العتي » المسمى « تاريخ اليمن » نسبة إلى السلطان الغزنوي محمود يمين الدولة . وقد كتب العتي هذا الكتاب باللغة العربية حتى إذا كانت هذه الفترة التي ندرسها ، قام على ترجمته إلى اللغة الفارسية « أبو الشرف ناصح الجرباذقاني » أو « الكلبيگانی » نسبة إلى الكلمة الفارسية « كلبيگان » وهو إسم مكان بين أصفهان وهمدان^(٣) وقد تحدث « ريو » في « فهرست المخطوطات الفارسية »

(١) عنوان هذا الكتاب باللاتينية كما نشره « أرپنيوس » هو :

Historia Saracenica arabice olim exarata a Georgio El Macino et latine reddita opera Th. Erpedii.

(٢) ولد « أبو الفدا » سنة ٦٧٢ هـ = ١٢٧٣ م ومات سنة ٧٢١ هـ = ١٣٢١ م

(٣) الترجمة : جاء في معجم البلدان أن « جرباذقان » يتلفظ بها بفتح الجيم المقابلة لحرف الكاف الفارسية . ويقول ياقوت أنه يشار بها إلى بلدين إحداهما بلدة قريبة من همدان والأخرى بلدة بين استراباذ وجرجان من نواحي طبرستان .

حديثاً طويلاً عن هذه الترجمة وذكر في ص ١٥٧ - ١٥٨ أنها تمت بين سنتي ٦٠٢ و ٦٠٧ هـ = ١٢٠٥ - ١٢١٠ م كما يذكر أن « المتحف البريطاني » يشتمل على مخطوطة قديمة جميلة منها ، يرجع تاريخ نسخها إلى سنة ٦٦٥ هـ = ١٢٦٦ م . وقد نشرت هذه الترجمة في طبعة على الحجر في مدينة طهران سنة ١٢٧٢ هـ = ١٨٥٥ م . وقد نقلت هذه الترجمة الفارسية إلى اللغتين التركية والانجليزية ، فقام « درويش حسن » بترجمتها إلى التركية ، وقام الأب « جيمس رينولدز James Reynolds » بترجمتها إلى الإنجليزية . كما عني الأستاذ « نولدكه » بمقارنة الترجمة الفارسية بأصلها العربي ونشر خلاصة آرائه المتعلقة بهذا الموضوع في العدد الثالث والعشرين من « محاضر جلسات الأكاديمية القيصرية » (١) .

وهو يقرر في هذا البحث أن الترجمة الفارسية لم تنقيد بالأصل إلا فيما يتعلق بالمراسلات والمستندات والقصائد التي وردت في الأصل العربي ، وأما فيما عدا ذلك فكانت ترجمة مطلقة من كل قيد ، لم يراع فيها المترجم الدقة في نقل العبارات بقدر ما راعى تزويقها بالصناعات البلاغية لتكون محاكية للأصل العربي . ومن أجل ذلك فقد أباح المترجم لنفسه أن يغير بعض العبارات أو أن يحذف منها في بعض المواضع أو يضيف إليها في مواضع أخرى .

الفصح البشاري :

أما « آل سلجوق » وهم حكام الدولة التي خلفت الدولة الغزنوية فهناك رسالة هامة عنهم ، يرجع تاريخ كتابتها إلى هذا العصر الذي ندرسه . وقد كتبها صاحبها باللغة العربية ، ونشر الفصلين الثالث والأخير منها المستشرق « هوتسما Houtsma » .

وتاريخ السلاجقة الذي أشرنا إليه مراراً عديدة في الفصول التي درسنا فيها فترة السلجوقيين ، عبارة عن مؤلف ألفه أصلاً باللغة الفارسية الوزير

«أنوشروان بن خالد» المتوفى في سنة ٥٣٢ هـ = ١١٣٧ م وقبلاً لما جاء في كتاب «عيون الأخبار». وقد ترجمه بعد ذلك إلى العربية، بإضافة كثير من الزيادات «عماد الدين الكاتب الاصفهاني» وكان ذلك في سنة ٥٧٩ هـ = ١١٨٣ م ثم اختصر هذه الترجمة ونشرها بعد ذلك «الفتح بن علي بن محمد البنداري» في سنة ٦٢٣ هـ = ١٢٢٦ م.

وقد بحث «هوتما» العلاقة بين هذه الكتب في مقدمته الواضحة التي قدم بها طبعته لنسخة «البنداري» وقرر أن هذه النسخة توجد في صورتين مختلفتين، الأولى منهما مطولة وتشتمل عليها مخطوطة كسفورد، والأخرى قصيرة وتشتمل عليها مجموعة باريس.

بالإضافة إلى ذلك يجب أن نذكر أننا مدينون للبنداري أيضاً بتلخيص ثرى كتب بالعربية لكتاب «الشاهنامه» من تأليف الفردوسى، وتشتمل «مكتبة جامعة كامبردج» على نسخة خطية جميلة لهذا المختصر (١). وقد كتب الأستاذ «نولدكه» في ص ٧٧ من كتابه «الحاسة الإيرانية» (٢) ينبه الأذهان إلى احتمال أن يكون هذا المختصر هاماً من ناحية المساعدة في نشر نصوص الـ «شاهنامه» بصورة أصح وأصوب.

عطا ملك الجوينى :

من بين كتب التاريخ الخاصة التي ألقت عن دولة بعينها في هذه الفترة، يجب أن نفرّد مكاناً ممتازاً لكتاب أشرنا إليه كثيراً في الفصل السابق، وأعني به الكتاب المكتوب بالفارسية بعنوان «تاريخ جهان گشا» أو «تاريخ فاتح العالم» (٣)، من تأليف «عطا ملك الجوينى».

(١) المترجم : هذا المختصر هو الذى نشره الدكتور عبد الوهاب عزام بعنوان «الشاهنامه» في سنة ١٢٥٠ هـ = ١٩٣٢ م. وكان موضوعاً لرسالة الدكتوراه التي قدمها للجامعة المصرية (٢) أنظر كتاب : Noldeke ; Iranisches Nationalepos.
(٣) المقصود بعبارة «فاتح العالم» هو «چنگيزخان».

وقد بينت فيما مضى أهمية هذا الكتاب بما فيه الكفاية ، كما شرحت أيضاً حال مؤلفه شرحاً كافياً ، ولكنى يجب أن أصرح القارئ بأن عدم طبع هذا الكتاب ونشره حتى الآن ، رغم كثرة نسخة الخطية الجميلة وخاصة الموجودة في المكتبة الأهلية في باريس ، يعتبر فضيحة أدبية كبرى ، جعلت معالجتها من أهم آمالي وأطاعي^(١).

والكتاب يشتمل على ثلاثة أجزاء أو مجلدات : الأول منها يتحدث عن أصل المغول وفتوحات چنگيزخان ؛ والثاني عن ملوك خوارزم المعروفين باسم «خوارزمشاه» ، والثالث عن الحشاشين أو إسماعيلية حصن «الموت» و«قستان» ومحاربة «هولاكو خان» لهم^(٢) . وقد استفاد «دوسون» فائدة كبرى من هذا الكتاب عند تأليف كتابه «تاريخ المغول»^(٣) ؛ ولكنه كان - في رأيي - شديد القسوة على مؤلفه ، ولم يراع أن سوء الحظ هو الذى اضطره إلى خدمة المغول الأجلاف ، وأنه اضطر بالتبعية إلى التحدث عنهم في أدب ومجاملة.

أحمد النسوى :

الكاتب الذى يستحق بعد ذلك أن نخصه بالذكر هو «شهاب الدين محمد بن أحمد النسوى» كاتب السلطان الشجاع «جلال الدين خوارزمشاه» ومؤرخ سيرته . وقد أشرنا في الفصل السابق كثيراً إلى مذكراته التى كتبها عن هذا السلطان

(١) المترجم : هكذا كتب الأستاذ «براون» عندما أخذ يكتب هذا الكتاب وقد نشر بعد ذلك كتاب تاريخ «جهانگشا» فى ثلاثة أجزاء ضمن سلسلة جب التذكارية وعنى بتصحيحه علامة إيران المرحوم «محمد بن عبد الوهاب القزويني» وقد استطاع الأستاذ براون أن يكتب مقدمة بالانجليزية ألحقها بآخر المجلد الأول ، أرخصها أغسطس سنة ١٩١٢ كما أن الجزء الثالث منه طبعه على حدة أستاذى الجليل المرحوم السير دنيسون روس Sir Denison Ross فى صورة فوتوغرافية عن أصله المخطوط .

(٢) أنظر مقالتي التى نشرتها فى يناير سنة ١٩٠٤ فى «مجلة الجمعية الملكية الآسيوية» فى موضوع محتويات هذا الكتاب التاريخي والمواد التى تساعد على نشره .

(٣) أنظر : كتاب تاريخ المغول لدوسون : D'Hosson ; Histoire des Mongols

ذى الحظ العاثر . وهذه المذكرات يمكن الاطلاع عليها في أصلها العربي وفي ترجمتها الفرنسية التي قام بنشرها السيد « هوداس Hondas » في باريس من سنة ١٨٩١ -

١٨٩٥ م .

وقد كتب « النسوى » هذه المذكرات المعروفة باسم « سيرة جلال الدين » في سنة ٦٣٩ هـ = ١٢٤١ م أى بعد عشر سنوات تقريبا من موت « جلال الدين » . وقد كان النسوى وثيق الارتباط بسلطان طبرال حياته المليئة بالأحداث والغامرات ، ومن أجل ذلك فإن كتاباته مليئة بالمتعة والأهمية ؛ وقد بين ذلك بما فيه الكفاية « السيد هوداس » في مقدمته التي قدم بها ترجمته الفرنسية لـ « سيرة جلال الدين » ونحن نكتفى بأن ننقل منها هذه العبارات الرصينة :

« وخلال المدة الطويلة التي حكمها السلطان جلال الدين ، لم يتركه النسوى إلا »
 « فى أوقات قليلة نادرة ، كان يؤدي له فيها بعض المهمات الخاصة التي يكلفه »
 « بها . وقد كان إلى جواره ليلة هربه ، حينما هم به أحد الأكراد المتوحشين »
 « وكاد يقتله بطعنة من خنجره . »
 « وشاهد النسوى معظم الأحداث التي رواها في كتابه ، بل وساهم فيها فعليا »
 « بعض المساهمة ، حتى يمكننا أن نقول أن كتابه عن سيرة جلال الدين إنما »
 « هو من باب المذكرات الشخصية الصحيحة ؛ لأن النسوى استطاع ، بفضل »
 « تقريب السلطان له ، وبفضل علاقاته الوثيقة مع أعظم شخصيات المملكة ، »
 « أن يرى الأشياء على حقيقتها ، وأن يكشف عن عللها وأسبابها . ولما كان »
 « معروفا أنه لم يؤلف كتابه إلا بعد موت سيده بعشر سنوات ، فمن الواضح »
 « الأكيد أنه استطاع أن يتحدث عنه وعن الموضوعات التي ذكرها بصراحة »
 « تامة وجراً كاملة ؛ وإذا لاحظنا أحيانا أنه يتحفظ بعض التحفظ عندما يعرض لنقد »
 « بعض الأمور ، فما ذلك إلا لأنه كان يخشى أن يتهم بالجحود ونكران الجليل »
 « إزاء صاحب الفضل عليه ، ولأنه أيضا كان يحرص في هذه الفترة على سمعة »
 « بعض أصدقائه وأصحابه . ولكنه رغم هذا التحفظ لم يستطع أن يخفى »
 « مشاعره الحقيقية وأراءه الشخصية . ولا شك أن النحو الذي نحاه من حيث »
 « التوسط والاعتدال ليدل دلالة واضحة على صدقه وإخلاصه . »

- « ولم يقنع النسوى بأن يصف لنا ما رآه ، أو أن يروى لنا ماصع ، بل »
 « أجهد نفسه في فهم الحوادث التي ذكرها واستقصاء أسبابها وتبعية نتائجها ، »
 « وهى نتائج عجيبة ، تبين أهميتها إذا رجعنا إلى دراسة هذه الفترات اللوغلة »
 « فى القدم . »
 « ويدولى أنه — مع إعجابه بكتاب الكامل لابن الأثير — قد تحقق مما »
 « فى هذا الكتاب من جمود يدعو إلى الملل والسأم ، خاول فى كتابه أن »
 « يبرهن للناس أن فى الإمكان كتابة التاريخ بأسلوب آخر ، يكون أكثر »
 « تشويقا وأشد أسرا ، بحيث يشبع الفضول ويرضى العقول . »
 « وكان النسوى بارعا فى استعمال اللغة العربية وإجادة الإنشاء فيها ، ولكن »
 « مما لاشك فيه أن قارئه ما زال يحس بشيء من الأثر الفارسي ، قد تخلف فى »
 « أسلوبه وتعبيره . »

٣ — كتاب التراجم

ابن خلدون :

إذا انتقلنا الآن إلى ذكر « كتاب التراجم » فإن « ابن خلدون » يحتل المكانة الأولى بينهم؛ ولا يقتصر شأنه فى ذلك على كتاب التراجم من معاصريه بل بالنسبة إلى كتاب المسلمين عامة . فكتابه المشهور « وفيات الأعيان » الذى بدأ فى تصنيفه فى القاهرة فى سنة ٨٥٤ هـ = ١٢٥٦ وانهى منه فى سنة ٨٧٣ هـ = ١٢٧٤ م يعتبر من أوائل كتب المراجع التى يحرص على اقتنائها كل مستشرق مبتدئ .

وقد نشره فى طبعة على الحجر المستشرق « وستفالد » من سنة ١٨٣٥ إلى سنة ١٨٤٣ م وطبع بعد ذلك مرتين على الأقل فى مصر (١) كما أن القارئ الإنجليزى يستطيع

(١) الترجمة : طبع هذا الكتاب عدة مرات فى مصر وآخر طبعة له صدرت فى سنة ١٩٤٩ م . وقد طبع أيضا فى « إيران » .

الاطلاع على ترجمته الإنجليزية التي قام بها البارون «دى سلان» ونشرها بلندن في أربعة مجلدات من سنة ١٨٤٣ إلى سنة ١٨٧١ م.

وكان «ابن خلكان» من سلالة البرامكة وقد ولد في إربل في سنة ٥٦٠ هـ = ١٢١١ وأقام بها حتى بلغ الثامنة عشرة من عمره ثم انتقل إلى حلب ثم إلى دمشق ثم إلى القاهرة ثم إلى الاسكندرية حيث تولى كثيرا من المناصب التعليمية والقضائية. وقد أدركته منيته أخيرا في سنة ٥٦٨ هـ = أكتوبر سنة ١٢٨٢ م وقد اشتغل الكتاب بعد ذلك بكتابة الإضافات والزيادات التي ألحقوها بمجمعه الكبير «وفيات الأعيان» فكتب «الموفق فضل الله الصقاعي» ملحقا بلغ به سنة ٥٧٢٦ هـ = ١٣٢٥ م وكتب «ابن شاكر» ملحقا آخر [مات سنة ٥٧٦٤ هـ = ١٣٦٢ م] وقد نقل هذا الكتاب إلى الفارسية، نقله يوسف ابن محمد بن عثمان في سنة ٥٨٩٦ هـ = ١٤٩٠ م، ثم «كبير بن أويس بن محمد اللطيفي» في أيام السلطان سليم العثماني الذي حكم بين سنتي ٩١٨ - ٩٢٦ هـ = ١٥١٢ - ١٥١٩ م

فإذا انتقلنا الآن إلى «كتب التراجم» التي تذكر طائفة خاصة من الناس أو جماعة من أصحاب الحرف، فإننا نجد لزما علينا أن نذكر منها مؤلفين بالعربية وثالثا بالفارسية وهي جميعا من مؤلفات هذا العصر ونقصد بهذه الكتب الثلاثة ما يأتي:

(أ) تاريخ الحكماء: للقفطي بالعربية

(ب) طبقات الأطباء: لابن أبي أصيبعة بالعربية

(ج) لباب الألباب: لمحمد عوفى بالفارسية وهو في جزءين

طبع الأول منهما في سنة ١٩٠٣ والثاني مازال في المطبعة (٢)

فلنمض الآن في دراسته هؤلاء الكتاب الثلاثة متبعين نفس النهج الذي اتبعناه فيما سبق.

(٢) المترجم: بدأ «براون» بطبع الجزء الثاني من هذا الكتاب في سنة ١٩٠٣ م ثم طبع الجزء الأول سنة ١٩٠٦ م

النفطى

ولد « جمال الدين أبو الحسن على بن يوسف القفطى » فى مدينة « قفط » من صعيد مصر فى سنة ٥٦٨ هـ = ١١٧٢ م وقد جاء آباؤه أصلاً من مدينة السكوفة، أما أمه فيرجع نسبها إلى قبيلة قضاة العربية الكبيرة. وقد اهتم بتحصيل علومه حتى الخامسة عشرة من عمره فى مدينتى القاهرة وقفط ثم اختار « صلاح الدين الأيوبي » والده « يوسف » ليتولى القضاء فى مدينة القدس فأنصل بأسرته فى القدس وأقام فيها حتى إذا كانت سنة ٥٩٨ هـ = ١٢٠١ م ذهب يوسف إلى « حران » وكانت منذ العصر العباسى الأول مشهورة بأنها مركز هام من مراكز الدراسات الفلسفية اليونانية فى آسيا بحيث سميت باسم « هيلنوبوليس » فاشتغل بها وزيراً للملك الأشرف ، ثم أدى فريضة الحج وذهب إلى اليمن حيث مات فى النهاية فى سنة ٦٢٥ هـ = ١٢٢٧ م .

أما ابنه ، وهو المؤلف الذى نعى به فى هذا المقام، فقد انتقل فى تلك الأثناء إلى « حلب » حيث تولى وزارة المالية بها ولقب باسم « القاضى الأكرم » ويبدو لى أن أمره لم يقتصر على كونه موظفاً كفءاً أميناً وباحثاً عالمياً يجد فى طلب المعرفة . بل كان بالإضافة إلى ذلك من أكبر المعينين لرجال العلم ، وقد كان الجغرافى « ياقوت » واحداً من هؤلاء الذين شملهم عطفه ورعايته عندما فر أمام غارة المغول من خراسان إلى ناحية المغرب كما سبق لنا أن ذكرنا . ذلك فى موضعه . وكان القفطى حريصاً بكل الحرص على أن يوفر لنفسه أوقات الفراغ ليتابع فيها دراساته ولكنه اضطر فى سنة ٦٣٤ هـ = ١٢٣٦ م أن يقبل الاشتغال لثالث مرة بالمناصب الحكومية فتولى الوزارة للملك العزيز وتوفى بعد اثنتى عشرة سنة وهو ما زال وزيراً فى سنة ٦٤٦ هـ = ديسمبر ١٢٤٨ م . ويجد القارىء تفاصيل أوفى مما ذكرت عن حياة « القفطى » ، مذكورة فيما كتبه الدكتور « ليرت Dr. Lippert » فى مقدمته التى قدم بها . طبعته التى نشرها الكتاب « تاريخ الحكماء » وقد استقى معظم أخباره من معجم الأديباء لياقوت (وهذا المعجم يعد الآن للطبع ضمن سلسلة جيب التذكارية الأستاذ مرجوليوث

الأستاذ بجامعة أكسفورد^(١) وقد أوجمل رأيه في «القفطى» فوصفه بأنه الصورة العربية لـ « ولهم فون هوبولد »^(٢) .

وقد كتب « القفطى » كثيرا ، واستطاع باقوت ، وقد توفي قبله بما يقرب من عشرين سنة ، أن يذكر لنا عناوين عشرين مؤلفا من مؤلفاته، ضاعت جميعها تقريبا كما يقول « مولر Müller » في غارة المغول على مدينة حلب في سنة ٦٥٩ هـ = ١٢٦٠ م . وفي رأى الدكتور ليرت أن كتابه « تاريخ الحكماء » في صورته الحاضرة ما هو إلا مختصر من الكتاب الذى وضعه أصلا بهذا الاسم . والكتاب في صورته الحاضرة يشتمل على ٤١٤ سيرة من سير الفلاسفة والأطباء والرياضيين والمنجمين الذين ظهرُوا في مختلف العصور التاريخية منذ أقدم الأزمنة حتى زمان المؤلف، وهو غنى بالمعلومات الهامة التى تساعد على دراسة تاريخ الحكمة والفلسفة. وقد استفاد به كثير من معاصريه ومن تبعهم ، نخص منهم بالذكر « ابن أبى أصيعة » و « ابن العبرى » و « أبى القدا » . والكتاب مرتب على الحروف الهجائية ولم يرتب وفقاً للترتيب الزمنى .

ابن أبى أصيعة :

ولد « ابن أبى أصيعة » مؤلف « طبقات الأطباء » في مدينة دمشق في سنة ٦٠٠ هـ = ١٢٠٣ م ودرس الطب فيها وفي القاهرة ثم مات فى موطنه فى سنة ٦٦٩ هـ = يناير ١٢٧٠ م وقد اشتغل كوالده بصناعة الطب واختص على وجه الدقة بطب العيون ، وقد ذكر « ابن أبى أصيعة » بين أساتذته العالم النباتى والطبيب المشهور « ابن البيطار » . وقد اشتغل فترة من حياته بإدارة إحدى المستشفيات التى أنشأها « صلاح الدين الأيوبي » فى مدينة القاهرة .
أما كتابه « طبقات الحكماء » فقد نشره « مولر » فى مدينه « كونجزبرج »

(١) المترجم: آثم الأستاذ المرحوم مرجوايو تبطع هذا الكتاب فى سلسلة جب التذكارية
كما طبعت هذا المعجم فى مصر .
(٢) اسمه بالحروف اللاتينية :
Wilhelm von Humboldt.

فى سنة ١٨٨٤ م كما نشر بالقاهرة فى سنة ١٨٨٢ م ، وتوجد له نسخة خطية قديمة يرجع تاريخ نسخها إلى سنة ٦٩٠ هـ = ١٢٩١ م وهى ضمن مجموعة مخطوطات « شيفر » المحفوظة بالمكتبة الأهلية بمدينة باريس ، وقد اعتمد « وستفيلد » اعتمادا كلياً على كتاب ابن أبى أصيعة فى تأليف كتابه « تاريخ الطب والنبات عند العرب »^(١)

محمد عوفى :

الكتاب الجدير بالذكور بعد ذلك هو « محمد عوفى » مؤلف كتاب « لباب الألباب » الذى أشرنا إليه كثيراً فى هذه الفصول ، وهو كذلك مؤلف مجموعة من الحكايات بعنوان « جوامع الحكايات ولوامع الروايات » .

وهو يقرر فى القسم الأول من كتابه الأخير أنه استمد نسبه فعرف باسم « العوفى » نسبة إلى « عبدالرحمن بن عوف » أحد صحابة النبي لأنه كان من سلالة . وقد أمضى « العوفى » معظم طقوله فى خراسان وما وراء النهر وخاصة فى مدينة « بخارى » ، ثم رحل عن هذه المدينة إلى الهند فالتحق بخدمة السلطان « ناصر الدين قباچه » وأهدى إلى وزيره « عين الملك حسين الأشعري » معجمه الذى صنّفه عن شعراء الفرس باسم « لباب الألباب » . فلما فقد هذا السلطان ملكه وحياته فى سنة ٦٢٦ هـ = إبريل ١٢٢٨ م انتقل « العوفى » كما فعل المؤرخ « منهاج السراج » إلى خدمة السلطان الذى قهره [شمس الدين ايلتمش] وأهدى إليه كتابه « جوامع الحكايات » . هذا هو جاع ما نعرفه عن العوفى ، بالإضافة إلى بعض التفاصيل الأخرى المتعلقة بتواريخ زيارته لختلف البلاد وأفاضل الشعراء وأكابر الناس .

أما كتابه « جوامع الحكايات » فلم يطبع حتى الآن^(٢) ونسخه الخطية غير قليلة

(١) أنظر كتاب : Wüstenfeld : Geschichte der Arabischen Aerzte und Naturforscher Göttingen, 1840.

(٢) المترجم : أوفى ما كتب عن هذا الكتاب حتى الآن هو ما كتبه « محمد ناظم الدين » الأستاذ بالجامعة العثمانية فى حيدر أباد . وقد نشر كتابه عن هذا الموضوع فى مدينة لندن سنة ١٩٢٩ بعنوان : Introduction to the Jawami u'l - Hikayat

ولانادرة ومن بينها نسخة قديمة تخصها بالذكر كانت من ممتلكات «السيروليم جونز» وهي الآن محفوظة بمكتبة إدارة الهند تحت رقم (٧٩ W).

وهذا الكتاب عبارة عن مجموعة واسعة من الحكايات ، تختلف في قيمتها وجالها ، وهو مقسم إلى أربعة أقسام ، كل قسم منها يشتمل على خمسة وعشرين بابا ، وكل باب منها يشتمل على مجموعة من الحكايات تصور موضوعه وتفسره . وأسلوب الكتاب سهل بسيط ، وهو في هذا يختلف تماما عن الكتاب الآخر الذي ألفه العوفي قبل ذلك ، وهو أهم كتابيه ، ونعني به «لباب الألباب» . فهذا الكتاب يعتبر أقدم كتب التراجم التي كتبت عن شعراء الفرس . وقد ذكر ذلك «بلاند» في مقاله التي وصف بها إحدى النسختين المخطوطتين الموجودتين في أوروبا (١) وقد انتفع بهذا الكتاب الدكتور «إتبه» انتفاعا بالغا في تأليف مقالاته العديدة الفائقة التي كتبها عن شعراء الفرس المبكرين . ولم يكن هذا الكتاب في متناول الباحثين حتى أصدرت طبعي له ، فظهر المجلد الثاني منه في سنة ١٩٠٣ وسيظهر المجلد الأول منه في خلال سنة ١٩٠٦ م . وكتاب «لباب الألباب» يعتبر من أهم الكتب في تاريخ الأدب الفارسي بالنظر إلى قدمه وبالنظر إلى ما أورده من تراجم بعض الشعراء الذين كادت أخبارهم تدرس كلية ولم يرد قبل ذلك ذكر عنهم ، ولكنه رغم ذلك كله مخيب للآمال من عدة وجوه ، فالأخبار التي رواها عن الشعراء خالية من التواريخ الدقيقة أو التفاصيل الممتعة ، وقد استعاض المؤلف عن

(١) نشرت مقالة بلاند Bland في الجزء التاسع من مجلة الجمعية الملكية الآسيوية في سنة

١٨٢٨ أما المخطوط الذي تحدث عنه فقد أعاره له صديقه «جون باردون اليوت John Bardon Elliot» فلما مات اشتراه مع سائر كتبه اللورد كروفورد Lord Crawford في سنة ١٩٠١ ثم باعه ابنه اللورد كروفورد الحالي مع سائر مخطوطاته الشرقية إلى «المز ريلاندز Mrs Reylands» من أهالي منشستر فوضعت في مكتبة جون ريلاندز بهذه المدينة أما المخطوطة الأخرى الموجودة في أوروبا من نسخ هذا الكتاب فهي ضمن مجموعة سبرنجر Sprenger المحفوظة في مكتبة براين ، وكانت في الأصل من ممتلكات ملك أود . وقد استخدمت هاتين المخطوطتين في إعداد طبعي لهذا الكتاب فأصدرت الجزء الثاني منه أولا في سنة ١٩٠٣ ويكاد الجزء الأول منه يتم الآن وأنا أكتب في إبريل سنة ١٩٠٦ . ولابد أن هذا الكتاب توجد له مخطوطة ثالثة على الأقل في إيران لأن «رها قليخان» استعمله كثيرا في تصنيف كتابه «مجمع القصص» المطبوع على الحجر في طهران سنة ١٨٧٨ م

ذلك بشحنها بالعبارات البلاغية والمحسنات اللفظية ، كما أن مختاراته التي استشهد بها من أقوال الشعراء تعتبر من المختارات الرديئة الحالية من الذوق والجمال ، يضاف إلى ذلك أنه أهمل ذكر جماعة من الشعراء المشهورين مثل «ناصر خسرو» و«عمر الخيام» بينما أقاض في نهاية الجزء الأول في ذكر جماعة من متوسطى الحال أخذ ينعمهم بمختلف الأوصاف ويطنل في أخبارهم بغير ما داع أو سبب ، إلا أنهم كانوا من معاصريه الذين التحقوا مثله بخدمة السلطان «ناصر الدين قباچه» . وفيما عدا ذلك فإن هذا الكتاب يعتبر من كتب الدرجة الأولى لأنه يشتمل على ما يقرب من ثلثائة ترجمة من تراجم شعراء الفرس الذين ظهروا قبل أن يشتهر اسم «السعدي» ، ومتى أحسنا الارتفاع به فستزيد معلوماتنا كثيرا فيما يختص بهذه الفترة المبكرة من فترات الأدب الفارسي . ومع ذلك كله فمن العسير أن يتفادي المرء شعوره بالضيق وإحجية عندما يفكر قليلا في أن المؤلف كان في استطاعته بما مهد له من وسائل ، أن يجعل مؤلفه أبلغ أثرًا وأشمئل نفعا^(١) .

٤ - أصحاب التواريخ المحلية

ابن اسفنديار

نتنقل الآن إلى الحديث عن «التواريخ المحلية» فنقول إن أهم ما ألف منها في هذه الفترة باللغة الفارسية هو «تاريخ طبرستان» تأليف «محمد بن الحسن بن اسفنديار» . ولستنا نعرف إلا القليل عن حياة المؤلف ، وكل ما نعرفه عنه هو عبارة عن الأخبار المتفرقة التي يرويها عرضاً عن نفسه في صفحات كتابه . ويستفاد من هذه الأخبار أنه عاد من بغداد إلى مدينه الري في سنة ٦٠٦ هـ = ١٢٠٩ م ، وأنه وجد هناك في مكتبة الملك «رستم بن شهریار» النسخة العربية من «تاريخ طبرستان»

(١) المترجم : تم طبع الجزئين وهما الآن من أهم المراجع التي يعتمد عليها الباحثون في دراسة شعراء الفرس

وهي التي قام بتأليفها «اليزدادي» في أيام «قابوس بن وشمكير» سنة ٣٦٦-٤٠٣ هـ = ٩٧٦-١٠١٢ م فأخذ هذه النسخة العربية ، واعتمد عليها في وضع كتابه الفارسي .

ثم اضطر «ابن اسفنديار» بعد فترة وجيزة إلى العودة إلى مدينة «آمل» ثم انتقل منها إلى مدينة «خوارزم» وحدثنا عن حالها في تلك الفترة فوصفها بأنها مدينة عامرة برجال العلم والأدب . وقد بقي في «خوارزم» فترة لا تقل عن خمس سنوات اكتشف في خلالها كثيراً من الأخبار المتصلة بموضوع مؤلفه ، فجمعها وأدخلها فيه لأنه كان حتى هذا الوقت مشتغلاً بإكمالها في سنة ٦١٣ هـ = ١٢١٦ م .

بعد ذلك تنقطع أخباره فلا نعرف عنه شيئاً ، ولا نستطيع أن ندلى برأى فيما إذا كان قد هلك على يد الغول أثناء غارتهم على خوارزم في سنة ٦١٧ هـ = ١٢٢٠ م . أو إذا كان قد نجى بحياته فعاد قبل ذلك إلى موطنه «مازندران» .

ولست في حاجة إلى تفصيل القول عن كتابه لأن فائدته يمكن التحقق منها بمراجعة الترجمة المختصرة التي نشرتها له في المجلد الثاني من «سلسلة جب التذكارية» وكل ما يمكن أن يقال عنه هو أن أجزاءه الأولى تشتمل على كثير من الأمور المتصلة بالأساطير ، ولكنه متى وصل إلى العصر الإسلامي فإنه يفيض في ذكر الحقائق التاريخية والجغرافية والأخبارية ، وخاصة التفاصيل المتعلقة بسير الرجال المحليين من أصحاب الشهرة والصيت ، سواء أقاموا في طبرستان أم خارجها ، وعلى الخصوص سير الشعراء الذين أنشأوا أشعارهم في اللهجة الطبرية ، وهي لهجة يبدو أنها كانت مستعملة في طبرستان استعمالاً واسعاً بحيث أصبحت لهجة أدبية متعارفاً عليها . وقد انتهى «ابن اسفنديار» من تاريخه في الحد الطبيعي الذي قدر له ، أي بوفاته «رستم بن أردشير» في سنة ٦٠٩ هـ = ١٢٠٩ م ، لكن بدأ متأخرة استطاعت أن توصل سجل الأخبار المروية فيه إلى سنة ٧٥٠ هـ = ١٣٤٩ م .

والتواريخ المحلية الشبيهة بتاريخ «ابن اسفنديار» كثيرة ووفيرة ، وهي تؤلف في مجموعها قسماً متميزاً من أقسام الأدب الفارسي . ولدينا منها على سبيل المثال تواريخ متعلقة بـ «أصفهان» و «شيراز» و «يزد» و «قم» و «هراة» و «سجستان» و «شستر» وظائفة أخرى من المدن الإيرانية ، كما أن لدينا منها عدداً آخر ألف عن

«طبرستان» نفسها. وقد نشر «دورن Dorn» طائفة كبيرة من هذه المجموعة الأخيرة، ولكن أغلبها ما زال خطيا، ولم ينشر منها في بلاد الشرق إلا مجموعة قليلة طبعت على الحجر.

بالإضافة إلى ذلك يوجد نوع آخر من هذه التواريخ المحلية يمكن وصفه على وجه الدقة بأنه عبارة عن «معجم محلى» مرتب في الغالب على حسب الحروف الهجائية، ويشتمل على سير الرجال النابهين الذين ظهرُوا في بلدة بعينها أو في ولاية بعينها. وقد ألف «ابن الخطيب البغدادي» للولود في سنة ٣٩٣ هـ = ١٠٠٢ م والتوفى في سنة ٤٦٣ هـ = ١٠٧١ م كتابا من هذا النوع باللغة العربية ذكر فيه رجال العلم والأدب في بغداد، وجعله في أربعة عشر مجلدا^(١)، فلما كانت الفترة التي تحدث عنها في هذا الفصل أضاف إليه «أبو عبد الله محمد الديني» المتوفى سنة ٦٣٧ هـ = ١٢٣٩ م ملحقا كتبه أيضا باللغة العربية. وهذا الملحق فيما نعلم غير موجود بتمامه، ويوجد منه جزء في باريس، كما يوجد جزء آخر قد يكون من بين أجزائه فيما أعتقد في مكتبة كامبردج. وهذا الجزء الأخير منسوبة كتابته، كما يبدو على الغلاف إلى «ابن الخطيب» نفسه، وقد ذكرت فيما سبق أنه توفي في سنة ٤٦٣ هـ = ١٠٧١ م فإذا كان هذا الجزء يشتمل على أخبار مروية عن سنة ٦١٥ هـ = ١٢١٨ م فمن الواضح الجلي أنه ليس من تأليف «ابن الخطيب» نفسه، بل هو ملحق كتب في زمن متأخر، وإذا لاحظنا أيضا أن هذا الجزء كبير الحجم إلى درجة ملحوظة، ولكنه لا يشتمل إلا على جزء من حرف «العين» فمن السهل أن تتصور أن هذا الملحق كان بالغ الطول مفرطا في الضخامة.

(١) للترجم : طبع هذا الكتاب برمته في القاهرة في مطبعة السعادة في سنة ١٣٤٩ هـ الموافقة سنة ١٩٣١ م.

٥ - الجغرافيون والرحالون

[الكتب الجغرافية وكتب الأسفار]

ننتقل الآن إلى دراسة الكتب الجغرافية وكتب الأسفار التي كتبت في هذه الفترة . وسأقتصر في هذا المقام على ذكر ثلاثة منها كتبت جميعا باللغة العربية .

ياقوت :

وأهم هذه الكتب مرجع أشرت إليه كثيرا في الفصل السابق، وهو المعجم الجغرافي الواسع الذي ألفه ياقوت بعنوان « معجم البلدان » وقد طبعه « وستنفلد » في ستة أجزاء من سنة ١٨٦٦ إلى سنة ١٨٧١ م^(١) .

وقد ولد « ياقوت بن عبد الله » في سنة ٥٧٥ هـ = ١١٧٩ م من أبوين يونانيين ومن أجل ذلك سمى بالرومي . كما إنه في طفولته كان عبدا بالشراء لتاجر من تجار مدينة « حماة » ومن أجل ذلك نسب إليها ف قيل « الحموي » وقد تمكن ياقوت من أن ينال قسطا وافرا من التعليم ، وأن يحوِّب كثيرا من الديار بحيث شملت أسفاره الأقطار الممتدة جنوبا بشرق حتى جزيرة « كيش » في الخليج الفارسي ، والأقطار الممتدة شمالا بشرق حتى « خراسان » و « مرو » حيث دأب على الاشتغال في مكتباتها العامرة التي امتازت بها هذه المدينة الزاهرة ، حتى إذا كانت غارة المغول أضطر إلى الهرب إلى « الموصل » واستطاع في ربيع عام ٦٢١ هـ = ١٢٢٤ م أن يكمل مؤلفه الواسع « معجم البلدان » . وهذا الكتاب مرجع من أهم المراجع التي يعتمد عليها الباحثون في كل ما يتعلق بجغرافية الأنحاء الغربية من آسيا ، وفي كثير مما يتعلق بتاريخها ، وهذه الأمور ، وخاصة ما يتعلق منها بإيران ، لم يكن من السهل ، لغير المستشرقين ، مراجعتها إلا فيما كتبه باريبه دي منار في « معجمه الجغرافي التاريخي

(١) المترجم : هذه هي الطبعة الأوروبية وقد طبع الكتاب في ثمانية أجزاء في القاهرة بمطبعة السعادة في اختتام سنة ١٣٣٣ هـ وافتتاح سنة ١٩٠٦ م .

الأدبي لبلاد إيران والبلاد المصاحبة»^(١). وقد ألف ياقوت كتابين آخرين في الجغرافيا هما :

(١) مرصد الأطلاع : وقد طبعه « جوينبل Juynboll » في مدينة ليدن من سنة ١٨٥٠ إلى سنة ١٨٦٤ م .

(ب) المشترك : وهو كتاب يذكر فيه أسماء البلاد المشتركة في أسمائها ، وقد تم طبعه بمجهود « وستنفلد » في مدينة « جوتنجن » في سنة ١٨٤٦ م .

بالإضافة إلى هذه الكتب صنف « ياقوت » معجما مشتملا على سير الأدباء وأسماء « معجم الأدباء » ستطبع أجزاءه بواسطة الأستاذ « د . س . مارجوليوت » ضمن « سلسلة جب التذكارية »^(٢) . وله كتاب آخر في الأنساب .

وقد كتب « فون كزيمر » مقالة طيبة عن ياقوت فيها تقدير جميل له في الجزء الثاني من كتابه الممتع^(٣) « تاريخ الأدب الشرق » ص ٤٣٣ — ٤٣٦ .

الفزويني :

الجغرافي الآخر الذي لا يبلغ مرتبة ياقوت من الناحية العلمية ، هو « زكريا بن محمد بن محمود الفزويني » وقد ألف كتابين نشرهما « وستنفلد » في سنتي ١٨٤٨ و ١٨٤٩ م . وأول هذين الكتابين عنوانه « عجائب المخلوقات » وهو يشتمل على بيان التقويم الشمسي والنجوم والإجرام السماوية والحيوانات والنباتات والمعادن وكذلك كل ما يتعلق بالوحوش والحيوانات الخرافية المختلفة . وأما كتابه الثاني فهو

(١) أنظر : Barbier de Meynard : Dictionnaire Geographique, historique et Litteraire de la Perse et des contrées adjacentes Paris 1871.

(٢) الترجمة : تم طبع « معجم الأدباء » ضمن « سلسلة جب التذكارية » وقد طبعه بالقاهرة وتولى طبعه الدكتور أحمد فريد رفاعي في عشرين جزءا في سنة ١٣٥٥ هـ = ١٩٣٦ م

(٣) أنظر : Von Kremer ; Culturgeschichte des Orients

« آثار البلاد » وهو عبارة عن وصف علمي بقدر الاستطاعة للمدن والبلاد المعروفة للعالم الإسلامي في هذا الزمان ، وقد رتبته المؤلف وفقا لحروف الهجاء وتبعاً لأقاليم الدنيا السبعة ، فابتدأ بالإقليم الأول وهو المصائب لخط الاستواء ثم اختتمه بالإقليم السابع وهو الذي يتضمن جميع البلاد الواقعة إلى أقصى الشمال .

وكتاب « عجائب المخلوقات » هو أكثر هذين الكتابين ذكراً وأوسعهما انتشاراً في بلاد الشرق ، وتوجد منه نسخ خطية كثيرة مزدانة في الغالب بتصاوير كثيرة منقولة عن أصله العربي أو عن ترجمته الفارسية .

أما كتاب « آثار البلاد » فهو أهم الكتابين وأكثرهما متعة ، ويرجع ذلك إلى أنه يشتمل على كثير من الأخبار الجغرافية النافعة ، وإلى أنه كذلك يشتمل على كثير من الأخبار المتصلة بتاريخ الرجال الذين ورد ذكرهم بمناسبة الحديث عن بلدانهم ، ومن بين هؤلاء عدد كبير من شعراء الفرس من أمثال « الأنورى » و « عسجدى » و « أوحد الدين الكرمانى » و « فخرى الجرجانى » و « فرخى » و « الفردوسى » و « جلال طيب » و « جلال خاورى » و « خاقانى » و « أبو طاهر الخاتونى » و « مجير البيلقانى » و « ناصر خسرو » و « نظامى الكنجوى » و « عمر الخيام » و « أبو سعيد بن أبى الخير » و « ستائى » و « شمس طبسى » و « عنصرى » و « رشيد الدين الوطواط » .

والأخبار الجغرافية التى ترد فى هذا الكتاب لا تبلغ من حيث الدقة مبلغ ما رواه « ياقوت » وغيره من الجغرافيين المبكرين ، ولكنها مع ذلك مشحونة بالأخبار الممتعة المسلية . ومن الغريب أن الكتاب لم يرد به ذكر إطلاقاً لانهجرتا ولكنه يشتمل على مقالة عن إيرلنده وردت ضمن كلامه عن الإقليم السادس مع وصف مجمل لصيد الحيتان ، وكذلك يشتمل على مقالة مطولة عن مدينة روما . وعندما تعرض المؤلف لذكر الإقليم السابع تحدث عن الطقوس التى يتبعها الفرنج فى النار والماء والمعارك ، وعن السحر والسحرة وإحراق المشعوذين ، وعن « الخليج القارنجى Varangian Fiord » فى أقصى الشمال . وفى رأى أننى لم أصادف بين الكتب العربية كتاباً ممتعاً جيداً بالقراءة مثل هذا الكتاب . وإذا راعينا الدقة التامة

وجب علينا أن نقول إن هذا الكتاب يخرج عن دائرة الفترة التي تتناولها بالبحث في هذا المؤلف . لأن نسخته الأولى تم تأليفها في سنة ٦٦٢ هـ = ١٢٦٣ م بينما لم تتم نسخته الثانية [وهي نسخة مزيدة ومنقحة] إلا بعد ذلك بثلاث عشرة سنة أي في سنة ٦٧٥ هـ = ١٢٧٦ م . وقد ولد القزويني في مدينة « قزوين » من بلاد إيران في سنة ٦٠٠ هـ = ١٢٠٣ م وأقام فترة من حياته في مدينة « دمشق » ، وتولى القضاء في أيام الخليفة « المستعصم » آخر الخلفاء العباسيين فصبوه قاضيا على « واسط » و « الحلة » ثم توفي في سنة ٦٨٢ هـ = ١٢٨٣ م .

ومن الجدير أن نذكر أيضا إنه أهدى كتابه « عجائب المخلوقات » إلى « عطا ملك الجويني » مؤلف كتاب « تاريخ جهانگشا » .

ابن جبير:

والآن يجدر بنا أن نتحدث حديثا مختصرا عن الرحالة « ابن جبير » وهو الرحالة الذي نشر أسفاره الأستاذ المرحوم « و . رايت Wright » في مدينة ليدن سنة ١٨٨٢ م . كان « ابن جبير » من أهالي « غرناطة » وقد فاز بشهرة عريضة عرف . بأنه كاتب مجيد وشاعر مجيد أيضا . وقد سافر إلى الشرق ثلاث مرات ، أدى في كل مرة منها فريضة الحج إلى مكة . وقد بدأ أولى أسفاره في ٥٧٩ هـ = ٤ فبراير سنة ١١٨٣ م وعاد إلى موطنه في ٥٨١ هـ = نهاية أبريل سنة ١١٨٥ م . ثم وقعت بعد ذلك مدينة « بيت المقدس » في يدي « صلاح الدين » فدفعته هذه الأنباء إلى القيام برحلته الثانية فشرع فيها في ٥٨٥ هـ = أبريل ١١٨٩ م وانتهى منها في ٥٨٦ هـ = أواسط سبتمبر سنة ١١٩٠ م . ثم ماتت زوجته وكان يحبها حبا شديدا فدفعه الحزن عليها إلى القيام برحلته الثالثة فخرج من « سبتة: Cueta » إلى « مكة » وبقى في « مكة » فترة من الزمن ثم غادرها إلى « بيت المقدس » و « القاهرة » و « الاسكندرية » حيث توفي في هذه المدينة الأخيرة في ٦١٤ هـ = ٢٩ نوفمبر سنة ١٢١٧ م ولم يترك لنا « ابن جبير » إلا حديثه عن الرحلة الأولى من هذه الرحلات الثلاث .

٦ - الفلاسفة

وإذا انتقلنا الآن إلى الحديث عن الفلاسفة فإن أهم فيلسوفين ظهر في هذه الفترة وسبق لنا الإشارة إليهما في الفصل السابق من هذا الكتاب هما :
« فخر الدين الرازي » و « نصير الدين الطوسي »

فخر الدين الرازي :

ولد « الرازي » في ٥٤٤ = ٧ فبراير سنة ١١٤٩ م ؛ ثم أخذ في تحصيل علومه في موطنه أي مدينة « الري » وكذلك في بلدة « المراغة » ثم رحل إلى « خوارزم » وما وراء النهر وانتهى به المطاف إلى مدينة « هراة » حيث أدركته الوفاة في ٦٠٦ هـ = ١٢٠٩ م . وقد كان إنتاجه الأدبي كبيراً شمل كثيراً من الموضوعات فكتب عن تفسير القرآن والحديث ، وكتب عن الفقه والفلسفة والنجوم والتاريخ والبلاغة كما صنف موسوعة في العلوم . وقد عدّ بروكلمان ثلاثة وثلاثين مؤلفاً من مؤلفاته^(١) لا زالت باقية برمتها أو أغلبها حتى الآن . وربما كان من آخر تأليفاته رسالة « في ذم الدنيا » كتبها في مدينة هراة سنة ٦٠٤ هـ = ١٢٠٧ م وقد ألف أحد مؤلفاته باللغة الفارسية وهو الكتاب الذي أهداه إلى ملك خوارزم « علاء الدين خوارزمشاه » وأسماء من أجل ذلك باسم « الاختيارات العلانية » كما أنه ألف أيضاً لهذا الملك نفسه موسوعة العلوم التي كتبها في سنة ٥٧٤ هـ = ١١٧٨ م .

نصير الدين الطوسي :

سبق لنا الإشارة إلى هذا الفيلسوف في الفصل السابق ، ونحن هنا نكتفي بأن نذكر أنه ولد في مدينة « طوس » كما تدل على ذلك نسبته في سنة ٥٩٧ هـ = ١٢٠٠ م^(٢)

(١) أنظر: Brockelmann: Gesch. d. Arab. Litt., vol I, pp 508—508

(٢) هكذا يقول « ابن شاعر » في كتابه « فوات الوفيات » أما بروكلمان فيقول إنه ولد في سنة ٦٠٧ هـ = ١٢١٠ م ولكني لا أعرف المرجع الذي اعتمد عليه في ذلك .

وقد اشتغل - كما رأينا - رغما عنه مع «الحشاشين» حتى إذا تم للفاتح المغولى «هولاكو» إخضاع قلعتي «الموت» و «ميمون دژ» انتقل «نصير الدين» إلى خدمته وأصبح موضعاً لتكريمه وتشريفه . وقد استفاد كثيراً من مصاحبته للجنش المغولى الذى حطم «بغداد» فاستغل فرصة العبث بالمكتبات وأغنى مكتبته الخاصة بحيث أصبحت فى النهاية تضم بين جدرانها أكثر من أربعائة ألف مجلد كما يقول «ابن شاكر»^(١) . وكان شديد التأثير فى مولاه المغولى التوحش «هولاكو» بحيث أصبح هذا الفاتح الهمجى لا يقدم على أمر من الأمور دون أن يستشير به بشأن حكم النجوم وملاءمة الوقت لتنفيذ ما يقدم عليه أو الأحجام عنه . وقد استطاع فى وقت من الأوقات أن يستغل الخرافات التى كان يؤمن بها «هولاكو» ويتقذ بذلك حياة «صاحب الديوان»^(٢) «علاء الدين الجوينى» وجماعة آخرين من الناس حكم عليهم بالإعدام . وقد ساعده فى بناء المرصد المشهور بمدينة «المرغة» ، وهو المرصد الذى بدأ بناؤه فى سنة ٦٥٨ هـ = ١٢٥٩ . جماعة من مشاهير العلماء ، ذكر أسماءهم جميعاً فى كتابه المعروف ، باسم «زيج إيلخانى» وقد مات «نصير الدين» فى مدينة بغداد سنة ٦٧٣ هـ = يونيه ١٢٧٤ م . ويمتاز «نصير الدين» بأنه كان كاتباً خصب الإنتاج فى الموضوعات الدينية والفلسفية والرياضية والطبيعية والمسائل المتصلة بأحكام النجوم وقد عد «بروكلان» مالا يقل عن ستة وخمسين مؤلفاً من مؤلفاته^(٣) وأغلب هذه المؤلفات مكتوب باللغة العربية ، وهى اللغة التى كانت حتى هذا العصر تعتبر «لاتينية العالم الإسلامى الشرقى» ولغة العلوم والفنون ، ولكنه أيضاً كتب جملة من مؤلفاته باللغة الفارسية؛ وكذلك أنشأ كثيراً من الأنعار فى هذه اللغة ، كما أشار إلى ذلك «ابن شاكر» مرتين عندما تعرض لترجمة حياته فى كتابه «فوات الوفيات»^(٤) .

(١) أنظر «فوات الوفيات» ج ٢ ص ١٤٦ .

(٢) الترجم : هذا التعبير كان من ألقاب الوزراء فى هذا الوقت .

(٣) أنظر: Brockelmann: Gesch. d. Arab. Litt., vol II pp. 508—512 .

(٤) أنظر الجزء الثامن ص ١٥١ .

ومؤلفاته المنشورة التي كتبها بالفارسية تتضمن الكتب الآتية :

- ١ - « أخلاق ناصري » : وهو كتاب مشهور في علم الأخلاق .
- ٢ - « ييست باب در معرفت اسطرلاب » : أي عشرون باباً في معرفة الاطرلاب
- ٣ - « رسالة سي فصل » : أي رسالة الفصول الثلاثين وتتضمن الحديث عن النجوم والتقويم السنوي .
- ٤ - « زيج ايلخاني » : وهو الزيج الذي ألفه لـ « هولاء كوخان »
- ٥ - « تنسوق نامه ايلخاني » : وهو عبارة عن رسالة في المعادن والأحجار الكريمة وكذلك ألف بالفارسية مجموعة من الرسائل المتصلة بالفلسفة والنجوم والرياضة ورسالة عن أخلاق التصوفة أسماها « أوصاف الإشراف » ورسالة أخرى عن « علم الرمل » .

أما مؤلفاته العربية فأهمها فيما أظن هو كتابه الذي كتبه عن الفلسفة الدينية بعنوان « تجريد العقائد » .

ويمكن الاطلاع على سائر مؤلفاته في « تاريخ الأدب العربي » تأليف « بروكلمان » وكذلك في « فوات الوفيات » لابن شاكر وفي « مجالس المؤمنين » وكتب أخرى .

وقد تمكن صاحب الكتاب الأخير من أن يورد في كتابه نقداً لاذعاً للطوسي نقله عن كتاب « تاريخ الحكماء » من تأليف الشهرزوري ، وفيه يعلن المؤلف أن شهرة « الطوسي » لا تعزى إلى مقدار ما امتاز به من فضل وإنما تعزى إلى حدة طبعه وكرهيته للمعارضة . وقد تحقق الناس من ذلك كما تحققوا من مدى السلطة التي يتمتع بها في حكومة « هولاء كو » فلزموا جانب الحكمة وامتنعوا عن تقديمه أو التعرض له والتقليل من شأنه .

ولم يبق من أشعاره الفارسية إلا أمثلة قليلة. وقد اقتصر « رضا قلي خان » على أن يورد لنا طائفة من أشعاره ، نقلها في كتابه الكبير « مجمع الفصحاء » ولكنها لا تزيد

على ست رباعيات ومقطوعة في بيتين اثنين . ويحسن بنا في هذه المناسبة أن نذكر أيضا أن صاحب «مجمع الفصحاء» قد نقل لنا في صفحة ٣٧٤ من الجزء الأول من كتابه خمسة رباعيات من نظم الفيلسوف الذي تقدم ذكره أي «فخر الدين الرازي» ولا يفوتنا أيضا أن نذكر اسم منجم آخر، جدير بالذكر «هو الجعفي الخوارزمي» نسبة إلى موطنه خوارزم . والمعتقد أن هذا المنجم قد توفي في سنة ١٢٢١هـ = ١٢٢١م ولكن هناك كثيرا من الشك في تحديد الفترة التي عاش فيها كما إن سائر مؤلفاته قد ضاعت باستثناء مؤلف واحد هو «الملخص» .

٧ - أصحاب التواليف العربية

ومن بين الكتاب الذين كتبوا باللغة العربية في هذه الفترة ، نكتفي بذكر الأسماء الآتية لجماعة منهم :

ابن ميمون

وهو الفيلسوف والطبيب اليهودي «أبو عمران موسى بن ميمون» من أهالي قرطبة ، وقد اشتغل في أواخر حياته طبيا له «صلاح الدين الأيوبي» ومات في سنة ١٢٠٤م = ١٢٠٤هـ . وقد ذكرناه لأهميته ولو أنه لا تربطه بإيران صلة من الصلات

البوني

كذلك يأتي من الغرب الشيخ «محيي الدين البوني» المتوفى ١٢٢٢هـ = ١٢٢٥م وهو من أشهر من كتبوا وانتجوا في «العلوم الباطنة»

ابن البيطار

وهو أيضا من الغرب ، من مدينة «ملاقة» وقد كان عالما بالنبات . ومات في مدينة دمشق في سنة ١٢٤٦هـ = ١٢٤٨م

النفاسي

وقد كتب عن المعادن والأحجار الكريمة وكذلك عن موضوعات أخرى متصلة بالفلسفة الطبيعية .

عز الدين الزنجباني :

وهو من علماء اللغة الذين ظهرُوا في هذه الفترة . وقد مات في مدينة بغداد في سنة ٦٥٥ هـ = ١٢٥٧ م وقد ألف كتابا في النحو العربي انتشرت نسخه بشكل عجيب .

جمال القرشي :

وقد ترجم إلى الفارسية القاموس العربي المشهور الذي ألفه « الجوهري » باسم « الصحاح » .

ابن الحاجب

وقد توفي في سنة ٦٤٦ هـ = ١٢٤٨ م وهو مؤلف الكتابين المعروفين في النحو العربي باسم « الكافية » و « الشافية » .

المطرزي :

وهو الكاتب الذي ولد في سنة ٤٣٥ هـ = ١١٤٣ م ، وهي السنة التي مات فيها « الزمخشري » ومن أجل ذلك فقد عرف باسم « خليفة الزمخشري » .

ضياء الدين بن الأثير :

وهو شقيق المؤرخ العظيم الذي اعتمدنا عليه كثيرا في كتابة هذا الكتاب وقد توفي في مدينة بغداد في سنة ٦٣٧ هـ = ١٢٣٩ م وله كتب كثيرة في اللغة العربية ، ربما كان أهمها « كتاب المثل السائر » .

محمد الدين بن الأثير :

وثالث هؤلاء الأخوة هو « محمد الدين بن الأثير » المولود في سنة ٥٤٤ هـ = ١١٤٩ م والتوفي سنة ٦٠٦ هـ = ١٢٠٩ م وقد كان محدثا وقصها استطاع أن يعطى بعض الشهرة والصيت .

اليضاوى :

اليضاوى أم هؤلاء جميعا ، واسمه « أبو عبد الله بن عمر اليضاوى » من مواليد إقليم فارس . وقد اشتغل فترة من حياته بالقضاء في مدينة « شيراز » وألف تفسيرا للقرآن مازال يعتبر أحسن التفاسير وأكثرها انتشاراً حتى هذا الزمان . وله أيضا مختصر ممل في التاريخ كتبه باللغة الفارسية باسم « نظام التواريخ » .

ياقوت المستعصى :

كذلك يعتبر من رجال هذه الفترة واحد من كبار الخطاطين الذين ظهرُوا في ديار الشرق وهو « ياقوت » الملقب بـ « المستعصى » لأنه اشتغل بخدمة الخليفة صاحب الحظ العاثر الذى سبق لنا بيان نهايته في خاتمة الفصل السابق .

وقد ذكر « ميرزا حبيب » في كتابه « خط وخطاطان » أى « الخط والخطاطون » ترجمة حياته (١) . وأشار إلى أنه توجد في القسطنطينية عاصمة الدولة العثمانية ثلاث نسخ من القرآن كتبها ياقوت بخط يده : الأولى مؤرخة سنة ٥٨٤ هـ = ١١٨٨ م وهى محفوظة في ضريح السلطان سليم ؛ والثانية مؤرخة سنة ٦٥٤ هـ = ١٢٥٦ م وهى محفوظة في جامع آيا صوفيا ، والثالثة مؤرخة سنة ٦٦٢ هـ = ١٢٦٣ م وهى محفوظة في ضريح الحميدية .

ويقال أن « ياقوت » ظفر بمائتي ألف مثقال من الذهب ، أجزأ لنسخة من « الشفاء » كتبها الملك دهلى « محمد تغلق » (٢) .

وقد مات في سنة ٦٦٧ هـ = ١٢٦٨ م وفقا لعبارة بحساب الجمل المذكورة في كتاب « ميرزا حبيب » ، ولكن « بروكمان » يذكر أنه مات في سنة ٦٩٨ هـ = ١٢٩٨ م (٣) . ويعتبر « ياقوت » وسلفاه اللذان سبقاه « ابن مقلة » و« ابن البواب » أكبر الخطاطين الثلاثة الذين لهم فضل بالغ عظيم على الخط العربى .

(١) طبع هذا الكتاب في مدينة القسطنطينية سنة ١٣٠٦ هـ .

(٢) هذه الرواية يشوبها اضطراب من ناحية صحة التاريخ المنسوبة إليه .

(٣) أظن الجزء الأول من ٣٥٣ من كتابه « تاريخ الأدب العربى » .

٨ - مؤلفون آخرون

أبو نصر الفراهي :

وهناك مؤلف آخر واسع الشهرة بين تلاميذ المدارس الإيرانية هو « أبو نصر الفراهي » مؤلف منظومة بالعربية والفارسية ما زالت منتشرة بكثرة في مدارس إيران ، وله أيضاً منظومة بالعربية متعلقة بالفقه على مذهب أبي حنيفة . وقدمات في سنة ٦٤٠ هـ = ١٢٤٢ م .

شمس قيس الرازي :

ومن أهم الكتب التي تم تأليفها في هذا العصر ، كتاب نادر في « الشعر الفارسي » اسمه « المعجم في معايير أشعار العجم » قام بتأليفه في مدينة شيراز شخص اسمه « شمس قيس » وأهداه إلى حاكمها « الأتابك أبي بكر بن سعد بن زنگي » (١) وهو الحاكم الذي اشتهر صيته بفضل رعايته للشاعر العظيم الشيخ « سعدى » . وهذا الكتاب القيم له — فيما أعلم — نسخة واحدة في أوروبا محفوظة بالمتحف البريطاني تحت رقم ٢٨١٤ من المخطوطات الشرقية ، ولكن الدكتور « بول هورن » يقول كذلك إنه اكتشف نسختين أخريين من مخطوطات هذا الكتاب ، وأنها محفوظة في مدينة القسطنطينية . ويجري الآن طبع هذا الكتاب في مدينة بيروت ليدخل في عداد الطبوعات التي تقوم على نشرها « سلسلة جب التذكارية » (٢) ويمتاز الكتاب بأنه يتضمن مجموعة كبيرة من أقوال كثير من شعراء الفرس المبكرين ، وكذلك أقوال جماعة من شعراء الفرس الذين ضاعت أخبارهم كلية ، وكذلك عدداً كبيراً من « الفهلويات » أي الأشعار المنظومة في بعض اللهجات الفارسية .

(١) تولى الحكم في مدينة شيراز سنة ٦٢٣ - ٦٥٩ هـ = ١٢٢٦ - ١٢٦٠ م .
 (٢) المترجم : أم الأستاذ براون والأستاذ محمد عبدالوهاب القزويني تصحيح هذا الكتاب وطبعه في سنة ١٣٢٧ هـ = ١٩٠٩ م .

ولا يعرف عن مؤلف هذا الكتاب إلا القليل من الأخبار التي جمعها «ريو» من ثانياً هذا الكتاب نفسه (١) ويستفاد منها أنه كان من أهل «خراسان» أو «ما وراء النهر» وأنه كان في عداد جيش خوارزم الذي استأصله المغول أمام حصن «فرزين» في صيف سنة ٦١٧ هـ = ١٢٢٠ م (٢)

سعد الدين الوراوي :

وهناك كتاب آخر من الكتب التي ظهرت في هذا العصر، من الخير إلا نهمله في هذا المقام وهو كتاب «مرزبان نامه» وقد كتبه أصلاً باللهجة الطبرية «مرزبان ابن رستم بن شروين» الذي ألف أيضاً منظومة في هذه اللهجة أسمها «نيكي نامه» أو «كتاب الخير» وأهداها لشمس المعالي «قايوس بن وشمكير» (٣٦٦-٤٠٣ هـ = ٩٧٦-١٠١٢ م). وقد قام «سعد الدين الوراوي» فيما بين سنتي ٦٠٧ هـ، ٦١٢ هـ = ١٢١٠، ١٢١٥ م بنقل كتاب «مرزبان نامه» من اللهجة الطبرية (٣) إلى الفارسية الأدبية المتعارفة (٤)

(١) أنظر Rieu : Persian Supplement. pp 123-125

(٢) المترجم : جدير بالذكر أيضاً أن مؤلف هذا الكتاب وضعه أصلاً على نسختين : إحداها عربية والأخرى فارسية، ولكن النسخة العربية ضاعت ولم تصل إلى أيدينا وبقيت النسخة الفارسية وهي التي طبعت .

(٣) أنظر ما يأتي : Ethé: Neppersische Litteratur. vol. II Grundriss : p 328. der Iranischen Philologie.

Schefer : Chrestomathie Persane. vol II. pp 171-199 text. and pp 194.211 of the notes .

Browne : Abridged Translation of ibn Isfandiyyar's History of Tabaristan. p. 86

(٤) المترجم : اللهجة الطبرية هي لهجة طبرستان الولاية المصافة لبحر قزوين ، والوراوي نسبة إلى بلدة «وراوين» أو «وراوي» كما يقول ياقوت في معجمه وهي بلدة طيبة كثيرة الخيرات والمياه في جبال آذربيجان بين أردبيل وتبريز .
ومجدر الإشارة إلى أن كتاب «مرزبان نامه» قد تم طبعه بتصحيح محمد بن عبد الوهاب القزويني في مدينة ليدن سنة ١٢٢٧ هـ = ١٩٠٩ م ودخل في مجموعة الكتب التي تنشرها

٩ - كتاب الصوفية

نتناول بالبحث بعد ذلك طائفة أخرى من الكتاب لهم أهميتهم الخاصة ، وهم كتاب الصوفية العظام الذين ظهرُوا في هذه الفترة من الزمان ، ويدخل في عدادهم بعض الأسماء الالامعة ممن اشتغلوا بهذا النوع من التفكير والأدب ، ونخص بالذكر منهم اثنين من أصل عربي ، امتازا بكثير من التفوق وبعد الصيت بحيث أصبح لزاما علينا أن نراجع أنفسنا في صحة النظرية التي سادت في وقت من الأوقات بأن التصوف في جملة عبارة عن رد فعل آرى للتعالم الجافة التي أتت بها ديانة الساميين . وهذان العريان هما :

- (أ) عمر بن الفارض : الشاعر الصوفي المصري .
 - (ب) الشيخ محي الدين بن العربي : التصوف النابه وهو من أهل الأندلس .
- وبالإضافة إلى هذين نرى واجبا علينا أن نتحدث عن ميمين آخرين ، أحدهما اسمه « نجم الدين كبرى » والآخر « نجم الدين دايه » ، وكذلك عن الشيخ « روزبهان » والشيخ « شهاب الدين عمر السهروردي » . كما يجب علينا أن نتحدث حديثا مختصرا عن الشيخ « صدر الدين القوينوي (١) » لأنه أشهر تلاميذ الشيخ « محي الدين » ، ثم ننتقل بعد ذلك إلى الحديث عن واحد أو اثنين آخرين من الصوفية المعاصرين هؤلاء . تاركين مؤقتا الحديث عن اثنين من كبار شعراء الصوفية اللذين ظهرا في هذا الوقت ، وهما :

- (أ) الشيخ « فريد الدين العطار »
 - (ب) مولانا « جلال الدين الرومي »
- فقد أفردنا الفصل المقبل للحديث عنهما بشيء من التفصيل والتطوير .

« سلسلة جب التذكارية » كما تجدر الإشارة أيضاً إلى أن مصحح الكتاب يرى أن هذا الكتاب نقل من اللهجة الطبرية إلى اللهجة الفارسية فيما بين سنتي ١٠٧٠ و ١٢٢٢هـ = ١٢١٠ و ١٢٢٢م .

(١) نسبة إلى مدينة « قونية » في آسيا الصغرى .

روزبهان

أسبق المتصوفة الذين ذكرناهم في الكلمة السابقة ، من الناحية الزمنية ، هو الشيخ « أبو محمد روزبهان بن أبي نصر البقلي » الملقب بـ « شطاح فارس » قد مات في بلدته شيراز في شهر المحرم سنة ٦٠٦ هـ = يولييه ١٢٠٩ م وقد ورد ذكر ضريحه في المخطوطة العربية المحفوظة في المتحف البريطاني تحت رقم ٣٣٩٥ وهى المخطوطة التى تسمى عادة باسم « هزار مزار » أى « الألف مزار » باللغة العربية ، ولكن يجب تصحيح اسمها إلى « شد الإزار » ، وهذه المخطوطة قام على تأليفها « معين الدين أبو القاسم جنيد الشيرازى » فى سنة ٧٩٢ هـ = ١٣٨٩ م وتناول فيها الحديث عن ظهره فى بلدته من أولياء وأصفياء (١). فذكر أن الشيخ «روزبهان» كان كثير الأسفار فى شبابه شأن الدراوش المتصوفين ، وأنه تمكن من زيارة العراق وكرمان والحجاز والشام ، كما تمكن من تأليف مجموعة كبيرة من الكتب أشهر منها كما يقول مؤلف الكتاب الفارسى « شيراز نامه » (٢) مايقرب من ثلاثين كتابا ، يدخل فى عدادها تفسير صوفى للقرآن بعنوان « لطائف البيان » وكذلك كتاب « مشارب الأرواح » وكتاب « منطق الأسرار » وكتب أخرى غير هذه . وقد نظم أيضا أشعارا بالفارسية ، نورد ترجمة مثلين منها فيما يلى :

الثل الأول : هذا الذى لم تستطع أن تراه أعين الزمان ... !!
 ولم تستطع أن تسمعه على الأرض أذن من الآذان ... !!
 قد أبدى اليوم سناء ... فأبدع خلق الإنسان ... !!
 فقم ... وتعال وتمتع برؤيته فى هذا الكيان ... !!

(١) المترجم : طبع هذا الكتاب فى طهران سنة ١٣٢٨ هـ . ش وقد صححه المرحوم محمد قزوینی والأستاذ عباس إقبال وعنوانه الكامل « شدالإزار فى حط الأوزار عن زوار المزار »
 (٢) كتاب « شيراز نامه » هو كتاب ألّفه بالفارسية أحد أحفاد الشيخ « زركوب » و فرغ منه فى سنة ٧٤٤ هـ = ١٣٤٣ م .
 [المترجم : وقد طبع هذا الكتاب بتصحيح « بهمن كرىمى » فى طهران سنة ١٣٥٠ هـ .
 وورد به ذكر « روزبهان » فى ص ١١٦ — ١١٧ .]

والثلث الثاني هو قوله ما ترجمته :

في هذا الزمان أنا القائد في طريق الصراط المستقيم لكل سالك وطالب .
ولقد سلكت طريق الله من أدنى المشرق إلى أقصى المغرب
ولكن . . هل يستطيع حقا أن يدركني الصلحاء والعرفاء...!
وقد استقرت روحى فيما وراء الحدود والأنحاء... (١)

واستمر الشيخ « روزبهان » صلى بانتظام مدة خمسين سنة في جامع شيراز المعروف
باسم « الجامع العتيق » وقد توفى في الرابعة والثمانين من عمره ، وعلى ذلك يمكننا
تأريخ ولادته بأنه مقارب لسنة ٥٢٣ هـ = ١١٢٨ م ، وكان الأتابك « أبوبكر بن
سعد » من أصدقائه والمعجيين به ، وقد درس مع الشيخ « أبى النجيب السهروردي »
في مدينة الاسكندرية (٢) ، وهناك أخبار أخرى قليلة متعلقة بالشيخ « روزبهان »
رواها « جاجى » في كتابه « نفحات الأنس » (٣) عندما تعرض لترجمة سيرته
وهى تشتمل على طائفة من الحكايات العجبية التى نصادفها عادة فى المؤلفات التى تذكر
كرامات الأولياء ومعجزاتهم .

نجم الدين كبرى :

نتناول بالبحث بعد ذلك صوفيا آخر هو « أبو الجناح أحمد بن عمر الخيوق »
نسبة إلى مدينة « خيوة » أو « خوارزم » . ويعرف عادة باسم « الشيخ نجم الدين
كبرى » وتقول أصدق الروايات المعتمدة أن لقبه « كبرى » ما هو إلا الاختصار
لعبارة « الطامة الكبرى » وهو اللقب الذى لقبه به أصدقاؤه لما لاحظوه عليه من
قدرة فى المناقشة ومهارة فى الجدل . (٤)

(١) المترجم : أصل هذه الأسماء بالفارسية . وجود فى كتاب « شد الإزار » ص ٢٤٤
و ص ٢٤٦ .

(٢) مات هذا الشيخ فى سنة ٥٦٣ هـ = ١١٦٧ م .

(٣) أنظر كتاب « نفحات الأنس » طبع « نساويز : Nassau Lees »

٢٨٨ — ٢٩٠ .

(٤) من حسن الخط أن هذا اللقب أيضا مئز عر سمي « نجم الدين دايه » .

ويلقب أيضا بعبارة « ولى تراش » أى « ناحت الأولياء » لأن الناس كانوا يعتقدون أنه إذا نظر وهو فى حالة الوجد والانجذاب إلى شخص من الأشخاص ، فإن هذا الشخص يصبح على الفور وليا من أولياء الله وأوصيائه . ويذكر « جامى » طائفة من الحكايات يبين فيها أن كرامته الخارقة هذه ، لم يقتصر فعلها على الآدميين بل تعدتهم إلى الكلاب والعتاير .

أما تكنيته بـ « أبى الجناب » فيقال أن النبى أطلقها عليه فى رؤيا رآها وفسرت له بأن معناها أن يتجنب الدنيا تجنباً دائماً .

وليس هناك من شك فى أن « نجم الدين كبرى » كان فى عداد الضحايا الكثيرين الذين قتلوا أثناء غارة المغول على « خوارزم » فى سنة ٦١٨ هـ = ١٢٢١ م. وليس هناك ما هو أدل على علو شأنه من أن كتاب « جامع التواريخ » لم يذكر إسمه واحداً من أسماء الضحايا الذين قتلوا فى هذا اليوم المنكود وقد بلغ تعدادهم ٦٠٠.٠٠٠ قتيل إلا اسم هذا الشيخ؛ ويقول مؤلف هذا الكتاب^(١) : أن چنكيزخان سمع عن شيخ المشايخ وقطب الأولياء الشيخ نجم الدين كبرى عليه الرحمة ، فلما عرف بخبره أرسل إليه رسالة يخبره فيها بعزمه على الإغارة على « خوارزم » وقتل أهلها ، ويوصيه وقد آن أوان العاصفة ونزول الكارثة ، أن يخرج منها ويلحق به لأنه يقدر له مكانته التى تجعله أكبر رجال العصر والأوان . ولكن الشيخ أجابه قائلاً : « إننى أعتبر خروجى وحدى دون سائر الأهلين عملاً خالياً من كل معانى الفضيلة والكرامة . » وقد ترتب على ذلك أن جثته وجدت بين جثث القتلى والمذبوحين فى هذه الواقعة . ويؤيد نبأ قتله أيضاً قصيدة أنشأها فى رثائه « المؤيد بن يوسف الصالحى » وقد نقلها الياقعى فى كتابه « مرآة الزمان »^(٢) وهو يقول فيها بيتين ، معنى الأول منهما :

— فهل رأى أحد من الناس بحراً من العلم غارقاً فى بحر من الدماء...!!

(١) نسخته المخطوطة موجودة فى « إدارة الهند » تحت رقم ٣٥٢٤ المقابلة لرقم ٢٨٢٨ من فهرست إثنه Ethé للمخطوطات الفارسية الموجودة فى هذه الإدارة .
(٢) مخطوطة رقم ١١١١ دراً بالمتحف البريطانى ، الورقة ٣٤١ .

ومعنى البيت الثاني :

— ويا يوم فجيعة خوارزم ... لقد سارت بذكرك الأخبار
فلأنتا بالرهبة والخوف ... وجلتتا فقد الإيمان والأمن والقرار...!!
وهذان البيتان يكفيان لبيان مكان قتله وظروفه وكيفيته .

وقد نسجت على هذه الحقيقة التاريخية المجردة ، جملة من الحكايات لانكاد
نؤمن بصحتها ، وقد أورد « جامي » الرواية التالية في كتابه نفحات الأنس : (١)
« فلما بلغ المغولي الكافر مدينة خوارزم جمع الشيخ نجم الدين كبرى تلاميذه »
« وأتباعه حوله ، وكانوا يزيدون على الستين . وكان السلطان محمد خوارزمشاه »
« قد هرب من خوارزم ولكن المغولي الكافر ظل يعتقد أنه مازال بها ، وصمم »
« على الإغارة عليها بجيوشه . فاستدعى الشيخ جماعة من أتباعه من بينهم الشيخ »
« سعد الدين الحموي و«رضي الدين على لالا» وقال لهم : قوموا وغادروا هذه »
« الديار بسرعة إلى مواطنكم ودياركم فستنقذ في الشرق نار يندلع لهبها حتى »
« يلفح المغرب ، وإنها لكارثة لم يحدث مثلها حتى الآن لهؤلاء القوم الأمنين . »
« فلما سكث قال له واحد من أتباعه : ولم لا تصل من أجلهم فرما ينكشف »
« البلاء عن ديار الإسلام...! ولكن الشيخ أجابه على الفور بأن هذا البلاء »
« قدر مقدور لا تنفع فيه صلاة أو ضراعة...!! ثم ذهب إليه أتباعه وقالوا له : إن »
« الدواب على أهبة الاستعداد للرحيل... فهل لك أن تشاركنا في سفرنا إلى خراسان »
« فالفرصة مازالت باقية...! ولكن الشيخ أجابهم سلباً ، وقال لهم أنه سيبقى ليموت »
« شهيداً ، لأنه غير مسموح له بالسفر ، ثم تركهم يسافرون إلى خراسان...!! »
« فلما دخل الكافر مدينة خوارزم جمع الشيخ حوله من تخلف معه من »
« أتباعه وقال لهم : انهضوا باسم الله حتى نحارب في سبيل الله...! ثم دخل منزله »
« وارتدى خرقة وشد على وسطه حزاماً ، وملاً جعبته بالحجارة ثم خرج إليهم »
« على هذا النحو وقد أمسك في يده حربة طويلة ، فلما التقى بالمعول أخذ يقدّمهم »

(١) أنظر ص ٤٨٦ — ٤٨٧ من هذا الكتاب.

« بالحجارة حتى فرغت جعبته ، ورشقه واحد منهم بسيل من السهام ، اخترق »
 « أحدها صدره ، فمد يده وجذبه من صدره وطرحه جانباً ثم لفظاً أنفاسه الأخيرة »
 « على هذا النحو ... !! ويقال إنه قبض أثناء استشهاده على صغيرة واحد من الغول »
 « فلم يستطيعوا تخليصها من قبضته بعد موته واضطروا إلى قطعها ... !! »
 « ويقول بعض الناس إن مولانا جلال الدين الرومي يشير إلى هذه القصة »
 « وإلى صلته بهذا الشيخ في هذين البيتين من غزلياته :

« ما از آن محتشمانیم که ساغر گیرند »
 « نه از آن مفلسکان که بز لاغر گیرند »
 « یکی دست می خاص إمام نوشند »
 « یکی دست دیگر پرچم کافر گیرند »

ومعناها :

— إنا من أغنياء الناس الذين يتناولون كؤوس الخمر الجميلة
 ولنا من المفلسين الذين لا يرعون إلا الماعز النحيلة ... !!
 — ونحن قوم نشرب خمر الإمام الصافية بإحدى الديدن ،
 — ونمسك بصغيرة الكافر بثانية الكفين ... !!

« وقد استشهد قدس الله سره في سنة ٦١٨ هـ (= ١٢٢١ م) وكان له أتباع »
 « كثيرون من بينهم جماعة كانوا من نوادر الدهر ونوابغ الزمان مثل الشيخ »
 « مجد الدين البغدادي ، والشيخ سعد الدين الحموي وبابا كمال الجندی (١) »
 « والشيخ رضى الدين على لالا والشيخ صفى الدين الباخري والشيخ نجم »
 « الدين الرازي والشيخ جمال الدين الجيلاني (٢) . ويؤكد جماعة من الناس »

(١) المترجم : الجندی نسبة إلى مدينة « جند » وهي مدينة عظيمة في بلاد تركستان
 بينها وبين خوارزم عشرة أيام تلقاء بلاد الترك من وراء النهر .
 (٢) المترجم : الكيلاني نسبة إلى « كيلان » أو « جيلان » وهي البلاد المصاغة
 لبحر قزوين .

« أن مولانا « بهاء الدين ولد » والد مولانا « جلال الدين الرومي » كان أيضا «
« من تلاميذه . »

وقد بقي من مؤلفات الشيخ « نجم الدين كبرى » كتابان على الأقل ما زالا
موجودين بالمتحف البريطاني : أحدهما عبارة عن رسالة قصيرة مكتوبة بالعربية في
صحيفتين أو ثلاث ، وموضوعها قول الصوفية المعروف « إن الطرق إلى الله بعند
أنفس الحلائق » ؛ وأما الكتاب الآخر فمكتوب بالفارسية وقد أسماه « صفة
الآداب » وبين فيه الآداب التي يجب أن يتحلى بها المريـد الجديد . وأشار « ميرزا
محمد بن عبد الوهاب القزويني » في مقدمته التي قدم بها طبعة « نيكسون » لكتاب
« تذكرة الأولياء » إلى أن الشاعر الصوفي العظيم « فريد الدين العطار » تحدث عن
الشيخ « نجم الدين كبرى » في كتابه « مظهر العجائب » بكثير من التجلة والاحترام (١)
وقد كان هو نفسه كما يقول « جامي » في نفاحاته ، تلميذاً لتلميذه « مجد الدين البغدادى »
الذى سيكون مدار حديثنا التالى .

مجد الدين البغدادى :

هو الشيخ « أبو سعيد مجد الدين شرف بن المؤيد بن أبي الفتح البغدادى »
ويقول عنه « جامي » إنه قدم إلى « خوارزم » ليـكـوـن طبيباً للخوارزمشاه
ولكن بعض المراجع الأخرى تدحض هذا القول وتجعله موضعاً للانكار . ومهما كان
من أمر فمن الواضح أنه ألحق نفسه بخدمة الشيخ « نجم الدين كبرى » وأصبح
واحداً من مريديه ، ولكنه لم يلبث أن اعتبر نفسه في منزلة أعلى من شيخه بحيث
أثر عنه أنه قال في يوم من الأيام : « لقد كنا بيضا على ساحل البحر ، فضمننا الشيخ
نجم الدين تحت جناحيه ، وما زال يحمينا حتى أفرخنا ، فلما صرنا بطيطات قفزنا
إلى البحر وبقي الشيخ على الشاطئ...!! » وقد استشاط الشيخ « نجم الدين » عند

(١) أنظر كتاب « تذكرة الأولياء » ج ١ ص ١٧ .

مما عه هذه العبارة، ولعن قائلها مبتهلاً إلى الله أن يغرقه في الماء...!! وبلغت هذه اللعنة إسماع الشيخ «مجد الدين» فاستولى عليه الرعب وأخذ يعتذر في خضوع وندم إلى شيخه أن يرفع عنه هذه اللعنة؛ ولكن جهوده واعتذاراته ذهبت عبثاً، ولم يلبث إلا فترة قصيرة حتى أمر الخوارزمشاه، تحت تأثير الشراب والكراهية بأن يطرحوه في اليم ويغرقوه. ومن العجيب أن الشيخ «نجم الدين» غضب لذلك غضباً شديداً. ودعا الله أن يثأر للغريق من ملك خوارزم لإقدامه على قتله بهذه الصورة الشنعاء التي لم تكن في الحقيقة إلا استجابة لدعائه عليه. وقد اضطرب ملك خوارزم لهذه الدعاء وحاول بمختلف الوسائل أن يجعل الشيخ يرفع عنه لعنته، ولكن الشيخ أجابه بقوله: «إن هذا القدر مكتوب في كتاب معلوم، وسيثأر الله له بزوال مملكته برمتها، فتموت أنت ويموت كثيرون من رجالك وسأكون أنا أيضاً في عدادهم...!!»

وتاريخ موت الشيخ «مجد الدين» مختلف فيه، ويذكر «جامي» إن وفاته حدثت في سنة ٦٠٦ هـ = ١٢٠٩ م أو في سنة ٦١٦ هـ = ١٢١٩ م

سعد الدين الحموي

تلميذ آخر من تلاميذ الشيخ «نجم الدين كبرى» ممن نالوا شيئا من بعد الشهرة والصيت هو «سعد الدين الحموي» ويقول عنه «جامي» في نقحاته ص ٤٩٢ إنه ألف كثيرا من المؤلفات ولكنه لم يذكر منها إلا كتابين اثنين هما:

أ - كتاب محبوب : أو «كتاب المحبوب» .

ب - سجنج الأرواح .

ويصف «جامي» هذين الكتابين فيقول إنهما «مليان بالأنغاز والمعاني والأرقام والدوائر التي لا تستطيع عين العقل والأدراك أن تكشف خفاياها» .

ويبدو أن «سعد الدين» كان عرضة لنوبات طويلة من نوبات الوجد أو الصرع وأن إحدى هذه النوبات ظلت تلازمه ثلاثين يوما كاملة. وقد أورد «جامي» في نقحاته أمثلة من أشعاره العربية والفارسية . وهو يقرر أن وفاته حدثت في نهاية سنة ٦٥٠ هـ =

فبراير سنة ١٢٥٣ م وكان له من العمر إذ ذاك ثلاث وستون سنة . وقد تعرف « سعد الدين » أثناء حياته بالشيخ « صدر الدين القونوي » ولكتنازجي الحديث عنه إلى أن تعرض له أثناء حديثنا عن الشيخ « محي الدين بن العربي » .

نجم الدين دايه :

نتناول الآن بالحديث ثاني النجمين وهو « نجم الدين دايه » ويقول « نجاشي » عنه إنه كان تلميذا للشيخين « نجم الدين كبرى » و « مجد الدين البغدادى » . ولنجم الدين دايه كتاب كبير الأهمية اسمه « مرصاد العباد » ما زالت مخطوطة جميلة من مخطوطات القديعة ، مكتوبة في سنة ٥٧٧٩ = ١٣٧٧ م ، محفوظة بالمتحف البريطاني تحت رقم ٣٢٤٢ ، وهو يتحدث فيها عن نفسه فيقول إن اسمه الكامل هو: « أبو بكر عبد الله بن محمد شاهاور » ثم يتحدث عن « مجد الدين البغدادى » في صراحة تامة فينتعه بأنه « سلطان الزمان ومرشده الروحي » .

أما مؤلفاته الأخرى فأهمها كتاب « بحر الحقائق » وقد كتبه في سنة ٦٢٠ هـ = ١٢٢٣ م في مدينة « سيواس » من بلاد آسيا الصغرى عندما اضطر إلى الاحتماء بها فرارا من غارة المغول . وقد تلاقى في هذه البلاد بالشيخ « صدر الدين القونوي » وبالصرفي الشهير « جلال الدين الرومي » . وأدركته الوفاة في سنة ٦٥٤ هـ = ١٢٥٦ م .

شهاب الدين السهروردي :

صوفي آخر من مشاهير الصوفية الذين ظهروا في هذا العصر هو الشيخ « شهاب الدين أبو حفص عمر بن محمد البكري السهروردي » المولود في رجب سنة ٥٣٩ هـ = يناير ١١٤٩ م ، والمتوفى سنة ٦٣٢ هـ = ١٢٣٤ م ، وقد كان من بين شيوخه القدماء الذين استرشد بهم في خطواته الأولى في طريق التصوف ، عمه « أبو النجيب السهروردي » المتوفى سنة ٥٦٣ هـ = ١١٦٧ م ، وكذلك الشيخ

المعروف « عبد القادر الجيلاني » المتوفى قبل ذلك بعامين أى في سنة ٥٦١ هـ = ١١٦٥ م.

وأهم مؤلفاته كتابان هما :

(١) عوارف المعارف .

(ب) رشف النصائح .

والكتاب الأول تكثر نسخه الخطية ، وقد طبع على الأقل مرة واحدة على هامش كتاب « إحياء العلوم » للغزالي المطبوع في القاهرة في سنة ١٣٠٦ هـ = ١٨٨٨ م . وقد ترجم « ابن خلكان » سيرة « شهاب الدين السهروردي » وروى بعض أشعاره العربية ، وتحدث عن أحوال الوجد التي كان يبلغها ، وألقاسه المباركة التي كانت تجعل الناس يتواجدون في مجلسه عند سماع أقواله ، ثم يقول : « ولم يتفق لي رؤيته لصغر السن » .

وكان الشيخ « سعدى الشيرازي » واحدا من تلاميذه ، وقد روى عنه حكاية قصيرة في كتابه الـ « بوستان » فصوره بأنه كان يتبهل إلى الله أن يملأ به جهنم إذ كان في ذلك منجاة لغيره !!...

وكان « شهاب الدين » شيخ الشيوخ في مدينة بغداد ، وكان يمتاز بصحة الرأي والحكم ، فقد روى أن واحدا من الصوفية كتب إليه يقول : « ياسيدى ... إن تركت العمل أخلدت إلى البطالة ، وإن عملت داخلني العجب ؛ فأيهما أولى ؟ فكتب جوابه : اعمل ! واستغفر الله تعالى من العجب !!... »

ومن الواجب علينا ألا نخلط هذا الشيخ بالشيخ المتقدم عنه « شهاب الدين محيي بن حبش السهروردي » مؤلف كتاب « حكمة الإشراق » فإن هذا الشيخ كان من أهل الكرامات وأصحاب الحوارق ، وقد اتهم بالزندقة على أيام « الملك الظاهر بن صلاح الدين » فأعدموه في مدينة حلب في سنة ٥٨٧ هـ = ١١٩١ م ، أو في السنة التالية لذلك ، ولم يكن قد تجاوز السنة السادسة والثلاثين أو الثامنة والثلاثين من عمره ، وقد لقبوه لهذا السبب بلقب « المقتول » تمييزا له عن غيره من الشيوخ . ويدولى أن « السهروردي المقتول » كان خيرا من سمي ، من حيث

عبقريته وسلامة طبعه ومقدرته على الإبداع . وما زال كتابه « حكمة الإشراق »
مخطوطاً ، وقد تصفحته بنظرة عابرة فوجدته جديراً بالاهتمام والدرس^(١) .

محي الدين بن العربي^(٢) :

نتناول الآن بالبحث شخصاً تعارف العالم على اعتباره من أكبر رجال الصوفية
الذين ظهوروا في ديار الإسلام ، بل ربما كان أكبرهم على وجه الإطلاق .. وتقصده
الشيخ « محي الدين بن العربي » المولود في مدينة « مرسية » من بلاد الأندلس
في خلال سنة ٥٦١ هـ = ٢٨ يولييه سنة ١١٦٥ م . وقد بدأ دراساته الفقهية
في مدينة « إشبيلية » في سنة ٥٦٨ هـ = ١١٧٢ م ثم خرج في سنة ٥٩٨ هـ =
١٢٠١ م قاصداً بلاد المشرق فعاش فترة في مصر ثم في الحجاز ثم في بغداد ثم في
الموصل ثم في آسيا الصغرى ، وانتهى به المطاف إلى دمشق حيث توفي بها في خلال
سنة ٦٣٨ هـ = ١٦ نوفمبر ١٢٤٠ م .

وقد وصفه « بروكلان » فقال : إنه كان كاتباً غزير الإنتاج كثير الإخراج ،
وعد من مؤلفاته مائة وخمسين كتاباً ما زالت باقية في أيدينا حتى اليوم ، ولا شك
أن من أشهر هذه الكتب الكتابان الآتيان :

(أ) فصوص الحكم .

(ب) الفتوحات المكية .

وقد كتب أولهما في مدينة دمشق في سنة ٦٢٨ هـ = ١٢٣٠ م وكثرت بعد
ذلك طباعته على الحجر وبالحروف كما كثرت ترجماتة وشروحه في مختلف بلاد
الإسلام^(٣) ، أما كتابه الثاني فوسوعة كبيرة جداً طبعت في مصر أيضاً .

(١) المترجم : طبع هذا الكتاب في طهران على الحجر سنة ١٣١٦ هـ = ١٨٩٨ م .

(٢) المترجم : يفضل بعض المحققين تسميته بـ « ابن عربي » بغير استعمال إداة التعريف .

(٣) المترجم : آخر طبعة صدرت من « فصوص الحكم » هي التي أخرجها وعلق عليها
الدكتور « أبوالملا عفيفي » أستاذ الفلسفة بجامعة الإسكندرية . وقد صدرت عن دار إحياء
الكتب العربية سنة ١٣٦٥ هـ = ١٩٤٦ م .

وأوفى ترجمة أعرفها لحياة « ابن العربي » هي تلك التي يتضمنها كتاب « القرى » المعروف باسم « نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب » ^(١) وقد ترجم « جامى » له أيضا ترجمة وافية في كتابه « نفعات الأنس » ^(٢) .

وكان « ابن العربي » كأغلب رجال الصوفية شاعراً ، وقد وردت أمثلة كثيرة من أشعاره في كتاب « نفع الطيب » كما أن له نفيوا مطبوعاً على الحجر في ٢٤٤ صحيفة ، قام على طبعه « ميرزا محمد شيرازى » من أهل بمبائى . وقد وصف « جامى » أشعاره فقال : « إن قصائده غريبة وثمينة » . ولكن كثيراً من رجال الدين يهتمونه بالكفر والزندقة ، وقد حاولوا قتله في مصر جملة مرات ، ولم ينج من الموت إلا لأن التعصبين من أتباعه والمعجبين به كانوا كثيرين ومتعدين . ومن الغريب أن تأثيره حتى الآن مازال محسوساً في إيران الشيعية ، بل ربما فاق في ذلك كل صوفى آخر .

وقد ادعى « ابن العربي » أنه خاطب النبي في أحلامه ، وأنه أخذ خرقته من « الحضرة » وأنه يعرف علم الكيمياء والعلم المتعلق باسم الله الأعظم . وكان على صلة بالشاعر الصوفى « عمر بن الفارض » فسأله أن يأذن له بكتابة شرح على تائيمته ، ولكن ابن الفارض أجابه بأن « كتابك الفتوحات المسكية ما هو ، في الحقيقة ، إلا شرح لهذه التائية ... !! » .

وكان « ابن العربي » يؤمن بالأحلام وأن الإنسان له قدرة على تحقيقها بمحض إرادته فهو يقول ما معناه : « وخلق بعد الله أن يستعمل إرادته ليحقق بها التركيز في أحلامه وبذلك يستطيع أن يتغلب على خياله ، وأن يتحكم فيه أثناء النوم كما يتحكم فيه أثناء اليقظة ، فإذا تم لإنسان هذا التركيز وأصبح بالنسبة له أمراً طبيعياً فإنه يستطيع بواسطته أن يحنى ثماره في « البرزخ » وينتفع بها انتفاعاً كبيراً . وعلى ذلك يجب على الإنسان أن يجاهد لكي يدرك هذه الحال ، لأنها نافعة له بإذن الله نفعاً كبيراً ... » .

(١) طبع القاهرة سنة ١٣٠٢ هـ = ١٨٨٤ م . أظهر ج ١ ص ٣٩٧ - ٤٠٩ .

(٢) طبع « نساويز » ص ٦٣٣ - ٦٤٥ .

وأسلوب « ابن العربي » غامض ، وربما تعمد ذلك تعمدا ، جريا على ما تعارف عليه الأولياء وأهل السكرامات والتصوفة من المسلمين ؛ فإنهم كانوا يحاولون دائما أن يعبروا عن آرائهم التي لم يتعارف عليها عامة الناس بكلمات وتعبيرات تكون قريبة الفهم من تعبيراتهم ومصطلحاتهم حتى يتفادوا بذلك القتل كما أصاب « الحسين بن منصور الحلاج » و الشيخ « شهاب الدين المقتول » .

وقد سئل الشيخ « محي الدين » مرة عما يعنيه بقوله :

يا من يراني ولا أراه كم ذا أراه ولا يراني

فأضاف على الفور شطرتين إلى هذا البيت ، تجعلان معناه مقبولا لدى الكافة ، لا يجدون فيه مطعنا ، فقال :

يا من يراني مجرما ولا أراه آخذا

كم ذا أراه منعا ولا يراني لائذا

ولست أستطيع في هذا المقام أن أضف « ابن العربي » بعبارة أبلغ من العبارة التي استطاع « جوينو » بما امتاز به من إدراك عميق للعقلية الشرقية ، أن يكتبها عن فيلسوف آخر متأخر هو ال « ملا صدرا » فإن كلماته عن هذا الفيلسوف تنطبق تماما على الشيخ « محي الدين » وأضرابه ، قال (١) :

« إن عنايته بتعمية أحاديثه أوجبت عليه أن يعمي كتبه أيضاً ، ومن أجل ذلك فإن قارئها يخرج منها بفكرة غير كاملة عن تعاليمه . خاصة من يقرأها »
« دون أن يستعين بخبر يعرف أسرارها ويملك ناصيتها ؛ فأما إذا تهيأ له ذلك فإنه »
« ينفذ إلى قراراتها ذوق مشقة أو تعب . وقد توارث تلاميذه جيلا بعد جيل »
« أفكاره الحقيقية ، وأصبح لديهم مفتاح اصطلاحاته ، ولكنهم لم يستخدموه »
« للافصاح بل استخدموه للاهتمام والاسترشاد . وأكدت التفسيرات التي »
« تناقلوها فيما بينهم قسمة كثير من مؤلفات هذا الأستاذ ، وبينت كيف تركزت »
« فيها وقت تأليفها متعة مجتمع ينتشى بالجدل ، تستهويه المعارضة الدينية ، »

(١) أنظر : Gobineau : Les Religions et les Philosophies dans l'Asie Centrale. Paris 1866 p. 88

« ويتعشق الآراء الجريئة التي يتداولها سرا ، ويتحس كثيرا للمعوهات الرائعة »
« والأباطيل البارعة . »

كتاب فصوص الحكم :

قلما يصادف المرء كتاب « فصوص الحكم » دون أن يكون مقروناً بالشروح والتعليقات ولكن من الشكوك فيه أن يستطيع أحد — برغم وجود هذه الشروح وكثرتها — أن يفهم أفكاره ومعانيه... اللهم إلا إذا استعان على ذلك بواحد من قدر لهم أن يعيشوا في هذه الأودية الفكرية التي عاش فيها مؤلف هذا الكتاب واستطاع أن يستمد من ثناياها كل ما امتاز به من نشاط ذهني وفكري

ولست أعرف صوفياً آخر من متصوفة المسلمين يفوق « الشيخ محي الدين » من حيث تأثيره وغزارة إنتاجه وغموض معانيه... اللهم إلا إذا استثنينا « جلال الدين الرومي » . ولم ينهياً لأحمد في أوروبا حتى اليوم أن يدرس جميع مؤلفاته ويبين مذهبه دراسة وافية كافية ؛ ولكن الفرصة ما زالت مهيأة وسانحة لأصحاب الطموح ممن يشتغلون بالعربية ويعنون بهذا النوع من خصائص الفكر الشرقي .

ولا يتسع موضوع هذا الكتاب ، الذي خصصناه أساساً للأدب الفارسي ، للفاضة في الحديث عن رجل لا تربطه بإيران إلا صلة واحدة محصورة في آثار الدين أحدثته كتاباته فيها حتى اليوم . ولكننا نكتفي بأن نقول بأن « فخر الدين عراقي » كان من أشهر شعراء الفرس وكتابهم المتصوفين الذين وقعوا تحت تأثيره . فقد اعتاد أن يلزم مجالس « صدر الدين القويني » عندما كان في بلادهم . وقد اعتد « فصوص الحكم » فاستوحى منه موضوع كتابة القيم . « لدى أصبح بدوره في نهاية القرن التاسع الهجري (نهاية الخامس عشر الميلادي) موضوعاً لتفسير مفصل وضعه عليه « الملا نور الدين عبدالرحمن الجامي » بعنوان « أشعة اللمعات » .

وقد قابلته شاعر فارسي آخر ممن اشتهروا بين شعراء الفرس هو « أبو محمد الدين الكرمانى » وظل يراقبه مدة حتى أصبح من الضروري أن نشر أنه تأثر به

بعض الشيء. وقد أصبحت أميل إلى القول بأننا إذا تعمقنا في دراسة عقلية الجيل التالي من صوفية القرس، وهم الذين سنتناولهم بالبحث في مطلع المجلد التالي من مجلدات هذا الكتاب، اتضح لنا بجلاء أن أى شخص من الأشخاص (باستثناء جلال الدين الرومى) لم يستطع أن يؤثر في تفكير من تبعوه بقدر ما أثر « شيخ الأندلس الأكبر » في تفكير خلفائه .

وفيما يلي مثل من أشعاره منقول عن كتاب « نفع الطيب » للمقرئ (١) .

حقيقى همت بها	وما رآها بصرى
ولو رآها لغدا	قتيل ذاك الحور
فعدما أبصرتها	صرت بحكم النظر
فت مسحورا بها	أهيم حتى السحر
يا حذرى من حذرى	لو كان يغنى حذرى
والله ما هيمنى	جمال ذاك الحفر
في حسنها من ظبية	ترعى بذات الحمر
إذا رنت أو عطفت	تسبى عقول البشر
كأنما أنفاسها	أعراف مسك عطر
كأنها شمس الضحى	في النور أو كالقمر
إن أسفرت أبرزها	نور صباح مسفر
أو سدت غيها	سواد ذاك الشعر
يا قرا تحت دى	خذى فؤادى وذرى
عنى لكى أبصرك	إذ كان حظى نظرى

(١) أظنر « نفع الطيب » طبع القاهرة سنة ١٣٠٢ هـ ج ١ ص ٤٠٠

ابن الفارض :

نعرض بعد ذلك للحديث عن « ابن الفارض » ، واسمه الكامل هو « شرف الدين أبوحنص عمر » وليس له كإبن العربي علاقة مباشرة بإيران ولكننا نتناوله بالحديث لأنه كان من أشهر شعراء الصوفية المسلمين وأنبهم ذكرا وأكثرهم نبوغا . ومن الواجب علينا أن نؤكد كل ذلك عنه لأن الرأي السائد في أوروبا يميل إلى الاعتقاد بأن مذهب الصوفية هو نتاج فارسي أو آري خالص ، وهو رأي معيب لا أقره بل أقول إنه لا يستقيم مع الواقع وحقيقة الأمر .

ويذكر كثير من المراجع أن « ابن الفارض » ولد بالقاهرة في سنة ٥٥٦ هـ = ١١٦١ م أو في سنة ٥٦٦ هـ = ١١٧٠ م ولكن « ابن خلكان » يذكر أنه ولد في الرابع من ذي القعدة سنة ٥٧٦ هـ = ٢٢ مارس ١١٨١ م .

وتتحدث أسرته من مدينة « حماة » من بلاد الشام ، ومن أجل ذلك فقد نسبوه إليها فقالوا عنه « الحموي » كما نسبوه إلى مصر فقالوا « المصري » . ولم تكن حياته مليئة بالأحداث ، وكل ما رواه أصحاب التراجم عنه عبارة عن بعض الأحداث التي لها طابع الكرامات ، وقد اعتمدوا في روايتها على ابنه « كمال الدين محمد » . وقد أمضى « ابن الفارض » شطراً كبيراً من شبابه في الخلوة في جبل المقطم بالقرب من القاهرة . وقد ترك والده قبيل مماته خدمة الحكومة وأثر الانقطاع إلى الله في الجامع الأزهر ، فلما أدركته الوفاة أطل « ابن الفارض » أوقات عزله ولزوم الخلوة في جبل المقطم . ثم حرصه بقال عجوز ، توسم فيه أنه ولي من أولياء الله أن يخرج للحج ، فلي « ابن الفارض » دعوته وخرج من القاهرة إلى مكة حيث أقام فترة من الزمن ، لازمته خلالها دابة غامضة تدعوه عبثاً إلى امتطاء منها في رحلاته وأسفاره . وقد ظل على هذه الحال كما يقول جامي في نجاته (ص ٦٢٧) مدة خمس عشرة سنة ثم هتف به هاتف أن يعود إلى القاهرة ليكون إلى جوار البقال وهو مختصر على فراش الموت . وقد حكوا عن هذا البقال كثيراً من الكرامات كما حكوا بمناسبة جنازته كثيراً من الحكايات الغريبة المتعلقة بطيور الجنة الخضراء التي تسكنها أرواح الشهداء . وقد بقي « ابن الفارض » بعد ذلك الوقت في مدينة القاهرة حتى أدركته الوفاة في

اليوم الثاني من جمادى الأول سنة ٦٣٢ هـ = ٢٣ يناير سنة ١٢٣٥ م

ولم يكن « ابن الفارض » غزير الانتاج كابن العربي . ولم تزد آثاره على مجموعة من الأشعار وصفها « ابن خلكان » بأنها عبارة عن « ديوان شعر لطيف » وبأن « أسلوبه فيه رائق ظريف ينحو منحى طريقة الفقراء » . وقد أنشأ بالإضافة إلى أشعاره الأدبية جملة من الأشعار العامية التي تعرف باسم « المواليا » وضرب « ابن خلكان » مثلاً من أمثلة المواليا التي قالها في غلام صنعتها الجزيرة (١)، وهذا المثل فاز في دلالاته ، لغرابة موضوعه ، ولأنه شبيه في مضمونه برباعية أخرى مروية في كتاب « تاريخ كزنده » للشاعرة الفارسية « مهستی » [بفتح الميم وسكون الهاء وفتح السين] أو « مهستی » [بفتح الميم وسكون السين] أو « مهستی » [بكسر الميم وفتح الهاء وسكون السين] .

وابن الفارض شبيه بالشيخ ، « محي الدين » من حيث أنه رأى « النبي » في أحلامه وتلقى منه تعاليمه التي ضمنها أشعاره وقد قالوا إنه لم ينشئ شعراً لم يوح إليه به ، ويقول « جامي » إنه ربما ظل في حالة وجد مدة أسبوع أو عشرة أيام لا يعي فيها شيئاً مما حوله ثم يعود إلى وعيه فيعمل ثلاثين بيتاً أو أربعين بيتاً أو خمسين بيتاً أو ما ينفتح الله عليه به أثناء غيبوته . وأشهر قصائده وأطولها هي ثائيته الكبرى التي تتضمن خمسين وسبعائة بيت من الشعر . ويقول « اليافعي » أنه برز في وصف الحمر والعشق في أشعاره وأن ديوانه يتضمن كل النكات الدقيقة المتصلة بالزهد والطريق والحب والحنين والوصال وما شابه ذلك من التعبيرات الفنية والعلوم الحقيقية للتعارف عليها في كتب مشايخ الصوفية . وإذا صدقنا ما رواه عنه ولده الشيخ « كمال الدين محمد » فإن ابن الفارض كان من حيث مظهره متناسق التركيب . يمتاز بطلعة جميلة

(١) المترجم : المواليا المنسوبة إلى ابن الفارض هي الآتية .

قتلو لجزار عشقتوكم تشرخني قتلني ، قال : داشغلي ، تو بختي ؟
ومال لي ، وباس رجل ، پر بختي يريد دهمي فينفخي ليسلخي !!
أما الرباعية المنسوبة إلى « مهستی » فهي الآتية .
هر كارد كه از كشته خود برگيرد واندر لب و دندان چو شكر گيرد
گر بار دگر بر كلوي كشته نهد از ذوق لبش زندگي از سر گيرد

جذابة قد أشربت بحمرة ، يزداد جلالها وبهاؤها متى دخل في حالة الوجد بعد سماعه للأذكار والتضرعات ، فإذا بلغ هذه الحال فإن العرق يتصبب من جسده حتى يسيل تحت أقدامه . ويقهر « كمال الدين » بعد ذلك أنه لم ير من يشبه « ابن الفارض » جلالا لا بين العرب ولا بين العجم ، وإنه أشبه الناس به .

وأحسن طبعة أعرفها من ديوان « ابن الفارض » هي تلك التي نشرها الشيخ « رشيد بن شالب الدجذاح اللبناني » في مدينة باريس سنة ١٨٥٥ وقد صدرها بمقدمة للأب بارجيس Abbé Bargès أستاذ العربية في جامعة السوربون . وقد اشتملت هذه الطبعة على أشعار « ابن الفارض » وكذلك على شرحين مطولين لهذه الأشعار : أولهما لغوى صرف وقد كتبه الشيخ « حسن البيروني » ، والآخر يعنى بتفسير المعاني الباطنة وقد كتبه الشيخ « عبد الغنى النابلسي » .

وفيما يلي قصيدة من قصائد « ابن الفارض » تبدو لي مثالا طيبا لأشعاره عامة وما تمتاز به من جمال فائق ورقة باللغة (١) :

ما بين ضال المنحنى وظلاله	ضل المتيم واهتدى بضلاله
وبذلك الشعب اليماني منية	للصب قد بعدت على آماله
يا صاحبي هذا العقيق قفف به	متوالها إن كنت لست بواله
وانظره عني إن طرفي عاقني	إرسال دمعى فيه عن إرساله
واسأل غزال كناسه هل عنده	علم بقلبي في هواه وحاله
وأظنه لم يدر ذل صبابتي	إد ظل ملتها بعز جماله
تفسيده مهجتي التي تلفت ولا	من عليه لأنها من ماله
أترى درى أنى أحن له تجره	إذ كنت مشتاقا له كوصاله
وأبيت سهرانا أمثل طيفه	للطرف كي ألقى خيال خياله
لا ذقت يوما راحة من عاذل	إن كنت ملت لقلبه رتقاله

(١) المترجم : أورد « براون » ترجمة هذه القصيدة بالإنجليزية وأنا نحن قد أوردناها بعينها .

فوحق طيبرضي الحبيب ووصله مامل قلبي حبه للاله
واها إلى ماء العذيب وكيفلى بحشاي لويطفي يرد زلاله
ولقد يحل عن اشتياقي ماؤه شرقاً فواظمأى للامع آله

ولما كان موقع الآداب العربية ثانوياً بالنسبة إلى هذا الكتاب فمن العسير علينا أن تفصل القول فيه عن هذا الشاعر النابغة الذي تذكرنا قراءة كثير من أشعاره بهذه الصورة الفكرية والمعنوية التي ردها شعراء الصوفية من الفرس . بل إننا نقرر أنه يفوق الكثير منهم قدرة وتنوعاً وغنى بالتعبيرات .

وقد كتب كثير ممن تناولوا « الصوفية » بالدرس فوصفوها بأنها في أساسها حركة آرية خالصة ، ومن أجل ذلك وجدت لزما على أن أؤكد الحقيقة الماثلة لي الآن ، وهي أن اثنين من أكبر المتصوفين كانا من أصل غير آري ، وأقصد بهما « ابن العربي » و « ابن الفارض » وربما أضفنا إليهما ثالثاً هو « ذو النون المصري » . ففي رأى صديق المستر « ر . ا . نيكلسون » أن هذا الأخير هو أول من صبغ « الزهد » بنظرية « وحدة الوجود » ونظرية « الحب الإلهي » وهما الفكرتان اللتان أصبحتا من أخص خصائص المتصوفة كما نعرف (١) .

(٢) المترجم : أحدث ما كتب عن ابن الفارض كتاب قيم أصدره الصديق الأستاذ الدكتور محمد مصطفى حلمي بعنوان « ابن الفارض والحب الإلهي » (طبع القاهرة في ١٣٦٤ هـ = ١٩٤٥ م) .

الفصل التاسع

شعراء العصر المغولي الأول

- ١ — فريد الدين العطار
- ٢ — جلال الدين الرومي
- ٣ — سعدى
- ٤ — جماعة آخرون من صفاء الشعراء

إذا كان « ابن الفارض » الذى تحدثنا عنه فى نهاية الفصل السابق ، يعتبر بغير شك أكبر شعراء الصوفية لدى العرب ، فإن « جلال الدين الرومي » يفوز بهذه المرتبة العالية لدى الفرس . فهو صاحب الكتاب الصوفى الكبير المسمى بـ « الثنوى » وهو كذلك صاحب مجموعة من الغزليات تعرف باسم « ديوان شمس تبريز » . وقد لاحظنا فيما سبق ، أن « جلال الدين » يعتبر الشاعرين « سنائى » و « فريد الدين العطار » قدوتيه وأستاذيه فى إنشاء الشعر الصوفى ، فإذا أتينا الآن وقلنا إن هؤلاء الشعراء الثلاثة هم أهم دعاة المذهب الصوفى بين شعراء الفرس ، فإنما نكون على حق فيما نقول . لأنه فى مثل هذه الموضوعات يجب أن يكون الحكم النهائى لأهل اللغة أنفسهم ، لأنه يصعب على الناقد الأجنبى أن ينصف فى حكمه كما ينصف الناقد الذى تربطه بالشاعر صلة القرابة واللغة . ولقد أحس أنا شخصيا عند قراءتى لأشعار « عراقى » بكثير من التعة التى لا أحسها عند قراءة أشعار « سنائى » ولكن ذلك لا يشفع لى فى أن أرتفع برأى الشخصى لأجعله فى عداد النظريات العامة المقررة .

١ — فريد الدين العطار

« فريد الدين العطار » حاله كحال كثير من شعراء المشرق ؛ لو أنه كتب أقل مما كتب ، لاشتهر بين الخلق أكثر مما اشتهر ، ولقرأ له الناس أكثر مما قرأوا .

فمن المعروف أن عدد مؤلفاته مساو لعدد سور القرآن أى ١١٤ مؤلف ، كما يقرّر ذلك « القاضى نور الله الششتى » فى كتابه « مجالس المؤمنين » ولكن يبدو لى أن هذا العدد مبالغ فيه جدا لأنه لم يبق من مؤلفاته إلا قرابة ثلاثين مؤلفا ، بعضها ليس فى أيدينا ، وإنما وردت إشارات عنه فى بعض كتاباته . وأهم هذه المؤلفات الكتب الآتية :

(أ) بند نامه : أى كتاب النصيحة ، وهو كتاب صغير مجمل ملىء بالمواعظ الأخلاقية ، وقد طبع أكثر من مرة فى بلاد الشرق .

(ب) منطق الطير : وهو منظومة رمزية ، نشرها مع ترجمة فرنسية « جارسان دى تاسى Garcin de Tasy » فى باريس^(١) سنة ١٨٥٧ وسنة ١٨٦٣ .

(ج) تذكرة الأوليا : أو تذكرة الأولياء . وقد نشر الجزء الأول منه « المستر ر . ا . نيكولسون R. A. Nicholson » فى مجموعة « الكتب التاريخية الفارسية » التى أتولى بنفسى نشرها ، أما الجزء الثانى فما زال تحت الطبع^(٢) . وقد صدره بمقدمة قيمة بالفارسية صديقى الفاضل « ميرزا محمد بن عبد الوهاب القزوينى » معتمداً فى كتابتها على المعلومات الموثوق بها التى جمعها من آثار الشاعر نفسه . ولما كانت هذه المقدمة هى أدق ما كتب عن العطار ، ولما كانت للأسف لم تترجم إلى الإنجليزية ، فسأجعلها عمادى فيما أكتب عن هذا الشاعر فيما يلى من حديث .

مباة العطار :

إسمه الكامل « أبو طالب محمد » أو « أبو حامد محمد » وهو ابن « أبى بكر إبراهيم » ابن « مصطفى بن شعبان » ؛ ويعرف عادة باسم « فريد الدين العطار » وكلمة « عطار » معناها بائع العطر ، ولكن « ميرزا محمد » يثبت بأمثلة وجدها فى كتابه

(١) الترجم : نشرهنا الكتاب أكثر من مرة فى إيران وله طبعة لا بأس بها فى اصفهان

سنة ١٣٥١ هـ .

(٢) الترجم : تم بعد ذلك طبع الجزء الثانى .

« خسرو نامه » و « أسرار نامه » أن هذه الكلمة لها معنى أوسع من ذلك، ويقول أنها أطلقت عليه لأنه كان يتولى الإشراف على دكان لبيع الأدوية حيث كان يزوره المرضى، فيعرضون عليه أنفسهم، فيصف لهم الدواء ويقوم بنفسه على تركيبه وتحضيره . ولقد تحدث عن نفسه في كتابيه « مصيبت نامه » و « إلهي نامه » فذكر صراحة بأنه ألفهما في صيدليته « دار و خانه » التي كان يتردد عليها في ذلك الوقت خمسمائة من المرضى، كان يقوم على فحصهم وجس نبضهم ويقول « رضا قلى خان » في كتابه « رياض العارفين » ^(١) أنه تعلم الطب على يدى « الشيخ مجد الدين البغدادى » وهو الشيخ الذى ذكرناه فى نهاية الفصل السابق وأحد تلاميذ « الشيخ نجم الدين كبرى » .

أما التفاصيل المتعلقة بحياة « العطار » فلا يصح منها إلا أخبار قليلة مذكورة فى كتب التراجم . وقد كتب عنه « عوفى » وهو أقدم كتاب التراجم فى كتابه « لباب الألباب » مقالة قصيرة جداً ^(٢) ووضعه بين الشعراء الذين اشتروا بعد زمان السلطان « سنجر » أى بعد سنة ٥٥٢ هـ = ١١٥٧ م ، ويؤيد هذا القول أننا نجد « العطار » نفسه يتحدث فى قصائده عن « سنجر » باعتباره ميتاً ؛ كما يؤيده أيضاً أننا نجد « اللباب » وهو مؤلف قطعاً فى سنة ٦١٧ هـ = ١٢٢٠ م يتحدث عن « العطار » باعتباره باقياً على قيد الحياة .

وقد ولد « العطار » كما يبدو من قطعة واردة فى « لسان الغيب » ، فى مدينة « نيسابور » ؛ وأمضى بها ثلاثة عشر عاماً من طفولته، ألزم فيها ضريح الإمام « الرضا » ثم أكثر بعد ذلك من الترحال فزار « الرى » و « الكوفة » و « مصر » و « دمشق » و « مكة » و « الهند » و « تركستان » ثم عاد فاستقر فى مدينته الأصلية . واشتغل تسعاً وثلاثين سنة من حياته فى جمع أشعار الصوفية وأقوالهم ، وأبى طوال حياته على حد قوله « أن يلوث موهبته الشعرية بإنشاد المدائح » . وقد روى لنا أيضاً فى « أشر نامه : كتاب الجمل » بأنه رأى النبى فى أحد أحلامه وأن النبى باركه كما حدث ذلك تماماً لـ « ابن العربى » و « ابن الفارض » .

(١) لم يذكر لنا المصدر الذى اعتمد عليه فى استقاء هذا الخبر .

(٢) أنظر « لباب الألباب » ج ، ص ٢٣٧ — ٢٣٩ .

ومن كتبه المتأخرة كتاب اسمه « مظهر العجائب » (١) وهو عبارة عن منظومة في مدح « علي ابن أبي طالب » وكان يلقب بهذا اللقب ؛ ويقرر « ميرزا محمد » أن هذه المنظومة تمتاز بشيئين ؛ أحدهما : امتلاؤها بالمحول الشيعة الواضحة ، والآخر بضعف أسلوبها عن مستوى أساليب كتاباته الأخرى . ويبدو أن نشر « العطار » لهذه المنظومة كان سببا لإذاعة روح السخط والغضب والتعصب لدى أحد الفقهاء السنيين من أهل « سمرقند » فإنه أمر بإحراق نسختها واتهم صاحبها بالإلحاد وأنه حقيق بالموت والإعدام . ثم أمعن في الكيد له فاتهمه بالكفر لدى « راق التركمانى » (٢) وحرص العامة على هدم منزله والإغارة على أمتعته . واضطر « العطار » بذلك إلى أن يرحل ويلجأ إلى « مكة » حيث ألف مخطابه الأخير « لسان القيب » وهو عبارة عن منظومة مقسمة اشتهرت كسابقها بركاكة العبارة مما يدل على أن الشاعر كتبها وقواه خائفة وعمره متقدم وإنه قارب الفناء . ومما يجدر بنا ملاحظته في هذا الصدد أن الشاعر شبه نفسه في هذه القصيدة بـ « ناصر خسرو » الذي اضطر كما فعل « إلى أن يهجر العالم ويغنى نفسه كالياقوتة البدخشية » (٣) لكيلا يقع بصره على مضطهديه وجوهرهم البشعة النكراء . . . ١١٠ »

موت العطار :

أما تاريخ وفاة وفاة الشيخ « العطار » فقد اختلفت فيه آراء أصحاب التراجم اختلافا كبيرا . فالتقاضى « نور الله الششتري » يجعله في سنة ٥٨٩ هـ = ١١٩٣ م ، وتجعله النسخة القديمة من « فهرست المخطوطات العربية المحفوظة في المتحف البريطاني » (٤) في سنة ٥٩٧ هـ = ١٢٠٠ م ؛ فإذا اتينا إلى « دولتشاه » وجدناه

-
- (١) المترجم : يكتبها الأستاذ براون بفتح الميم ولكنه بعد ذلك يقول أن هذه العبارة لقب عرف به « علي ابن أبي طالب » مما يقتضى قراءتها بضم الميم .
 (٢) من سلالة « كورخان » ، وأحد أمراء خوارزم « خوارزمشاه » وقد فتح « كرمان » في سنة ٦١٩ هـ = ١٢٢٢ م .
 (٣) المترجم : أحسن أنواع اليواقية ، هو ما ينسب إلى « بدخشان » .
 (٤) أنظر ص ٨٤ من هذا الفهرست .

يحدد وفاته^(١) سنة ٦٠٢ هـ = ١٢٠٥ م ولكن هذين التاريخين الآخرين يتناقضان تماما مع الخبر الذي رواه «دولتشاه» في الصحيفة السابقة متعلقاً بوفاة العطار على أيدي الغول أثناء غارتهم على مدينة «نيسابور» سنة ٦٢٧ هـ = ١٢٢٩ م . ومع ذلك فإن «دولتشاه» يذكر تاريخاً آخر يجعل فيه وفاة «العطار» في سنة ٦١٩ هـ = ١٢٢٢ م وهو يتفق في ذلك مع ما ذكره «تقي الدين كاشي» . أما «حاجي خليفة» و «أمين أحمد رازی» فيجعلان وفاته في سنة ٦١٩ هـ وسنة ٦٢٧ هـ . ويبدو لي أن هذا التاريخ الأخير هو أكثر التواريخ قبولا ، ويؤيدني في ذلك ثمانية من أصحاب المصادر (٢) ولو أن «حاجي خليفة» يذكر تاريخاً آخر لوفاة العطار هو سنة ٦٣٢ هـ = ١٢٣٤ م .

ويتضح من ذلك أن الفجوة الواقعة بين أسبق التواريخ للمذكورة عن وفاة العطار وآخرها ، هي فجوة لا يقل مداها عن ثلاث وأربعين سنة قمرية ، وهذا الفرق الواضح يجعلنا بغير شك لاثق في أقوال أصحاب التراجم المتأخرين ، ويجعل لزاما علينا أن نلتصم بأسانيد أخرى من أقوال الشاعر نفسه في كتاباته ، فقد نستطيع بواسطة ذلك أن نقرب بين جانبي الهوة ونقصر مسافة الفجوة . ويؤكد بعض أصحاب التراجم أن «العطار» عاش إلى الرابعة عشرة بعد المائة من عمره ، ولكن هذا القول لا يرتفع إلى مرتبة التصديق ، ومن المعروف أنه ذكر في إحدى قصائده بيتا يدل على أنه بلغ السبعين من عمره وجاوزها ، ولكننا رغم ذلك لانملك من الوسائل ما نستطيع بواسطته أن نحقق به مدى الفترة التي عاشها بعد السبعين . ويشير «العطار» في إحدى مثنوياته إلى ثورة «الأتراك الغز» في سنة ٥٤٨ هـ = ١١٥٣ م . وكذلك نجد في إحدى نسخ كتاب «منطق الطير» المحفوظة في المتحف البريطاني^(٣) وكذلك في نسخة أخرى محفوظة في «إدارة الهند» قطعة شعرية تجعل تاريخ انتهاء الشاعر من نظمها هو «يوم الثلاثاء ، اليوم العشرين من شهر

(١) أنظر ص ١٩٤ من كتاب «تذكرة الشعراء» .

(٢) أغلب هؤلاء متأخرون ، وقد قال عنهم «ميرزا محمد» أنهم يتابعون في ذلك كتاب «جاي» المعروف باسم «نقحات الأنس» .

(٣) نسخة رقم 1.227 or.

الله سنة ٥٧٣ هـ = ١١٧٧ م « يضاف إلى ذلك أن «الطار» كان معاصرا للشيخ «مجد الدين البغدادي أو الخوارزمي» وأنه كان تلميذا له كما ذكر ذلك «جامي» في «نفعات الأنس».

وربما استقى «جامي» هذا الخبر مما ذكره الطار نفسه في مقدمته لكتاب «تذكرة الأولياء» ^(١). ومن المعروف أن الشيخ «مجد الدين» مات في سنة ٦٠٦ هـ أو سنة ٦١٦ هـ = ١٢٠٩ أو ١٢١٩ م ، أما البرهان القاطع فوجود حقيقة في مقطوعة واردة في كتاب «مظهر العجائب» حيث يتحدث الشاعر عن الشيخ «نجم الدين كبرى» باعتباره ميتا ، وقد تحدثنا عن هذا الشيخ في الفصل السابق وقلنا أنه قتل على أيدي المغول أثناء غارتهم على خوارزم في سنة ٦١٨ هـ = ١٢٢١ م وبناء على ذلك يمكن أن تنتهي من هذه الأبحاث بتقرير أن «الطار» كان حيا في هذه السنة وأن مولده كان سابقا على سنة ٥٤٥ هـ أو ٥٥٠ هـ = ١١٥٠ - ١١٥٥ م؛ وأنه لا دليل إطلاقا على ما ذكره «جامي» ^(٢) من أن المغول قتلوه في سنة ٦٢٧ هـ = ١٢٢٩ م ، ولا على ما ذكره «دولت شاه» في مقال مفصل عن طريقة قتله وكيف حاول أن يمدعنا بمحاكاته الباطلة ، فدقق في ذكر تاريخ مقتله ، بل وذكره على وجه التحديد فجعله في اليوم العاشر من جمادى الثانية سنة ٦٢٧ هـ = ٢٦ إبريل سنة ١٢٣٠ م حتى نصدق بذلك جميع ما يقول عنه . وهناك أخبار أخرى من هذا القبيل ترددها كتب التراجم المتأخرة ، من بينها الخبر المروي عن توبته ، وكذلك الخبر المروي عن إصفائه بركته على الطفل «جلال الدين» الذي أصبح فيما بعد مؤلف «الشتوى المعنوى» ، وكذلك الخبر المروي عن المعجزة التي أظهرها بعد موته ليرهن بها على قدامته ويلزم بذلك أحد منكريه ١١٠٠ وفي رأي أن مثل هذه الحكايات ما هي في الحقيقة إلا اختراعات من انتحالات «دولت شاه» واتباعه ، وأنها غير جديرة بأن يلتفت إليها ، ويمكن لمن يشاء الاطلاع عليها أن يرجع إلى ما كتبه «سيرجور أوزلي»

(١) أنظر ج ١ ص ٦ طبع نيكولسون .

(٢) أنظر «نفعات الأنس» ص ٦٩٩ .

في كتابه عن « أخبار شعراء الفرس » (١)

وأغلب آثار « العطار » لم تطبع حتى الآن إلا طباعة على الحجر في مدينة « لكنو » في سنة ١٨٧٢م ولكني للأسف لا أملك نسخة من هذه الطبعة (٢) ويجب أن أقدر في هذا المكان أنه ما زال ينقصنا كثير من الدراسات المستفيضة المتعلقة بمؤلفات « العطار » قبل أن نجرؤ على التحدث عنها ولو حديثاً إجمالياً . فإذا أضفنا إلى ذلك أنني أكتب هذا الفصل وأنا بعيد عن المكتبات العامة التي تشتمل على مخطوطات لأهم آثاره ، فإنني أكون معذوراً إذا اضطررت إلى أن أقنع نفسي بالكثف بابتداء ملاحظات قليلة عن أهم مشنوياته الصوفية وأوسعها شهرة ، وأقصد بها مشنوية « منطق الطير » (٣) فقد أصبحت في متناول الجميع بفضل الطبعة الجميلة التي نشرها « جارسان دي تاسي » . وقد استطاع هذا الأستاذ الفاضل أن يصدر مقدمته التي كتبها على ترجمة هذه المنظومة بقصيدة تألف من أربعة وعشرين بيتاً نقلها عن النصب الذي أقيم على مقبرته في مدينة « نيسابور » . ولكن يجب ملاحظة أن هذا النصب أقيم في زمن متأخر نسبياً أي في نهاية القرن الخامس عشر الميلادي ، وقد أمر ببنائه السلطان « أبو الغازي الحسين » الذي كان حاكماً لحراسان من سنة ٨٧٣ هـ إلى سنة ٩١٢ هـ = ١٤٦٨ - ١٥٠٦ م مما يجعل فائدة الأشعار المنقوشة عليه قليلة القيمة ، وما يوفر علينا الجهد الذي تكلفه في إظهار ما بها من سقم واضطراب .

منطق الطير :

« منطق الطير » عبارة عن منظومة رمزية تبلغ ٤٦٠٠ بيت . وموضوعها هو بحث الطيور عن الطائر الوهمي المعروف بالعنقاء أو كما يسميه الفرس « سيمرغ »

(١) ارجع إلى: Sir Gore Ouseley: Biographical Notices of Persian Poets: London. 1846, pp. 236-243

(٢) المترجم : طبعت أغلب هذه الآثار في إيران والهند ومصر والبلاد الأوربية الأخرى

(٣) ليس لدى من جديد أضيفه إلى ما سبق لي ذكره عن كتابه « تذكرة الأولياء » و « بند نامه » .

و «الطیور» هنا ترمز إلى السالکین من أهل الصوفیة، وأما «العنقاء» فترمز إلى «الله الحق»، وتبدأ المنظومة كما هو العادة بمجملته من الدأخ في حمد الله ومدح الرسول والخلفاء الراشدين الأربعة مما يدل على أن «القطار» كان إلى وقت كتابة هذه المنظومة سنیا مؤمنا بسنیته. والجزء المتعلق بالحکایة نفسها يبدأ بالبيت ۵۹۳ من المنظومة نفسها وهو يشتمل على خمسة وأربعین مقالا تنتهی بخاتمة. وتبدأ القصة بتوجيه الخطاب والترحيب بثلاثة عشر طائرا ینعقد بهم المجلس، فيقررون أنه لا بد لهم من أن یخضعوا أنفسهم لواحد منهم یجعلونه مرشدا لهم أثناء بحثهم عن العنقاء حتى یوقفوا إلى العتور علیها. ثم یختارون «الهدهد». والهدهد (كما هو معروف) مشهور جدا بین المسلمين لأنه كان رسول «سلمان» إلى «بلقیس» ملكة سبأ. ویأخذ «الهدهد» فی مخاطبتهم بحديث طويل ینتهی بهذه الآیات التي یتمثل فیها تجلی العنقاء وظهورها^(۱):

ابتدای کار سیمرغ ای عجب جلوه گر بگذشت در چین نیمشب
در میان چین فناد ازوی پری لاجرم پر شور شد هر کشوری
هر کسی نقشی از آن پر برگرفت هر که دید آن نقش کاری در گرفت
هست آن پر در نگارستان چین اطلبوا العلم ولو بالصین بین
گر نگشتی نقش پر او عیان این همه غوغا نبودی در جهان
چون نه سر پیداست وصفش را نه بن نیست لایق بیش ازین گفتن سخن^(۲)

ومعنی هذه الآیات بالعریة :

— ابتداء أمر العنقاء يا للعجب العجيب

إنها اجتازت بديار الصين في نصف الليل مجلوة الإهاب ... ۱۱

(۱) المترجم : الآيات الفارسية غير مذكورة في الأصل .

(۲) المترجم : في نسخة اصفهان المطبوعة في سنة ۱۳۵۱ هـ بيت آخر يسبق هذا البيت الأخير ونصه :

اینه آثار صنع از فر اوست نقشها جلوه ز نقش پر اوست
ومعناه :

— آثار الإبداع جميعها وليدة عظمته ، وجميع الكائنات صورة من ريشته.

- فسقطت ريشة من ريشها في وسط بلاد الصين
- فامتلات بالصخب والجلبة ديار العالمين ... !!
- فتوهم كل واحد صورة هذه الريشة القريدة .
- فأما من رآها من الناس ... فقد تعلق بها في لحظة وحيدة ... !!
- وهذه الريشة ... كائنة في معبد تصاوير الصين
- فاطلبوا العلم ولو بالصين ، كما قال سيد المرسلين ... !!
- ولو لم تحمل نقوش هذه الريشة واضحة للعيان ،
- لما وجد في هذا العالم صخب تدوى به الأركان ... !!
- ووصف هذه الريشة لا بداية له ولا انتهاء
- فن الخير أن نجعل الحديث عنها ولا نكثر الأقوال والآراء ... !!

ولم تكد أنواع الطيور تصمم على الوصول إلى «العنقاء» حتى عادت فوجدت الطريق إليها طويلة متعبة ، فأخذ كل طائر منها يلتمس لنفسه عذرا من الأعذار ، فاعتذر « الببل » بأنه مشغول بحب الوزدة الضيرة ، واعتذرت « البغاة » بأن جمالها جعلها للأقفاص أسيرة ، واعتذر « الطاووس » بادعاء الحجل والتواضع لاقتران اسمه بقصة إخراج آدم من الجنة ، واعتذرت « البطة » بعدم استطاعتها البعد عن الماء ؛ واعتذرت « الحجلة » بأنها لا تستطيع البعد عن الجبال والأودية ؛ واعتذرت « البجعة » بعدم استطاعتها مغادرة البحيرات الصافية ؛ واعتذرت « البومة » بعدم استطاعتها مغادرة الأماكن الخربة التي اعتادت أن ترتادها ، وأبدى طائر الـ «ها» إعجابه بقدرته على منح الملوك ألقابهم (١) ، واعتذر «الصقر» بأنه لا يستطيع أن يترك مكانه الممتاز على أكف الملوك ، واعتذرت « الصعوبة » بأنها ضعيفة هزيلة يقعدها الوهن والسقم ... !!

وجميع هذه الأعذار ترمز إلى الأعذار التي يندبها الآفميون عندما يقعدون عن التماس عالم الروح ويعجزون عن الضى فيه ، وقد أخذ « الهدهد الحكيم » يحيب عليها واجدا واحدا ويمثل بطائفة من الحكايات للتدليل على آرائه وأفكاره .

(١) المترجم : طائر الهما طائروهمى ، تجري الأساطير بأن ظله إذا وقع على أحد أصبح ملكا .

ثم يأخذ «الهدهد» بعد ذلك في وصف الطريق الخطرة التي يجب على الطيور اجتيازها حتى يصلوا إلى الـ «سيمرغ»، ويعرض أثناء ذلك إلى حكاية طويلة تتعلق بالشيخ «صنعان» الذي أغرم بفتاة مسيحية غراما شديدا، وعرفت الفتاة حبه لها فأمنت في غيها وتبها، واضطرته إلى إطعام خنازيرها، مما جعل أصدقاءه وتلاميذه يتكفرون له وينكروونه. وتقرر الطيور عند ذلك أن تخرج في رحلة بقيادة «الهدهد» للبحث عن الـ «سيمرغ» ولكنها سرعان ما تلتبس الأعذار أو تقيم العقبات حتى يأخذ «الهدهد» من جديد في الإجابة على أعذارها مؤيدا إجابة بطائفة من الحكايات والنكات. وهنا نجد تفاصيل هذه الأعذار التي ذكرها اثنان وعشرون طائرا مقترنة بإجابة «الهدهد» على كل واحد منها. ثم تأخذ بقية الطيور في سيرها للبحث عن الـ «سيمرغ» حتى إذا سلكت «أودية السلوك السبعة» ومرت على التوالي بـ «وادي الطلب» و«وادي العشق» و«وادي المعرفة» و«وادي الاستغناء» و«وادي التوحيد» و«وادي الحيرة» و«وادي الفقر والفناء» واستطاعت بمجاهداتها الطويلة أن تظهر من أدران النفس والجسد، وجذت في النهاية طلبتها أي «السيمرغ» وحقت بوجوده وجودها. والآيات التي تمثل لنا هذه النهاية آيات عجيبة، تمثل لنا تمثيلا حسنا لفكرة الصوفية المتعلقة بـ «الفناء في الله» وفيما يلي ترجمة حرفية لواحد وعشرين بيتا منها (١):

(١) المترجم: فيما يلي نص هذه الآيات نقلا عن نسخة «اصفهان» سنة ١٣٥١.

جان آنرغان ز تصویر وچا	شد فتای محض وتی شد توتیا
چون شدند از کل کل پاک آنهمه	یافتند از نور حضرت جان همه
باز از سر بنده نوجان شدند	می ندانستند این تا آن شدند
کرده ونا کرده دیرینه شان	پاک گشت و محو شد از سینه شان
آفتاب قریب از ایشان بتافت	جله را از پرتو آن جان بتافت
هم ز عکس روی سیمرغ جهان	چهره سی مرغ دیدند آنزمان
چون نگه کردند آن سی مرغ زود	پیشک این سی مرغ آن سیمرغ بود
در تجریر جلّه سرگردان شدند	این ندا نسند تاخود آن شدند
خویشرا دیدند سیمرغ تمام	بود خود سیمرغ سی مرغ تمام
چون سوی سیمرغ کردند نگاه	بود خود سی مرغ در آن جایگاه
ور بسوی خویش کردند نظر	بود این سی مرغ ایشان آن دگر

- وأصبحت روح تلك الطيور بما أصابها من غناء وحياة
فناء آحضا... كما أصبحت أجسادها هباء... ۱۱
- فلما تطهرت من «كل الكل» جميعها على السواء
ظفرت بالروح والحياة ثانية من نور الله ذى البهاء... ۱۱
- وعادت ثانية فأصبحت خدماً تجددت فيهم الأرواح
ولم يعلموا بذلك حتى أصبحوا على هذه الحالة من الفلاح... ۱۱
- وانمحي ما صنعوه... وما لم يصنعوه... في أيامهم الأخيرة
وانمحي عن صدورهم كل ما اقترفوه من جريرة... ۱۱
- وأضاءت شمس القرب من عندهم في جلاء وبهاء
فاستنارت أرواحهم جميعاً بما لها من ضياء... ۱۱
- وانعكست صورة هذا «السيمرغ» في هذا الأوان...
فبدت صورة «الثلاثين طائراً»... ورأوها في هذا الزمان... ۱۱
- فلما نظر في عجلة هؤلاء الطيور الثلاثين [سى مرغ]...
كان أمامهم جميعاً طلعة «السيمرغ» الأمين... ۱۱
- فدارت رؤوسهم جميعاً وظلوا في حيرة واضطراب...
ولم يدروا بذلك حتى أصبحوا فيما هم فيه من أمر عجاب... ۱۱

هر دو يك سيمرغ بودی بیش و کم
در همه عالم کسی نشنود این
بنی تفکر در تفکر ماندند
بیزبان کردند از آنحضرت سؤال
حل مائی وتوئی در خواستند
کاینه است آنحضرت چون آفتاب
جان و تن هم جان و تن بیند در او
سی در این آینه پیدا آمدید
پرده از خویش بکشایند باز
خویشرا دیدید و خودرا دیده آید

ور نظر در هر دو کردند بهم
بود این يك آن و آن يك بود این
آنها غرق تعب ماندند
چون ندانستند هیچ از هیچ حال
کشف این سر قوی در خواستند
بیزبان آمد از آنحضرت جواب
هرکه آید خویشتن بیند در او
چون شما سی مرغ اینجا آمدید
گر چل و پنجاه وشصت آیند باز
گرچه بسیاری بسر گردیده آید

- وظنوا أنفسهم الـ « سيمرغ » بلا اختلاف . .
- وظن الـ « سيمرغ » نفسه الثلاثين طائراً [سى مرغ] في ائتلاف...!!
- فلما نظروا إلى الـ « سيمرغ » وأمعنوا النظر
- كان في مكانه ثلاثون طائراً [سى مرغ] يقع عليهم البصر...!!
- فلما نظروا إلى أنفسهم ... وأمعنوا فيها التدقيق ...
- كانوا الثلاثين طائراً [سى مرغ] وكانوا « السيمرغ » على التحقيق...!!
- فلما نظر الطرفان كل منهما إلى الآخر ...
- كان كلاهما هو « السيمرغ » بغير زيادة أو قصر ... !!
- فكان هذا هو ذاك بعينه ... وكان ذاك هو هذا بعينه...
- فهل سمع بهذا أحد في العالم .. أو أصغى إليه بأذنه ..؟!
- فبقوا حياً في تعجب واضطراب وتحير ...
- وظلوا جميعاً ... من غير تفكير ... يدعون التفكير...!!
- فلما لم يعرفوا شيئاً قط عن هذه الحال . .
- أخذوا بغير لسان يسألون هذه « الحاضرة » عن هذا الأمر المحال...!!
- وطلبوا كشف هذا السر الخفي المكين ...
- وحل الطلاسم عما نكون نحن ...؟ وما تكونون ...!!
- فأجابت هذه « الحاضرة » بغير مقال أو لسان ...
- إنها كالشمس مرآة ذات ضياء ولمعان . . !!
- وكل من يقبل عليها يرى نفسه ظاهراً في صفحتها ...
- ويرى الروح روحاً . . والجسد جسداً في لوحها ...!!
- فلما أتيتم إليها ثلاثين طائراً على التمام ...
- ظهرتم فيها ثلاثين طائراً في انتظام ...!!
- ولو أتى إليها أربعون ... أو خمسون ... أو ستون ...
- لكشفوا كذلك الحجاب الذي يحجبهم أجمعين ...
- ولو أضفتهم إلى أنفسهم أكثر من ذلك بكثير...!!
- لرأيتم أنفسهم .. ولما رأيتم غير أنفسهم .. وهذا أمر يسير ...!!

٢ - جلال الدين الرومي

اسمه « جلال الدين محمد » ولكنه اشتهر فيما بعد بلقبه الذي عرف به وهو « مولانا جلال الدين الرومي » نسبة إلى بلاد الروم أو آسيا الصغرى حيث قضى الشطر الأكبر من حياته . وهو يعتبر - بغير شك - أشهر شعراء الصوفية الذين أخرجهم إيران ؛ كما أن كتابه الصوفي المعروف باسم « المشوى » جدير بأن يوضع في صف الملاحم الكبرى التي جاد بها الزمان .

مباهة جلال الدين

ولد « جلال الدين » في مدينة بلخ في خريف سنة ٦٠٤ هـ = ١٢٠٧ م . ولم يكد يمضي وقت طويل على ولادته حتى اضطر والده « محمد بن الحسين الخطيبي البكري » المعروف عادة باسم « بهاء الدين ولد » إلى الرحيل عن موطنه والهجرة غرباً نتيجة للاضطهاد الذي لقيه من « علاء الدين محمد خوارزمشاه » - كما تذكر القصة المعروفة - وسار الوالد حتى اجتاز مدينة « نيسابور » في سنة ٦٠٨ هـ = ١٢١٢ م وزار هنالك الشيخ « فريد الدين العطار » ويقال أن هذا الشيخ أخذ الطفل « جلال الدين » بين ذراعيه وبشره بمستقبل عظيم ثم باركه وأعطاه نسخة من منظومته « إلهي نامه » . ثم انصرف المهاجرون عن « نيسابور » فرحلوا إلى « بغداد » ثم إلى « مكة » وخرجوا من هنالك إلى مدينة « ملطية » حيث أقاموا أربع سنوات ، ثم غادروها إلى مدينة « لارنده » التي تعرف الآن باسم « قرمان » فأقاموا بها سبع سنوات ثم غادروها إلى مدينة « قونية » التي كانت في ذلك الوقت عاصمة للحاكم السلجوقي « علاء الدين كيقياد » وهنا يستقر بهم المقام ويموت « بهاء الدين » والد « جلال الدين » في سنة ٦٢٨ هـ = فبراير سنة ١٢٣١ .

وكان « جلال الدين » وهو في مدينة « لارنده » قد قارب الواحدة والعشرين من عمره ؛ فزوج هنالك فتاة اسمها « جوهر خاتون » ابنة « لالا شرف الدين السمرقندي » . وقد أنجب له ولدين ؛ أحدهما « علاء الدين » وللآخر « بهاء الدين سلطان ولد » . فأما أولهما فقد قتل في مدينة « قونية » أثناء الفتنة التي حدثت بها وقتل خلالها « شمس الدين تبريزي » الذي يعتبر المرشد الروحي لـ « جلال

الدين الرومي» ؛ وأما الآخرأى «هفاء الدين سلطان ولد» فقد ولد في سنة ٨٦٣هـ = ١٢٢٦ م وفاز بشهرة عريضة لأنه يعتبر صاحب أول منظومة مازالت في أيدينا من أمثلة الأشعار «التركية الغريبة» المبكرة ، وتقصد بها مثنوياته المعروفة باسم «رباب نامه» التي تشتمل على ١٥٦ بيتا ، وقد استطاع للرحوم «إ. ز. و. جب» أن يترجم نظما إلى الإنجليزية شطرا كبيرا من هذه المثنوية وأن يترجم كذلك طائفة من «الغزليات» التي أنشأها صاحبها ، وأضاف إلى هذه الترجمات كثيرا من التفاصيل المتعلقة بهذه الأشعار ، وكثيرا من الأخبار المتعلقة بناظمها وبوالده (١).

ويدو أن «جلال الدين» فقد زوجته الأولى فتزوج بعد وفاتها زوجة أخرى أنجبت له طفلين آخرين أحدهما ذكر والآخر أنثى . فلما كانت سنة ٨٧٢هـ = ١٢٧٣ م توفي «جلال الدين» ودفن في نفس الضريح الذي ضم رفاة والده ، وهو الضريح الذي شيده في سنة ٦٢٨هـ = ١٢٣٢ م سلطان «قونية» «علاء الدين كيقيباد السلجوقي» (٢).

ونحيل إلى أن «جلال الدين» ظل يدرس العلوم المتعارف عليها مع والده حتى أدركته الوفاة في سنة ٦٢٨هـ = ١٢٣١ م ثم رحل بعد ذلك إلى «حلب» و«دمشق» طلباً لاستيفاء الدرس والتحصيل ، فلاقى هنالك بواحد من تلاميذ أبيه هو «الشيخ برهان الدين الترمذى» ودرس عليه «أسرار الطريقة» فلما توفي هذا الشيخ انتقل إلى الشيخ «شمس الدين التبريزى» المعروف باسم «شمس تبريز» فتلقى عليه تعاليمه الصوفية. ويصف «نيكلسون» هذا الشيخ بأنه «شخصية غامضة تدثر بلباد أسود خشن ، تضوى لحظة قصيرة على مسرح الحياة ثم تختفي فجأة وفي سرعة فائقة» (٣) ويقال عن هذا الشيخ العجيب بأنه من أبناء «جلال

(١) أنظر : E. J. W. Gibb : History of Ottoman Poetry, vol. I, pp. 141-163 .

[الترجم : طبع «ديوان سلطان ولد» في استانبول سنة ١٣٥٨ هـ = ١٩٤١ م ضمن «الآثار المولوية في أدوار السلجوقية» .]

(٢) للاطلاع على وصف هذا الضريح، إارجع إلى الفصل العاشر من كتاب :

CJ. Huari : Konia, la ville des Derviches Tourneurs. (Paris, 1897) pp. 194-211,

(٣) إارجع إلى ص ١٨ من مقدمة كتاب «غزليات مختارة من ديوان شمس تبريز»

R.A. Nichol son: Selected Odes from the Diwan-i-Shamsi-Tabriz

الدين « اللقب بلقب « نو مسلمان » (١) الذى كان زعيما « للحشاشين » ، ثم اقلب عليهم بسبب غيرته على الإسلام ، كما تحدثنا عن ذلك فيما سبق من صفحات (٢) وقد اشتهر «شمس تبريز» بكثرة تنقلاته وسرعة تجولاته بحيث لقبوه بلقب « برنده » أى « الطائر » ويصفه « ردهاوس Redhouse » (٣) بأنه « شخصية عاتية مسيطرة » ولكن « سبرنجر Sprenger » (٤) يقول على عكس ذلك « إنه فظ غليظ القلب مكروه الطباع » أما « نيكلسون Nicholson » فقد أجاد في إجمال صفاته في عباراته التى قال فيها : « إنه كان إلى حد ما أميا ، ولكنه امتاز بحماس روحى شديد ، مصدره الفكرة التى استولت عليه فجعلته يتخيل إنه مبعوث العناية الإلهية ، وقد استطاع بواسطة ذلك أن يسيطر على كل من قدم عليه أو دخل في مجلسه . وهو من هذه الناحية ومن نواح أخرى متصل بحبه المتقد ، وقره المدقع ، وموته العنيف ، شبيه كل المشابهة بالفيلسوف «سقراط» ، فكلاهما استطاع أن يفرض نفسه على أذكيا الناس بقدرته على تصوير أفكارهم البسيطة في تعبير فنى رائع ، وكلاهما استطاع أن يكشف لنا عن خطل العلوم الظاهرة ، وعن شدة حاجتنا إلى التقف والتور وعن قيمة الحب في حياتنا ، وأن الانفعالات الشاردة والتحديات الجاهلة للقوانين الإنسانية إنما تؤدي إلى فقد « الاتزان العقلى » و« السمو الأخلاقى » اللذين هما مقياس التمييز بين الحكيم والريد (٥) . »

ويقول «شمس الدين أحمد الأفلاكى» في كتابه « مناقب العارفين » (٦) إن «جلال الدين» تعرف إلى هذه الشخصية الغامضة في مدينة قونية في شهر رجب ٦٤٢هـ ديسمبر سنة ١٢٤٤م وكان قبل ذلك قد رآه في دمشق ولكنه لم يتحدث معه ، ثم

(١) المترجم : بمعنى « المسلم الجديد » .

(٢) ارجع إلى ص ٥٧٨ من هذا الكتاب .

(٣) أنظر ص ١٠ من المقدمة التى كتبها وألحقها بترجمته الانجليزية للكتاب الأول من «التنوى»

(٤) أنظر : Sprenger ; Catalogue of the Oudh Mss. p. 490

(٥) أنظر ص ٢٠ من مقدمته لكتاب « Selected Odes etc »

(٦) ترجم منه جزء كبير نشر بعنوان « Acts of the Adepts » في مقدمة الترجمة المنظومة التى نشرها « ردهاوس » للكتاب الأول من «التنوى» .

ازدادت صلته به واستمرت الألفة بينهما مدة تقرب من خمسة عشر شهرا ، انتهت فجأة في ذى القعدة سنة ٦٤٤ هـ = مارس سنة ١٢٤٦ م بمقتل « شمس تبريز » كما أشرنا إلى ذلك من قبل ، ويقول « أفلاكي » بالإضافة إلى ذلك أن « جلال الدين » قرر تخليدا للذكرى صديقه القليل أن يرتدى اتباعه « الزى المولوى » المكون من القلنسوة الطويلة المصنوعة من اللباد البنى ومن العباءة السوداء الفضفاضة ؛ وهو الزى الذى ما زال دراويش المولوية يرتدونه حتى الآن (١) كما قرر عليهم أيضا هذه الرقصات الدائرة التى جعلتهم يعرفون لدى الأوروبيين باسم « الدراويش الراقصين » ومع ذلك فقد ذكر « أفلاكي » فى صفحات تالية من كتابه (ص ٢٧ - ٢٨) أموراً أخرى عزى إليها سبب فرض الغناء والرقص على هؤلاء الدراويش

ولا يعرف على وجه التحقيق التاريخ الذى بدأ فيه « جلال الدين » نظم مؤلفه الصوفى الكبير «الثنوى المعنوى» وهو عبارة عن «مثنوية» تشتمل على ستة كتب (٢) تتضمن فى مجموعها - كما يقول « أفلاكي » - ٣٦٦٦٠ بيتا عن الشعر ، والمعروف أن «جلال الدين» بدأ ينظم الكتاب الثانى من المثنوية فى سنة ٥٦٦٢ هـ = ١٢٦٣ م بعد سنتين من فراغه من نظم الكتاب الأول ، لأنه شغل فى هذه الفترة بوفاة زوجة تلميذه المقرب وكاتبة الخصوصى « حسن حسام الدين » ، وعلى ذلك يمكن أن نقرر مطمئنين أنه فرغ من نظم الكتاب الأول فى سنة ٥٦٦١ هـ = ١٢٦١ م ولكن لا حيلة لنا إلى تحديد الفترة التى استغرقها نظمه ، وإن كان من المحتمل أنه بدأه بعد فترة طويلة من مقتل « شمس تبريز » وأنه لم ينته من سائر الكتاب إلا فى سنة ٦٧٢ هـ = ١٢٧٣ م حينما أدركته الوفاة . (٣) ومن المحتمل أيضا أن تأليف هذا الكتاب استغرق فترة تزيد على عشر سنوات . ويبدأ كل جزء من الأجزاء الخمسة الأخيرة من الكتاب بنصيحة يوجهها المؤلف إلى « حسن حسام الدين بن

(١) المترجم : اختفى هذا الزى الآن بسبب إلقاء تكايا المولوية فى تركيا ثم فى مصر .
 (٢) قد يقابل الباحث كتابا سابعا ، ولكنه بغير شك منتحل . وقد طبع هذا الكتاب السابع على الحجر فى بلاد العراق .
 (٣) مات « جلال الدين » على وجه التحديد فى مغرب يوم الأحد ٥ جمادى الآخر سنة ٦٧٢ هـ = ١٦ ديسمبر سنة ١٢٧٣ م . أنظر أيضاً كتاب « ردهاوس » ص ١٦٠ .

أخى ترك» كما أن المؤلف لم ينس أن يذكر لنا في مقدمته المكتوبة باللغة العربية للجزء الأول بأنه ألفه استدعاء لهذا الحسن واستيحاء منه . ولما كنا نعرف أن هذا «الحسن» اشتغل كاتباً خاصاً لـ «جلال الدين» بعد موت «صلاح الدين فريدون زركوب» (١) في سنة ٦٥٦هـ = ١٢٥٨م فمن المحتمل أنه بدأ «التنوى» بعد ذلك التاريخ مباشرة .

ونحن في غنى عن أن تفصل الحديث أكثر من ذلك فيما يتعلق بحياة «جلال الدين» وسيرته لأن أصدق الأخبار المروية عنه وأكثرها تفصيلاً يروى لنا «أفلاكي» في كتابه «مناقب العارفين» وهو الكتاب الذي ترجم بعض فصوله الأستاذ «رددهاوس» . ومن الحق أن نعرف في هذا الصدد بأن أكثر الكرامات المروية في هذا الكتاب عن «جلال الدين» وأسلافه وأتباعه لا يمكن أن يتصورها العقل ، كما أن هناك مواضع غير قليلة بها أخطاء تاريخية وموضوعية ، ولكن ذلك جميعه لا يقلل من قيمة الكتاب إذا راعينا أن صاحبه بدأ تأليفه بعد خمس وأربعين سنة فقط من وفاة «مولانا جلال الدين» أي في سنة ٧١٨هـ = ١٣١٨م ؛ وأنه انتهى منه في سنة ٧٥٤هـ = ١٣٥٣م ؛ وأن صاحبه كان تلميذاً لـ «جلال الدين» يعيش معه في مكان واحد ، ويستقي أخباره من أوثق المصادر وأكثرها صحة واعتماداً ، بناء على أمر أحد أحفاد «جلال الدين» المسمى بـ «جلبي أمير عارف» ابن «بهاء الدين سلطان والد»

ديوانه شمس تبريز :

أما أشعار «جلال الدين» الفنائية أو الغزلية فيتضمنها ديوانه المعروف باسم «ديوان شمس تبريز» . ويقول «نيكلسون» أن «دولتشاه» يقرر أن «جلال الدين» أنشأها في فترة غياب «شمس تبريز» في مدينة «دمشق» ؛ بينما يقرر «رضا قلي خان» أن «جلال الدين» كتبها رثاء آله بعد مقتله . ورأى «نيكلسون» الخاص (وهو أقرب الآراء من الصواب) هو «أن جزءاً من هذا الديوان قد تم إنشاؤه أثناء حياة

(١) . «زركوب» كلمة تركسية معناها «دقائق الذهب» .

«شمس تبريز». ولكن أكرهه لم يتم إلا بعد موته بفترة من الزمن. وهو يضيف إلى ذلك : أن جلال الدين قد ألف أيضاً رسالة منشورة عنوانها «فيه ما فيه» تشتمل على ثلاثة آلاف بيت وقد أهداها لشخص اسمه «معين الدين» حاكم الروم المعروف بلقبه «بروانه» (١).

قيمة المثنوى

وأشعار «المثنوى» و «الدويان» تعتبر من أرقى الأشعار ، وقد تعارف أهل إيران على تسمية «المثنوى» بالقرآن الهلوى ويقضدون بذلك القرآن الفارسي . كما أن صاحبه كتب في مقدمته العربية التي ألحقها بالكتاب الأول منه : «إن المثنوى هو أصل أصول أصول الدين ، في كشف أسرار الوصول واليقين ، وهو فقه الله الأكبر ، وشرع الله الأزهر ، وبرهان الله الأظهر ، مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ، يشرق إشراقاً أنور من الإصباح ، وهو جنان الجنان ، ذو العيون والأغصان ، منها عين تسمى عند أبناء هذا السبيل سلسيلاً ، وعند أصحاب المقامات والكرامات خيراً مقاماً وأحسن مقبلاً ، الأبرار فيه يأكلون ويشربون ، والأحرار منه يفرحون ويطربون ، وهو كنيل مصر شراب للصابرين ، وحسرة على آل فرعون والكافرين ، كما قال يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً ...» .

والمثنوى منظوم برمه على وزن الرمل السدس المحذوف ، فتكرر تفعيلته «فاعلاتن» ست مرات في كل بيت من الأبيات ، ولكنها في نهاية كل شطر تكون محذوفة النون أي «فاعلات» . وكل بيت من الأبيات تقفى شطرته الأولى مع شطرته الثانية كما تبدل على ذلك تسميته بالمثنوى . وهو يتضمن عدداً من الحكايات المتداولة تتعلق بمختلف الموضوعات والأغراض ؛ بعضها مليح متزن ، وبعضها قبيح مستهجن ، وهي جميعها موزعة في مختلف الأبواب الصوفية أو الكشفية التي لا يفهم المقصود منها بسهولة ووضوح ؛ أما الأجزاء القصصية من «المثنوى» فعلى العكس من ذلك مكتوبة في لغة بسيطة واضحة لا يشوبها إلا بعض الحشائش اللغوية واللفظية .

ويمتاز «المثنوى» بالإضافة إلى ذلك بأنه يبدأ مباشرة في الموضوع دون أن صدر بالتصدير التقليدي المتعلق بمدح الله والرسول والأنبياء . فيبدأه «جلال الدين»

بالمقطوعة المشهورة الجميلة التي ترجمها الأستاذ المرحوم «إ. ه. بالمر» ونشرها بعنوان «أغنية الناي»^(١) وهو كتاب صغير لم يقدر له أن ينتشر بقدر ما يستحق، ويتضمن ترجمات ومنشآت منظومة مختلفة. ولا يقتصر على ترجمة المنظومة الافتتاحية من المثنوى المعروفة بـ «أغنية الناي» بل يتعداها إلى غيرها من الحكايات المذكورة في الكتاب الأول من المثنوى. وقد ترجمها «بالمر» بتصرف شديد، ولكنه استطاع مع ذلك أن يحفظ بروحها ومعانيها الأصلية بحيث يمكن أن اعتبرها من أروع الترجمات التي صادفها في نقل الأشعار الفارسية إلى اللغة الإنجليزية.

مترجمو مهول الدين إلى الإنجليزية :

وقد انفرد «جلال الدين الرومي» من بين سائر شعراء الفرس بناية مترجمة من الإنجليزية. فبالإضافة إلى «أغنية الناي» التي ذكرناها فيما سبق، توجد ترجمة منظومة للكتاب الأول من المثنوى قام بها «السير جيمس ردهاوس Sir James Redhouse» ونشرها «تروبنر Trubner» في المجموعة الشرقية^(٢) التي تتضمن أيضاً بين أعدادها مجلداً آخر هو عبارة عن مختصر للمنظومة كلها يشتمل على مقتطفات منها ترجمها ثراء المستر «إ. ه. هوينفيلد E. H. Whinfield» وقد استطاع هذا المترجم ترجمته لهذه المقتطفات وبترجمته التي قام بها لكتاب «كلشن راز» للشيخ «محمود الشبستري» أن يؤدي لنا أجل الخدمات لدراسة التصوف في إيران وتفسير نصوصه ومثونه.

ولم يفت الترجمين الإنجليزية النظر إلى ديوان «جلال الدين» وفي رأيي أن الكتاب الذي نشره «المستر نيكلسون» في كامبردج سنة ١٨٩٨ بعنوان «قصائد مختارة من ديوان شمس تبريز» مع نشر الأصل والترجمة وإضافة المقدمات والتعليقات والفهارس، يعتبر من أبداع الدراسات وأكثرها أصالة في هذا الموضوع

(١) أنظر: E. H. Palmer : Song of the Reed.

Messrs Trubner ; Oriental Series

(٢) أنظر:

(٣) عنوان هذا الكتاب بالإنجليزية هو :

R. A. Nicholson : Selected Poems from the Divan i shams-i-Tabriz Cambridge 1898 ,

قد تمكن بواسطة خبرته وتخصصه من أن يفحص الصلات التي اعتقد وإياه إنها قائمة بين تعاليم « الصوفية المسلمين » وأصحاب « الأفلاطونية الحديثة » في الاسكندرية، وأن يبرهن على قيام هذه الصلات فعلاً. وقد أدى هذه الدراسة بقدرة عجيبة كما تشهد بذلك مقدمته على « القصائد المختارة » ولكنه مازال يتابعها ويكمل أبحاثها في مؤلفات أخرى. وقد استطاع بنشره لكتاب « تذكرة الأولياء » من تأليف الشيخ « فريد الدين العطار » الحصول على كثير من المعلومات الجديدة المفيدة^(١)، وهو يخبرني بأنه أصبح الآن يعمل إلى أن ينسب نشأة الناحية الفلسفية من مذهب التصوف إلى « ذوالنون المصري » وحده، ولا شك أن هذا الرأي إذا ثبتت صحته سيكون عظيم الخطورة والأهمية لأنه سيرهن على وجود الحلقة المفقودة التي تربط « الصوفية » بـ « مدرسة الاسكندرية الفلسفية »^(٢).

ووجود هذه الترجمات الكثيرة التي ذكرتها في متناول الأيدي، يحتم على ألا أكثر من ضرب الأمثلة من مؤلفات، « جلال الدين الرومي » ؛ وعلى ذلك سأكتفى بأن أقدم للقارئ مثلاً واحداً اخترته من « المثنوى » وغزيتين أخذتهما من « الديوان » أما المثل الأول فمأخوذ من قصة الوزير « اليهودي » المذكورة في الكتاب الأول من المثنوى. وللقارئ أن يقارن بين ترجمتي التي أسوقها في السطور التالية وبين الترجمة التي قام بها « بالمر » في كتاب « أغنية الناي » ص ٢٤ - ٢٥ والترجمة التي قام بها « ردهاوس » في ص ٢٩ - ٣١ من كتابه^(٣).

(١) المترجم : عندما كتب « براون » هذا الجزء لم يكن نيكلسون قد نشر إلا الجزء الأول من « تذكرة الأولياء » وأما الجزء الثاني منها فكان معداً للطبع ، وقد تم بعد ذلك طبع هذا الجزء ضمن مجموعة « النصوص الفارسية التاريخية » التي قام بنشرها « براون » بعنوان : (Persian Historical Texts Series)

(٢) المترجم : استمر الأستاذ « نيكلسون » في هذه الأبحاث حتى أواخر حياته في سنة ١٩٤٨ وقد استطاع قبل وفاته أن ينشر كثيراً منها وأن يتم نشره وترجمته للمثنوى برمته فوقع ذلك في ستة مجلدات طبعت منذ سنة ١٩٢٥ في « سلسلة جب التذكارية » .

(٣) المترجم : هذا بالطبع لفائدة القارئ الانجليزي ، أما القارئ العربي فيأني أنشر لغائده النص الفارسي مع ترجمته العربية . وفيما يلي أصل الأبيات الفارسية :

هر شبی از دام تن ارواح را می رهانی می کنی الواح را =

- أنت... في كل ليلة من الليالي ... تدع هذه الأرواح
وتخلصها من عبس الأجساد... وتزع عنها هذه الألواح...!!
- فتحرر هذه الأرواح في كل ليلة من أقفاس الأجساد
وتحرر من الأحكام والأقوال وأفعال العباد...!!
- وفي الليل... لا يدري «المحبوسون» شيئاً عن «السجن» الذي هم فيه
وفي الليل... لا يدري السلاطين شيئاً من أمر الحكم والعز والته...!!
- وفي الليل... يتمتع التفكير في الربح والخسران
وفي الليل... يتمتع التفكير في أمر فلان أو فلان...!!
- وحال «العارف» هي هذه الحال تماماً... دون غفلة أو منام
و«هم رقود» كما قال تعالى، فلا تجفل من هذا الكلام
[انظر سورة «الكهف» آية ١٧ حيث يقول تعالى: وتحسبهم أيقاظاً وهم رقود]

می رهند ارواح هر شب زین قفس	فارغان از حکم و گفتار و قصص
شب ز زندان بی خبر زندانیان	شب ز دولت بی خبر سلطانیان
نی غم و اندیشه سود و زیان	نی خیال این فلان و آن فلان
حال عارف این بود بی خواب هم	گفت ایزد: هم رقود زین مریم
خفته از احوال دنیا روز و شب	چون قلم در پنجه تقلیب رب
آنک او پنجه نبیند در رقم	فعل پندارد بجنبش از قلم
شمه زین حال عارف و انمود	خلق را هم خواب حسی در ربود
رفته در صحرای بی چون جانشان	روحشان آسوده و ابدانشان
وز صفیری باز دام اندر کشی	جمله را داد و در داور کشی
فالق الإصباح اسرافیل وار	جمله را در صورت آرد زان دیار
روحهای منبسطرا تن کند	هر تنی را باز آستان کند
اسب جانهارا کند عاری ز زین	سر النوم أخو الموت است این
لیک بهر آنک روز آیند باز	بر نهد بر پاش پابند دراز
تا که روزش واکشد زان مرغزار	وز چرا گاه آردش در زیر بار
کاش چون أصحاب کف این روح را	حفظ کردی یا چو کشتی نوح را
تا ازین طوفان بیداری و هوش	وارهیدی این ضعیف و چشم و گوش
ای بسا أصحاب کف اندر جهان	پهلوی تو پیش تو هست این زمان
غار با او یار با او در سرود	مهر بر چشم و بر گوشت چه سود

- والعارف راقد في غفلة عن أحوال الدنيا أثناء الليل والنهار وهو كالقلم في «قبضة» ربه يقلبه كما يختار ... !!
- فالذى لا يستطيع أن يرى «القبضة» عند الكتابة والتحرير يظن أن حركة «القلم» نفسه هي التى تحدث الرقم والتسطير...!!
- وقد أبدى «العارف» شيئاً مما يتصل بهذه الحال ولكن النوم الحسى سلب ألباب سائر الخلق والرجال فذهبت أرواحهم إلى صحراء العدم والفناء واستقرت هي وأبدانهم في راحة وهدوء على السواء...!!
- ثم إذا أنت بصغير واحد تطوى الشباك والشراك وتدعوهم جميعاً إلى الحساب ... وإلى لقاءك!!
- وكإسرافيل يدعوهم فالق الإصباح [أى الله. انظر سورة الأنعام آية ٩٦]
- من هذه الديار ، فلبسهم صورهم التى كانت لهم ويجعل لهذه الأرواح النبسطة الشفافة أجسادا ويجعل كل جسد منها محملاً بروحه
- وفي الليل يفرى جواد الروح من سرجه وهذا هو سر قولهم : « إن النوم هو أخو الموت »
- ولما كانت الأرواح تعود في أثناء النهار فإنه قد كبّلها بقيود ثقيلة طويلة
- حتى يسترجمها أثناء النهار من هذه المروج اليانعة وحتى يسترجمها من مراعيها ، ويحملها الأحمال النافعة
- فيألتها حفظ هذه الروح كما حفظ أصحاب الكهف ويألتها حفظ هذه الروح كما حفظ سفينة نوح ...!!
- حتى يتمكن الضمير وتمكن الأعين والآذان أن تتخلص من طوفان اليقظة والعقل والأثران ...!!
- وما أكثر ما في الدنيا من رجال يشبهون أصحاب الكهف وهم أمامك ... وإلى جوارك ... وموجودون في كل زمان ...!!

— وهم في النار ومعهم الأحبة الأخيار ... وهم يتغنون بأعذب الألحان
ولكن ما الفائدة وقد حتم الله على بصرك ومعك فعميت الأبصار وانسدت الآذان

ديوان شمس تبريز:

وأهل الشرق لا يقرأون ديوان « جلال الدين الرومي » أو يدرسونه كثيراً كما يفعلون بالثنوى . ولكن بعض المستشرقين الأوروبيين يحملون الديوان أعلا مرتبة من «الثنوى» من ناحية صياغته الشعرية ومعانيه المبتكرة. وقد كان هذا الرأي - وفقاً لما جاء في إحدى الحكايات التي ذكرها الأفلاكي في كتابه (١) - رأى جماعة من أكبر الأدباء الذين عاصروا « جلال الدين » نفسه ، ويدخل في عدادهم الشاعر الكبير «سعدى» ؛ فقد ورد الخبر بأن أمير شیراز أرسل إليه أن يقتنى له أطيب غزلية في الشعر الفارسي وأن يراعى في اختيارها أن تكون ممتازة بأسمى الأفكار وأعلا المعاني ، فاختار «سعدى» غزلية من ديوان «جلال الدين» وقدمها إليه قائلاً : إن جمال الكلمات التي صيغت فيها هذه الغزلية جعلتها بحيث لم يستطع أحد في الماضي أن يقول مثلها ولن يستطيع أحد في المستقبل أن يبلغ مبلغها ، وبالفعل أستطيع أن أذهب إلى بلاد الروم لأمسح وجهي بتراب أقدام من قالها...!! (٢) .

وقد اعتنى المستر «نيكلسون» عناية بالغة بهذه الغزليات وأبدى كثيراً من الدوق والخبرة في دراسته لها في الكتاب الذي أشرت إليه آنفاً ، ومن تحصيل الحاصل أن أضيف شيئاً إلى ما قاله لأنني لم أدرس الديوان دراسة بحث واستقصاء . ولكني لا أريد في هذه المناسبة أن أحرم نفسي أو القارئ من إيراد ترجمة نيكلسون المنظومة لغزليتين من أجمل الغزليات ذكرهما في الجزء الثاني من ملاحق كتابه (٣) .

(١) أنظر ترجمة « رخصاوس » رقم ١٤ ص ١٨ — ٣٠ .

(٢) يقول « الأفلاكي » أن أمنية « سعدى » قد تحققت فيما بعد؛ ولكني لا أستطيع أن أجِد مصدراً واحداً معتمداً يؤيد التقاء هذين الشاعرين الكبيرين .

(٣) المترجم: هاتان الغزليتان غير كاملتين وهما واردتان بتمامهما في كتاب نيكلسون تحت رقم ٣١ و ٣٦ .

وفما یلی ترجمه التزیلة الأولى (١) :

- آیا المسلمون ... ما التدیر ... وأنا نفسی لا أعرف نفسی ... !!
- فلا أنا مسیحی ، ولا أنا یهودی ، ولا أنا مجوسی ، ولا أنا مسلم ... !!
- ولا أنا شرقی ، ولا أنا غربی ، ولا أنا بری ، ولا أنا بحری
- ولا أنا من عناصر الأرض والطیعة ، ولا أنا من الأفلاك والسموات ... !!
- ولا أنا من التراب ، ولا أنا من الماء ، ولا أنا من الهواء ، ولا أنا من النار
- ولا أنا من العرش ، ولا أنا من الفرش ، ولا أنا من السكون ، ولا أنا من السكان ... !!
- ولا أنا من الهند ، ولا أنا من الصين ، ولا أنا من البلغار ، ولا أنا من السکسون ... !!
- ولا أنا من ملک العراقین ، ولا أنا من بلاد خراسان ... !!
- ولا أنا من أهل الدنیا ، ولا أنا من أهل العقبی ، ولا أنا من أهل الجنة ، ولا أنا من أهل النار ... !!
- ولا أنا من نسل آدم ، ولا أنا من نسل حواء ، ولا أنا من أهل الفردوس ، ولا أنا من أهل جنة الرضوان ... !!
- وإنما مکانی حیث لا مکان ، وبرهانی حیث لا برهان
- فلا هو الجسد ... ولا هو الروح ... لأننی أنا فی الحقیقة من روح الروح (الحیب) ... !!

(١) الترجم: فیما یلی أصل هذه الآیات بالفارسیة:

چه تدیر ای مسلمانان که من خود را نمی دانم	نه ترسانه یهودم من نه کبرم نه مسلمانم
نه شرقیم نه غربیم نه بریم نه بحریم	نه از کان طبعیم نه از افلاک گردانم
نه از خاکم نه از آبم نه از بادم نه از آتش	نه از عرشم نه از فرشم نه از کونم نه از کانم
نه از هندم نه از چینم نه از بلغار و سقینم	نه از ملک عراقینم نه از خاک خراسانم
نه از دنیی نه از عقبی نه از جنت نه از دوزخ	نه از آدم نه از حوا نه از فردوس و رضوانم
مکانم لا مکان باشد نشان بی نشان باشد	نه تن باشد نه جان باشد که من از جان جانانم

وفما يلي ترجمة الغزلية الثانية: (١)

- أيها العشاق ... هذا هو وقت الرحيل عن هذا العالم
وهاي طبول الرحيل تدق في السماء وتصل إلى مسامع روعي ...!!
— فتنبه ... قد تهض الجمال ، وهياً القافلة وشد الرجال
وطلب منا كل ماهو حلال ، فلما ذا تظل في غفلة .. أيها المسافر ..!!
— وهذه الأصوات التي تحيط بك من خلف ومن قدام إنما هي أصوات الرحيل
وفي كل لحظة من اللحظات ... تسرى نفس ويسرى نفس إلى لا مكان ...!!
— ومن هذه الشموع المقلوبة (أي النجوم) ومن هذه الحجب الزرقاء
(أي السماء)
خرجت المخلوقات العجيبة ، حتى تجعل ما في الغيب عيانا ...!!
— وقد أصابك نوم ثقيل في هذه العجلة الدائرة (الأفلاك)
فيا لوعتاه على هذا العمر الخفيف .. ويا حذرا من هذا النوم الثقيل ...!!
— ويا قلبي .. عليك بالحبيب ، ويا أيها الحبيب ... سر إلى لقاء الحبيب
ويا أيها الرقيب .. تيقظ .. فلا يجوز لصاحب التوبة أن ينفل ...!!

(١) المترجم : فيما يلي أصلها بالفارسية :

ای عاشقان ای عاشقان هتکام کوچست از جهان
نک ساریان بر خاسته قطارها آراسته
ازما حلال خواسته چه خفته اید ای کاروان
این بانگها از پیش و پس بانگ رحیلست و جرس
هر لحظه نفس و نفس سر میکند در لا مکان
زین شمعهای سر نگون زین پردهای نیلگون
خلفی عجب آمد برون ناغیها گردد عیان
زین چرخ دولابی ترا آمد گران خوابی ترا
فریاد ازین عمر سبک زهار ازین خواب گران
ای دل سوی دلداری شو ای یار سری یار شو
ای پاسبان بیدار شو خفته نشاید پاسبان

وإني لأعترف بأنني لا أذكر من الترجمات الانجليزية المنظومة لأشعار شرقية إلا أمثلة قليلة تبلغ في جمالها وعدوبتها مبلغ هذه الترجمات التي نظمها «نيكلسون»، ومن أسف أن أمورا كثيرة تمنعه عن مواصلة مجهوده في هذا السبيل، منها صعوبات الطبع وتصحيح الأصول، وحضور المجتمعات، وإعادة المعلومات البديهة على مسامع جمهورهم يتوق إلى الاستزادة من المعلومات التي تتضمنها عادة بطون الموسوعات ودوائر المعارف؛ فمثل هذه الأمور جميعها تعوقه - كما تعوق كثيرا من أمثاله - عن المثابرة في سلوك الطرق التي مهدت لهم والسبل التي طمعوا دائما في سلوكها والوصول إلى غايتها

٣ - سعدى

نصل الآن إلى «سعدى الشيرازي» وهو ثالث الشعراء الثلاثة الكبار الذين نشأوا في هذه الفترة، وقد ذكرنا أنه يعتبر - وفقا لمقطوعة سبق لنا إيرادها - واحدا من «أنبياء الشعر» الثلاثة، الذين يتمثلونهم بالشاعرين الآخرين «الفردوسي» و«الأنوري». ومن الحق أن نقرر أيضا أن الشهرة الواسعة والصيت الكبير اللذين فاز بهما «سعدى» لم يفز بهما أديب فارسي آخر حتى اليوم، سواء كان ذلك في موطنه بالذات أم في أي مكان آخر يعني باللغة الفارسية. وما زال كتاباه «گلستان» و«بوستان» يعتبران فائحة الدراسات الأدبية التي تقدم لطالب الفارسية. كما أن غزلياته لا يعلوها من حيث مكانتها الأدبية إلا غزليات مواطنه المعروف «حافظ الشيرازي» و«سعدى» شاعر من طراز آخر^(١)، يختلف تماما عن أخويه اللذين ترجمنا لهما في هذا الفصل؛ وهو يمثل بوجه عام الشخصية الفارسية المتزنة التي تعنى بالدين والدنيا في وقت واحد، بينما يمثل زميلاه الآخران الشخصية التي خلصت دينها وتصفوها تمام الخلو. وكان التصوف في هذا الوقت قد راج رواجا كبيرا في إيران، وأصبحت تعابير الصوفية ومصطلحاتهم - كما هو الحال حتى الآن - جزءا من الحديث العادي بين كافة الناس، فبقيت آثار منها ظاهرة وكثيرة في كتابات «السعدى»، ومع ذلك

(١) المترجم: كتب عن «سعدى» بالعربية كتابان :

١ - رسالة بعنوان «السعدى الشيرازي» مطبوعة على الآلة الكاتبة ومحفوطة بدار الكتب تحت رقم ٧٣٨٠ وهي من تأليف الأستاذ «ظهر الدين أحمد» من خريجي دار العلوم وجامعة حيدر آباد وتاريخها ١٣٤٤ هـ = ١٩٢٦ م .

ب - كتاب بعنوان «سعدى الشيرازي» نشره الدكتور «محمد موسى هنداي» المدرس بكلية دار العلوم في سنة ١٩٥١ م .

فإننا لا نتردد مطلقاً في أن نقرر أن طابعه الخاص كان ينحون نحو الحكمة الدنيوية دون التصوفية أو الدينية، ويعتبر كتابه «كلستان» على الخصوص، من أهم الكتب «الميكافيلية» التي كتبت بالفارسية، ولربما يوجد به كثير من الآراء والعواطف الدينية ولكنها في الواقع آراء عملية تبعد عن الناحية المثالية التي يتصف بها غيره من كتاب الصوفية الخالصين

مباة السعدى :

ويبدو من مراجعة أقدم النسخ الخطية (١) الموجودة في أيدينا من مؤلفات «السعدى» أن اسمه الكامل هو «مشرف الدين بن مصلح الدين عبد الله» ولم يكن اسمه «مصلح الدين» كما هو معروف عادة، والشهور عنه أنه ولد في مدينة شيراز حوالى سنة ٥٨٠ هـ = ١١٨٤ م، وأنه مات وقد جاوز المائة من عمره في سنة ٦٩١ هـ = ١٢٩١ م، وأنه قد أباه في سن مبكرة كما تدل على ذلك الآيات الآتية (٢) من الـ «بوستان» :

(١) النسخة الخطية الرقيمة ٨٧٦ بإدارة الهند بلندن وهى مكتوبة في سنة ٧٢٩ هـ = ١٣٢٨ م أى بعد موت سعدى بسبع وثلاثين سنة فقط .
(٢) المترجم : فيما يلي نص الآيات بالفارسية .

غبارش یفشان و خارش بکن	پدر مرده را سایه بر سر فکن
بود تازه بی بیخ هرگز درخت	ندانی چه بودش فرومانده سخت
مده بوسه بر روی فرزند خویش	چو بنی یتیمی سر افکنده پیش
وگر خشم گیرد که بازش برد	یتیم از بگرید که نازش خرد
بلرزد همی چون بگرید یتیم	الا تا نگرید که عرش عظیم
بشفقت یفشانش از چهره خاک	برحت بکن آتش از دیده پاک
تو در سایه خویشتن پرورش	اگر سایه خود برفت از سرش
که بر در کنار پدر داشتم	من آنکه سر تاجور داشتم
پریشان شدی خاطر چند کس	اگر بر وجودم نشستی مگس
نباشد کس از دوستانم نصیر	کنون دشمنانم گر برنم اسیر
که در طفلی از سر برقم پدر	مرا باشد از درد طفلان خبر

- انشر ظل حنانك على اليتيم الذى قضى الموت على أبيه
وانقض القبار عنه ، واقتلع الشوك الذى يؤذيه ... !!
- وهل تراك تعلم إلى أى حد هو عاجز مقهور ... !!
- وهل تبقى الشجرة نضيرة إذا اجثت منها الجذور ... !!
- وإذا رأيت يتيمًا قد خض رأسه في ذلة وانكسار
فخذار أن تقبل أمامه واحدا من أولادك الصغار ... !!
- وهل لليتيم أحد يرعاه إذا بكى أو انتحب ... !!
- وهل لليتيم أحد يسترضيه إذا حنق أو غضب ... !!
- فلا تدع اليتيم يبك ، فإن العرش العلى العظيم
تهتز جنباته ، إذا استمع إلى بكاء اليتيم ... !!
- وامسح دموعه من مآقيه في حنو وشفقة
وانقض القبار عن وجهه في عطف ورقة ... !!
- وإذا انحسر عنه الظل وانكشف جسده للهجير
فخذه وربّه في ظلك الوارف العزيز ... !!
- فلقد كانت رأسى يعاوها تاج ذهبي
عندما كنت أعيش هائلا في كنف أبى ... !!
- وكانت إذا حطت ذبابة واحدة على جسدى
اضطربت أذهان جملة من الناس خوفا من غضبي ... !!
- أما الآن فإذا استطاع أن يأسرنى الأعداء
فلن يكون لى نصير واحد من بين الأصحاب والأصدقاء ... !!
- ومن أجل ذلك فإني خير بآلام الأطفال
لأن أبى تركنى في طفولتى يتماضى الحال ... !!
- وللدكتور « إتيه » مقالة بعنوان « الأدب الفارسي » منشورة في المجلد الثانى
من كتاب « الفصل فى الدراسات اللغوية الإيرانية » .
- وهى تتضمن أو فى بحث كتب عن « السعدى » فيما أعرف . وقد ذكر « إتيه »
فى هذا البحث أن السعدى عند موت أبيه انتقل إلى رعاية حاكم فارس المعروف باسم

الأتابك « سعد بن زنگي » الذي تولى العرش سنة ٥٩٢ هـ = ١١٩٥ م . وقد اختار الشاعر تخلصه الذي عرف به وهو « السعدي » من إسم هذا الحاكم وتكريماً له . وإلى هذا الحاكم يرجع الفضل في إرساله إلى المدرسة النظامية في بغداد لمتابعة دروسه واستيفاء تحصيله . وبهذه الحادثة تبدأ أولى الفترات الثلاث التي قسم إليها الدكتور « إتيه » حياة « السعدي » وأعنى بها :

(١) فترة التحصيل : وقد استمرت إلى سنة ٦٢٤ هـ = ١٢٢٦ م وقد أمضى الشاعر أكثرها في بغداد . ومع ذلك يبدو من إحدى الحكايات الواردة في الباب الخامس من الـ « گلستان » أن الشاعر استطاع خلال هذه الفترة أن يقوم برحلته الطويلة إلى مدينة « كاشغر » فهو يقول إنه « دخل هذه المدينة في نفس السنة التي اختار فيها السلطان محمد خوارزمشاه لأمر سياسي أن يعقد الصلح مع الخطائين » ومن المعروف لنا أن هذه الحادثة وقعت في سنة ٦٠٧ هـ = ١٢١٠ م . والظاهر أيضاً كما يبدو من هذه الحكاية أن شهرته حتى في هذه الفترة المبكرة كانت قد شاعت وذاعت بحيث سبقته إلى هذا الثغر القاصي من الثغور الإسلامية الواقع في الناحية الشمالية الشرقية من بلاد الإسلام . وهذه المسألة لا تدل فقط على نجاحه وفوزه وذوبوع إسمه وهو ما زال في السادسة والعشرين من عمره، ولكنها تدل أيضاً على شيء آخر حاولت مراراً أن أؤكد في كتاباتي وهو مقدار السرعة التي كانت تنتشر بواسطتها الأنباء والأخبار في ديار المسلمين في هذا الوقت البعيد .

وقد وقع « السعدي » أثناء إقامته في بغداد تحت تأثير الشيخ الصوفي المشهور « شهاب الدين السهروردي » المتوفى سنة ٦٣٢ هـ = ١٢٣٤ م وقد تحدث « السعدي » عن صلاح هذا الشيخ وتقواه وعن حبه الخالص لأفراد البشر في إحدى الحكايات الروية في الـ « بوستان » . وتدل حكاية أخرى مروية في الباب الثاني من الـ « گلستان » على أن « شمس الدين أبا الفرج بن الجوزي » كان أيضاً من بين الرجال الذين استطاعوا بفضلهم وعلمهم أن يفيدوا السعدي أثناء هذه الفترة من الشباب .

(ب) فترة الترحال : أما الفترة الثانية من حياة « السعدي » فهي فترة الأسفار

الواسعة التي قام بها . وقد بدأت كما يقول الدكتور « إتيه » في سنة ٦٢٤ هـ = ١٢٢٦ م حينما اضطرت الظروف المضطربة في إقليم فارس إلى الهجرة عن «شيراز» وكان قد عاد إليها من بغداد . فاستمر قرابة ثلاثين عاما أي إلى سنة ٦٥٤ هـ = ١٢٥٦ م يتجول في الأنحاء المختلفة من ديار الإسلام ، ما بين الهند شرقا إلى الشام والحجاز غربا . وقد أشار في مقدمة الـ « كلستان » إلى أسباب مغادرته مدينة شيراز في الآيات الآتية (١) :

- الا تدرى لماذا أُمضيت في أقاليم الغربية أزمانا طويلة ! !
- لقد فررت من مضايقة الأتراك عندما رأيت العالم قد اختلطت أحواله كشمع الزنوج ! !
- وكانوا جميعا من أبناء آدم ، ولكنهم كانوا من حيث التعطش إلى سفك الدماء ذئابا حادة الخالب ! !
- فلما عدت . . . وجدت الديار هادئة وقد تخلصت النور من طباعها الشرسة . . . !
- ووجدت في الداخل أناسا طيبين كالملائكة ، وفي الخارج جنودا أبطالا كالأسود المقترسة ! !
- وقد كانت الدنيا في عهدها الأول الذي شاهدته مليئة بالفتن والاضطرابات والمضايقات ! !
- ولكنها أصبحت آمنة ساكنة في أيام السلطان العادل الأتابك « أبي بكر سعد بن زنكي » ! !

(١) الترجمة : فيما يلي أصل هذه الآيات بالفارسية :

چرا روز گاری بکردم درنکی	ندانی که من در اقالیم غربت
جهان در هم افتاده چون موی زنکی	برون رفتم از تنگ ترکان که دیدم
چو گرگان بخون خوارگی نیز جنگی	همه آدمی زاده بودند لیکن
پلنگان زها کرده خوی پلنگی	چون باز آمدم کشور آسوده دیدم
برون لشکری چون هزیران جنگی	درون مردمی چون ملک نیکمضر
جهان پر ز آشوب و تشویش و تنگی	چنان بود در عهد اول که دیدم
اتابک ابو بکر سعد بن زنکی	چنین شد در ایام سلطان عادل

(ج) الفترة الثالثة : فترة الاستقرار والتأليف : وقد كانت عودة السعدى إلى « شيراز » وهى العودة التى أشار إليها فى آخر الأبيات السابقة ، فى سنة ٦٥٤ هـ = ١٢٥٦ م وتعتبر هذه السنة بداية الفترة الثالثة والأخيرة من حياته ، وهى الفترة التى استوعبت بوجه خاص نشاطه الأدبى برمته . فبعد سنة واحدة من عودته أى فى سنة ٦٥٥ هـ = ١٢٥٧ م استطاع أن ينشر منظومته المثنوية « بوستان » فلما انقضت سنة أخرى بعد ذلك نشر الـ « گلستان » فى صورة مجموعة من الحكايات ، استقها من ملاحظاته المخزنة وتجاربه المكثرة ، وأفاض عليها مثلاً أخلاقية وحكماً عملية ؛ وقد سطرها جميعاً فى أسلوب منشور يخلط به كثير من الأبيات المنظومة . والـ « بوستان » والـ « گلستان » كتابان مشهوران تماماً . وقد ترجما إلى سائر اللغات بحيث لا أجد ضرورة تضطرني إلى الإفاضة فى الحديث عنهما فى هذا المقام (١) .

أسفار السعدى :

أشرنا فيما سبق إلى أن أسفار « السعدى » كانت واسعة وأنه استطاع خلالها زيارة « بلخ » و « غرنة » و « البنجاب » و « سومنات » و « كجرات » و « الين » و « الحجاز » وأجزاء أخرى من « بلاد العرب » و « الحبشة » و « سوريا » وعلى الخصوص مدينتي « دمشق » و « بعلبك » و « شمال أفريقيا » و « آسيا الصغرى » وقد قام بهذه الرحلات فى زى الدراويش ، وسلك جميع الطرق والسبل ، واخطب بكافة الناس على سائر أنواعهم . ومن خلال كتاباته وخاصة الـ « گلستان » نرى « السعدى » أحياناً وقد سار متعراً فى أثر قافلة الحجاج محترقاً صحراوات بلاد العرب القائظة ؛ وأحياناً نراه يتندر مع صبيان « كاشغر » بفكاهات نحوية لها طابعها الفنى الدقيق ؛ وأحياناً أخرى يقع أسيراً فى أيدي الفرنج ويحكم عليه بالأشغال الشاقة مع جماعة من اليهود فى مدينة « طرابلس » ، وأحياناً أخرى نجده مشغولاً بالكشف عن سر صنم هندي عجيب فى معبد « سومنات » ، فإذا اكتشفه حارس هذا الصنم وهو مستغرق فى الفحص والتدقيق لا يجد السعدى بداً من قتل هذا الحارس حتى

(١) تحدث « إنييه » عنهما باستفاضة فى مقاله المذكور آنفاً أنظر ص ٢٩٥ — ٢٩٦

يستطيع النجاة بنفسه . وهو يروي هذه القصة الأخيرة بكل صراحة واطمئنان على هذا النحو (١) :

- فاغلقت باب الدير بإحكام ... في ليلة من الليالي ١١...
 وجريت كالعقرب عن يميني وشمالى ١١...
 — ونظرت تحت المائدة وفوقها ... بفارس وإمعان ١١...
 فرأيت ستارة موشاة بالذهب في هذا المكان ١١...
 — وقد جلس وراءها كاهن من عبدة التيران (٢) ١١...
 يشد إلى يديه جبلا يمسكه في أتران ١١...
 — فأنكشف الأمر أمامى فوراً ... وأنجلي الحال للعيان ١١...
 وتيسر الأمر ، كما تيسر للحديد أن يصبح شمعاً رخواً في يد داود بن سليمان ١١...

(١) المترجم : روى السعدي هذه القصة في نهاية الباب الثاني من كتابه « بوستان » وفيما يلي نص الأبيات الفارسية :

دویدم چو وراست چون عقربی	در دیر محکم به بستم شبی
یکی پرده دیدم مکلل بزر	نگه کردم از زیر تخت وزیر
مجاور سر ریشمانی بدست	پس پرده مطرانی آذر پرست
چو داود کاهن برو موم شد	بفورم دران حال معلوم شد
بر آرد صنم دست فریاد خوان	که ناچار چون در کشد ریشمان
که شتعت بود بخیه بر روی کار	برهن شد از روی من شرمسار
نگوشت بیجاهی در انداختم	بتازید ومن در پیش ناختم
بماند کند سعی در خون من	که دانستم از زنده آن برهن
مبادا که سرش کنم آشکار	پسندد که از من بر آرد دمار
ز دستش بر آور چو در یافتی	چو از کار مفسد خبر یافتی
نخواهد ترا زندگانی دگر	که گر زنده اش مانی آن بی هنر
اگر دست یابد ببرد سرت	وگر سر بخدمت نهد بر دوت
چو رفتی و دیدی آمانش مده	فریبنده را پای بر پا مده
که از مرده دیگر نیاید حدیث	تمامش بکشتم بسنگ آن خبیث

(٢) من المدهش أن السليدين حتى التعلين منهم لا يعلمون إلا القليل عن الأدب الأخرى غير الاسلام وهكذا نجد « السعدي » رغم قراءاته الواسعة وأسفاره الكثيرة يعجز عن أن يحدثنا عن معبد الصنم الهندى دون أن يختلط عليه الأمر فيشير إلى أمور متعلقة بالديانة الزردشتية أو الديانة المسيحية .

- فعلت أنه عندما يشد هذا الكاهن هذه الحبال . . . !!
- يرفع الصنم يديه في ضراعة وإتهال . . . !!
- وخجل « البرهمي » مني وأحس لرؤيتي بالعار . . . !!
- وتأكد من شناعة الحال إذا انفضحت الأسرار . . . !!
- فجرى هاربا . . . وجريت في عقبه دون تريث أو إبطاء
- حتى استطعت أن ألقه في بئر مليئة بالماء . . . !!
- فلقد أيقنت أنه إذا بقي على قيد الحياة
- فلن يتردد في أن يهرق دمي في غير أناة . . . !!
- وأنه سير كثر إذا استطاع أن يورثي موارد الدمار
- خشية أن أهلك الأستار وأفضح الأسرار . . . !!
- فإذا قبض لك أن تطلع على حال مفسد من للفسدين
- فلا تتردد في القضاء عليه . . . إذا كنت من القادرين . . . !!
- فانك إن أبقيته سالما على قيد الحياة
- فلن يتردد هذا الخبيث عن إهلاكك بأي أداة . . . !!
- ولو فرض ووضع جبينه على بابك خضوعا في خدمتك
- لما تردد إذا تهيأت له الفرصة . . . أن يقطع رأسك ورقبتك
- فلا تابع كل مختال خداع أثم
- وإذا تابعته فلا تعطه الأمان . . . فهو لثم . . . !!
- ومن أجل ذلك قضيت عليه تماما حتى مات هذا الخبيث
- واليت كما يقولون : لا يستطيع ترديد الحديث . . . !!

سعدى وتعليم الأعداء :

عندما يوصف «السعدى» كما هو العادة بأنه شاعر «أخلاقي» يجب ألا يغيب عن بالنا أن هذا الوصف صحيح إلى حد ما ، ولكن مثله ومبادئه الأخلاقية تختلف بعض الشيء عن قواعد الأخلاق المقررة في البلاد الغربية من أوروبا ؛ فمضمون أولى حكايات الـ « گلستان » يتلخص في « أن الكذب المقرن بالمصلحة خير من الصدق المثير للفتنة » وكذلك الحكاية الرابعة تمثل لنا « أن خير أنواع التهذيب لا يستطيع أن

يصلح الطباع المعوجة والميول التوارثة الآتية»، فإذا وصلنا إلى الحكاية الثامنة وجدناه ينصح الأمراء بأن يهلكوا بغير رحمة جميع الذين يخشونهم (أى يخشون الأمراء) لأن «القطعة إذا عجزت فإنها تلتقط بمخالبها عيون النمر»، وأما الحكاية التاسعة فتؤكد الحقيقة المريرة التي تجعل ورثة المرء هم أعدى أعدائه، والحكاية الرابعة عشرة يسوقها دفاعا عن جندي هرب من ميدان القتال لأن أجره لم يدفع إليه، وأما الحكاية الخامسة عشرة فقارسية لحما ودماء وخلاصتها: «إن وزيرا عزل من الوزارة فلحق بحلقة من حلقات الدراويش ثم عاد الملك فرضى عنه وأراد أن يرجعه إلى منصبه ولكن الوزير لم يقبل هذا التشريف؛ فقال الملك: ولكنى أريد رجلا عاقلا قادرا يستطيع تدبير أمور الملك، فأجابه الوزير العزول: إن علامة القدرة والعقل لا تثبت لإنسان إلا إذا رفض مثل هذا العمل الذى تعرضه لى...!!

والحكاية التالية بعد ذلك توضح هذا رأى أكثر من ذلك فتقرر «إن الحكماء يقولون: إن الإنسان يجب أن يكون على حذر من تلون الملوك وتقلب طباعهم فهم أحيانا يؤذون من يقابلهم بالسلام والاحترام، وأحيانا أخرى يثيرون من يوجه إليهم بذى الكلام...!!».

ولكى أوجز الحديث فى هذا الموضوع اكتفى بأن أسوق إلى القارىء الحكاية التالية المذكورة فى الباب الأول من الـ «كلستان» فهى عاطلة من كل مبادئ الأخلاق والمعنويات^(١):

«حكوا عن وزير شرير أنه ضرب رجلا صالحا على رأسه بحجر، ولم يستطع هذا الدرويش المسكين أن ينتقم منه فاكتمى بأخذ الحجر والاحتفاظ به حتى إذا غضب الملك على هذا الوزير الشرير، وأمر بحبسه فى الحب، أسرع الدرويش وقذفه بنفسه هذا الحجر. فقال المحبوس: من أنت يا من قذفتنى بالحجر ولماذا قذفتنى به...؟ فأجاب الدرويش: أنا فلان، وهذا هو الحجر الذى قذفتنى به فى التاريخ القلانى...! فقال المحبوس: وأين كنت طوال هذه المدة الماضية...؟ قال: كنت مخفيا خشية

(١) أنظر الحكاية الثانية والعشرين.

جاهك ونفوذك ... حتى إذا رأيتك الآن في قاع الجب اهزت القرصة ، وانتقم
لنفسى ، متابعاً قول من قال :

- إذا وافى الجحظ سفيماً من السفهاء ...
- فإن العقلاء يسلون له ... حتى ينكشف البلاء ... !!
- فإذا لم تكن أظافرك حادة قاطعة ...
- فحذار أن تدخل مع الأشرار في واقعة ... !!
- فإن من يصارع أصحاب السواعد القولاذية ...
- لا يؤذى إلا سواعده البضة الفضية ... !!
- فانتظر حتى يشل الزمان يديه
- واشف رغبة أحبابك ... فاقطع غم وأقض عليه ... !!

وفي الحق إن جمال كتابات «السعدى» وفوزه بالشهرة العريضة التي نالها، لا يرجعان إلى ما امتاز به من مثالية كاملة بل إلى ما انصف به من مرونة شاملة . ففي كتاباته أمور ترضى سائر الأذواق : الرفيع والوضيع ، والمهذب والحليع ، والموقر والرقيع . وكتاباته بهذا الوضع عبارة عن أعودج مصغر من نماذج الشرق ، تتحل فيه خير المناظر وأطيبها ، وكذلك شر الصور وأقبحها ، ومن أجل ذلك لم يكن من مجرد المصادفة التي لا سبب لها أن تستمر كتبه طوال القرون الستة والنصف الماضية هي أوائل الكتب التي تعطى لدارس الفارسية حيثما اتفقت له هذه الدراسة .

مؤلفات السعدى :

قصرت حديثي حتى الآن على أهم مؤلفات «السعدى» وأكثرهما شهرة وأعني بذلك كتابيه «گلستان» و «بوستان» ولكن للسعدى بالإضافة إلى ذلك «كليات» أي آثار مجموعة تشتمل على ما يأتي :

- (أ) قصائد عربية
- (ب) قصائد فارسية .
- (ج) ملمعات أي أشعار بعضها فارسي وبعضها عربي .
- (د) مرآئي
- (هـ) ترجيعات

(و) غزليات : مقسمة إلى أربعة أقسام تشمل « الغزليات القديمة » و « الطيات » و « البدائع » و « الخواتيم » .

(ز) رباعيات ومقطوعات وأيات مفردة .

(ح) هزليات أو قصائد عابثة .

(ط) رسائل مشورة تشتمل فيما تشتمل على ثلاث مقالات خليعة بشكل لا يتصور تسمى بالحديثات .

(ي) رسالات موجهة إلى « صاحب الديوان » ويقصد به أول رؤساء الوزراء الذين وزروا لـ « هولاكو خان » المغولي . ثم خليفته « شمس الدين محمد الجويني »

(ك) مضحكات : وهي حكايات بعضها مضحك ولكنه غير ممتع .

(ل) بند نامه : أى كتاب النصائح، وقد وضعه على غمط كتابات « العطار » وغيره من الكتاب .

سعدى اللغوى :

وواضح وجلى أن هناك استحالة تحول دوننا وتفصيل الحديث - أو حتى إعطاء الأمثلة - عن كل ناحية من هذه النواحي التي يتمثل فيها نشاط السعدى وإنتاجه . بل إن آثاره التي ذكرناها في البيان السابق لم تشمل مؤلفاته على سبيل الحصر ، لأن « سعدى » قد اشتهر بالإضافة إلى ذلك بأنه أول من أنشد الشعر باللغة « الهندوسكانية » أو « الأردية » التي تعلم أصولها فيما يظهر أثناء أسفاره في بلاد الهند . وقد رأيت أمثلة من هذه الأشعار في مخطوط تمتلكه « الجمعية الملكية الآسيوية » ، ولكنى لا أستطيع أن أبدي رأياً فيما يتعلق بصحة نسبة هذه الأشعار إليه وعدم تزييفها .

وقد أنشأ « سعدى » أيضاً بعض « الفهاريات » أى القصائد المنظومة في إحدى اللهجات الفارسية ، وقد نشرت أمثلة منها في مجلة « الجمعية الملكية الآسيوية » في شهر أكتوبر سنة ١٨٩٥م في مقالة جعلتها بعنوان : « ملاحظات على الأشعار المنظومة

في لهجات فارسية»^(١)؛ ومن بين هذه الأشعار قصيدة فاتني ذكرها في هذا المقال ولا أستطيع الحصول عليها الآن، ولكنها تشتمل على أشعار قد نظمت في جملة من اللغات واللهجات المختلفة. ولا معدى لنا من أن يظل الشك يساورنا فيما يتعلق بمعرفة الشاعر لكل هذه اللغات واللهجات، حتى نستطيع الحصول على نسخة من مؤلفاته تكون أكثر اعتماداً وصحة، وحتى تتمكن من معرفة اللهجات الفارسية التي كانت سائدة في القرون الوسطى معرفة تامة كاملة. ومن الجائز جداً أن تكون هذه الأشعار محاولات مصطنعة ومنتهلة قام بها غيره دون أن يعرف السعدى عنها شيئاً على الإطلاق؛ وحاله في ذلك حال من يكتبون الكتب عن «إرلنده» وينسبونها إلى أناس لا يعرفون عنها شيئاً بالمرّة، ولكي يظهروها بمظهر الكتب الصحيحة العتمدة، يضطرون إلى التماس بعض الوسائل لستر عملهم، كأن يكتبوا الكلمات الإنجليزية بإملاء سقيم مضطرب أو أن ينثروا بين الصفحات ألفاظاً إيرلندية مهوشة أو غير مفهومة^(٢).

قصائد سعدى :

السائد في «إيران» و«الهند» أن القصائد العربية التي أنشأها «سعدى» جميلة جداً، ولكن أدباء العربية مع ذلك يعتبرونها متوسطة أو دون المتوسطة. أما قصائده الفارسية - فعلى عكس ذلك - تعتبر الغاية في الفن والجمال، وخاصة قصيدته التي مطلعها^(٣) :

— حذار أن تسلم نفسك لصديق من الأصدقاء... أو للدار والديار
فالناس كثيرون... والأراضى متسعة... وكذلك البحار...!!

(١) عنوان المقالة بالإنجليزية : Notes on the Poetry of the Persian Dialects. pp 792-802

(٢) المترجم : يسرق المؤلف أمثلة لهذه الألفاظ هي :

“musha”, “acushla machree”, “mavournen”

(٣) المترجم : فيما يلي مطلع هذه القصيدة بالفارسية:

بهیج یارمده خاطر و بهیج دیار که بر و بحر فراخت و آدمی بسیار

وهناك أيضاً قصيدة أخرى مشهورة من قصائده وهي التي رثى بها تغريب بغداد على أيدي الغول وقتل الخليفة « المستعصم » في سنة ٦٥٦ هـ = ١٢٥٨ م وقد ذكرنا طرفاً منها في الصفحات السابقة (١).

غزليات سعدى :

وقد ذكرت أيضاً أن الـ « سعدى » لا يقل من حيث غزلياته عن أى شاعر فارسي آخر ولو كان هذا الشاعر « حافظاً الشيرازي ». وعدد غزلياته كبير جداً وهي موزعة بين الكتب الأربعة التي عناوينها : « الطيبات » و « البدايع » و « الخواتيم » و « القصائد القديمة » وكل هذه تقع في ١٥٣ صحيفة من صفحات نسخة « الكليات » المطبوعة على الحجر في مدينة بمباي في سنة ١٣٠١ هـ = ١٨٨٣ - ١٨٨٤ م . وسأكتفي في هذا المقام بترجمة اثنتين من هذه الغزليات تصلحان مثلاً لسائر غزلياته .

أما الغزلية الأولى فترجمتها كما يلي (٢) :

— ما أحب هذه التأوهات التي تحرق القلوب بنارها الضرام ...

فإننى أستطيع بواسطتها .. مهما اشتدت .. أن أقضى الليالي والأيام ١١٠٠

(١) المترجم : انظر ص (٤١) من هذا الكتاب .

(٢) المترجم : فيما يلي أصل هذه الغزلية بالفارسية [أنظر : كليات سعدى طبع بمباي

سنة ١٣٠١ هـ ص ٢٤٦] .

تا بهر نوعی که باشد بگنزام روزرا
 کان صباحت نیست این صبح جهان افروزرا
 تا قیامت شکر گویم طالع پیروزرا
 جان سپر کردند مردان تاوگ طلوزرا
 بر زمستان صبر باید طالب نوروزرا
 کین کرامت نیست جز مجنون خرمن سوزرا
 کان نباشد زاهدان مال وجاه اندوزرا
 ریمان در پای حاجت نیست دست اموزرا
 در میان این وآن برصت شمار امروزرا

دوست میدارم من این نالیدن دلسوزرا
 شب همه شب انتظار صبح روئی میروم
 وه که گر من باز بینم چهر مهر افرازی او
 گر من از سنگ ملامت رو بگردانم زخم
 کاجویانرا ز نا کامی کشیدن چاره نیست
 عاقلان خوشه چین از سر لیلی غافلند
 عاشقان دین و دنیا باز را خاصیتی است
 دیگر را در کمند آور که ما خود بنده ایم
 سعدیادی رفت و فردا همچنان موجود نیست

- ولقد ينقضى الليل .. وأنا أتلهف طواله إلى رؤية وجه حبيبي الصبح ..
فإن صباحته تضيئ على صباحي كثيراً من النور والوضوح ... !!
- ولو أنني رأيت ثانية وجهه الذي يزيد ما بي من حب وحنين ...
لظلمت أشكر بمن حظي وطالعي إلى يوم الدين ... !!
- وهل أستطيع أن ألوئى وجهي خجلاً من لوم اللائعين ...
وشجعان الرجال يتقون بأرواحهم قدح القادحين ... !!
- وليس على طالب الظفر إلا أن يتحمل التعب والعناء ...
كما أن طالب الريح ، عليه أن يصبر على زمهرير الشتاء ... !!
- وهام العقلاء من أصحاب الحرص في غفلة عن هوى «ليلي» الدفين ...
ولم ينظر بهذه الكرامة إلا «المجنون» الذي أتلّف للهجة وحصادالسنين ١
- وإذا كانت هناك ميزة يتميز بها عاشقو الدنيا والدين ...
فإن هذه الميزة تنتفي عن من يحرص على جمع المال والجاه من الزاهدين ... !!
- فإذا أوقعت في شراك أحد .. فأوقع غيري .. فإني لك عبد مطيع لأوامرك
ولا حاجة بك إلى وضع القيود والحبال في أقدام من هو طوع إشارتك !
- ويأسعدي .. لقد مضى الأسى ، وما زال الغد محجوباً في ستار الغيب ..
فاغتني الفرصة بين هذا وذاك ، وتمتع بيومك الحاضر حتى يشتقي القلب ... !!
- والغزلية الثانية معروفة جداً لدى أهل «شiraz» لأنها تتضمن مدحاً رقيقاً
تستحقه مدينتهم الجميلة ، وترجمتها كما يلي (١) :

(١) المترجم : فيما يلي أصل هذه الغزلية بالفارسية : [كليات سعدى ص ٢٨٩]

رها نميکنند ایام در کنار منش	که داد خود بستانم پیوسه از دهنش
هان کنند بگيريم که سيد خاطر خلق	بدان همی کند ودر کشم بخويشتنش
وليك دست نیارم زدن بدان سر زلف	که مېلفی دل خلقت زهر شکنش
غلام قامت آن لعبتم که بر قد او	بریده آنه لطافت چو جامه بر بدنش
ز رنگ و بوی تو ای سرو قد سیم اندام	برفت رونق نسرين وياغ و نيرنش
يکي بحکم نظر پای در گلستان نه	که پايعال کنی ارغوان وياسنش

- إن الأيام لاتسمح للحبيب أن يكون في أحضانى ...
 حتى أشفى النفس بتقيل ثغره ... وأحقق الأمانى ... !!
 — فلا سرق هذه الشراك التى يصيدها ألباب الأنام ...
 حتى أستطيع أن أعيده ، وأضعه إلى ... فى يوم من الأيام ... !!
 — ولكن من أسف ... أننى لن أستطيع أن أمسك يدي أطراف طرته
 لأن كل ثنية منها قد اشتملت على القلوب التى وقعت فى محبته ... !!
 — وإننى لبعد لقامته البديعة التى يقاس عليها اللطف والجمال ...
 كما يقاس الرداء على جسده المتميز بالحسن والدلال ... !!
 — فيا شجرة البرو ... يا ذات الكيان القضى ... إنك بما امترت به من غير
 وصفاء ...
 قد أوديت بما امتاز به النسرین والنسرن من رونق ورواء ... !!
 — فتقدمى خطوة ... للتفرج على ما فى هذه الروضة من رياحين ...
 ولا حرج عليك ... إذا وطئت أقدامك زهور الأرغوان والياسمين ... !!
 — وما أبهج مشاهدة النوروز ... خاصة فى مدينة شيراز .
 فاتها تنسى الغريب موطنه ... بفعل جمالها المعتاز ... !!
 — ولقد أصبح الورد بجماله (الذى يبلغ جمال يوسف) عزيزاً على خيلة مصر
 الزاهرة؛ وجلبت نسائم الصبا إلى هذه المدينة روائح العطرة ... !!
 — فلا تعجب ... أيها الحبيب . . إذا استطعت فى وقت الربيع البليل
 إن تثير الفيرة حتى يبكى السحاب ويضحك الزهر الجميل ... !!
 — ولا تعجب ... إذا استطعت بمثل صفائك أن تحتاز بميت من الأموات
 فينهض الميت من ثراه ... وتجاوب فى أكفانه الأصوات ... !!

که بر کند دل مسافر از وطنش
 صبا بشهر بر آورد بوی پیرهنش
 بگرید ابر و بخندد شکوفه در چمنش
 عجب نباشد اگر نمره آید از کفش
 که بر جمال تو فتنه است و خلق بر سخنش

خوشا تفرج نوروز خاصه در شیراز
 عزیز مصر چمن شد جمال یوسف گل
 عجب مدار که از غیرت تو وقت بهار
 بدین روش که توئی گز برآمده بر گذری
 مانند فتنه در ایام شاه جز سعدی

— وفي أيامك ... أيها المليك ... لم تعد شور في هذه البلدة فن أوثرات
غير افتان «سعدى» بجمالك ، وافتان الخلق بما يقول من غزليات !!...!!
ويندر في هذه الغزليات أن توجد بها إشارات متعلقة بحياة الشاعر ، ولو أن
سعدى قد تحدث في واحدة منها فقال : إنه في مازق بسبب عشقه لأنه يكاد يفقد في
خمس أيام كل ما جمع من حكمة وحزم في خمسين سنة متتالية ...!! وكذلك بالغزليات
إشارات كثيرة لسيدة ومولاه «صاحب الديوان» فقد ورد ذكره في غزلية كتبها
فيما يظهر قبيل خروجه من شيراز قاصداً مدينة بغداد ، فهو يقول فيها :
دلم إز صحبت شيراز بکلى بگرفت وقت آنست که برسى خبر از بغدادم
هينچ شک نيست که فريادم آينجا برسد عجب ار «صاحب ديوان» نرسد فريادم
سعديا حب وطن گرچه حديثست صحيح توان مرد بسختى که من اينجا زادم
ومعنى هذه الأبيات :

— لقد انقبض قلبي تماماً من حياء شيراز وما أحسه فيها من بلاء
وآن لك أن تسأل عن أخباري من بغداد ، إذا التمت الأبناء !!...!!
— ولا شبهة عندى في أننى إذا استغثت هنالك فسيمع صوت استغاثتى
ولكن يا عجباً - إذا امتنع «صاحب الديوان» من إعانتى ...!!
— وبإسعدى !!...!! إن حب الوطن حديث صحيح السند^(١)
ولكنى لا أستطيع أن أموت هنا بكرى ... لالشيء إلا لأننى ولدت في هذا البلد
أشعار سعدى الواردة في السكتانه وديوانه حافظ :

وهناك نقطة أخرى جديرة بالملاحظة وهى أن طائفة من أشعار السعدى الروية
في ديوانه تذكر أيضاً في كتاب الـ «گلستان» . ولا غرابة في ذلك لأن كلا الكتائين
من تأليفه ؛ ولكن وجه الغرابة واقع في أن بعض هذه الأشعار تذكر أحياناً في
ديوان شاعر آخر يعادله شهرة ومكانة ولكنه متأخر عنه من الناحية الزمنية وهو
مواطنه «جافظ الشيرازى» . وقد وجدت في قراءة غابرة ثمانية أمثلة من أمثلة

(١) المترجم . الحديث الذى يشير إليه هو «حب الوطن من الإيمان» .

الأشعار المروية في الـ « گلستان » كما وجدت ثلاثة أخرى من أمثلة
الآيات المروية في ديوان « حافظ » ومن الجائز جداً أن تكثر الأمثلة إذا دققنا البحث
وصبرنا على الفحص . ولنبدأ بذكر الأمثلة التي تمثل الطائفة الأولى ، ففي صفحة ٣٧
من « الطيحات » المطبوعة على الحجر في بمبای سنة ١٣٠١ هـ نجد البيت الآتي :
نه آنچنان مشغولم بتو ای بهشتی رو که یاد خویشتم در ضمیر می آید
ومعناه :

— وأننى مشغول بك أيتها الجميلة الحسنة
بحيث لا يواتننى التفكير فى نفسى فى هذه الأثناء ... !!
وقد ورد هذا البيت فى الباب الخامس من كتاب الـ « گلستان » ؛ وكذلك
ورد فى « البدایع » البيت التالى :
آنرا که جای نیست همه شهر جای اوست درویش هر کجا که شب آمد سراى اوست
ومعناه :

— كل من لا منزل له ، فالمدينة برمتها منزله وداره
والدرويش حينما يواتيه الليل ... فالملك قصره وسرايه ... !!
وقد ورد هذا البيت فى الباب الثالث من كتاب الـ « گلستان » مع بعض التعديل
فى شطرته الأولى بحيث أصبح على هذا النحو :
شب هر توانگرى برائى همى رود درویش هر کجا که شب آمد سراى اوست
ومعناه :

— أثناء الليل ... يذهب كل غنى إلى قصر من القصور
أما الدرويش فيحينما أتاه الليل . فقصره حينما اتفق له العبور ... !!
وكذلك نجد فى « البدایع » ص ٩٩ هذه الشطرة التالية :
* بنده چه دعوى كند ؟ حك خداوند راست *
ومعناها :

وأي دعوى يدعيها العبد ... ؟ والحكم لمولاه ... ؟ !
وهذه الشطرة ترد فى الباب الأول من « الگلستان » وقد أضيفت إليها شطرة
أخرى تكملها فى حكاية « عمرو بن الليث الصفار » وعبد .
أما الآيات الأخرى التى ترد فى الديوان وكذلك فى الگلستان فهى الآتية :
بيتان فى الغزلية المذكورة فى ص ١٠٠ التى مطلعها :

معلت همی شوخی ودلبری آموخت جفا و ناز و عتاب و مستکبری آموخت
ومعناه :

— لقد علمك مملك الجرأة والقحة وسلب القلب والفؤاد
وعلمك الجفاء والدلال والعتاب والظلم والاستبداد...!!
والبيت المروى في ص ١١٥ من « البدائع » ونصه :
عجب از كشته نباشد بدر خیمه دوست
عجب از زنده ، كه چون جان بدر آورد سليم
ومعناه :

— فلا عجب من قتل... قتل على باب خيمة أحبابه
ولكن العجب من الحى ، كيف استطاع النجاة بروحه ولم يقتل على بابه...!!
والبيت المروى في ص ١٤٤ من « الخواتيم » ونصه :
دیدار می نمائی و پرهیز میکنی بازار خویش و آتش ما تیز میکنی
ومعناه :

— وأنت تظهر طلعتك ، ثم تمنع وتصد عنا
وكأنك تروج تجارتك ، وتشعل النار المتقدة في صدورنا
وفي النهاية توجد في ص ١٤٥ من « الخواتيم » رواية أخرى بها بعض التعديل
للآيات التي وردت في مقدمة الـ « گلستان » وقد ذكرناها فيما سبق في الفصل
الأول من هذا الكتاب عندما تحدثنا عن « شعر الفرس وبلاغتهم » وذكرنا الصناعة التي
تعرف بـ « التضمن » بمعنى أن يضمن الشاعر في أشعاره شطرة أو بيتا أو أكثر من
أشعار غيره من الشعراء . وكان الشاعر لكيلا يتهم بالسرقة يراعى في تضميناته أحد
أمرين : أولهما ألا يضمن من الأشعار إلا ما كان متداولاً ومعروفاً لدى جميع المتعلمين
حتى لا يتهمه واحد منهم بأنه شاء أن ينسبها لنفسه ؛ والآخر ألا يضمن شعرا لشاعر غير
معروف إلا إذا ذكر اسمه صراحة في أشعاره . فإذا وجدنا أن « حافظ الشيرازي »
عندما ضمن الآيات الآتية في أشعاره لم يذكر صراحة اسم سلفه « السعدي » فلن
ذلك وحده يكفي دليلاً - إذا أعوزنا الدليل - على البرهنة على ما امتازت به غزليات
السعدي من رواج عريض وشهرة واسعة .

يقول «حافظ» في إحدى غزلياته :
 بدم گفنى وخرسندم ، عفاك الله نكو گفنى
 جواب تلخ ميزيد لب لعل شكر خارا
 ومعناه (١) :

رعاك الله أن تمضى بإيلامى وتجري على شفة رشفناها
 والشطة الأولى من هذا البيت ترد بنصها في ص ٦٨ من « طيات » السعدى
 على هذا النحو:

بدم گفنى وخرسندم ، عفاك الله نكو گفنى
 سگم خواندى و خوشنودم ، جزاك الله كرم كرى
 ومعنى الشطرة التي قرنت بالشطة المشتركة هو التالى :
 وقد اتميتنى كلباً ، وسعدت بذلك ، فليجزك الله لقد أكرمته ١١٠٠٠
 وكذلك يقول السعدى في ص ١٠٧ من « البدايع » :
 جز اين قدر نتوان گفنى در جمال تو عيب
 كه مهربانى از آن طبع و خونى آيد
 ومعناه :

— ولا يستطيع أحد أن يقول إن فى جمالك عيباً ... إلا هذه الرذيلة
 وهى : أن الحب لايتأتى من أصحاب الوجوه الجميلة والطباع الويلة ... ١١
 وقد أخذ « حافظ » الشطرة الأولى من هذا البيت وقرنها بشطرة أخرى من
 شعره ، نصها كما يلى :

كه خال مهر و وفا نيست ، روى زيارا

ومعناها :

فإن الحب والوفاء لا يكون لأصحاب الوجوه الجميلة ... ١١
 وكذلك نجد « سعدى » يقول فى « الطيات » ص ٨٠ البيت الآتى :
 ذوق چنان ندارد بى دوست زندگانی دودم بسر بر آمد زين آتش تانى

(١) المترجم : انظر ترجمتى لديوان حافظ الشيرازى المنشورة فى جزء من بعنوان « أغاني شيراز »

ومعناه :

— أن الحياة لا طعم لها بغير صحبة الخلان

وقد صعد الدخان إلى رأسى ما فى دخلى من نيران .. !!

وقد أخذ «حافظ» الشطرة الأولى من هذا البيت وقلبها على هذا النحو :

« بى دوست زندگانى ذوقى چنان ندارد »

ولست أعرف حق الآن أن أحدا من الكتاب قد سبق له الإشارة إلى هذا الدين الذى استدانته «حافظ» من سلفه «السعدى» ، ومن أجل ذلك جرؤت على معالجة الموضوع بشئ من التفصيل الذى ربما اعتبره بعض القراء من لغو القول الذى لاتدعو إليه حاجة أو ضرورة .

٤ — صفار الشعراء

أما صفار الشعراء الذين ظهروا فى هذه الفترة فكثيرون ، وقد نستطيع أن نجمع من « لباب الألباب » تأليف عوفى مجموعة منهم تبلغ الأربعين شاعرا كانوا برمتهم أو أكثرهم معاصرين للشعراء الثلاثة الكبار الذين خصصنا لهم هذا الفصل من الكتاب . ويضطررني ضيق المقام إلى أن أقصر حديثي على اثنين فقط من المتأخرين بين هؤلاء الأربعين ، وأقصدهما الشاعرين الإصفهانيين «شرف الدين محمدشفرو» و «كمال الدين اسماعيل» الذى يلقب بـ «خلاق للعاني» . وقد يضاف إليهما شاعر ثالث هو «الأمير خسرو الدهلوى» لأن شهرته تجعله جديرا بالذكر والحديث ، ولكننا اضطررنا إلى التجاوز عنه لأننا راعينا أن نخرج كل ما يتعلق بالهند من دائرة هذا الكتاب . ومن أجل ذلك فإننى اكتفى بأن أذكر أن هذا الشاعر ولد فى «بئالى» فى سنة ٦٥١ هـ = ١٢٥٣ م وتوفى فى «دلهى» فى سنة ٧٢٦ هـ = ١٣٢٥ م وأنه كان فى أشعاره تلو «نظامى الكنجوى» .

(١) شرف الدين شفرو :

«شرف الدين شفرو» وكذلك «جمال الدين عبدالرزاق» (والد الشاعر «كمال الدين اسماعيل») كان كلاهما مداحا لقاضى قضاة مدينة اصفهان الملقب بـ «صدر خجند»

وهما يعتبران من جيل متقدم نسبياً لجيل الشعراء الذين ذكرناهم آتفاً، لأن الأخير منهما مات في سنة ٥٨٨ هـ = ١١٩٢ م والأول مات في سنة ٦٠١ هـ = ١٢٠٤ م وقد وقع كلاهما - من أجل ظروف بينهاها في فصل سابق -^(١) في عراك مع تلميذ «خاقاني» المسمى بـ «عجير الدين البيلقاني». فقد أقذع هذا الأخير في هجائهما مما كان سيئاً فيما بعد لإهدار دمه؛ وقد هجا كل منهما الآخر أثناء الفترات التي قاما فيها بتوجيه المدائح لمولاهما المشترك قاضي قضاء اصفهان. ولم أصادف بين أشعار «جمال الدين» شيئاً يلفت النظر ولكني صادفت بين أشعار «شرف الدين» قصيدة جميلة جداً يصف فيها مجد «اصفهان» الغابر وما أصابها من تخريب وتخطيم، وقد نشرت نصها في مقالتي الذي أذعته في «مجلة الجمعية الآسيوية الملكية» في سنة ١٩٠١ م بعنوان «مقال عن مخطوط نادر متعلق بتاريخ اصفهان».^(٢)

(ب) كمال الدين إسماعيل :

كان «كمال الدين إسماعيل» الملقب بـ «خلاق العاني» مداحاً مثل أبيه «جمال الدين عبد الرزاق». وقد اختص بمدائحه جماعة من الناس من بينهم «ركن الدين صاعد بن مسعود» وجملة من ملوك خوارزم المعروفين باسم «خوارزمشاه» مثل «تكش» و«قطب الدين محمد» و«جلال الدين» وكذلك مدح ملك ما زنديران «حسام الدين أردشير» وحكام فارس المعروفين بالأتابكة وخاصة «سعد بن زنگي» وابنه وخليفته «أبا بكر بن سعد» وقد ذكرنا من قبل أن هذين الحاكمين كانا من مذبوحى «سعدى» وأصحاب الفضل عليه.

وقد كان «كمال الدين» واحداً من كبار الضحايا الكثرين الذين قتلهم المغول؛ ويذكر «دولت شاه» عنه أنه كان كريماً وغنياً، وقد أنكر فضله بعض من خصمهم بكرمه من أهل اصفهان قديم المدينة وأهلها في أبيات معناها (٣) :

(١) أنظر صحيفة ٥٠٣ من هذا الكتاب

(٢) أنظر : «مجلة الجمعية الملكية الآسيوية» سنة ١٩٠١ م

ومطلع القصيدة التي يشير إليها هو :

ديدى تو اصفهان را آن شهر خلد پرور آن سدره مقدس آن عدن حور پرور

(٣) المترجم . أنظر ص ١٥٢ من تذكرة الشعراء . وهذا هو نص الأبيات :

- يا إله الكواكب السبع السيارة
 أرسل كافرا شديداً الفتك والغارة
 — حتى يجعل «دردشت» قاحلة كالصحارى
 وحتى يجري نهرا من الدماء في «جوباره» (١)
 — وحتى يضاعف عدد سكان هذه المدينة
 بأن يقطع كل واحد منهم إلى مائة قطعة ... ١١

وقد استجاب الأقدار بسرعة لدعوته فدخل جيش المغول مدينة أصفهان حوالي سنة ٦٣٥ هـ = ١٢٣٧ م بقيادة «أوكداي» وأوقع بها شر وقيعة على النحو الذي عرفت به غارات المغول وما يصاحبها من قتل وتعذيب واضطهاد . ويقرر «دولت شاه» (وقد ذكرنا من قبل أنه لا يعتمد عليه تمام الاعتماد لكثرة جنوحه إلى الخيال) أن «كال الدين إسماعيل» ليس في هذه الأثناء خرقه الصوفية ، وتشبه بهم ، واختار زاوية خارج المدينة فلزمها فترة من الزمان ، لم يتعرض له فيها المغول بشيء من الأذى ولكن أهل أصفهان استغلوه لمصلحتهم فأودعوا لديه كثيراً من أموالهم وأمتعتهم ، فأخذها وأخفاها في بئر في هذه الزاوية . وذات يوم دخل صبي من المغول إلى زاويته وفي يده قوس ، فقف طائراً بقذيفة ، فسقط شخصه من أضعه ووقع في هذه البئر ؛ فلما طلب إخراجه منها اكتشف الكنوز المخبأة فيها . وثارت طمع المغول وجشعهم فلم يكتفوا بما وجدوه بل أخذوا يعذبون «كال الدين» رجاء أن يضطر إلى الكشف عما عساه قد خبأ من أموال وكنوز أخرى . ويقال إن «كال الدين» وهو في حالة النزع استطاع أن يكتب بدمه الرباعية التالية :

- لقد دمي قلبي ... وهذا هو شرط الدلة والتفاني
 — وهو أيضاً مظهر الدلة والخضوع أمام الله الباقي

ای خداوند هفت سیاره کافری را فرست خونخواره
 تا در دشت چودشت کند جوی خون راند اوز جوباره
 عدد مردمان بیفزاید هر یکی را کند بصد پاره

(١) مملتان في اصفهان . انظر ص ٢٠٥ من كتاب :

Le strange : Lands of the Eastern Caliphate.

— ومع ذلك فلست أستطيع أن أقول شيئاً من الاقوال
وكأنما أُنجز الخدمة هو ما أنا فيه من حال... (١)

خاتمة الكتاب

عند ما ندرس تاريخ أمة من الأمم، أو نتعرض على الخصوص لحضارتها وحياتها العقلية، لا يمكننا أن نصل إلى نقطة من النقط نستطيع أن نقف عندها ونقول في دقة وإيمان بأن هذه النقطة تنتهي بها فترة من فترات تاريخها. ومع ذلك فهذا التجديد ضروري لأغراض عملية كثيرة. وقد سبق لي أن قررت أن تاريخ إيران بل تاريخ الإسلام كافة لا يمكن أن توجد به معالم واضحة تفرق بين أزمنته السابقة أو اللاحقة لهذه النبذة التي تلت ديار المسلمين بغارة المغول؛ وكل ما هنالك أنه منذ وقعت هذه النبذة النبذة لم يستطع الإسلام أن يفيق مما أصابه من ركود عام في سائر نواحيه، وخاصة النواحي الفكرية والعقلية منها. وقد اختفى المغول منذ أمديع ولم يعودوا قوة عالمية يحسب حسابها، أو عاملاً سياسياً يرهب جانبه، ولكنهم مع ذلك كله استطاعوا أن يغيروا معالم الأرض بما أحدثوه فيها من تخريب لا يمكن إصلاحه وبلاء لا يمكن علاجه.

وهذا المجلد الذي يؤذن بالانتهاء لا يشتمل إلا على دراسة فترة لا تزيد على قرنين ونصف القرن من الزمان، ولو ساعدتني صحتي وتمهدت لي أوقات الفراغ لكان من اليسير على أن أعالج في مجلد مثل هذا المجلد ما بقي من تاريخ القرون الستة والنصف التي تصل بين النقطة التي وقفنا عندها وبين وقتنا الحاضر (٢)،

(١) المترجم: فيما يلي نص الرابعة:

دل خون شد و شرط جانگدازی اینست در حضرت او کمینه بازی اینست
با لیس هم هم هیچ نمی یارم گفت شاید که مگر بنده نوازی اینست

(٢) المترجم: أكمل المؤلف ذلك في مجلدين آخرين كل منهما في حجم المجلد الحالي

ولجعت دراستي لهذه الفترة الطويلة أدق وأوفى من دراسة هذه الفترة القصيرة التي تناولتها في هذا المجلد بكثير من التوسع والتفصيل ، ومع ذلك فإنها للأسف الشديد تبدو للقارئ العادي غير مغنيه ولا شافية ، وإني متحقق من ذلك كله ، ولكنني لو أنني انتظرت حتى أستطيع أن أقدمها له دراسة وافية كافية لما تمكنت مطلقاً من الانتهاء من هذا الكتاب . وفي رأي أن الأدب شيء بالحب . وعليهما جميعاً ينطبق المثل التركي الذي يقول :

« يار سز قالير كيمنسه عيب سز يار ايسته ين »

ومعناه : يني بلا حبيب من يريد حبباً مبرءاً من العيوب ... !!
أو كما قال الشاعر العربي :

إذا كنت في كل الأمور معاتباً

سديك لم تلق الذي لا تحابه

[وكان الفراغ من ترجمة هذا الكتاب

في يوم الإثنين ٤ إبريل سنة ١٩٤٩]

[وكان الفراغ من طبعه في يوم السبت أول مايو

سنة ١٩٥٤]

كشاف

- ١ — أسماء المؤلفات
- ٢ — أسماء الأعلام
- ٣ — أسماء الأمكنة

[هذا الكشاف مرتب ترتيباً أبجدياً باعتبار الكلمات مجردة من أداة التعريف «الـ» ومن كلمة «ابن» وكلمة «أبو» ؛ وإذا وضعت شرطة بين رقتين فمعناها «إلى»]

- ١ -

أسماء المؤلفات

[هذه المؤلفات والمنشآت الأدبية مكتوبة بلغات مختلفة تعرف بالرجوع إلى مواضعها]

أبحاث في البلاغة والعروض والقافية :

تأليف «جلادوين» ٣٠

الأبنية عن حقائق الأدوية: تأليف «ال موفق الهروي» ٣٤١،١٧٨،١٣٢

أتشكده : تأليف « لطفعلی بیگk » ٤٦٩،٤٦٨،٣٠١،٢٦٦

الآثار الباقية : تأليف «البيروني» ١٢١،١١٩،١١٧،١١١،١٠٦

آثار البلاد : تأليف «القزويني» ٦١٣،٤٧٠،٣١٢،٢٦٦

الأحكام السلطانية : تأليف «الماوردي» ٣٦٣

إحياء علوم الدين : تأليف «الغزالي» ٦٣٢،٤٣٨،٣٦٩

أخبار شعراء الفرس : تأليف «أوزلي» ٦٤٨،٣٩٦،١٥٤

الاختيارات العلاجية : تأليف «الرازي» ٦١٥

أخلاق جلالی : تأليف «جلال الدين دواني» ٣٢٥

أخلاق ناصري : تأليف «نصير الدين الطوسي» ٦١٧،٥٧٩،٢٦٨

أدب الدنيا والدين : تأليف «الماوردي» ٣٦٣

الاستيفاء : تأليف «شرف الملك» ١٣٤

- أسد الغابة : تأليف « ابن الأثير » ٥٩٣
 أسرار التوحيد : تأليف « محمد بن النور » ٣٢٧، ٣٢٦
 أسرار نامه : تأليف « العطار » ٦٤٤
 أسكندر نامه : تأليف « نظامي » ٥٢٤، ٥٠٩، ٥٠٧
 أسكندر نامه بحري : تأليف « نظامي » ٥٢٤
 أسكندر نامه بري : تأليف « نظامي » ٥٢٤
 أشتر نامه : تأليف « العطار » ٦٤٤
 أشجان بابا ظاهر : تأليف « هرون الن » ٣٢٣
 أشعة اللمعات : تأليف « جامي » ٦٣٦
 أطواق الذهب : تأليف « الزمخشري » ٤٥٩
 أغاني شيراز : تأليف « إبراهيم أمين الشواربي » ٦٨٥، ٤٦٥، ٩٢، ٣٨
 أغنية الناي : تأليف « بالمر » ٦٦١، ٦٦٠، ٤٨٦، ٤٨٤، ١٢٧
 أفستا : تأليف « زردشت » ١٧، ١٢، ١١
 إقبال نامه : تأليف « نظامي » ٥٢٤
 الإكسير الأعظم : تأليف « ناصر خسرو » ٣٠١
 ألف ليلة وليلة : القصة الشعبية ٥٢١
 ألفية شلفية : تأليف « أزرق » ٤٠٦
 ألهي نامه : تأليف « الأنصاري » ٣٣٧
 إلهي نامه : تأليف « العطار » ٦٥٤، ٦٤٤
 الأمكنة والجنات والمياه : تأليف « الزمخشري » ٤٥٩
 الأنساب : تأليف « السمعاني » ٥٩٣
 أنوار التحقيق : تأليف « الأنصاري » ٣٣٧، ٣٣٦
 أنوار سهلي : تأليف « حسين كاشفي » ٤٤٧-٤٤٥، ١٠٤، ٢٧
 أنيس العشاق : تأليف « شرف الدين رامي » ٩٨٠، ٣٠
 أنيس المریدین وشمس المجالس : تأليف « الأنصاري » ٣٣٧
 أوصاف الأشراف : تأليف « نصير الدين الطوسي » ٦١٧
 الإيقان : تأليف « بهاء الله » ١٠٤

(ب)

- بحر الحقائق : تأليف «نجم الدين دايه» ٦٣١
 البدائع : تأليف «سعدى الشيرازى» ٦٨٥-٦٨٣، ٦٧٩، ٦٧٧
 بدايع الأسفار فى صنایع الأشعار :
 تأليف «قوامى الكنجوى» ٥٠٨
 البلاغة لدى الفرس : تأليف «جلادوين» ٦٩
 بهارستان : تأليف «جامى» ٤٨٣، ٢٩٨
 بهرام نامه : تأليف «نظامى» ٥٢٠
 بوستان : تأليف «سعدى» ٦٧٠، ٦٦٨، ٦٦٧، ٦٣٢، ٩٤، ٩١
 ٦٧٦، ٦٧٣، ٦٧٢

- بيان الأديان : تأليف «أبى المعالى» ٣٦٢
 بیست باب در معرفت اسطرباب :
 تأليف «نصير الدين الطوسى» ٦١٧

(پ)

- پنج گنج : تأليف «نظامى» ٥٠٧، ٣٧
 پند نامه : تأليف «سعدى الشيرازى» ٦٧٧
 پند نامه : تأليف «القطار» ٦٤٨، ٦٤٣

(ت)

- تاريخ أبى الفدا : تأليف «أبى الفدا» ٥٩٧
 تاريخ الآداب العربية : تأليف «بروكلمان» ٢٥٧، ٤٢٠، ٣٦٨، ٣٦٣، ١٢٢
 ٥٢٠، ٥١٧، ٥١٦
 تاريخ الأدب الشرقى : تأليف «فون كريم» ٦١٢، ٤٥٦
 تاريخ الأدب العربى : تأليف «بروكلمان» أنظر «تاريخ الآداب العربية»
 تاريخ الأدب فى إيران : تأليف «براون» ٥٨٩، ٢٣٩، ٢١٥، ٤٠، ١٧
 تاريخ اردشير بن بابك : تأليف «نولدكه» ٣٨٧
 تاريخ الأشعار العثمانية : تأليف «جب» ٦٥٥، ٥١٦، ٣٩، ٢٩

- تاريخ أصفهان : تأليف «المافروني» ١٣١
- تاريخ آل سلجوق : تأليف «البندارة» ٥٩٨، ٣١٤
- التاريخ الألفي : تأليف «التوي» ٣١٥، ٢٣٨
- تاريخ بخارى : تأليف «الرشخي» ١٣١
- تاريخ بغداد : تأليف «ابن الخطيب» ٦١٠
- تاريخ الثقافة : تأليف «فون كير» ٣٣
- التاريخ الجديد : تأليف من كتب الباية ٨٤
- تاريخ الحضارة في الشرق : تأليف «فرن كير» ٣٦٥
- تاريخ الحكماء : تأليف «القفاطو» ٦٠٥-٦٠٣، ٣٠٩
- تاريخ السلاجقة : تأليف «أنوشيروان بن خالد» ٥٩٨، ٤٤٩
- تاريخ السلاجقة أو آل سلجوق : تأليف «عماد الدين الأصفهاني» ٢٠٩
- تاريخ سلاجقة كرمان : تأليف «محمد بن إبراهيم» ٤٠٧، ٢٢٣
- تاريخ الطب والنبات عند العرب : تأليف «وستنفلد» ٦٠٦
- تاريخ طبرستان : تأليف «ابن ا.فنديار» ١٣٣، ١١٩، ٦٢، ١٥٥، ٣٤٩
- ٦٠٨، ٥٧٩، ٥٢٦، ٤٥٤
- تاريخ طبرستان : تأليف «اليزدادي» ٦٠٩، ٦٠٨، ١٣٣، ١٣١
- تاريخ الطبري : تأليف «ابن جرير الطبري» ٥٢٠، ٣٥١، ٢٨١، ١٩٩
- تاريخ العتي : تأليف «العتبي» (أنظر تاريخ البيني)
- تاريخ الفلاسفة في الإسلام : تأليف «دي بوير» ٣٦٨
- تاريخ قم ١٣١
- تاريخ الكامل : تأليف «ابن الأثير» ٥٥٤، ٣٩١، ٢١٨، ٢٠٩، ١٩٩
- ٥٩٢
- تاريخ كريد : تأليف «حمدا لله المستوفي» ٢٤٩، ٢٢٣، ١٧٨، ١٧٦، ١٥٦
- ٣٢٨، ٣٢٥، ٣١٩، ٣١٥، ٢٥٠
- ٤٤٣، ٤٣٧، ٤٣٦، ٤٣٣، ٤٣٢
- ٤٩٣، ٤٨٤، ٤٧٥، ٤٧٤، ٤٦٢
- ٥٢٧، ٥٢٥، ٥٠٤، ٤٩٤

- ٥٥٥، ٣١٣ تاريخ مبارك غازاني : تأليف « رشيد الدين »
 ٥٩٤، ٥٩٣ تاريخ مختصر الدول : تأليف « ابن العبري »
 ٥٦٦، ٥٦٣، ٥٥٤، ٥٥٢، ٥٤٩ تاريخ المغول : تأليف « دوسون »
 ٦٠٠، ٥٧٠، ٥٦٧
 ٥٥٤، ٥٥٢، ٥٥٠ تاريخ المغول : تأليف « هوورث »
 ٥٩٣ تاريخ المملكة الأتابكية بالموصل : تأليف « ابن الأثير »
 ٥٩٥ تاريخ الهند : تأليف « إليوت »
 ٥٥٥، ٢٧ تاريخ وصاف : تأليف « الوصاف »
 ٢٩٢، ٢٤٨، ١٦١، ١٣٠، ١١٤ تاريخ اليمنى : تأليف « العتي »
 ٥٩٧
 ٦٣٩، ٦٣٤ ناثية ابن الفارض : قصيدة لـ « عمر بن الفارض »
 ٦١٧ تجريد العقائد : تأليف « نصير الدين الطوسي »
 (انظر تاريخ وصاف)
 ٥٠٦، ٥٠٢، ٤٩٥ تحفة العراقيين : مثنوية للشاعر « خاقاني »
 ١٢١، ١١٧ تحقيق مال الهند : تأليف « البيروني »
 ٦٦١، ٦٤٧، ٦٤٣، ٦٢٩، ٤٠٤ تذكرة الأولياء : تأليف « العطار »
 ١٣٦، ٩٥، ٨٣، ٣٠، ٢٩، ٢٦، ٢٤ تذكرة الشعراء : تأليف « دولتشاه »
 ١٩٦، ١٨٩، ١٨٧، ١٥٢، ١٤٠
 ٣١٥، ٣٠٨، ٢٣٦، ٢٣٥، ٢٣٣
 ٣٤٩، ٣٤٥، ٣٤٤، ٣٤٣، ٣٣٩
 ٣٩٦، ٣٨٥، ٣٧٨، ٣٦٥، ٣٥٠
 ٤٢١، ٤١٨، ٤١١، ٤١٠، ٤٠٦
 ٤٣٦، ٤٣٤، ٤٣٢، ٤٣٠، ٤٢٥
 ٤٧٠، ٤٦٩، ٤٦٨، ٤٦٥، ٤٦٤
 ٥٠٨، ٥٠٤، ٤٩٩، ٤٩٧، ٤٩٦
 ٥٢٩، ٥٢٧، ٥٢٦، ٥٢٥، ٥٠٩
 ٦٤٦، ٥٧٤، ٥٤٢، ٥٣٤، ٥٣٠
 ٦٨٧، ٦٤٨

- ترجم شعراء الفرنس : تأليف « أوزلى » ٣٩٦، ١٥٤
 ترجمان البلاغة : تأليف « فرخى » ١٤٤٠، ١٣٣، ٣٠
 ترجمان القرآن : تأليف « الزوزنى » ٤٤٩
 ترجمة تاريخ الطبرى : ترجمة « البلعمى » ١٣٢
 ترجمة حياة القاضى موكرجى ٤٤٨
 ترجمة كلية ودمنة إلى الفارسية : ترجمة « نصرالله »
 ابن عبد الحميد ٤٣٨، ٣٧٣
 ترستان ويزلت ٣٤٢
 تفسير فارسى للقرآن ١٣٢
 تفسير القرآن : تأليف « ناصر خسرو » ٣٠١
 التفهيم فى صناعة التنجيم : تأليف « البيرونى » ١٢١، ١١٧
 تقويم التواريخ : تأليف « حاجى خليفة » ٤٦٩
 تلخيص الشاهنامه : بقلم « البندارى » ٥٩٩
 التمثيل والمحاضرة : تأليف « الثعالبي » ١١٦
 تزيير الوزير الخزير : قصيدة للشاعر « الحاتونى » ٤١٢
 تنسوق نامه : يلبخانى : تأليف « نصير الدين الطوسى » ٦١٧
 تهافت التهافت : تأليف « ابن رشد » ٣٧٠
 تهافت الفلاسفة : تأليف « الغزالى » ٣٧٠
 تهذيب طبقات الصوفية : تأليف « الأنصارى » ٣٣٧

(ج)

- جامع التواريخ : تأليف « رشيد الدين » ٢٤٩، ٢٤٧، ٢٤٦، ٢٤٣، ٢٣٩، ٢٠٢
 ٥٥٩، ٥٥٥، ٣١٣، ٢٥٨، ٢٥٠
 ٦٢٦، ٥٧٧، ٥٦٨
 الجنة المفقودة : تأليف الشاعر « ملتون » ٣٩٨
 جهان گشا : تأليف « الجوينى » ٣٨٢، ٢٥٨، ٢٤٣، ٢٣٩، ٢١٠، ٢٠٢
 ٤٢٠، ٤١٩، ٣٨٧، ٣٨٦، ٣٨٤
 ٥٧٤، ٥٧٠، ٥٦٨، ٥٦٤، ٥٥٥
 ٦١٤، ٦٠٠، ٥٨٣، ٥٧٧، ٥٧٦

جوامع الحكايات ولوامع الروايات : تأليف «عوفى» ٣٩٤، ٦٠٦

(ج)

چهارمقاله : تأليف «نظامى عروضى سمرقندى» ٢٣، ٢٤، ٢٦، ٣١، ٤٩، ٥٢،

١٠٣، ١٠٤، ١١١، ١١٣، ١٢٣،

١٣١، ١٣٩، ١٤٤، ١٤٥، ١٥٠،

١٥٢، ١٦٠، ١٦٤، ١٦٥،

١٧٨، ١٩٤، ١٩٩، ٢٣٣، ٢٣٤،

٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٨، ٣١٧،

٣٧٤، ٣٧٧، ٣٨١، ٣٨٣، ٤٠٦،

٤٠٧، ٤١٣، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٦،

٤٣٨، ٤٣٩، ٤٧٠، ٤٧٤،

(ح)

حاجى بابا : تأليف «مورير»

٦٨

وترجمة «أحمد كرماني»

حالات وسخنان شيخ أبى سعيد: لأحد أحفاده ٣٣٦

٤٨١، ٢٧٥

حبيب السير : تأليف «خوندا مير».

حدائق السحر فى دقائق الشعر: تأليف «الوطواط» ٣١، ٥٦، ٦١، ٦٨، ٦٩، ٩٤، ١٤٤،

٣٤٠، ٤١٧، ٤٢١، ٤٣٨،

٣٨٢، ٣٩٦، ٣٩٧، ٤٠١، ٥١١،

حديقة الحقيقة : تأليف «سنائى»

٣١٨

حصاد الهشيم : تأليف «المازنى»

٣٠

حقائق الحقائق : تأليف «شرف الدين رامى»

٦٣٢، ٦٣٣

حكمة الإشراق : تأليف «السهروردى المقتول»

٥٩٩

الحماسة الإيرانية : تأليف «نولدكه»

١٢٤

حى بن يقظان : تأليف «ابن سينا»

١٢٤

حى بن يقظان : تأليف «ابن الطفيل»

(خ)

الحبيثات : للشاعر «سعدى الشيرازى» ٦٧٧

١٩٤٠١٣٤٠١٣٢	خجسته نامه : تأليف « البراهي »
١٤٦٠١٢٧٠١١٤٠٦٣٠٤٠	خرابات : تأليف « ضيا باشا »
٥٢٤	خرد نامه : تأليف « نظامي »
٤٨٤	خرد نامه : للشاعر « سوزني »
١٥	خسروان نامه : تأليف « أمير جلال »
٦٤٤	خسرو نامه : تأليف « العطار »
٥٢٠١٥١٤٠٥١٣٠٥٠٨٠٥٠٧	خسرو وشيرين : تأليف « نظامي »
٥٣٣	
٦٢٠	خط وخطاطان : تأليف « ميرزا حبيب »
٤٦٩٠٢٦٦	خلاصة الأشعار : تأليف « تقى الدين الكاشي »
٥٢٥٠٥١١-٥٠٩	خمس نظامي : تأليف « نظامي »
٦٨٤٠٦٧٩٠٦٧٧	الخواصم : للشاعر « سعدى الشيرازي »
٣٠١٠٢٦٩	خوان الآخوان : تأليف « ناصر خسرو »
٤٣٧	خيرات حسان : تأليف « اعتماد السلطنة »

(د)

٣٦٢٠١٣٢٠١٢٧	دانشنامه علائي : تأليف « ابن سينا »
٢٧٥	دبستان
٣٦٥	دراسات إسلامية : تأليف « جوله زهير »
٣٠١	الدستور الأعظم : تأليف « ناصر خسرو »
٤٨٩٠٤٨٦٠٤٧٢	دموع خراسان : تأليف « كركيatriك »
٤٥١٠١٣١٠١١٥	دمية القصر : تأليف « الباخري »
٥٦٩٠٢٠٧	الدول الإسلامية : تأليف « لين يول »
٤٨٤	ديوان أنوري : للشاعر « أنوري »
٦٨٥٠٦٨٣٠٦٨٢	ديوان حافظ شيرازي : للشاعر « حافظ الشيرازي »
٣١٥٠١٠٢	ديوان الحماسة : جمع « أبي تمام »
٣٣٨	ديوان دقيقى : للشاعر « الدقيقى »
٦٥٥	ديوان سلطان ولد : للشاعر « سلطان ولد »

ديوان شمس تبريز : للشاعر «جلال الدين الرومي» ٦٤٢، ٦٥٨-٦٦١، ٦٦٤
ديوان ظهير الدين : للشاعر «الفارابي» ٥٢٧-٥٣٠، ٥٣٧، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٤٢

ديوان ابن العربي : للصوفي «عبي الدين بن العربي» ٦٣٤

ديوان عمر بن القارض : للشاعر «عمر بن القارض» ٦٣٩، ٦٤٠

ديوان عنصري : للشاعر «عنصري» ١٤٠

ديوان قوامي الكنجوي : للشاعر «قوامي» ٥٠٨

ديوان ناصر خسرو : للشاعر «ناصر خسرو» ٢٧٤، ٢٧٧-٢٨١، ٢٨٩، ٢٩٠

ديوان نظامي الكنجوي : للشاعر «نظامي» ٥٠٩، ٥١٠

(ذ)

ذخيرة خوارزمشاهي : تأليف «زين الدين الجرجاني» ٣٧٣، ٤٣٨

ذم الكلام : تأليف «الأنصاري» ٣٣٨

(ر)

راحة الصدور : تأليف «الراوندي» ١٣٥، ١٨٨، ٢٠٩، ٢١١، ٢١٣

٢١٤، ٢١٧، ٢١٨، ٢٢٠-٢٢٣

٢٢٨-٢٣٠، ٢٣٦، ٢٦٤، ٢٢٤

٣٢٥، ٣٧١، ٣٧٩، ٣٩٠، ٣٩١

٣٩٣، ٤١١، ٤١٢، ٤٨٨، ٤٨٩

رباب نامه : تأليف «سلطان ولد» ٦٥٥

رباعيات بابا طاهر الهمداني ٣٢٣، ٣٢٢

رباعيات الحيام : للشاعر «عمر الحيام» ١٦٩، ٢٣٧، ٣١٥، ٣١٧، ٣٢٠

٣٢٨

رباعيات أبي سعيد بن أبي الخير ٣٢٦، ٣٢٨

رحلة ابن جبير : تأليف ابن جبير ٦١٤

رسالة أسرار : تأليف «الأنصاري» ٣٣٧

رسالة جوديه : تأليف «ابن سينا» ١٢٧

رسالة حورائية : تأليف «أبي عبد الله بن محمود» ٣٢٦، ٣٢٧

رسالة در حقيقت وكيفيت موجودات

١٢٧ تأليف «ابن سينا»

- رسالة سي فصل : تأليف «نصير الدين الطوسي» ٦١٧
- رسالة الغفران : «أبي العلاء المعري» ٣٦٧
- رسالة في الاحتيال لمعرفة مقدارى الذهب والفضة في جسم مركب منهما : تأليف «عمر الحيام» ٣١٧
- رسالة في براهين الجبر والمقابلة : تأليف «عمر الحيام» ٣١٧
- رسالة في الجواب عن ثلاث مسائل : تأليف «عمر الحيام» ٣١٧
- رسالة في جواب القاضي أبي نصر النسوي : تأليف «عمر الحيام» ٣١٧
- رسالة في ذم الدنيا : تأليف «الرازي» ٦١٥
- رسالة في الرد على الباطنية : تأليف «الغزالي» ٣٦٩
- رسالة في السحر : تأليف «ناصر خسرو» ٣٠١
- رسالة في شرح ما أشكل من مصادر إقليدس : تأليف «عمر الحيام» ٣١٧
- رسالة في الطبيعات : تأليف «عمر الحيام» ٣١٧
- رسالة في قول الصوفية : تأليف «نجم الدين كبرى» ٦٢٩
- رسالة في السكون والتكليف : تأليف «عمر الحيام» ٣١٧
- رسالة في لوازم الأمكنة : تأليف «عمر الحيام» ٣١٧
- رسالة في الوجود : تأليف «عمر الحيام» ٣١٧
- الرسالة القشيرية : تأليف «القشيري» ٢٠٨
- رسالة نبضية : تأليف «ابن سينا» ١٢٧
- رسائل المعري : تأليف «أبي العلاء المعري» ٣٦٧
- رشف النصائح : تأليف «شهاب الدين» ٦٣٢
- السهروردى : تأليف «ابن سينا» ١٢٧
- رگ شناسی : تأليف «ناصر خسرو» ٣٠٣-٣٠١، ٢٧٤، ٢٦٩، ٢٦٦
- روشنائی نامه : تأليف «ناصر خسرو» (أنظر : شش فصل)
- روشنائی نامه نثر : تأليف «ميرخوند» ٤٤٣، ٢٣٨، ٢٧
- روضة الصفا : تأليف «ميرخوند» ٤٤٣، ٢٣٨، ٢٧

رياض العارفين : تأليف «رضا قليخان» ٦٤٤، ٣٢٤، ١٣٥

(ز)

زاد العارفين : تأليف «الأنصاري» ٣٣٧

زاد المسافرين : تأليف «ناصر خسرو» ٣٠١، ٢٨٢، ٢٦٩

زيح إيلخاني : تأليف «نصير الدين الطوسي» ٦١٧، ٦١٦

زيح ملكشاه : تأليف «عمر الحيام» ٣١٧

زين الأخبار : تأليف «الگردزي» ٣٦٢

(س)

سجنجل الأرواح : تأليف «سعد الدين الحموي» ٦٣٠

سحر البلاغة : تأليف «الثعالبي» ١١٦

سرگذشت سيدنا : تأليف «الحسن بن الصباح» ٢٥٨، ٢٤٧، ٢٣٩

مبعادتنامه : تأليف «ناصر خسرو» ٣٠٣، ٣٠١، ٢٦٩

السعدى الشيرازي : تأليف «ظاهر الدين أحمد» ٦٦٧

سعدى الشيرازي : تأليف الدكتور «هنداوى» ٦٦٧

سفر نامه : تأليف «ناصر خسرو» ٢٧٢، ٢٧١، ٢٦٩، ٢٦٦، ٢٤٦

٢٧٤ - ٢٧٦، ٣٠٠، ٣٠٢، ٣٣٨

٣٦٤

سقط الزند : للشاعر «أبى العلاء المعرى» ٣٦٧

سكندر نامه : تأليف «نظامى» ٥٢٤، ٥٠٩، ٥٠٧

سلامان وأبسال : تأليف «جامى» ١٢٤

سلسلة جيب التذكارية (مجموعة من الكتب) ٢٠٩، ١٨٩، ١٣٥، ١١٦، ٢٣، ٢

٣٢٤، ٣١٣، ٢٦٤، ٢٤٣، ٢٣١

٤٦٣، ٤٥٤، ٤١٩، ٤١٢، ٣٦٣

٦٠٥، ٦٠٤، ٦٠٠، ٥٥٥

٦٢٣، ٦٢١، ٦٢١، ٦١٢، ٦٠٩

٢٩٩، ٢٦٧، ١٠٧، ٦٦١

سنة بين الفرس : تأليف «براون»

سياست نامه : تأليف «نظام الملك» ٢٥٩٠٢٤٨٠٢٣١٠٢٢٩٠١٦٤٠١٩

٣٤٨٠٣٤٦٠٢٦٩٠٢٦١٠٢٦٠

٥٢١٠٣٨١٠٣٥٤

سير العباد إلى العباد : للشاعر «سنائي» ٣٩٦

سير الملوك : تأليف «نظام الملك» (أنظر : سياست نامه)

سيرة السلطان جلال الدين : تأليف «النسوي» ٦٠١٠٥٧١٠٥٥٥

سيرة ابن هشام : تأليف «ابن هشام» ٣٧٥

(ش)

الشافعية : تأليف «ابن الحاجب» ٦١٩

شاهنامه : تأليف «الفردوسي» ١١٠٠٠١٠٣٠٩٦٠٩٣٠٣٧٠٢٨٠١٥

١٦٠٠١٥٨٠١٥٦-١٥٣٠١٤٠

١٧٤٠١٧١٠١٦٦٠١٦٣٠١٦١

٣٤٠٠٢٧٩٠١٩٩٠١٧٩٠١٧٦

٥٩٩٠٣٨٣٠٣٤٠٣٤١

شاهنامه : تأليف «أبي المؤيد البلخي» ١٤٦

شد الإزار في حظ الأوزار :

تأليف «جنيد الشيرازي» ٦٢٥٠٦٢٤

شرح أشعار خاقاني : تأليف «أبي الحسن الفراهاني» ٤٩٤

شرح أشعار خاقاني : تأليف «الشادي آبادي» ٤٩٤

شرح الحماسة : تأليف «التبريزي» ٤٤٩

شرح العلقات : تأليف «التبريزي» ٤٤٩

شرف نامه : تأليف «نظامي» ٥٢٤

شش فصل : تأليف «ناصر خسرو» ٣٠١٠٢٦٩

الشفاء : تأليف «ابن سينا» ١٢٢٠١١٣

شيراز نامه : تأليف

«أبي العباس أحمد زر كوب» ٦٢٤

الشیطان : تأليف «روبرت متجومري» ٣٩٨

(ص)

- الصحاح : تأليف « الجوهري » ٦١٩
 صد كمة : تأليف « الوطواط » ٤١٧
 صفة الآداب : تأليف « نجم الدين كبرى » ٦٢٩
 صور من التاريخ الشرقى : تأليف « نولدكه » ٥٩٥
 (ط)

طبقات الصوفية : تأليف « السلمى » ٣٣٧

طبقات ناصرى : تأليف « منهاج السراج » ٥٨٩ - ٥٨٧، ٥٨٤، ٥٨٢، ٥٧٤
 ٥٩٦، ٥٩٥

- طرب نامه : قصيدة من نظم « الباخزى » ٤٥٢
 طريق التحقيق : مثنوية تأليف « سنائى » ٣٩٦
 الطيات : للشاعر « سعدى الشيرازى » ٦٨٥، ٦٨٣، ٦٧٩، ٦٧٧
 (ظ)

ظفر نامه : تأليف « ابن سينا » ١٢٧

(ع)

- عجائب المخلوقات : تأليف « زكريا القزوينى » ٦١٢ - ٦١٤
 العروض الفارسية : تأليف « بلو خان » ٣٥
 عشق نامه : مثنوية تأليف « سنائى » ٣٩٧
 عقل نامه : مثنويه تأليف « سنائى » ٣٩٧
 علم اليونان : تأليف « ناصر خسرو » ٣٠١
 عوارف المعارف : تأليف « شهاب الدين
 السهروردى » ٦٣٢
 عيار دانش : تأليف « أبى الفضل » ٤٤٥
 عيون الأخبار : مخطوطة بمكتبة جامعة كامبردج ٥٩٩، ٤٥٧، ٢٣٨

(غ)

- غاية العرويين : تأليف « بهرامى السرخسى » ١٩٤، ٣١
 غرر أخبار ملوك الفرس : تأليف « الثعالبي » ١١٦
 غريب نامه : مثنويه تأليف « سنائى » ٣٩٧، ٣٩٦

غزليات حافظ الشيرازي: للشاعر «حافظ الشيرازي» ٤٠١

الغزليات القديمة : للشاعر «سعدى» ٦٧٩، ٦٧٧

غزليات مختارة من ديوان شمس تبريز : تأليف

« نيكلسون » « أنظر قصائد مختارة »

(ف)

ابن الفارض والحب الإلهي : تأليف الدكتور

« محمد مصطفى حلمي » ٦٤١

الفتوحات المسكية : تأليف «ابن العربي» ٦٣٤، ٦٣٣

الفخرى : تأليف «ابن الطقطقي» ٥٨٨ — ٥٨٣، ٣٦٨، ٢١٥، ١٠٠

فردوس التواريخ : تأليف «الأبرقوهي» ٣١٥

فرهنگك أسدي : طبع «بول هورن» ١٧٨

فرهنگك ناصري : تأليف «رضا قليخان» ٢٩٢

الفصل في الملل والنحل : تأليف «ابن حزم» ٤٦٠

فصوص الحكم : تأليف «ابن العربي» ٦٣٦، ٦٣٣

الفصول والغايات : تأليف «أبي العلاء المعري» ٣٦٧، ٣٦٤

قحة اللغة : تأليف «الشعالبي» ١١٦

الفلسفة المثالية : تأليف «مارتن تير» ٣٩٨

فن الشعر الانجليزي : تأليف «جورج يتيهام» ٦٨٠، ٦٣

الفهرست : تأليف «ابن النديم» ١٣١

فوات الوفيات : تأليف «ابن شاکر» ٦١٧ — ٦١٥، ٣١٧

فيه ما فيه : تأليف «جلال الدين الرومي» ٦٥٩

(ق)

قابوس نامه : تأليف «عنصر المعلى كيكاس» ٣٥٠ — ٣٤٨، ٣٤٦، ٣٤٥، ١٠٣

٣٥٤، ٣٥٣

القانون : «ابن سينا» ١٢٢

القانون الأعظم : تأليف «ناصر خسرو» ٣٠١

قانون المسعودي : تأليف «البيروني» ١١٧

قراضه طبيعيات : تأليف «ابن سينا» ١٢٧
 قرآن شمس العالي وكمال البلاغة: تأليف «اليزدادي» ١١٩
 قصائد مختارة من ديوان شمس تبريز :

تأليف « نيكلسون » ٦٦١،٦٦٠،٦٥٥

قصيدة كمالو . للشاعر «لونج فيلو» ٥٨٦
 قصيدة الكلث : للشاعر «علي الشطرنجي» ٤٣٤
 قلندر نامه : تأليف «الأنصاري» ٣٣٨

(ك)

كارنامه : مثنوية تأليف «سنائي» ٣٩٦
 الكافية : تأليف «ابن الحاجب» ٦١٩
 كامل الصناعات : تأليف «المجوسي الطبيب» ١٣١
 كتاب أسرار : تأليف «الأنصاري» ٣٣٧
 الكتاب الذهبي للمهرجان الألفي لده كرى ابن سينا

أصدرته جامعة الدول العربية ١٢٢

كتاب محبوب : تأليف «سعد الدين الحموي» ٦٣٠

الكشاف : تأليف «الزحمرى» ٤٥٩،٤٥٠

كشف الأستار عن بدايع الأشعار :

تأليف «قوامي الكنجوى» ٥٠٨

كشف الظنون : تأليف «حاجي خليفه» ٤١١

كشف المحجوب : تأليف «الهجویری» ٣٦٣

كليات خاقاني : للشاعر «خاقاني» ٥٠١،٤٨٨

كليات سعدی : للشاعر «سعدی» ٦٨٠،٦٧٩،٦٧٦

كليله ودمنه : تأليف «بيدبا» ٤٤٥ - ٤٤٢،٢٨،٢٧

كنز الحقائق : تأليف «ناصر خسرو» ٣٠١

كنز السالكين : تأليف «الأنصاري» ٣٣٨

كنز القافية : تأليف «بهرامی السرخسی» ١٩٤،٣١

كنوز الغرمين : تأليف «ابن سينا» ١٢٧

کیمیای سعادت : تأليف «العزالي» ٤٣٨،٣٦٩

(ك)

- كرشاسب نامه : تأليف « أسدى الأصغر » ١٧٨، ٣٤٠، ٣٤١
كلستان : تأليف « سعدى » ٦٧٢-٦٧٠، ٦٦٨، ٦٦٧، ٨٢، ٣٦
٦٨٤ - ٦٨٢، ٦٧٦ - ٦٧٤

- كلشن راز : تأليف « محمود الشبستري » ٦٦٠
كنجنامه : تأليف « الأنصارى » ٣٣٨
(ل)

- لامية العجم : قصيدة للشاعر « الطغرائى » ٤٤٩، ٣٧٤
لباب الألباب : تأليف « محمد عوفى » ١٠٩٢، ١٣٤، ١٣٦، ١٥٥، ١٥٦
١٩٩، ١٨٩، ١٨٨، ١٧٨، ١٧٦
٣٤٣، ٣٣٩، ٣٠٨، ٢٠٣، ٢٠٠
- ٤١٣، ٤٠٦، ٣٩٦، ٣٨٧، ٣٤٥
٤٣٤، ٤٢٥، ٤٢٢، ٤٢١، ٤١٥
٤٧٠، ٤٦٣، ٤٥٣ - ٤٥١، ٤٣٥
٥٠٧، ٥٠٤، ٤٨٣، ٤٧٦، ٤٧٣
٦٠٦، ٦٠٣، ٥٤٢، ٥٢٦، ٥٠٩
٦٨٦، ٦٤٤، ٦٠٧

- اللباب فى معرفة الأنساب : تأليف « ابن الأثير » ٥٩٣
اللزوميات : للشاعر « أبى العلاء المعرى » ٣٦٧
لسان الغيب : تأليف « العطار » ٦٤٥، ٦٤٤
لطائف البيان : تأليف « روزبهان » ٦٢٤
اللطائف والظرائف : تأليف « الثعالبى » ١١٦
لطائف المعارف : تأليف « الثعالبى » ١١٦
لغت فارس : تأليف « أسدى الأصغر » ١٢٠، ٣٤١، ٢٨
اللمعات : تأليف « نغردىن العراقى » ٦٣٦
إبلى وبعنون : تأليف « نظامى » ٥٠٧ - ٥١٧، ٥١٦، ٥٠٩

(٢)

١١٦	: تأليف «الثعالبي»	البهج
٦١٩	: تأليف «ضياء الدين بن الأثير»	المثل السائر
٦٤٢، ٥١١، ٣٩٨، ٣٠٩، ٣٧	: تأليف «جلال الدين الرومي»	الشنوى المعنوى
٦٦٤، ٦٦١ - ٦٥٦، ٦٤٧		
٦٤٣، ٦١٧، ٤٨٠، ١٩٧	: تأليف «الششتري»	مجالس المؤمنين
٣٧٤	: تأليف «الميداني»	مجمع الأمثال
٦١٧، ٦٠٧، ٤٥٢، ٤١٣، ٤١٢	: تأليف «رضا قليخان»	مجمع الفصحاء
٦١٨		
٤٨٣، ٤٧٠، ٤٦٩	: تأليف «فصیحی خوافی»	المجمل
٥٩٦	: تأليف «جرجيس المسكين»	المجموع المبارك
٥٩٣	مجموعة المؤرخين العرب للحروب الصليبية	
	مجموعة النصوص المتعلقة بتاريخ السلاجقة	
٤٥٧، ٢٠٩	نشرها «هوتسبا»	
٣٣٨	: تأليف «الأنصاري»	مجتبى نامه
٦٢٢، ٥٥٥، ١٠٨	: تأليف «شيفر»	مختارات فارسية
٥١١، ٥٠٨، ٥٠٧	: تأليف «نظامی»	مغزن الأسرار
٦١٢	: تأليف «ياقوت»	مراصد الاطلاع
٤٦٩، ٤٦٨	: تأليف «شيرخان لودي»	مرآة الخيال
٦٢٦	: تأليف «اليافعى»	مرآة الزمان
٤٦٩	: تأليف «محمد مختار خان»	مرآة العالم
٦٢٢	: تأليف «سعد الدين الوراوينى»	مرزبان نامه
	: تأليف	مرزبان نامه
٦٢٢، ٣٤٦، ١٣٣، ١٠٨	«مرزبان بن رستم بن شروين»	
٦٣١، ٣٠٨	: تأليف «نجم الدين الرازى»	مرصاد العباد
٣٠١	: تأليف «ناصر خسرو»	المستوفى
٤٥٨		مسند ابن حنبل
٦٢٤	: تأليف «روزبهان»	مشارب الأرواح
٦١٢	: تأليف «ياقوت»	المشترك
٦٤٤	: تأليف «الطار»	مصبيت نامه

- مطلوب كل طالب من كلام علي بن أبي طالب
تأليف «الوطواط» ٤١٧
- المظفرية : كتاب قدم للبارون
« فون روزن » ٣٠٧، ١٢٦
- مظهر العجائب : تأليف «القطار» ٦٤٧، ٦٤٥، ٦٢٩
- معالم التزويل : تأليف «الفراء البغوي» ٤٥٠
- معجم الأدباء : تأليف «ياقوت» ٦١٢، ٦٠٤
- معجم البلدان : تأليف «ياقوت» ٦١٠، ٥٩٧، ٥٥٠، ٣٩٩، ٣٩٤
- معجم البلدان الفارسية: تأليف «باربيدي منار» ٦١٢، ٦١١، ١٦٣
- المعجم في معاني أشعار المعجم : تأليف
« شمس قيس الرازي » ٦٢١، ٤١٢، ٢٣١، ٣١، ٢٩، ٢
- امراجنامه : تأليف « ابن سينا » ١٢٧
- المغرب : تأليف «الجواليقي» ٤٥٠
- المعلقات ٤٤٩، ١٦٨
- مفاتيح العلوم : تأليف «السكاكي» ١٣١
- المفصل : تأليف «الزغشري» ٤٥٩
- المفصل في الدراسات اللغوية الإيرانية نشره «كون» ٢٠٠، ١٨٠، ١٦٧، ١٥٥، ١٣٥
- و«جبر» ٦٦٩، ٦٢٢، ٣٤١، ٢٧٩، ٢٣٧
- مقالات : تأليف «الأنصاري» ٣٣٨
- مقامات بديع الزمان : تأليف
«بديع الزمان الهمداني» ٤٥٦، ١٢٩، ١٢٨، ١٠٩، ٣٣
- مقامات الحريري : تأليف «الحريري» ٤٤٩، ٣٧٤، ١٢٩، ١٠٩
- ٤٥٨ - ٤٥٦
- مقامات حميد الدين : تأليف
« حميد الدين أبي بكر البلخي » ٤٩٣، ٤٣٩، ٤٣٨، ٣٧٤
- الملل والنحل : تأليف «الشهرستاني» ٤٥٩، ٤٥٠، ٣٧٤، ١٢٢
- مناجات نامہ : تأليف «الأنصاري» ٣٣٧، ٣٣٦

٣٣٨، ٣٣٦	: تأليف «الأنصاري»	منازل السائرين
٤١٣، ٤١١، ٢٢٨	: تأليف «أبي طاهر الخاتوني»	مناقب الشعراء
٦٥٨، ٦٥٦	: تأليف «الأفلاكي»	مناقب العارفين
١٨٠	: تأليف «أسدي»	مناظرات أسدي
٦٢٤	: تأليف «روزبهان»	منطق الأسرار
٦٤٨، ٦٤٦، ٦٤٣، ٣٢٢	: تأليف «الطار»	منطق الطير
٣٧٠، ٣٦٩	: تأليف «الغزالي»	المنقذ من الضلال
٩٢	: تأليف «عبيد زكاني»	موش وكربه

(ن)

٤١٧	: تأليف «الوطواط»	ثر اللآلي من كلام أمير المؤمنين علي
١١٦	: تأليف «الثعالبي»	ثر النظم
٣٤٩، ٣٤٨	: تأليف «فوربس»	النحو الفارسي
٣٦٢	: تأليف «شهمردان ابن أبي الخير»	زهدت نامه علائي
٣١٥، ٣١٠	: تأليف «الشهرزوري»	زهد الأرواح
٣٣٨، ٣٣٧	: تأليف «الأنصاري»	نصائح (نصيحت)
٦٢٠	: تأليف «البيضاوي»	نظام التواريخ
		نظامي الكنجوي شاعر الفضيلة :
٥٢٥	: تأليف «عبد النعيم حسنين»	تأليف دكتور
٦٣٠، ٦٢٧، ٦٢٥، ٥٥٩، ٣٢٨	: تأليف «جامي»	نقحات الأنس
٦٤٧، ٦٤٦، ٦٣٨، ٦٣٤		

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب :

٦٣٧، ٦٣٤	: تأليف «المقري»	نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب
١١٦	: تأليف «الثعالبي»	النهاية في الكناية
٣١٧	: تأليف «عمر الحيام»	نوروز نامه
٦٢٢، ١٣٣، ١٠٨	: تأليف «مرزبان بن رستم»	نيكي نامه

(A)

هفت إقليم : تأليف «أمين احمد رازی» ۲۲۶، ۲۲۷، ۴۴۳، ۴۶۸، ۴۶۹،

٤٩٣، ٤٨٣

ہفت اورنگ : تألیف «جامی» ۳۷

هفت یکر : تألیف « نظامی » ۵۲۱، ۵۲۰، ۵۱۱، ۵۰۹، ۵۰۷

०२३

هفت قلزم : تأليف «معز الدين شاه» ٣٣، ٣٤

ہمایون نامہ : تالیف « علی جلی » ۴۴۵

(و)

وامق وعذرا : تألیف «فصیحی الجرجانی» ۳۴۴، ۳۴۵

الوصايا : منسوبة إلى « نظام الملك » ٢٣٧، ٢٣٨

وفيات الأعيان : تألف « ابن خلكان » ٣١٧، ١٢٢ ، ٥٩٢، ٥٥٠ ، ٦٠٢ ،

602

وئیس وزامین : تألیف «خردالدین الجرجانی» ۳۴۲، ۳۴۳، ۴۲۵

(5)

١١٨٠١١٥٠١١٤٠١٠٧٠٧٨٠٣٧

ΣΟΙ: 132, 131, 129, 119

(أنظر : تاريخ اليمن)

يوسف وزليخا : تأليف «الفردوسي» ١٧٥، ١٦٨، ١٦٧، ١٥٥، ١٥٤

٥٩٩ ، ٥٧١ ، ٥٧٤ ، ٥٧٦ - ٥٨٢ ، ٥٨٨

٥٩٣ ، ٦٠٠ ، ٦١٦ ، ٦٥٦

ابن أبي أصيبعة ٥٩٠ ، ٦٠٣ ، ٦٠٥ ، ٦٠٦

الأطروش (السيد الأطروش) ١٠٨

اعتماد السلطنة ٤٣٧

الأعشى ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٩٢

آغا خان (آقا خان) ٢٤٧ ، ٢٥٨ ، ٥٨٣

أفراساب ١٣٠ ، ١٦٣

أفريدون ١٣٠

أفضل الدين إبراهيم بن علي الشيرازي

(انظر : خاقاني)

أفضل الدين الساجي ٥٠٥

أفضل الدين الكاشي (أفضل الكاشي)

١٢٦ ، ٣١٩

أفلاطون ٢٧٨ ، ٣٥٠ ، ٣٥٣

أفلاكي (انظر : شمس الدين أحمد الأفلاكي)

آقا خان (انظر : آغا خان)

آق سنقر ٣٣٢

أكرشاه ٤٤٥ ، ٣١٥

الأكتينية (الدولة) أو الأكتينيون ١١ ، ١٢ ،

٣٥٧ ، ٥١٣

آلب أرسلان ٤٩ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٣ ،

٣١٦ - ٣٢٢ ، ٣٢٨ ، ٣٢٣ ، ٣٨٠

ألتكين ١١٠

ألتغش (أمير دهمي) ٥٧١

ألتكين (خان سمرقند) ٢٥٥

ألتايو خدابنده ٥٦٢ ، ٥٦٦

ألوارد ٢١٥

إليزابث كوريس برينتون ٣٢٣

إليوت (هـ - م) ٩٥

إمامي ٤٩٤ ، ٥٢٥

الأمير بأمر الله (الخليفة الفاطمي) ٣٨٩

أموية (الدولة الأموية أو الأمويون) ١٨ ، ٣٥٣

أميرانشاه بن قاروت ٢٣٦ ، ٤٠٧

أمين أحمد رازي ٦٦٦

أمين الدين أبو الفتح المظفر النيسابوري ٣٤٣

أميني (شاعر) ١٩٤

أنرو بلكا ٣٧٥ ، ٣٧٦ ، ٣٨٩ ، ٣٩١

الأنصاري ٣٠٤ ، ٣١٩ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧

انطون صالحاني اليسوعي ٥٩٣ ، ٥٩٤

أربنوس ٥٩٦ ، ٥٩٧

أردشير ١٧٠

أرسطو (ارستطاليس) ١١١ ، ١٢١ ، ٣٥٨

أرسلانشاه ٣٨٠

أرسلان أرغون ٣١٠ ، ٣٢١ ، ٣٧٦

أرسلان جاذب ٢١٤

أرسلان خاتون خديجة ٢١٠ ، ٢١٦

أرسلان بن مسعود بن إبراهيم ٣٨٢

أرطغرل ٢٠٨

أرغش فرهادوند ٣٤٧

أرغون ٥٧٦ ، ٥٩٤

إزرق ٥٣ ، ١٦٠ ، ٣٣٣ ، ٤٠٦ ، ٤٠٧

أبو إسحق الشيرازي ١٧

أبو إسحق الصابي (انظر : الصابي)

أسحق اليهودي ٤٣٠

أسدي ٦٨ ، ١٣٤ ، ١٧٨ - ١٨٠ ، ١٨٦ ، ٢٤٠

أسدي الأصغر ١٧٨ ، ٣٢٨ ، ٣٤٢ - ٣٤٣ ، ٤١٢

أسرائيل بن سلجوق ٢١٠ ، ٢١٣ ، ٢١٤

أسعد مهنة ٤٦٥

إسفنديار (جلال أسطوري) ١٤٧ ، ١٥٠

ابن إسفنديار ٦٣ ، ١٠٨ ، ١١٦ ، ١١٩ ، ١٢٣ ،

١٥٥ - ١٥٨ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٣ - ١٦٥ ،

١٩٦ ، ٣٤٩ ، ٤٥٤ ، ٥٣٦ ، ٥٧٩ ، ٥٩٠

٦٠٨ ، ٦٠٩ ، ٦٢٢

إسكندر ١٢ ، ١٣٠ ، ١٩٥ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣ ،

٤٤٣ ، ٤٤٣ ، ٥٢٤ ، ٥٣٥ ، ٥٤٨ ،

٥٩٤

إسماعيل (مهندس) ٥٦٣

إسماعيل بن جعفر الصادق ٢٤١ - ٢٤٣ ، ٢٥٨

إبو إسماعيل عبدالله الأنصاري (انظر : الأنصاري)

إسماعيل الفقيه ١٢٢

إسماعيل بن نوح الساماني ١٣٦

إسماعيل الوراق ١٦٠ ، ١٦٧ ، ٤٠٦

إسماعيلية (أيضاً باطنية ، ملاحدة ، حشاشون)

٢٠ ، ٢١٤ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٦٦ ، ١٩٩٦ ، ٢٠٠ ،

٢٠١ ، ٢٢٠ ، ٢٢٩ ، ٢٣٢ ، ٢٣٧ - ٢٣٩ ،

٢٤١ - ٢٥٤ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ،

٢٦٥ ، ٢٦٨ ، ٢٧١ ، ٢٧٧ ، ٢٨٢ ، ٢٨٤ ،

٣٠١ ، ٣٤٢ ، ٣٦٩ ، ٣٧٢ ، ٣٧٧ - ٣٨٠ ،

٣٨٨ ، ٣٩٠ ، ٣٩١ ، ٣٩٤ ، ٤٠٤ - ٤٨٦

(ب)

بابا جعفر ٣٢٤
 بابا طاهر الهمداني ٣٠٤ ، ٣٢٢ — ٣٢٨ ، ٣٢٥
 بابا كمال الجندی ٦٢٨
 باب ٢٨ ، ٤٨٧
 البایة ١٠٤ ، ٢٣٢ ، ٢٤٨ ، ٥٨٢
 باتسوف (السيدة) ٣٠٧
 باجو نويان ٥٨٤
 باخر ٥٠٦ — ٥٠٩ ، ٥٢٤
 الباخري ١١٥ ، ١٣١ ، ٤٥١ — ٤٥٤
 باريد الجريدي ١٠٨ ، ١٣٣
 بارييه دى ماز ١٠٧ ، ١٦٣ ، ٣٥٤ ، ٦١١ ، ٦١٢
 بارجيس ٦٤٠
 باوند ١٦٠ ، ١٦١
 بايتوز ١١٤
 بايدو ٥٦٦ ، ٥٧٥
 بايزيد البساطي ٢٨٠ ، ٢٧٠
 بايستقر ١٦٦
 البجتي ٢٧٩ ، ٤٩٢
 بمختصر ٥٤٧
 البختيارى الأهوازي ١٧٥
 بدر ٢٤٩
 بدر الدين ٥٥٨
 بدر الدين لولى ٥٨٣
 ابن بدرون ٤٥٠
 بديع الزمان الهمداني ٣٣ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٩ ، ١٢٨ — ١٣٠ ، ٤٣٩ ، ٤٤٠ ، ٤٥٦ ، ٤٩٢
 بديهي السجائدي ٢١٩
 براق الحاجب (أوالقكماني) ٥٧١ ، ٦٤٥
 البرامكة ٢٣٠ ، ٦٠٣
 براون ٣ — ٨ ، ٢٣ ، ٢٣ ، ٢٧ ، ٥٦ ، ٥٩ ، ١٢٥ ، ١٥٩ ، ١٧١ ، ١٨٠ ، ٢٠٨ ، ٢٣٤

أنورى ٤٧ ، ٩٩ ، ١٣٤ ، ٢١٩ ، ٢٣٩ ، ٢٧٩ ، ٣٨٥ ، ٣٨٦ ، ٣٩٤ ، ٤٠١ ، ٤٢١ ، ٤٣٠ ، ٤٣٧ ، ٤٣٩ ، ٤٦١ — ٤٧١ ، ٤٧٣ ، ٤٧٥ — ٤٨٤ ، ٤٨٦ ، ٤٨٩ ، ٤٩٢ — ٤٩٤ ، ٥٠٣ ، ٥٠٨ ، ٥٢٥ ، ٥٢٦ ، ٥٢٨ ، ٥٢٢ — ٥٣٤ ، ٥٤١ ، ٥٤٣ ، ٦١٣ ، ٦٦٧
 أنوشكين ٢٢٥ ، ٢٨٣ ، ٥٤٥
 أنوشروان بن خالد (انظر أنوشيروان بن خالد)
 انوشيروان (كسرى) ٤٥ ، ١١٩ ، ٢٦٢ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٥٠ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٤٣١ ، ٤٣٢ ، ٤٤٤ ، ٥١١ ، ٥١٢
 أنوشيروان بن خالد ٢٠٩ ، ٢٢٧ ، ٢٣٨ ، ٣٧٤ ، ٤٤٩ ، ٤٥٧ ، ٤٥٨ ، ٥٩٩
 أهرون ٥٩٣
 الأهوازي (شاعر) ٢٧٩
 أوحده الدين الأنورى (انظر: الأنورى)
 أوحده الدين الكرماني (أو: أوحده) ٣١٩ ، ٦١٣ ، ٦٣٦
 خاتون ٥٦٢
 أوزلى (سرجور) أوسلى ١٥٤ ، ٣٢١ ، ٣٩٦ ، ٦٤
 اوكتاي (أوكتاي) ٣١٣ ، ٥٦٥ ، ٥٦٧ ، ٥٧٣ — ٥٧٥ ، ٦٨٨
 أويار (كليمان أويار) ٣٠ ، ٩٨ ، ٣٢٣ ، ٦٥٥
 أويس القرنى ٤٠٢ ، ٤٠٤
 أياز (غلام محمود القرنوى) ٥٢ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٦٦
 أياز (ولد إلب أرسلان) ٢١٠ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥
 إبرانشاه بن تورانشاه ٣٨٠ ، ٣٩٠
 ايلخانيون ٥٦٢ ، ٥٦٦ ، ٥٧٥ ، ٥٧٦
 إيلدكر (حاكم أذربيجان) ٥٠٨
 إيلك خان ٤٢٣
 إيلغين بن آتسز ٣٨٤
 ايواش ٣٠١
 ابو أيوب الأنصارى ٣٣٦

البلعي ١٣٢
 يلقيس ٦٤٩
 بـلـكـا (أنظر : أنزو بلكا)
 بلوخمان ٣٥ ، ٣٠
 بلوشيه ٣١٣ ، ٥٥٥
 بنت التجارية ٤٣٧
 البندمداري ٣٠ ، ٤٠ ، ٣٠٩ ، ٣١٣ ، ٣١٦ ،
 ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢٢ ، ٢٢٤ ، ٢٣١ ، ٢٣٧ ،
 ٢٣٨ ، ٢٤٨ ، ٢٥١ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٤١١ ،
 ٤٥٧ ، ٥٩٠ ، ٥٩٩ ، ٥٩٩
 بنيامين التيوذيلي ٢٥١
 بهاء الدولة البوسني ١٦٧
 بهاء الدين أبوبكر ٥٢٩ ، ٥٣٦
 بهاء الدين الجويني ٥٧٦
 بهاء الدين ولد ٦٢٩ ، ٦٥٤
 بهاء الدين سلطان ولد (أنظر : سلطان ولد)
 بهاء الله ٨٤ ، ١٠٤
 بهرام چوين ١٠٦ ، ١٣٠
 بهرامشاه (الغزنوي) ٣٧٢ ، ٣٨٣ ، ٣٨٣ ،
 ٣٩٦ ، ٣٩٧ ، ٤٣٠ ، ٤٤٣ ،
 بهرام گور ١٠٦ ، ٥٢٠ ، ٥٢٩ ، ٥٣٤
 بهرام السرخسي ٣١ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٩٤
 بهمن كرمي ٦٣٤
 ابن البواب ٦٣٠
 البوني ٥٩٠ ، ٦١٨
 البوسهية (بنوبويه) ٢١ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٩ ،
 ١١٥ ، ١١٧ ، ١٦٧ ، ٢٠٧ ، ٢١٣ ، ٥٧٨
 بيدبا ٤٤٤
 البيروني ١٠٩ ، ١١١ — ١١٣ ، ١١٦ ، ١١٧ ،
 ١١٩ — ١٢١
 البيصاني ١٠٢
 البيضاوي ٥٩٠ ، ٦٣٠
 ابن البيطار ٥٩٠ ، ٦٠٥ ، ٦١٨

٣٠٤ ، ٣١٥ ، ٣٩٨ ، ٤٠٦ ، ٤٠٩ ، ٤٢٣ ،
 ٤٤٢ ، ٤٦٣ ، ٥٣٦ ، ٥٥٥ ، ٦٠٠ ، ٦٠٣ ،
 ٦٢١ ، ٦٢٣ ، ٦٤٠ ، ٦٤٥ ، ٦٦١ ،
 براون (الآتية : م) ٤
 برزين ٥٥٥
 بركيارق ٢٣٠ ، ٢٧٢ ، ٢٧٤ — ٢٧٧ ، ٣٨٩ ، ٣٩٠
 برهان الدين الترمذي ٦٥٥
 برهاني ٤٩ — ٥١ ، ٢١٨ ، ٢٣٤ ، ٣٨٥
 بروكلان ١١٦ ، ١١٧ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ٣١٣ ،
 ٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ٤٣٠ ، ٤٥٧ ، ٥١٦ ، ٦١٥ ،
 ٦١٦ ، ٦١٧ ، ٦٢٠ ، ٦٢٣ ،
 برزجر ٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٣٥٣
 البستي ١١٤
 بسحق الشيرازي (أنظر : أبواسحاق)
 بشار بن برد ٤٧
 بشر الإسفرايني ٤٢٣
 بقا ٣٧٥
 بفرا ٥٥٧
 بقراط ١٢١ ، ٣٥٣
 أبوبكر (الصديق) ١٦١ ، ٢٤٠ ، ٢٧٩ ، ٣٨٠ ،
 ٢٩٦ ، ٥٣٥ ، ٥٣٦
 أبوبكر الأزرق (أنظر : أزرق)
 أبوبكر بن إسحاق ١٦٥
 أبوبكر بن سعد بن زنگي ٥٨٣ ، ٦٢١ ،
 ٦٢٥ ، ٦٧١ ، ٦٨٧
 أبوبكر بن السلاني ٤٣٣
 أبوبكر عبد الله بن محمد (أنظر : نجم الدين داية)
 أبوبكر الكهستاني ٣٥٠
 أبوبكر محمد بن علي السرخسي ١٠٩
 البكري ٣٧٤
 بكنل (أنظر : هرمان بكنل)
 البلاذري ١٦٤
 بلاند ٢٥٨ ، ٣٦٦ ، ٦٠٧

تقاق ٢١٠

تقى الدين السكاشاني ٢٦٦ ، ٤٦٩ ، ٤٨٦

تكش (ابن ألب أرسلان) ٢١٠

تكش خوارزمشاه ٦٨٧

أبو تمام ١٠٢

أبو عيم معد (انظر : المستنصر بالله)

تنيسون ٢٧ ، ٣٣٦

توبة ابن الحجير ٢٣٥

وران شاه ٣٨٠

توراكينا (زوجة أوكدای) ٥٧٤

تورنبرج ٥٥ ، ٥٩٢

توفيق مفرج ٣١٨

تولي بن چنگيزخان ٥٧٥

توم هود ٦٣

التفاسي ٥٩٠ ، ٦١٨

تيور ألبانجو ٣١٣

تيورلنك ٢١ ، ٥٥٢ ، ٥٦٥

تيور ملك ٥٥٨

التيورية (الدولة) ٤٤٧

تيودور هاربروكر (انظر : هاربروكر)

(ث)

الثعالبی ٧٨ ، ١٠٧ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١١٨

١١٩ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣١ ، ١٣٢

ثقة الملك شهریار ٣٤٣

(ج)

جارسان دی تاسی ٦٤٢ ، ٦٤٨

الجاحظ ٥٠٥

جار الله (انظر : الرغشمري)

جاللات ٤٤٥

جالن (جالين أو جالينوس) ١١١ ، ١٢١ ، ٣٥٣

جامی ٣٧ ، ١١٠ ، ١٢٤ ، ١٢٦ ، ٢٩٩ ، ٦٣٢٧

٣٩٦ ، ٤٠٦ ، ٥١٠ ، ٥٥٩ ، ٦٣٥ — ٦٣٧ ، ٦٣٩

٦٤٠ ، ٦٤٧

(ب)

بالر ١٢٧ ، ٤٨٥ ، ٤٨٦ ، ٤٨٩ ، ٤٩٠ ، ٤٩١

٦٦٠ ، ٦٦١

پتری ٢٣

پشهام ٢٣ ، ٦٣ ، ٦٨ ، ٧٩

پرترش ٣٠ ، ٢٥٨ ، ٢٧٤ ، ٣٦٢ ، ٤٦٧ ، ٤٧٠

پرجاس ٥٩٧

پرستون ١٢٨ ، ١٢٩

پسر خمخانه ٣٣٩

پشن (بطل أسطوري) ١٥٣

پندار الرازی ١٩٥ ، ١٩٧ — ١٩٩ ، ٣٥٠ ، ٣٥٠

٥٠٦ ، ٥٣٤

پوکوك ١٢٤ ، ٥٩٤

پول هورن ٢٨ ، ١٧٨ ، ٣٤١ ، ٤١٢ ، ٦٢١

پينغو (انظر : موسى أرسلان پينغو)

(ت)

تاج الدين إبراهيم ٥٢٩

تاج الدين أحمد ٤٨٤

تاج الدين أحمد بن الخطيب السنجوي ٤٣٦

تاج الملك ٢٣٠ — ٢٣٢ ، ٢٣٦ ، ٢٦٠ ، ٢٧٥

التاهرقي ٢٤٨

التبريزي ٣٧٤ ، ٤٤٩

التنار أو (التنر ، أنظر : النول)

تنش ٢١٠ ، ٣٧٦

تربير ١٥٥ ، ٤٨٥ ، ٦٦٠

تركان خاتون الخوارزمية ٥٥٩ ، ٥٧٠

توكان خاتون (زوجة ملكشاه) ٢٢١ ، ٢٢٢

٢٢٧ ، ٢٣٠ ، ٢٣٥ ، ٣٧٦

ترنر مكن ١٥٥ ، ١٧١ ، ٣٤١

تشتوتون ٣

تشنزي ٤٥٦

جائنت (انظر : كاتان)

جان ذى پلان كاربان ٥٦١ ، ٥٦٢ ، ٥٧٤
جب (ل . ز . و) ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٩ ، ٩٨
٥١٦ ، ٦٥٥

جبلان ٢٥١

ابن جبير ٥٩٠ ، ٦١٤

جراف ٩١ ، ٩٤

الجزبادفاني ٥٩٠ ، ٥٩٧

جرجيس المكين ٥٩٠ ، ٥٩٦

جرجورى التاسع ٥٧٣

جرجوريوس (انظر : ابن العبرى)

جرير ٤٩٢

الجزوبت ٢٤٢

جعفر الصادق ٢٤٠

جعفر ٢٢٧

جعفر بن المقننى ٣٧٥

الجفمى الخوارزمى ٦١٨

ابن جكينا ٤٥٨

جلادوين ٣٠ ، ٦٤ ، ٦٩ ، ٧٥ ، ٩٠ ، ٩٨

جلال (الأمير جلال) ١٥

جلال خاورى ٦١٣

جلال الدين ٥٢٩

جلال الدين الرومى ١٢٧ ، ٢٥١ ، ٣٠٩ ، ٣١٩

٣٢٨ ، ٣٩٥ ، ٣٩٨ ، ٥١١ ، ٥٦٤ ، ٦٢٣

٦٢٨ ، ٦٢٩ ، ٦٣١ ، ٦٣٦ ، ٦٣٧ ، ٦٤٢

٦٤٧ ، ٦٥٤ — ٦٦١ ، ٦٦٤

جلال الدين الشكربنى (خوارزمشاه) ٣٨٤ ، ٥٥٥

٥٥٦ ، ٥٥٩ ، ٥٦٧ — ٥٧٣ ، ٥٧٩ ، ٦٠٠

٦٠١ ، ٦٨٧

جلال الدين نومسلمان ٢٥٣ ، ٥٧٨ ، ٥٧٩

٦٥٦

جلال طيب ٦١٣

جلال هانى ١١٧

حال الدين حسن ٥٢٩

جمال الدين الجيلانى ٦٢٨

جمال الدين أبوالحسن على (انظر : القفلى)

جمال الدين عبد الرزاق ٥٠٣ ، ٦٨٦ ، ٦٨٧

جمال الدين القزوينى ٣١٩

جمال القرشى ٥٩٠ ، ٦١٩

جمال الملك بن نظام الملك ٢٢٧ ، ٢٣٠

جشيد ٢٧٨

جبل صدقى الزهاوى ٣١٨

أبوالجناح أحمد بن عمر الحيقوى (انظر :

نجم الدين كبرى)

جناح الدولة ٢٨٩

جنتى الشخصى ١٣٥

جنگيرخان ٢١ ، ٢٣٩ ، ٤٨٤ ، ٥٥٢ ، ٥٥٦

٥٥٧ ، ٥٦١ ، ٥٦٤ ، ٥٦٥ ، ٥٦٧ — ٥٧٠

٥٧٣ ، ٥٧٩ ، ٥٩٩ ، ٦٠٠ ، ٦٢٦

جنيد الشيرازى ٦٢٤

جهان پهلوان (انظر : فصرة الدين أبوبكر)

جهان سوز (انظر : علاء الدين حسين الفورى)

الجوالق ٢٧٤ ، ٤٥٠

جويينو ٦٣٥

جودى ٥٧١

جور أوزلى (انظر : أوزلى)

جورج پتنام (انظر : پتنام)

جورج قناتى ١٢٢

ابن الجوزى ٥٨٤ ، ٥٨٥ ، ٦٧٠

جولد زهر ٣٦٥ — ٣٦٨

جولوغ ١٤٤

جون باردون إليوت ٦٠٧

جون باين ٣٢٠

جون بلاك ٥٩٥

جون كايوا ٤٤٥ ، ٤٤٨

جوهر ٣٧٩

جوهر خاتون (زوجة جلال الدين الرومى) ٦٥٤

ابن حزم ٤٦٠
 حسام الدولة أردشير ٤٦٢ ، ٥٢٦ ، ٥٢٨ ،
 ٦٨٧ ، ٥٣١
 حسام الدين أردشير (انظر : قبله)
 حسان بن ثابت ٢٧٩ ، ٤٩٢
 حسن البيروني ٦٤٠
 أبو الحسن البيهقي ٣١٥
 حسن حسام الدين بن أخى ترك ٦٥٧ ، ٦٥٨
 الحسن بن الصباح ١٢٩ ، ٢١٢ ، ٢٣٢ ، ٢٣٥
 — ٢٣٩ ، ٢٤٦ — ٢٥٢ ، ٢٥٦ —
 ٢٥٨ ، ٢٦٢ ، ٢٦٥ ، ٢٧٠ ، ٣١٤ ، ٣٨٨
 ٣٩١ ، ٤٩٩ ، ٥٧٦ ، ٥٧٧
 أبو الحسن الفراهاني ٤٦٨ ، ٤٧١ ، ٤٩٤
 الحسن بن فيروزان ٣٤٧ ، ٣٤٣
 الحسن بن علي ٢٤٠ ، ٣٥٣ ، ٤٠٢ ، ٤٠٣
 أبو الحسن علي بن جولوغ (انظر : فرخى)
 الحسن بن علي الطوسي (انظر : فردوسي)
 أبو الحسن علي المارودي (انظر : المارودي)
 الحسن المازندراني ٥٨٠
 الحسن بن محمد بن كيازرگ اميد ٥٧٧
 حسويه (آل حسويه) ١٠٥
 أبو الحسين ١٠٨
 حسين جهانسوز (انظر : علاء الدين حسن)
 حسين بن علي ٨٤ ، ١٠٤ ، ٢٤٠ ، ٣٥١
 ٣٥٣ ، ٤٠٢ ، ٤٠٣ ، ٤٥٥
 حسين بن علي ميكائيل ١١١
 حسين الغوري (انظر : علاء الدين حسين)
 حسين بن قتيبة ١٥٧ ، ١٥٨
 حسين مظلوم رياض ٣١٨
 الحسين بن منصور العلاج ٦٣٥
 الحسين بن نامور ٥٧٨
 حسين واعظ كاشفي ٢٣٧ ، ٤٤٥
 الحشاشون (انظر : الأسمايلية)
 حقائقى ٤٩٥ ، ٤٩٦
 الحكيم حسن القطان ٤١٩
 الحكيم الموصلي ٢٣٣
 العلاج (انظر : الحسين بن منصور)

جوهر خاتون (زوجة محمد بن ملكشاه) ٤١٢
 الجوهري ٦١٩
 جوهري الهروي ٤٢٥
 جويارد ٢٤٣ ، ٢٥٧
 جوينيل ٦١٢
 الجويني (انظر : عطا ملك)
 جيجر ١٨٠
 جيسى كادل (الأنسة) ٣٣٠
 جيمس ردهاوس (انظر : ردهاوس)
 جيمس رينولدز ٤٩٨

(ج)

چغتای ٥٧٤
 چغرى بيگه داود ٢١٠ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢١٩
 ٢٢٠ ، ٢٧
 چلبى أمير عارف ٦٥٨
 چنگاچ ٥٧٤
 چنگيزخان (انظر : چنگيزخان)
 چودزكو ١٢٦

(ح)

ابن الحاحب ٥٩٠ ، ٦١٩
 حاجى خليفة ٣٠ ، ٣٠١ ، ٣١٧ ، ٤١١ ، ٤٦٩
 ٥٠٧ ، ٦٤٦
 الحافظ (الخليفة) ٣٨٩
 حافظ الشيرازى ٣٨ ، ٣٩ ، ٥٩ ، ٩٢ ، ٢٥١
 ٣١٩ ، ٣٢٢ ، ٣٢٤ ، ٤٠١ ، ٤١٦ ، ٤١٠
 ٦٦٧ ، ٦٧٩ ، ٦٨٣ — ٦٨٦
 الحاكم بأمر الله ٢٤٥
 حام ٢٧٨
 أبو حامد محمد (انظر : الفزالي)
 الحريري ١٠٣ ، ١٠٩ ، ١٢٩ ، ٣٧٤ ، ٤٣٩
 ٤٤٠ ، ٤٤٩ ، ٤٥٦ ، ٤٥٧ ، ٤٩٢

ابن الخمار (أنظر : أبو الخير الحسن)

خواجه أبو الفتح ٤٧٤

الخوارزمشاه (الدولة الخوارزمية) ٢٢٥ ،

٥٠٠١ ، ٤٢٠ ، ٤١٧ ، ٣٨٨ ، ٣٨٣

٥٥٦ ، ٥٤٩ ، ٥٤٥ ، ٥٢٨ ، ٥٠٢

٥٦٣ ، ٦٠٠ ، ٥٩٦ ، ٥٧٨ ، ٥٧٣

٦٨٧ ، ٦٤٥

خورشيد بن أبي القاسم المامطري (أنظر :
خرشيد)

أبو الخير الحسن بن الخمار ١١٢ ، ١١١

الحيام ٤٨ ، ٩٩ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٦٩

٢٠٦ ، ٢٢٠ ، ٢٢٦ ، ٢٣٥ —

٢٣٨ ، ٢٢٠ ، ٢٢٦ ، ٣٠٤ — ٣٢١

٣٢٣ ، ٣٢٨ ، ٣٦٧ ، ٣٧٣ ، ٤٢٦

٤٧٥ ، ٤٧٦ ، ٦٠٨ ، ٦١٣

(د)

دارا ٢٨٥ ، ٥٩٤

دارا بن منوچهر (الزيارى) ٢١٢

دار مستقر ١١

دانيال ٢٧٨

داود بن سليمان ٦٧٣

داود بن ملكشاه ٢٢٦

داورى شيرازى ٥٧

أبو داؤود (داعى الدعاة) ٢٤٩

الديبى ٥٩٠ ، ٦١٠

درنيورج ٤٤٠ ، ٤٤٨

الدروز ٢٤٥

درويش حسن ٥٩٨

درويش كرماني ٥٨٣

دعبل ٤٦

الدقيقى ٢٨ ، ١٣٣ ، ١٥٠ ، ١٥٣ ، ٢٧٠

٣٣٨

أبو دلف ١٥٧ ، ١٥٨ ، ٤٧٤

دنيسون روس ١٧٥ ، ٣٠٧ — ٣٠٩ ، ٣١٧

٣٢٠ ، ٦٠٠

دورن ١١٦ ، ٢٥٨ ، ٦١٠

حد الله المستوفى ١٥٦ ، ٤٧٠ ، ٥٠٤ ، ٥١٠

حمشا (الشيخ) ٣٢٤

حميد الدين أبو بكر البلخي ٣٧٤ ، ٤٣٩ ،

٤٤٠ ، ٤٩٢ ، ٤٥٦ ، ٤٩٣

حميد الدين الجوهرى ٤٣٣

ابن حنبل (أنظر : أحمد بن حنبل)

حظلة بادغيسى ١٠

أبو حنيفة النعمان ٢١١ ، ٢٢٧ ، ٢٨٠ ، ٦٢١

حواء ٢٧٨ ، ٦٦٥

حوى قتيبة ١٥٧ ، ١٥٨

(خ)

خاتون سفريه ٢١٠ ، ٢٢١

الخاتونى (أنظر : أبو طاهر الخاتونى)

خاقانى ٩٦ ، ٩٩ ، ٣١٩٦ ، ٤٣٣ ، ٤٣٧

— ٤٩٤٤٨٨٥٤٦٢ ، ٤٦١ ، ٥٠٦ ، ٥٠٩ ، ٥٢٨ ، ٥٤١

٥٤٣ ، ٦١٣ ، ٦٨٧

خالد بن الربيع ٤٨٣

خانيقوف ٩٦ ، ٤٩٥ ، ٤٩٧ — ٤٩٩ ، ٥٠٠ ،

٥٠٢ ، ٥٠٤ ، ٥٠٦

خرشيد بن أبي القاسم المامطري ١٠٨ ، ١٣٣

الخرمية ٢٦٢ ، ٢٦٣

خسرو پرويز ١٠٦ ، ٥١٣

خسرو دهلوى ٦٨٦

خسرو شاه بن بهرامشاه ٣٨٣

الحسروى ١٠٩

الحضر (عليه السلام) ٦٣٤

خضر خان ٤٢٣ ، ٤٢٤

ابن الخطيب البغدادي ٦١٠

ابن خلدون ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٤

خلف ١٤٥

ابن خلكان ١١٤ ، ١١٦ ، ١١٨ ، ١٢٢ ،

١٢٧ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٥٩٠ ، ٥٥٠

٥٩٢ ، ٦٠٢ ، ٦٠٣ ، ٦٣٢ ، ٦٣٨

٦٣٩

رافرتي ٥٩٦
 رامين ٣٤٢ - ٣٤٤
 الراوندي ١٨٩ ، ٢١٢ ، ٢٧١ ، ٢٧٩
 ٤٨٨ ، ٤١٢
 رايت ٤٤٤ ، ٦١٤
 ربيع بن المطهر القصري ٣٥٢
 ردهاوس ٦٥٦ - ٦٥٨ ، ٦٦٠ ، ٦٦١ ، ٦٦٤
 رستم (البطل الإيراني) ١٧١ ، ١٧٣ ، ٢٥٧
 ٣٨٧
 رستم بن أردشير (أو شهریار) ٦٠٨ ، ٦٠٩
 ابن رشد القرطبي ٣٧٠
 الرشيد (انظر : هارون الرشيد)
 ابورشيده ٥٠٥
 رشيد بن الحافظ ٥٠٤
 رشيد بن شالب الدحداح البنياني ٦٤٠
 رشيد الدين ستانه ٢٥٧
 رشيد الدين فضل الله ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤
 ٥٥٥ ، ٥٦٤ ، ٥٧٧ ، ٥٧٩ ، ٥٨٠ ، ٥٨٢
 رشيد الدين الطواط ٣١ ، ٥٦ ، ٦٨ ، ٦٩
 ٩٤ ، ١٤٤ ، ٣٣٩ ، ٣٧٣ ، ٣٨٥
 — ٣٨٨ ، ٤١٧ ، ٤٢١ ، ٤٣٨٤
 ٤٩٢ ، ٥٠٢ ، ٦١٣
 رشيد السمرقندي ٣٣٩ ، ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، ٤٣٥
 ٤٩٢ ، ٥٢٦
 الرضا (انظر : علي الرضا)
 رضاء الدين ٣١٩
 رضا قلي خان ١٣٥ ، ٢٩٢ ، ٣٢٤ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧
 ٤١٢ ، ٤١٣ ، ٤٥٢ ، ٦٠٧ ، ٦١٧ ، ٦٤٤ ، ٦٥٨
 رضى الدين ٥٢٩
 رضى الدين على لا لا ٦٢٧ ، ٦٢٨
 ركن الدين (إمام بخاري) ٥٥٨
 ركن الدين خورشاه ٢٥٣ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨
 ٥٧٩ - ٥٨٣
 ركن الدين صاعد بن مسعود ٦٨٧
 الروانهاشي ٤٢٧ - ٤٢٩
 روبرت منجموري ٣٩٨
 روبريكس ٥٦٢ ، ٥٧٤
 أبو روح لطف الله ٣٢٧

دوسون ٥٤٦ ، ٥٤٩ ، ٥٥٢ ، ٥٥٤ ، ٥٥٦ ، ٥٥٦
 ٥٦٠ ، ٥٦٣ ، ٥٦٦ ، ٥٦٩
 ٥٨٠ ، ٦٠٠
 دولتشاه ٢٤ ، ٢٦ ، ٣٠ ، ٨٣ ، ١٠٤
 ١١٤ ، ١٣٦ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤٣
 ١٤٤ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٦٢ ، ١٦٤
 ١٦٥ ، ١٦٧ ، ١٧٨ ، ١٨٠ ، ١٨٧
 ١٨٩ ، ١٩٤ ، ١٩٦ ، ١٩٩
 ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٧٥ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩
 ٣١٥ ، ٣٣٩ ، ٣٤٣ ، ٣٤٥
 ٣٤٩ ، ٣٧٨ ، ٣٨٥ ، ٣٩٦ ، ٤٠٦
 ٤٠٧ ، ٤٠٩ ، ٤١٢ ، ٤١٨ ، ٤٢٠
 ٤٢٢ ، ٤٢٥ ، ٤٣٠ ، ٤٣٢ ، ٤٣٤
 ٤٦٤ ، ٤٦٩ ، ٤٩٩ ، ٥٠٤ ، ٥٠٧
 ٥٠٩ ، ٥٢٥ ، ٥٢٧ ، ٥٢٩ ، ٥٣٤ ، ٥٤٢
 ٥٧٤ ، ٦٤٥ - ٦٤٧ ، ٦٥٨ ، ٦٨٨
 الدويدار الصغير (انظر مجاهد الدين ابيك)
 الديلة ١٠٥ ، ٥٧٨ ، ٥٨٢ ، ٥٩٦
 دي يوير ٣٦٥
 دي جويه ٢٤٣
 دي سامي ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧
 دي سلان (سلين) ١١٤ ، ٥٥٠ ، ٥٩٢
 ٥٩٣ ، ٦٠٣
 ديواروز (انظر : علي بيروزه)
 ديواروز مستمرد ١٣٣
 ديوجينس رومانوس ٢٢٢ ، ٢٢٣
 دي يونج ١١٦
 (ذ.)

ذو القرنين (انظر : الإسكندر)
 ذو النون المصري ٢٨٠ ، ٦٤١ ، ٦٦١

(ر)

رابعة بنت كلب القصدارية ١٣٤ ، ١٩٤
 الرازي (انظر : فخر الدين)
 الراشد (الخليفة) ٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٣٨٩
 رافعي ١٣٤

زين الدين ابو ابراهيم الجرجاني ٤٣٨

(ج)

ژوکوشکی ١٢٦ ، ٣٧ — ٣١٠ ، ٣١٥ ، ٣١٨
— ٣٢٠ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧
٣٢٦ ، ٣٢٣ ، ٤٦٧ — ٤٧٦ ، ٤٨٥ ، ٤٩٢
— ٤٩٤

(س)

سایور بن أردشير ٢٧٩
ساره ٢٧٨
ساسان (آل ساسان أو ساسانيون) ١١ ،
١٢ ، ١٨ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١١ ، ٢٧٩
٣٥٣

سام ٢٧٨
السامية (آل سامان أو السامانيون) ١٩
٢٤ ، ٢٨ ، ١٠٥ — ١٠٨ ، ١١٠ ، ١١١
١١٥ ، ١١٨ ، ١٢٣ ، ١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٥٣
١٩٩ ، ٢٦٢ ، ٢٧٧ ، ٢٨٠ ، ٣٤٥ ، ٤١٣
٤٧٤ ، ٥٩٦

سان برتليو ٢٥١
سانت لويس ٥٧٥
سكتكين ١١٠ ، ١١٤ ، ٥٥٦ ، ٥٩٧
سپرنج ٥٤٠ ، ٦٠٧ ، ٦٥٦
ستانيسلاس جويارد (انظر : جويارد)
ستانلي لين پول ٢٠٧ ، ٥٦٥ ، ٥٦٩
ستيفنسون ٣٩٧

السجري (انظر : أبو الفرج السجزي)
سحان بن وائل ٢٧٩
سغاو ١٠٦ ، ١١١ ، ١١٧ ، ١١٩ ، ١٢١
سديد الملك أبو المعالي ٢٣٠ ، ٢٣١
سراج الدين القمري ٣١٩
أبوسعبد ٣٠٥
سعد الدين ٥٢٩
سعد الدين الحموي ٣١٩ ، ٥٩٠ ، ٦٢٧ ، ٦٢٨
٦٣٠ ، ٦٣١

سعد الدين كوهر آئين ٢٢٢ ، ٢٢٤

روحى الولوالجى ٣٣٩ ، ٤٣٥
رودكى ١٠ ، ٢٢ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ١٠٣
١٠٤ ، ١٢٦ ، ٢٧٩ ، ٣٤٢ ، ٤١٣ ، ٤٢٦

٤٤٥ ، ٤٧٣ ، ٥٠٥

روزبهان ٥٩٠ ، ٦٢٣ — ٦٢٥
روس (انظر : ديفنون روس)
روكرت ٣٠ ، ٣٢ ، ٥٦ ، ٧٩ ، ٨٧ ، ٩٠ ، ٩٨
١٥٥

رومانوس (انظر : ديوجينيس)
الرويانى (انظر : عبد الواحد الرويانى)
ريكا ٥١١ ، ٥٢٣

ريتر ٥١١ ، ٥٢٣
أبو ريحان البيروني (انظر : البيروني)
ريحانة الخوارزمية ١١٧
ريلاندز (السيدة) ٦٠٧

ريو ١١٧ ، ٢٢٧ ، ٢٥٨ ، ٢٧٤ ، ٣١٧ ، ٣٤٦
٣٩٦ ، ٤٣٩ ، ٤٤١ ، ٤٤٩ ، ٥٩٥ ، ٥٩٧
٦٢٢

(ز)

زبيده (زوجة ملكشاه) ٣٧٥ ، ٣٧٧
أبوزراعة المعري الجرجاني ٤٧٣
زردشت ٩ ، ١١ ، ١٢ ، ١٥٣ ، ٥٠٦
زكريا القزويني (انظر : القزويني)
زاخا ٣٩ ، ٣٣٧
زاخا خاتون (أخت ملكشاه) ٢٢٧
الزمخشري ٣٧٤ ، ٤٥٠ ، ٤٥٦ ، ٤٥٨ ، ٤٥٩
٦١٩

زوتبرج ١١٦
الزوزنى ٣٧٤ ، ٤٤٩
ابن الزيات ١٠٣
الزيارية (آل زيار) ١٠٣ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٨
١١٥ ، ٣٥٤ ، ٤١٠

زيد ٥١٧
الزبدون ١٠٨
زيلجان ١٧٨ ، ٣٤١
زينب (من حريم خضرخان) ٤٢٤
زينبى الطوى المحمودى ١٣٤ ، ١٩٤

السلي ٣٣٧
 ابو سليك الجرجاني ٣٥٣
 سليم (السلطان العثماني) ٦٨ ، ٦٠٣ ، ٦٢٠
 سليمان ٢١٧
 سليمان الأول (السلطان العثماني) ٤٤٥
 سليمان الحكيم ١٣٠ ، ٤٩٣ ، ٥٠١ ، ٦٤٩
 السمعاني ٥٩٣
 سنائي ٣٠٤ ، ٣٢٨ ، ٣٨٣ ، ٣٨٢ ، ٣٩٥
 ٣٩٧ ، ٤٠١ ، ٤١٤ ، ٤٢١ ، ٤٧٥ ،
 ٤٧٦ ، ٤٩٢ ، ٥٠٥ ، ٥١١ ، ٦١٣ ،
 ٦٤٣
 سنائي الروزي ٤٣٥
 سفياد الميوسي ٢٦٢
 سنجر ٢٠ ، ١٣٦ ، ١٦٢ ، ٢٢٩ ، ٣٠٦ ،
 ٣١١ ، ٣٢٦ ، ٣٢٩ ، ٣٢١ ، ٣٧٢ ،
 ٣٧٤ ، ٣٧٦ ، ٣٧٨ — ٣٨٠ ، ٣٨٢ —
 ٣٩١ ، ٣٩٥ ، ٤١٣ ، ٤١٩ ، ٤٢٦ ،
 ٤٣٠ ، ٤٣١ ، ٤٣٥ ، ٤٣٦ ، ٤٣٧ ،
 ٤٦١ ، ٤٦٤ ، ٤٦٥ ، ٤٧٤ ، ٤٧٦ ،
 ٤٨١ ، ٤٨٦ ، ٤٨٧ ، ٤٨٩ ، ٤٩٣ ،
 ٥٠٠ — ٥٠٢ ، ٦٤٤
 سهراب ١٧١ — ١٧٣
 السهروردي المقتول ٦٣٢ ، ٦٣٥
 ابن سهل ١٠٢
 سهل الغجندي ٣٥٢
 ابوسهل الميحي ١١١ ، ١١٢
 سهل بن هارون ١٠٣
 سوري بن الفيرة ١٦٦
 سوزني ٣٧٣ ، ٤٣٣ ، ٤٣٤ ، ٤٨٤
 سيد حسن الغزنوي ٤٣٥ ، ٤٣٧
 السيد ذوالفقار ٤٩٦
 سيد ابوطالب حيد الدين ٤٨٤ ، ٤٩٣
 السيدة والدة مجد الدولة ٣٥٠ ، ٣٥٢

سعد الدين الوراوي ٦٢٢
 سعد بن زنگي ٦٧٠ ، ٦٨٧
 سعد سلمان ٤٠٧ ، ٤٠٨ ، ٤١٠ ، ٤١١
 سعد الملك ٣٩٠ ، ٣٩٢
 سعد الهروي ٣٨٩
 سعدى الشيرازي ٤٠ ، ٤١ ، ٦٢ ، ٨٢ ، ٩١ ،
 ٩٤ ، ١٣٤ ، ٤٦٢ ، ٥١٠ ، ٥٦٤ ،
 ٥٨٣ ، ٦٠٨ ، ٦٢١ ، ٦٣٢ ، ٦٤٢ ،
 ٦٦٤ ، ٦٦٧ — ٦٧٠ ، ٦٧٢ ، ٦٧٤ ،
 ٦٧٦ — ٦٨٠ ، ٦٨٢ ، ٦٨٤ ، ٦٨٧
 أبو سعيد (أخو ناصر خسرو) ٣٦٧
 أبو سعيد خان ٥٦٥ ، ٥٦٩
 أبو سعيد بن أبي الخير ١٣٥ ، ١٩٦ ، ٣٠٤ ،
 ٣١٩ ، ٣٢٥ — ٣٢٨ ، ٣٣٣ — ٣٣٦ ،
 ٣٥٣ ، ٤٦٥ ، ٦١٣
 أبوسعيد مجد الدين شرف (انظر : مجد الدين
 البغدادي)
 سقراط ٢٧٨ ، ٣٥١ ، ٣٥٣ ، ٣٥٦
 سكين ٢٤٥
 السلاجقة ([أي] سلاجوق أو السجوقيون)
 ١٩ ، ٢٠ ، ١١٠ ، ١١١ ، ٢٠٧ —
 ٢١٥ ، ٢١٩ ، ٢٢٥ ، ٢٩٢ ، ٣٦٩ ،
 ٣٧١ ، ٣٧٢ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، ٣٧٨ —
 ٣٨١ ، ٣٨٣ ، ٣٨٤ ، ٣٨٦ ، ٣٨٨ ،
 ٤٠٧ ، ٤١١ — ٤١٣ ، ٤٣٥ ، ٤٤٩ ،
 ٤٥٧ ، ٤٦١ ، ٤٨٠ ، ٥٠٩ ، ٥٢٨ ،
 ٥٤٥ ، ٥٧٠ ، ٥٩٦ ، ٥٩٨
 سلاجوق ٢١٠ ، ٢١٣ ، ٢٢١
 سلمان الدولة بن بهاء الدولة البويه ١٦٧
 سلطانا نشاء بن قاورت ٢٢٦
 سلطان شامة محمود ٤١٨
 سلطان ولد ٦٥٤ ، ٦٥٥
 سمائل الساوجي ٣١٩
 سلمان الفارسي ٢٧٩ ، ٢٨٠

سيف الدين البخارزي ٢١٩

سيف الدين حسين ٢٨٢

سيف الدين عمر ٤٨٠

سيفي التياپوري ٤٣٥

ابن سينا ١١١ - ١١٤ ، ١٢١ - ١٢٧ ، ١٣٢ ،

٢٧٠ ، ٣١١ ، ٣١٩ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥ ،

٣٣٢ ، ٣٦٢ ، ٤٢٨ ، ٤٧٩

السيوطي ٢٢٠ ، ٢٧٠

(ش)

شارل شيفر (انظر : شيفر)

الشافعي ٢٨٠

ابن شاكر ٣١٧ ، ٦٠٣ ، ٦١٥ - ٦١٧

شاه إسماعيل الصفوي ٢٠

شاهفور أشهري ٣٠٨ ، ٤٩٦ ، ٥٠٥ ، ٥٢٧

شاهنشاه ٥٨١

شاهي ٣١٩

شبل الدولة ٢٣٣

شجاعی ٤٩٢

شرف الدين ابوحنس (انظر : عمر بن الفارض)

شرف الدين رامي ٣٠ ، ٩٨

شرف الدين عبد الله (انظر : ابن الجوزي)

شرف الدين محمد (انظر : شغروه)

شرفشاه ٥٢٩

شرف المال ٣٥٤ ، ٣٥٤

شرف الملك ١٣٤ ، ٣٩٢

شرف الملك أبوسعبد ٢٣١ ، ٢٦٠

أبو الشرف ناصح (انظر : الجرباذقاني)

الصريف الرضي ١٠٢ ، ١٣٠

شغروه الإصفهاني ٥٤٣ ، ٦٨٦ ، ٦٨٧

شكبير ٢١٠

ابوشكور البلخي ٣٥٢

شلتا وشرف ١٧٦

شالي ٤١٢

شمس الدين ٥٢٩

شمس الدين أحمد الأفلاكي ٦٥٦ - ٦٥٨ ، ٦٦٤

شمس الدين ألتشمش ٥٩٥ ، ٦٠٦

شمس الدين التبريزي (شمس تبريز)

٦٥٢ - ٦٥٩ ، ٦٦٤

شمس الدين ابوالفرج (انظر : ابن الجوزي)

شمس الدين محمد الجويني ٦٧٧

شمس سيمكش ٢٣٩

شمس طبسي ٦١٣

شمس قيس الرازي ٣ ، ٣١ ، ٢٣١ ، ٤١٢ ،

٥٩٠ ، ٦٢١

شمس الكفاة (انظر : احمد بن الحسن الميندي)

شمس المال (انظر : قابوس بن وشمكير)

شمعون ٢٧٨

شناسي افندي (الشاعر التركي) ١٠٣

شهاب الدين (الأمير الفوري) ٥٧٨

شهاب الدين أبوحنس عمر بن محمد البكري

(أو) شهاب الدين السهروردي ٥٩٠ ،

٦٢٣ ، ٦٣١ ، ٦٣٢ ، ٦٧٠

شهاب الدين محمد بن أحمد (انظر : النسوي)

شهاب الدين يحيى بن حبش (انظر : السهروردي

المقتول)

شهر بانويه بنت. يزدرجرد ٣٥١ ، ٣٥٣

الشهرزوري ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٦١٧

الشهرستاني ١٢٢ ، ٣٧٤ ، ٤٥٠ ، ٤٥١

شهريار (الإصهيد) ١٦٠ - ١٦٢

شهريار بن شروين ٩٣

شهردان بن أبي الخير ٣٦٢

شيخي (الشاعر التركي) ٥١٥

شيرخان لودي ٤٦٨ ، ٤٦٩

شيرزاد (الإصهيد) ٩٣

شيرزاد بن مسعود بن ابراهيم القرنوي ٣٨٢

شعرويه الساساني ٥٨٠

شيرين ٥١٣ - ٥١٥ ، ٥٢٣ ، ٥٢٤ ، ٥٢٨

الضحاك ٢٧٩

ضياء الدين بن الأثير ٥٩٠ ، ٦١٩ ،
ضياء باشا ٤٠ ، ٦٣ ، ٩٠٣ ، ١١٤ ، ١٢٧

(ط)

طالب الأمل ٣١٩

أبو طالب رستم (انظر : مجد الدولة)

الطالقاني ١٩٤

طاهر بن الحسين ١٩

أبو طاهر الخاتوني ٢٢٨ ، ٢٣١ ، ٤١١ ، ٤١٢ ، ٦١٣

أبو طاهر الخسراوي ١٧٧ ، ١٧٨

أبو طاهر الهمداني ١٨٦

الظاهرية (الدولة) ١٩ ، ٥٩٦

الطبرسي (الفقيه الشافعي) ٤٥٠

الطبري ١٩٩ ، ٩٨١ ، ٣٥١ ، ٥٢٠

طفان شاه السلجوقي ٥٣ ، ٤٠٦ ، ٤٦٢ ، ٥٢٦ ،

٥٢٨ ، ٥٣١

الطبرائي ٣٧٤ ، ٤٤٩

طغرل بن أرسلان ٥٠٩ ، ٥٢٨

طغرل بك ١٣٥ ، ٢٠٧ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٥ —

٢١٨ ، ٢٢٠ ، ٢٨١ ، ٣٢٤ ، ٣٤٣ ،

٣٥٣ ، ٣٥٢ ، ٤٦٥

طغرل تكين ٤٩٣

ابن الطفيل ١٣٤

ابن الطقطقي ٦٨٣ ، ٥٨٤ ، ٥٨٧ — ٥٨٩

الطوسي ٤٥٠

(ظ)

الظاهر بيبرس ٥٦٨

الظاهر بن صلاح الدين ٦٣٧

ظهير الدين القاري ٩١ ، ١٩٧ ، ١٩٩ ، ٤٦١ ،

٤٩٤ ، ٥٠٥ ، ٥٢٥ — ٥٢٩ ، ٥٣١ ،

٥٣٥ ، ٥٣٧ ، ٥٣٨ ، ٥٤٠ ، ٥٤٢ ،

٥٤٣

شيفر ١٩ ، ١٠٨ ، ١٣٥ ، ٢٠٩ ، ٢٢٩ ، ٢٣١ ،

٢٤٨ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ،

٢٦٦ ، ٢٦٩ ، ٢٧٣ ، ٣٠٠ — ٣٠٢ ،

٢٣٩ ، ٢٣٢ ، ٢٦٤ ، ٢٨١ ، ٥٢١ :

٥٥٥ ، ٦٠٦ ، ٦٢٢

(ص)

الصائبي ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٩ ، ١١٩

الصاحب إسماعيل بن عباد ١٠٣ ، ١٠٩ ، ١١٦

— ١١٩ ، ١٢٩ ، ١٣١ ، ١٩٦ ،

٣٥٣ — ٣٥١

صائب الإصفهاني ١ ، ٧٨

صدر خجند (انظر : صدر الدين عبد اللطيف)

صدر الدين عبد اللطيف الخجندی ٣٨٩ ،

٥٢٧ ، ٥٢٩ ، ٥٣٠ ، ٥٣١ ، ٥٣٥ ،

٥٣٦ ، ٦٨٧

صدر الدين الفونيني ٦٢٣ ، ٦٣١ ، ٦٣٦

صدر الدين محمد بن المظفر ٣٠٦

صدقة بن مزيد ٣٧٧

الصفارية (الدولة أو الصفاريون) ١٩ ، ٢٣ ،

٢٤ ، ١٤٥ ، ٥٩٦

الصفوية (الدولة) ٢٠

صفي الدين الأردبيلي ٥٢٩

صفي الدين البخازي ٦٢٨

صفي الدين أبو بكر محمد (انظر : الرواشهي)

صفي الدين عمر ٤٨٤

صلاح الدين الأيوبي ٢٤١ ، ٢٥٦ ، ٦٠٤ ،

٦٠٥ ، ٦١٤ ، ٦١٨

صلاح الدين فريدون زركوب ٦٥٨

الصليبيون ٢٠٨

صنعان (الشيخ) ٦٥١

(ض)

ضراب ٢٤٨

(ع)

عبد الله بن ميمون القنداح: ٢٤٢ ، ٢٦٢
 عبد الله بن أبي الياسر (انظر: جرجيس)
 عبد الملك العسكري ٣٥٢
 عبد الملك بن عطاش ٢٩١
 عبد الملك بن مروان ١٠
 عبد النعيم حسنين (دكتور) ٥٥٥
 عبد الواحد بن إسماعيل الروياني ٣٨٩ ، ٤٤٩ ،
 ٤٥٤ - ٤٥٦
 عبد الواسع الجلي ٤٣٠ ، ٤٣٢
 ابن عبدون ٤٥٠
 عبد الوهاب عزام (دكتور) ٥٩٩
 ابن العبري ٥٩٠ ، ٥٩٣ - ٥٩٥ ، ٦٠٥
 عبيد زاكاني ٩٢ ، ٩٧
 عبيد الله المهدي ٢٤٣
 أبو العتاهية ٤٧٠
 العتبي ١١٤ ، ١١٦ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٣٢ ،
 ١٦١ ، ٢٤٨ ، ٢٩٢ ، ٢٩٧
 عثمان (رأس الدولة الثانية) ٣٠٨
 عثمان بن عفان ١٦١ ، ٢١٠ ، ٢٧٩ ، ٥٣٥
 عثمان (عم سدكشاه) ٢٢٥
 عثمان بن أبي علي الجلابي (انظر: المجوري)
 العثمانية (الدولة) ٢٨ ، ٢٠٨ ، ٥٦٣
 حدثاني (الشاعر) ٣٣٩
 الحزاق (انظر: أبو نصر العراق)
 العراقي (انظر: فخر الدين)
 ابن العربي ٥٩٠ ، ٦٣٠ ، ٦٣١ ، ٦٣٣ - ٦٣٦ ،
 ٦٣٨ ، ٦٣٩ ، ٦٤١ ، ٦٤٤
 عز الدين بن الأثير (انظر: ابن الأثير)
 عز الدين الزنجاني ٤٩ ، ٦٠٩
 عز الدين بن فتح الدين ٥٨٤ ، ٥٨٥
 عز الدين الكراشي ٣١٩
 عز الدين مسعود ٥٠٩
 عز الدين يحيى التبريزي ٥٢٩

عاكف (شاعر) ٣١٩
 عائشة ٢٨٠
 أبو العباس أحمد ٥٨٦
 عباس إقبال ٤١٧ ، ٤١٨ ، ٦٢٤
 عباس الرازي ٣٩٠
 أبو العباس الروياني ٣٤٩ ، ٣٥٢
 أبو العباس الفاعلي ١١٩
 عباس المروزي ٢٢
 العباسية (الدولة أو العباسيون) ٢٠ ، ٢١ ،
 ٢٤٢ ، ٢٦٤ ، ٣٥٢ ، ٣٨٠ ، ٣٨١ ،
 ٥٨٠ ، ٥٨٦ ، ٥٨٩ ، ٦١٤
 عبد الجبار الخوجاني ٣٥٢
 عبد الحسين خان ١٤
 عبد الحق فاضل ٣١٨
 عبد الخالق ٣٤١
 عبد الرحمن السيرامي ٣٨٩
 عبد الرحمن بن عوف ٦٠٦
 عبد الرزاق (أمير طوس) ١٦٢
 عبد السلام (كاتب قابوس) ١١٩
 عبد القى النابلسي ٦٤٤
 عبد القادر الجيلاني ٦٣٢
 عبيدك القرواني ٥٠٥
 عبد اللطيف بن الخجندی (انظر: صدر الدين)
 عبد الله الأنصاري (انظر: الأنصاري)
 أبو عبد الله الديلمي (انظر: الديلمي)
 عبد الله بن طاهر ٣٤٥
 أبو عبد الله عمر (انظر: البضاوي)
 أبو عبد الله بن فضل الله الشيرازي (انظر: الوصف)
 أبو عبد الله بن محمود ٣٢٧
 عبد الله بن المقفع (انظر: ابن المقفع)

أبو الفلاء السروي ١٠٨
 أبو الفلاء سعيد النيسابوري ٣٨٩
 أبو الفلاء الكنجوي ٩٦ ، ٤٣٣ ، ٤٩٦ ، ٤٩٨
 أبو الفلاء المري ١٠٣ ، ٢٧٠ ، ٣٦٤ — ٣٦٨
 ٤٤٩
 أبو الفلاء عفيفي (الدكتور) ٦٢٣
 أبو الفلاء الفضل ٣٩٣
 ابن العلقمي ٥٨٥ ، ٥٨٧ — ٥٨٩
 علوي اللدن ٣٩٢ ، ٣٩٣
 علي بن أحمد الأسدي (انظر : أسدي الأسمر)
 أبو علي أحمد بن شادان (وزير طغرل بك) ٤٦٥
 علي أصغر الهمداني (دكتور) ٤٤٩
 أبو علي بن أفضل ٣٨٩
 علي بهادر ٥٨٧
 علي بانيقي ٤٢٣
 علي بيروزه ١٠٨ ، ١٢٣
 علي جلبي ٤٤٥
 أبو علي الحسن بن إسحق (انظر : نظام الملك)
 علي بن الحسن البخارزي (انظر : البخارزي)
 علي ديلم ١٥٧ ، ١٥٨
 علي بن أبي رجا الفزنوي ٤٣٥
 علي الرضا ٢٧٤ ، ٦٤٤
 علي زين العابدين ٢٤٠
 علي سهرى ٤٢٣
 أبو علي سيمجور ١٨٧ ، ٢٤٨ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣
 علي بن شادان ٢١٩
 علي الصطرنجى ٤٣٤
 علي بن أبي طالب ٢٠ ، ١٥٩ ، ٢٤٠ — ٢٤٢ ،
 ٢٥٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨٢ ، ٣٥٣ ،
 ٤١٧ ، ٥٣٥ ، ٥٥٧ ، ٥٩٦ ، ٦٤٥
 علي بن العباس الجوسى (انظر : الجوسى الطبيب)
 علي عبد الرسول ٥٠٦
 أبو علي عميد خراسان ٢٢٧

عزة ٢٣٥
 عسجدى ١٣٤ ، ١٤٣ ، ١٥٣ ، ٣١٩ ، ٣٥٣ ،
 ٣٥٩ ، ٦١٣
 عصمت (شاعر) ٥١٠
 عضد الدولة البويهى ١٠٨ ، ١٣١ — ١٣٣ ، ٣٥٢
 عضد الدين طغانشاه بن مؤيد (انظر : طغانشاه)
 العطار ٣١٩ ، ٣٢٢ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٧٣ ،
 ٣٩٥ ، ٤٠٤ ، ٥٦٤ ، ٦٢٣ ، ٦٤٢ —
 ٦٦٩ ، ٦٦١ ، ٦٥٤ ، ٦٧٧
 عطاردى ١٣٤ ، ١٩٤
 ابن عطاش ٢٢٩ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٣٥١ ، ٣٩٠ ،
 ٣٩٤
 عطا ملك الجوينى ٢ ، ٢٣٩ ، ٣٨٢ ، ٣٨٤ ،
 ٣٨٧ ، ٤١٩ ، ٤٢٠ ، ٥٥٥ ، ٥٦٠ ،
 ٥٦٤ ، ٥٦٦ ، ٥٨١ — ٥٨٣ ، ٥٩٠ ،
 ٥٩٩ ، ٦١٤ ، ٦١٦
 علاء الدولة خاس بك ٣٦٢
 علاء الدولة السمناني ٣١٩
 علاء الدولة علي بن فرامرز ٤٩ — ٥٢
 علاء الدولة بن كا كويه ١٢٣
 علاء الدولة محمد ١١٢
 علاء الدولة ملك الرى ٣١٧
 علاء الدين ٥٦٣
 علاء الدين بن جلال الدين الرومى ٦٥٤
 علاء الدين بن جلال الدين نوسلمان ٥٧٩ ، ٥٨٠
 علاء الدين حسين جهان سوز ١٢٤ ، ٣٨٢ ،
 ٣٨٣ ، ٤٢٦ ، ٤٨٣ ، ٤٨٤
 علاء الدين بن قباچ ٤٨٧
 علاء الدين كيقباد ٦٥٤ ، ٦٥٥
 علاء الدين محمد بن الحسن ٢٥٣
 علاء الدين محمد خوارزمشاه ٥٤٥ ، ٥٥١ ،
 ٥٥٦ — ٥٥٨ ، ٥٧٠ ، ٥٧٨ ، ٦١٥ ،
 ٦٣٧ ، ٦٥٤ ، ٦٧٠

علي بن فرامرز (انظر : علاء الدولة على)

علي بن مأمون الفريوني ٢٩٢

علي بن مسكويه ١٣٢

أبو علي المنصور ١٢٠

علي بن موسى الرضا (انظر : علي الرضا)

علي النسائي ٢٧٠

عماد الدين ٥٢٩

عماد الدين الأصفهاني ١٠٢ ، ٢٠٩

عماد الدين الفزوني ٤٣٥

عماد الدين فيروز شاه ٤٩٣

عماد زوزني ٤٣٧

عمادي ٤٢٢

أبو عمران موسى بن ميمون (انظر :

ابن ميمون)

عمر بن الخطاب ١٦١ ، ٢٤٠ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ،

٣٥١ ، ٤١٧ ، ٤٨٠ ، ٥٣٥ ، ٥٣٦

عمر الحيام (انظر : الغيام)

عمر العجمي ٤٧٨

عمر بن الفارض ٥٩٠ ، ٦٢٣ ، ٦٣٤ ، ١٢٨ -

٦٤٤ ، ٦٤٢

أبو عمرو (شاعر طبرستان) ١٠٨

عمرو بن الليث الصقار ٣٥١ ، ٣٥٣ ، ٦٧٣

عميق البخاري ٣٧٣ ، ٣٧٨ ، ٤٣٣ ، ٤٣٤

العميد أسعد ١٤٥ ، ١٥٠ ، ١٥١

عميد الملك (انظر : الكندري)

عنصر المعالي (انظر : كيكالوس)

عنصري ٥٢ ، ١٠٣ ، ١٣٤ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ،

١٤٣ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٦٦ ، ١٨٩ ،

١٩١ - ١٩٣ ، ٢٧٩ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ،

٤١٣ ، ٤١٤ ، ٤٩٢ ، ٥٠٥ ، ٦١٣

عوفي (انظر : محمد عوفي)

عياضي ٤٥٣

عيسى بن مريم (انظر : المسيح)

عيسى بن يحيى ١٢٣

عين الملك حسين الأشعري ٦٠٦

(غ)

غازان خان ٣١٣ ، ٥٦٢ ، ٥٦٤ ، ٥٦٦ ، ٥٨٧ ،

أبو الغازي حسين ٦٤٨

غريغوريوس (انظر : ابن العبري)

الغفر ٢١٠ ، ٢١٣ ، ٢٧٨ ، ٣٧١ ، ٣٧٩ ،

٣٨٠ ، ٤٢٧ ، ٤٤١ ، ٤٨٦ ، ٤٨٧ ،

٤٨٩ ، ٤٩٢ ، ٥٠١ ، ٥٠٢ ، ٦٤٦ ،

الغزالي ٢٢٠ ، ٣١١ ، ٣٦٨ - ٣٧٠ ، ٣٧٤ ،

٤٣٨ ، ٤٤٩ ، ٤٦٥ ، ٦٣٢

الغزنوية (الدولة) ١٩ ، ٢٤ ، ٢٨ ، ١٠٥ ،

١١٠ ، ١٢٣ ، ١٣٩ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ،

٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢٨٠ ، ٢٩٢ ، ٣٧٢ ،

٣٨١ ، ٣٨٣ ، ٤١٣ ، ٥٤٥ ، ٥٥٦ ،

٥٩٧ ، ٥٩٨

الغزي ١٠٣

غضائري الرازي ٨٣ ، ١٣٤ ، ١٩٣

أبو القناتم تاج الملك (انظر : تاج الملك)

الغوريون (ملوك جبال الغور) ٣٧٢ ، ٣٨١ ،

٣٨٣ ، ٣٨٨ ، ٤٢٥ ، ٥٤٥ ، ٥٧٠ ،

٥٧٨ ، ٥٩٥

غياث الدين (الأمير الفوري) ٣٦ ، ٥٧٨

غياث الدين (أخو جلال الدين خوارزمشاه) ٥٧١

غياث الدين سليمان شاه ٣٨٤

غياث الدين محمد بن شام (الأمير الفوري)

٣٢٩ ، ٥٧٨

(ف)

قائير ٥٩٧

فاطمة ٢٤١ ، ٢٨٠ ، ٢٨٦

الفاطمية (الدولة أو الفاطميون) ٢٠ ، ٢٠٧ ،

٢١٢ ، ٢٢١ ، ٢٣٢ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ،

٢٤٦ - ٢٥٠ ، ٣١٢ ، ٣٧١ ، ٣٧٧ ،

٢٨٠ ، ٥٧٧

١٧٩ ، ١٩٥ ، ٢٧٩ ، ٣٢٩ ، ٣٢٣ ، ٣٤٠ ، ٣٤٠

٣٥٠ ، ٣٨٣ ، ٤٠٦ ، ٤٢٦ ، ٤٦٢ ، ٤٧٤ ، ٤٩٢

٥١٣ ، ٥٤٣ ، ٥٩٩ ، ٦٢٣ ، ٦٦٧

الفرج ٥٤٨

فرهاد ٥١٣ ، ٥٢٣ ، ٥٣٤

فريد الدين الطار (أنظر : الطار)

فريد الكاتب ٤٣٧ ، ٤٦٦ ، ٤٧٤ ، ٤٨٣

فريدون ٢٧٩ ، ٤٣١ ، ٤٣٢

فريقون ٢٨٠ ، ٢٩٢

فصیحی الجرجانی ٣٢٨ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥

فصیحی خواف ٤٦٩

أبو الفضائل عبد الرحمن ٥٨٦

أبو الفضل (شاعر) ١٩٤

أبو الفضل (صاحب عيار دانش) ٤٤٥

أبو الفضل أحمد بن الحسين (أنظر : بديع

الزمان)

أبو الفضل البلمی ٢٨١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣

أبو الفضل السكري المروزي ٧٨

أبو الفضل القضي (أنظر : مجد الملك)

أبو الفضل الكرمانی ٣٨٤

أبو الفضل الميكالي ١١٦

فضلون ٣٥٢

فضولي ٥١٦

فلك الدين سنقر ٥٢٩

فلك الدين محمد بن إيدمر ٥٨٥

فلك المال متوجهر ١١٩ ، ١٩٣

فلکی الشروانی ٤١٠ ، ٤٩٦

فلوجل ٣٠ ، ٤١١

فوريس ٣٤٨ ، ٣٤٩

فولكر ١٢٤ ، ٤٤٤

فون روزن ١٢٦

فون كرامر (كريم) ٣٣ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦

٣٦٨ ، ٤٥٦ ، ٦١٢

فون هامر ٥٠٦

فالتين زوكوفسكي (أنظر : زوكوفسكي)

فانيان ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٧٤ ، ٣٠١ ، ٣٠٣

فتح ٣٥٠

أبو الفتح البستي (أنظر : البستي)

الفتح البنداري (أنظر : البنداري)

بو الفتح طاهر بن نصر الملك ٤٩٣

أبو الفتح محمد بن أبي القاسم (أنظر :

الشهرستاني)

فخرتايين ٤٥٩

فتحة ٥٢١ — ٥٢٣

فتوحی ٤٢٢ ، ٤٨٤

نفر الدولة البويهي ١١٦ ، ١٩٨ ، ٣٥٢ ، ٥٨٢

نفر الدين أسعد الجرجاني ٣٢٨ ، ٣٤٢ ، ٦١٣

نفر الدين الرازي ٣١٩ ، ٥٧٨ ، ٥٩٠ ، ٦١٥ ، ٦١٨

نفر الدين العراقي ٦٣٦ ، ٦٤٢

نفر الملك بن نظام الملك ٣٨٩ ، ٣٩٩

أبو القدا ٥٩٧ ، ٦٠٥

القراء البغوي ٣٧٤ ، ٤٤٩

فرايبينو ٢٥٥

أبو فراس ٤٩٢

فرتيه ٤٧٠

أبو الفرج البستي ٣٥٢

أبو الفرج الروني ٤٣٥ ، ٤٧٤ ، ٤٩٢ ، ٤٩٣

أبو الفرج السجزي ١٨٧ ، ١٨٨

فرخی ٣٠ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٤٤ — ١٤٦ ، ١٤٧

١٥٠ — ١٥٣ ، ٢٥٣ ، ٤١٤ ، ٤١٧

٤٩٢ ، ٦١٣

الفردوسي ٩ ، ١٠ ، ١٥ ، ١٧ ، ٢٢ ، ٢٨

٣٠٠ ، ٣١ ، ٣٧ ، ٤٢ ، ٩٣

٩٥ ، ١٠٣ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٤

١٢٠ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٨ — ١٤٠

١٤٤ ، ١٥٣ ، ١٥٦ — ١٥٨ ، ١٥٩

١٧٠ — ١٧٢ ، ١٧٦ ، ١٧٨

فيتز جلاله ١٢٤، ١٦٩، ٢٠٦، ٢٣٧،
 ٣٠٤، ٣١٤، ٣١٧،
 ٣١٨، ٣٢٠، ٣٢٢
 فيثاغورث ٣٥٣
 فيشر أنوين ٨
 فيكتور روزن ٣٠٧

(ق)

قابوس بن وشمكير ١٠٦، ١٠٩، ١١٢،
 ١١٦، ١١٩، ١٢٣، ١٢٣،
 ١٦١، ٣٤٥، ٣٤٩، ٣٥١،
 ٣٥٣، ٣٥٤، ٦٠٩، ٦٢٢
 القادر بالله ١٠٥، ١٢٠، ٢٦٨، ٣٥٢
 قارن ٢٧٩
 قارنوند ١١٩
 قارون ٢٧٨، ٤٦
 أبو القاسم الجرجاني ١٦٤
 أبو القاسم بن الحسين ٤٥٨
 أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن (انظر :
 القشيري)
 أبو القاسم علي بن الحسن (انظر : الباخرزي)
 أبو القاسم محمد بن عمر (انظر : الزمخشري)
 القاضي الأكرم (انظر : الففطلي)
 قاورث ٢١٠، ٢١٦، ٢٢٤، ٢٢٦
 القائم بأمر الله ٢١٥، ٢١٦، ٢٢٦،
 ٣٥٤، ٣٥٣
 قباذ ١٠٦، ١١٩
 قبياق ٥٤٧
 قبلاي خان ٣١٣، ٥٦١، ٥٦٣، ٥٦٦،
 ٥٦٩، ٥٧٥، ٥٧٦
 قتلش بن موسى أرسلان ٢١٠، ٢١٤،
 ٢١٦
 قدامة بن جعفر ١٠٣
 قراجة ٥٧١

قرامطة ٢٠، ١٦٦
 قره خطاي ٤٧٤
 قره العين ٥٦
 قزل أرسلان ٨٧، ٩١، ٩٢
 قزل أرسلان بن ايلدگ ٥٠٨، ٥٠٩، ٥٢٦،
 ٥٢٨، ٥٣١، ٥٣٢

القزويني ٢٦٦، ٣١٢، ٤٧٠، ٥٩٠،
 ٦١٢، ٦١٤

قسطنطين ٢٧٨
 قشمر ٥٧١
 القشيري ٢١٨، ٣٣٣، ٣٧٤
 قضاة ٦٠٤

قطب الدين خوارزمشاه ٤٣٨، ٦٨٧
 قطب الدين محمد ٣٨٢
 قطران التبريزي ٢٧٠، ٣٣٨، ٣٤٠،
 ٥٠٥

القفطي ٣٠٩، ٣١١، ٣١٣، ٥٥٠،
 ٥٩٠، ٦٠٣، ٦٠٥

قليج ٥٧٢
 قماج ٤٨٧

قمرى الجرجاني ١٠٩، ٣٥٣
 قوامى الرازي ٤٣٥
 قوامى گنجوى (او مطرزي) ٦٣، ٨٤،
 ٥٠٨

قيراي ٥٦٢
 قيس العامري ٥١٦، ٥١٨، ٦٨٠

(ك)

كاترمير ١٠٢، ٣١٣، ٥٥٥
 كازا دى ثو ١٢٢
 كاردون ٤٤٥
 كارل يان ٣١٣، ٥٥٥
 كازانيف ٢٥١

(ک)

کاتان ۲۳۳ ، ۲۴۹ ، ۲۱۵
الکردیزی ۳۶۲
کرشاسب ۳۴۱
کشتاسب ۱۵۳ ، ۲۵۱
کشتکین ۲۲۵
کورخان ۶۴۵
کوهر آیین ۲۲۲ ، ۲۲۴
کیلاشاه ۳۴۶
کیو ۱۵۳
کیومرث ۵۹۴

(ل)

للا شرف الدین البسمرقندی ۶۵۴
لامعی البخاری ۴۳۵
اللان ۵۴۷
لیبی ۱۹۴ ، ۳۵۳
لسترانج ۶۸۸
لطفعلی بیگ ۲۶۶ ، ۳۰۱ ، ۴۶۸ ، ۴۶۹ ، ۵۱۰
الاسکر ۵۴۷
لمعی ۳۴۵
لوط ۱۸۰ ، ۱۸۴
لونج فیلتو ۵۷۶ ، ۵۸۶
لويس کارول ۶۱
لیرت ۳۰۹ ، ۶۰۴ ، ۶۰۵
لیلی ۵۱۶ — ۵۱۸ ، ۶۸۰
لیلی الأخلیة ۳۳۵

(م)

مانیو آرنولد ۱۷۱
ماجوج ۵۱۷

کازمرسکی (کازیمیرسکی) ۲۲ ، ۱۸۸

کافی بن عثمان ۴۹۵

کبیر بن اویس بن محمد اللطیفی ۶۰۳

کثیر ۳۳۵

کندک ۵۷۴

کرکیاتریک ۴۷۱ ، ۴۸۶ ، ۴۸۹ ، ۴۹۱

کروفورد ۶۰۷

کریم گرای کئی گرای ۵۶۹

الکسانی الروزی ۱۳۵ ، ۱۹۵ ، ۱۹۶ ، ۲۰۰

— ۲۰۳ ، ۲۰۶ ، ۲۷۹

کلارک ۵۲۴

کلثوم بن عمر العتابی ۱۰۳

کلیسان اویار (أنظر : اویار)

کال بک ۱۰۳

کال الدین (أنظر : پندار الرازی)

کال الدین بن أرسلان خان ۴۱۹

کال الدین بن إسماعیل الأصفهانی ۹۶ ، ۲۱۴ ،

۳۱۹ ، ۴۹۲ ، ۶۸۶ — ۶۸۸

کال الدین أبو الرضا ۲۳۰ ، ۲۳۱

کال الدین محمد ۶۳۸ — ۶۴۰

الکندری ۲۱۶ — ۲۱۹ ، ۲۲۷

کولریدج ۵۷۶

کون ۱۸۰

کونراد ۲۵۶

کوهیاری الطبری ۴۳۵

کوکول ۱۲۴

کوبری ۳۴۶

کیاخرک امید ۳۸۸ ، ۵۷۷

کیث فولکنر ۱۲۴ ، ۴۴۴

کبرتون ۴۵۹

کیکائوس (عنصر المال) ۱۰۳ ، ۳۴۵ ،

۳۶۰ ، ۳۴۶

کیکائوس بن قباد ۳۴۶

کیوک ۵۶۵ ، ۵۷۴ ، ۵۷۵

٣٢٨ ، ٣٢٣ ، ٣٢٥ — ٣٢٧ ، ٣٢٠ ،
 ٣٢٤ — ٣٢٥ ، ٣٢٩ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ ،
 ٣٦٠ ، ٣٦٤ ، ٣٦٧ ، ٣٦٦ ، ٣٧٨ ،
 ٣٨٣ ، ٣٩١ ، ٣٩٤ ، ٣٩٧ ، ٣٩٩ ،
 ٤٠١ ، ٤٠٦ — ٤١٠ ، ٤١٢ ، ٤١٤ —
 ٤٢٠ ، ٤٢٣ — ٤٢٤ ، ٤٢٣ ، ٤٣٥ ،
 ٤٣٩ ، ٤٤٠ ، ٤٤٦ ، ٤٤٧ ، ٤٥٢ ،
 ٤٥٣ ، ٤٥٩ ، ٤٦٤ ، ٤٦٥ ، ٤٧٢ ،
 ٤٨٦ ، ٤٨٩ ، ٤٩١ ، ٤٩٨ ، ٤٩٩ ،
 ٥٠٣ ، ٥٠٤ — ٥٠٦ ، ٥٠٨ ، ٥٠٩ ،
 ٥١١ ، ٥١٢ ، ٥١٤ ، ٥١٦ ، ٥١٧ ،
 ٥٢٥ ، ٥٢٦ ، ٥٣٠ ، ٥٣٦ — ٥٤٠ ،
 ٥٩٩ ، ٦٠٠ ، ٦٠٢ ، ٦٠٣ ، ٦٠٥ ،
 ٦٠٨ ، ٦١٠ — ٦١٣ ، ٦١٦ ، ٦٢٢ ،
 ٦٢٤ ، ٦٢٥ ، ٦٢٨ ، ٦٣٣ ، ٦٣٩ —
 ٦٤١ ، ٦٤٣ ، ٦٤٨ ، ٦٥١ ، ٦٥٥ —
 ٦٥٧ ، ٦٥٩ ، ٦٦١ ، ٦٦٤ — ٦٦٨ ،
 ٦٧٢ ، ٦٧٣ ، ٦٧٨ ، ٦٨٠ — ٦٨٢ ،
 ٦٨٥ ، ٦٨٧ ، ٦٨٩

لتنى ١٠٣ : ١٣٣ ، ١٧٠ ، ٣٦٧

التوكل ٣٥٠ ، ٣٥٣

مجاهد الدين إريك ٥٨٤ ، ٥٩٥

مجتبى مينوى ٣٤٤

مجد الدولة أبوطالب رستم ١٦٧ ، ١٨٧ ، ١٩٦ —
 ١٩٩ ، ٣٥٠

مجد الدين بن الأثير ٩٥٠ ، ٦١٩

مجد الدين البغدادي ٥٩٠ ، ٦٢٩ — ٦٣١ ،
 ٦٤٤ ، ٦٤٧

مجد الدين أبو الحسن العمري ٤٩٣

مجد الدين أبو الفتح ١١٥

مجد الدين محمد بن علي أشقت ٥٢٩

مجد الدين همكر ٣١٩ ، ٤٩٤ ، ٥٢٥

أبو الجعد مجدود بن آدم (أنظر : ضائى

مارتن تير ٣٩٨

مارتن لوثر ٩١

مارجايوت ٢٣ ، ٣١٧ ، ٣٦٨ ، ٦٠٤ ، ٦٠٥ ،
 ٦١٢

ماركو بولو ٢٥٣ ، ٥٦٣ ، ٥٦٩ ، ٥٨٣

مارينو سانوتو ٢٥٥

المافروخي ١٣١ ، ١٣٢

مالك ٢٨٠

المامطري (أنظر : خرشيد بن أبي القاسم)

الأمون ١٠ ، ١٩ ، ٢٢ ، ٣٥٣ ، ٣٥٣

أمون (أمير خوارزم) ١١١ ، ١١٢ ، ١١٥ ،
 ١١٦ ، ١١٨ — ١٢٣

مانى ٤١٦

ماه ملك (أخت ملكشاه) ٣٧٥

ماه ملك (بنت سنجر) ٣٧٨

المالوردي ٦٣٣

المترجم (دكتور إبراهيم أمين الشواربي) ١ ،

٢ ، ٣ ، ٧ ، ١٠ ، ١١ ، ٢٢ ،

٣٠ ، ٣١ ، ٣٣ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٤١ —

٤٣ ، ٦٠ — ٦٣ ، ٦٥ — ٦٧ ، ٦٩ ،

٧٠ ، ٧٣ ، ٧٥ — ٧٧ ، ٨٠ — ٨٢ ،

٩٠ ، ٩٢ ، ٩٤ — ٩٦ ، ١٠٠ ، ١٠١ ،

١٠٣ — ١١٥ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١٢٢ ،

١٢٥ ، ١٢٧ ، ١٣٢ ، ١٣٥ ، ١٤٠ ،

١٤٤ ، ١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٥٧ ، ١٥٩ ،

١٦٠ ، ١٦٦ ، ١٦٤ ، ١٧١ ، ١٧٥ ،

١٧٨ ، ١٨٠ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٨٨ ،

١٨٩ ، ١٩١ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٣ ،

٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١١ ، ٢٢٦ ، ٢٤٣ ،

٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٤ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ،

٢٨٤ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٢٩٥ ، ٣٠١ ،

٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣١٥ ، ٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣٢٤ ،

الملك طوطى ٤٨٤
 ملك عماد الزوزنى ١١٥
 منتخب الدين بديع الكتاب ٣٨٧
 المنتصر ٥٨٠
 منجيك ٢٧٠ ، ٣٢٨
 ابن منده ٣٧٤
 منس (٥٠١)
 المنشورى ١٩٤
 أبو منصور بن عبد الرزاق ١٦٧
 منصور بن علي الرازى ١٠٩
 أبو منصور المعمرى ١٦٧
 أبو منصور الموفق (انظر : موفق الدين أبو منصور)
 منصورى ١٣٤
 المنطقى (انظر : منصور بن علي الرازى)
 منكو ٥٦٥ ، ٥٦٧ ، ٥٧٥ ، ٥٧٦ ، ٥٨٢ ، ٥٨٣
 ٥٨٣
 منهاج السراج ٥٨٢ ، ٥٩٠ ، ٥٩٥ ، ٦٠٦
 منوچهر شروانشاه ٤٩٦
 منوچهر بن قابوس ١١٩ ، ١٩٣
 منوچهرى ٢٣ ، ٤٢ ، ٥٧ ، ٥٩ ، ١١٩ ،
 ١٣٤ ، ١٣٩ ، ١٨٧ ، ١٨٩ ، ١٩٣
 المنبى ١١٥
 المهدي ٢٤١
 مهسنى ٤٣٦ ، ٤٣٧ ، ٤٣٩
 الملهب ٣٥٢
 مهيار الديلى ١٢٩
 مود ٢٣٦
 مودود ٣٨٩
 مودود بن مسعود القرنوى ١١٧ ، ٢١٣ ، ٢٦٥
 مورجان ٩١ ، ٦٤
 موردخان ١٥
 مورير ٦٨
 موسى ١٨٤ ، ٢٤٣ ، ٢٧٨ ، ٢٩٨
 موسى أرسلان بن سلجوق (ينفو) ٢١٠ ،
 ١٧١ ، ٣٤١

معزى ٤٩ ، ٥٢ ، ٥٧ ، ١٣٤ ، ٢٣٦ ،
 ٢٣٩ ، ٢٧٣ ، ٢٧٩ ، ٣٨٥ ، ٣٩٦ ،
 ٤٠٦ ، ٤١٣ ، ٤١٧ ، ٤٢٦ ، ٤٨١ ،
 ٤٨٢ ، ٤٨٨ ، ٤٨٨ ، ٤٩٢ ، ٥٠٥ ،
 معين الدين پروا ٦٥٩
 معين الدين أبو القاسم (انظر : جنيد الشيرازى)
 معين الملك ٣٩٠
 المفري ٢١٩
 المغول
 ٤ ، ١١ ، ١٨ ، ٢١ ، ٢٧ ، ٤٠ ،
 ١٠٨ ، ٢٠٨ ، ٢٥٣ ، ٢٥٧ ، ٣٣ ،
 ٣٧ ، ٤١٩ ، ٤٢٣ ، ٥٤٦ ، ٥٦٣ ،
 ٥٦٥ ، ٥٦٨ ، ٥٧٠ ، ٥٧٥ ، ٥٧٩ ،
 ٥٨٢ ، ٥٨٤ ، ٥٨٦ ، ٥٨٨ ، ٥٩٣ ،
 ٥٩٤ ، ٥٩٦ ، ٦٠٠ ، ٦٠٤ ، ٦٠٥ ،
 ٦٠٦ ، ٦٠٦ ، ٦٢٦ ، ٦٢٨ ،
 ٦٢٩ ، ٦٤٦ ، ٦٤٧ ، ٦٧٩ ، ٦٨٨ ، ٦٨٩ ،
 ابن مقبل ٤٧
 المقتدى ٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٧٥ ،
 ٣٨٠
 المقتضى ٣٨
 المقرئ ٦٣٤ ، ٦٧٧
 المقرئى ٥٥٦
 ابن المقفع ١٠٢ ، ٤٤٣ ، ٤٤٥ ، ٤٤٧ ،
 ابن مقلة ٣٥١ ، ٦٢٠
 مكرم بن الالا ٢٢٣
 ملا خندرا ٦٣٥
 ملتون ٣٩٨
 ملاك إسماعيل ٣٧٥
 الملك الرحم ٢١٣ ، ٢١٦
 ملكشاه ١٩ ، ٢٩ ، ١٦٢ ، ٢٠٧ ، ٢١٠ ،
 ٢١٣ ، ٢٢١ ، ٢٢٤ ، ٢٣١ ، ٢٣٣ ،
 ٢٣٦ ، ٢٥٦ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦١ ،
 ٢٦٢ ، ٢٦٧ ، ٢٦٧ ، ٢٧٤ ،
 ٢٧٥ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٧ ، ٤١٢ ،
 ٤١٣ ، ٥٤٥
 ملكشاه بن بركيارق ٣٧٧
 الملك شمس الدين ٣١٩

٤٦٢ ، ٤٧٥ ، ٥٤٣ ، ٥٧٩ ، ٦٠٨

٦١٣ ، ٦٤٥

ناصر الدين (حاكم قهستان) ٥٧٩

ناصر الدين شاه ٣٣٦ ، ٢٣٢

ناصر الدين عبد الرحيم ٣٦٨

ناصر الدين قباچه ٥٩٥ ، ٦٠٦ ، ٦٠٨

ناصر الدين محمود شاه ٥٩٥

ناصر الدين منجلي ٥٧٨

ابن النبي ١٠٢

نجار ساغرجي ٤٢٣

أبو النجم أحمد بن قوس (انظر : منوچهری)

نجم الدين أبو حفص (انظر : النسفي)

نجم الدين داية (أو الزازي) ٣٠٨ ، ٣٠٩ ،

٣١٢ ، ٣١٩ ، ٦٢٣ ، ٦٢٥ ، ٦٢٨ ،

٦٣١

نجم الدين كبرى ٥٥٩ ، ٥٩٠ ، ٦٢٣ ، ٦٢٥ ،

٦٣٦ ، ٦٣٩ — ٦٤١ ، ٦٤٢

أبو النجم السراج ٢٤٨

أبو النجب السهروردي ٦٢٥ ، ٦٣١

نجيبی فرغانی ٤٢٣

نرگسي ٢٨ ، ١٠٤

نزارين المستصر ٢٤٥ ، ٢٤٧ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ،

٢٥٢ ، ٢٥٨ ، ٣١٥ ، ٥٧٢

نساو ليز ٣٣٨ ، ٣٤٢ ، ٥٥٩ ، ٥٧٤ ، ٥٨٤ ،

٥٩٦ ، ٦٢٥ ، ٦٣٤

النسفي ٤٥٠

النسوي ٥٥٥ ، ٥٥٧ ، ٥٦٧ ، ٥٧١ ، ٥٩٠ ،

٦٠٠ — ٦٠٢

نصر بن أحمد الساماني ٢٥ ، ٢٤٨ ، ٢٦٣

أبو نصر أحمد بن منصور (انظر : أسدي)

أبو نصر الإسماعيلي ٣٦٩

نصر الثاني (الساماني) ٢٤٨

أبو نصر خليل بن أحمد ١٨٣ ، ١٨٦

نصر بن سيكتكين ١١٥ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١٤١ ،

الموفق فضل الله الصقاعي ٦٠٢

الموفق التياجوري ٢١٨ ، ٢٧٠

مول ١٥٤ ، ١٥٥

مولار ٦٠٥

المؤمن ٢٤٨ ، ٢٤٩

المؤيد ٣٧٨ ، ٤٨٢

أبو المؤيد البلخي ١٧٥ ، ٣٤٦

مؤيد الدين محمد (انظر : ابن الملقمي)

مؤيد الملك بن نظام الملك ٣٧٦ ، ٣٧٧ ، ٣٩٠

المؤيد بن يوسف الصالحی ٦٢٦

مي ٨٢ ، ٨٣

الميداني ٣٧٤ ، ٤٥٠

ميرخواند ٢٧

ميرزا حبيب ٦٢٠

ميرزا محمد شيرازي ٦٣٤

ميكايل بن سلجوق ٢١٠

الميندي (انظر : أحمد بن الحسن)

ابن ميمون ٥٩٠ ، ٦١٨

ميمون بن نجيب الواسطي ٢٢٦

(ن)

النابغة الذبياني ٢٧٩

النابلي ١٢٢

ناتان هسكل دول ٣١٨

نادر شاه ١٤

ناساو ليز (انظر : نساو)

ناصر الدين الأرجاني ٤٥٨

الناصر (الخليفة العباسي) ٥٧٨ ، ٥٥٦

الناصر (ملك مصر) ٥٦٨

ناصر خسرو ١٩٩ — ٢٠٣ ، ٢١٢ ، ٢٣٥ ،

٢٤٦ — ٢٤٨ ، ٢٥٨ ، ٢٦٥ — ٢٧١ ،

٢٧٢ ، ٢٧٤ ، ٢٧٧ ، ٢٧٩ ، ٢٨٤ ،

٢٩٧ — ٢٩٩ ، ٣٠٣ ، ٣٣٨ ، ٣٤٢ ، ٣٦٤

وليم كركياريك (أنظر : كركياريك)

ونس ٣٤٢ — ٣٤٤

ويسي ٣٨ ، ١٠٤

(ي)

ياجوج ٥٤٧ -

اليافعي ٦٣٦ ، ٦٣٩

ياقوت ٤٣٥ ، ٥٥٠ ، ٥٩٠ ، ٥٩٧ ، ٦٠٤ ، ٦٢٠

٦٥٥ ، ٦١١ — ٦١٣

ياقوت المستعصي ٥٩٠ ، ٦٢٠

ياقوت بن جفري بيك ٥٩٠ ، ٦٢٠

يحيى أعقب ٥٩٦

يرتش ١٨٧

اليزدادى ١١٩ ، ١٣١ ، ١٣٣ ، ٦٠٩

يزدجرد الأثيم ٥٢١

يزدجرد بن شهریار ١٦١ ، ٣٤٣

يعقوب بن ليث الصفار ١٩ ، ٢٦٥

ابن عيين ٣٤

عين الدولة (أنظر : محمود الزنوى)

عيني ١٣٤

يوحنا أبو الفرج (أنظر : ابن العري)

يوسف (عليه السلام) ٥٣٩ ، ٦٠٧ ، ٦١١

يوسف بن زكي مؤيد ٥٠٨

يوسف بن محمد بن عثمان ٦٠٣

يوسف القفطى ٦٠٤

يوسف نرزمي ٢٢٣

يوقليدس ٢٧٨

يوليوس ليبرت (أنظر : ليبرت)

يونس ٢٧٨

يونس بن سلجوق ٢١٠

هنرى هوورث (أنظر : هوورث)

هوتسا ٢٩ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٧٨ ، ٤٠٧ ،

٤١١ ، ٤١٩ ، ٤٥٧ ، ٥٩٨ ، ٥٩٩

هوداس ٥٥٥ ، ٥٧١ ، ٦٠١

هولاكو خان ٢١ ، ٢٣٩ ، ٢٤٣ ، ٥٥٥ ،

٥٦٣ ، ٥٦٤ ، ٥٦٦ ، ٥٦٧ ، ٥٧٥ ،

٥٧٦ ، ٥٧٩ ، ٥٨١ — ٥٨٥ ، ٥٨٧ ،

٥٨٨ ، ٦٠٠ ، ٦١٦ ، ٦١٧ ، ٦١٧

هوورث ٥٥٠ ، ٥٥٤ ، ٥٦٨

هوينفلد ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٣٧ ، ٣٠٩ ، ٣١١ ،

٣١٩ ، ٣٣٠ ، ٦٦٠

(و)

واجيز ١٦٨

واللس بدج ٥٢٤

ويكه ٣٠٩ ، ٣١٧

ودع البستاني ٣١٨

وديع دستگردى ٥١١

وست ١١

وستنفلد ١٢٧ ، ٣١٢ ، ٣٧٥ ، ٤٧٠ ، ٦٠٧ ،

٦٠٦ ، ٦١١ ، ٦١٢

وشمكير ٣٥٤

وصاف ٢٧ ، ٤٤٣ ، ٥٥٥ ، ٥٦٤

الوطواط (أنظر : رشيد الدين)

أبو الفاء الكردي ٤٠٣ ، ٤٠٤

ولهلم باخر (أنظر : باخر)

ولهلم فون هوبولد ٦٠٥

وليم جونز ٦٠٧

وليم درموند ٦٢

أسماء الأمكنة

(١)

أستناوند (انظر : أستوناوند)
 أستوناوند (قلعة) ٢٥٠ ، ٢٩٤
 الإسحاقى (نهر) ٥٨٤
 إسفراين ٥٦٨
 أسكتلندا ٥٦٩
 الإسكندرية ٢٤٩ ، ٦٠٣ ، ٦١٤ ، ٦٢٥ ،
 ٦٣٣ ، ٦٦١
 آسيا ١٠٧ ، ٢٥٨ ، ٣٨٨ ، ٤٢٥ ، ٥٦٨ ، ٥٦٩ ،
 ٥٧٥ ، ٦٥٤ ، ٦٦١
 آسيا الصغرى ٠٨ ، ٢١١ ، ٢٢١ ، ٢١٢ ،
 ٢٢٨ ، ٢٤٦ ، ٣٧٩ ، ٥٦٦ ، ٥٦٨ ،
 ٥٦٩ ، ٦٢٣ ، ٦٣١ ، ٦٣٣ ، ٦٥٤ ،
 ٦٦٤ ، ٦٧٢
 إشبيلية ٦٣٣
 إصطخر ١١
 أصفهان ٥١ ، ٩٧ ، ١٦٦ ، ١١٧ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ،
 ٢٢٩ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ،
 ٢٧٣ — ٢٧٥ ، ٢٧٨ ، ٣١١ ، ٣١٤ ،
 ٣١٥ ، ٣٧٥ ، ٣٧٦ ، ٣٨١ ، ٣٨٩ ،
 ٣٩١ — ٣٩٤ ، ٤٩٥ ، ٥٠٣ ،
 ٥٠٤ ، ٥٢٧ ، ٥٢٩ ، ٥٣٠ ، ٥٣١ ،
 ٥٣٦ ، ٥٣٧ ، ٥٥٧ ، ٥٩٠ ، ٦٠٩ ،
 ٦٤٣ ، ٦٤٩ ، ٦٥١ ، ٦٨٧ ، ٦٨٨ ،
 ١٩ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢١٢ ، ٢٤٢ ،
 ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٥٨ ، ٢٧٢ ، ٣٨٩ ،
 ٦٧٢
 أفغانستان (بلاد الأفغان) ١٩ ، ١١٤ ، ١١٧ ،
 ٢٠٨ ، ٢٢٥

آبا (آبه) ٢٦٤ ، ٣٧٥
 أبهر ٢١٦ ، ٢٥٠ ، ٣٦٤
 أيورد ١١٢ ، ١٢٣ ، ٤٦٤
 آرار ٥٥٧ ، ٥٥٨ ، ٥٦٨
 الإحصاء ٢٧٣
 أخيك ٤٣٥
 أخلاط (خلاط) ٢٢٢ ، ٢٧٠
 إدينبره ٥٦٩
 أفويجان ٨٧ ، ٢١٦ ، ٢٤٩ ، ٣٥٤ ،
 ٤٦٢ ، ٥٠٨ ، ٥٠٩ ، ٥٢٦ ،
 ٥٢٨ ، ٥٣٠ ، ٥٣١ ، ٥٤٧ ،
 ٥٧٩ ، ٥٩٤ ، ٦٢٢
 أراث ٥٧٩
 أرانية ٥٤٧
 إربل ٥٦٨ ، ٦٠٣
 أردبيل ٢٦٢
 أرمغان ٢٥٠
 أرزن ٢٧٠
 أرجان ٢٥٠ ، ٢٧٣ ، ٣٩٤
 أرگنج (انظر : الجرجانية)
 أرمينا ١٩ ، ٣٥٤
 إسبانيا ١٨ ، ٢٠ ، ١٠٨ ، ٢٠٧
 إستانبول (إستانبول) ١٤ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ،
 ١٧٥ ، ٤١١ ، ٥١١ ، ٥٢٣ ، ٦٥٥
 استراباد ١٦٥ ، ١٨٨ ، ٥٩٧

جوزجان (جوزجانان) ٢٩٥ ، ٢٩٢

جيحون ٢٥ ، ٢٢٣ ، ٢٢٨ ، ٢٧٨ ، ٢٨٦ ،
٤٢١ ، ٤٢٣ ، ٤٣٥ ، ٥٥٨ ، ٥٦٦ ،

٥٧٩

جیلان (انظر: كيلان)

(ج)

جامه ١٦٥

(ح)

الحبشة ٦٧٢

الحجاز ٢٠ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٣ ،
٦٧٢ ، ٦٧١

حران ٢٣٧ ، ٦٠٤

حلب ١١٥ ، ٢٤١ ، ٢٤٩ ، ٢٧٠ ، ٥٥٠ ،
٥٩٢ ، ٥٩٣ ، ٦٠٣ — ٦٠٥ ، ٦٢٢ ،

٦٥٥

الحلة ١٤٥ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ٣٧٧ ، ٦١٤

حاة ٢٧٠ ، ٥٩٧ ، ٦٢٨

حمدونيال ٥٠٨ ، ٥٠٩

الحمدية ٦٢٠

حمص ٣٨٩

حيدرآباد ٦٠٦

حيفا ٢٧١

(خ)

الخابور ٢٢٧

خالنجان ١٦٧ ، ٣٥٠ ، ٣٩٤

خان باليق ٥٧٦

خاوران ٢٧٨ ، ٣٢٥ ، ٤٦٤ ، ٤٦٥ ، ٤٧٠

خيبرشاه ٥٦٨

خنان (أنظر: ختن)

ختلان ٢٢١ ، ٢٧٨ ، ٢٩٢ ، ٤٨٦

ترمد ١٤٤ ، ١٤٥ ، ٢٢٥ ، ٢٣٩ ، ٢٨٤

٤٢٢ ، ٥٥٩ ، ٥٦٨

قلبيس ٥٧١

شهر ٥٧٣

تكرت ٥٨٤

تهامه ٢٧٣

توبنجن ٣٤١

تون ٢١٦ ، ٢٥٠ ، ٢٧٣ ، ٢٧٨ ، ٢٦٤ ، ٥٨١

تونس ٢ ، ١٠١ ، ٢٤٦

(ج)

جابلقا ٢٧٨

جابلقا ٢٧٨

الجامع الأزهر ٦٢٨

الجامع العتيق ٦٢٥

جامع المطرز ٤٨٧

الجبل ٥٤٧

جرباذقان ٥٩٧

جرجان ١١٢ ، ١٢٣ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ٢١٢ ،

٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٣٦٩ ، ٤١٠ ، ٥٩٧

الجزانية ٥٦٨

الجزائر ٢ ، ٢٤٦

جزجانان ٢٧٠

الجزيرة ٢٠٧ ، ٢٠٨

جزيرة ابن عمر ٥٩٢

جكل ٥٣٨

جمال آباد ٥٨١

جند ٢٢١ ، ٤١٩ ، ٥٥٨ ، ٥٦٨ ، ٦٢٨

جوبارة ٦٨٨

جوباش ٥٩٣

جونا ٢٧٤ ، ٣٠٢ ، ٣٦٢

جوتنجن ١٢٤ ، ١٢٧ ، ٢٨٧ ، ٦٠٦ ، ٦١٢

جورجيا ٢٢٢ ، ٣٥٤ ، ٥٧١ ، ٥٧٢

دجلة ۳۹۰ ، ۳۵۸ ، ۵۸۴

دجیل ۵۸۴ ، ۵۸۵

دردشت ۶۸۸

دریندشروان ۴۷۷

دزکوه ۲۳۹ ، ۲۴۹ ، ۳۹۱ ، ۳۹۳

دشت گور ۳۹۲

دلمی ۳ ، ۵۷۱ ، ۶۲۰ ، ۶۸۶

دمشق ۲۰ ، ۳۷ ، ۳۰۷ ، ۳۱۹ ، ۳۳۳

۲۴۶ ، ۳۴۹ ، ۳۸۹ ، ۶۰۳ ، ۶۰۵

۶۱۴ ، ۶۱۸ ، ۶۲۳ ، ۶۴۴ ، ۶۵۵

۶۵۶ ، ۶۷۲

دیماط ۵۴۸

دنیر ۵۶۹

دملی (أظفر : دلمی)

دولت خانه ۳۸۰ ، ۴۸۹

دیار بکر ۳۱۶

(ر)

الرحبة ۲۲۷ ، ۲۴۹

رزاق ۶۱۴ ، ۶۱۶

رودبار ۱۶۴

الرقه ۲۲۷

رکناباد ۳۹

روستوف ۵۷۳

روسيا ۲۱۱ ، ۵۶۹ ، ۵۷۳ — ۵۷۵

الروم (أظفر : آسيا الصغرى)

روما ۶۱۳

رونة ۴۳۵

الری ۱۱۲ ، ۱۱۷ ، ۱۲۳ ، ۱۳۵ ، ۱۹۳

۱۹۵ ، ۱۹۶ ، ۱۹۸ ، ۲۱۳ ، ۲۱۶

۲۱۷ ، ۲۲۶ ، ۲۳۸ ، ۲۴۷ — ۲۴۹

۲۱۴ ، ۲۷۸ ، ۳۱۴ ، ۳۱۷ ، ۳۵۰

۳۷۵ ، ۳۹۱ ، ۴۳۵ ، ۴۵۷ ، ۵۰۰

۵۰۱ ، ۵۲۸ ، ۵۴۷ ، ۵۶۷ ، ۵۶۸

۵۷۱ ، ۶۰۸ ، ۶۱۵ ، ۶۲۴

حق ۳۳ ، ۵۳۸

خجند ۵۵۸

خراسان ۱۹ ، ۱۰۶ — ۱۰۸ ، ۱۱۱ ، ۱۱۲

۱۱۵ ، ۱۲۹ ، ۱۳۰ ، ۱۳۴ ، ۱۵۶

۱۶۴ — ۱۶۶ ، ۱۶۳ ، ۱۹۹ ، ۲۰۰

۲۰۱ ، ۲۱۱ ، ۲۱۳ ، ۲۱۵ ، ۲۲۰

۲۴۶ ، ۲۴۸ ، ۲۷۰ ، ۲۷۱ ، ۲۷۵

۲۷۶ — ۲۷۸ ، ۲۸۰ ، ۲۸۲ ، ۲۹۱

۳۰۳ ، ۳۱۵ ، ۳۴۵ ، ۳۶۲ ، ۳۶۸

۳۷۱ ، ۳۷۲ ، ۳۷۸ ، ۴۲۲ ، ۴۲۹

۴۴۱ ، ۴۴۲ ، ۴۵۹ ، ۴۶۱ ، ۴۶۵

۴۷۳ ، ۴۸۴ ، ۴۸۹ ، ۴۹۰ — ۴۹۲

۵۰۰ — ۵۰۲ ، ۵۴۷ ، ۵۵۰ ، ۵۵۹

۵۶۰ ، ۵۶۷ ، ۶۰۴ ، ۶۰۶ ، ۶۱۱

۶۲۲ ، ۶۲۷ ، ۶۴۸

خرنبر ۴۸۴

خوارزم ۱۸ ، ۱۱۱ ، ۱۱۵ — ۱۱۸ ، ۱۲۱

۱۲۳ ، ۲۱۸ ، ۲۸۰ ، ۲۹۲ ، ۳۷۲

۳۸۳ — ۳۸۶ ، ۴۱۸ — ۴۲۰ ، ۴۵۸

۵۲۱ ، ۵۴۵ ، ۵۵۱ ، ۵۵۵ — ۵۵۷

۵۵۹ ، ۵۶۹ ، ۵۷۰ ، ۵۷۳ ، ۵۷۸

۶۰۰ ، ۶۰۹ ، ۶۱۵ ، ۶۱۸ ، ۶۲۳

۶۴۵ ، ۶۶۶ — ۶۶۸ ، ۶۴۷

خواف ۵۸۱

خور ۲۵۰ ، ۳۹۴

خورنق ۵۲۱

خوردستان ۲۴۹ ، ۲۵۰ ، ۳۹۴ ، ۵۴

خوسف ۲۵۰ ، ۲۹۴

خیوه (أظفر : خوارزم)

(د)

دامغان ۱۸۸ ، ۲۱۶ ، ۲۴۹ ، ۲۷۰ ، ۵۶۸

۵۷۲

سنگان ٢٤٥

سنگان ٢١٦ ، ٢٢٧ ، ٢٤٩ ، ٢٧١
 السند ١٨ ، ١٣٠ ، ٢٧٨ ، ٢١٥ ، ٥٧٠ ، ٥٧١
 سور ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢٤٥ ، ٢٥٨ ، ٣١٤ ،
 ٤٥٤ ، ٥٨٣ ، ٥٨٣ ، ٦٧٢
 سومات ٤٤٠ ، ٦٧٢
 سیتان (أظفر : سجتان)
 سیواس ٦٣١

(ش)

شابران ٥٠٤
 الشاش ٣٢٧ ، ٤٣٥
 الشام ٢٠٨ ، ٢١٢ ، ٢٢٨ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ،
 ٢٤٩ ، ٢٥٣ ، ٢٧١ ، ٣٦٩ ، ٣٧٢ ،
 ٣٨٨ ، ٣٩٤ ، ٥٨٨ ، ٥٨٥ ، ٦٢٤ ،
 ٦٣٨ ، ٦٧١
 شاه دژ ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٣٩١
 شورغان ٢٧٠
 شروال ٤٩٥ ، ٤٩٧ ، ٤٩٩ ، ٥٠٠ ، ٥٠٤ ، ٥٠٩
 ششتر ٢٧٨ ، ٦٠٩
 شقان ١٦٥
 شهرستان ٤٥٩
 شیراز ٣ ، ١١ ، ٣٦ ، ٩٠ ، ٢٢٧ ، ٢٣٨ ،
 ٥٨٣ ، ٦٠٩ ، ٦٢٠ ، ٦٢١ ، ٦٢٤ ،
 ٦٢٥ ، ٦٦٤ ، ٦٦٨ ، ٦٧١ ، ٦٧٢ ،
 ٦٨٠ - ٦٨٢

شیرکوه ٣٩٤ ، ٥٨٠

شیرنیکوف ٥٧٣

(ص)

صفانیاں ٢٢١
 صقلية ٢٤٦

(ز)

زاب ١٨
 زابل (زابلستان) ٢٧٨ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣
 زرنده ٨٤
 زنجان ٢١٦
 الزنجبار ٥٨٣
 زوزون ٢٥٠ ، ٣٩٤

(س)

سان پیر سیورج (سان بطرسوغ) ١١٦

١٢٦ ، ٣٥٩ ، ٣٠٧ ، ٣٢٧ ، ٤٦٧

ساوه ٣٧٥ ، ٣٧٨

سبته ٦١٤

سیلان ٥٠٠

سیاهان (أظفر : أصفهان)

سراسیورج ٢٦١

سجستان ١١١ ، ١٢٩ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٥٠ ،

١٥١ ، ١٦٤ ، ٢١٥ ، ٢٧٨ ، ٣٤١ ،

٣٧٢ ، ٥٤٨ ، ٦٠٩

سرخاب ٥٠٥ ، ٥٢٧

سرخس ٢٧٣ ، ٢٧٩ ، ٣٨٤

سر من رأی ٢٤١

سروج ٣٢٧

سند ٢١٠

سفیدرود ٥٠١

سمرقند ١٠٨ ، ١١١ ، ٢١٠ ، ٢٢٥ ، ٢٢٧ ،

٢٧٢ ، ٣٦٠ ، ٤٢٦ ، ٤٢٨ ، ٤٣٣ ،

٤٣٥ ، ٤٤١ ، ٤٧٢ ، ٤٨٩ ، ٤٩٠ ،

٤٩١ ، ٥٤٧ ، ٥٥٨ ، ٥٦٨ ، ٥٧٦ ،

٦٤٥

سمنال ٣٧٠ ، ٥٦٨

٤٢٩ ، ٥٠٢ ، ٥٠٣ ، ٥٢٦ ، ٥٣٣ ،
٥٣٤ ، ٥٣٦ ، ٥٣٧ ، ٥٤٧ ، ٥٦٠ ،
٥٦٦ ، ٥٧٩ ، ٦٢٤

بريات ٢٩٨

نكا ٢٤٦ ، ٢٤٩ ، ٢٧١

عين تاب ٥٦٨

عين جالوت ٥٦٧

(غ)

غارنور ٢٩٦

غرجستان ٦٩ ، ٤٣٠

غرناطة ٦٨٤

غزنة ١١٠ ، ١١٣ ، ١١٥ ، ١١٧ ، ١٢١ ،

١٢٤ ، ١٢٩ ، ١٣٨ ، ١٤٤ ، ١٥٢ ،

١٥٨ ، ١٦٠ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٦ ،

١٦٧ ، ١٨٨ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢١٣ ،

٢١٥ ، ٢٧٨ ، ٢٧٢ ، ٢٨١ — ٢٨٣ ،

٢٩٥ ، ٢٩٧ ، ٢٩٩ ، ٤٣٠ ، ٤٣٥ ،

٤٩٣ ، ٥٤٨ ، ٥٥٦ ، ٥٦٨ ، ٦٧٢

غور ٦٦ ، ١١١ ، ٢١٣ ، ٢٢٦ ، ٢٨١ ،

٢٨٢ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٤٨٣ ، ٤٨٤ ،

٥٩٥

(ف)

القائكان ٣٤١ ، ٣٤٢

فارس ١١ ، ١٠٥ — ١٠٧ ، ٢٢١ ، ٢٢٤ ،

٢٥٠ ، ٢٥٣ ، ٥٤٥ ، ٥٧١ ، ٦٢٠ ،

٦٦٩ ، ٦٧١ ، ٦٨٧

فارياب ٤٦٢ ، ٥٢٦ ، ٦٣١

فاس ٣

فان شنج ٥٦٣

المرات ٥٥٥

صور ٢٤٦ ، ٢٤٩ ، ٢٧١

صيدا ٢٦٦ ، ٢٤٩ ، ٢٧١

الصفين ٢٩٢ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ،

٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٧٣ ، ٥٧١

٥٧١ ، ٦٠٠ ، ٦٠١

(ط)

طبران ١٥٦ ، ١٦٣ — ١٦٥

طبرستان ٢١ ، ١٢ ، ٩٣ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ،

١٠٨ ، ١١١ ، ١١٥ ، ١١٧ — ١١٩ ،

١٢٣ ، ١٥٥ ، ١٦٠ ، ١٩٣ ، ٢١٢ ،

٢١٣ — ٢١٥ ، ٢٤٩ ، ٢٤٥ ، ٢٤٩ ،

٢٥٠ ، ٢٦٢ ، ٢٨٩ ، ٢٩٥ ، ٢٥٤ ،

٢٥٦ ، ٥٩٧ ، ٦٠٨ — ٦١٠ ، ٦٢٢

طبريس ٢١٦ ، ٢٥٠ ، ٢٧٣ ، ٢٩٤

طخارستان ٤٣٥

طرايس ٢٧٠ ، ٢٩٤ ، ٥٩٣ ، ٦٧٢

طراز ٢٧٨

طهران ١١٢ ، ١٤٠ ، ١٤٤ ، ١٨٨ ، ٢٠١ ،

٢٤٧ ، ٢٦٩ ، ٢٧٦ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ،

٢٨٢ ، ٢٨٥ ، ٢٨٨ ، ٢٩١ ، ٢٩٥ ،

٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٤٦ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ،

٢٩٧ ، ٢٩٧ ، ٢٩٧ ، ٢٩٧ ، ٢٩٧ ،

٢٤٣ ، ٢٤٦ ، ٢٧٢ ، ٥١١ ، ٥١٤ ،

٥١٦ ، ٥١٧ ، ٥٢٠ ، ٥٩٨ ، ٦٠٧ ،

٦٢٤

طوس

١١٢ ، ١٢٣ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٨ ،

١٦٠ ، ١٦٣ — ١٦٨ ، ١٧٩ ، ٢١٤ ،

٢١٩ ، ٢٣٨ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٣٩ ،

٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦ ،

(ع)

عدن ١٨ ، ٢٢٨

عراق ١٩ ، ١٠٧ ، ١١٢ ، ٢١٦ ، ٢٧٨ ،

٥٧٠ ، ٥٧٨ ، ٥٨١ ، ٩١٤ ، ٦٢٣ ،

٦٧٨

قسنار ٩٣٤

السلطانية ٣ ، ٤٠ ، ٩٧ ، ٢٢٧ ، ٦٢٠ ،

٦٣١

القطف ٢٧٣

قط ٦٠٤

قلعة أردهان ٢٥٠

قلعة أستوناوند ٢٥٠ ، ٣٩٤

قلعة بانياس ٢٥٧ ، ٣٩٤

قلعة خلادخان ٢٥٠ ، ٣٩٤

قلعة دزكوه ٢٢٩ ، ٢٤٩ ، ٢٩١ ، ٣٩٣

قلعة شابران ٥٠٤

قلعة شيركوه ٣٩٤ ، ٥٨٠

قلعة الطنبور ٢٥٠ ، ٣٩٤

قلعة قديموس ٣٩٤

قلعة كالنجان ٢١٣

قلعة كردكوه ٢٥٠ ، ٣٩٤ ، ٥٨٢

قلعة مصيات ٣٩٤

قلعة الناظر ٢٥٠ ، ٣٩٤

قم ٢٤٧ ، ٢٦٤ ، ٥٦٧ ، ٥٦٨ ، ٦٠٩

قنوج ١١١

قنستان ٢٤٧ ، ٢٥٠ ، ٣٦١ ، ٥٦٧ ، ٥٧٩ ،

٥٨١ ، ٥٨٢ ، ٦٠٠ -

القوقاز ٢٢٢

قوس ٢٧٠

قونية ٥٢٨ ، ٦٢٣ ، ٦٥٤ ، ٦٥٦ -

القيروان ٢٧٧

(ك)

كاراكاو ٥٧٣

كاشان ٢٦٤ ، ٥٦٧ ، ٥٦٨

كاشغر ٢٢٧ ، ٥٤٧ ، ٦٧٠ ، ٦٧٢

قراغان ٣٦٤

قرخار ٤١٥ ، ٤١٦ ، ٥٣٨

فوزين ٢٢٢

قرغانة ٤٣٥

فرنسا ١٧٥

لسطين ٩١

فيروزكوه ٣٨١ ، ٣٩٩

فينا ١٥ ، ١٥٥ ، ١٧٦ ، ١٧٨ ، ٣٤١ ،

٥٩٨ ، ٥٥٥

(ق)

قاشان (أنظر : أيضاً كاشان) ، ٣٦٤

٥٦٧ ، ٥٦٨

القاهرة ٣ ، ٣٨ ، ١٠١ ، ١١٤ ، ١٢٢ ،

١٣٠ ، ١٩٩ ، ٢٠٩ ، ٢٤٥ ، ٢٤٨ ،

٢٥٠ ، ٢٦٩ ، ٢٧١ ، ٣٠٩ ، ٣٠٣ ،

٣١٥ ، ٣٦٣ ، ٣٦٩ ، ٤٥٩ ، ٤٦٠ ،

٥٥٥ ، ٥٦٨ ، ٥٨٣ - ٥٨٥ ، ٥٩٢ ،

٥٩٣ ، ٦٠٣ - ٦٠٦ ، ٦١٠ ، ٦١٢ ،

٦٤١ ، ٦٣٨ ، ٦٣٧ ، ٦٤٤ ، ٦٤٤

قائن ٢٥٠ ، ٣٩٤

قياديان ١٤٥ ، ٢٧٠ ، ٣٧٤

قيجاق ٢٧٨

قبرص ١٩ ، ٥٧٥

القدس ٦٠٤

قراقورم ٥٦٢ ، ٥٦٤ ، ٥٦٥ ، ٥٧٠ ،

٥٧٣ ، ٥٧٥ ، ٥٧٦ ، ٥٨٢ ، ٥٨٣

قرم ٥٦٩

قرمان ٦٥٤

قروين ٤٩ ، ١٠٥ ، ١١٨ ، ١٢٣ ، ١٣٠ ،

٢٤٩ ، ٢٧٠ ، ٢٢٩ ، ٥٥٦ ، ٥٥٩ ،

گردکوه ٢٥٠، ٢٩٤، ٥٨٢

گرشاسب ٤٩٩

گرکانج (أنظر: الجرجانية)

گلیا یگان ٥٩٧

الکنج ٥٦٩

گنجه (البراقیول) ٣٥٢، ٤٦١، ٤٦٢

٤٩٥، ٥٧٢، ٥٠٧

گیلان ١٠٥، ٢٦٨، ٣٤٦، ٥٥٩

٦٢٨

(ل)

اللاذقية ٢٢٨

لارنده ٦٥٤

لاهور ٤٣٥، ٤٩٣

لکنو ٣٢٠، ٣٢٥، ٤٣٩، ٤٧١

٤٧٥-٤٧٧، ٤٧٩، ٤٨٤، ٤٨٨

٥٠٢، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٢٩، ٥٣٠

٦٤٨

لسر ٥٧٨، ٥٨٢

لندن ٨ ١٧٨، ١٧٤، ١٦٥

١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠

١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥

٦٦٨

لوت ٢٧٨

لوهور (أنظر: لاهور)

٤١٧، ٤١٩، ٤٢٧، ٥٠٦

لیدن ٢٦ ١٠٣، ١١٦، ٢٠٩

٢٤٣، ٢٤٤، ٣٠٢، ٣٠٨، ٣١٥

٣٤٦، ٤٥٧، ٤٨٩، ٥٩٢، ٥٩٦

٦١٣، ٦١٤، ٦٢٢

(م)

مازندران ١٠٥، ٢٥٠، ٢٧٥، ٢٧٨

کانتجار ٢١٣

کامبردج ١ ١٣٢٤، ١٧٩، ٢٣٨

٢٥٩، ٢٤٤، ٢٥٧، ٥٢٥، ٥٩٩

٦١٠، ٦٦٠

کاپور ٤٣٩، ٤٤٦

کربلاء ٦٨٠

الکرج ٢٢٦، ٣٧٥

کرستان ١٠٥

کردوان ٥٦٨

کرمان ٢٠٩، ٢١٦، ٢٢١، ٢٢٤ -

٢٢٦، ٢٤٩، ٣٧٢، ٣٨٠، ٣٩٠

٥٤٨، ٥٧١، ٦٢٤، ٦٤٥

کرمانشاه ٣٥٧، ٤٨١، ٥١٣

کريت ١٩

کشمير ١١١، ٤١٥، ٤١٦، ٥٣٨

کلاتش ٤٣٣

کلتکا ٣٠٧، ٣٤٢، ٣٩٧، ٤٧٢

٤٨٦

کمبردج (أنظر: کامبردج)

کندر ٢١٩

کونهاجن ٣٢٧

کوریا ٥٦٩

کوشک میدان ٣٧٦

الکوفة ٢٤٧، ٦٤٤

کونجی برج ٦٠٥

کیش ٥٧٦، ٥٨١، ٦١١

کيف ٥٧٣

(ک)

کجرات ١١١، ٦٧٢

للقرب ٦١
القطم ٦٣٨
مكة ٩٣ ، ٢٢١ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٠ ، ٢٧٠ ،
٢٧١ ، ٢٩٦ ، ٢٩٨ ، ٣٥٤ ، ٤٥٤ ،
٤٥٩ ، ٤٩٥ ، ٥٠٢ ، ٥٧٨ ، ٦١٤ ،
٦٣٨ ، ٦٤٤ ، ٦٤٥ ، ٦٥٤ ،
٢٢٢ كورد
١٤ الملايو
طليحة ٥٩٣ ، ٦٥٤ ،
ملقة ٦١٨
منشستر ٦٠٧
منفوليا ٥٥٩ ، ٥٧٤ ، ٥٧٥ ،
المهدية ٢٦٥
منه ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٤٦٤ ،
موسكو ٥٧٣
الوصل ٢١٦ ، ٢٢٧ ، ٢٤٩ ، ٥٠٩ ،
٥٥٠ ، ٥٨٣ ، ٥٨٤ ، ٥٩٢ ، ٥٩٣ ،
٦١١ ، ٦٣٣ ،
موليان ٢٥
مؤمن آباد ٥٧٧
ميافارقين ٢٤٩ ، ٢٧٠ ،
مبيون دز ٥٨٢ ، ٦١٦ ،
سبته (أنظر: منه)

(ن)

نای ٢٠٧
نائب ٢٧٣
نخشب ٤٣٥ ، ٤٥٠ ، ٥٦٨ ،
نسا ١٢٣ ، ١٦٤ ، ٢١٤ ، ٥٥٩ ، ٥٦٨ ،
نسف ٤٣٣ ، ٤٣٥ ، ٤٥٠ ،
نصرت كوه ٥٥٩ ، ٥٦٨ ،
نهاوند ٢٣١ ، ٢٣٤ ،
نهر بشير ٥٨٥
نهر عيسى ٥٨٤

٤٦٢ ، ٣٩٤ ، ٥٢٤ ، ٥٢٨ ، ٥٣٩ ،
٦٨٧ ، ٦٠٩ ، ٥٥٩ ،
مالطه ٢٤٦
ماوراء النهر ١٠٧ ، ١١١ ، ١١٤ ، ١٤٥ ،
٢٢٧ ، ٢٢٧ ، ٢٢٣ ، ٢٣٤ ، ٤٢٩ ،
٤٣٥ ، ٤٤٧ ، ٥٤٨ ، ٦٠٦ ، ٦١٥ ،
٦٢٢
التحت البريطاني ١٤٤ ، ٢٣٩ ، ٣٦٣ ،
٤٣٩ ، ٤٤٣ ، ٥٩٨ ، ٦٢١ ، ٦٢٤ ،
٦٢٦ ، ٦٢٩ ، ٦٣١ ، ٦٤٥ ، ٦٤٦ ،
المدائن ٢١٥
المدينة ٢٢١ ، ٢٤٦ ، ٤٥٤ ، ٥٠٢ ،
المراغة ٣٨٠ ، ٥٦٨ ، ٥٩٤ ، ٦١٥ ،
٦١٦
مراكش ٣ ، ١٨ ، ٢٤٦ ، ٢٤٨ ،
مرج الصفر ٥٦٨
مرسيه ٦٣٣
مرو ٢٢ ، ١٤٣ ، ١٦٥ ، ١٩٥ ، ٢١١ ،
٢١٥ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢٧ ،
٢٣٠ ، ٢٣٠ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٦ ،
٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٣٨ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ،
٢٤٢ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٣٥ ، ٢٦٥ ،
٢٧٤ ، ٢٨٧ ، ٢٨٩ ، ٤٥٠ ،
٥٥٩ ، ٥٦٠ ، ٥٦٨ ، ٦١١ ،
مشهد ١٥٦ ، ١٨٨ ،
مصر ١٨ ، ١٩ ، ١٣٢ ، ٢٠٨ ،
٢١٢ ، ٢٣٢ ، ٢٣٧ ، ٢٤٢ ، ٢٤٦ ،
٢٤٧ ، ٢٤٩ ، ٢٥٧ ، ٢٦٧ ، ٢٧١ ،
٢٧٣ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٨ ، ٣٦٤ ،
٣٨٩ ، ٥٤٨ ، ٥٥٠ ، ٥٦٧ ، ٥٨٧ ،
٦٠٢ ، ٦٠٤ ، ٦٠٥ ، ٦٣٣ ، ٦٣٤ ،
٦٤٤ ، ٦٥٧ ، ٦٥٩ ، ٦٨١ ،
المصلی ٣٩ ، ٩٠ ،
مرة النمان ٢٧٠ ، ٢٦٤ ، ٣٦٥ ،

١٦٢، ١٤٤، ١٣٠، ١٢٢، ١١٧
 ٢١٣، ٢١٢، ١٩٨، ١٩٥، ١٧٥
 ٢٧٨، ٢٦٧، ٢٥٨، ٢٥١، ٢١٥
 ٣٤٩، ٣٤٢، ٣١٥، ٣٠٢، ٢٩٢
 ٥٢١، ٤٤٧، ٣٩٧، ٣٩٦، ٣٥٤
 ٥٩٥، ٥٨٣، ٥٦٩، ٥٤٨، ٥٢٤
 ٦٤٤، ٦٢٦، ٦٠٧، ٦٠٦، ٥٩٦
 ٦٧٧، ٦٧١، ٦٦٨، ٦٤٨، ٦٤٦
 ٦٨٦، ٦٧٨، ٦٧٧

الهند الصينية ٥٦٩

(و)

واسط ٢٤٦، ٦١٤

وال ٢٧٠

وراوين ٦٢٢

ورساد ٤٢٨، ٤٢٩

وشمكه ٢٥٠، ٣٩٤

ولوالج ٤٣٥

ووكنج ٨

(ي)

اليابان ٤، ٥٤٦

ياروسلاف ٥٧٣

يزد ١٤، ٢٤٩، ٦٠٩

يگان ٢٦٦، ٢٧٥، ٢٧٨، ٢٧٩، ٣٠٢

الين ٢١٢، ٢٧٣، ٤٠٢، ٤٠٣، ٦٠٤

٠٦٧٢

نهر الملك ٥٨٤

نور ٢١٠

نورنامتون ٥٦٢

نوشاد ٥٣٨

نيسابور ٥٠، ١١٢، ١١٥، ١٢٩

١٣٨، ١٥٢، ١٦٢، ١٦٥، ٢١٥

٢١٩، ٢٣٣، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٧٠

٢٧٣، ٣٠٤، ٣٠٦، ٣١١، ٣١٢

٣١٤، ٣١٦، ٣٤٥، ٣٦٩، ٣٧٩

٣٨٥، ٣٨٩، ٣٩٠، ٤٢٦، ٤٢٨

٤٦٢، ٤٧٤، ٤٨٤، ٤٨٧، ٤٨٩

٥٠٩، ٥٢٦، ٥٢٩، ٥٣١، ٥٣٢

٥٥٥، ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٦٨، ٦٤٤

٦٤٦، ٦٤٨، ٦٥٤

نيكوسيا ٥٧٥

(٥)

حاله ٣٤١

هرات ١٣٩، ١٤٣، ١٦٠، ١٦٦

٢١٥، ٢٢١، ٢٣٦، ٢٩٩، ٤٢٦

٤٣٠، ٤٣٥، ٤٨٤، ٤٨٩، ٥٦٠

٥٦٨، ٦٠٩، ٦١٥

هزار اسب ٢٨٦، ٢٨٧، ٤١٩

همدان ١٢٢، ١٢٣، ١٢٨، ١٢٩

١٣٥، ٢١٦، ٢٢٦، ٢٢٤، ٣٧٥

٣٨٩، ٥٠٢، ٥٢٧، ٥٤٧، ٥٦٧

٥٦٨، ٥٨٢، ٥٨٤، ٥٩٧

هند ١٩، ٢٨، ١٠٨، ١١١، ١١٢

obeikandi.com